كتاب نيل المنى
بذيل بلوغ القرى
لتكملة إتحاف الورى

(تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٢هـ إلى ٩٤٦هـ)

تأليف
جار الله بن العز بن النجم بن فهد المكي

تحقيق
محمد الحبيب الهيلة
أستاذ الدراسات العليا
التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى
بمكة المكرمة

القسم الأول

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

الطبعَة الأولى
(١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة التحقيـق

الحمد لله على كرمه وفضْله، والصلاة والسلام على رسول الله.

خلال هذه السنوات العشر التي قضيتُها بمكة مجاوراً للبيت العتيق مالتْ نفسي إلى النظر في تاريخ مكة المكرمة والبحث عن مصادره ورجاله ومؤلفيه، فكنتُ أقضي الوقت بين مطالعات في ما سُطّر منه وبين قراءة ما كُتب حوله من بحوث ودراسات وتحقيقات. مهتماً بما يمكن أن تضاف إليه من قراءات واستنتاجات، مغرقاً في جمع ما شتّتْه يد الأيام من كُتبه ومسطوراته ووثائقه، محاولاً إبراز ملامح ما أنتجه المكّيون من مؤلفات في التاريخ والحضارة، مُحصياً ما بقي من مؤلفاتهم مخطوطاً أو مطبوعاً، مسجّلاً ما ورد ذكره منها في نصوص التاريخ والتراجم، حتى جمعتُ من كل ذلك مادة أساسية تفتح آفاقاً جديدة للبحث في التاريخ المكي.

وهكذا انطلقتُ في البحث عن آثار المؤرخين المكيين وما تركوه من كتب ورسائل، كان القليل منها مطبوعاً والكثير مخطوطاً والأغلب مذكوراً في المصادر ولكنه ضاع وعبثت به يد الأيام وطمستْه عوامل السنين والنسيان.

وفي سبيل ذلك كان لا بد لي أن أتتبّع الكثير من محتويات مكتبات المخطوطات في العديد من بلاد العالم – شرقاً وغرباً – وأن أتصيَّدَ المخطوطات من مؤلفات المؤرخين المكيين، أطالع بعضها وأحصل على مصورات الكثير منها، غير شحيح بكل ما استطعته من الوقت والجهد والتنقل والبذل. فكان – والحمد لله – صيدي ثريّاً أنيقاً، وكان ما اجتمع لدي من مصّوراتها نوادر تُبْهج النفس وتهيّئ للباحث الزاد الثمين الذي يعينه في رحلته العلمية. فرتّبتُ ما جمعتُه وألّفتُ ما تفرّق منه وصنّفته في كتابي الذي عنوانه " التاريخ والمؤرخون بمكة، من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، جمع وعرض وتعريف ". وقد أصدرته مؤسسة

الفرقان سنة ١٩٩٤ م ليكون منطلَقاً للباحثين في تاريخ مكة المكرمة، ومشاركة متواضعة مني في إرساء أسُس تحتاجها الدراسات التاريخية المكية.

وخلال سنوات اعتنائي بالتاريخ المكي اطلعتُ على العديد من مخطوطات مؤلفات، المكيين التي دوّنوا فيها تاريخ مدينتهم الآمنة، فكان من بينها كتاب نادر لم تُعرفْ منه غير نسخة فريدة رديئة الخط نُقلت من جذاذات هي مسودة المؤلف، جَمَع فيه أخبار المجتمع المكي مُياومةً وأورد فيها وصفاً لحوادث عصره بعناية وتفصيل، تناول فيها مرحلة انتقالية شهدت تغيراً سياسياً واجتماعياً حينما بسط العثمانيون نفوذهم على الحجاز وفرضوا عليه سياستهم وقوانينهم ونُظُمهم.

هذا الكتاب الذي أشير إلى أهميته هو كتاب "نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى" لصاحبه المؤرخ جار الله بن فهد المكي ابن المؤرخ العز بن فهد المكي، ابن المؤرخ نجم الدين بن فهد المكي، ابن المؤرخ تقي الدين بن فهد المكي.

بعد أن اطلعت على المخطوط وتتبعْتُ محتواه أيقنتُ بفائدته وطرافته فبادرتُ إلى تحقيقه وتقديمه للقراء والباحثين، فاختارتْه مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة) برعاية مؤسسها معالي الشيخ أحمد زكي يماني ليكون هذا الكتاب ضمن مطبوعاتها المفيدة الأنيقة.

وإني إذ أتقدم للمؤسس الكريم معالي الشيخ لأُعْرِبَ له عن صادق تقديري وجزيل شكري أسأل الله أن يوالي نجاحات هذه المؤسسة ويعينها على مواصلة إنجازاتها في خدمة الثقافة والحضارة الإسلامية في مجالات عديدة من بينها تاريخ الحجاز وحرميْه المكي والمدني.

والله ولي التوفيق وله الحمد أولاً وآخراً

محمد الحبيب الهيلة

مكة المكرمة في ٢٥ ذي الحجة ١٤١٧ هـ

معالم الكتابة التاريخية بمكة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين

يعتبر القرنان التاسع والعاشر الهجريان من أثرى القرون إنتاجاً فيما كتبه أبناء مكة وعلماؤها من تاريخ البلد الأمين. وكان من أشهر أعلام المؤرخين المكيين خلال هذين القرنين خمسة من كبارهم بفضل ما تركوه من مؤلفات وآثار علمية عظيمة وهم:

- التقي الفاسي (ت ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٩م).
- النجم بن فهد (ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠م).
- العز بن فهد (ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٧م).
- جار الله بن فهد (ت ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧م).
- القطب النهروالي (ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢م).

فقد ألّف الفاسي ما يزيد عن الثلاثين كتابا من كتب التاريخ خصّص أغلبها لتاريخ مكة ورجالها. وسلك في ذلك ثلاثة أنماط من الكتابة المتناولة لتاريخ مكة المكرمة.

النمط الأول: كتابة تاريخ مدينة مكة ومعالمها وفضائلها ومنشآتها الدينية والحضارية والعلمية والعمرانية وغيرها. أشهر كتبه فيها: « شفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام؛ وتحصيل المرام؛ وتحفة الكرام؛ والزّهور المقتطفة؛ وترويح الصدور باختصار الزهور؛ واختصاره؛ وعجالة القرى للراغب في تاريخ أم القرى». وجميع هذه الكتب على منهج واحد متشابه متكامل.

النمط الثاني: كتابة تهتمّ بجمع تراجم علماء مكة ومشاهيرها. وضع الفاسي فيها كتابه « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » وقال في أوله إنه جمع " تراجم الأعيان من أهل مكة وغيرهم ممن سكنها مدة سنين أو مات بها، وتراجم ولاة مكة وقضاتها وخطبائها وأيمتها.... وغيرهم ممن وسع أو عمّر المسجد الحرام والأماكن الشريفة .... أو ممن عمل من المآثر الحسنة الكائنة بمكة " [1] .

النمط الثالث: وضع الفاسي كتُبا يؤرخ فيها لولاة مكة وحكامها في مختلف العصور، فألّف كتاب « ولاة مكة في الجاهلية والإسلام » ثم اختصره في كتاب « تجريد ولاة مكة » .

وجاء بعده تلميذه المحدث الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المكي الهاشمي (ت ٨٨٥ هـ /١٤٨٠م) الذي ألّف أكثر من أربعين كتابا في التاريخ ومتعلقاته و خصّص عددا هاما منها لمكة وأهلها .

فقد ألّف أول كتاب عرفناه في تاريخ مكة على منهج الحوليات إذْ وضع كتابه « إتحاف الورى، بأخبار أم القرى » على غرار الكتب الكبيرة من الحوليات العامة مثل تواريخ الطبري وابن الأثير والذهبي وابن كثير وغيرهم. فقد أخذ منهجهم الذي طبقوه على التاريخ الإسلامي العام وخصصه هو لتاريخ مكة بداية من السنة الأولى للهجرة إلى سنة وفاته وهي ٨٨٥هـ وبذلك كان الكتاب رائدا في هذا الفن .

واهتم النجم بتراجم أهل مكة فوضع كتابه « الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » أكمل فيه ما فات شيخه التقي الفاسي في كتابه « العقد الثمين » من المكيين الذين لم يترجمهم أو من ظهروا بعد وفاة الفاسي ممن عرفهم المؤلف وعاصرهم .

واعتنى النجم أيضا بالتعريف بالعوائل المكية الشهيرة بالعلم والفضل، فألف

(١) الفاسي: العقد الثمين ١: ٣ .

خمسة كتب في الموضوع تذكر العوائل التالية: بني فهد؛ الطبور؛ النويريين؛ القسطلانيين؛ بني ظهيرة.

وألّف النجم أيضاً في موضوع التعريف بولاة مكة المكرمة كتابه «بغية المرام» الذي أكمله وذيله ابنه العز، وصدر بعنوان « غاية المرام » .

كل ذلك بالإضافة إلى العديد من كتب معاجم الشيوخ والفهارس والمشيخات .

وورث العز بن فهد (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٧م) عن والده النجم عنايته بتاريخ مكة فوضع ذيلا لحوليات والده، بدأه من حيث انتهى النجم وأنهاه بأخبار سنة وفاته هو. فجاء كتابه « بلوغ القرى، بذيل إتحاف الورى، بأخبار أم القرى » تاريخا لمكة مياومة، بداية من شهر رمضان ٨٨٥ هـ – تاريخ وفاة والده – وانتهاء بشهر ربيع الثاني من سنة ٩٢٢ هـ، أي قبيل وفاته بقليل. مُورداً فيه الأخبار المفصلة لكل ما حدث بمكة في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والتنظيمات الإدارية وغيرها مع التركيز على أخبار الحرم المكي وموظفيه والحج وأمرائه وأخبار حوادثه.

كما اهتم العز بن فهد في مؤلفاته الكثيرة الأخرى بمعاجم الشيوخ.

وانتقل إرث الجد (النجم بن فهد) إلى الحفيد جار الله بن فهد (ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م) الذي سلك مسلك والده في وضع ذيل ثان لكتاب جدّه « إتحاف الورى » يلحقه بكتاب والده، وعنْوَانه « نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى، بأخبار أم القرى » وهو الكتاب الذي نقدمه للباحثين محققا.

فقد أرّخ فيه لمكة مياومة، تبدأ من شهر ذي الحجة سنة ٩٢٣هـ، وتنتهي بشهر جمادى الثانية سنة ٩٤٩ هـ.

ويعتبر الكتاب من أهم ما أنتجه جار الله بن فهد المكي، بالإضافة إلى كتب

كثيرة أخرى تهتمّ بمكة وتاريخها ورجالها وأوديتها وعمارتها وغير ذلك من متعلقاتها .

ويقف المد العلمي لعائلة بني فهد في الإنتاج التاريخي الخاص بمكة ليظهر مؤرخ مكي آخر هو قطب الدين النهروالي (ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢م) صاحب كتاب « الإعلام، بأعلام بلد الله الحرام » الذي يُعتبر كتابا هاما جمع فضائل مكة إلى تواريخ عمارة المسجد الحرام ومُعمّريه مع تواريخ مكة وخصوصاً في العهد العثماني وعلاقة العثمانيين بمكة وإسهاماتهم في تعمير ما فيها من المنشآت الدينية وغيرها .

هذه أهمّ المؤلفات التاريخية التي ألفها أشهر المؤرخين المكيين خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وكان من بينها كتاب نيل المنى لجار الله بن فهد المكي الهاشمي .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ترجمة جار الله بن فهد المكي

مؤلف كتاب « نيل المنى » هو جار الله بن فهد من عائلة مكيَّة عريقة في العلم والنسب إذْ اشتهر من أبنائها علماء كثيرون، وترجع أصولها إلى محمد ابن الحنفية ثالث أولاد الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – .

أقامت العائلة بأصفون في صعيد مصر أمدا، ثم انتقلت إلى مكة المكرمة في أوائل القرن الثامن الهجري أوقبله بقليل. فإن بعض الفهود ترجمهم الفاسي في العقد الثمين – الذي خصّصه لأهل مكة – وكان بعض المترجَمين فيه من بني فهد قد توفي في الثلث الأول من القرن الثامن مثل أبي الخير بن فهد الذي توفي سنة ٧٣٥ هـ [١] وجمال الدين بن فهد الذي توفي أيضا في سنة ٧٣٥ هـ[٢] .

وشارك أبناء هذه العائلة – وهم كُثُرٌ – في مختلف المجالات العلمية وخصوصاً الحديث والتاريخ والآداب. واشتهرت بين العوائل المكية الكبيرة المعروفة بالفضل فتصاهرت معهم ووجدت منهم التقدير نظرا إلى أن الفهود انصرفوا – غالبا – عن الوظائف الدينية والسياسية وغيرها.

امتدت حياة هذه العائلة إلى أواخر القرن العاشر الهجري. فإن آخر مَن عُرف من علمائها هو عبد الرحمن بن عبد القادر بن العز بن فهد الذي توفي سنة ٩٩٥هـ وبه انقطع ذكرهم[٣]. وبذلك امتدت الحياة العلمية للفهود ثلاثة قرون كان لهم فيها العطاء الثقافي والتعليم والتأليف .

---

(١) الفاسي: العقد الثمين ٢: ٢٩٦ .

(٢) الفاسي: العقد الثمين ٢: ٧٩ .

(٣) مرداد: المختصر من نشر النور والزهر ص٦١؛ الكتاني: فهرس الفهارس ص ٦٠٩، ٧٣٤ .

وقد اشتهر منهم حُفّاظ أربعة هم: الحافظ التقي بن فهد وابنه الحافظ النجم ابن فهد وابنه الحافظ العز بن فهد وابنه – مؤلفنا – الحافظ جار الله بن فهد. قال عنهم محدث المغرب الشيخ الكتاني " وأنت إذا تأملتَ قلّ أن تجد في بيت في الإسلام أربعة من الحفّاظ في سلسلة واحدة من بيت واحد يتوارثون الحفظ والإسناد غير هذا البيت العظيم " [1] .

وقد عرّف بهذه العائلة بعض أبنائها وغيرهم:

- فألّف النجم بن فهد كتابا سمّاه«بذل الجهد في مَن سُمّيَ بفهد أو ابن فهد».
- وألّف حفيده جار الله بن فهد كتابا جمع فيه المدائح التي قيلتْ في بني فهد وعنوانه « حفظ المساق والعهد، في مدائح بني فهد ». وكتاباً ذكر فيه وقف بيت بني فهد بمكة وعنوانه «حفظ العهود، على حكم وقف دار الفهود».
- وانتخب عمر الشمّاع من مؤلفات الفهود كتابا سماه « عرف الند، في المنتخب من مؤلفات بني فهد » .
- وعرّف الدكتور ناصر بن سعد الرشيد بجهود هذه العائلة في الكتابة التاريخية من خلال بحث عنوانه « بنو فهد مؤرخو مكة » ضمن كتاب مصادر الجزيرة ٢: ٦٩-٩٠ .
- وعرّفتُ بهذه العائلة في كتابي «التاريخ والمؤرخون بمكة» ص٩٩-١٠٨.

فمؤلف كتاب « نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى » الذي نقدمه محققا – بإعانة من الله – هو:

جار الله محمد تقي الدين بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن تقي الدين محمد بن فهد المكي الهاشمي الشافعي .

(١) الكتاني: فهرس الفهارس ص ٩١٠ – ٩١٢ .

ولد بمكة يوم ٢٠ رجب سنة ٨٩١ هـ / ٢٣ يوليو ١٤٨٦م .

أمّه من عائلة بني فهد واسمها كمالية بنت المحبّ أبي بكر أحمد بن محمد بن فهد الهاشمية المكية .

اهتم به والده العز من عهد طفولته فوجّهه نحو العلم والدرس، حتى أنه كان يصطحبه لحلقات العلم بالحرم المكي والطفل لم يتجاوز الرابعة من عمره[1] .

حفظ جار الله القرآن وأخذ عن والده كتبا كثيرة منها الكتب الحديثية الكبيرة ولازمه في الإقامة والرحلة إذْ رحل معه إلى المدينة وإلى الطائف، فكان فيها آخذا ومتعلما. ومن بين الكتب التي أخذها عنه مجموعة من كتب السيرة والتاريخ من بينها تاريخ مكة للأزرقي .

وتوجّه بعد ذلك جار الله إلى الرحلات العلمية خارج الحجاز فكانت رحلته الأولى إلى القاهرة سنة ٩١٣ هـ لطلب الحديث[2]. ثم تعددت بعد ذلك رحلاته إلى القاهرة كلما رحل إلى الشام أو قصد بلاد العثمانيين .

ورحل في ربيع الأول سنة ٩١٤ هـ إلى اليمن وبقي بها أربعة أشهر لازم فيها المؤرخ عبد الرحمن الديبع الذي قال عنه " لازمني مدة إقامته بزبيد وحمل عني كثيرا " [3] .

وكانت لجار الله بن فهد ثلاث رحلات إلى الشام. الأولى منها كانت خاصة بزيارة بلاد الشام والأخذ عن علمائها. والرحلتان الباقيتان كان فيها جار الله مارًا ببلاد الشام عندما كان قاصدا بلاد العثمانيين، بورصا وإسطنبول .

الرحلة الأولى: سنة ٩٢٢هـ. وفيها أقام بدمشق وحلب. ثم غادر الشام راجعا إلى مكة في شهر جمادى الثانية سنة ٩٢٣ هـ. بعد أن نال من العلم زادا مفيدا

(١) السخاوي: الضوء اللامع ٣: ٥٢ .

(٢) جار الله بن فهد: تحفة الناس ص ١٥٢ .

(٣) ابن الديبع: الفضل المزيد، على بغية المستفيد ص ٢١٥ .

جمعه عن شيوخ الشام. وخلال مدة هذه الرحلة توفي والده وهو غائب عن مكة. وقد قدّم لنا تفاصيل عن رحلته هذه صديقه الوفي ابن طولون في كتابه مفاكهة الخلان [١] .

الرحلة الثانية: سنة ٩٢٨هـ. زار فيها دمشق وحلب أيضا واتصل بعلمائها وهو في طريقه إلى بورصا وإسطنبول. وفيها ألّف كتابه « الجواهر الحسان، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان » .

الرحلة الثالثة: سنة ٩٣٤ هـ، عاد فيها إلى دمشق وحلب فأقام بهما مدة وهو قاصد بلاد الأتراك، فجمع من كل بلد دخله بالشام أو بدولة العثمانيين علما وكتُبا وإجازات وعلاقات علمية مثمرة .

وكان جار الله يعود من كل رحلة علمية من هذه الرحلات بعلم غزير وبزاد يجمعه من لقاءات الشيوخ وإجازاتهم ودروسهم. وربما يعود إلى موطنه مكة ومعه الكتب الهامة التي يضيفها إلى مكتبة بني فهد الشهيرة. ففي إحدى رحلاته عاد إلى مكة ومعه مجموعة من كتب الحديث والطبقات واللغة، مثل تاريخ بغداد للخطيب وكتاب فتح الباري وكتاب لسان الميزان وكلاهما لابن حجر العسقلاني وكتاب الشفاء للقاضي عياض وكتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووي، وغيرها من المؤلفات المفيدة[٢] .

أما شيوخه الذين أخذ عنهم والتقط من علومهم ثقافته وتكوينه فهم كثُرٌ جمعهم في ثبته وفي فهرسته وفي معجم شيوخه، وهي كتب ثبتتْ نسبتها إليه لورودها في إخباره عن نفسه، ولثبوت ذكرها في المصادر الأساسية لترجمته. ولكنها - ثلاثتها - فُقدت من المكتبات و لم نعثر على شيء منها. إلا أن تأليفه لها يقوم

(١) ابن طولون: مفاكهة الخلان ٢: ٦-١٠، ١٤، ١٧-١٩، ٥٨، ٦٣ .
(٢) جار الله بن فهد: الجواهر الحسان ورقة ٤٦، ٥٣، ٦٢ .

دليلا على كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم .

نُشير في ما يلي إلى عدد محدود من مشاهير هؤلاء الشيوخ فمنهم:

- المحدث المؤرخ والده العز بن فهد الهاشمي المكي (ت ٩٢٢ هـ/١٥١٧م).
- المحدث المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي(٩٠٢هـ/١٤٩٧م).
- الفقيه القاضي زكرياء بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٥هـ/١٥١٩م) .
- الفقيه النحوي عبد الله باكثير المكي (ت ٩٢٥هـ/١٥١٩م) .
- القاضي المحدث برهان الدين بن أبي شريف المقدسي (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م).
- الفقيه الإمام عبد الحق السنباطي (ت ٩٣١هـ/١٥٢٤م) .
- المؤرخ عمر الشمَّاع (ت ٩٣٦هـ/١٥٢٩م) .
- المحدث أبو بكر العيدروسي (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) .
- الفقيه مؤرخ المدينة، النور علي السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) .
- المؤرخ عبد الرحمن العليمي المقدسي (ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م)، وغيرهم .

مع مجموعة من الشيخات الراويات للحديث مثل:

- أم سلمة بنت محمد الطبرية المكية (ت ٩١٣هـ/١٥٠٧م) .
- فاطمة بنت الكمال بن سيرين (ت ٩٤١هـ/١٥٣٤م) .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

مؤلفاته:

لجار الله بن فهد مؤلفات كثيرة، أحصيتُها فبلغتْ ٤٩ تأليفا، بين كتاب ورسالة. أغلبها في التاريخ والتراجم ووصف البلاد الحجازية ومظاهرها الحضارية، وبعض مؤلفاته تتناول الحديث والأخلاق .

نعرض فيما يلي قائمة مؤلفاته، مرتبة على حروف المعجم، مع الإحالة إلى شيء موجز يعرّف بوجودها أو بمن ذكرها من أصحاب المصادر:

١) الاتعاظ، بما ورد في سوق عكاظ. ذكره المؤلف في حسن القرى ص ٧٦ .

٢) الإسعاف، في حماية كتب الأوقاف. ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ١٦٠ب.

٣) الأقوال المتبعة، في بعض ما قيل في مناقب أيمة المذاهب الأربعة. منه نسخة بالظاهرية رقم ٢١٣ .

٤) البلدانيات. ذكره المؤلف في حسن القرى ص ٩، ١١ وغيرها .

٥) بلوغ الأرب، بمعرفة أي الأنبياء من العرب. منه نسخة بمكتبة الحرم المكي برقم ٤٢٣ حديث .

٦) بلوغ الأرب، في تملك السلطان سليم خان لأرض العجم والعرب . ذكره الشلي في السنا الباهر ورقة ٨٤ب (نسخة شستر بيتي).

٧) بلوغ الأرب، في حكم تيجان العرب (العمامة). ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ٤٧أ .

٨) بلوغ المنى، في بيان: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر. منه نسخة في مكتبة برلين رقم ٦٠٦٣ .

٩) بهجة الزمان، بعمارة الحرمين لملوك آل عثمان. ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ١: ٢٠١ .

١٠) تاريخ مدينة جدة وأحوالها وقربها من مكة. منه نسخة بمكتبة برلين

رقم ٦٠٦٣.

١١) تاريخ يفيد في معرفة المترجمين في الضوء اللامع من الأحياء. ذكره مرداد في المختصر من نشر النور والزهر ص ١٥٢ .

١٢) تأليف في دخول الطاعون لمكة والمدينة . ذكره المؤلف في نيل المنى ١٦٩ أ .

١٣) تحفة الإيقاظ، بتتمّة ذيل طبقات الحفاظ. ذكره المؤلف في نسخة كتبها من لحظ الألحاظ. انظر لحظ الألحاظ ص ٢٨٢ .

١٤) تحفة الكرام، بمرويات حُجّاب بيت الله الحرام. نسبه له السنجاري في منائح الكرم ج ٢ ورقة ٩٤ب (نسخة طوب قابو)

١٥) تحفة اللطائف، في فضائل الحبر ابن عباس ووجّ والطائف. طبع بتعليق محمد سعيد كمال، نادي الطائف الأدبي .

١٦) التحفة اللطيفة، في أنباء المسجد الحرام والكعبة الشريفة. ذكره الغزي في الكواكب السائرة ٢: ١٣١ .

١٧) تحفة المسند العالي، بنخبة الأسانيد العوالي. ذكره المؤلف في نيل المنى٣٤ أ .

١٨) تحفة الناس، بخبر رباط سيدنا العباس. طبع في مجلة « الحكمة » الصادرة في بريطانيا، العدد السادس، صفر ١٤١٦هـ، ص ١٣٣-١٥٣. بتحقيق أبي عبيدة مشهور آل سلمان و أبي حذيفة أحمد الشقيرات .

١٩) تحقيق الرجا، لعلو المقر المحبي بن آجا. ذكره العز بن فهد في غاية المرام ١: ٣٧.

٢٠) تحقيق الصفاء، في تراجم بني الوفاء. ذكره الكتاني في فهرس الفهارس ص٩١٢.

٢١) تخريج مشيخة عبد الحق السنباطي. ذكره العيدروسي في النور السافرص٢٤٢.

٢٢) تخريج مشيخة محب الدين النويري. ذكره العيدروسي في النور الـ

٢٣) ثبت جار الله بن فهد. ذكره المؤلف في نيل المنى ٤٨ب .

٢٤) الجواهر الحسان، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان. منه نسخة بالمكتبة السليمانية بإسطنبول رقم ٩٢٧؛ وثانية بمكتبة جامعة إسطنبول (دار المثنوي) رقم ٣٦٠ .

٢٥) حسن السلوك، في فضل الملوك. ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ٣٤ أ .

٢٦) حسن القرى، في أودية أم القرى. نشره المستشرق R. B. Serjeant وطبع في مجلة العرب سنة ١٤٠٣هـ .

٢٧) حفظ العهود، على حكم وقف دار الفهود. ذكره المؤلف في نيل المنى ١٧٥ أ.

٢٨) حفظ المساق والعهد، في مدائح بني فهد. ذكره المؤلف في نيل المنى ١٥٨ب.

٢٩) الخبر المرفوع، في أيام الأسبوع. ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ١٥٦ أ ؛ ومنه نسخة بجامعة Yale بأمريكا، رقم ٢٢٥ .

٣٠) رحلة إلى حلب. ذكرها الغزي في الكواكب السائرة ١: ١٣٩ .

٣١) رحلة إلى دمشق. ذكرها ابن طولون في مفاكهة الخلان ٢: ٩ .

٣٢) رسالة في كتّاب السر في ديوان مصر. ذكرها المؤلف في تحفة اللطائف ٩٦.

٣٣) غاية الأماني والمسرات، لعلو سلطان الحجاز أبي زهير بركات. ذكرها العز بن فهد في غاية المرام ١: ٣٧ .

٣٤) فهرسة جار الله بن فهد. ذكرها الكتاني في فهرس الفهارس ص ٢٩٦ .

٣٥) قمع الشهوات، في ردّ كذب ناظم القهوات. ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ٧٧ أ .

٣٦) القول المبرور، في فضل عرفة والدعاء بها المأثور. ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ٦٩ب .

٣٧) القول المعظم المنيف، في الموعظة وتعظيم أهل الحديث. ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ١٥٨ب .

٣٨) القول المؤتلف، في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف. منه نسخة بمكتبة الحرم المكي رقم ١١٨ تراجم دهلوي .

٣٩) كشف القناع، عن هول الوداع. ذكره البغدادي في هداية العارفين٢: ٢٤٢ .

٤٠) معجم الشعراء الذين سمع منهم الشعر. ذكره الغزي في الكواكب السائرة ١: ١٣٩ .

٤١) معجم شيوخ جار الله بن فهد. ذكره المحبي في خلاصة الأثر ٢: ٤٥٧ .

٤٢) منهل الظرافة، بذيل مورد اللطافة، في من ولي السلطنة والخلافة. منه نسخة بمكتبة مكة المكرمة (دار المولد) برقم ٤(٢) تاريخ .

٤٣) مورد الطالب الظمي، بمرويات الحافظ برهان الدين سبط ابن العجمي. ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٩٠١ .

٤٤) مولد مختصر. ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ١٥٨ب .

٤٥) نخبة قرة العين، بمبرة وفاء الدين. ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ١٥٨ أ .

٤٦) نزهة الأبصار، بأخبار الأعمار. ذكره المؤلف في نيل المنى ورقة ١٥٨ أ .

٤٧) النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف. منه نسخة بمكتبة شستر بيتي رقم ٣٨٣٨ .

٤٨) نهاية السول، في فضل آل بيت الرسول ﷺ . منه نسخة بمكتبة برلين رقم ٩٦٢٧ .

٤٩) نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى. وهو الذي نعرّف به وننشره محققا بعد هذه المقدمة .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

لقد كانت حياة جار الله بن فهد مليئة بالإنتاج ثرية بالأحداث والمشاركات المفيدة في مجتمعه. وإنّ شخصية متميزة مثل هذه لجديرة بدراسة جامعية جادة ومتعمّقة، تستفيد من كل العناصر المؤسسة لترجمته وأثره في مجتمعه ومنهجه في معالجة القضايا التاريخية ومواجهة المشاكل الاجتماعية. خاصة وقد عُرفتْ من مؤلفاته نصوص لم تكن متوفرة لدى الباحثين سابقا، من بينها كتابه هذا « نيل المنى » .

توفي جار الله بن فهد في سحر ليلة الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٩٥٤هـ/٣ يوليو سنة ١٥٤٧م .

ورغبة في إنارة دروب الباحثين وإفادتهم نورد هنا عرضا لأهم المصادر والمراجع المعتمدة لترجمة جار الله بن فهد:

ـــ أخباره متوفرة في الكثير من مؤلفاته، وهي تقدم للباحث معطيات أساسية لإنجاز بحوث حول شخصيته، وخاصة من كتابه نيل المنى .

ـــ السخاوي: الضوء اللامع ٣: ٥٢ .

ـــ مؤلفات والده العز بن فهد، وخاصة كتابه بلوغ القرى (مخطوط)، وغاية المرام (مطبوع، انظر فهارسه) .

ـــ ابن طولون: مفاكهة الإخوان ٢: ٦-١٠، ١٤، ١٧-١٩، ٥٨، ٦٣ . وكتابه إعلام الورى ص ١٧٢ .

ـــ رضي الدين الحلبي: درر الحَبَب، في تاريخ أعيان حلب ١: ٤٣٤ .

ـــ العصامي: سمط النجوم العوالي ٤: ٢٨١ .

ـــ العيدروسي: النور السافر ٢٤١-٢٤٢ .

ـــ الغزي: الكواكب السائرة ٢: ١٣١ .

ـــ ابن العماد: شذرات الذهب ٨: ٣٠١ .

ـــ مرداد: المختصر من نشر النور والزهر ص ١٥٢-١٥٣ .

ـــ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٣: ٣٢٢ .

ـــ الزركلي: الأعلام ٢: ٣٣٨ .

ـــ الكوثري: مقدمة ذيول تذكرة الحفاظ ٣٨٣-٣٨٤ .

ـــ كحالة: معجم المؤلفين ٣: ٤١٥ .

ـــ الرشيد (ناصر بن سعد): بنو فهد مؤرخو مكة، مجلة العرب ج ١١و١٢ من سنة ١٣٩٧هـ .

ـــ المشيقح: جار الله بن فهد المكي مؤرخا، رسالة نوقشت بجامعة الإمام بالرياض سنة ١٤١٢ هـ .

ـــ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر ص ١٩٥ - ٢١٣ .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

كتاب نيل المنى

ورد عنوان الكتاب على الورقة الأولى من المخطوطة الوحيدة، كما يلي: **كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى**، وقد كتب هذا العنوان المؤرخ قطب الدين النهروالي بخطه .

نلاحظ أولا أننا لم نجد لهذا الكتاب ذكرا في مؤلفات جار الله بن فهد الكثيرة التي اطلعنا عليها في حين أنّه بدأ تأليفه في شهر ذي الحجة سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٨م. ومن عادة جار الله أن يتحدث عن كُتُبه في مؤلفاته الأخرى ويحيل عليها. ولعل ذلك يعود إلى أنّ المؤلف لم يُرد أن يشهر أمر الكتاب ويذكره بين الناس لما فيه من نقد تناول فيه ثلاثة أنماط من القوى السياسية والاجتماعية المعاصرة له:

أ) نجد في كتاب نيل المنى نقدا كثيرا للسلطة الجديدة العثمانية التي بسطتْ سلطانها على الحجاز بداية من سنة ٩٢٣هـ. ومن الطبيعي أن تختلف سياسة العثمانيين عن سياسة المماليك، وتظهر بعض القوانين والميول التي لم تكن موافقة لما تعوّده المكيّون من النظام السابق، خاصة وأن المماليك كانوا شوافع، وفي عهدهم غلب عدد الشوافع في مكة على عدد أتباع المذاهب السنّية الأخرى. في حين أن الدولة العثمانية حنفية المذهب والميل، وظهرت منها بعض البوادر التي لا تعجب الشوافع ولا تروقهم .

والمؤلف شافعي المذهب، وهو مذهب أغلب العوائل المكيّة الكبرى ذات الأثر في مجتمع أم القرى .

فقد كان جار الله بن فهد يتحدث عن أخطاء المسؤولين العثمانيين في سياستهم الاجتماعية والعسكرية التي يسلكونها في مكة وما حولها، وذكر كثيرا مما وقعوا فيه من مخالفات، منها:

ــــ سوء معاملة الأتراك لأبناء العرب .

ــــ منع أولاد العرب من دخول بلاد الترك .

ــــ تفضيلهم الأعاجم على العرب .

ــــ تولية أمراء جدة ممن لا يعرفون لغة العرب ولا عاداتهم وخصائصهم .

ــــ سوء أعمال الجيش العثماني عند إقامته بمكة .

ــــ أخذهم الرشوة على ولاية الوظائف .

ــــ ظلمهم في الحكم بين الناس .

ــــ وضعهم قوانين جائرة في ما يتعلق بالمواريث .

ب) ونجد في الكتاب نقدا لبعض الفقهاء وأرباب الوظائف الدينية والقضائية والإدارية من بعض معاصريه، ذاكرا أخطاءهم وسوء معاملاتهم وجهلهم وظلمهم وتعاملهم بالرشوة وتحاملهم في ما يصدر عنهم من الأحكام، منها:

ــــ وُجود بعض الأيمة ممن لا يحفظ من القرآن ما يصلّي به جماعة صلاة جهر .

ــــ جهل بعض خطباء الحرم بحيث كانوا غير قادرين على أداء خطبة قويمة .

ــــ نقد القضاة وسوء تصرفهم في الصدقات على أهل مكة .

ــــ كشف ما اشتهر عن بعضهم من الرشوة .

ــــ فضح ما وقع فيه بعضهم من الأيْمان الكاذبة وإنكار الأمانات .

ــــ ذكر ما كان بينهم من العداوات الشديدة، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى المضاربة والسباب والفحش في شوارع مكة .

ج) لم نجد في الكتاب نقدا مباشرا لسلطة الأشراف، وإنما كان المؤلف على العكس من ذلك، لا يذكر الشريف المتولي صاحب السلطة إلا بالمدح والدعاء له ولأهله بطول العمر وغير ذلك. لكننا نلاحظ أنّه يذكر من أخطاء السياسة الداخلية للأشراف ما يُعتبر في الحقيقة نقدا رغم ذلك الغطاء من المدح والتأييد. ومن ذلك:

ــــ ذكر المؤلف أن الشريف كان يأخذ الثلث من كل الصدقات الواردة لأهل مكة.

ــــ نقد ما كان يقع من ظلم بعض الموظفين الكبار التابعين لإدارة الأشراف .

وبالجملة فإنه يمكن أن نقول إنّ جار الله بن فهد جمع أخبار مكة صغيرها وكبيرها بأسلوب مفصل لا يخلو من النقد النزيه اللاذع – أحياناً– لكل ما ظهر له في مجتمعه من أخطاء وتجاوزات للشرع أو الأخلاق الاجتماعية الصالحة أو أصول السياسة والحكم .

والمطالع للنص سوف يجد أنّ جرأة جار الله بن فهد على تسجيل النقد دليل على أنه لم يكن ينوي أنْ يُظهره في حياته .

ولعل النقد الصريح الذي يشتمل عليه الكتاب كان السبب الحقيقي في مايلي:

١) عدم ذكر المؤلف كتابه نيل المنى في مؤلفاته الأخرى .

٢) عدم وجود نسخة مبيّضة من الكتاب في عهد المؤلف ولا بعده. فإن ناسخ المخطوطة الوحيدة التي بين أيدينا نقلها عن نسخة مسودة بخط المؤلف وصفها بأنها « كثيرة الخبط والتخاريج والتقليب » .

٣) عدم انتشار الكتاب جعَل نُسَخَهُ قليلة ومحدودة، لم تصلنا منها إلا نسخة واحدة، حسب علمنا بعد البحث والتقصّي .

٤) عدم توفّر نُسخ كافية منه بين أيدي المؤرخين المعاصرين له ومن جاء بعدهم، لذلك لم نجد له إلا أثرا محدودا جدا في مؤلفاتهم التاريخية. فلم نعرف مَن نقل عنه مباشرة من معاصريه إلاّ مؤرخيْن وهما:

ــــ عبد القادر الجزيري في كتابه الدرر الفرائد حيث نقل عن كتاب نيل المنى ثلاثة نصوص، وذكره إشارة وتعريفا دون ذكر عنوانه .

ـ فهو يقول في ج ٢ ص ٨٥٦: « قال صاحبنا الشيخ جار الله بن فهد القرشي في تاريخه الذي ذيّل به على ذيل والده لتاريخ جدّه إتحاف الورى ».

ـ وفي ج ٢ ص ٨٦١ يقول الجزيري: « قال صاحبنا العلامة ابن فهد المؤرخ ».

ـ وفي ج ٢ ص ٨٤٩ يقول: « ذكر العلامة ابن فهد في تاريخه » .

ــــ وثاني المؤرخيْن هو قطب الدين النهروالي الذي نقل عنه بعض الأخبار المحدودة في كتابه البرق اليماني دون ذكر عنوان الكتاب.

ـ فإنه في ص ٤٤ منه يقول: « رأيتُ بخط الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله تعالى....»، وينقل نصا واردا في كتاب نيل المنى، إلا أنّه منقول بتصرف واختصار.

ـ وبعد المقابلة بين الأخبار التي وردت عند النهروالي في البرق اليماني وبعض أخبار جار الله بن فهد في نيل المنى لاحظنا أنّ بعضها منقول بالمعنى في كتاب النهروالي دون الإحالة على مؤلف ابن فهد. انظر مثلا ص ٤٦، ٤٧ .

أما من جاء بعدهما من المؤرخين الناقلين عن كتاب نيل المنى ممن لم يعاصروا المؤلف فقد عرفنا منهم:

ــــ السنجاري في الجزء الثاني من منائح الكرم، ورقة ٤٩ب .

ــــ محمد الطبري في إتحاف فضلاء الزمن، لوحة ١٧٧ و ١٨٠ .

منهج الكتاب ومجاله الزمني:

كتاب نيل المنى هو ذيل ثان لكتاب إتحاف الورى .

فإن النجم بن فهد ألف أكبر كتاب في تاريخ مكة سار على منهج الحوليات وهو « كتاب إتحاف الورى، بأخبار أم القرى » أرّخ فيه لمكة من السنة الأولى للهجرة وانتهى بأخبار سنة ٨٨٥ هـ وهي سنة وفاته .

وجاء بعده ابنه العز فألّف ذيلا أول لكتاب والده سماه « بلوغ القرى، بذيل إتحاف الورى » أرَّخ فيه لمكة من سنة ٨٨٥ هـ إلى سنة ٩٢٢ هـ .

ومن بعده قام ابنه جار الله بن فهد بتأليف ذيل ثان لنفس الكتاب عنوانه « نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى » .

بدأ جار الله بن فهد كتابه بعرض أخبار مكة في شهر ذي الحجة من سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م. وأنهاه بأخبار شهر رجب سنة ٩٤٦ هـ/١٥٣٩م. وبذلك امتدّ المجال الزمني للكتاب قرابة ٢٣ سنة. وبما أنّ الكتاب مخصص لأخبار مكة فإننا نراها تنقطع عندما يكون المؤلف غائبا عن مكة .

رتّب جار الله كتابه ترتيبا محكما، فهو يخصّ كل سنة بعنوان خاص بها، ثم يخصّ كل شهر منها بعنوان، ويبين بداية الشهر ورؤيته، ثم يستعرض أخبار الحوادث التي وقعت فيه مرتبة من أول أيامه إلى نهايته. مع اهتمام خاص بشهر ذي الحجة وأخبار الحج فيه، وبشهر رمضان وما فيه من ورود المعتمرين وصلاة التراويح والأختام في نهاياته، وبأخبار شهر ربيع الأول لما فيه من احتفال الناس في ذلك العصر بإقامة الأفراح بمناسبة المولد النبوي ومواقف العلماء منه .

وإذا كان جار الله بن فهد قد سار على هذا الترتيب في أغلب السنوات فإنه خالفه في ثلاث سنوات من الكتاب، وهي ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١ هـ. حيث إنه ألّف أخبار هذه السنوات الثلاث موجزة على غير عادته الأولى. فإنه عرضها مرتبة زمنيا

غير مقسّمة بعناوين الأشهر، مع ملاحظة أنها جاءت موجزة لم يبذل فيها المؤلف عنايته الكاملة، و لم يذكر تفاصيل كثيرة مع عدم إهماله للأخبار الأساسية .

ومما يمكن أن نلاحظه أيضا أنّ مسودة الكتاب تقف عند أخبار اليوم الثالث من رجب سنة ٩٤٦ هـ/١٥ نوفمبر ١٥٣٩م، والمعروف أنّ جار الله بن فهد توفي ليلة الثلاثاء ١٥ جمادى الثانية ٩٥٤ هـ/٢ أغسطس ١٥٤٧م .

فأين هي أخبار السنوات الثماني التي عاشها جار الله بن فهد بعد سنة ٩٤٦هـ ؟

هل كتبها وبقيت مسودة ثم ضاعت و لم يجدها الناسخ ؟

هل توقّف عن تأليف كتابه لسبب من الأسباب ؟

إنّ ما بين أيدينا من النصوص لا يسمح لنا بالجواب عمّا سبق .

ومما يجدر بنا أن ننبّه إليه أيضا أنّ أخبار الكتاب التي تبدأ من سنة ٩٢٣ هـ وتنتهي بأخبار سنة ٩٤٦ هـ لم تكن متواصلة تواصلا تاما .

ذلك أنه من متابعتنا للنص يظهر لنا جليا أن جار الله بن فهد لم يؤلف شيئا من كتابه نيل المنى إلا وهو في مكة. فكلما خرج من مكة في سفر طويل أو قصير أمسك عن كتابة أخبار مكة. لذلك جاء كتابه غير متواصل الأخبار بحسب التواريخ. بل تخللته أنقاص قد تكثر إذا ما كانت رحلته طويلة، كأنْ يسافر إلى بلاد العثمانيين. وقد تكون قصيرة لا تتجاوز الشهر الواحد .

فكان نقص وانقطاع أخبار مكة في كتاب نيل المنى هي التالية:

ـــ توقفت أخبار العز بن فهد في كتابه بلوغ القرى في سنة ٩٢٢ هـ، في حين أنّ أخبار كتاب نيل المنى بدأت سنة ٩٢٣هـ. فإن جار الله لم يبدأ كتابه حيث انتهى كتاب والده وذلك لسبب ذكره ابن طولون[1] وهو أنّ جار الله لم يكن

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في كتاب ابن طولون: مفاكهة الخلان ٢: ٦٣ .

حاضرا بمكة عند وفاة والده وإنما كان في بلاد الشام ولم يبلغه نعي والده إلاّ متأخرا، ولم يصل هو إلى مكة إلاّ خلال شهر ذي الحجة، ولعله صحبة الركب الشامي. لذلك لم يشرع في تأليف تاريخه هذا إلى بعد رجوعه وإقامته بمكة .

ـــ انقطعت الأخبار من أوائل شهر شعبان سنة ٩٢٧ هـ إلى آخر يوم من شهر جمادى الأولى سنة ٩٣٠ هـ .

ـــ انقطعت الأخبار من شهر رجب سنة ٩٣٠هـ إلى أواخر شهر ربيع الأول سنة ٩٣١ هـ .

ـــ وردت الأخبار ملخّصة موجزة بدون عناوين. بداية من شهر ربيع الأول سنة ٩٣١ هـ إلى آخر شهر شعبان سنة ٩٣٢ هـ .

ـــ انقطعت أخبار شهر جمادى الثانية سنة ٩٣٣ هـ .

ـــ انقطعت الأخبار من شهر محرم ٩٣٤هـ إلى يوم ١٧ ذي القعدة سنة ٩٣٤هـ.

ـــ انقطعت الأخبار من شهر محرم سنة ٩٣٧هـ إلى نهاية شهر شعبان سنة ٩٣٨هـ .

ـــ انقطعت أخبار شهر شوال سنة ٩٤٢ هـ .

ـــ انقطعت أخبار شهر صفر سنة ٩٤٣ هـ .

ـــ انقطعت أخبار شهر شوال سنة ٩٤٤ هـ .

ـــ انقطعت أخبار شهور جمادى الثانية ورجب وشعبان من سنة ٩٤٥هـ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

أهمية كتاب نيل المنى:

ليس بالإمكان، في هذه المقدمة التعريفية، أن أتتبع كل ما حواه الكتاب من معلومات، وأتناول كل جوانب منهجيته وفوائده التاريخية والحضارية. وإنما أكتفي فيها ببعض العيّنات التي تفتح آفاق البحث وتشير إلى الإمكانيات المتاحة في مجالات النظر لتكون أمثلة يمكن أن تُحتَذى ومسالك يمكن أن تُتّبع .

لقد حرص جار الله بن فهد على أن يقدم للقراء صورة واضحة لكل ما حدث في مكة من حوادث سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها، يرويها بكثير من العناية والتفصيل والدقة .

أ) الحوادث السياسية:

ـــ يذكر بتفصيل أخبار الأشراف ومواقفهم وسياساتهم وما يقع في قصورهم وإداراتهم، وما يُحْدِثُه موظفوهم وأتباعهم .

ـــ يقدم صورة واضحة عن المرحلة الانتقالية التي عاشتْها مكة في أوائل تلك الفترة، وهي بداية ظهور الأثر العثماني في المجتمع المكي، لانتقال السلطة العليا على مكة من المماليك إلى العثمانيين، مع بيان جوانب من سياسة العثمانيين مع أهل مكة من إيجابية وسلبية وردود الفعل عليها .

ـــ أخبار أمراء الحج وعلاقاتهم بالأشراف والمجتمع المكي .

ـــ علاقة مكة ببقية الولايات العثمانية وخاصة مصر .

ـــ علاقة مكة بالسلطات اليمنية وملوك الهند .

ـــ أخبار المكيّين المقيمين بمصر من العلماء والسياسيين والتجار .

ـــ المراسلات التي تدور بين الأشراف والدولة العثمانية وولاتها بمصر وغيرهم .

ـــ الأخبار التي يصل بها القاصدون من مختلف البلاد وخاصة الشام ومصر.

ب) الحوادث الاقتصادية: وقد اعتنى بها المؤلف اعتناء كبيرا:

ـــ أسواق التجارات ومواطن تزويدها، وأوقاتها، ومصادرها .

ـــ أخبار وصول السفن إلى ميناء جدة .

ـــ احتكار التجار وتداخل السلطات في ذلك .

ـــ أثمان الأطعمة: من قمح، وشعير، وزيت، وسمن، وعسل، ولحوم، وفواكه، وخضراوات. يذكرها في أغلب الأحيان بكل تفصيل مبيّنا ارتفاع أثمانها وانخفاضها .

ـــ وصف حالة المجتمع المكي من الغنى والفقر والشدة والرخاء .

ـــ معلومات هامة عن العُملات المتداولة .

ج) الحوادث الاجتماعية:

الاحتفالات والمناسبات الدينية: تفاصيل عن موسم الحج .

ـــ رؤية الهلال في أول كل شهر .

ـــ مشاهد الأعياد الشرعية .

ـــ إقامة بعض الموالد والاحتفالات الدينية، ووصف بعض البدع .

ـــ الإصلاحات بالمسجد الحرام وبمدينة مكة والأربطة والمدارس .

ـــ الصدقات المقررة التي كانت تصل من الدولة العثمانية: (مقاديرها، القائمون على توزيعها، ما يقع في ذلك من التجاوزات، ما ينوب كل طبقة من طبقات المجتمع) .

ـــ الوفيات: اسم المتوفّى، زمن الوفاة، الصلاة عليه، جنازته، مكان دفنه، ورثته، مُخلفاته .

ـــ الولادات: اسم المولود، وقت ولادته، ذكر أهله .

ـــ الزيجات: يذكرها بتفصيل كبير حيث تجده يصف- في كل زواج - ما يقع في الليلة الأولى منه (بَلّ السكر، حضور المدعوين، مجالسهم، مدّ السماط). وما يقع

في الليلة الثانية (العقد في المسجد الحرام، حضور العلماء والأقارب وأقارب العروسين والعامة). وفي اليوم الثالث (تقام الفازة التي يجلس فيها المدعوون، دخول العريس بزوجته). وفي اليوم الرابع (تُعمل نصَّة الغَمْرة تُزفّ فيها العروس، ويُلْصِقُ الحاضرون). وفي اليوم السابع (يعمل الزوج شراعا لزوجته تُوقَد فيه الثريات). وفي صباح اليوم الموالي (تُنَصُّ العروس نَصَّة ثانية)[1] .

وقد اهتمّ المؤلف في مختلف العناصر الاجتماعية التي تناولها بعرض الكثير من التفاصيل عن الحوادث التي حدثت في عصره، وجَرّهُ ذلك التفصيل إلى ذكر فيض من المعلومات حول جُلّ المظاهر الحضارية من السلوك والعادات والمباني والمآكل وغيرها.

ولبيان أهمية التدقيقات الحضارية التي يحويها الكتاب فإنّي اخترتُ للقارئ والباحث إحصاءً أوليا لما ذكره جار الله بن فهد في القسم الأول من كتابه من أسماء الأطعمة والمأكولات والمشروبات التي كانت تُعرض على المدعوين في احتفالات الأفراح من زيجات وغيرها .

وهذه المأكولات هي:

الخرفان - الغزلان - الأوز - الدجاج - الضلع المحشي - المأمونية السكب - المأمونية الحموي - المأمونية (دون تعيين) - الشوربة بالرز واللحم - الدشيشة - هريسة اللحم - هريسة الرز والحب - الرغيف الأسيوطي - الفتّوت - المشورات - الجرجانية - الرز المفلفل - الرز الحلو - الششيرك الحامض - الششيرك الحلو - الحلويات - الزايرباج - المروزية - الماوردية - المعمول - الزلابية - الحلوى السكرية - اللوز الملبّس - السكر المذاب - القهوة .

(١) الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة ... ص ٢١١-٢١٢ .

المخطوط

على الرغم من حرصي الشديد وبحثي المتواصل – منذ سنين – عن نُسَخ من كتاب « نيل المنى » في العديد من المكتبات والكثير من فهارس المخطوطات فإنّني لم أعرف منه غير نسخة واحدة حُفِظتْ بالمكتبة السليمانية بإسطنبول (شهيد علي باشا) رقم ١٩٦١. لم يذكرها من الباحثين المعاصرين غير عدد محدود جدا، منهم محمد صالح الطاسان في رسالته التي حقّق فيها نصّ كتاب الأرج المسكي .

وهي نسخة تقع في ١٩٨ ورقة من القطع المتوسط مسطرتها ٣١، خطها نسخي عادي، ليس فيه جمال ولا ضبط، تتخلّله بياضات كثيرة بسبب عدم تمكن الناسخ من قراءتها من أصل المؤلف .

وعلى الجانب الأعلى الأيسر من ورقات المخطوطة ترقيمان، قديم وأحدث منه، فقد كان المخطوط يشتمل على ١٩٩ ورقة حسبما يدل عليه الترقيم القديم، ثم ضاعت منه الورقة رقم ٩ فأصبح بعد ذلك يشتمل على ١٩٨ ورقة كما يدل عليه الترقيم الحديث .

والملاحظ أنّ النسخة قديمة وقريبة عهد بالمؤلف حيث كُتِبتْ بعد سنة ٩٥٤هـ، وهو تاريخ وفاة المؤلف. فقد ورد في أول الكتاب على ورقة العنوان الترحّم على المؤلف. كما ذُكر الترحّم عليه أيضا في الورقة الأخيرة من المخطوط .

والثابت أيضا أنها كُتِبتْ قبل سنة ٩٩٠هـ. أي قبل وفاة قطب الدين النهروالي، حيث أنّ المخطوط كان بين يدي قطب الدين المذكور، لأنّ ورقة العنوان

مكتوبة بخطه الذي نعرفه في مخطوطات أخرى[1]. بالإضافة إلى العديد من العناوين الجانبية وبعض الجمل التوضيحية التي كتبها قطب الدين نفسه في الكثير من ورقات الكتاب. وفي الورقة ١٠٧أ يصرّح باسمه في أحد الهوامش بما نصه « كَتَبَه قطب الدين الحنفي » .

على ورقة العنوان تملّكات منها:

تملّكان ممحوان تماما .

تملّك ثالث مُحِيَتْ بعض كلماته نصه: « الحمد لله، صار ملك عبد العزيز الر٠٠٠٠ ثم صار لبنيه بطريق ٠٠٠٠ سنة عشر ٠٠٠٠» .

تملّك رابع نصه: « من كتب الحاج مصطفى القاضي بطرابلس الشام سابقا. بايَعْتُ ثم اشتريتُ في سنة أربع وتسعين بعد الألف » .

تملّك خامس نصه: « من كُتُب العبد الفقير إلى رحمة الله سبحانه وفضله وجيه الدين بن إبراهيم، كان الله له ولأسلافه » .

نسخة المخطوط هذه نُقِلتْ مباشرة من مسودة المؤلف التي بخطه. يذكر ذلك الناسخ للمخطوط ويصف المسودة المنقول عنها بقوله في أول الكتاب: « نقلتُ من المسودة وهي كثيرة الخبط والتخاريج والتقليب، والله الموفق » .

وعلى الرغم مما وصف به الناسخ مسودة المؤلف فإن قراءة النص المنسوخ يدل بلا شك على أن الناسخ محدود الثقافة قليل المعرفة بالقواعد اللغوية والنحوية مع كثرة الأخطاء في الرسم وجَهله بالكثير من أسماء الشخصيات التاريخية المعاصرة له، وجّهله أيضا بكثير من الألفاظ الحضارية المتداولة في النص. وهي أخطاء لا يمكن أن

(١) انظر مثلا تذكرة النهروالي التي جمع فيها رحلاته للمدينة وتركيا وبعض الأخبار التاريخية والنصوص الأدبية. وهي نسخة على ملك الشيخ حمد الجاسر الذي وصَف الكتاب وصوّر منه بعض الورقات في مقدمته لكتاب البرق اليماني تأليف قطب الدين النهروالي ص ٤٧ – ٥٣ .

تُنْسَب إلى المؤلف. فإن الذي عرفناه عن ثقافة المؤلف أنها واسعة، كما لم نَعرف عنه هذا المستوى من الأخطاء اللغوية والنحوية في ما اطلعنا عليه من مؤلفاته المكتوبة بخطه[1]. ورغم أنها لا تخلو من أخطاء فإنها لا تصل أبدا إلى مستوى ما وجدْنا في المخطوط .

وإنّ كثرة هذه الأخطاء وتعدّد البياضات مع عدم وضوح الكثير من الكلمات التي إذا عَمِيَتْ على الناسخ كتبها غير معجمة تقارب ما وجده في مسودة المؤلف. إنّ كلّ ذلك جعلني مضطرا إلى ضبط ما وجد في المخطوط من هذه الهنات، وهو ما اضطرني أيضا إلى وضع الكثير من الهوامش التي تتشابه في أحيان كثيرة وتبدو في أحيان أخري بسيطة. ولكن عمل التحقيق يفرض عليّ إيراد هذه الهوامش، ولو شعر القارئ بثقلها وتشابهها عند قراءته للنص بهوامشه .

وفي النص بعض الأخطاء التي تكاثرت وتعددت لذلك اكتفيتُ بذكرها عند ورودها أول مرة مع التنبيه إليها في هذه المقدمة، وهي:

وردتْ في نص المخطوط أخطاء كثيرة في أسماء الأعداد وفي القواعد النحوية والرسمية البسيطة أصلحتها. كما وردت الألفاظ التالية مكتوبة على هذا الوجه من الخطأ فأصلحتها دون التهميش عليها:

أصْرف = صرف

أبيع = بيع

أخْلَع = خلع

وقد أصلحتُها في كامل النص، رغم أنّ مثل هذه الأخطاء كانت ترد في بعض كتب مؤرخي العصر مثل كتاب مفاكهة الخلان لابن طولون وكتاب بدائع الزهور

(١) منها كتاب النكت الظراف، وكتاب حسن القرى في أودية أم القرى وغيرهما .

لابن إياس، ولو أنّ هذا المؤلف الثاني كان كثيرا ما يكتب نصوصه مختلطة بلغة عصره العامية المستعملة في مصر .

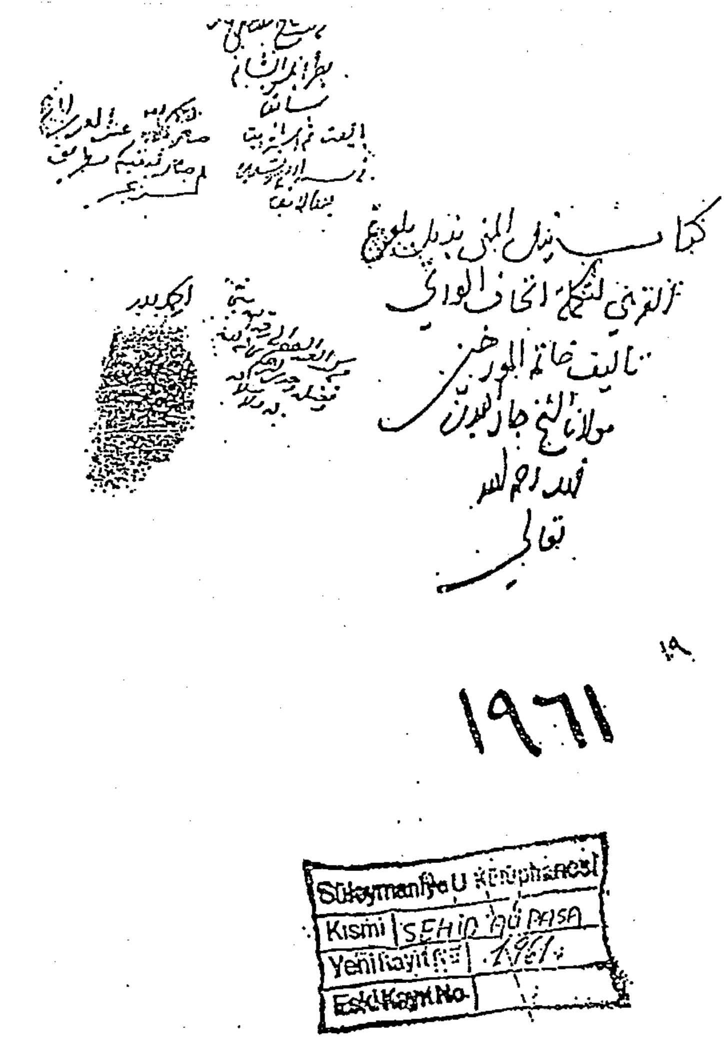
أما تعاملي في التحقيق مع هذه الأخطاء الكثيرة فإنني لجأتُ إلى:

أ) تصحيح الأصل وإيراده في النص عندما أتيقّن من صحته، مع الإشارة إلى الخطإ في الهامش .

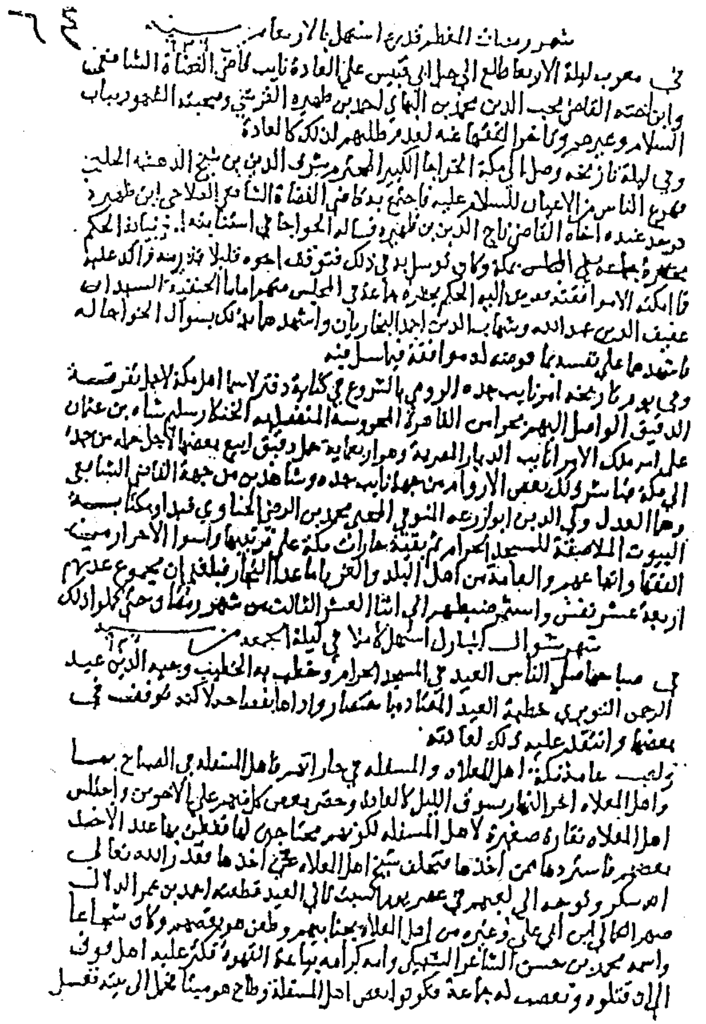
ب) إيراد الخطأ في النص عندما لا أجد مرجّحا لكلمة أو كلمات معيّنة تقوم مقام الخطأ، وذلك عندما تتعدد إمكانيات الإصلاح، فأقترح ما أراه تصويبا في الهامش .

إنّ وجود خط قطب الدين النهروالي على ورقة العنوان وعلى الكثير من ورقاته الأخرى جعلني أرجّح ما أراه من أنّ هذه النسخة كانت ضمن مكتبته، بدليل أنه تصرف فيها بوضع ورقة العنوان والهوامش والإضافات الكثيرة. فلو كانت على ملك غيره ما كان يتجرّأ على فعل ذلك في كتاب ليس على ملكه .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁



ورقة عنوان المخطوط وقد كتبت بخط قطب الدين النهروالي
وعليها التملكات وختم مكتبة السليمانية ورقم المخطوط فيها



ورقة من المخطوط لتكون مثالاً على خط الناسخ

[١ ب] بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين .

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

هذا ما وُجد من تاريخ الشيخ جار الله بن فهد الـذي سمّاه **نَيْل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى**. وقـد جعلـه ذيـلاً على تـاريخ والـدِهِ المسمّى **بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى**، وهو ذيـل على تـاريـخ الشيـخ عمر بن فهد المسـمّى بـ **إتحاف الورى، بأخبار أم القرى**. نَقلْتُ من المسودة وهي كثيرة الخبط والتخـاريج والتقليب، والله الموفق.

شهر ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة

(٩٢٣هـ/١٥١٧م)

أهلّ بالثلاثاء .

وفي يوم الجمعة رابع ذي الحجة فُرِّقَ الصرّ الحكَمي على أربابه بحضـرة قـاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظـهيرة وبقيـة الفرّاشين على العـادة. وباشـر الخطابـة الشَّرَفي يحيى ابن الخطيب فخر الدين بن أبي بكر النُّويْـري العقيلي بعـد مَنْـع السيد الشريف الجلالي أبي السـعادات بـن زايـد الخزاعـي أخي البرهـاني السـمرقندي مـن مباشرتها لصِغَر سِنّهِ وعدم أهلِيّته .

وفي يوم الأحد سادس الشهر فُرِّقَتْ الذخـيرة السـلطانية بحضـرة أمـير حـاج[1] الركـب المصري المقرّ العلائي ابن الإمام [2] ناظر الخواص والجيوش المنصورة بالديـار

(١) بالأصل: الحاج الركب المصري .

(٢) بالأصل: ابن إمام. وهو علاء الدين بن الإمـام، سياسـي تولّـى وظـائف هامـة في الدولـة المملوكيـة، وانتقـل بالولاء للدولة العثمانية فتولى بها الوظائف الهامة أيضا منها كاتب السر وناظر الخاص. انظر عنه ابن إيـاس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٢١٨:٥ وغيرها كثير؛ ابن طولـون: إعـلام الـورى ١٥٢، ٢٧٢؛ الجزيـري: الدرر الفرائد ٣٦٤، ٣٦٩ .

المصرية عند الأمير الكبير مُصْلـح الديـن الرُومـي[1] أمـير المَحْمَـل العثمـاني بالمدرسـة الأشْرفية القايتبائية، وأخرج نائبهما مقتطعها وأقبض الأشرفي بثلاثة وعشـرين مُحَلّقـا وقبّضَ الجلاليَ أبا السعادات بن زايد نصف معلوم الخطابة خمسين دينـارا، فشـاححَهُ في ذلك الخطيب يحيى النويري، فتواصلا إلى الأمير مصلح الدين فأمر أولهمـا بإعطـاء الثاني عشرين دينارا لمباشرته للخطابة في غيبته، وسأله عن عـدم مباشـرته في الجمعـة الماضية، فقال له: منَعَني الشريف من ذلك، فقـال لـه الأمـير للحـاج المصري: كنـتَ أخبرتَنا! وأمروه بالمباشرة في خطابة يوم السابع. وما استطاع أن يخطـب خوفـا علـى نفسه لمخالفته السيد الشريف بركات[2] .

وفي عصـر تاريخـه قُرِئـت رَبْعـة بالمسـجد الحـرام للخندكـار حضرهـا الأمـراء والقضاة .

وفي ليلـة الإثنـين ثـاني تاريخه قُـرِئ مولـد للخندكـار[3] الملـك المظفـر أبـي الفتوحات سليم خـان ابـن عثمـان – نصـره الله تعـالى – أمـام الـرواق الشـرقي مـن المسجد الحرام، حضَرَهُ الأمير مصلح الدين الرومـي وجلس على مَيْمَنَتِه أمير جـدة قاسم الشرواني ثمّ جماعة من الأروام، وعلى مَيْسرته أمير الحاج المصري المقرّ العلائي

(١) سمّاه المؤلف « أمير المحمل العثماني » وسُمّي في الوثائق العثمانية « أمين الصرة » وذكرت هذه الوثـائق أنـه أرسل من مصر بمعية اثنين من القضاة، وأن المبلغ الّذي معه هو ٢٠٠ ألف دوكة ذهبية مع كمية هائلـة مـن الحبوب. انظر أوزون: أمراء مكة ص٢٧ .

(٢) وردت الجملة بخط مغاير لخط الناسخ. وكاتب هذه الجملة هـو قطـب الديـن النهروالي الـذي كتـب بخطـه عنوان الكتاب ووضع هوامش وعناوين كثيرة بطرة هذه النسـخة، مـن بينـها تعليـق طويـل بإمضائـه. انظـر مقدمة التحقيق .

(٣) الخندكار = الخنكار: من ألقاب سلاطين العثمانيين. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية ص ٧٩.

ابن الإمام وبجانبه المقر الشهابي بن الجيعان[١] وتحته قاضي القضاة الشافعي ثمّ الشيخ العلامة المعتقَد نور الدين حمزة ابن القاضي مصطفى الرومي، ومن تحتهما القضاة الثلاثة وبقية الفقهاء. وبعد الفراغ من قراءة المولد شرب الحاضرون سكّرا مُذابًا وانصرفوا.

وفي صباح تاريخه وصلتْ قافلة المدينة الشريفة وفيها خلق من أهلها: منهم قضاتها الثلاثة خلا الحنبلي فإنه كان بمكة، وكذا خطيبها الجديد القاضي ناصر الدين ابن صالح. ووصل ركب قليل من الشرق فيه جماعة من بني جبر أهل الحسا والقطيف [٢ أ] وكمّل أمير الحاج قبض الذخيرة لأربابها في منزله مع أخذ المقتطع كما هو عادة الذخيرة .

وفي ظهر تاريخه خطب الشرفي يحيى النويري خطبة السابع على العادة، وترك مباشرتها الجلالي ابن زايد خوفا على نفسه من مخالفة الشريف بركات، فإنه تهَدّدَهُ إنْ تعاطى ذلك .

وفي ظهر يوم الثلاثاء من الشهر توجّه الأمير مصلح الدين الرومي إلى عرفة ورفقته المحملان[٢] الرومي والمصري ثمّ تبعه بقية الناس، ولم يأتِ محملٌ هذه السنة من الشام .

وكانت الوقفة المباركة بالأربعاء والحج هنيا إلاّ الأسعار غالية، فالله تعالى يرخّصها .

ووقف في الموقف الشريف تحت الجبل قاضي القضاة الصلاحي بن ظهيرة الشافعي، ودعا للناس فيه وبالقرب منه الأمير مصلح الدين الرومي – وهو أول أمير

(١) بنو الجيعان: عائلة مصرية كانت فيها وظيفة كتابة الخزانة. ابن طولون: إعلام الورى ١٥٢؛ أما شهاب الدين أحمد بن الجيعان فقد كان من رجال الدولة المملوكية، تولى نيابة السر وحضر معارك السلطان الغوري ضد العثمانيين، ابن طولون: إعلام الورى ٢٣٠، ٢٧٢، ٢٨٦، ٢٩٧.

(٢) بالأصل المحملين .

الأروام – ومعه المحملان[١] المتقدم ذكرهما. ووقف بالقرب من البرَك أمير الحاج المصري المقرّ العلائى ابن الإمام وجماعته. وكان السيد الشريف بركات زعيم الحجاز المنيف على عادته بجانب الجبل .

ونفر الخلق عند غروب الشمس، مغفور لهم بسعة رحمة الله تعالى، وباتوا بالمزدلفة ثمّ دفعوا إلى منى بعد الوقوف بالمشعر الحرام. وكانت حجة هنية من غير خوف ولا مشقّة .

ونزل الأمير إلى مكة المشرفة فطافوا طواف الركن ونزعوا ثوب الكعبة الشريفة القديم عنها على العادة، وكان الجديد فوقها، وتقسّمتْ بنو شيْبة الكسوة القديمة على عادتهم .

وفي صبح يوم السبت ثاني عشر الشهر وسطَ[٢] الأمير مصلح الدين الرومي أربعة أنْفُسٍ من مماليك سلمان الرومي القبطان في البحر [٣] ورمى بهم في شوارع منى، وذلك بسبب هروبهم عند سفره من الطور بغراب لسيدهم سلمان القبطان فظفروا بهم .

وفي ظهر تاريخه نفر الأمير المشار إليه من منى إلى مكة المشرفة فتبعه الأمراء وبقية الناس .

وفي ضحى ثاني تاريخه وقعت[٤] بمكة جفلة سببها أن الأمير قاسم الشرواني[٥]

(١) بالأصل: المحملين .

(٢) كلمة مكررة بالأصل .

(٣) سلمان القبطان = الريس سلمان: مجاهد تركي تطوع معه مجاهدون لمحاربة البرتغاليين في البحر الأحمر وقاد حملة هامة ضدهم. ظهرت أخباره في اليمن من سنة ٩٢٠هـ، وذكرت مظاهر جهاده في المصادر والدراسات. انظر مثلا قطب الدين النهروالي: البرق اليماني ٢٣ – ٢٥ وغيرها كثير؛ غسان الرمال: صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر ١٤٢– ١٥٥ .

(٤) بالأصل: وقع .

(٥) الأمير قاسم الشرواني، أول من تولى سنجق جدة من العثمانيين. قطب الدين النهروالي: البرق اليماني ٣٤.

نائب جدة المعمورة مسك حراميًا يقال إنه شيخ عرب بني شعبة فضربه ليُقِرّ بالسرقة فقال: هي بجياد، فوضعه في الحديد وأرسل معه جماعة أرْوام من غلمانه وغلمان الأمير مصلح الدين فتوجّهوا معه إلى أجياد، حارة الشريف بركات زعيم الحجاز المنيف، فلاقاهم الشريف غرم صهر السيد بركات، فأراد خلاص السارق منهم فمنعوه من ذلك، فساعده جماعة من بني حسن، فحينئذ ضرب الأروام السارق بالسيف حتى سقط إلى الأرض، ثم انهزموا عنه، فركب جماعة من بني حسن على خيولهم وأرادوا إيقاع فتنة مع الأروام. فسمع السيد الشريف بركات بذلك فخرج من منزله وركب فرسه وتهدّد جماعته وضرب بعضهم، وأمر بشنْق السارق بعد موته من ضرب الأروام تسكينا للفتنة .

وكان أمير الحاج المصري شرع في السفر من منزله عند باب الصفا ودقّ بالطَبْل والزمر، فظن الأمير مصلح الدين الرومي أنّ السيد بركات له غرض في إقامة الفتنة، فأمر الأروام بركوبهم على خيولهم، فجاءه المقر الشهابي ابن الجيعان وقال له: الشريف عاقل ولا يرضى فعل جماعته. فلما بلغه صنيع الشريف وما فعله مع جماعته [٢ ب] ردّ الأروام وسكنتْ الفتنة بحمد الله تعالى. وسافر الحاج المصري يوم تاريخه صحبة أميرهم المقر العلائي ابن الإمام، وأخذ محمله الذي جاء به من عند الأمير مصلح الدين، وأعطاه الشريف معلوم أمير الحاج المعتاد، مبلغ ثلاثة آلاف دينار، وأخذ منها الأمير مصلح الدين خمسمائة دينار ووقع بينهما تشاجر بسبب ذلك، وكان الحجاج في غاية القلة والضعف[١].

وفي يوم تاريخه وُجِدَ عيال سيدي العلامة القاضي عزّ الدين فائز ابن قاضي القضاة خطيب المسجد الحرام فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة القرشي الشافعي – نفع

(١) ذكِرتْ قلّة الحاج هذه السنة في المصادر الأخرى منها: الجزيري: الدرر الفرائد ٣٦٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٥: ٢١٨، والملاحظ أنّ أغلب أخبار جار الله بن فهد هذه عن شهر ذي الحجة نقلها الجزيري في الدرر الفرائد ٨٠٤، ٨٠٥ (بتصرف كبير) .

الله به – أموات تحت سقف بيتهم بالفَلْق[١]، وكانوا تخلّفوا عن الحج وسقط عليهم السقف يوم عرفة، وما عَلِم بهم أحد إلاّ بطلوع رائحتهم فكُشِف عنهم، فوُجِد ثلاثة أنفس أموات، هم: ولده الطفل محمد ووالدته العجمية ووالدتها فجُهّزوا يوم تاريخه ودُفنوا بالمعلاة من غير إدخالهم إلى المسجد الحرام . فحزن الناس عليهم كثيرا، رحمهم الله تعالى، وأخذ العزاء فيهم القاضي عز الدين فائز .

وفي يوم الأربعاء سادس عشر الشهر مات المحيوي عبد القادر بن عبد الله الحلبي المصري الأصل المكي، وجُهّز في يومه وصليّ عليه بين صلاتيْ العصر والمغرب في المسجد الحرام، ودُفن بالمعلاة، رحمه الله تعالى، وخلف أولادا ذكورا وإناثا قاصرين، ولم يظهر له مال .

وفي صبح يوم السبت تاسع عشر الشهر أرْخِيَتْ ثياب الكعبة الشريفة عليها، وخيط جوانبها على العادة القديمة، وهي أول كسوة للكعبة الشريفة عليها اسم السلطان سليم .

وفي عصر تاريخه سافر إلى جدة المقرّ الشهابي أحمد بن الجيعان وصحبته نائب جدة المعمورة الأمير قاسم الشرواني وعلى نية الأول العودة إلى مكة المشرفة لمصالح السلطنة وغيرها .

وفي صبح ثاني تاريخه ماتت موْطُوءَتي دام السرور ابنة عبد الله الحَبَشية شهيدة بعد وجَعها بالإسهال مدة ثلاثة أشهر، فجُهّزتْ يوم تاريخه وصلّي عليها بعد صلاة العصر أمام باب الكعبة الشريفة الشيخ عبد الله الشيبي مع ابنة أخيه الشيخ عبد الرحمن الشيبي اليمني، وشيّعهما خلق من الفقهاء إلى تربة المعلاة، ودُفنتْ الثانية بتربة أسلافها بالشِّعب الأقصى، والأولى بتربة أسلافنا على قبر أولادٍ لها ثلاثة مني بجانب

(١) الفلق: ثنية بمكة غربي المسجد الحرام. وكان يسمى فلق ابن الزبير، يقع بين المعلاة وحي الشامية (وهو في وقتنا الحاضر شارع ابن الزبير وشارع الفلق). انظر عنه البلادي: معجم معالم الحجاز ٧: ٦١ .

قبر والدي، رحمة الله عليها وعلى والدي وجميع المسلمين، فحصل لي عليها حزن كثير. عوّضني الله فيها خيرا وأدخلها الجنّة، فإنها كانت مباركة عاقلة مدبّرة صابرة محتسبة بالله تعالى، مع الملازمة على الصلوات وفعل الخيرات، وذُكر لي أنها كانت [تدعو الله][1] تعالى أن لا يميتها حتى أقدِم من السفر إليها، فاستجاب الله منها ذلك، وكنتُ راضيا عنها في غيبتي عنها وفي حضوري .

وفي ليلة الثلاثاء ثاني عشريْ الشهر مات الشيخ المبارك التالي لكتاب الله تعالى أبو الخير ابن الشيخ محمد والد محمد الحريري الموقّت وشيخ السبْع بالمسجد الحرام، فصلّى عليه بعد صلاة الصبح ودُفن بالمعلاة قريب الدرب، رحمه الله تعالى وإيانا ونفع بعلومه .

وفي ليلة الأربعاء ثاني تاريخه وصل إلى مكة المشرفة قمح الصدقة الواصل في البحر من عند ملك الوقت السلطان المظفر سليم خان ابن عثمان، شيّد الله [٣ أ] له الأركان، وكان ذلك بتجهيز ملك الأمراء خير بك، نائب الديار المصرية[2] بأمر السلطان سليم خان .

وفي ظهر يوم الجمعة خامس عشريْ الشهر، طلب الأمير مصلح الدين الرومي القضاة الأربعة والبوابين[3] للمسجد الحرام وتكلّم عليهم من جهة فتح الأبواب في الليل ودخول الكلاب إلى المسجد، وأمرهم بقفْلها في الليل، فأجابوا بالإنعام، وكان طلب نوابهم على الأبواب وسألهم عن المعلوم الذي يأخذونه من أهل الوظائف، فقالوا له: يعطون[4] كل واحد مِنّا دينارا، وكان الريّس فخر الدين

(١) كلمتان سقطتا من الأصل، أضفناهما لأن المعنى بهما يستقيم .

(٢) خير بك = خاير بك، ملك الأمراء، جركسي كان من مماليك الأشرف قايتباي، أعتقه وأولاه المناصب العالية، فصار نائب مدينة حلب. ثم كان مساعداً للعثمانيين في هزيمة المماليك، فعينه السلطان سليم العثماني نائباً عنه بمصر . ابن إياس: بدائع الزهور ٥: ٤٨٣-٤٨٥؛ الجزيري: الدرر الفرائد ٨١٤ .

(٣) بالأصل: البوابون .

(٤) بالأصل: يعطوا .

حاضرا[1] في المجلس، فقام وكلّم نائبه في باب العجَلة، فتخيل الأروام تعليمه له، فأرادوا ضربه ووضعوه على الأرض ثمّ سلّمه الله تعالى منهم بشفاعة بعض الحاضرين، وانفضّ المجلس بعد ذلك، ويفعل الله في مُلكه ما شاء .

وفي ليلة السبت ثاني تاريخه مات الشيخ المبارك المعلم شهاب الدين أحمد بن محمد السحولي المكي، وكان مريضا مدة طويلة عَمِي في أثنائها، فجُهّز في ليلته وصليّ عليه عند باب الكعبة في صبح تاريخه، وشيّعه جماعة قليلون، ودفن بالمعلاة أمام تربة الشيخ عمر العرابي – نفع الله به ورحمهما- وخلّفّ ولدا مباركا اسمه عمر وثانياً بالهند وابنة وزوجة، أخلفهم الله فيه خيراً، وعوّضه الجنة بمَنّهِ وكرمه، آمين .

وفي يوم تاريخه وُلد للسيد الشريف زين الدين أبي زهير بركات ولدٌ ذكر من جارية تركية سمّاه حازماً، جعله الله مباركا على والديه والمسلمين، وكان الشريف بركات يحبها محبّةً عظيمة .

وفي عصر ليلة الأحد سابع عشريْ الشهر توجّه الأمير مصلح الدين الرومي إلى التنعيم وأخذ رفقته جماعة من المشائخ العلماء والصوفية منهم الشيخ القدوة نور الدين حمزة الرومي الحنفي والشيخ المفيد زين الدين عبد الكبير بن يس بن عبد الكبير الحضرمي الأصل المكي وولده الجمالي محمد وابن عمّه عبد الوهاب وبَلَديهم شيخنا العلامة الزاهد عفيف الدين باكثير بن أحمد المكي الشافعي وبعض أولاده، والشيخ العلامة زين الدين أيوب بن الأزهري الأصل المكي الشافعي ومعه بعض أولاده، والشيخ العلامة الصالح جمال الدين محمد بن عبد الرحمن المغربي الشهير بالحطاب وولده الجمالي محمد، والفتوحي عفّيف الدين عبد الله بن محمد الحفاشي نزيل مكة المشرفة وأحرم كلّ منهم بالعمرة عن والدة السلطان الملك المظفر سليم خان ابن عثمان وغيرها، ودخلوا إلى المسجد الحرام وطافوا وسعَوْا، وبعد ذلك

(١) بالأصل: حاضر .

أعطاهم مصلح الدين ذهبا، كلّ واحد من المشائخ ثلاثة أشرفية، وأولادهم أنقص منهم. وعجب كثير من الناس لذلك، فالله تعالى يجمل ويستر ويجعل العاقبة إلى خير.

وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشريْ الشهر وصل من جدة المعمورة نائبها الأمير قاسم الشرواني والمقرّ الشهابي سيدي أحمد بن الجيعان، فقصدهما الناس للسلام عليهما من الفقهاء والقضاة وغيرهم .

شهر الله الحرام مفتتح سنة أربع وعشرين وتسعمائة

(٩٢٤هـ /١٥١٨م)

جعلها الله سنة مباركة .

استهل في ليلة الأربعاء بالرؤية المستفيضة، وكان ذلك افتتاح العام جعله الله تعالى ميمونا.

وفي أوائله تقدم الأمير مصلح الدين الرومي وقيد عشرة أنفس من الشيبيين في قراءة رَبْعة [٣ ب] بعد صلاة الصبح أمام باب الكعبة الشريفة، وجعل ناظرهم وشيخ حضورهم فاتح الكعبة، وأوقف عليهم حمام سوق الليل المعروف بحمام النبي ﷺ مع بيوت أخَر اشتراها بألف دينار. وشرع في عمل حنفية خلف درجة الريّس وقُبّة السقاية القديمة المعروفة الآن بالسلطان المؤيد شيخ الملاصقة لفرشة زمزم بجانب الحنفية العتيقة التي غيّرَها الأمير جانبك، وهي حوض كبير من حجر الماء له بزابيز من نحاس وحجارة يُجْلَس عليها للوضوء .

وفي يوم الجمعة ثالث الشهر طلع الأمير مصلح الدين المشار إليه إلى تربة المعلاة ورفقته المقرّ الشهابي سيدي أحمد بن الجيعان ونائب جدة الأمير قاسم الشرواني والشيخ العلامة الزاهد نور الدين حمزة الرومي فزاروا ضريح كلّ من السيدة خديجة الكبرى زوج النبي ﷺ ورضي عنها ومصلب السيد عبد الله بن

الزبير رضي الله عنه، والأولياء الذين بالمعلاة، نفع الله بهم ورحمهم. ثمّ بعد نزولهم من المعلاة اجتمعوا بالقضاة الأربعة في مقام الحنفية بالمسجد الحرام، وتكلم الأمير مصلح الدين مع القضاة في هدم المقام المذكور وبنائه قبّة عالية على أربعة عُمَدٍ بعقود أربعة. فأحال القضاة الأمر إلى السيد الشريف زين الدين بركات، نصره الله تعالى وأدام أيامه، فافترقوا على ذلك فواجه الأمير مصلح الدين الشريف المنوّه بذكره وسأله في ذلك فأذن له في العمارة، وأخذ خَطَّهُ بذلك .

وفي صبح يوم السبت ثاني تاريخه أحضَرَ البُناة والمهندسين لفعل ذلك، فحضر القضاة وقالوا له: فعل هذا منْكر، وشدّد في ذلك القاضي الحنبلي المجنون عبد القادر بن نجم الدين بن ظهيرة، فقال له الشيخ نور الدين حمزة الرومي: أنت مجنون! فكبّر عليه، ووقع بينهما كلام كثير، ثمّ انفضّ المجلس على غير شيء. ثمّ في ظُهْر تاريخه طلب الأمير مصلح الدين القضاة الأربعة إلى مسكنه بالمدرسة الأشرفية القايتبائية، وتكلّم معهم في ذلك وقال لهم: اكتبوا لي خطكم بالكراهية أو الجواز وأنا أراجع السلطان. فأراه قاضي القضاة الشافعي **تاريخ القاضي تقي الدين الفاسي المالكي**(1) وفيه إنكار العلماء المتقدمين، لأن فيه شغْل بقْعَة في المسجد. فصمّم الأمير على أخذ خطهم ببيانه فصار كل منهم يحيل على الآخر، ووقع الإنكار على القاضي الحنبلي بتكبيره على الشيخ نور الدين حمزة وسأل الأمير مصلح الدين قاضي القضاة الشافعي في كتابة محضر بما فعل القاضي الحنبلي، فشرع في مسوّدة المحضر في المجلس. ثمّ تكلّم بعض الحاضرين في الصلح فأصلح الأمير بينهما، وانفضّ المجلس على ذلك من غير شيء. ثمّ بعد ذلك طلب الأمير مصلح الدين بعض علماء الحنفية الذين بمكة منهم قاضي القضاة بديع الزمان ابن الضياء، والقاضي شمس الدين بن جلال المدني وشيخ الحنفية شمس الدين محمد بن النجمي وسألهم عن بناء المقام، فذكر له أوّلهم أن

(١) المقصود هنا كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتقي الفاسي. طبع ثلاث مرات .

جدّه قاضي القضاة أبا البقاء ابن الضياء الحنفي أفتى بجواز ذلك، ونصّ على ذلك في منْسكه المسمى **"البحر العميق، في الحج إلى بيت الله العتيق"** [(١)] . فأعجب الأمير ذلك، وكان السبب في تصميمه على البناء .

فشرع في صبح ثاني تاريخه في حفر أساس أمام البناء القديم بزيادة ذراعي عمل إلى أن أوصله بحاشية [٤ أ] المطاف، وجعل المقام خمسة عشر ذراعا في خمسة عشر ذراعا مربعا. فحضر القضاة عنده و لم يتكلموا، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فإنهم قدّموا مجنونا وتخلفوا عن مساعدته.

وفي ليلة الثلاثاء سابع الشهر عمل الأمير قاسم الشرواني، نائب جدة المعمورة، عقداً حافلاً لولده المراهق البرهاني إبراهيم على البنت الطفلة سعادة ابنة المقر الشهابي شهاب الدين أحمد بن أبي البركات أحمد بن الشرفي يحيى بن شاكر بن عبد الغني بن الجيعان القاهري الشافعي- كان الله له - وعمرها نحو سنة ونصف. وكان المباشر للعقد قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة في المسجد الحرام أمام الرواق الغربي بالقرب من باب العمرة قدّام بيت والد الزوج وحضر فيه السيد الشريف زين الدين أبي زهير بركات زعيم الحجاز المنيف وولده السيد أبو نمي أمير مكة المشرفة وبعض إخوانه والقضاة الثلاثة والأمير مصلح الدين الرومي ووالد الزوج وخلق من الفقهاء والتجّار وغيرهم، وشربوا سُكرا مُذابا كالعادة، ثم بعد الفراغ هنؤوا الزوج ووالده، و لم يحضر والد الزوجة بل سافر في صباح العقد إلى جدة لحوائج له فوجدها قُضِيتْ فعاد في يومه، فهنّأه الناس بالعقد وسقاهم سُكّرا .

وفي ليلة الثلاثاء ثانيه عقد الخواجا عبد اللطيف ابن الخواجا صديق ابن الفاضل اليمني العدني على السيّدة المصونة صفية ابنة شيخنا قاضي القضاة بالحرمين

---

(١) كتاب البحر العميق للقاضي محمد بن أحمد بن الضياء الصاغاني القرشي المكي (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) طبع أخيرا بمكة، نشر المكتبة التجارية سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

الشريفين النجمي ابن يعقوب المالكي، رحمه الله تعالى، في منزل والدها، وحضره قاضي القضاة الشافعي والحنفي المعزول والمقرّ الشهابي ابن الجيعان وكثير من الفقهاء والتجار ودخل بها في ليلته وخرج في صباح يومه .

ودخل في ليلة تاريخه الشرفي يحيى ابن شيخ السَدَنة الحجَبَة الطيب محمد بن عمر الشيبي على ابنة عمّه الشيخ محمد -رحمه الله تعالى - واسمها سعاد، فهرع الناس لتهنئتهما والسلام عليهما .

وفي هذا اليوم - أو قبله - وُلد محمد درويش ابن الفقيه الأصيل فخر الدين أبي بكر ابن الشيخ جمال الدين بن محمد بن عمر الشيبي من ابنة عمّه الشيخ عفيف الدين عبد الله الشيبي، رحمه الله تعالى.

وفي صبح يوم الجمعة عاشر الشهر ختم الشيخ بربخت العجمي - تلميذ والدي- قراءة تفسيره في المسجد الحرام أمام الرواق الشرقي بالقرب من المدرسة الأشرفية، وطلب الأمير مصلح الدين الرومي والقضاة الأربعة وكثيرا من الفقهاء فحضروا عنده مع خلق من العامة، ودعى عقب الختم للملك المظفّر سليم خان ابن عثمان، ولقّبه بألقاب كثيرة صارت عند الناس شهيرة عن ظاهر قلب .

وبعد فراغ الختم طلع الأمير مصلح الدين والقضاة الأربعة الى المعلاة ورفقتهم كسوة ضريح السيّدة خديجة ابنة خويلد- رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ الجديد، وهو على قفص جريد وقدّامه الفقراء الصوفية يهللون الله تعالى. فلمّا وصلوا إلى قبرها بالشعب الأقصى وضعوه عليه، ومدّ لهم الأمير مصلح الدين مَدّة عظيمة وتصدّق على الفقراء بأطعمة وبقسماط وغيرها، وكثر الدعاء للسلطان وجماعته - أيدّهم الله تعالى وأدام نصره - وكان يوما عظيما للفقراء .

وفي ظهر تاريخه فُقِد الخواجا عباس المصري تاجر السلطان، وكان فضل عنده مال للدولة المصرية وضمِنَه جماعة منهم الخواجا بركات الحلبي فأرسل الأمير مصلح

الدين إلى جيرانه وسألهم [٤ ب] عنه فحلفوا له أنهم ما يعرفون شيئا من خبره فأطلقهم، وهم الخواجا شمس الدين بن زين الدين والجمال محمد بن شهاب الهرموزي والقاضي إبراهيم بن سالم المصري ثم إنه مسك ضامنه الخواجا بركات الحلبي وضربه ضربا مؤلما ووضعه في الحديد، وراجع السيد الشريف زين الدين بركات في أمر المختفي وربما اتهمه في مواطأته....[١] وعدم اطلاعه على أمره، وأرسل جماعة إلى البلدان يسألون عنه .

وفي يوم السبت ثاني تاريخه شرع العمال في هدم قبّة مقام الحنفية القديم.

ووصل جماعة من المدينة الشريفة وأخبروا أنها متوسطة الأسعار، وحصل فيها زحمة من الحاج مات فيها ستة عشر نفساً عند باب المسجد الغربي المعروف بباب السلام فيهم أربع نساء وإثنا عشر رجلا. وحصل للحاج سيول عند الخيف، سلّمهم الله تعالى منها .

وفي يوم تاريخه ....[٢] خيامه القاضي شهاب الدين بن الجيعان في الزاهر خارج مكة على نية السفر إلى الديار المصرية صحبة الأمير مصلح الدين الرومي .

وفي يوم الأحد ثاني عشر الشهر شرع المعلّمون[٣] في بناء مقام الحنفية الجديد عملوا أساسهُ حجارة عظيمة وعلى ظهر الأرض حجارة الماء الصفراء. وصورته مربع على أربع بتر[٤] عراض كلّ واحدة ثلاثة أذرع وجعلوا قبّة شاهقة جميعها بالحجر الأصفر، فيها أربع طاقات صغار، وحوالي العقود أخشاب للقناديل ومحراب مدوّر خارج القبّة جهة القبلة، ومن جهة الشام دكّة خشب للمكبّرين يُطلع إليها بدرجتين لطاف خارج القبة من جانبيها الشرقي والغربي، واستمرّ العمل فيها طول

(١) كلمة غير واضحة بالأصل .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) بالأصل: المعلمين .
(٤) كذا بالأصل .

السنة، وكان تمامها في يوم ....[١] .

وفي صبح يوم الخميس سادس عشر الشهر ظهر الخواجا عباس تاجر السلطان من الاختفاء، وعُمِلت مصلحته للأمير مصلح الدين بألف دينار، وقيل خمسمائة، وأسْنَد حسابه للسيّد الشريف زين الدين بركات.

وفي صبح ثاني تاريخه خلع على القاضي زين الدين المحتسب بولاية جميع وظائفه التي بجدة وهي النظر والصرف والحسبة وكتابة السنابيق[٢] وبرز بحمله في يوم تاريخه، وأقام في مكة يومين وليلتين .

وفي ظهر يوم السبت ثاني عشر الشهر سافر الأمير مصلح الدين وودّعَهُ القضاة وغيرهم وتتابع بعده المسافرون رفقته .

وفي ضحوة ثاني تاريخه سافر المقرّ الشهابي ابن الجيعان ورفقته صاحبنا الحلبي اليمني الأصل نزيل مكة المشرّفة المشهور بالخلاعة والظرف والشعر .

وفي مغرب ليلة الإثنين عشريْ الشهر سافر قاضي القضاة بديع الزمان محمد ابن الضياء الحنفي وعديله الزيني بركات. وفيه الأمير قُطْلُباي باش لمكة كان، وباتوا في الزاهر ثم حملوا إلى الوادي .

وفي ظهر ثاني تاريخه سافرت قافلة المدينة الشريفة مع الخائر بك أمر بها الأمير يسير [٥ أ] الخادم الساقي بالقلعة كان، ورفقته قاضي المالكية كان الزيني عبد الحق النويري، وتوجّه هو والحنفي بسبب السعي في القضاء، وكان كلّ منهما سأل السيد الشريف بركات في كتابة وصية لهما بالولاية، فامتنع من ذلك وقال لهما: قد كتبتُ وصية للمتوليين، وأنا لا أمنعكم السفر .

وفي عصر تاريخه طاف السيد الشريف زين الدين أبو[٣] زهير بركات وولده

(١) سقط التاريخ من الأصل .
(٢) جمع السنبوق: قارب صغير يعمل في سواحل البحر، الزبيدي: تاج العروس مادة "س ن ب ق" ٦: ٣٨٥.
(٣) بالأصل أبي .

السيد أبو[1] نُمَي، ودعى لهما الريّس فخر الدين أبـو[2] بكـر فـوق ظلـة زمـزم على العادة، كلّ واحـد بمفـرده، ووادَعَـهما قضـاة القضـاة وكثـير مـن الفقـهاء عنـد بـاب حزورة.

وفي يوم تاريخه مات الشيخ المعمّر الأصيـل محيى الدين عبـد القـادر ابـن أبـي البركات النويري وعمره ستة وتسعون سنة، مائة سنة إلاّ أربع سنين، فجُـهّز في ليلتـه وصليّ عليه عند باب الكعبة في صبح يوم الأربعاء ثاني عشريْ الشهر وشيّعه جماعـة من الفقهاء وغيرهـم، ودُفِن عند الشعب الأقصى على قـبر أمـه بوصيـة منـه. وخلّـف ولديْن ذكرين أحدهما بمكة وثانيهما بالشام وبعض كُتب وصُرر يسيرة وعدة أنظـار على أوقاف على النَّوَرَة[3]، لكونه أكبر الموجودين منهم، بل هو أكبر أهل مكة سنّا. وكان قد ضعف نظره وسمْعه وبدنه حتى صار يُحْمـل علـى ظـهر إنسـان، رحمـه الله وعفا عنه وغفر له .

وفي ليلة الخميس ثاني تاريخه وصلتْ قافلة المدينة الشريفة صحبة الشيخ المعتقد عفيـف الديـن عبد الله بن مرزوق اليمني، وعادتُه يحـج في كـل سـنة ويتوجّـه لزيـارة النبي ﷺ فواجه الأمير مصلح الدين عنـد عسـفان، وأخـذ هـو علـى طريـق السـاحل خوفا على أخذ جمال القافلة التي صحبته منه، فسـلّمها الله ببركـة الشـيخ – نفـع الله بـه– ووصل برفقته الفقيه الأصيل الفخري أبو بكر ابن أقضى القضـاة نـور الديـن[4] علي بن أبي بكر المرشدي الحنفي، وفرح والداه[5] بوصوله ولاقاه أعمامه وجماعة من أصحاب والده إلى المسعى وسعوا أمامه إلى منزلهم وعمل له والده سفرة حسنة .

---

(١) بالأصل أبي .

(٢) بالأصل أبي .

(٣) تسمية أهل مكة لعائلة النويريين .

(٤) تكرر الاسم بالأصل .

(٥) بالأصل: والديه .

وفي الثلث الأخير من ليلة الجمعة رابع عشريْ الشهر ظـهر لـلأخ محيـي الديـن عبد القادر بن فهد –أبقاه الله تعالى – مباركـة سمّاهـا أم الكـرم فاطمـة، أمـها الحـرة المصونة سيّدة الكلّ ابنة الشيخ المبارك جمال الديـن محمـد بـن قاسـم المغربـي الأصـل المعروف والده بالدب. وكانت في مـنزل والدهـا بأجيـاد الصغـير عنـد ربـاط ربيـع، جعلها الله ابنة مباركة ميمونة علينا وعلى والديها، وأنشأها نشئا صالحا وأنبتـها نباتـا حسنا.

وفي ظهر يوم السبت خامس عشريْ الشهر مات الشيخ الأصيـل جمـال الديـن محمد ابن الشيخ العلامة نور الدين علي بن أيوب بن الشحنة البرماوي الأصل المكـي وله من العمر نحو السبعين سنة، فغسل وكُفن وصليّ عليه في عصـر يومـه عنـد بـاب الكعبة وشيّعه جماعة قليلون منهم فقراء ربـاط ربيـع وهـم يـهللون، ودفـن علـى قـبر والده بالقرب من تربة بني ظهيرة القديمة وبيت ابن عبـد القـوي، رحمـه الله، وخلّـف ابنة وبعض كراكب تعلق الدولة على بعضها، مع فقره وتعاطيه ما لا يليق بأمثاله مـن المغيّبات، وربما مزح معه العامة وسمّوه جرولا فكـان يسـبّهم ويسـبّونه، عفـا الله عنـه وغفر له .

[٥ ب] وفي صباح يوم الأحد سادس عشريْ الشـهر مـات الخواجـا شـهاب الدين أحمد بن علي المغربي الأصل المصري المكي المعـروف بأسـد الأسـود، فخلّـف أخا شقيقا له وابنة من جارية حبشية له، فحزن له أخوه كثيرا وتوجّه الناس لتعزيتـه، فغسّل وجُهّز وكفن من يومـه وصلّـى عليـه قـاضي القضـاة الشـافعي الصلاحـي بـن ظهيرة عند باب الكعبة بعد صلاة العصر وشيّعه خلـق كثـيرون وأسـف النـاس عليـه كثيرا خصوصا أصحابه المعروفين بالأسود، وكان جامع شملهم، ودفـن بتربـة أسـلافه بالقرب من الشيخ علي الشولي، نفع الله به، وعُمِلت له ربعة صباحـا ومسـاء وعُمِـل له ختم في صبح يوم الجمعة خامس موته، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وفي ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه عَقَدتُ بالمرأة المحجّبة ذات الحجاب المَنيع والستر الرفيع السيدة زينب ابنة سيدنا العلامة قاضي المسلمين، عين الأماثل المعتبرين نور الدين أبي الحسن علي ابن المرحوم الشيخ فخر الدين أبي بكر بن عبد الغني المرشدي المكي الأنصاري الحنفي، أبقاه الله تعالى وصان حجابها، وكان العقد في منزله بالسويقة. حضره شقيقه قاضي القضاة شيخ الإسلام أوحد العلماء الأعلام نسيم الدين عبد الغني المرشدي وإخوانه وأقاربه وبعض أصحابنا، فباشر العقد المشار إليه وعقد لي على مائتي مثقال ووعدتْ تترك لي منها مائة. وبعد الفراغ شربْنا سكرا مُذابا، ثم دخلتُ بها في ليلتي، جعلها الله مباركة عليّ، ووفّق بيننا على خير ورزقنا ذرية صالحة .

وفي صباح تاريخها جاءني الفقهاء وغيرهم من الأعيان للتهنئة -جزاهم الله خيرا – وأقمْتُ عندها ثلاثة أيام متوالية على قاعدة أهل البلد في الإقامة عند الثيّب ثلاثة أيام وعند البكر سبعة .

وأصل ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا تزوج فعل ذلك، وإن سبّع عند الثيب سبّعَ للباقي من أزواجه .

وفي ظهر يوم الخميس تاسع عشري الشهر مات الخواجا يوسف بن الهروي العجمي، وكان له مدة وجعان، ويقال إنه قرصه ثعبان في ذيل عين مكة عند شغْله لها، وقد بذل همته فيها واشتهر بعملها مدة أعوام -رحمه الله تعالى وجزاه خيرا – فغُسل وكُفن وصليّ عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة وشيّعه خلق من الفقهاء والتجار وغيرهم، ودفن بالشعب الأقصى عند تربة ابن الحجة وتحت القاري. وخلّف ولديْن ذكريْن وابنة، وتأسّف الناس عليه وذكروه بخير، رحمه الله تعالى .

شهر صفر الخير المبارك -إن شاء الله- سنة ٩٢٤هـ (١٥١٨ م)

استهلّ كاملا في ليلة الجمعة .

وفيها انتقلت زوجتي إلى منزلي وعملتُ لها حلوى في منزلي وقدّمتُ للنسوة الذين جاؤوا بها وفرّقتُ بعضها على الجيران وبعض الأصحاب، وأخلف الله عليّ بخير .

[٦ أ] وفي ليلة الأحد ثالث الشهر وُلِد الولد عمر ابن المعلّم حسين بن عمر البنّاء كأسلافه .

وفي عصر يوم خامس الشهر مات الشيخ المبارك العالم معز الدين طاهر بن العماد محمد بن الغياث محمد بن السيف محمد الهروي الأصل المكي الحنفي بعد انقطاعه مدة وتغير حاله من كثرة شُرب القهوة، فجُهّز في صبح ثاني تاريخه، وصلّي عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة الشريفة، وشيّعه جماعة من الفقهاء إلى المعلاة، ودُفِن شرقيّ تربة شيخه الشيخ عبد المعطي المغربي عند الحجون. وخلّف ولديْن ذكريْن-رحمه الله تعالى ونفع به – فإنه كان من أكابر المعتقدين وله محبّة وتودّدٌ، وعمره اثنتان وثمانون سنة.

وفي ظهر تاريخه مات الفتى جوهر بن عبد الله الحبشي اليماني الصلاحي فتى شيخ الإسلام قاضي القضاة الصلاحي بن ظهيرة الشافعي، وكان ذا عقل واحتشام، وتوعّك مدة أشهر، فحزن عليه سيده وجُهّز في يومه وشيّعه خلق من الفقهاء والتجّار وغيرهم إلى المعلاة ودُفن في تربة أسلاف سيده المستخلاة التي عند الحجون. رحمه الله وأخلف سيّده فيه خيرا .

وفي ليلة الجمعة ثامن الشهر وصل إلى مكة المشرفة نائب جدة الأمير قاسم الشرواني وصحْبته القاضي زين الدين الناظر والمحتسب بجدة لأجل تفرقة القمح التي

أرسل بها الملك المظفر سليم خان ابن عثمان من البحر في العام الماضي، وقدرها سبعة آلاف إردب، منها ألفا إردب لأهل المدينة الشريفة وخمسة آلاف لأهل مكة[1]، ظهر منها ألفا إردب بعد بيع نصفها وهو ألفا إردب بجدة على أركان الدولة، كلّ إردب بخمسة أشرفية جملته خمسة آلاف، وحمِل النصف الثاني إلى مكة. فاجتمع بأولهما القضاة الأربعة وتفاوضوا في أمرها فقال لهم: ضبطنا أسماء المقيمين بمكة من أهلها والغرباء الأحرار إثنى عشر ألف نفس، فيعطى لكلّ واحد ستة رباع مكية وثمانية محلّقة، فتشوّش لذلك كثير من الناس، فالله تعالى يُرخّص أسعار المسلمين ويستر أحوالهم ويُغْنيهم مِن سعة فضله.

وكان المباشر لكتابة أسماء المستحقين من أهل مكة والغرباء الفقهاء والفقراء والأغنياء والمتسببين، كما أشار له الأمير مصلح الدين الرومي بأمر السيد الشريف سلطان الحجاز المنيف زين الدين أبي زهير بركات بن محمد – نصره الله تعالى وأيّده– الفقيه العدل المرتضى رضي الدين محمد ابن الشيخ نور الدين علي الحناوي الأصل المكي المالكي. وكتبَ الناسَ بحسب أغراضه فبعضهم كتب جميع ما في بيته من الأحرار والأرقاء وبعضهم اقتصر على الأحرار، وبعضهم زاد لهم أسماء على عياله وأفسد أكثر مما أصلح، وعند الله يجتمع الخصوم .

فتكلم القضاة الأربعة في الزيادة لأنفسهم فلم يوافقهم الأمير قاسم الشرواني نائب جدة، فأرسلوا عرفوا السيد الشريف زين الدين بركات سلطان الحجاز المنيف من جدة بذلك، فطلب المباشر على الصدقة رضي الدين الحناوي المذكور فتوجّه إليه في عصر يوم الإثنين. وشرع الأمير قاسم في صبح يوم الثلاثاء ثاني غيبته في التفرقة بحلقة السلطان [٦ب] الأشرف قايتباي عند الحناطين وحضرها الأمير قاسم

(١) هو نفس عدد الأرادب التي ذكِرتْ في بعض الوثائق التركية. انظر أوزون: أمراء مكة المكرمة ص ٢٧ هامش ١٣ .

والقاضي زين الدين المحتسب بجدة والقضاة الثلاثة خلا الشافعي، فإنه اعتذر لوجعه وأرسل مباشرا من عنده وهو الفقيه العدل المرتضى ولي الدين أبو زرعة محمد ابن الشيخ نور الدين علي المنوفي فساعد المحيي محمد بن الرضي الحناوي الماضي ذكره لغيبة والده .

وكان الحَبّ مخزونا بحواصل فيها يُقال سبعة وقيل تسعة، فتأدّى كثير من الفقهاء وبدأ بإعطاء أهل السويقة كل واحد ستة رباعي[1] حبّ وثمانية محلّقة ثم بقية الفقهاء متفرقين في حارات مكة. وبعد الفراغ منهم كتب لبقية الناس والأعيان أوصالا على عدّة عيالهم، فتوقف الأعيان في أخذها ثم قبلوها على نية التكلّم في الزيادة لهم. فتكلم القاضي مع الأمير قاسم الشرواني فأعطى كلّ واحد من القضاة– غير الشافعي – ثلاثة أرادب – كما يقال – ولبعض الأروام عدّة أرادب، وأما بقية الأعيان فلم تحصل لهم زيادة فأحاله على الكاتب الرضي الحناوي، فأجاب بحمق ومخاصمة .

وأنا ممن تكلم لنقص بعض عيالي وهم عشرة أنفس وأُعطِيتُ عن ستة أنفُسٍ، وتُرك الباقي لعدم معرفة الكاتب بهم وقلة ذوقه ومروءته في إلحاقهم مع أنه كتب كثيرا من التجار والأغنياء الذين تجب عليهم الزكاة ولا يستحقون الصدقة، وقصْدُه بذلك الشهرة والنفاق، فحصل له من العامة كثير من الدعاء والشقاق، فالله تعالى لا يخطيه من ذلك، ويعين عليه كلّ قاطن وسالك .

وفي ليلة السبت سادس عشر[2] الشهر ماتت حرير الحبشية موطوءة الشيخ شهاب الدين أحمد بن حاتم المغربي المالكيّ، أم ولده الشرفي يحيى، فجُهّزتْ في ليلتها وصليّ عليها عند باب الكعبة بعد صلاة صبح ثاني تاريخه، ودُفنت بالمعلاة – رحمة

(١) الربعية: جمعها رباعي: مكيال يستعمل بمصر والحجاز وبغيرهما من البلاد العربية.
(٢) بالأصل: ثامن عشر، والصواب ما أثبتناه، انظر التواريخ الواردة في النص قبله وبعده .

الله عليها – وخلّفتْ ولدها المذكور.

وفي عصر يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر وصل إلى مكة المشرفة قاصد من الأمير مصلح الدين الرومي من ينبع إلى نائب جدة الأمير قاسم الشرواني ومعه عدة أوراق له وما عُلم خبَره، وذكر أنه أقام بالمدينة الشريفة ثمانية أيام وفرّق فيها الصدقة الرومية عن سنة ثلاث وعشرين (٩٢٣ هـ) وقرّر فيها صدقة في قراء ة رَبْعة للملك المظفر سليم خان ابن عثمان، كما فعل بمكة المشرفة .

وفي يوم تاريخه سافر قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة لزيارة السيد الشريف، زعيم الحجاز المنيف، زين الدين أبي زهير بركات – عاملهما الله بألطافه الخفيات – فواجهه وهو نازل بالرغامة[1] بالقرب من جدة، فسلّم عليه ورحل الشريف من ذلك المكان إلى جهة الشام بنية التوجّه إلى عسفان فوادَعَهُ القاضي. وعاد إلى مكة في ليلة السبت ثالث عشريْ الشهر، فهرع الفقهاء للسلام عليه .

وكان الأمير قاسم الشرواني نائب جدة المعمورة ثاني يوم سافر القاضي الشافعي وهو يوم فرّق صدقة القمح على أهل الربط الذين بمكة، وكتب لمشائخها أوصالا على بعض الساكنين بها، وقال: مَن أخذ حصّته في البيوت لا يأخذ حصّته مرة ثانية، وذلك بتعليم الكاتب الرضي الحناوي له، فحصل بذلك ضررٌ كبير على كثير من الناس، فان في ذلك قطع أرزاق لهم، فلا حول ولا قوة[2] إلا بالله العلي العظيم، وعند الله يجتمع الخصوم. وقد قسمتْ هذه الصدقة [٧ أ] قسمة ما أريد بها وجّه الله، فانه حرم منها المستحق وأعطى الغني للشهرة والجاه .

وفي يوم الخميس حادي عشريْ الشهر تكلم الأئمة وأرباب الشعائر بالمسجد الحرام مع الأمير قاسم في الزيادة من القمح والقضاة الثلاثة – خلا الشافعي – في

(١) أرض رملية خارج جدة على يمين القاصد إلى مكة يسيل فيها وادي غليل. البلادي: معجم معالم الحجاز ٤: ٦١ .

(٢) كلمتان تكررتا في الأصل .

إعطاء النقد، فأعطى ثاني تاريخه كلّ واحد من القضاة الثلاثة، عشرة أشرفية وزاد أئمة الشافعية الستة إردبين وأئمة الحنفية مثلهم وأئمة المالكية وإماما الحنابلة إردباً واحداً وفاتح الكعبة الشريفة وجماعته وخدام الدرجة والمؤذنون والفراشون والوقادون عدة أرادب – لا أعلمُ عدّتها – وبقية الفقهاء وطلبة العلم والصوفية حرموا وصار ذلك أسوتهم بالسوقة وأسافل الناس، فلله الأمر من قبل ومن بعد .

وفي يوم الأحد رابع عشريْ الشهر وصلتْ إلى مكة المشرّفَة قافلة المدينة الشريفة وأخبروا أنها رخية .

وفي يوم الإثنين ثاني تاريخه سافر نائب جدة إليها، ووصل إلى مكة الخبر أنّ السيد الشريف زين الدين بركات ولّى وزارة جدة للجمالي محمد بن راجح بن شميلة الخفيصي ورد له وظائفه التي كانتْ له بها، مع أن الناس يشكون منه تحكير القوت من الحب وغيره، لكنه له خبرة بخدمة أهل الدولة والمباشرة والميل إلى الصوفية وحب الفقراء وقضاء حوائجهم والنقمة على الأغنياء كما أُشيع عنه ذلك .

وفي ثاني تاريخه أشيع بمكة أن الخواجا الأجلي المحترمي التاجي تاج الدين الجوكقدار اللاّري أمين الصدقة اللاك[1] الواصلة من عند ملك الهند الملك المظفر شاه ابن السلطان محمود شاه الكجراتي، قسم الصدقة المذكورة على حكم سنة واحدة وأصلها خمسمائة قطعة لأهل مكة والمدينة بالسوية بينهما، وذلك عن معلوم سنتين ونصف أولها سنة تسع عشرة وتسعمائة (٩١٩هـ) فقال للمستحقين: إن معلوم نصف سنة وهو مائة قطعة أصرفها في الطريق وكان توّه في بندر عدن. وأخذ السيد الشريف بركات زعيم الحجاز المنيف ثلثها على العادة القديمة، والباقي سُرق لتفريط زين الدين عليها بوضعه لها في أحواش جدة التي بالساحل، وقال بعض الفضلاء في معنى ذلك وشكوْه إلى السلطان مظفر شاه .

(١) اللاك: استعمال فارسي وهندي للدلالة على مائة ألف، وقد يستعمل لما هو أكثر .

يا أيها السلطان الملك الذي   مناقبه الحسنى وأوصافه الغُرر
نشكو إليك تاج الدين الذي   قد مسّنا من فعله أوفى الضرر
لو قيل لي أختاره لك ناظرا   قلتُ العمى، ولا هذا النـــظر

ورحم الله شيخنا قاضي القضاة بالحرمين الشريفين النجمي ابن يعقوب المالكي قال في المعنى ضمن قصيدة طويلة عند وصول اللاك في سنةٍ قبل تاريخه حيث أبدلت التنكات(1) باللاك كهذه:

يا من غدا فينا يدك   ويبدّل التّنكات لك
إنّ المليـــك مظفرا   إن يدر أحشاء يصك(2)

وتوجّه لذلك إلى جدة قضاة مكة الثلاثة – خلا الشافعي – وكثير من الفقهاء وغيرهم من المستحقين فوجدوا الناظر عليها سافر منها إلى جهة السيد الشريف بركات في ينبع، بسبب أنه وقع بينه وبين الوزيرمحمد بن راجح مخاصمة، وذلك أن الشريفة [٧ ب] أم المسعود ابنة عجل تكلمت في قبض صرّ قاضي المالكية كان الزيني عبد الحق النويري لكونه وكّلها عند سفره، فقال لها الناظر: السلطان أمرني بدفع المعلوم للمتولي، فأهين بسبب هذا القول وضرب غلمانه وأخذ منه المعلوم كرها، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

شهر ربيع الأول جعله الله شهرا مباركا وأعاده علينا بجاه مَن وُلِد فيه نبينا محمد ﷺ سنة ٩٢٤هـ (١٥١٨م)

استهل في ليلة السبت .

وفي ثامن الشهر – وأنا بجدة المعمورة – دخل القاضي أبو السرور ابن قاضي

(١) بالأصل: التنكاك، والإصلاح من البيت الثاني من القطعة الشعرية الموالية .
(٢) كذا ورد البيتان في الأصل .

القضاة النوري علي ابن الضياء الحنفي القرشي على ابنة ابن عم أبيه لأمّه الحرة فاطمة ابنة الخطيب جمال الدين محمد بن أبي بكر الخطيب النويري. وأمّها زينب ابنة الخطيب محب الدين أحمد بن أبي القاسم العقيلي النويري، وهي راجعة من عدة أزواج قَبْله نحو الخمسة كابن إسحاق وابن قرموط والهمامي بن ظهيرة .

وفي صبح يوم الثلاثاء حادي عشر الشهر كان بَلّ السكر لعقد القاضي الرئيس الأصيل تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخنا قاضي القضاة بالحرمين الشريفين نجم الدين محمد بن يعقوب المالكي على السيدة المحجّبة الأصيلة سيدة قريش ابنة قاضي القضاة بالحرمين الشريفين محيي الدين عبد القادر ابن الشيخ نجم الدين بن ظهيرة القرشي الحنبلي، وأمّها السيدة الكبرى سعادة ابنة قاضي القضاة شيخ الإسلام الشافعي الجمالي أبي السعود ابن ظهيرة ناظر المسجد الحرام في بيت جَدّها. فحضر ذلك خالها شيخ الإسلام قاضي القضاة الشافعي ووالدها وقاضيا القضاة الحنفي والمالكي والزوج وبعض الأعيان من الفقهاء وغيرهم، وبعد الفراغ عمل لهم مدة لطيفة حسنة .

وفي ظهر تاريخه حصل بمكة هواء شديد أثار الغبار ثمّ أمطرتْ السماء ساعة جيدة ثمّ ارتفع ذلك.

وفي عصر تاريخه شرع جماعة القاضي الحنبلي في لعب العيري في رحبة بني ظهيرة بالسويقة .

وفي مغرب ليلة الأربعاء ثاني تاريخه كانت زفة المولد الشريف وهي من خواص ناظر المسجد الحرام وأعظم مواكبته قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة، فصلّى المغرب – على عادته – خلف مقام الحنفية وهو متوعّك فجاءه القضاة والفقهاء وغيرهم فسلموا عليه ومشوا أمامه إلى عند باب المسجد الحرام المعروف بباب علي، فردّ القضاة الثلاثة من هناك وركب فرسه وتوجّه إلى المولد

الشريف بشعب بني هاشم، واستناب في المشي عنه بالزفة المذكورةَ ابن عم أبيه سيدنا العلامة الزاهد بركة المسلمين وعين الأعيان المعتبرين عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بجدة المعمورة وخطيب المسجد الحرام فخر الدين أبا بكر[1] بن علي ابن ظهيرة القرشي الشافعي – متع الله بحياته وأدام النفع بعلومه وبركاته – وكان تكلم معه قبل ذلك فاشترط عليه ثلاثة شروط، وهي صلاة المغرب على عادته لأجل سلام الناس عليه، ودخوله المولد الشريف والصلاة في محرابه المنيف، وعوده إلى المسجد لصلاة العشاء – على العادة – فوافقه على ذلك. ودخل إلى المولد الشريف وسمع الخطبة ودعي له على العادة مع السلطان والشريف وولده [٨ أ] ثمّ ركب فرسه وعاد إلى المسجد ومشى قريبه في الزفة ذهابا وإيابا. وكانت عظيمة ببركة من وُلِد فيها ﷺ، وابتهج الخلق برؤيتها وجماعته حوله والخلق خلفه وقدامه، وأسْرِجتْ الشموع والمفرّعات[2]– على العادة – وقرأ رئيس المؤذنين بالمسجد الحرام آيات من القرآن العظيم في ثلاثة أماكن أولها عند الشجرة التي بالقرب من المولد الشريف، وثانيها عند باب علي، وثالثها في مصلّى القاضي عند قبة الفراشين. وبعد ذلك أذّن العشاء فصلّى القاضي والقضاة الثلاثة معه لمرضه مكانه[3]. ثمّ قام بعد الصلاة وعاد إلى خلف مقام الحنفية فسلّم عليه الفقهاء ثمّ عادوا إلى أمام المدرسة العطيفية. وحضروا مع القضاة الأربعة عقد القاضي تاج الدين المالكي على زوجته السيدة قريش ابنة قاضي القضاة الحنبلي، وعمل فيه مفرعات وشموع كثيرة أكثر من العادة بواسطة أم الزوجة، فإنها تكلمتْ مع أخيها قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام، فوقف في المفرعات لكونها لم تُعمل لأحد قبل تاريخه، وكان هو المباشر

(١) بالأصل: أبي بكر .
(٢) المفرعات: نوع من الشموع .
(٣) بالأصل: المرض مكانه .

للعقد[1] و لم يتخلف عنه أحد من النساء والرجال فكان حفلا بهجًا[2]، جعله الله مباركا على أهله .

وفي صبح يوم الأربعاء المذكور عُمِلت زفة لطيفة مشى فيها القضاة تاج الدين بن ظهيرة أخو[3] قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفقهاء، وزاروا جميع المواليد – على العادة – وهي بسوق الليل، مولد النبي ﷺ وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –كرّم الله وجّهه – والسيد أبي هريرة رضي الله عنه وعن أمه، وبزقاق الحجر المنسوب لكلام النبي ﷺ مولد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وعندها قبة الوحي، ومولد أمير المؤمنين السيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وختم بدار الهجرة عند الصفا، ثمّ دخل إلى المسجد الحرام وصلّى فيه ركعتين، ثمّ توجّه إلى منزله فمُدّ له هناك سماط وسط حضرة الفقهاء الذين مشوا معه والقضاة الأربعة، وهو من عند أخيه. وقُرئ مولد في بيت القاضي الشافعي على ما جرتْ به عادة أسلافه .

وفي صبح يوم الأربعاء عُملت فازة لطيفة لابنة قاضي القضاة الحنبلي في منزل جدّها وخرجت مؤذّنتها، وحضرها القضاة الأربعة وأقارب الزوجة بنو ظهيرة وستة أنفس من التجار وبعض الفقهاء وألصقوا على وجْه المؤذنة نحو عشرين أشرفيا، كلّ نفر أشرفياً واحداً خلا خال الزوجة قاضي القضاة الشافعي فأشرفيان، وبعد أن خرجتْ هذه المؤذنة توجّه الزوج إلى منزله فأخرج مؤذنة أخرى لنفسه حضرها والد الزوجة قاضي القضاة الحنبلي وبعض أقاربه وألصقوا عليها أيضا .

وفي عصر تاريخه مات المعلم إبراهيم الحجازي العطار بباب السلام، وصلّي عليه بعد صلاة العصر ودُفن بالمعلاة، وخلّف ولدا وابنة، رحمه الله تعالى.

(١) بالأصل: لعقد .
(٢) بالأصل: بهجا حفلا .
(٣) بالأصل: أخي .

وفي ليلة السبت خامس عشر الشهر سافرتْ قافلة إلى المدينة الشريفة على الحالّ بها أفضل الصلاة والسلام، فيها جارنا الشيخ العلامة أبو الحسن البكري.

وفيها كانتْ غُمرة ابنة قاضي القضاة الحنبلي وزُفّ زوجّها من بيت والده ومشى معه بعض أقارب الزوجة بالشموع والمفرعات. فلما وصل إلى منزلها دخل إلى الفازة واجتمع بها على العادة .

[٨ ب] وفي طلوع شمس ثاني تاريخه نصّتْ العروس على زوجّها وحضر ذلك والدها وخالها وأقاربهما. فألصق الزوج خمسين(١) دينارا ووالدها ثلاثين، واستردها كلّ منهما بعد أدائهما، وألصق عليها خالها قاضي القضاة الشافعي عشرين(٢) دينارا وأخوه القاضي تاج الدين خمسة عشر دينارا، والقاضي عز الدين الفائز سبعة أشرفية، والقاضي شرف الدين يحيى ابن الفائز، والقاضي جمال الدين محمد بن أبي الفضل مثله، والقاضي إبراهيم ابن القاضي شهاب الدين مثلهما، وأربعة أنفس هم القاضي أمين الدين وأخوه القاضي جلال الدين، والقاضي أبو البقاء، والقاضي محب الدين ابن خالها بهاء الدين، كلّ واحد منهم خمسة أشرفية. والسيدة سارة ابنة الخواجا محمد قاوان(٣) ذهبٌ عشرة. جملة الجميع ستة وخمسون دينارا غير الذي ألصقه والدها وزوجّها وخالها تاج الدين فانه يقال ....(٤) لصقه أيضا وغير الذي ألصقه أقاربها من النسوة فإني لا أعلمه. وألصق لها السادة الأشراف، سلاطين مكة أهل(٥) اللطف والإسعاف، فصاحب مكة السيد زين الدين

(١) بالأصل: خمسون .
(٢) بالأصل: عشرون .
(٣) بالأصل: قالون، وهو خطأ واضح، ذلك لأن هذا الاسم ورد « قاوان » في هذا الكتاب وغيره من تواريخ مكة .
(٤) كلمة غير واضحة بالأصل .
(٥) كلمة وردت مكررة بالأصل .

بركات أربعون أشرفيا وزوجته الشريفة أم الكامل ابنة عجل عشرون أشرفيا وأختها الشريفة أم المسعود خمسون أشرفيا مع غير ذلك وأختها الشريفة بيدح عشرة أشرفية وجاريتيْ الشريفة أم المسعود ثمانية أشرفية. الجملة للجميع مائتان إلاّ ست أشرفية .

وفي عشاء ليلة الثلاثاء ثامن عشر الشهر كان عقْد شقيقتي المرأة الثيّب أم هاني سعادة على زوجّها الفقيه الأصيل سراج الدين عمر ابن الشيخ المفيد جمال الدين محمد بن عمر الرضي المكي الشافعي عند قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات المالكي الأنصاري -متع الله بحياته- في المسجد الحرام، حضره أولاده وبعض أصحابنا، فاستأذنني في العقد فأذنتُ له بعد إذن الأخت له في العقد بها على زوجّها المذكور بمائة مثقال حالة، ورضاية بذلك، وبعد الفراغ من العقد أسقانا القاضي سكرا مذابا، جزاه الله خيرا، وجعله عقدا مباركا .

وفي ليلة تاريخه دخلتْ الأخت المذكورة على زوجِها، جعل الله ذلك مباركا عليهما ورزقهما ذرية صالحة .

وفي صباح تاريخها جاء الفقهاء وغيرهم لتهنئة زوج الأخت وأقام عندها ثلاثة أيام على عادة أهل البلد في الإقامة عند الثيب ثلاثا خلا البكر فسبْعة .

وفي ليلة الأربعاء تاسع عشر الشهر عمل قاضي القضاة الحنبلي شراعا لابنته مع أن قاعدة البلد لا يفعل ذلك إلا الزوج، لكنه سابقةٌ، وفعل لغرض له، وطلب القضاة والفقهاء والتجار وكثير من المتسببين والأعيان، فحضر عنده القضاة الأربعة وبعض الفقهاء والتجار والمتسببين، فلعب السوقة قدّامهم وسط رحبة بني ظهيرة التي بالسويقة، وألصق الحاضرون دراهم في منديل -على العادة- مع بعض أخصّاء صاحب المهمّ، فأعطى قاضي القضاة الشافعي خال الزوجة عشرة أشرفية، وقاضي القضاة الحنفي نسيم الدين المرشدي ثلاثة، وقاضي القضاة المالكي الجلالي أبي السعادات خمسة، والخواجا عبد القادر القاري والخواجا بيري الرومي كلّ واحد

منهما أربعة أشرفية، والخواجا بدر الدين بن سلامة والعفيف عبد الله العزي صهر المقّر الزيني بن مزهر .... [1].

[٩ أ] وفي عصر يوم الأحد سلخ الشهر شُرع في لعب ابن قاضي القضاة المالكي عند بيت الزوجة .

شهر ربيع الثاني استهل كاملا في ليلة الإثنين – جعله الله مباركا – سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨م)

وفي صبح يوم الثلاثاء ثاني تاريخه من الشهر عُمِلت فازة عند بيت النحاس لزواج ابن قاضي القضاة المالكي. وفي ثاني تاريخه خرجتْ مؤذنة لهم لأجل الغمرة وحضرها الزوج ووالده وإخوانه وأعمامه وأقاربه وأهل الزوجة وألصقوا لصقا هنياً.

وفي ليلة الخميس رابع الشهر كانت غُمرة البنت سيدة قريش ابنة عبد المعطي الطبري زوج القاضي شرف الدين ابن قاضي القضاة المالكي، وزف زفة لطيفة من بيت عمه الزيني بركات الدين بشموع منفشة[2]، ومشى معه إخوانه وأقاربه لعبا ليّنا في الفازة[3] على العادة .

وفي يوم تاريخه ماتت ابنةٌ لسعادة ابنة قاضي القضاة أبي القاسم بن الضياء الحنفي وصليّ عليها في عصر تاريخه ودُفنتْ بالمعلاة – رحمها الله تعالى – ووالدها مغربي. وفي ليلة الجمعة تاريخه كان شراع القاضي المالكي في الفازة التي بُنِيتْ أمام

(١) انقطع الكلام في آخر الورقة (٨ ب) وكان الخبر متعلقا بحوادث ليلة الأربعاء ١٩ ربيع الأول. وفي بداية الورقة الموالية (٩ أ) أخبار آخر يوم في شهر ربيع الأول. وذلك لأن ورقة سقطت من المخطوط، بدليل أنه يوجد في أعلى كل ورقات المخطوط ترقيم قديم سقطت منه الورقة (٩ أ + ب). وقد اعتمدنا في التحقيق الترقيم الحادث بعد الترقيم الأول لأنه ترقيم لواقع الورقات الموجودة من المخطوط .

(٢) كذا بالأصل: ولعله نوع من الشموع .

(٣) وردت الجملة بالأصل على الصورة التالية: لعبا لسا في الفازة .

دار الزوجة، حضرها أقارب كلّ من الزوجين ورجال أهل مكة ولعبوا إلى الصباح، و لم يُلصق أحد .

وفي مغرب ليلة تاريخه ماتت المرأة الأصيلة أم كلثوم ابنة المحيوي عبد القادر الملقب عبيد بن علي بن جار الله بن زائد السنبسي المكي بعد طول وجعها بالحمى والإسهال مدة نحو خمسة أشهر. وكتبتْ وصيتها قبل وفاتها بليلتين، و لم يطلع زوجّها الشيخ إبراهيم بن أبي بكر العراقي الناظر على البيمارستان المكي، وتشوّش كثيراً. فجُهّزت من ليلتها وصليّ عليها عند باب الكعبة الشريفة بعد صلاة صبح ثاني تاريخه، وشيّعها جماعة من الفقهاء، ودُفنت على أختها لأبيها عند تربتهم بالحجون، رحمها الله تعالى .

وفي صبح تاريخه عُمِل سماط لابن قاضي القضاة المالكي في الفازة التي بُنِيتْ أمام منزل الزوجة فيه المأمونية السكب والرز الحلو والمشورات وغير ذلك من الأطعمة المفتخرة. وحضره القضاة والأعيان من الفقهاء والتجار والمتسببين، وبعده مُدّ للنساء المصبِّحات .

وفي يوم الجمعة جاء إلى مكة نعي السيد الشريف حسن بن خشرم بن علي ابن ثقبة بن رميثة بن أبي نمي، وكان توفي جهة اليمن وخلف مالا كثيرا وأولاد أخيه، رحمه الله .

وفي ليلة السبت سادس الشهر دخل الزوج المشار إليه على زوجته، وفي صباحها جاء المهنئون للسلام عليه، جعل الله ذلك مباركا على الزوجين ميمونا ورزقهما ذرية صالحة .

وفي ليلة الأحد ثاني تاريخه قُتِل شخص بسوق الشبيكة- أسفل مكة المشرفة- ما عُلِم قاتله، ويقال إنه اطلع على حرامية يسرقون بيتا أمام دكان له، فغوّش عليهم وقال لهم: عرفتكم، فقتلوه لأجل ذلك.

وفي يوم الثلاثاء تاسع الشهر بُلّ سكرٌ لعقد القاضي تاج الدينُ محمد ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام ناظر المسجد الحرام المرحوم الجمالي أبي السعود ابن ظهيرة القرشي على قريبته سعادة ابنة الشيخ العلامة نجم الدين محمد بن نجم الدين ابن ظهيرة أخت قاضي القضاة الحنبلي، وكان توقّف في زواجها لأجل إشهاده عليها في ما خلّفه لها والدها بسبب قيامه بها [٩ ب] فامتنعتْ من ذلك ثم وافقتْ على بعض ما أراده منها. وحضر ذلك القضاة الأربعة وقرابة الزوجين بنو ظهيرة وبعض الفقهاء، ومَدّ لهم بعد الفراغ سماطا حسناً.

وفي ليلة الأربعاء عُمل العقد في المسجد الحرام أمام الرواق الشامي بالقرب من مقام الحنفية وأسْرِجتْ الثريات وشمع المسجد الحرام وحضره القضاة الأربعة والفقهاء والتجار وخلق من العوام، وباشر العقد أخو(١) الزوج قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة على مائتي مثقال حالّة -كعادة بني ظهيرة- وبعد الفراغ شرب الحاضرون سكّرًا وانصرفوا، جعل الله ذلك مباركا ميمونا .

وفي سادس عشر الشهر ليلة الثلاثاء انتقل القاضي تاج الدين ابن قاضي القضاة نجم الدين محمد بن يعقوب المالكي بزوجته إلى منزله وعمل لها حلوى في داره وقسمها على النسوة وغيرهن(٢). وكان السبب في نقْلتها مخاصمة أبيها لها على وجْه غير مرضي انتقده العقلاء عليه .

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه خرجتْ مؤذنة ابنة قاضي القضاة الحنبلي من بيت زوجِها القاضي تاج الدين ابن قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة، وحضرها أخوه وأخو الزوجة وأقاربهما والقاضيان الحنفي والمالكي وغيرهم من التجار، فألصق كل واحد دينارا واحدا، بمجموع ذلك نحو العشرين دينارا .

(١) بالأصل: أخي .
(٢) بالأصل: غيرهم .

وفي يوم تاريخه جيء إلى مكة بشهوان بن جمال الدين الدّلال وهو ميت من طريق جدّة، فجُهّز في يومه وصليّ عليه ضحوة تاريخه ودفن بالمعلاة، وخلّف ولدين ذكرين وزوجة، رحمه الله تعالى .

وفي ليلة الخميس ثامن عشر الشهر زُفّ القاضي تاج الدين الشافعي زفّة الغُمرة من بنت عمته أم كلثوم ابنة قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة، زوَّجه ابن عمّها أمين الدين بن ظهيرة بباب السدة -أحد أبواب المسجد الحرام- وأسرج له المفرعات وشمع المسجد الحرام وغيره، ومشى أمامه أقاربه ومن يلوذ به وبعض النسوة من الأتباع .

وفي هذه الليلة انتقل القاضي شرف الدين ابن قاضي القضاة الجلالي المالكي بزوجته إلى منزل والده وعمل للنساء حلوى، على العادة .

وفي صبح يوم الجمعة ثاني تاريخه نُصّتْ أخت قاضي القضاة الحنبلي على زوجِها نَصّة الغُمرة وحضرها زوجُها وأخوه(١) وأقاربهم وألْصقوا جميعهم نحو خمسين أشرفيا، من ذلك قاضي القضاة الشافعي عشرة والقاضي الفائز والقاضي أبو البقاء كل واحد منهما خمسة أشرفية والقاضي جلال الدين أربعة.

وفي يوم تاريخه وصل إلى مكة أروام من جدة، وفيها أخبار أنّ زعيمة(٢) دخلتْ إلى جدة وفيها مغاربة وأروام، وأخبروا أنه وقع بالشام طاعون، ومات فيه جماعة منهم عظيم الدولة الشيخ القدوة إمام المنطوق والمفهوم مفتي دار العدل في بلاد الروم، نور الدين حليمي جلبي وأخوه العلاّمة الرئيس، الأوحد النفيس، حسين جلبي إمام المقام الشريف الخندكاري المقرّي سليم شاه ابن عثمان والأميري الجليلي المقرّي المؤتمني الدفتردار محمد الحقير أحد أركان الدولة العثمانية المظفرية، وأشيع أنّ

(١) بالأصل: وحضرها أخوه وزوجّها وأخوه .
(٢) الزعيمة: نوع من السفن .

الأولين[1] ماتا شهداء بالطاعون، والثالث مسجونا لشكوى الناس [١٠ أ] منه لظلمه لهم، ويقال: الجميع قُتِلوا لشكوى الناس منهم، والله أعلم بحقيقة الحال.

وذكروا أنّ السلطان المظفر سليم خان ابن عثمان تجهّز في شهر صفر لقتال الخارجي شاه إسماعيل الصوفي[2]. وتوجّه له إلى بلاد العجم، فالله تعالى ينصره عليه وعلى الكفرة المشركين وينصر جيش المسلمين، بجاه سيد الأولين والآخرين، رسول رب العالمين .

وفي يوم الأحد حادي عشريْ الشهر جاء إلى مكة نعي الخواجا زين الدين عبد الرحمن ابن الخواجا نور الدين علي بن عبد الرحمن بن حسن بن علي النظاري[3]، نسبة إلى قرية من أعمال السكندرية، من ناحية اليمن، فبكت[4] عليه أخته وعزى الناس عمّه، رحمه الله تعالى وعوّضه في شبابه الجنّة .

وفي ليلة الإثنين ثاني عشري الشهر عمل القاضي تاج الدين ابن قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة شراعا وسط رحْبَتِهم التي بالسويقة حضره القضاة الأربعة وبعض الفقهاء والتجار وغيرهم من العوام، فأوقَدَ فيه ثريات كثيرة نحو مائتي فتيلة، فلعب أهل مكة السوقة بالرباب والطيران ورقصوا، ثم دار السراجي عمر بن أحمد بن سليمان النجّار - أحد أخصّاء والد الزوج - ومعه منديل على الحاضرين من القضاة والفقهاء والتجار وألصقوا له دراهم[5] مجموعها نحو مائة

(١) بالأصل: الأولان .

(٢) الشاه إسماعيل الصفوي: من كبار ملوك الشيّعة في فارس في القرن العاشر الهجري، يسمّيه كثير من المؤرخين السنة " الصوفي " ومنهم مؤرخنا جار الله بن فهد. تولى الشاه إسماعيل الحكم سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠٢م وحارب العثمانيين حروبا كثيرة لم يصل منها إلى غايته من فرض المذهب الشيّعي في بلاد المشرق والحجاز. توفي الشاه إسماعيل سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م .

(٣) بالأصل: الناضري . والإصلاح من البرق اليماني لقطب الدين النهروالي وفيه ذكرتْ أخباره ووفاته، انظر ص ١٢٩، ١٧٩ منه .

(٤) بالأصل: فبكى .

(٥) بالأصل: دراهما .

وعشرين دينارا، تفصيلها: قاضي القضاة الشافعي واحد وعشرون درهما وقاضي القضاة الحنفي النسيمي المرشدي ذهبٌ أربعة أشرفية وقاضي القضاة المالكي الجلالي أبو السعادات ذهبٌ خمسة أشرفية وولده المحيوي أشرفيان وأخوه الكمالي بركات الدين أشرفي، وكذا كاتِبُه، والزيني جعفر بن عبد القوي وأبو سعيد بن زائد. وأمّا قرابة الزوج والقاضي عز الدين ذهبٌ خمسة وكذا عبد الباسط الشيبي وكذا القاضي أبو البقاء أخوه والقاضي أمين الدين والقاضي جلال الدين أخو الفائز ذهبٌ أربعة، وابن أخيه والمشار إليه الشرفي يحيى ثلاثة ذهبٌ والجمالي محمد بن أبي الفضل ذهبٌ اثنان، والمحبي ابن عمّ الزوج ذهبٌ ثلاثة، والقاضي المالكي ذهب ثلاثة. وأما التجار فالخواجا بيري الرومي ذهبٌ عشرة، والخواجا ابن بدر الدين الحلبي ذهبٌ خمسة، وكذا الولوي القويضي الشامي وأخوه الشهابي مثله والخواجا الجاركسي والخواجا ابن التميرة. وأنشد في المجلس قصيدتان إحداهما[1] من نظم الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن مخراق الشافعي، باشر إنشادها الجمالي محمد بن علي المحوْجب، فألبسَ القاضي كلاً منهما خلق صوف وكذا السراجي عمر الزيني صاحب الربابة، وانفضّ المجلس .

وبعد طلوع الفجر نُصِّتْ العروس نصّة ثانية ومُد السماط في الفازة التي وسط منزل الزوج وحضره الأعيان من القضاة والفقهاء والتجار والعامة وكان غاية في المجلس وكثرة الأطعمة والأواني المفتخرة، وعُمِل فيه المأمونية السكب والجرجانية والرُزّان[2] الحلو والمفلفل والمشورات والضلوع المحشية وغير ذلك من الأطعمة الأنيقة. وبعد الفراغ منه توجّه قاضي القضاة الشافعي وبعض أقاربه وغيرهم إلى بيت الخواجا محمد قاوان لأجل بلّ سكّر عقدٍ لبنْتِ ابنته صفية مِن ابن عمّها البدري

(١) بالأصل: قصيدتين أحدهما .

(٢) بالأصل: الرزين .

حسن ابن الخواجا حسين قاوان وزوجها النوري [١٠ ب] علي ابن الخَواجا محمد سلطان العجمي، وكان القائم في مهمّ الزوج خالتها السيدة سارة، فحضر الجماعة بلّ السكر، وشربوا منه ثم انصرفوا .

وفي يوم تاريخه وقع بين قاضي القضاة[١] الحنبلي المحيوي عبد القادر بن ظهيرة وبين ابنته وزوجها القاضي تاج الدين ابن قاضي القضاة نجم الدين بن يعقوب مخاصمة أدّتْ إلى انتقال البنت إلى بيت الشريفة أم الكامل زوجة السيد الشريف بركات زعيم الحجاز المنيف وذلك بإيشاره أختها الشريفة أمّ المسعود ابنة عجل، وقصدهم الحماية بالشريف من أبيها. وكثرتْ قالات الناس فيه بما لا يليق ذِكْرُنا له، فالله تعالى يستر قبائحنا ويرزقنا فعلا نعيش به مع الناس، ولا يسلّط علينا بذُنوبنا مَن لا يرحمنا .

وفي عشاء ليلة الثلاثاء ثالث عشريْ الشهر دخل القاضي تاج الدين بن ظهيرة بزوجته بعد نَصّها عليه في الفازة[٢]. وعُمِل عقد النوري علي بن محمد ابن الخواجا سلطان في المسجد الحرام أمام الرواق الشمالي والمدرسة العطيفية بالقرب من مقام الحنفية، حَضره القضاة الأربعة وكثير من الفقهاء والتجار وخلقٌ من العوام الرجال والنساء، وأُسْرِجتْ فوانيس المسجد والثريات، وباشر خطبة العقد قاضي القضاة الشافعي، وأوجب النكاح قاضي القضاة الحنفي على مقتضى مذهبه لكون الزوجة صغيرة دون البلوغ ووالدها غائب في الهند مع شقيقها، ولا نعلم ذلك اتفق لأحد قبل هذا، وكان العقد على مائتي مثقال حالّة، وبعد ذلك شرب الحاضرون سكرا مذابا وأوقد قُدّامهم بخوراً وتطيّبوا وانصرفوا بعد السلام على الزوج وشقيق الزوجة، جعل الله ذلك مباركا على كل منهم بمحمد وآله .

(١) بالأصل: قاضي القاضي .
(٢) الفازة: مظلة من نسيج أو غيره تقام على أعمدة ليجلس الناس تحتها في الأفراح.

وفي ليلة تاريخه دخل الإمام بمقام الحنابلة بدر الدين حسن بن المحبي بن أبي البركات محمد بن أبي الخير محمد بن حسن بن الزين القسطلاني المكي على زوجته البنت البكر سعادة ابنة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن علي الشيبي .

وفي صباح تاريخه هنّأ الناس من الفقهاء الثلاثة الأزواج في بيوتهم، جعل الله ذلك مباركا عليهم .

وفي الثلث الأخير من ليلة الأربعاء رابع عشريْ الشهر وُلِدت البنت....[١] ابنة القاضي شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات المالكي الأنصاري، وأمها أم الخير ابنة الزيني أبي ....[٢] الدين .

وفي ليلة ثاني تاريخه عادت إلى منزل زوجها سيدة قريش ابنة قاضي القضاة محيي الدين عبد القادر بن ظهيرة الحنبلي بعد قسامة والدها برأس السيد الشريف بركات أن لا يدخل إليها في الشهر إلاّ مرّة، وهي لا يدخل إليها أحد[٣] من النسوة ذكرهن لها وغير ذلك، وكان بحضرة خالها قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة والشيخ عبد الكبير الحضرمي .

وفي صباح تاريخه وُلِدتْ البنت أم الخير بنت[٤] صاحبنا الجمالي محمد ابن شيخنا باكثير الحضرمي، وأمها فاطمة ابنة الشرفي يحيى بن إدريس بن عبد القوي، أحد العدول بباب السلام .

[١١ أ] وفي يوم تاريخه تخلص من السجن الشهابي أحمد بن عثمان الخبّاز[٥] بعد تحليف قاضي القضاة الحنبلي له أن لا يسافر في هذا العام إلى القاهرة حتى

(١) بياض بالأصل بمقدار كلمة .
(٢) كلمة غير واضحة بالأصل .
(٣) بالأصل: أحدا .
(٤) بالأصل: بن .
(٥) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة .

يستأذنه، وأنكر الناس ذلك، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

وفي يوم الجمعة سادس عشريْ الشهر خرجتْ مؤذنتان لابن الخواجا محمد سلطان وزوجته حفيدة ابن الخواجا قاوان، وحضر ذلك قاضي القضاة الشافعي وبعض أقاربه، وألصقوا عليهم ذهبا، أخلف الله عليهم .

وفي عشاء ليلة السبت ثاني تاريخه عُمِلت زَفّة للنّوري علي ابن الخواجا محمد سلطان من الصفا إلى بيت الزوجة ابنة قاوان، فيها مفرّعات وشموع كثيرة منها ثنتان كبيرتان[١] تُجَرّان على عجل كل واحد طول إنسان، ومشى أمامه بعض الفقهاء والتجار الأعاجم ونساء كثيرات[٢] وخلق من العوام، وتحلّق له نفط في المسعى والمروة وعند بيت الزوجة، وابتهج الناس لرؤيته، وكان أمام الزوج ابن خالته مبارك ابن القائد شهوان الحبشي راكبا على فرس لأجل ظهوره وتعجّب الناس لفعل ذلك والجمع بين وصل وقطع وكثير من العقلاء يتطيّر مِن ذلك، ويذكر أنه جُرّبَ فحصل به تشويش للوصل، وفعل ذلك من قِلّة عقل النساء المباشرات[٣] لهذا المهمّ وعدم تدبيرهن لذلك، فالله تعالى يكفيهم شرّه، ويجعل العاقبة إلى خير .

وفي ليلة الإثنين تاسع عشريْ الشهر عُمِل عقد للقائد الأجلّ جوهر العراقي عتيق السيد بركات بن محمد صاحب الحجاز المنيف الحاكم بجدة الآن على البنت البكر المراهق كلثوم ابنة الحاج مفلح القاواني في بيت سيده الخواجا محمد قاوان بالسويقة، حضره قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وجماعته، وكان هو المباشر للعقد – قاضي القضاة الشافعي – ولم يتولّ الزوج قبول العقد بنفسه بل وكّل شيخ الفراشين محمد بيسق في ذلك مع كونه حاضراً في المجلس. وبعد الفراغ شرب الحاضرون سكراً مُذاباً وأنشد في المجلس قصيدة ناظمها الشهابي أحمد

(١) بالأصل: كبيران .
(٢) بالأصل: كثيرون .
(٣) بالأصل: المباشرون .

المحوجب[١]، وختم المقرّبون بعد ذلك وانفضّ الحاضرون، جعل الله ذلك مباركا ميمونا على كلّ من الزوجين وأهلهما .

وفي ليلة الثلاثاء سلخ الشهر ثاني تاريخه عُمِل شراع[٢] للنوري علي ابن الخواجا محمد سلطان في الفازة التي نُصبتْ في حوش الزوجة بمنزل جدّها، وهي عظيمة لما اشتملت عليه من السعة والعقود وهي إثنى عشر عقداً في كل جهة ثلاثة ملبّسة بالحرير والبشخانات[٣] نحو العشرة. حضر ذلك جماعة قاضي القضاة الشافعي، ولم يحضر هو، مع خلق من الأعاجم التجار وغيرهم من غالب الفقهاء والحاكميْن مبارك بن بدر وعلي الجنيدب، ولم يُلْصِقْ أحد في المجلس، ووقع في المجلس كلام بين الوالي علي الجنيدب ورجال أهل مكة لكونه رقص في المجلس ولم يصفّقوا له، فسبهم لذلك وعرّض بكلمات لهم، فأسْمَعوه كلاما مكروها وأرادوا الخروج من المجلس فردّهم الحاكم مبارك بن بدر. فلما رأى ذلك الوالي خرج بنفسه[٤] إلى الزقاق ثمّ لام نفسه على فعل ذلك وعاد إلى المجلس وهو مغيّر الطباع، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله .

[١١ ب] وأنشد في المجلس قصيدان[٥] أحدهما للجمالي محمد بن حصير المشيد وثانيهما للشهابي أحمد المحوجب الشاعر وكلاهما ليسا بجَيّديْن. واستمرّ اللعب إلى الصباح، ثمّ زَفّ العريس من بيته إلى الفازة ابن خالته، ثم نُصّتْ العروس

(١) ممن يحضر الأفراح والمناسبات للغناء في القاهرة، اختاره الغوري المملوكي ضمن جماعة من المغنيين يسمون " مغاني الدكة "، ابن إياس: بدائع الزهور ٥: ٤٣،٣٥ .
(٢) الشراع من احتفالات الأعراس، وأهل مكة يسمّونها الآن " التشريعة " .
(٣) البشخانة: لعلها مجالس خاصة بالمدعوين الممتازين في حفلات الأفراح، حسب ما يفهم من النص. وفي نصوص أخرى استعمل لفظ البشخانة للدلالة على الفراش أو المجلس الذي يكون حوله رقيق مانع من البعوض انظر DOZY ١: ٨٨ .
(٤) كلمة تكررت بالأصل .
(٥) بالأصل: قصيدتين .

على زوجها – كالعادة – وعُمِل سماط بعد ذلك هائل في الفازة فيه الألوان المفتخرة، من ذلك المأمونيتان الحموي والسكب وهريسة الفستق والرغيف الأسيوطي والجرجانية والأرزيْن الحلوي والمفلفل، وحضر فيه القاضيان الشافعي والمالكي وجماعة من الفقهاء والتجار وغيرهم، وكان القاضيان الحنفي والحنبلي توجّها إلى جدة لقبض اللآك الواصل من الهند لهما ولغيرهما، وكنتُ صحبْتَهما، فالله تعالى يجعل العاقبة إلى خير .

شهر جماد الأول جعله الله مباركا من سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨م)

استهلّ كاملا في ليلة الأربعاء .

دخل على زوجته النوري علي ابن الخواجا محمد سلطان في بيت جدّها مسكن خالتها القائمة في مهمّتها السيدة الجليلة سارة ابنة الخواجا محمد قاوان. وفي صباح تاريخها جاء الناس لتهنئته. وأقام عندها سبعة أيام على قاعدة الأبكار، جعل الله ذلك مباركا ميمونا، ورزقهما الثبات والنّيات، والبنين قبل البنات .

وفي ليلة الثلاثاء سابع الشهر كان سابع ابن الخواجا محمد سلطان فنصّتْ عليه زوجتُه في الفازة، ثم بعد هجعة من الليل نقلها إلى منزله بالسويقة ومدّ للنسوة حلوى كثيرة وفرّق على جماعة آخرين. وفي صباح تاريخه زفّ حضرة السابع مِن دار الخيزران إلى منزله بالمغاني والمطربين، و لم يُسْبَق لفعل ذلك.

وفي ليلة الأربعاء ثاني تاريخه عقد الشيخ الأوحد المبارك الأصيل برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ فخر الدين أبي بكر بن إبراهيم العراقي الأصل المكي الناظر على البيمارستان بها، على طليقته المرأة الكامل المصونة ربيعة ابنة قاضي القضاة شرف الدين أبي القاسم بن الضياء العمري الحنفي عند أقضى القضاة محيي الدين عبد القادر ابن قاضي القضاة المالكي الجلالي أبي السعادات الأنصاري على خمسين

أشرفياً مقبوض منها عشرة، ودخل بها في ليلته، جعل الله ذلك مباركا ميمونا .

وفي صباح تاريخه توفيتْ شيختنا المرأة الجليلة، المعمّرة الأصيلة أم كلثوم ابنة شيخنا قاضي القضاة الإمام محب الدين بن الطبري المكي الشافعي وصلّى عليها بعد صلاة العصر إمام الراتب ابن أخيها، ودُفنتْ بالمعلاة عند تربة سلفها، وخلّفتْ ولدا ذكرا وبنتا ووالدهما، رحمة الله عليها وعوّضهم فيها الخير والصبر .

وفي ظهر يوم الجمعة بعد الصلاة قُرئ مرسومان[1] في مصلّى قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة بالرواق الشامي من المسجد الحرام وفرش لقراءتهما بُسط المسجد وحضرهما قاضي القضاة المالكي الجلالي أبي السعادات والحاكم مبارك بن بدر وغيرهما من الأعيان وأركان الدولة الرومية. ومضمون أولهما: الخنكار منَع احتكار القوت من العسل والدهن. وتاريخه في الحموي[2] أحد الربيعين سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة (٩٢٣هـ). ومضمون ثانيهما من ملك الأمراء نائب [١٢ أ] الديار المصرية وفيه الإخبار بطلب إسماعيل الصوفي من الخنكار وأنه عرض عليه الدعاء له على المنابر وحرف السكة باسمه ويكون نائبا عنه .

وفي ليلة السبت حادي عشر الشهر عقد الشيخ العلامة الزاهد القدوة القاضي عزّ الدين المدعو الفائز ابن قاضي القضاة بجدة المعمورة للخطيب فخر الدين أبي بكر ابن علي بن ظهيرة القرشي الشافعي – متّع الله بحياته وأدام النفع به – على المرأة الكامل المصونة سُتَيْت ابنة الخواجا محمد بن ....[3] الفومني نزيل مكة المشرفة بمنزل والدها بالشبيكة بحضرة أقاربه بني ظهيرة، وباشر العقد قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة، وأذن شقيقها العلامة الأصيل الشرفي يحيى الفومني الحنبلي،

---

(١) بالأصل: مرسومين .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

وشرب الحاضرون سكّراً مذاباً وانصرفوا، وبعد ذلك دخل الزوج المشار إليه على زوجته في ليلة تاريخه، وجاء المهنئون في صباحها للسلام، ومدّ سماطا لأقاربه فقط .

وفي ليلة الثلاثاء رابع عشر الشهر خسَف القمر خسوفا كثيرا في النصف الأخير، فصلّى له الخطيب الأصيل شرف الدين يحيى ابن الخطيب فخر الدين أبي بكر ابن الخطيب جمال الدين محمد النويري المكي الشافعي صلاة الخسوف، وترك قراءة الجهر لعدم حفظه، وخطب بعد ذلك خطبة حسنة شكرها السامعون لها .

وفي ليلة تاريخه توفي الفقيه الأوحد الأصيل برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ محب الدين ابن القاضي كمال الدين أبي بكر ابن الشيخ نجم الدين محمد المرجاني الشافعي بعد توعّكه مدّة طويلة بالحمّى والسعال نحو نصف سنة، وصلّى عليه ضحى يومها عند باب الكعبة قريبه الشيخ أبو[1] حامد المرشدي، ودُفِن بالمعلاة عند تربة سلفه – رحمه الله تعالى – وخلف ولديْن صغيرين ذكرا وأنثى وزوجة حاملة، عوّضهم الله فيه خيرا ورزقهم الصبر .

وفي ليلة تاريخه دخل الى جدة طليعة الناخوذة يوسف الزنجي من بندر الديو[2] وفيها قماش وأرز وبهار، وأخبَر الركّبة الذين فيها الواصل معهم مركب من الديو للخواجا ابن مالك ومركب من كنباية[3] يُعْرف بالشاهي، وهما قريب من جدة، وأنّ السلطان مظفر شاه أمر بصدقة اللآك إلى أهل الحرمين، وأراد سحْبها[4] فتعوّق إلى أول الزمان .

وفي ليلة الأحد تاسع عشريْ الشهر نُقِلتْ من جدة إلى مكة المشرفة لقاضي

(١) بالأصل: أبي .

(٢) الديو: جزيرة صغيرة قريبة من كجرات بالهند، وبها قلعة حصينة جدا. الجزيري: الدرر الفرائد ص ٦٨٢ .

(٣) كنباية: ولاية هندية وعاصمتها تسمى كنباية أيضاً. تأسست فيها مملكة كان لها نشاط صناعي وحركة تجارية هامة .

(٤) وردت الكلمة غير معجمة بالأصل .

القضاة الحنفي نسيم الدين عبد الغني المرشدي الأنصاري، وكنّا توجّهنا إليها لقبض اللآك الواصل من الملك مظفرشاه صاحب المملكة الكجراتية والأعمال الهندية[1]، فقبضْنا ما يخصنا منها...[2] المستحقين معلوم سنة واحدة مصالحة عن سنتين. وأيضا مَن له عشرون[3] دينارا في الفرمان يأخذ منها مائتي مَنّ وأربعة عشر منا من اللآك، فيبيعه بنقص الربع وأزْيَدَ قليلا وأنقص قليلا، والله تعالى يحسن العاقبة ويلطف .

[١٢ ب] وفي ضحوة يوم الجمعة رابع عشريْ الشهر ولدتْ ابنة أخينا الخواجا خير الدين أبي الخير بن عبد القادر بن فريوات الدمشقي، وأمّها ....[4] ابنة.... [5] ابن ساعد الدمشقي .

وفي ظهر تاريخه ولد فلان الدين[6] من ابنة الأمين فخر الدين عثمان المظفري الرومي وأمها عائشة ابنة الخواجا نور الدين علي الناصري .

واتفق في ظهر تاريخه أنّ الحاكم مبارك بن بدر توجّه إلى الشيخ نور الدين حمزة الرومي وأخبره أنّ السيّد الشريف بركات أمر بختم بيت الشيخ القدوة مدبّر المملكة الرومية نور الدين عبد الحليم حليمي شلبي، فذكر له أنه أوقفها على أهل المدينة الشريفة وهي[7] المدرسة الأفضلية، ثم توجّه معه إليها فختما أبوابها، ثم بعد صلاة ظهر تاريخه توجّه الحاكم إلى الشيخ نور الدين وفتحا أبوابها، ولم يُعلم مقصدهم بذلك .

(١) الدولة الكجراتية الهندية تأسست من بداية القرن الخامس الهجري وأزالها المغول سنة ٩٧٨هـ. عرّفها بإيجاز الشيخ حمد الجاسر في مقدمة تحقيقه كتاب البرق اليماني لقطب الدين النهروالي ص ١١-١٥ .

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل، صورتها: سوة .

(٣) بالأصل: عشرين .

(٤) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

(٥) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

(٦) كذا بالأصل .

(٧) بالأصل: وهو .

وفي طلوع فجر ليلة السبت ثاني تاريخه وُلِد لِوَلَدِ نور الدين عليَ ابن قاضي القضاة بديع الزمان ابن الضياء الحنفي، وأمه جوهرة الحبشية، مستولدة قاضي القضاة الجمالي محمد بن يعقوب، ووالده غائب بالقاهرة .

وفي يوم الأحد سابع عشريْ الشهر بُنِيتْ درجتان لطيفتان[1] خلف قبّة الحنفية الجديدة ممّا يلي الوجْه الشمالي، يصعد منهما إلى دكة خشب عُمِلتْ للمكبرين خلف أئمّة الحنفية، وقد أحدث ذلك مع مكبّريْن يضعّفان بصوتهما وقت الصلوات الخمس، ويحصل بذلك ضرر على كثير من المصلّين في المسجد الحرام. وحدوث ذلك في هذا العام من جهة الأروام، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وكمُل بناؤهما في ثاني تاريخه .

وفي ضحى يوم الثلاثاء ثامن عشريْ الشهر كسفتْ الشمس كسوفا قليلا نحو السدس، فصلّى لها في المسجد الحرام الخطيب يحيى النويري صلاة لطيفة وخطب بعد ذلك خطبة كثيفة لما اشتملتْ عليه من اللحن والتحريف، والتأدية لها باللفظ العنيف، وتعجّب الناس من ذلك، فالله تعالى يلطف بالمسلمين ويولّي عليهم في الوظائف مَن يسير أحسن المسالك .

وفي أثناء هذا الشهر وصل الخبر إلى مكة المشرفة بأنّ الخواجا عبد الله الذمي الحضرمي توجّه إلى بلاد دهلك[2] ومعه ثلاثة مراكب فيها نحو مائتي مقاتل، فقاتل سلطانها في شهر ربيع الأول فقتله ونهب البلد، وصارت الأسعار غالية بها، وبمكة أيضاً بيعَتْ الربعية الحب بمحلقين وزيادة ونقصان قليل بحسب الحبوب من الحنطة والذرة والدخن. وتوجّهه[3] الذمي بعد ذلك

(١) بالأصل: بنى درجتين لطيفتين .

(٢) دهلك: أرخبيل متعدد الجزر وتعرف أكبر جزره أيضا بنفس الاسم. يقع الأرخبيل قبالة مدينة مصوع من جهة الغرب وقبالة جزيرة فراسان من جهة الشرق القريبة من مدينة جيزان. ياقوت: معجم البلدان٢: ٤٩٢.

(٣) كلمة تكررت بالأصل .

الى مصوع[1] فوجد بها رجال يافع والمهرة فصدّوه عنها فهرب عنهم. ويُقال إنّه توجّه إلى جهة زَيْلَع أو الهند، والله أعلم بحقيقة حاله، ويلطف بالمسلمين ويرخّص أسعارهم .

وفي آخر الشهر أمَر صاحب مكة السيد الشريف زين الدين بركات بن محمد ابن بركات – نصره الله – بعمارة رباط له في خطّ الحزامية عند درب اليمن بالقرب من بيت الهيصمي [١٣ أ] خلف أجياد الكبير فحفر ساسه وبنى فيه عشرين خلوة سفْلية وعشرين[2] علْوية ومجمعا سفليا فيه محراب ودهليز به خلوة للبواب، علوه خلوة للمشيخة، وسبيل فوقه خلوة وبجانبه بئر قديمة يصبّ منها الماء إلى الرباط، فالله تعالى يتقبّل منه ذلك ويعينه على إكماله .

شهر جماد الثاني استهلّ ناقصا في ليلة الخميس من سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م) جعله الله مباركا

في يوم الثلاثاء سادسه توجّهتُ إلى وادي نخلة الشامية المعروف بالمضيق الأعوج بعيالي رفقة والدتها لأجل الصيف بها .

وفي ليلة الأربعاء ثانيه [توفي][3] الجمال محمد بن بركات المقري وصُلّيّ عليه ودُفن بالمعلاة، وخلّف بيتا أوقفه على ....[4]

وفي يوم الخميس ثاني تاريخه بُلِّطَ مقام الحنفية بحجرٍ صوان أسود وبُنِي محرابه أمام القبة ملاصق حاشية المطاف، بناء غير متقن، على نية هدْمه وتقدمته إلى وسط

(١) مُصَوّع: مدينة أرتيرية تقع على الوجّه الغربي من البحر الأحمر .

(٢) بالأصل: عشرون .

(٣) كلمة سقطت من الأصل أضفناها ليتضح المعنى .

(٤) سقطت بقية الجملة من الأصل .

الحاشية ليقطع به الصفّ الأول من الصلاة خلف إمام الشافعية. فالله تعالى لا يقدّر ذلك .

وفي ضحى يوم الجمعة تاسع الشهر مات القاضي جمال الدين محمد ابن القاضي أبي المكارم ابن أقْضى القُضاة شرف الدين أبي القاسم الرافعي بن ظهيرة القرشي الشافعي، فجُهّز في يومه وصلّى عليه بعد صلاة العصر قريبه قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة ومعه خلق من الفقهاء وغيرهم، ودُفِن بالمعلاة عند تربة أسلافه بالحجون، وعَمل له ربعة بالمسجد الحرام والمعلاة ثلاثة أيام، وخُتِمَ له صبح يوم الثلاثاء .

وفي آخرها توجّه قاضي القضاة الشافعي إلى جدة لأجل موسم الهنديّ.

وكان وصل إلى جدة في يوم الأحد حادي عشر الشهر مركبان[1] من الهند، أحدهما من كنباية ويُقال له الشاهي المعروف بالناجي، وثانيهما من الديو للخواجا جمال الدين بن مالك الحلبي، وفي كلّ منهما أصناف القماش والبهار وغير ذلك. وكانت الريح عوّقتهما نحوالشهرين في المراسي قريب جدة، وأخْبَر رَكَبتهما بغرق مركب وصل من دابول[2] يقال له ....[3] فيه نحو مائتي راكب لم يخلص منهما غير عشرة، وذلك داخل باب المندب .

شهر رجب الفرد الحرام من سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م)

جعله الله مباركا. استهل كاملا في ليلة السبت. وفيه انحطّتْ الأسعار قليلا في الحب .

وفي يوم الإثنين عاشر الشهر وصل قاصد من مصر اسمه مسلّم وذكر أنّه خرج

(١) بالأصل: مركبين .
(٢) دابول: من بلاد الهند على الساحل المقابل لشواطئ عُمان .
(٣) بياض بمقدار ثلاث كلمات بالأصل .

من مصر عاشر جماد الثاني، وأنّ السلطان سافر من حلب إلى جهة الروم، وكان صحبته وفارقه من بلاد عنتاب، ووصل صحبته مراسيم للشريف بركات مضمونها: تفويض الخنكار أمر الحجاز إليه وكذا اليمن والهند، فأمر ولده الشريف أبا نمي بزينة مكة سبعة أيام ولعب العيري عند منزله بأهل مكة السوقة. وجاء مع القاصد عدّة أوراق للحجازيين الذين بمصر، اطلعتُ على بعضها.

وفيها أنّ الأمير مصلح الدين الرومي وصل إلى مصر صحبة المقرّ الشهابي ابن الجيعان وأهل مكة الذين رفقتهم في ثاني شهر جماد الأول بعد شدّة حصلتْ لهم في البحر يوما [١٣ ب] واحدا في مكان يُقال له الوفادي بعد أن أيقنوا بالغرق ونجّاهم الله تعالى، وأنّ ملك الأمراء نائب الديار المصرية خائر بك لا يحدث عزلا ولا ولاية في الحجاز ولا غيْره. وأنّ القاضيين بديع الزمان ابن الضياء الحنفي وعبد الحق النويري المالكي اجتمعا به ومعهما المحيوي العراقي فحصل للأوّلَيْن منه غاية الجبْر، ثم أوْقفهما على مرسوم يتضمّن التفويض له من العريش إلى آخر الحجاز ثم قال لهما: لكن أتأدب مع الخنكار، وأشار عليهما بالسفر إليْه لِيَلِيَا[1] من عنده، ورسم لهما بمائة دينار وللعراقي ثلاثين دينارا. وقد عزم القاضيان على السفر صحبة الأمير مصلح الدين إلى الخنكار فإنّه معتن بهما كثيرا ويعِدُهما بكل خير، والظاهر أنّ الخنكار يردّهما بلا ولاية إلى خائر بك ملك الأمراء ليوليهما هو وينظر في أمرهما، فإنه بلغنا أنّ السلطان وكّل أمر مصر إليه .

وقد تقرّر جماعة في الذخيرة الشريفة منهم الشيخ نور الدين حمزة الرومي في مائة دينار، وبركات أما قُطْلُباي[2] في ستّين بواسطة أنه دخل في مصلح الدين بباب حدب[3] وصلاح الدين والقاضي بديع في ثلاثين، وملا علي الرومي أربعين، وجماعة

(١) بالأصل: ليليان .
(٢) بالأصل: فلطباي .
(٣) كذا بالأصل .

أروام ما بين عشر وعشرين[١] ونحوها، ولإماميْ الحنفية عبد الله وأحمد البخاري بين ثلاثين .

وقد توفّيتْ أمّ القاضي شهاب الدين بن الجيعان، وهي جارية تركية، وأخت البرهاني السمرقندي زوجة أبي السعود بن زبرق، وهي سُتَيْت[٢] ابنة الشيخ زائد الشاهد، والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الميري بالمحلّة سادس المحرم سنة تاريخه .

ومصر طيّبة غير أنّ بعض الأروام من بعد العصر يحصل منهم بعض عبث على الناس، وإلحاح كبير، وأميره ابن موسى والمحتسب. وليس بمصر رخيص غير الحبوب، وتاريخ الورقة رابع جماد الآخر .

وفي ضحوة يوم الخميس ثالث عشر الشهر توفي إلى رحمة الله تعالى الفقيه العدل أبو الخير ابن الشيخ بدر الدين حسن بن عطية بن النجمي محمد بن أبي الخير ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الحنفي - قرابة كاتبه - فجأة، وكان يحصل له ضيق النّفَس ويبرز لحاجته، ومن ذلك في صبح تاريخه، فجُهّز في يومه وصُلّيَ عليه بعد صلاة العصر، وشيّعه جماعة من الفقهاء ودُفِن بجانب قبر والده على قبر جدّه القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله بن فهد. وخلّف ولدين صغيرين وزوجة، وترحّم عليه الناس لفقره وضعفه، رحمه الله .

وفي ليلة الجمعة ثاني تاريخه وصل من جدة إلى مكة قاضي القضاة الصلاحي ابن ظهيرة لأجل قراءة المراسيم[٣] الشريفة الواصلة إليه من ملك الأمراء خائر بك نائب الديار المصرية بعد إرسال قاصد له من عند الشريف أبي نمي ابن السيد الشريف بركات. فاجتمع في صبح تاريخه تحت حطيم زمزم تجاه الباب الشريف - على العادة - الشريف أبو نمي وبعض الأشراف والقضاة الأربعة وخلق من العامة،

(١) بالأصل: ما بين عشرين وعشرين .
(٢) كلمتان تكررتا بالأصل .
(٣) بالأصل: مراسيم .

فقُرئ مرسومان للشريف وولَده مضمونهما: وصول الأمير مصلح الدين الرومي والمقرّ الشهابي بن الجيعان إلى الديار المصرية وأثنَيا على المقرّ وشكَرا هِمّته وذكرا أمان البلاد، وأنّ الجمل الواحد يسير من مكة إلى جدة والينبوع وليس معه رفيق. فحمدنا الله تعالى على ذلك. وقصد الأمير [١٤ أ] مصلح الدين الإقامة بجدة مدّة أشهُر ليرسل الشهابي القاضي ابن الجيعان إلى الديار اليمنية لينظر في حالها ويتطلب الخواجا عباس. ثم بعد مدّة ظهر ....[١] له، فسُرّ بذلك الأمير مصلح الدين وتوجّه مسرورا. ووصلتْ مكاتباتكم صحبة الأمير مصلح الدين وامتثلنا ما فيها، وكنّا أرسلنا لكم تشترون[٢] لنا ما نحتاج إليه من البضائع الهندية واليمنية، فالآن تبذلوا هِمّتكم في ذلك وتجعلوا معشَر جدة على زمن الأشرف قايتباي، فإنّ بيننا وبينكم محبة قديمة في زمن الأخ قانصوه المحمدي مجاورا بمكة[٣]، وحصلت[٤] له العناية والمساعدة منكم، ولنا فيكم محبة. ولما وصل إلينا قاصدُكم الشيخ مسلم وأخبرنا بعافيتكم سُرِرْنا بها وأنعمنا عليه بتقرير مائتي دينار[٥] في كلّ عام له ولأولاده، ووصلت معه مكاتبات منكم تتضمّن ما ذكرتموه من جهة سلمان القبطان فامتثلنا أمركم وجَهّزناه بعياله وأولاده إلى إسطنبول .

فأنتم تهتمّون في ضبط المراكب التي بجدة وإصلاحها وتحرير ما فعله الأشرف الغوري وسلمان وتحتفظون بالعدة التي في الحواصل الكائنة بالفرضة وتجعلون قبطانا ترضوْنه. فإنه بلغنا وصول الفرنج إلى قرب

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بالأصل: تشتروا .
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل .
(٤) بالأصل: حصل .
(٥) بالأصل: مائتين دينارا .

جدة[١] فارتجّتْ مصر لذلك، فأنتم تجهّزون المراكب وتحتفظون بها وترسلون تعرّفوننا[٢] بحقيقة ذلك. وقد وكّلنا جميع الأمور إليكم، ومقامكم عندنا عظيم، ولا تأخذوا علينا بمكاتبتنا لكم بالأخ، فإنّ المقام الشريف الخندكاري رسَمَ لنا بتفويض الأمور من العريش إلى آخر الأقطار الحجازية. ورسمنا لكم بخلعة وكذلك لنجلكم السعيد الشريف أبي نُميّ.

ولُقِب الشريف بركات بألقاب كثيرة – كالعادة – وولده بالمجلس السامي ومرسومه أخصر من الأول. وبعد الفراغ من قراءة المرسومَيْن لبس الشريف أبو نمي خلْعة قفطان مدنّر ملون، مدنّر[٣] أصفر وأحمر وأبيض، ودُعِيَ بعد ذلك له ولأبيه ولناظر المسجد الحرام قاضي القضاة الشافعي. ثم بعد الفراغ طاف أسبوعا ودعا له الرئيس فخر الدين فوق ظلّة زمزم – كعادة أسلافه – ثم صلّى ركعتين خلف المقام، وتوجّه إلى منزله راكبا ومعه أتباعه وخلق من العامّة، ووصّله القاضي إلى باب المسجد الحرام ثم لحقوه إلى منزله وهنّؤوه بالخلعة وتتابع الفقهاء وغيرهم. ثم ألبَس الشريف خلْعة للوزير بجدة الجمالي محمد بن راجح الخفيصي وركب فرسه وتوجّه إلى منزله بالشبيكة وقُدّامه الطبل والزمر، وسُرّ الخلق في يومه هذا.

ووصلت فيه أوراق من جدة أرسلها الخواجا بيري الرومي، أمين الدولة المظفرية العثمانية، فيها أنّ الخنكار مقيم في أنطاكية وأرسل عسكرا إلى جهة الشرق لقتال الصوفي الخارجي، عدّتهم ثمانون ألفا غير ألفي إنقشاري مقدّمهم الوزير الأعظم بيري باشا، وكان في الروم، فطلبه السلطان منها لذلك، والله تعالى ينصرهم

(١) في هذا إشارة إلى الحملة الصليبية البرتغالية على جدة التي قادها LOPO SOARES وجمع فيها ستين مركبا حربيا تحمل ألفي محارب. ووصل إلى جدة فحاصرها ولكنه لم ينجح في الاستيلاء على المدينة. وقد روى تفاصيل هذه الحملة أحد المرافقين لها واسمه CORSALI الذي كتب يومياته ونقلها المؤرخ الفرنسي KAMMERER في كتابه البحر الأحمر LA MER ROUGE ج٢ ص٣٦٣ وما بعدها.

(٢) بالأصل: وترسلوا تعرفونا.

(٣) وردت الكلمة مرتين غير معجمة؛ ويمكن أن تقرأ " مدير ".

ويخذل عدوّهم.

وعيّن الأمير مصلح الدين لإمرة الركب الشامي في هذه السنة، فالله تعالى يحقّق ذلك.

وفي مغرب ليلة الإثنين سابع عشر الشهر رجع القاضي الشافعي الصلاحي ابن ظهيرة إلى جدة لأجل سفر المراكب الهندية لكوْنه قاضي جدة.

وفي صبح يوم الثلاثاء ثاني تاريخه مات محمد بن الشهاب أحمد الجوهري وصلّيّ عليه بعد صلاة العصر، ودُفن بالمعلاة بالشعب الأقصى، رحمه الله تعالى [١٤ ب].

شهر رمضان المعظم جعله الله مباركا، سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨م)

استهلّ كاملا في ليلة الثلاثاء.

وفيها صلّى بالناس في مقام الحنفية، تحت القبّة الجديدة قبل تكميلها المبنية في هذا العام، أبو البقاء محمد ابن إمام الحنفية المحدّث شهاب الدين أحمد بن محمد الحسني البخاري، وعمُرُه ثلاثة عشر سنة، وصلّى خلفه جماعة من الأروام والفقهاء وغيرهم، وباشر والده صلاة الوتر لوجوبها عندهم وصغر سِنّ الولد، واستمر كذلك.

وفيه اشتدّ غلو الحَبّ وغيره من الأقوات، بِيعتْ الربعية الحب الحجازية بثلاثة محلّقة، والرطل اللحم بمحلّق، والرطل السمن بأربعة محلّقة، والعسل بمحلقين ونصف، والرطل الجبن بثلاثة محلّقة، والراوية الماء الحلو بمحلق ونصف، والرّبْعية الأرز المصري بثلاثة محلّقة، والعنب رطل ونصف بمحلّق، وغالب ما ذُكِر لا يوجد إلاّ قليلا.

وضاق الناس لذلك[١] لاستمرار الغلو في جميع هذه السنة والتي بعدها، وذلك

(١) ثلاث كلمات مكررة بالأصل.

باحتكار الدولة وخَدَمهم لها، فضجّ العامة بالإنكار والدعاء عليهم. فسمع الحاكم القائد مبارك بن بدر فتوجّه بنفسه إلى السوق في عصر يوم الأربعاء ثاني الشهر وأمر الباعة بعدم الاحتكار وإظهار الأقوات في السوق ومَن لم يفعلْ لا يسأل ما يجري عليه، فأظهر السوقة البضائع، و لم تنزل عن سعرها، فالله يقدّر خيرا ويُرخّص أسعار المسلمين .

وفي هذا الشهر والاثنين قبله، رجب وشعبان، عمل الخواجا عبد القادر القاري الدمشقي صدقة شوربة أرز بلحم في مطبخ رباط الخواجا شمس الدين بن الزمن، فإنه استأجر أرضا من رقعةٍ بوادي سولة[١] من أعمال نخلة لفقراء الرباط. عمل طعاما[٢] لهم في كلّ سنة. بل سمعتُ أنّه أعطاهم غالبةُ وبقي اليسير منه، فعمل لهم الشوربة المذكورة فجعل في قدرين كبيرين فيهما كبشين وقريب مُدّيْن أرز وعشرين قربة ماء حلو فيفرّق على فقراء الرباط المذكور ورباطيْ ربيع والموفّق، وغالب فقراء مكة، فارتفقوا بها في هذا الغلاء. جزاه الله خيرا وعوّضه الربح في ماله، والنمو في عياله، وقضى عنه ديونه، وكبت عدوه وشونه .

شهر شوال المبارك استهل كاملا في ليلة الخميس
من سنة ٩٢٤هـ (١٥١٨م)

وبعض أهل الوادي العيد يوم الأربعاء من غير رؤية. وصلّى أهل مكة العيد صباح رؤيتهم .

وفي يوم السبت ثالث الشهر انحلت أسعار الحَبّ قليلا، بيعت الربعية المصرية

(١) سولة: عين وقلعة على رابية بوادي نخلة اليمانية عند الزيمة في الطريق بين مكة والطائف؛ البلادي: معجم معالم الحجاز ٤: ٢٥٣-٢٥٤؛ الحربي: المناسك ص٣٥٥ .
(٢) بالأصل: طعام .

بمحلقين ونصف، وسبب ذلك وصول ثلاث جلاّب من القصير إلى جدة فيها قمح مصري. وأخبَرَ الركبة بوصول عشرين جلبة إلى الينبوع .

وفي يومه قرأ سورة الأنعام عشرون[١] نفرا من أهل مكة والغرباء خلف مقام الحنفية مرّتين لتستمرّ قراءة ذلك في الجمعة مرتين يوم الإثنين وخلف صلاة الجمعة، ويُهدى ثواب ذلك في صحائف الأمير سلمان الرومي القبطان في البحر وهو [١٥ أ] غائب عن مكة، وكان قرّر ذلك وهو بها وجعل لكل واحد معلوم أربعة دنانير في كل عام ويقرؤون كلّ ليلة جمعة، ثم أبطل ذلك وجعل يومين في الجمعة كما تقدّم ذكره وزيدَ في المعلوم ديناران فصار لكل واحد ستة أشرفية بمجموع ذلك مائة وعشرون دينارا معاملة تاريخه .

وقرأ[٢] يوم تاريخه بعد صلاة العصر سورةَ الأنعام أيضا للخندكار الملك المظفر سليم خان ابن عثمان اثنان وأربعون[٣] نفرا خلف قبة الزمازمة بإشارة الأمير قاسم الشرواني نائب جدة المعمورة والآغا صندل الخصي عتيق السلطان بايزيد بن عثمان والشيخ نور الدين حمزة الرومي الحنفي وجعل ذلك في كل يوم، ولكل واحد معلوم عشرة دنانير في كل سنة، فمجموع المعلوم أربعمائة وعشرون دينارا .

وفي ظهر يوم الثلاثاء ثاني تاريخه وقعتْ[٤] هدّة بين الأروام ومماليك الشريف، صاحب الحجاز المنيف، وسببها أنّ مملوكا ضرب بعض السّوقة فحمى له بعض الأروام وضرب المملوك، فسمع أصحابه فركبوا على الأروام خيولا باللبْس الكامل. فلما سمع نائب جدة بذلك أمر الأروام باللبْس عنده وهيّأ مدافع النفط، فبلغ

(١) بالأصل: عشرين .
(٢) بالأصل: قرئ .
(٣) بالأصل: اثنين و أربعين .
(٤) بالأصل: وقع .

مقدّم المماليك القائد....[1] بـن عجـلان الحسـني فتوجّـه إلى الأمير وصحبتـه بعض المماليك فتكلّموا في القضية، فأصلح الأمير بينهم، فخمـدتْ الفتنـة ولله الحمـد على ذلك .

وفي يوم الخميس ثامن الشهر وصل الخبر إلى مكة بأنّ قافلـة جـدة حصـل لهـا سيْل في وادي حدّة -بالحاء المهملة - ووقع في سوقها حريق قبل المطر ثـم طفـئ بـه بعون الله تعالى. ووقع سيْل أيضا في ناحية أعلام الحـرم مـن جهـة الشرق فدخـل في ذيل مكة ووصل إلى بركة الحاج، فرخص الماء بمكة بحمد الله تعالى .

وفي يوم الأربعاء رابع عشر الشهر وصلت إلى مكة مراسيم شـريفة مـن نـائب الديار المصرية لنائب جدة المعمورة أرسل بها له السيد الشـريف بركـات، نصـره الله تعالى، مع قاصد وصل إليه ومراسيم له أرسل بها أيضا إلى مكة، فنـادى نـائب جـدة في شوارع مكة بالخروج إلى ظاهر البلـد لأجـل العَرْضَـة فخـرج صبـح ثـاني تاريخـه وصحبه جماعة من الأروام وتُرك الشريف وسنجق وطبل ومدافع كثيرة، فوصـل إلى الزاهر فاختلع به....[2] والأمير محمد بك وولده والقاضي زين الدين المحتّسب النـاظر بجدة المعمورة، فلبس الأربعة خلعـا أحسـنها خلعـة نـائب جـدة، ثـم ركبـوا خيولهـم ودخلوا مكة من المعـلاة، فلمـا وصلوا إلى بـاب السـلام دخلـوا إلى المسـجد الحـرام وجلسوا بالحطيم فلاقاهم قاضيا القضاة الحنفي نسيم الدين المرشدي والمالكي الجلالي الأنصاري والسيد عرار بن عجل، وكان في الشرق فوصـل يـوم تاريخـه وجلسـوا في الحطيم فتربّصوا له وجماعة من الفقهاء في قراءة المراسيم ساعة حتـى حضـر، فقُرئـتْ في المجلس ستة مراسيم أحدها للشريف بركات، وثلاثة لنائب جـدة، وواحـد للأمـير محمد بك، وواحد للقاضي زين الدين الناظر بجدة .

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .

فمضمون مرسوم الشريف: الشكرٌ منه وإخبـارُه بوصـول قـاصده ومفاوضتـه لملك الأمراء، وتجهّز عسكر بحْراً في المراكب الواصلة[1] إلى جدة للفرنـج المخذولـين، وأخباره، وإيصال عسكر بعد [١٥ ب] ذلـك في مراكـب أخـر، ووصيـة الشـريف بالاحتفاظ بالمراكب التي بجدة وغير ذلك من آلاتها. وتاريخ كتابـه في رابـع عشـريْ شعبان سنة تاريخه .

وأحَد مراسيم نائب جدة بمثـل ذلـك. وثانيـها إخبـاره بوصـول أربعـة آلاف إردب قمح لبيعها بمكة بسعر الوقـت علـى الضعيـف والقـوي بالسـوية بينـهم ومنـع المحتكرين له، وشراء بهار وقماش وغير ذلك بعشـرة آلاف دينـار للخنكـار. وثالثـها مضمونه سبعة فصول هي: [١] إخباره باستمرار عوائد البندر بجدة في زمن الأشْرف قايتباي الجاركسي [٢] عوائد الشريف في المعشر على ما كـان في زمـن نـائب جـدة بردبك الأشرفي [٣] وعوائد السلطنة في زمنه أيضا، [٤] وإبطال المكوسـات الزائـدة [٥] وبيْع القمح الواصل في المركب وشراء حوائج [٦] ومحاسبة القاضي زيـن الديـن الناظر وقبض المال منه [٧] وضبط المراكب التي بجدة وغيرها. وتاريخ في رابع عشر جماد الآخر عام تاريخه ٩٢٤ هـ .

ومرسوم الأمير محمد بك مضمونه إرسال خلعة له، وتقدمته على المراكب التي بجدة، وتحرير مراكب الأمير سلمان القبطان كان، ومعرفة ما عمله في زمـن الغـوري وهذه الدولة، فإذا تحرّر له شيء يسلم الرومي لجماعته بجدة .

ومرسوم القاضي زين الدين: الإنعام عليه بخلعة الوصية بالنظر بجـدة، والتّسـلّم منه ثلاثة آلاف دينار التي التزم بها للخزانة، وتحرير ما قبضَه في زمـن الغـوري، فـإذا أمكن ردّه على أربابه يفعل ذلك، وإلاّ يُحْمل إلى الأبواب الشريفة .

وبعد قراءة هذه المراسـيم الستة دُعِي للخنكـار وبعـده صـاحب مكـة السـيد

(١) بالأصل: الواصل .

بركات وبعده لنائب جدة قاسم الشرواني وبعده للأمير محمد بك وبعده لناظر المسجد الحرام قاضي القضاة الصلاحي بن ظهيرة، وكانت تقدّمته بعد صاحب مكة لكن نائب جدة أمر بتأخيره، وبعد الفراغ من الدعاء طاف نائب جدة أسبوعا وصَحِبَه الأمير محمد بك والقاضي زين الدين الناظر بجدة وهُمْ مختلعون، ولم يسبق بذلك عادة إلا لصاحب مكة، وفي هذه الدولة تغيّر ذلك، والأمر لله تعالى .

وبعد طوافٍ توجّه نائب جدة إلى منزله جهة باب العمرة في قاعة كاتب السرّ ابن مزهر الكبيرة المطلّة على المسجد الحرام، فمشى أمامه القاضي الحنفي والقاضي المالكي والسيد عرار بن عجل وجماعة القاضي الشافعي وكثير من الفقهاء والتّجّار فسلّموا عليه ثم عادوا، ونادى في البلد نائب جدة بالأمان وضمان عدم الاحتكار، ومَن فعل ذلك لا يسأل ما يجري عليه، بلْ مَسَك بعض الباعة وضربه وسجنه عنده فنزل سعر القمح إلى محلقين وتباشر الناس بالرخاء، فالله تعالى يحقّق ذلك .

وفي ظهر تاريخه وصلتْ أوراق من قافلة المدينة الشريفة، بأخبار وصولها إلى وادي مرّ، ووصول السيد الشريف معهم إلى مستورة[1] ثم تخلّفه بها مع عياله وتقدم القاضي الشافعي والقافلة عنه إلى وادي مرّ، ثم وصلتْ القافلة إرسالا إلى مكة المشرفة .

وفي ليلة الجمعة سادس عشر الشهر وصل إلى مكة قاضي القضاة الشافعي وأخته السيّدة سعادة وابن أخيه القاضي محب الدين ابن قاضي القضاة بهاء الدين والشيخ عبد الكبير الحضرمي وعديله الجمالي محمد ابن شيخنا عبد الله باكثير الحضرمي المكي والولوي أبو زرعة المنوفي أحد العدول الملازمين للقاضي الشافعي والشهابي أحمد ابن الشيخ نور [١٦ أ] الدين بن ناصر فهنّأهم الناس بالزيارة، تقبّل

(١) مستورة: بلدة على الطريق بين مكة والمدينة تقع قريبا من الساحل الشرقي للبحر الأحمر على بعد أربعين كيلومترا شمالي رابغ .

الله تعالى زيارتهم، وأشْركَنا في ثوابهم .

وأخبروا أنّ قاضي القضاة الشافعي قرأ عليه ابن أخيه المحبي كتاب الشفاء للقاضي عياض في شهر رمضان المعظم بالروضة الشريفة وعمل له ختما حافلا في صباح تاسع عشريْ الشهر حضره السيد الشريف بركات زعيم الحجاز وقضاة المدينة الأربعة وأكابرها من الفقهاء .

وفي آخر نهار تاريخه ألزم السيد بركات قاضي القضاة الشافعي المشار إليه إعادة الختم لكونه ما علم بعادة القارئ يلبس خلعة بعد الختم، فامتنع القاضي من ذلك فلازمه أشدّ الملازمة فما وسعه إلاّ الموافقة، فعمِل ختما ثانيا بعد صلاة العصر في الروضة الشريفة فقرأ القارئ المشار إليه الحديث القدسي من آخر كتاب الأذكار للنووي بسند السيد الشريف له، واستُجيز منه في المجلس وألبسه خلعة صوف أبيض مُبَطنة بصوف أخضر مع مقلب من سمور .

فمضى قضاة المدينة معه إلى منزله فحصل له بذلك غاية الخير من السيد الشريف، ذي القدر المنيف، ولم يتفق ذلك لأحد من أسلافه، فالله تعالى يزيده علوا ورفعة وسموًا ويُمَتّع المسلمين بطول حياته، ويحفظه من سائر جهاته، ويسعده في حركاته وسكناته .

وأشيع يوم وصول القافلة أنّ أوراقا وصلتْ بحرا من القاهرة المحروسة لجماعة من أهل مكة فيها الإخبار بولاية الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن ابن الخطيب فخر الدين بن أبي الفضل النويري المكي لوظيفة عمّهِ الخطيب محبّ الدين عوضا عن الجلالي أبي السعادات بن زائد الشاهد، ووَصلتْ [1] بذلك مراسيمه إلى القاهرة مع إقامته بالشام، ووصول المحيوي عبد القادر بن أبي الغيث بن زبرق في ولاية مثله للقضاء مع صِغر سنّهِ وعدم أهليته لها، فقدّر الله تعالى وصول أوراق من بعض أهل

(١) بالأصل: ووصل .

مكة الذين بمصر في يوم السبت ثاني تاريخه فيها الإخبار بعدم صحة ما أشيع من ولاية المحيوي بن زبرق لقضاء الحنفية فقط وأمّا وقف قليشان فصحّح لكنه لم يتم له بواسطة أنه توافق مع عمه الجمالي أبي الفوز بحضرة ملك الأمراء نائب الديار المصرية في العام الماضي في قسمة النظر بينهما نصفين، ومَن تكلم منهما في الزيادة على ذلك يكون عليه التزام بمال له صورة، فأظهر عمّه ذلك وساعده بعض الأكابر وغير ذلك أنّ ملك الأمراء أنعم بقراءة ربْعة بالمسجد الحرام وثانية بالمسجد النبوي وقرّر في الأولى المحيوي العراقي بواسطة محبّهِ المقر الشهابي بن الجيعان، ولم يصحّ ذلك، وزيادة خمسمائة دينار في الذخيرة الشريفة وتقرر فيها جماعة من أهل مكة منهم المحيوي العراقي وأصهاره أولاد الشيخ فضل بن عبد القوي ولزوجته وأختها طليقة المقرّ الشهابي بن الجيعان خمسين دينارا، ولأخويهما أربعين وغير ذلك ممن يلوذ به وغيرهم من الفقهاء .

وفي عصر يوم الإثنين تاسع عشر الشهر ولدتْ ابنة أبي الغيث بن زبرق الشيباني زوجة الشهابي أحمد بن مير علي المعروف بابن بنت قاضي القضاة البصارية [1] صهر الأمير سلمان الرومي ولدا ذكرا سُمّيَ سليمان وعَمل له زلابية وفرّقها على أكابر الناس والفقهاء .

[١٦ ب] وفي عصر يوم الأربعاء حادي عشريْ الشهر مات الشيخ المعمر المذكور بابنه شرف الدين يحيى بن عكاش العزي الحنفي بعد توعّكه مدة طويلة، فجُهّز في ليلته وصليّ عليه في صَباح تاريخه عند باب الكعبة وشيّعه جماعة ودُفن بالمعلاة عند تربة بني زائد القديمة، رحمه الله تعالى، وله من العمر اثنتان وتسعون سنة، وخلّفَ بنتين لولدِه المتوفى في حياته المدعو سالم وعدة وظائف وصُرَراً نزل بغالبها

(١) كذا بالأصل .

في حياته بعضها لبنات ولده، وحمام....[1] للقاضي قوام الدين الحنفي أحد تلامذته.

وفي يوم الجمعة ثالث عشريْ الشهر وصلتْ أوراق من مدينة عدن فيها الإخبار بغلوها وأنّ الربعية الحب المكية قيمتها ثلث أشرفي، والراوية الماء الحلو بأشرفي والحمل الحطب مثله، وسبب ذلك غلو زيلع، فإنّ الربعية الحب بها قيمتها نصف أشرفي، وقد أكل أهلها الكلاب والجِيَف، نسأل الله العافية وخاتمة الخير. واستيلاء الخراب في بلدان اليمن بموت سلطانها أحمد ابن الشيخ عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر في أحد الربيعين ثمّ ولاية ابن عمه عامر بن عبد الملك بن عبد الوهاب أم ولده أحمد الماضي وغيره وتصرفها في ماله، فسألها عن ذلك فتشوشتْ منه وبذلتْ مالا لبعض أخصائه وهو الشيخ عبد الرحمن ابن أخي الشيخ العيدروس على قتله، وجعل له سُمًّا في مشموم وقيل في غير ذلك. فلما أحس به أسْنَد السلطنة إلى قريبه محمد بن أحمد بن عامر بن طاهر فولي المقرانة[2] في العشر الأخير من رمضان بعد موته. وله بلد المقرانة.... وبندر عدن لا زائد على ذلك. والجراكسة وسلطانهم إسكندر بندر تعز، وأما غير ذلك من البلدان ففي يد العرب إلاّ صنعاء عادت إلى أهلها الزيْدية، والطرق مخيفة، فالله تعالى يصلح أحوال المسلمين، ويرخّص أسعارهم ويؤمّنهم في أوطانهم .

وفي ظهر يوم الجمعة المذكور ألْبَسَ نائب جدة الأمير قاسم الشرواني المعلّم عبد القادر الحميماتي المصري المهندس على قُبّة مقام الحنفية خلعة قفطان فيها، فعاد إلى منزل الأمير وسلّم عليه، وذلك لفراغ بناء القبة المذكورة في هذه الجمعة وتركيب الهلال الحديد عليها. وقد حَسُنَتْ بذلك وظهر عظمها عند فراغِها، لكنها كبر حجمها وكثُر ضَرَرها للمشاهد للبيت الشريف، والمحلّ المعظّم المنيف، فلا حول

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٢) المقرانة: بلدة أثرية من أعمال رداع باليمن. المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ص ٤٠٣، ٥٠٤ .

ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم .

وفي ظهر يوم الثلاثاء سابع عشريْ الشهر اجتمعتُ بالشيخ العلامة المفتي شهاب الدين أحمد بن علي بن قاسم بن محمد التجيبي الفاسي المالكي الشهير بالزقاق(١)، نفع الله به وردّه لبلده، وذلك في خلوة سكنِه بالمدرسة الزمامية المطلّة على الرواق الشمالي من المسجد الحرام، فأنشدني من لفظه قوله متشوّقا إلى بلده على منوال أبيات السيد بلال ﷺ:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ... بفاس وحولي أهلها وخيـــارها
وهل أردنْ يوما عذيْب مياهها ... وهل يبْدُوَنْ لي سورها وديـــارها

وأنشد لبعض المتقدمين في المعنى وذكره ابن عبد البر في الجامع شرح الموطأ:

ألا ليـت شعري هل أبيتنّ ليــــلة ... بوادي الخزامى حيث ربّيني أهلي
[١٧ أ] بلاد بها نِيطتْ عليّ تمائمي ... وقُطّعْن عنّي حين أدركني عقلــي

وفي مغرب ليلة الخميس التاسع عشريْ الشهر ماتتْ المرأة الأصيلة خديجة ابنة أحمد بن عبد الرحمن ابن الجمال المصري محمد بن أبي بكر بن علي الأنصاري المكي، فجُهّزتْ في ليلتها وصليّ عليها صبح تاريخها عند باب الكعبة بعد صلاة الصبح، ودُفِنتْ بالمعلاة عند قبر أسلافها بالقرب من قبر الشيخ أبي بكر الزّيْلعي، نفع الله به ورحمها، وعمرها نحو السبعين، وخلّفتْ ثلاث بَناتٍ اثنتان بمكة وواحدة بمصر من الشيخ المحيي ابن أبي الفضائل محمد بن محمد بن إبراهيم المرشدي .

وفي ضحوة نهار تاريخه وُلِد لي ابنة مباركة إن شاء الله تعالى سمّيْتُها أمّ محمد كمال ستّ الكلّ آسية، تبرّكا باسم زوجتي والشيخة المباركة الأصيلة آسية ابنة

(١) أحمد بن علي بن قاسم بن محمد التجيبي الزقاق الفاسي المالكي. ورد اسمه في النص " الدقاق " وهو خطأ أصلحناه. والزقاق رحل من المغرب وحجّ ولقي أعلاما وتفقه به الكثير وتوفي سنة ٩٣٢هـ . ترجمه ابن القاضي في درة الحجال ١: ٩٣؛ مخلوف: شجرة النور الزكية ١: ٢٧٤ .

جار الله بن صالح الشيباني، وأمّها أمّ الهدى زينب ابنة قاضي المسلمين نور الدين علي بن أبي بكر المرشدي الأنصاري الحنفي، أنشأها الله نشْأً مباركا وأنْبَتَها نباتًا حسنا .

وهنّأني بولادتها العلامة المفتي شهاب الدين أحمد الزقّاق المالكي، نفع الله به بقوله مُضَمّناً الحديث الشريف ....(١) .

شهر ذي القعدة الحرام من سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م)

استهلّ ناقصا في ليلة الجمعة وطلع الشهود بباب السلام جبلَ أبي قبيس لرؤيته بأمر قاضي القضاة الشافعي لتوعّكه وانقطاعه بمنزله .

وفي ليلة تاريخه وصلتْ قافلة من المدينة الشريفة وفيها قاضي القضاة الحنبلي محي الدين عبد القادر بن ظهيرة وهو منفصلٌ عن القضاء بأمر صاحب الحجاز، وباشر إمامة مقام الحنابلة بنفْسه صبح وصولِه، وسلّم الناس عليه تهنئة الزيارة، وكذا غيره من الواصليّن وهم الخواجا عبد الكريم ابن الخواجا أحمد الطهطاوي والقائد مبارك ابن القائد أحمد بن خزيمة .

وفي يوم الثلاثاء خامس الشهر وصل جماعة من المدينة الشريفة وصحبتُهم الفقيه العالم أبو(٢) الفضل قاسم ابن الخطيب أبي الحسن علي بن محمد السبتي الأندلسي المغربي(٣) نائب إمام المالكية كان، وهو ميّت من عسفان، فصلّى عليه ودُفِن بالمعلاة، رحمه الله تعالى. وخلفَ ولديْن ذكريْن صغيريْن وابنة كبيرة مزوّجة بمصري وجعل زوجَها وصيّهُ، أخلفهم الله فيه خيرا وعوّضه الجنّة .

(١) لم ترد في النص تهنئة الشيخ الزقاق .
(٢) بالأصل: أبي .
(٣) قاسم بن علي بن محمد السبتي الأندلسي المغربي. ترجمة البدر القرافي في توشيح الديباج، الترجمة رقم ١٦٧.

وفي هذه الجمعة كثر الفقراء الأطفال الكبار والصغار بوصولهم لمكة من البراري لشدة جوعهم وغلاء القوت، فصاروا يُلحّون في السؤال في المسجد الحرام والسوق وأزقّة البلد، بل سمعتُ أنّ بعضهم مات جوعا، فقيّض الله لهم الشيخ العلامة الزاهد شهاب الدين أحمد بن محمد النشيلي المكي الشافعي، نفع الله به، وكتبَ قائمة لجماعة من التجار يسألهم في إعانتهم بما فرضَه الله عليهم من الزكاة، فسمحوا له بمبلغ نحو خمسين دينارا مفرّقا من جماعة، وأعطاه قاضي الروم الإمام القدوة المنقطع إلى الله تعالى مصطفى بن ....[1] بمبلغ أربعين دينارا، فوضع الجميع عند الشيخ العالم المبارك شهاب الدين أحمد بن يوسف الزبيدي الشافعي نزيل رباط الخواجا شمس الدين بن الزمن ليعمل لهم في كلّ يوم شوربة أرز بلحم كما كان يفعله مع شوربة الخواجا عبد القادر القاري في الأشهر الثلاثة المتقدم ذكرها. فشرع في عمل ذلك في يوم الأحد عاشر الشهر، وصار يشتري لهم لحما بدينار ومُدّا ونصف أرز [١٧ ب] بأربعة دنانير، وديناريْن تكملة سبعة لقيمة الماء والحطب وأجرة طبّاخ وغير ذلك، وفي بعض الأيام يعمل لهم خبزا وغير ذلك من الأطعمة، واجتمع على ذلك نحو خمسمائة طنل من الفقراء، فالله تعالى يتقبّل فعل ذلك ويجزي المحسنين خيرا.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشر الشهر وصل جماعة من المغاربة الفقراء على درب الماشي من المدينة الشريفة وأخبروا بموت الخازندار بشير الساقي الخصي كان، بعد توعّكه ثمانية أيام في آخر شوال .

وفي يوم السبت سادس عشر الشهر حصل بمكة مطر يسير وحواليها مطر غزير فسال وادي عرفة وملأ برَكَ جميع الحاج التي بها، فتمّ بذلك غاية السرور .

وفي ليلة الأحد سابع عشر الشهر دخل الخواجا إبراهيم ابن الخواجا أحمد بن

(١) بياض بالأصل بمقدار كلمتين .

الحسين القاري الدمشقي على زوجته ابنة غريبه[1] وخالته، خديجة ابنة الخواجا عبد القادر بن محمد بن عيسى القاري الدمشقي، وعمره سبع عشرة سنة، والزوجة أكبر منه بنحو ثلاث سنين. فهنأ الناس الزوج في صباح تاريخها. وحضر والده ولم يحضر والدها، كعادة الشام، وعمِل لها وليمة قبل الدخول، فالله تعالى يجعلها مباركة على كلّ من أهلها وأهله .

وفي عشاء ليلة الإثنين ثاني تاريخه وَلدتْ صفيةُ ابنة قاضي القضاة النجمي ابن يعقوب المالكي ابنا[2] مباركا اسمه ....[3] من الخواجا عبد اللطيف الفاضل اليمني، وهو غائب بمدة في عدَن ووصل منه مبلغ لأمّه مع جماعة وصلوا بحرا في مراكب عدَنية فصادف نفاسها وأوسعتْ في المصروف.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر وصلت إلى مكة المشرّفة الشريفة غبية[4] زوجة السيد الشريف بركات أمّ ولَده الشريف أبي نمي، وهي من أشراف بني حسين، وفي آخر النهار وصلتْ زوجته الثانية الشريفة أمّ الكامل ابنة عجل من جدة، فقصدهما الأكابر للسلام عليهما .

وفي ليلة الخميس حادي عشري الشهر وصلتْ أوراق من السيد الشريف بركات إلى قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة، وصلتْ مع قاصِدِهِ مسلم من القاهرة المحروسة فيها بعض أوراق كتبها بعض الحاج لا ....[5] منهم المحيوي العراقي، وأخبر فيها أنه سافر من الأعيان المباشرين بالقاهرة سافروا[6] إلى إسطنبول

(١) كذا بالأصل .
(٢) بالأصل: اسما .
(٣) سقط الاسم من الأصل .
(٤) كذا بالأصل، ولعله " غنية " .
(٥) كلمة غير مقروءة بالأصل صورتها: " لا لعقبة " .
(٦) كذا بالأصل .

بحرا قبل خروج الحاج من القاهرة بيومين، لطلب الخنكار لهم، وهم القاضي كاتب الأسرار الشريفة وأمير الحاج وناظر الخاص كان العلائي ابن الإمام شرف الدين الصغير وبركات كاتب الخزانة، وعُيِّن لكتابة السرّ بالقاهرة عِوَض الأول المقرّ الشهابي ابن الجيعان، وتشوّش منه صاحب الوظيفة فحلف له على المصحف أنّه ليس له دخل في سفره ولا كاتبَ في جهته .

وتولّى إمْرة الركب المصري القاضي زين الدين بركات بن موسى المحتسب بالقاهرة وخرج معه خلق من الحاج فتعِبُوا في الجِمال لضعفها وقِلّتِها. وخرج على ساقة الحاج جماعة من العرب قبل وصولهم إلى العقَبة فأخذوا منه نحو مائتي حمل فيها زيت الحرم الشريف الآتي كان صحبة القاضي فضيل بن ظهيرة، فتبعهم أمير الحاج ومسك منهم ثلاثة أنفُس فقتلهم ولم يُحَصِّل [١٨ أ] الباقين وتهدّد شيخ العائد وكان مسافرا صحبْته، فقال له: لي علم بهم، ورجع من هناك إلى مصر جماعة من الحاج، وغلا كراء الجمال فبلغ كلّ جمل بخمسين دينارا، وحمل مع شخص حلبي صحبة الركب صُرر أهل الحرمين جميعها حتّى الذخيرة الشريفة، وكانت العادة مع أمير الركب .

وفي ليلة الجمعة ثاني تاريخه توفّيتْ جوهرة الحبشية مُسْتولْدة السيد الشريف بركات أمّ....[1] له درجوا بالوفاة وهي أوّل سراريه، فجُهّزتْ من ليلتها وصلّيّ عليها بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ودُفِنتْ بالمعلاة عند قبر الشيخ الشولي بجانب تربة الشيخ الجنيد المشرع، وشيّعها خلقٌ من الفقهاء والتجار وغيرهم، وعزّى الناس أخا[2] سيّدها الشريف سند[3] بن محمد وابن أخيه الشريف زهير ابن الشريف

(١) كلمة غير مقروءة في الأصل، لعلها «بنين» .
(٢) بالأصل: أخي .
(٣) بالأصل: « سندس » ولعله خطأ، فإنّ بعض أشراف هذا العصر يسمّى « سند » منهم سند بن جماز وسند بن رميثة، وقد ذُكرا في كتاب غاية المرام للعز بن فهد، انظر فهارسه .

حميضة .

وفي ضحى يوم تاريخه وصل إلى مكة نائب جدة الأمير قاسم الشرواني لقرْب زمن الحج .

وفي ظهر يوم السبت ثالث عشريْ الشهر وُلِد لمحيي الدين عبد الله ابن الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الشيخ شهاب الدين الفاكهي، وأمّهُ زينب ابنة قاسم المغربي الشهير بالدّبّ .

وفي صبح يوم الإثنين خامس عشريْ الشهر شُمِّرتْ ثياب الكعبة على حلَق لها على العادة .

وفي ضحى يوم الأربعاء سابع عشريْ الشهر وصلت أوراق السيد الشريف بركات، فيها أنّ الحاج وصلوا إلى خليص وهو خلفهم في الساقة وتقدّم ضحوة يومها وكان لاقاهم من مخشوش، منزلة بالجنب البزوي، ونيته الوصول الى مكة في ليلة الخميس مُحْرِماً .

وفي ظهر تاريخه وصل جماعة من هجّانة[1] الحاج ومشائخ العرب وتتابع بعدهم الحاج أكثرهم أو كُلّهم .

وفي أثناء ليلة الخميس المذكور وصل سلطانها الشريف زين الدين بركات فطاف بعد صلاة الصبح ودعا له الرئيس فوق ظلّة زمزم، وبعد الفراغ هرع الخلق للسلام عليه، واجتمع به الأمير محمد بك الرومي والخواجا بيري والآمدي شاه بندر جدة والقاضي زين الدين المحتسب الناظر بجدة، فتكلّم الشريف على نائب جدة لكوْنه بلَغَهُ عنه أنه يشتكي عليه ببيْعه للحَبّ والتّمر، وكتب ورقة بذلك وألْصَقَها على باب زمزم في شهر رمضان، فقال لجماعته المتقدّمين: أنا ما ظلَمْتُ أحدًا ولا أخذْتُ حقّهم بل وسّعْتُ عليهم لغلو الأقوات ويحصل لي الأجر على ذلك، لكنّه هو

(١) جنود يركبون الهجن يصاحبون ركب الحج .

رافضي يسكر ويتعاطى ما لا يليق، وأنا أعرفه وهو تاجر يحزم القماش. فصاروا يسألونه العفو، ثمّ ذهبوا من عنده وأخبروا نائب جدة بالمجلس فركب وأخذ[1] معه نحو مائتيْ روميّ وعبيد له، وتوجّه إلى منزل الشريف ونزل خارج بابه ووقف غالب جماعته هناك ودخل معه بعضهم وأظهر توعّكه فتعكّر عليه، فلما وصل إلى عند الشريف قام له قليلا وقال له القاضي الشافعي: الأمير متوعّك ! فقال الشريف: إنّ الله يحبس الفراعنة، فسأله نائب جدة عن معنى ذلك فقال له الشريف: قصْدي أنتَ، فعاتَبه على أفعاله معه، وأغلظ له في القول وأمره بالقيام من عنده فقام وهو متغيّر اللون و لم يُبْدِ جواباً قاله. فالله تعالى يُصْلح أحوال المسلمين، بجاه سيّد المرسلين .

وفي ضحى يوم تاريخه وصل إلى مكة جماعة من مشائخ عرَب العائد[2] وغيرهم مفارقين للحاج [١٨ ب] وتتابع بقيّتهم في آخر النهار، ودخل أميرهم القاضي بركات بن موسى المحتسب بالقاهرة وطوّفه فضيل ابن القاضي زين الدين عبد الباسط بن ظهيرة، وكان وصل صُحْبَته من القاهرة. فلما فرغ سعّاه ماشيا الإمام إسماعيل الطبري الشافعي، وكان لاقاه من ينبع، وبعد الفراغ عاد إلى الزاهر كعادة أمراء الحاج، فبات به إلى الصباح، فتوجّه له زعيم الحجاز السيد بركات بن محمد وولده أمير مكة المشرّفة الشريف أبو[3] نميّ وعسكرهما من بني حسن والأتراك والأعراب خيولاً ومشاة، فلاقوه هناك فخلع على الشريف خلعة قفطان وعلى ولده خلعة وعصابة على العمامة المدوّرة كعادة أهل مكة، وألْبَسَ كلاًّ من نائب جدة وولده وقاضي القضاة الشافعي والشريف عرار بن عجل وشاه بندر

(١) بالأصل: وأخذه .
(٢) عرب العائد: انظر عنهم الجزيري: الدرر الفرائد ص ١٣١٣ .
(٣) بالأصل: أبي .

جدة والقاضي زين الدين الناظر بجدة، ودخلوا مكة من ثنية كداء - بالمد -[1] من باب المعلاة، وأوصلوا أمير الحاج الى منزله مدرسة الأشرف قايتباي. ثم توجّه الشريف إلى منزله بأجياد ومعه جميع العسكر، ونائب جدة خلفه لما وقع بينهما .

وفي صبح يوم تاريخه تقدّم إمام الحنفية في الصلاة وسط حِجْر سيّدنا إسماعيل عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام، وذلك أنّ بعض الأروام لما رأى إمام الشافعية تقدّم إلى عند باب الكعبة الشريفة بجانب المعجنة التي يُقال إنها علامة لمصلّى جبريل بالنبيّ محمد ﷺ في وقت الصلوات الخمس على العادة في أيام الموسم أخذ بساط إمامهم وشمع محرابهم وتقدّم به إلى الحِجْر وتبعَهُ إمامهم فصلّى بهم في وسطه وطلع مُكبّرهم على جدار الحجر. فتشوّش الأخيار من ذلك لكونهم أحدثوا بدعة يحصل بها ضررٌ على الطائفين والمصلّين، وأنكر عليهم بعض الأخيار فلمْ يُفِدْه ذلك لكثرة البدع وقلّة المنكرين لها، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم .

وفي مغرب ليلة السبت سلْخ الشهر طلع على جبل أبي قبيس لرؤية الهلال قاضي القضاة الشافعي راكبًا لتوَعّكه، وطلع معه شهود باب السلام وجماعته وبعض الفقهاء لعدم معْرفَتهم بطلوعِه، فأقام به ساعة بعد صلاة المغرب، ونزل منه إلى المسجد الحرام وصلّى هناك ركعتين وأمر بالنداء لمن رأى الهلال فليتقدّم، فلم يرَه أحد .

شهر ذي الحجة الحرام من سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م)

استهلّ كاملا بالأحد. في صباحها اجتمع السيد الشريف بركات سلطان مكة المشرّفة وابن سلاطينها وولده الشريف أبو نميّ أمير مكة المشرفة وقاضي القضاة

(١) كُداء: ثنية بمكة بين الحجون وقعيقعان. وكَداء - بفتح الكاف - وكُدَى، وكُدَيّ وجميعها بمكة. عرّفها وبيّن مواقعها البلادي في معجم معالم الحج ٧: ١٩٦- ٢٠٣ .

الشافعي وناظر المسجد الحرام الصلاحي بن ظهيرة ونائب جدة الأمير قاسم الشرواني وغيرهم من التجار والأعيان عند أمير الحاج الزيني بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة بالديار المصرية وغير ذلك للتهنئة للشهر على العادة. فتكلّم الشريف على نائب جدة بحضرته وتهدّده بأمور كثيرة بلغَتْهُ عنه، فلم يردّ له جوابا، وإنّما قال له: إيش قصْدك يا شريف ؟ فقال له: قَصْدي قطْع رقَبتِك وإراحة المسلمين منك، فقال له: لو كان اليسق العثماني[1] النائب يسافر من محلّ نيابته بلا طلَب من السلطان كنْتُ سافرْتُ من بلَدك ! فتكلم أمير الحاج في الصلح بينهما فاصْطلَحا بعد ذلك، وخلع أمير الحاج على كلّ من الشريف وولده ونائب جدة والقاضي الشافعي كالعادة وتوجّهوا إلى منازلهم .

[١٩ أ] وفي يوم الثلاثاء ثالث الشهر فرّق أمير الحاج الذخيرة الشريفة بسكنه مدرسة الأشرف قايتباي بحضرة قاضي القضاة الشافعي والخواجا شمس الدين ابن شيخ سوق الدهشة الحلبي، وذلك بإشارة ملك الأمراء خاير بك المظفري نائب الديار المصرية، وأنّه من المقرّبين عنده، وكانت تفرقَتُها هنيّة، أصرِف كل دينار ثلاثة وعشرين مُحَلّقاً على العادة، وأكْمِلتْ تفرقتها في ثاني تاريخه .

وفي يوم الخميس خامس الشهر وصل سبْق الحاج الشامي فتباشر الناس به بعد إياسهِمْ منه، وكان وُصُولُه على التجّار من الفرَج بعد الشدة .

وفي صبْح يوم الجمعة ثاني تاريخه توجّه الشريف بركات زعيم الحجاز لملاقاة أمير الحاج الشامي وولده الشريف أبو نمي وهو دوادار نائب الشام المقرّ الكافلي

(١) اليسق العثماني: كلمة تركية معناها: قوانين التعامل الاجتماعي والسياسي والإداري مع الدولة. وأصل الكلمة كما ذكره المقريزي في الخطط أن جنكيز خان لمّا غلب على الحكم قرر قواعد وعقوبات في كتاب سمّاه " ياسا " وهو الذي يسمّى " يسق " كانت منه نسخة في المدرسة المنتصرية. الزبيدي: تاج العروس مادة (ي س ق) ٧: ٩٧. وأصبحت كلمة " يساق " تعني الممنوع في بلاد شمال إفريقيا. ولعل في الجملة الواردة في نص الكتاب كلمتان سقطتا لتكون الجملة مستقيمة كما يلي " لو كان النسق العثماني يُجيز للنائب أن يسافر " .

جان بردى الغزالي المسمى أصلان[1] ورفيقه استدار نائب الشام عماد الدين إسماعيل ابن الأكرم العناني وهو حركة أمير الحاج وليس له حركة إلاّ به. فلاقوْه في الزاهر على العادة وليس كل منهما خلعةً ومشوا معه إلى محطته في الأبْطح، وعاد الشريف وولده إلى منزلهما ومعهما جميع عسكرهما .

وفي صبح يوم السبت سابع ذي الحجة الحرام فُرقتْ الصرَرُ الشامية عند مقام الحنفية بحضرة ناظِرها الشيخ العلامة مفتي المسلمين أقْضَى القُضاة تقي الدين أبي بكر ابن محمد بن يوسف القاري ثم الدمشقي الشافعي، متّع الله بحَياته، وأدام النفعَ به وبركاته، وكتبَ له السلامة، في السفَر والإقامة. وقد وصل صحْبة الركب الشامي وحضر تفْرقة ذلك قاضي القضاة شيخ الإسلام ناظر المسجد الحرام الصلاحي بن ظهيرة الشافعي، أجلّه الله تعالى، وكثير من أعيان الفقهاء، فقبَضَ الجميع عن سنتين ماضيتين وهما سنة اثنتين وعشرين والتي تليها، لكون الحاج الشامي لم يطلعْ فيها، فحصل جبْرُ أهل مكة بذلك وتضاعف دعاؤهم للناظر وملك الأمراء نائب الديار الشامية لهمّته في ذلك وذمّوا المصريين لتساهلهم في صرْف استحقاقِهم وكوْنهم وصَلوا قبل الشاميين و لم يفرقوا الحكمي والمستجدّ[2] وتأخيرهم في صرف أوقاف بقية القضاة الثلاثة بمصر، والعادة يفرّقون[3] عند وصول الحاج .

وفي ظهر تاريخه خطَب الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النّويري خطبة السابع و لم يُشْكَرْ فيها وكان غائباً عن مكة في الشام مدة ثلاث سنين متوالية. ووصل صحْبة الركْب عام تاريخه متولياً لاستحقاق عمّه في الخطابة وهو الثلثان، وله

(١) جان بردى الغزالي المسمى أصلان أمير الحاج الشامي: انظر تفاصيل أخباره التي عرضها ابن إياس في الجزء الخامس من بدائع الزهور، ارجع إلى الجزء الأول من فهرس الأعلام ص ٤٧٥-٤٧٦ .

(٢) الحكمي والمستجد: وقف يصل ريعه إلى أهل مكة من الشوافع كل سنة، وهو يعود إلى العصر المملوكي ثم استمرّ في بداية عصر العثمانيين .

(٣) بالأصل: يفرقوا .

قَبْل ذلك السدس، وعجِب أهل مكة من تأخير الخطابة له مدّة غيبته مع كثرة طالبيها والساعين فيها ومعرفتهم بتقصيره عن القيام فيها لعدم فضيلتِه، لكن ذلك لأمر يريده الله، وكان أمر الله قدَراً مقدورا .

وفي ليلة الأحد ثاني تاريخه فُرِّق صَرّ الشافعي بمصر المعروف بالحكمي على يد مباشر أمير الحاج المصري المسمى....[1]صهر المقرّ الشهابي بن الجيعان في منزل قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وتأخرت[2] تفرقته بالمسجد لضيق الوقت وكانت رسالته مفقودة لكون المباشرين بمصر غفلوا[3] عن إرسالها صحبة أمير الحاج ثم أرسلوها بحراً صحبة الإمام جمال الدين. [١٩ ب] المدعو عبد البر الطبري فوصل إلى ينبع ثم ركب في البر إلى مكة فدخلها يوم سابع ذي الحجة فاطمأن خاطر[4] أهل مكة بوصول الرسالة صحبة الإمام عبد البر الطبري، وأخَّرَتْ تفرقة المسجد إلى منى لضيق الوقت.

وفي صباح ثاني تاريخه صعد الحاج إلى عرفة وأقاموا بها إلى الغروب، وكانت الوقفة المباركة بالإثنين تاسع الشهر، والحج هنيا، مع وجود الغلاء في جميع الأقوات، بحيث بِيعَ [5] الرطل السمن بعشرة محلقة والكبش بدينار وأكثر من ذلك والبطيخ الأخضر كل واحدة قيمتُها نحو ربع دينار وأكثر، والشكْوة اللبن الصغيرة بقريب دينار. فقاسى الحاج من ذلك شدة، أزالها الله بوجود الأمن والبركة .

ووقف أمير الحاج المصري والشامي ومحملهما تحت الجَبَل في الموقف الشريف

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) بالأصل: وتأخّر .
(٣) بالأصل: غلقوا .
(٤) بالأصل: حاضر .
(٥) بالأصل: أبيع، وقد أصلحناه وأصلحنا غيره مثله في النص، ولعل ذلك من عامية أهل مكة في ذلك العصر .

على العادة، وصحِبْتهما سلطان البلاد السيّد بركات وولده الشريف أبو[1] نمي وإمام الموقف قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وجميع الخلق. واستمروا واقفين إلى الغروب ثم نفروا مستَجابي الدعاء إن شاء الله سالمين غانمين فرحين مستبشرين بالغفران ودخول الجنان. ودفعوا إلى مزدلفة وباتوا بها إلى الإسْفار ثم دخلوا إلى منى في يوم الثلاثاء عاشر الشهر وعَيدُوا بها. وعمل أمير الحاج المصري حرّاقة نفط عظيمة وفرّق على المتفرّجين لها عِلَب حلوى وسكرًا مُذاباً، و لم يُعهَد فعل ذلك لغيره، ورموا بها جمرة العقبة، وتوجّه أمير الحاج المصري والشامي وغيرهما إلى مكة وألْبسوا الكعبة الشريفة ثوْبها على العادة وطافوا وسعوْا ثم عادوا إلى منى وأقاموا بها ثلاثة أيام .

وفي يوم الثاني من تاريخه فرّق أمير الحاج المصري صرّ أهل مكة المستَجدّ في منزله.

وفي يوم الخميس ثاني عشر الشهر كان النفر الأول ورجع الخلق إلى مكة إلا اليسير، على العادة، وتأخر أميرا [2] الحاج المصري والشامي وركْبهما إلى النفر الثاني، ثاني تاريخه على العادة .

وفي يوم الجمعة المذكورة ثالث عشر الشهر سافر الحاج المصري من مكة .

سنة خمس وعشرين وتسعمائة ٩٢٥ هـ (١٥١٩م)

استهلتْ وهي متتابعة الغلاء فقاسى أهل مكة لذلك شدة البلاء فالله تعالى يُرْخيها، ويكتب السلامة فيها، فإن حوادثها مظلمة، وللأنفس مؤلمة، وتحتمل كتابتها

(١) بالأصل: أبي .
(٢) بالأصل: أميري .

مجلدة، والمطوّلات في الصّحف مخلّدة، ورحم الله بعض الناس، حيث قال في هذا القياس:

ولو كتبْتُ كلَّ ما علمتهُ   لضاقتْ الأنفاس والقرطاس

لكنّي أذكرُه مختصرًا   مبتغيًا [1] لما عليه الناس

كان أول شهر الله المحرم الحرام بالإثنين. واستهل ناقصاً مع أن السماء مغيّمة، والآفاق مظلمة. ووصل الخبر في أوله إلى مكة المشرفة أنه حصل في بندر جدة سيْل عظيم طالب[2] من غير مطر امتلأت منه الصهاريج جميعها ثم دخل البحر من جهة اليمن. وانتفع به أهل البلد كثيراً بعد قحطهم من الماء وبلوغ.... [3]

وحصلت في وادي مَرّ سيول كثيرة وكذا في هدّة بني جابر[4] بحيث ذكر الأكابر الذين شاهدوا [٢٠ أ] ذلك أنهم لم يعهَدوا مثله. وتهدّم كثير من الأصائل[5] الكبار وقَلعتْ الزرع، وقُتِل في السيل أكثر من سبعين نفسا غرقا، وكثرَ الجراد في مكة وضواحيها بحيث جُلِب إليها في شطائر من جلود وبيعَ في السوق كل كومٍ عدّتُهُ ثماني جرادات بدرهم، واستعاذ الخلق من ذلك، فالله يَقِينا وإياهم المهالك .

وفي يوم السبت سادس الشهر ازداد غلو الأقوات بمكة بعد انحلال سعر الحَبِّ يسيراً لكون الحب وصل إلى مكة. فإن الحكّام بجدة وذوي الشوكة من الأروام اشتروا جُلّاب الحبّ الواصلة إليها فتقاسموها بينهم خلا البعض فبقي للناس واشتراه السوقة بالجاه أيضاً

(١) كذا بالأصل، ولعل صوابها " متبعا " .

(٢) كذا وردت الكلمة بالأصل .

(٣) بياض بالأصل بمقدار كلمة .

(٤) هدة بني جابر: تقع في بداية مر الظهران، ذكرها الفاسي في العقد الثمين ١: ٣١، ٢: ٩٠؛ البلادي: معجم معالم الحجاز ٩: ١٦٨ .

(٥) الأصائل: جمع أصيلة وهي الحديقة .

وأدخلوها الحواصل، فضجَّ الناس لذلك وتكلموا مع الحاكم القائد مبارك بن بدر بسبب ذلك، فأمر صبيانه بتلقّي الركبان والقوافل الواصلة من جدة ومنْعِهم إدخال الحَب الحواصل، جزاه الله خيراً .

وفي يوم الأحد ثاني تاريخه عدِمَ الحَبُّ من السوق وبيع بعض شيء في حلقة الأشرف قايتباي لأن صبيان الحاكم مسكوا بعض حمول من القافلة وأدخلوها هناك فبيعت الربعية الذرة بستة محلقة وزاد في آخر النهار محلقا وصارت في البيوت و لم يتظاهر السوقة بشيء من الحبوب وبِيعَتْ الربعية الدهلكية بثمانية محلقة ونصف، والربعية الشعير بستة محلقة، وربعية الحب السيّال الحجازي المسمى عند الأتراك بخشي طرى بخمسة محلقة، وزاد في آخر النهار محلقين فضجّ الخلق لذلك وأرادوا رجم صاحبه فأعاد سعرَه إلى خمسة، ونادى المحتسب في الشوارع بالنداء أن اللحم الضاني يُباع كل رطل بمحلق وربع، والرطل الماعز بمحلق، واللحم الجملي رطل ونصف بمحلق، واللحم البقري رطل وربع بمحلق، وأن اللبن يباع في السوق للأكالين ولا يشتريه الجبانة[1] ومن خالف ذلك لا يسأل ما يجري عليه، فلم يلتفتْ أحد إلى كلامه .

وفي يوم الإثنين ثامن الشهر ولي الكمالي أبو الفضل بن أبي علي نظر المواريث بمكة عوض عثمان البوني واستناب الجمالي يوسف بن كحليها[2] في جمْع التركات بأمر السيد بركات .

واتفق يوم تاريخه أن مات شخصٌ حمَّالٌ على ظهره كان يُظهِر الفقر ويُلِحّ في

(١) الجبانة: صانعو الجبن .

(٢) كذا ورد الاسم في الأصل، وبعد اللام حرف غير معجم .

السؤال فوُجِد معه خمسة عشر ديناراً عتيقة وأشرفيتان[1] مساعيد وبعض محلقة له مربوطة على وسطه، فتعجّبَ الناس لذلك وقستْ[2] قلوبهم لهذه الفِعْلة، وصار التجار يتحجّبون عن الفقراء بسبب ذلك .

وفي يوم الثلاثاء ثاني تاريخه سافرتْ الشريفة أم الكامل ابنة عجل وأختها الشريفة بيدح إلى الفريق[3] بطلب السيد الشريف بركات لهما على ما يُقال .

ووصلت إلى مكة قافلة من اليمن فيها سمن، فنزل سعر السمن إلى عشرة محلقة ونقص عن سعره الأول محلقين، فالله تعالى يرخّص الأسعار .

وفي يوم الأربعاء عاشر الشهر بِيعَ الأرز كلّ ربعية بعشرة محلّقة ونصف وعُدِم بقية الحبوب. ووصلتْ قافلة من اليمن فيها سمن فاشتراه بعض سوقة جدة لكون السعر بها بلغ ثلاثة أرباع دينار فعُدِم السمن من السوق، فلله الأمر من قبل ومن بعد ذلك .

وفي يوم الخميس ثاني تاريخه أشيع بمكة وصول جلبتين من الشام وجلبتين من اليمن فيهما حبّ [٢٠ ب] وأن الوزير بجدة الجمالي محمد بن راجح أمر بفتح شونة[4] مخزون فيها حب للبيع على أهل جدة فرخص الحب بها وبيع كل إردب بستة عشر دينارا ذهبا[5] وكل ربعية بأربعة محلقة ونصف وبخمسة .

---

(١) بالأصل: أشرفيتين .

(٢) بالأصل: قَسِيت .

(٣) الفريق: المكان الذي يضرب فيه الشريف خيامه عندما يكون خارج مكة .

(٤) الشونة: هنا معناها مخزن الغلة. وأقدم شونة بمصر بناها صلاح الدين لتُخزن فيها الغلال الواردة من الصعيد والموجهة للحرمين وغيرها، وعليها موظف اسمه أمين الشون. وقد تستعمل الكلمة للدلالة على نوع من المراكب المعدة للجهاد في البحر. وجمْعُها شواني. انظر الزبيدي: تاج العروس. مادة " ش و ن " ٩: ٢٥٧. وقد استعملها المؤلف للمعنيْن في كتابه .

(٥) بالأصل دينار ذهب .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر الشهر جُلِبَ حمول حَبّ إلى مكة فوُضعتْ عند الحناطين في السوق فتباشر الناس بها وبيعت الغرارة المصرية بألف محلّق وأربعين محلقاً، جملتها ثلاثة وأربعون[1] ديناراً، وباع السوقة على أيديهم كل ربعية حب مصرية بخمسة محلقة ونصف .

وفي ظهر تاريخه قرأتُ مع جماعة من الفضلاء جميع صحيح البخاري خلا اليسير في أجزاء مفرّقة ودعونا الله تعالى عقب ذلك برفع الشدة عن المسلمين وذهاب[2] الغلاء عن بلد الله الأمين، فالله تعالى يستجيب دعاءنا، وينصرنا على أعدائنا، ويؤمّننا في أوطاننا، وينصر سلطاننا .

وفي صلاة عصر يوم الجمعة المذكور قَنَتَ إمام الشافعية، ودعا الله تعالى بدفع البَلِية .

وفي يوم الإثنين خامس عشر الشهر حصل بمكة مطر غزير أرجو من الله تعالى حصول النفع به .

وفي يوم الخميس ثامن عشر الشهر ماتت المرأة الكامل شاذنة ابنة محمود الناخوذة أم الجمال محمد بن علي الفرّاش الشهير بالناخوذة، لجدّه لأمّه. فصلّي عليها عند باب الكعبة بعد صلاة العصر وشيّعها جماعة من الفقهاء وغيرهم لأجل ولدها، فإنه عنده حشمة ومودّة للناس، وعمِل لها ختماً بالمعلاة في صباح يوم الأحد رابع يوم وفاتها حضره القضاة والفقهاء .

وفي يوم السبت عشريْ الشهر وصل لمكة أحمال من السمن فبيع كل رطل بثمانية

---

(١) بالأصل أربعين .

(٢) بالأصل ذهب .

محلقة في السوق، ونادى المحتسب بأن يباع بسبعة محلقة، فتشوش أهل السوق لذلك وعزلوا دكاكينهم وقالوا: لا يخلصهم السمن من السوق، وصار يباع بالدس في البيوت بما أرادوا من الأسعار .

ثم في الإثنين ثالث تاريخه أنعم الله تعالى بوصول قافلتين من اليمن والشرق فيهما سمن كثير فبيع الرطل بسبعة محلقة ثم تناقص في هذه الجمعة إلى أن وصل لأربعة محلقة ونصف، وبأربعة .

وفي ليلة الثلاثاء ثالث عشريْ الشهر دخل الخواجا سلطان بن محمد بن علي الفومني العجمي على البنت البالغ زينب ابنة قاضي القضاة الحنفيّ المرحوم نور الدين علي بن أبي الليث بن الضياء القرشي العمري. وكان عقده في ظهر الجمعة تاسع عشر الشهر بمباشرة شقيقها القاضي أبي السرور بن أحمد وحضر ذلك عمّها فقط ولو كان أخوها الكبير بمكة ما فعَل ذلك ولا رضي به. وهنأهم بعض الناس في صباحية الدخول ولم يعمل لهم معمولا[1] على عادة أهل مكة بل مرّ الطيب بمفرده. وبعد الفراغ عُملت سفرة صغيرة لأهل البنت. فالله تعالى يجعله مباركاً عليها ويثيب المرأة، ويجعله مباركاً عليها وعلى أهلها .

وفي يوم الثلاثاء المذكور وصلتْ قافلة من المدينة الشريفة فيها الشيخ محمد بن مرزوق اليماني المعتقَد، وصحْبته جملة أوراق اطلعتُ على بعضها فيها الإخبار بغلو المدينة بحيث بيع فيها الحب المدني وهو ثلاث رباعي مكية بخمسة عشر محلقاً، والسمن كل رطل مصري بتسعة عشر محلقا، وعُدِمَ فيها الماء والخضَر، واشتد ذلك عند دخول الحاج الشامي. فالله تعالى يُرخّص أسعار المسلمين، ويكتب السلامة على الحجاج

(١) المعمول: نوع من الحلويات يصنعها أهل مكة في المناسبات إلى عصرنا الحاضر .

والمسافرين، في البر والبحر من المسلمين .

وفيها: أنه مات بالمدينة قاضيها الحنفي كان سعد الدين سعيد ابن قاضيها أبي الفتح الزرندي رحمه الله تعالى [٢١ أ] وهو مفصول عن القضاء مدة ثلاث سنين، وكان عاقلاً ساكناً وبيْننا وبينه مودة ورفقة في السفر، وخلف والده وأخا غائباً في الروم، عوّضهم الله تعالى فيه خيراً .

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه وصل الخبر لمكة أن جلْبَة من زيْلَع وصلتْ إلى جازان وأخبرتْ كُتُبُها أن الحب فيها رخيص ثمن كل طنم[1] تسعة أشرفية، فتباشرَ أهل مكة بذلك ونزل سعر الحب الحنطة كل ربعية بخمسة محلقة واللقيمية والذرة والدخن بستة محلقة والربعية الزبيب بأربعة محلقة والرطل التمر بمحلقين إلاّ ربعاً، وظهر كثير من ذلك في السوق، فالله تعالى يزيد من الرخص ويكثر الخير على المسلمين، خصوصا جيران بلد الله الأمين .

وفي يوم الخميس خامس عشريْ الشهر اتفقتْ[2] كائنة غريبة يجب علينا إيرادها ليُستفاد عن حكّام زماننا، وهي أن قاضي الشافعية الصلاحي بن ظهيرة المكي حكم لوالدي حكما في سنة ٩٢٢هـ بسبَب أنّ شخصا تاجرا يُقال له جلال الدين القرشي خاصَمنا في جِدار تحت ظِلّة لنا سقط من مدة ثلاثين سنة وأراد الوالد إعادته فتواصلا إلى القاضي المذكور وأثبتَه الوالد عنده بحضور الخصم بشهادة خطيب المسلمين محب الدين النويري وثلاث نسوة غيره، وحكم بموجب ذلك، فاشتد شقاق الخصْم لمجرد عناده لنا فلازم حكّام البلد وذلك مدة ثلاث سنين، فلما مات الوالد رحمه الله تعالى لازم الخصم

(١) الطنم: وحدة من المكاييل. استُعمل هذا اللفظ في غاية المرام للعز بن فهد ٢: ٥٧٧.

(٢) بالأصل: اتفق .

في ذلك فنقض حكمَهُ وطلبني وأشهد مَن حضر عنده أنه رجع عن حكمه، فسألته عن السبب فقال: لم يستوف[1] الوجهَ، فقلتُ له: مذكور في المستند استيفاء ذلك. فقال: ظهر لي بعد ذلك عدم الاستيفاء. فطلبتُ منه كتابة مستند بسبب رجوعه، فتألم لذلك ثم مشى في الصلح بقسْم الجدار نصفين يترك أحدهما لمرور الخصم ويبقى لنا الثاني، فوافقتُ على ذلك كرهًا، وعند الله يجتمع الخصوم. وهذا حال حكّام هذا الزمان في بيع الدين بالدنيا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وفي يوم الجمعة ثاني عشريْ الشهر نزل سعر الحب المصرية فبيع كل ربعية بأربعة محلقة بل وثلاثة ونصف. وسبب ذلك وصول البحرية من جانب مصر واليمن، السبعة وصلتْ إلى مراسي جدة، وأن الأمير مرجان حاكم بندر عدن أمر أصحاب الجلاّب الذين عنده بالتوجّه إلى زيْلع وشحنتها حبًا لأهل مكة. جزاه الله خيرًا، وأعانه على فعل الخير .

وفي ليلة الجمعة ثاني عشريْ الشهر سقطتْ بيوت كاتب الأسرار الشريفة المقرّ الزيني بن مزهر التي في المروة الموقوفة بمكة، ومات تحت الهدْم رجلان مملوكان .

وفي يوم تاريخه طُلّقتْ زينب ابنة القاضي نور الدين بن الضياء المتقدم زواجها في يوم لكونها ما وافقتْ الزوج على بعض أغراضه الفاسدة، ووقعت بينهما مقابحات، نسأل من الله سترها وأن يعوّضها عوضه خيراً منه وكذا أهلها .

وفي آخر الشهر سقط بيت القاضي برهان الدين بن ظهيرة الكبير الذي بحارة قريش طيْحَةً كبيرة في الزقاق، فسلم المارة والسكان لنقلتهم منه .

واتفق في أول الشهر هذا سقوط منزلي الذي أنا ساكن به، وقف الوالد رحمه الله،

---

(١) بالأصل: لم يستوفي .

وسلّمنا الله منه [٢١ ب] وعمّرتُه بسرعة ولله الحمد. وطاح بمكة جملة بيوتٍ من الأمطار .

ومات في هذا الشهر من الفقراء الطّرَحاء في الأزقّة جوعاً وبرداً مائة وتسعون نفساً كبيراً على صغير، كما أخبرني بذلك الناظر على وقف الطّرَحاء الشيخ محمد الحطاب المالكي نفع الله به .

وفي يوم الإثنين تاسع عشريْ الشهر ماتتْ سيّدة التجّار أم الخواجا ولي الدين القويضي الشامي، وصلّى عليها بعد صلاة العصر، وشيّعها جماعة من الفقهاء والتجّار، وُدفنتْ بالمعلاة وولدها غائب بجدة، رحمها الله تعالى وإيانا.

شهر صفر الخير استهل في ليلة الثلاثاء
ولم يره أحد من سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩ م)

وثبتَ في النهار عند قاضي القضاة الشافعي بشهادة جماعة من أهل مكة والغرباء.

وفي عصره وصل الخبر إلى مكة أن جلبة من زيْلع وصلتْ إلى جدة فأخبرتْ كتُبُها أنّ خلْفهم عدة جلاب، ونزل سعر الحب المصرية إلى أربعة محلّقة .

وفي ليلتها دخل الخواجا بركات الحلبي على زوجته البكر البالغ السيدة أم الحسين ابنة قاضي القضاة نور الدين علي بن الضياء الحنفي المكي في منزله. وقصده الناس للتهنئة بها. واستقلّ الناس عقْل أمّها بما وقع منها في زواج الأولى على الغريب ثم الثانية، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس ثالث الشهر وصل قاصد الأمير قاسم الشرواني ممسك مملوك ترسن بن رجب الرومي لكونه أرسل إلى اليمن فكاتَب في قتل قاصده إليهم، وهو

يوسف الجاركسي التاجر، فإنه بلغَه مقتله في اللحيّة[1]، ويقال إن الأمير إسكندر متملك زبيد جهّزه من بلده بعد الإنعام عليه بمائتي دينار ورسم لـه بعشرة ورق حَبّ في اللحيّة وأمره أن لا ينزل إلى الساحل خوفا عليه من الأتراك الذين من جهة قاصده الـذي أرسل في موسم سنة ٩٢٣هـ وقتله الأمير مصلح الدين الرومي. فقدّر أنه كان في جلبة فتبعه جماعة وأنزلوه من الجلبة وقتلوه بالحديْدة[2] وأخذوا ما معه وقدرها مبلغ سبعة آلاف دينار. فلما سمع رجب بهذا الخبر اختفى، وأشيع أن الأمير إسكندر الجاركسي متملك اليمن وصل إلى جازان لنجدة صاحبها المهدي لرأي القرائر[3] على قتال البغاة القُرب[4] أهل حلي، وصُحْبته مائة مملوك خيالة وثلاثمائة راجل .

وأشيع أنّ الشريف بركات صاحب الحجاز قصد أهل حلي ووصل إلى محل يقال له دوقه[5] وصار بينه وبينهم ثلاثة أيام وأن القرب راسلوا في الصلح فطلب منهم إعطاء الخيل والدروع، فتوقّفوا في ذلك وقالوا: نعطيك مالاً مُقَسّطاً في كل عام، فما رضي بذلك وأرسل إلى مكة لطلب راناه لحفله[6] فالله تعالى يلطف به وينصره على عدوه[7] فإنه[8] بركة الحجاز، والمرجع إليه في الحقيقة لا المجاز .

---

(١) اللحية: مدينة وميناء صغير بتهامة اليمن، المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ص ٣٥٦ .

(٢) الحديدة: أشهر مدن وموانئ تهامة في اليمن، المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ص ١١٣-١١٤ .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) القرب: قبائل يمنية .

(٥) دوقة: بلدة جنوب الليث من أرض غامد في طريق الحاج من صنعاء، ياقوت: معجم البلدان ٢: ٤٨٥؛ البلادي: معجم معالم الحجاز ٣: ٢٤٠ .

(٦) كذا وردت الجملة بالأصل .

(٧) بالأصل: عدّه .

(٨) كلمة مكررة بالأصل .

وفي يوم تاريخه نزل سعر الحب محلقا وبيعت الربعية المصرية بأربعة محلقة بسبب إشاعة وصول ثلاثة جلاب إلى جدة فيها حب من زيْلع، وأنه وصل إلى عدن ثلاثون جلبة من الهند مشحون سفلها حباً[1] فبيع فيها كل ثلاثة رباعي بمحلق، فالله [٢٢ أ] تعالى يحقق ذلك ويُرخّص أسعار المسلمين بجاه سيد الأولين والآخرين[2] .

وفي صبح يوم الجمعة رابع الشهر شَنَق في المدعى الحاكم بمكة مبارك بن بدر عبْداً للعرب يقال إنه قتل صغيراً في الوادي كان يرعى بقرة وأخذها منه وذبحها .

وفي ليلة الأحد سادس الشهر نعي على يوسف الجاركسي زوجته الجديدة زبيدة ابنة إمام الحنفية شهاب الدين البخاري، ودخلتْ العدّة، وذكر أهلها أنه اختلى بها قبل سفره، ولم يُسمع بذلك قبل تاريخه، بل أُشيعت[3] عنها قبائح، الله تعالى يستر الأحوال، وذلك انتقاماً من الله لأبويها، وأنّ من شقّ جيوب الناس شقّ الناس جيوبه، فنسأل الله السلامة .

وفي ليلة الثلاثاء ثامن الشهر دخل الخواجا المحترم الرئيس تقي الدين أبو بكر بن قرموط الحلبي، الذي والده معلم دار الضرب، على زوجته البنت البالغ كمالية ابنة القاضي تقي الدين محمد ابن قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة بمنزله في الجمعة الماضية، ونصتْ على أقاربها الرجال والنساء، وألصقوا عليها، ولم يحضر الزوج ذلك بل صلّى العشاء في المسجد الحرام وتوجّه إلى منزلها بحارة بني ظهيرة من السويقة وصُحْبته جميع التجّار من الشاميين والحلبيين في موكَب حفل، ودخل عليها بمفرده عند انصراف

---

(١) بالأصل: حب .

(٢) بالأصل: سيد الأولين والأولين .

(٣) بالأصل: أشيع .

النساء .

وفي صباح تاريخه قصده الناس للتهنئة، فالله تعالى يجعل كـلاً منـهما مباركـاً على الآخر بمحمد وآله .

وفي يوم الخميس عاشر الشهر ارتفعت الأسعار في الحب بل عُدِم في السوق وظهر شيء من اللقيمية[1] كل ربعية[2] بسبعة محلقة، والتخلية والدخن والذرة كل ربعية بخمسة محلقة ونصف.

وسبب ذلك وصول قافلة من جدة وأخبروا بوصول[3] جلاب إليها من اليمن فيها حب وأن الوزير بها الجمالي محمد بن راجح احتكرها ومنع بيعها حتى ينفق حَبّه الذي خَزَنه في حواصله، فرماه على السوقة كلّ ربعية بأربعة محلّقة وهم يبيعونه بزيادة نصف، فتضرّر الناس بذلك، فالله تعالى يزيل ضررهم ويُرخّص أسعارهم .

وفي يوم السبت ثاني عشر الشهر وصل إلى مكة قفل من اليمن فيه سمن كثير بيع المنّ[4] بأربعة أشرفية ونصف يستقيم كل رطل بأربعة محلقة إلاّ ربعا، وباع السوقة بذلك أول النهار ثم طلّعوا سعره آخر النهار بأربعة محلقة. وظهر في السوق لحم كثير سمين وبيع الرطل الضاني بمحلق والماعز رطل وربع، وكثُر اللبن لكنه غال، وهو أنقص من العادة يسيراً. وأخبر العرب أن المرعى كثير والخصب مربع لكن غلو الحب أوجبَ غلو الأقوات، فإن المتسببين لها يطلبون نَفَاق ما معهم لدورانه حبا يبيعونه[5] .

(١) اللقيمية: نوع من حبوب القمح الجيد ذات سعر مرتفع .
(٢) الربعية: مكيال أكبر من الصاع. الزهراني: أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة ١٠٦ .
(٣) بالأصل: وصول .
(٤) المنّ: وحدة للوزن تساوي رطلين .
(٥) كذا وردت الجملة بالأصل .

وفي ثاني تاريخه وصل الخبر إلى مكة أن الشريف بركات وصل إليه الشيخ الطواشي وليّ أهل حلي وأميرهم قيس في طلب الصلح بينه وبين القرب، فقال لهم: لا بد لي مِن دخول بلادهم وأخذ الخيل والدروع منهم، فتوقفوا في إعطائها له حتى تسافر الأتراك من عندهم ويعطونه[1] عوضها نقداً، فما رضيَ بذلك، فالله يقدر له وللمسلمين خيراً .

[٢٢ ب] وأشيع أن الأتراك وأميرهم إسكندر قتلوا صاحب جازان الهندي، ويقال أخوه عز الدين، لكونه طلبهم لنجدة أخيه ومساعدته على القرب، فلما وصلوا لبلد جازان بلغهم أن الشريف ما جاء لليمن إلا لمحاربتهم، فتشوّشوا من صاحب جازان من ذلك. ويقال إنهم قصدوا مواجهة الشريف، فالله تعالى يخذلهم وينصره عليهم .

وسمعتُ أن الشريف أرسل لنائب جدة قاسم الشرواني يطلبه إليه لقتالهم وأنه أشحنَ غرابين بجدة لسفره لليمن. أعانه الله على ذلك وقدّرَ للمسلمين خيرا .

وفي يوم الإثنين رابع عشر الشهر وصل قفل مِن ينبع ومعهم حبّ وتمر وسمن فوجدوا سعر الجميع ناقصاً[2] عن رأس مالهم، فإنهم اشتروا الحب من سعر الربعية المصرية بخمسة محلقة وهي في مكة بذلك وخسروا الكراء، والرطل التمر بمحلق وفي مكة رطل وربع، والمن من السمن بستة أشرفية وفي مكة بأربعة ونصف، فخيّبَ الله ظنهم وإنه اجتمع جماعة من المتسبّبين بالخان[3] وأولاد العرب فتوجهوا بحراً لينبع لأجل شراء القوت وتحْكيره، فالله تعالى يخذلهم ولا يربح متجرهم .

(١) بالأصل: ويعطوه .
(٢) بالأصل: ناقص .
(٣) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة .

ووصل معهم من بعض أهل المدينة الشريفة أوراق فيها إخبار بأنّ الحاج الشامي تعرّض له بعض شيوخ بني لام[١] ويقال له جغيمان[٢] قريب بلد العُلا ووقعت[٣] بينهما محاربة ثم اصطلحوا على ثلاثة آلاف دينار، وقيل ثلاثين ألفا يدفعونها[٤] له عوض ضرره في السنين الماضية. وكان طلب منهم ذلك في مجيئهم فلم يدفعوها، فخاط الناس في ذلك وماطوا وزادوا ونقصوا، فالله تعالى لا يحقّق ذلك ويكتب سلامتهم .

وفي يوم الأربعاء سادس عشر الشهر سافر قفل إلى ينبع وامتاروا من مكة سمناً كثيراً فطلع السعر بها كل رطل بأربعة محلقة وربع، وصار لا يوجد في السوق وذلك من عدم اِلْتِفاتِ الحكّام لهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وسافر صحبتهم جماعة من أهل مكة للسفر إلى القاهرة بحرا لتَعَبِهم من جهة غلُو الأقوات، فالله تعالى يرخيها .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر الشهر وصل إلى مكة الخبر بأن ثلاثة جلاب من القصير دخلوا بندر جدة فيها حب فنزل السعر بها كل ربعية إلى ثلاثة محلقة ونصف، والإردب باثني عشر أشرفياً، وبيع الحب بمكة، المصرية الربعية بأربعة محلقة بعد أن بلغت خمسة، والدخن بخمسة محلقة بعد أن بلغ ستة، وكذا غيرهما من الحبوب، فالله تعالى يزيد من رخص الأسعار، فإن الناس هلكوا من غلائها .

---

(١) بنو لام: من القبائل التي كانت تعترض الحاج الشامي فلا يتمكنون من الحج إلاّ بعد أن يأخذ بنو لام «علوفتهم» وهي أموال يأخذونها حتى يسمحوا للحاج بالمرور. انظر أخبارهم مثلا في كتاب غاية المرام للعز بن فهد وهي كثيرة انظر فهارس الكتاب؛ الجزيري: الدرر الفرائد ص ١٣٧٥ .

(٢) بالأصل: جنغمان، وهو خطأ، ففي المصادر الكثيرة ورد اسمه « جغيمان » وهو رئيس قبيلة بني لام المذكورة أعلاه. عُرف جغيمان بقطع الطريق على الحجيج، وتصدى له أمير الشام مرارا. انظر أخباره في مفاكهة الخلان لابن طولون ٢: ٩١، ٩٦، ٩٧، ١٠٤ .

(٣) بالأصل: وقع .

(٤) بالأصل: يدفعوها .

وفي هذه الجمعة ترك أئمة الشافعية القنوت في الصلوات مع وجود النازلة في الغلو وما عرفتُ مقصدهم في ذلك. ولعله تمام الشهر كما اتفق للنبي ﷺ في دعائه على بعض العرب شهراً، وفي ثامن عشر الشهر كان تمام الشهر .

وفي ليلة الإثنين حادي عشريْ الشهر ماتت سعادة ابنة الشرفي أبي القاسم بن أحمد بن[١] الدويد المكي زوجة رئيس المؤذنين فخر الدين أبي بكر أم أولاده. فجهّزت في ليلتها وصُلّي عليها عند باب الكعبة بعد صلاة الصبح وشيّعها جماعة من الفقهاء وغيرهم لأجل زوجها ودُفنت بتربة سلفه بشعب النور[٢] من المعلاة وحزن عليها كثيرا[٣] وخلّفتْ ذكرين وبنتا وأخاً. ويقال إنها تركتْ مصاغاً وبعض نقد وهو من همة زوجها لأنه كثير التحصيل والإنفاق على أهله، رحمها الله تعالى وعوض زوجها وأولادها خيراً .

[٢٣ أ] وفي يوم تاريخه قُطعت يد سارق ورجله بالمسعى بأمر مرشد ابن أخت الحاكم مبارك بن بدر. فلمّا سمع خاله لم يرْضَ بذلك وتكلّم عليه. وظهر في هذه الأيام كثير من السرقة في البيوت والشوارع حتى في أخذ الأبواب والخشب وذلك لجوعهم، فلا قوّة إلا بالله .

وفي يوم الخميس رابع عشريْ الشهر وصل جماعة من المدينة الشريفة مع أوراق لجماعة فيها الإخبار بغلو الأسعار بها، بِيعتْ الربعية الحب المصرية بخمسة محلقة والرطل السمن بخمسة عشر محلقاً والرطل اللحم بمحلّقين. وطلب بعض أهلها شراء سمن من مكة

---

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

(٢) بالأصل: بالشعب النور .

(٣) بالأصل: كثير .

ويخشى من غلوه بها لذلك، فالله تعالى يفرّج عن المسلمين ويرخّص أسعارهم .

وفي ليلة الجمعة ثاني تاريخه ماتت أم الحسين ابنة صاحبنا الخواجا أبي الخير ابن الفريوات الدمشقي وعمرها نحو عشرة أشهر فصلّي عليها بعد صلاة الصبح وُدفنتْ بالمعلاة في تربة بيت المشيني أجداد أمّها، وشيّعها جماعة من الفقهاء والتجار، وبعد الفراغ من دفنها عمل الرئيس فخر الدين أبو بكر ختماً لزوجته حضَره القاضيان الحنفي والمالكي وكثير من الفقهاء وغيرهم .

وفي صبح يوم الأحد سابع عشري الشهر وصلت أوراق من المدينة الشريفة لجماعة من التجار فيها أخبار شنيعة بأخذ الحاج الشامي بالقرب من العُلا. وذلك أن بعض شيوخ بنى لام يقال له جغيمان جمع لهم عرب المفارجة وعنزة وجلس لهم في الطريق فلما حاذوه خرج عليهم فقاتلهم عند محفة زوجة نائب الشام المقر الكافلي جان بردى الغزالي، فقتل من الشاميين نحو سبعين نفساً وأخذ العرب منهم ألفاً وثمانمائة جمل بحمولها للتجار الشاميين منهم القاضي بدر الدين البكري، وصالَحَ الحلبيون والأروام عن أنفسهم بخمسة عشر ألف دينار حتى سلموا من النهب وأعطوا العرب رهائن[1] منهم حتى يجُبُوا لهم المال، فقُدّر أنهم جَبَوْا لهم ثمانية آلاف، واستفدى بعض الشاميين حمولهم وحريمهم بِنَقْدٍ غير ذلك منهم القاضي تقي الدين القاري الناظر على أوقاف الحرمين الشريفين بالشام اشترى زوجته وولده بثلاثين ديناراً. ثم بلغ العرب وصول نجدة من الشام لهم نحو خمسمائة رامٍ بالقوس والنفط على رواحل مردفة ووراء هم غير ذلك، فهربوا عنهم بما أخذوه و لم يستكملوا المال. وبعد هربهم وصل إليهم الأمير محمد بن قرقماس وصحبته العساكر المتقدم ذكرها وأخبروا أن نائب الشام وراءهم والله أعلم

(١) بالأصل: رهائناً .

بحقيقة الحال. فعند سَماع هذه الأخبار تشوّش التجار المقيمون بمكة وغيرهم. فالله تعالى يلطف بالمسلمين، ويكتب سلامة المسافرين، ويختم بخير آمين .

وفي ظهر تاريخه توفي الفقيه الأصيل فخر الدين أبو بكر ابن الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن محمد بن ظهيرة القرشي الحنبلي فجهّز في يومه وصلّي عليه عند الحجر الأسود بعد صلاة العصر كعادة بني ظهيرة قريبُه قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وشيّعه خلق من الفقهاء وغيرهم، ودُفن بالمعلاة على قبر أبيه عند تربة الشيخ علي الشولي، وحزن الناس عليه كثيراً وأثنوا عليه خيراً. وكان [٢٣ب] صغير السن عمره نحو ثمان وعشرين سنة، وكان كثير الحشمة والمروءة وطرح التكليف، وخلف أخاً غائباً بجدة المعمورة وثلاث أخوات، رحمه الله تعالى وعوضهم فيه خيراً، وعُمِلتْ له رَبعة بالمعلاة صباحاً ومساءً مدة ثلاثة أيام وختم له يوم الرابع وهو يوم الخميس .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشريْ الشهر وصل الخبر من جدة أنّ جلاباً وصلتْ إليها من ينبع فيها بعض أهل مكة، وأخبروا أن جلاباً وصلتْ الينبع من الطور فيها الشهابي أحمد المدعو شحاتة[1] بن محمد بن عكاش المكي وأخوه بركات، وأخبر أنّ معه ورقتين من مصر مفتوحتين أرسل بهما قاضي القضاة بمكة الجمالي محمد بديع الزمان ابن الضياء الحنفي والزيني عبدالحق النويري المالكي فيهما الإخبار بولايتهما لقضاء مكة عوض مَن فيهما وغير ذلك. فوقع بمكة هرَج ومرَج وصار بعض أصحابهم يؤيد هذا الخبر وبعض الناس يكذّبه لعدم إخبار غيرهما من الحجازيّين الذين بمصر لذلك. وأشيع أنهما وصلا لمصر في سادس ذي الحجة الحرام من سنة ٩٢٤ التي قبل تاريخها ومعهما مرسومان من الخنكار بولايتهما، والله أعلم بحقيقة الحال .

(١) بالأصل: سحاته .

وفي هذه الجمعة أُشيع أنّ الأمير إسكندر الجاركسي الذي في اليمن رجع من جازان إلى زبيد بسبب ما أُوحِيَ إليه بأن صاحب جازان المهدي الذي أرسل يطلبه للنجدة على القرب أهل حلي مواطئ الشريف بركات سلطان مكة على قتاله، فتشوّش منه وأمر أخاه عز الدين بقتْله وأخذ بلاده فتوجّه له إلى منزله على غفلة منه وضرب بعض أخصّائه فنزل إليه ليشفع له فمسكه ووضعه في الحديد ثم عاقبه واستصفى أمواله ثم قتَلَه. وورد بذلك عتاب الشريف بركات إلى مكة، وحصل هذا بسعده لكونه في تلك الناحية وكان يخشى مِن وقوع فتنة هناك فأخمدها الله تعالى برجوع إسكندر إلى محل ولايته. وبعد هذا ....[1] الشريف بركات بأهل حلي فانهم مخالفون عليه في الباطن، وفي الظاهر يُظهرون له الطاعة، وراسلوه في ذلك فلم يقبل منهم إلاّ أخذ الدرع والفرَس، فالله تعالى ينصره عليهم ويبقيه للمسلمين، فإنه رأس العنقود، وصاحب الراية التي إلى الخير تعود.

شهر ربيع الأول جعله الله شهرا مباركا ببركة مَن وُلد فيه ﷺ من سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م)

استهل كاملاً في ليلة الخميس.

وفي يوم الأربعاء سابع الشهر وصلت إلى مكة ورقتا[2] القاضيين المتقدم ذكرهما صحبة الشيخ أبي الفضائل بن الفضائل[3] بن الضياء الحنفي، فإنه كان بجدة وأخذهما

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.
(٢) بالأصل: ورقتي.
(٣) كذا بالأصل، ولا نعرف شخصا من بني الضياء سُمّي بهذا الاسم.

سن ابني عكاش فيها.

وفرح أهلهما بذلك وصار صاحب كل ورقة يُريها للناس في الأسواق وغيرها، وسمح أصحابهما بذلك. ثم شاهدتُ ورقة القاضي بديع الزمان ابن الضياء الحنفي لأخيه أبي السرور بها إخباره بوصوله إلى القاهرة قبل تاريخها بثلاثة أيام، وهي مؤرخة بسادس عشريْ الحجة، ومقابلة ملك الأمراء نائب الديار المصرية له وإلْباسُهُ [٢٤ أ] قفطانا. وكتب له الخنكار مرسوماً بولايته لقضاء الحنفية بمكة عوضاً عمّنْ بها وغير ذلك من الوظائف التي طلبها، وتاريخه في سابع رمضان، وكان وصوله مع الولاق[1] الذي أرسله الوزير الأعظم بيري باشا[2] المقيم في البيرة قرب مدينة حلب، ويأمر أخاه بمباشرة الحكم عند وصول القاصد بَرَاً صحْبَتَه مرسوم ملك الأمراء قبل المولد.

ومضمون ورقة القاضي عبد الحق النويري المالكي لولده بمعناها غير لبْس ملك الأمراء له قفطاناً وأنه تعوّضَ عن الحج بزيارة القدس والخليل عليه السلام. ويأمر ولده بالسيرة الحسنة مع الناس في مباشرة الأحكام وملازمة الجمالي أبي السعود بن قاسم المقري الشافعي فيها. ومنْع شاهديْن من بابه هما الشرفي أبو القاسم بن قاسم وعبد الرحمن بن إدريس بن عبد القوي وغير ذلك مما لا فائدة في ذكره.

ولم يرسل كل واحد منهما غير ورقة مفردة مفتوحة. وتعجّب الناس لذلك وكون الخبر لم يأت من غيرهما من الحجازيين المقيمين بمصر وغيرهم خصوصاً ويُخبر بعض الناس عن اللذيْن وصلت معهما الورقتان أنهما لم يسمعا بالولاية إلاّ منهما، ويُعضّد ذلك إخبار شخص من التجار الشاميين يقال له ابن التُّميْرة بوصول ورقة له من

(١) الولاق: الرّسُل.
(٢) بيري باشا الوزير الأعظم: أحد وزراء السلطان سليمان القانوني، عظم شأنه حتى بان عليه الطمع في السلطة فقتله السلطان سليمان، في رمضان سنة ٩٤٢هـ. القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ص ٣١٨.

الخواجا قاسم بن الجمال المقيم بمصر أن قاضي مكة الحنفي وصل إلى مصر ومعه مرسوم لملك الأمراء بالوصية عليه. فَفُهِم من هذا الخبر عدم الولاية، فإنها لو كانت صرح بها لهم .

واستمر القاضيان المشاع عزلهما يحكمان وهما القاضي نسيم الدين المرشدي الحنفي والقاضي جلال الدين أبو(1) السعادات المالكي .

وفي ليلة الجمعة تاسع الشهر عُمِل عقد حافل في المسجد الحرام أمام الرواق الشمالي للشهابي أحمد ابن الخواجا عباس تاجر السلطان الغوري على ابنة عمّه بدر الدين بن محمد حضره القضاة الأربعة وكثير من الفقهاء والتجار والعامة. وأسْرِجتْ (2) فيه فوانيس الحرم، وكان حفلاً بهِجاً، استكثره كثير من الناس على فاعله لكونه مسْتَحدَث النعمة .

وفي يوم الأحد حادي عشر الشهر ولد ....(3) ابن (4) الشيخ إبراهيم بن أبي بكر العراقي وأمه ابنة قاضي القضاة شرف الدين أبي القاسم بن الضياء الحنفي وهي مطلقة .

وفي ليلة الإثنين ثاني عشر الشهر كانت زفّة المولد الشريف من المسجد الحرام إلى مولد النبي ﷺ بعد صلاة المغرب – على العادة – مشى فيها قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام الصلاحي بن ظهيرة(5) القرشي من خلف مقام الحنفية إلى باب علي وصحبته القضاة الثلاثة، ثم ركب من هناك وتوجّه إلى المولد لوجعه، وعاد القضاة إلى

(1) بالأصل: أبي .
(2) بالأصل: وأسرج .
(3) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(4) بالأصل: ابنة .
(5) تكرر هذا العلم مرتين في الأصل .

المسجد الحرام. وتوجّه في الزفة إلى المولد جماعة القاضي الشافعي وكبيرهم القاضي الزاهد عز الدين وصحبتهم غالب الفقهاء والعامة رجالاً ونساءً بمفرعات الحرم وشمعه، والفقراء يذكرون الله تعالى أمامهم ذهاباً وإياباً، ودخل القاضي الشافعي إلى المولد الشريف وصلّى فيه ودعا له الخطيب به مع السلطان وأمير مكة على العادة، ثم عاد إلى المسجد الحرام [٢٤ ب] راكباً وسلم الناس عليه به وانصرفوا .

وفي صباح تاريخه كانت الزفة المختصرة مشى فيها القاضي تاج الدين بن ظهيرة أخو(1) قاضي القضاة الشافعي وصحْبَته بعض جماعته وكثير من الفقهاء، فزار المواليد جميعها وختم بدار الخيزران على العادة، وتوجّه إلى منزله بالجماعة وحضروا بسماط أخيه صحْبَة القضاة الثلاثة وكان حسناً، فالله تعالى يخلف عليه ويبارك للمسلمين في هذا الشهر المبارك ببركة مَن ولد فيه ﷺ .

وفي عشاء ليلة الأربعاء رابع عشر الشهر عمل عقْد حفل في بيت قاضي القضاة المالكي النجمي ابن يعقوب –رحمه الله تعالى– على ابنتيه الثيب ست الجميع ابنة القضائي النجمي على بركات ابن المعلم خير الدين بن جبريل الغزاوي الدمشقي. والبكر كمالية على الشريف أبي بكر بن الحسين القبيباتي الشامي، حضره قاضي القضاة الشافعي، وكان هو العاقد، وجماعته والفقهاء والتجار. فشربوا سكراً مذاباً ثم انصرفوا، جعل الله ذلك مباركاً عليهم ورزقهم ذرية صالحة .

وكان كل من البنتين المزوجتين دفع لَهُمَا ابن(2) المحيوي عبد القادر والوجيهي عبد الرحمن ابني أبي الغيث بن زبرق وسافرا إلى القاهرة، ولهما بها نحو ثلاث سنين، فرُدَّ

(1) بالأصل: أخي .
(2) لعل كلمة " ابن " هنا زائدة .

دفْعُهما لأختهما بمكة .

وفي يوم الخميس ثاني تاريخه خامس عشر الشهر وصل الخبر إلى مكة أن الأروام الذين كانوا في البحر يقطعون الطرقات اجتمعوا بالشريف بركات صاحب مكة المشرفة فعمل لهم عَرضة بفريقه في اليمن، وخلع على كبيرهم سنان الرومي، وعاتبه على فعله، فاعتذر له وسأله العفو فعفا عنهم ورتب لهم مرتباً وأقاموا. وأُشيع أنّ عرب الزيدية قاتلوا الأتراك في زبيد اليمن وقتلوا منهم أزْيد من مائة نفس وأخذوا بعض خيلهم، فضعفوا بذلك وطمع فيهم العرب وهم محصورون في اليمن. فالله تعالى يُقيم للمسلمين خيراً .

وفي ليلة الجمعة سادس عشر الشهر ماتت فاطمة ابنة الجمال محمد بن أحمد الفاكهي فجُهّزتْ من ليلتها وصُلّي عليها بعد صلاة الصبح، ودُفنتْ بالمعلاة عند قبور سلفها (1) بشعب النور، وخلفت عَصَبة وبعضهم غائب عن مكة باليمن، وأخذ العزاء فيها بعض أقاربها وهم أبو النور بن أبي الخير الفاكهي وعبد الله بن أحمد الفاكهي، عوض والده فإنه ابن عم الذي قبله، وتخاصما بسببها وترك الحضور لأجله، فسبحان قاسم العقول .

وفي ليلة السبت ثاني تاريخه دخل الشهابي أحمد ابن الخواجا عباس على زوجته ابنة عمه وعُمل له سماط مختصر حضره التجار وغيرهم(2) .

وفي يوم تاريخه وصلت لمكة ثلاثة أوراق بحرا من الحاج مفلح بن عبد الله الحبشي عتيق الخواجا شيخ محمد قاوان لجماعة من التجار في كل منها الإخبار بولاية القاضيين الحنفي والمالكي اللذيْن بمصر عوض اللذيْن بمكة، ومعهما مرسوم لملك الأمراء من الوزير

(1) بالأصل: سفلها .
(2) بالأصل: وغيره .

الأعظم بيري باشا. وأنّ السلطان مقيم في أدِرْنة، والصوفي ضعيف جداً. وأن الأميرْين مصلح الدين وسلمان في إسطنبول وليس على نيّتهما العود إلى مكة في هذا العام، وغير ذلك من الأخبار. وتاريخها في [٢٥ أ] سابع عشريْ الحجة من السنة التي قبل تاريخها، موافقة لتاريخ ورقتيْ القاضيين الماضيين خلا يوماً. والذي يظهر مواطأته لهما، فإنه لم يصل الخبر من غيره، والله أعلم بحقيقة الحال .

وفي ليلة الأحد ثامن عشر الشهر ماتتْ المرحومة صفية زوجة الخواجا عباس أم ولده المتزوج في الليلة التي قبل تاريخه. وكان مُهِمّ ولدها وهي في النزع. فجُهّزتْ من ليلتها وصلّي عليها بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة، ودفنتْ بالمعلاة.

وفي ليلة الأربعاء حادي عشريْ الشهر ماتت الطفلة زينب ابنة أبي الفتح ابن الشيخ السراجي عمر بن أبي السعود بن ظهيرة من ابنة عمه ستيت(1) ابنة القاضي خير الدين بن ظهيرة. فجهّزتْ من ليلتها وصلّي عليها بعد صلاة الصبح، وُدفنتْ بالمعلاة.

وفي ضحوة يوم تاريخه ماتت قماري الحبشية موطوءة الإمام شرف الدين يحيى ابن الإمام مكرم الطبري الشافعي. فجُهّزتْ مِن يومها وصلّي عليها عند باب الكعبة بعد صلاة العصر ودفنت بالمعلاة بتربة أسلاف سيّدها تحت تربة بني ظهيرة المستجدّة بالمعلاة.

وفي عصر تاريخه تكلّم القاضي الشافعي ناظر المسجد الحرام على رئيس المؤذنين به الجمالي محمد بسبب تقصيره في السلام والتحقيق، إلى أن دخل وقت صلاة الصبح، فَفَجَرَ عليه، فأمر عبده بِصَكّهِ فصكّه في المسجد الحرام قُدَّام الناس وأمر بحبسه .

وفي مغرب تاريخه توفي الرئيس فخر الدين أبو بكر بن أبي عبد الله الرئيس الحنبلي

(1) بالأصل: استيت .

فجهّز من ليلته وصلّي عليه بعد صلاة الصبح من ثاني تاريخه. وتبعه خلق من الفقهاء، ودفن بالمعلاة بتربة أسلافه وشمّتَ به كثير من الناس لحِدّة لسانه وقوة نظمه وبيانه. وخلّفَ صبيين صغيرين[١] وثلاث بنات إحداهن شقيقة الصبيين التي ماتت أمّهم قبله بشهر في حادي عشريْ صفر في هذه السنة، واثنتان أمهاتهما شتى إحداهما وجِعة. وأشيع أن القاضي الشافعي ختم على بيته بسبب الأولاد و لم يصبّح و لم تُعمَل له ربعة ولا نُصبت على قبره خيمة، وذلك لعدم احتفال مَن خلفه مِن أمّه وأخويه علي ومحمد. فالله تعالى يرحمه ويعفو عنه. وقبْله كان للمسجد الحرام به جمال لحسن صوته ومعرفته بالأوقات والميقات والنظم والنثر، و لم يخلفه بعد موته مثله .

وفي ظهر يوم الجمعة ثالث عشريْ الشهر وُلد الولد محب الدين أبو حامد محمد ابن القاضي أبي السرور ابن قاضي القضاة نور الدين علي بن أبي الليث بن الضياء الحنفي القرشي، وأمّه فاطمة ابنة الخطيب جمال الدين محمد ابن الخطيب أبي بكر العقيلي النويري في بيت جدّته زينب ابنة الخطيب محب الدين النويري بالشبيكة. وعُملتْ له زلابية فُرقتْ على قليل من الناس مع وجع والده، عافاه الله تعالى .

وفي يوم تاريخه وصل الخبر إلى مكة أن ثمانية جلاب مشحونة حباً وصلتْ إلى جدة من القصير[٢] وجلبتان من سواكن، وفي جلاب القصير القاضي بدر الدين بن ظهيرة أخو[٣] قاضي القضاة الشافعي ومعه مرسوم من ملك الأمراء نائب الديار المصرية لأخيه يسأله في نيابته [٢٥ ب] للحكم بمكة. وأخبر أنّ القصير فيها حبٌ كثير

(١) بالأصل: صغاراً .
(٢) القصير: ميناء بصعيد مصر بين عيذاب وقوص. ياقوت: معجم البلدان ٤: ٣٦٧ .
(٣) بالأصل: أخي .

وجلاب فارغة شحن[١] منها عشرة فيها ثلاث مُرَوّسَات[٢]. فنزل سعر الحب بجدة ومكة فبيع بجدة كل إردب بتسعة أشرفية، والمليح بعشرة، وكل ربعية حب الذرة بمحلقين ونصف وبمكة الربعية بثلاثة محلقة وربع وبعض الحب المليح بثلاثة ونصف، فنقصهُ بمكة قريب محلق. وأخبر الواصلون[٣] من سواكن أنه وصل إليها مركبان[٤] من الهند، وأخبروا أنه وصل معهم من باب المندب خمسة مراكب ووراء هم عشرة، فتباشر التجّار وغيرهم لذلك. فالله تعالى يحقق هذا الخبر ويُرخّص أسعار المسلمين، بجاه سيّد المرسلين .

وفي ليلة السبت ثاني تاريخه مات الخواجا مراد بن عبد الله الرومي الناظر على أوقاف ترسن[٥] صاحب الربعة بالمسجد الحرام خلف مقام الحنفية. فجهّز من ليلته وصُلّي عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة وشيّعه جماعة وغيرهم، ودفن بالمعلاة، وخلّف سبعة أولاد ذكور غالبهم صغار في بلده وبعضهم مسافر في الهند، وبمكة واحد أخذ العزاء فيه. وأوصى بقُرَبٍ، منها لصاحب مكة مائة وخمسون ديناراً ولقاضي القضاة الشافعي خمسون ديناراً ولأهل الحرم مائتا دينار .

وفي يوم تاريخه عُمل عقد مجلس في المسجد الحرام بزيادة باب الندوة بحضرة القضاة الثلاثة خلا الحنبلي بسبب خصومة بين الخواجا بركات الحلبي والخواجا بدر الدين بن مالك في سفرة بينهما كانت تحت يد ثانيهما في الهند، وتحاسبا عنها مرة بعد

(١) بالأصل: أشحن.
(٢) المروسات: نوع من السفن .
(٣) بالأصل: الواصلين .
(٤) بالأصل: مركبين .
(٥) كذا بالأصل.

أخرى وتواصلا إلى القضاة الثلاثة المذكورين وثبت ذلك عند الحنفي ونُقِد عند الآخريْن ثم لم ينفصلا لعدم وفاقهما في بعض الحساب، ويقول أولهما إنه داخلَ في الحكم والثاني يَنْفي ذلك ويتظلّم. فتوقف القاضي الحنفي في أمْرهما وأمَرهما بالصلح وإسقاط بعض المال فلم يرضيا مع أن أولهما نذر بالذي ثبت له يكون لأهل الحرم المكي، وقبض بعض المال وهو مائتان وستون ديناراً، ويقال إنه فرّقه على بعض الناس وكتب به قائمة باسم جماعة اختارهم .

وأشيع أنه [1] أعطى القاضي الشافعي خمسين ديناراً ولكل واحد من القضاة الثلاثة عشرة و لم يقبلها الحنفي لكون الخصومة عنده، وذُكر أن المالكي ردّ له ما يخصّه أيضاً. وعيّن لِفرّاشي[2] الحرم عشرة ولأصهار بني الضياء عشرة، وللشيخ ابن ناصر وولديه خمسة .

وأشيع في هذه الجمعة أنّ إسكندر أمير زبيد خرج عليه عرب الزيدية في محل يعرف بالضحى فقاتلوه ومنعوه الدخول إلى زبيد وقتلوا منهم سبعين نفساً وبعض خيل. وتخبّط اليمن وغلتْ[3] الأسعار بزبيد وأعمالها، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

شهر ربيع الثاني من سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩ م)

استهل ناقصاً في ليلة الجمعة .

وفي صباحها جاء الخبر إلى مكة بوصول ثلاث جلاب من اليمن في أحدها الأمير

(١) كلمة تكررت بالأصل .
(٢) بالأصل: لفراشين .
(٣) بالأصل: غليت .

سِنان الرومي الذي كان باليمن أميراً في اللّحية، ثم ركب البحر في غراب وصار يقطع الطريق ويمنع الميرة لأهل مكة، فألهمه الله تعالى التوجّه إلى السيد بركات سلطانها في فريقه جهة [٢٦ أ] اليمن وإهدائه له هدية والتكلّم معه في العفو عنه مما صدر منه، ويأذن له في التوجّه إلى مكة. فأكرمه على هديته وأثابه وأذن له في التوجّه إلى جدة فوصلها وصحْبته الشهابي أحمد بن قاسم المغربي الأصل المكي المشهور.... [1] بابن الدب. وكان في دهلك مع أخيه الوجيهي عبد الرحمن متولي البلد. فلما قُتِل فيها توجّه إلى سلطان النصارى لصحبته لأخيه. واحتال عليه سنان الرومي بالأمان والأيمان ووعده المساعدة والنصرة على قاتل أخيه. فلما جاءه قدم إليه هدية كبيرة وطمع فيه وطلب منه فرضة مال ليصرفه على عسكره، فأعطاه ألفي دينار ثم قبض عليه فوضعه في الحديد واستولى على الذي معه، وصحبَه رفقْته إلى جدة، ففارقه منها وعاد إلى مكة فوصلها صفر اليديْن عاري الثديين، خلا ما هو على جسده، ففرح به إخوانه وأهله وجيرانه .

وفي ظهر يوم الإثنين رابع الشهر مات الشيخ المعمر عز الدين عبد العزيز بن عبد اللطيف بن أحمد بن جار الله بن زائد المكي بعد توعّكه مدة يسيرة بالإسهال، ثم قوي عليه ريح القولنج، وقيل ذات الجنب في ليلة وفاته فقضى نحبه، وعمره سبع وثمانون سنة وثلاثة أشهر، فجهّز في يومه وصلّي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة، وشيّعه جماعة من الفقهاء إلى المعلاة، ودُفن بتربة بني النويري في الشعب الأقصى على قبر أمّه وجدّاته من جهتها وهي زينب ابنة القاضي أبَي الفضل النويري التي صار إليه منها التحدث على رباط والدتها السيدة أم الحسين ابنة القاضي شهاب الدين الطبري بمكة وأوقافها بها وبأعمالها. وخلّف عصَبَة فيهم عمه، هم ابنا أخيه شقيقه عبد اللطيف وأبو

(١) غير مقروءة بالأصل .

سعيد ابنيْ عبد القادر بن علي جار الله بن زائد وعبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن جار الله المذكور .

وفي صبْح يوم الأربعاء سادس الشهر عُمل عقد مجلس في زيادة دار الندوة عند قاضي القضاة الشافعي والمالكي بسبب الخواجا بركات الحلبي والخواجا بدر الدين بن مالك. وكان أولهما أرسل قاصداً لصاحب البلاد السيد بركات في اليمن يُخبره بقضيته، فأرسل جوابه للحاكم بمكة القائد مبارك بن بدر عَبْد الشريف بالتوجّه صحبتهما إلى الشرع لينفصلا بحضوره. فحضر معهما وصحْبَته جماعة من أتباعه وبعض الفقهاء والتجار، وتعذّر الحضور لسقْمِه، فوقعتْ في المجلس قلاقل لا طائل تحتها، وأمِرَ الخصمان بالصلح فلم يرضيا، وطال المجلس إلى الظهر ثم انفضّ على غير فصل لتساهل القضاة واختلافهم وعدم مبالاة الأخصام بهم، وقوة شقاق التجار، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي صبح يوم الجمعة ثامن الشهر مات شيخ الحنفية مفتي الفرقة الإسلامية الورع الزاهد والقدوة العابد شمس الدين محمد ابن المقرّ النجمي دولات باي نائب الديار الشامية كان، تغمّده[1] الله بالرحمة والرضوان، وكان توعّكه نحو شهر بالحمى والإسهال، فجهّز في يومه وصلّى عليه عند باب الكعبة بعد صلاة العصر إمام الحنفية السيد [٢٦ ب] عبد الله البخاري بأمر ولديْه محمد بن النجمي والبدري، وشيّعه خلق من الأعيان والعامة إلى المعلاة ودُفن بها في الشعب الأقصى في تربة لأمه أوصى أن يدفن تحت رجلها وترحّم الناس عليه لفقدهم له ولاحتياجهم إليه، وخلّف ولدين كبيرين وبنتا وزوجة، رحمه الله تعالى وأخلفهم فيه خيراً .

وفي يوم تاريخه وصل الخبر إلى مكة أنّ قاصداً وصل إلى جدة المعمورة من مصر

(١) بالأصل: تغمدها .

دوادار نائب جدة الأمير قاسم الشرواني ومعه أوراق له ولجماعة فيها الإخبار بدخول الحاج إلى مصر في سابع عشريْ الشهر بعد عادتهم بخمسة أيام، وذلك لانقطاعهم في الطريق من الغلاء والجوع وتعب الجمال. وكان ملك الأمراء أرسل لهم مُلاقين إلى الأزلم[1] فارتفقوا بها. وأنّ المباشرين الخمسة المتوجهين إلى إسطنبول صحبة المقر العلائي ناظر الخواص أسَرهم الإفرنج وأسَرَ منهم ثلاثة أنْفُس هم نقيب الجيش يونس والمقر البدري والمقر العلائي. وأنّ ملك الأمراء نائب الديار المصرية أرسل إلى الطور أربعة آلاف إردب قمح لبيعها بمكة وتفرقة مائة إردب على الفقراء بها. فتباشر الناس بها بذلك ورخصتْ الأسعار بمكة وجدة، الربعية الحب المصرية في مكة بثلاثة محلقة ونصف وبعضها ينقص ربعا، وبجدة بثلاثة محلقة إلا ربعاً. والإردب بعشرة أشرفية وقيل بتسعة، والله تعالى يُرخّص الأسعار .

وفي يوم الإثنين حادي عشر الشهر وصل الخبر بمكة بوصول شخص بدويّ لجدة وهو قاصد لصاحب مكة السيد بركات معه خِلَعٌ ومراسيم له، وجملة أوراق لخلق مِن أهل مكة والمقيمين بها، فلم يعطِ أحداً منهم شيئاً قبل مواجهة خلا ربطة[2] للوزير بجدة الجمالي محمد بن راجح من عند المقر الشهابي ابن الجيعان، فيها ورقة لقاضي القضاة الشافعي بمكة، وثانية للمحيوي العراقي فيها الإخبار بقضية المباشرين المأسورين وبعض أغراضه، ولم يتعرضْ لذكر القاضيين اللذيْن بمصر الحنفي والمالكي، وأشاع بعض أصحابهما أنّ القاصد ذكر بجدة أن معه أوراقاً[3] لهم، والله أعلم بحقيقة ذلك .

(١) الأزلم: من محطات الحجيج على الطريق الساحلي بين المويلح والوجه، انظر الجزيري: الدرر الفرائد ص١٣٨٨-١٣٩٣؛ البلادي: معجم معالم الحجاز ١: ٩١ .
(٢) الربطة: هنا معناها مجموعة أوراق المرسلات .
(٣) بالأصل: إنّ معه وأوراق .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشر الشهر وصل قاصد لمكة من جدة أخبَر أنّ مركباً هندياً يقال له الشاهي الكبير وصل إلى قرب جدة فيه صدقة لأهل الحرمين من عند صاحب كنباية الملك مظفر شاه ونزل منه جماعة وأخبروا بأن أربعة مراكب وصلتْ صحْبَتهم وتأخّرت[١] بعدهم في الباحة وهم يوسف التركي وطليعته وبركات الحلبي وناظر الصدقة الملك خواجا محمد بن شيخ علي الكيلاني[٢]. ووصل فيها جماعة من أهل مكة المجاورين في الهند منهم الخواجا بدر الدين حسن بن حسين قاوان، والخواجا إبراهيم الشامي ابن الشيخ علي الدمشقي والشيخ عبد[٣] الرزاق ابن الشيخ عبد الله بن عامر المساوي، فتباشر التجّار وأهل الحرم بذلك، فالله تعالى يُكْثر الخير على المسلمين ويُرخّص أسعارهم .

وفي ليلة الخميس ثاني تاريخه دخل الإمام شرف الدين ابن الإمام مكرم ابن شيخنا قاضي القضاة محب الدين محمد الطبري المكي الشافعي على زوجته فاطمة ابنة الوجيهي عبد الرحمن بن علم الدين العقيلي النويري المكي، فهنأه الناس بها في صباح تاريخه على العادة، وعمل سُفرة حضرها أهله وبعض أصحابه، فالله تعالى يجعل كلاً منهما مباركا على الآخر .

[٢٧ أ] وفي عشاء ليلة السبت سادس عشر الشهر مات شيخنا العلامة المفتي القدوة الزاهد ولي الله تعالى عفيف الدين عبد الله باكثير ابن الشيخ شهاب الدين أحمد

(١) بالأصل: تأخر .
(٢) ورد هذا الاسم في نص الكتاب مراراً، وهو تارة يرد بالكاف " الكيلاني " وتارة بالقاف " القيلاني " والتزمنا في ذلك متابعة المخطوط .
(٣) كلمة تكررت بالأصل .

ابن .... [١] الحضرمي الأصل المكي الشافعي بعد توعّكه جمعة بالحمى وانكتام باطنه. وكان قبل ذلك في الجمعة التي قبْل تاريخه صلّى في المسجد الحرام جماعة وقال: هذه جمعة الوداع وصار يودع البيت ويقول: لا أوحش الله منك. وأمر بعض أولاده بتحمّل دَيْنه في حياته فدار على مُداينيه فأخبرهم بذلك فرضُوا بذلك وبعضهم أبْرأ ذِمّته منه، وجملته مائة وعشرون[٢] ديناراً، فحينئذ طاب خاطره وصار يلازم ذكر الله تعالى وقت إفاقته وتردد الناس إليه أفواجاً وهو يسألهم الدعاء ويمازحهم كعادته، وكلّهم خائفون عليه، فقدّر الله تعالى إسكاتَه يومين وليلتين مع كونه يشير بذكر الله تعالى يفهم ذلك مَن حوله .

ورُئيَتْ له عدّة منامات حسنة يُقْضى له فيها بالخير، منها أنّ شخصاً جَبَرتيا مباركاً يقال له الشيخ عبد الله رأي النبي ﷺ في المنام وهو يقول له: الليلة يموت الشيخ أبو كثير توجَّهْ لجنازته فإنه من أهل الخير وقل لأولاده يجعلون في قبره قطعة من كسوة الكعبة، فأخبرهم بذلك فامتثلوا أمره.

ورأى شخص آخر أنّ منائر المسجد الحرام الأربعة التي في أركانه وقعتْ، فأوّلَ بعض الناس موت أربعة من علماء البلد في هذا العام، فكان أولهم شيخ الحنفية شمس الدين محمد ابن النجمي ثم شيخنا باكثير. فجُهّز في ليلة موته وصُلّي عليه بأمر أولاده بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة الشيخ عبد الكبير بن ياسين ابن الشيخ عبد الكبير الحضرمي، نفع الله به، وشيّعه خلقٌ من الأعيان والعامة في جنازة [٣] خلفه حُمِلتْ على

(١) بياض بمقدار كلمة .
(٢) بالأصل: عشرين .
(٣) وردت هذه الكلمة بالأصل غير معجمة .

الرؤوس وتزاحم الناس عليها. وكان يوماً مشهوداً، والخلق فيه شهود[١]، فدُفن بالشِّعب الأقصى في تربة استجدّها من حياته، فحصل عليه البكاء والأسف ممن لم يعرفه ومَن له معرفة، وفقدَه الناس لخيره وعلمه وبشاشته وحلمه مع الزهد والورع وملازمة الإقراء للطلبة ونفعهم به طول النهار وعدم تكلفه لهم وإمدادهم بصالح دعواته. فصار الخلق يترددون إلى قبره صباحاً ومساء ويقرؤون له القرآن وعُمل له ختم في يوم الثلاثاء رابع يوم موته أنشدت فيه مرثيتان أولاهما[٢] لإمام الشافعية شرف الدين إسماعيل الطبري وثانيتهما[٣] للشهابي أحمد المحوجب، أولهما أحسن نظما فنذكرها هنا وهي.... [٤] .

[٢٧ ب] وفي ظهر يوم الأحد سابع عشر الشهر مات المعلم عمر بن أحمد المكي المعروف بشنة أحد باعة الصبغة في القفص .

وفي يوم الجمعة ثاني عشريْ الشهر كان عقد الخواجا وجيه الدين عبد الرحمن ابن المسعودي الطرابلسي المغربي على زوجته البكر السيدة المحجّبة سيّدة الجميع ابنة شيخنا قاضي القضاة بالحرمين الشريفين النجمي ابن يعقوب المالكي رحمه الله تعالى في.... [٥] والدها، حضرها قاضي القضاة الشافعي وجماعته وبعض الفقهاء والتجار، وأُنشِدَتْ [٦] في المجلس قصيدة حسنة لبعض المغاربة في الزوج، فأعْجبتْ الحاضرين لما

(١) بالأصل: شهوداً .

(٢) بالأصل: أنشد فيها مرثيتين أولهما .

(٣) بالأصل: وثانيهما .

(٤) سقطت القصيدة من الأصل وترك الناسخ بقية الورقة بيضاء وهو مقدار عشرة أسطر .

(٥) كلمة غير واضحة بالأصل .

(٦) بالأصل: وأنشد .

فيها من المعاني والبلاغة وهي.... [١] .

وفي ليلة السبت ثاني تاريخه دخل الخواجا عبد الرحمن المسعودي على زوجته في بيت والدها وهنأه الناس بها وعمل له مَدّة مختصرة أطعمة مفتخرة كالمأمونية والزايرباج والرزين والضلع المحشي وغير ذلك. حضرها جماعة من أصحاب أخيها والزوج، فالله تعالى يخلف عليهما بخير ويبارك لكل منهم بمحمد وآله .

وفي يوم الإثنين خامس عشريْ الشهر وصل مرسوم السيد الشريف مع قاصد من عنده وصل من جهته حلي لقاضي القضاة الشافعي فيه الشكر منه فيما فعله مع أمير الحاج المصري وتفويض أمر الحجاز إليه. وإخباره بإرسال عسكر بحراً للتوجّه إلى جهة الفرنج المخذولين ومساعدتهم وتجهيزهم بسرعة. وكتب الشريف معه رزمة للقاضي يخبره بوصول ورقته إليه وبلغه وصول مرسوم أخيه القاضي بدر الدين بن ظهيرة بالنيابة في القضاء لمكة، فأمره بالتوقف حتى يحضر فينظر في حاله وأنه يرسل بمرسومه إلى نائب جدة بها ليطلع عليه ويرسله له بعد ذلك. ووصل منه للحاكم بمكة القائد مبارك ورقة فيها: إنّا أرسلنا إليك بالأوراق التي وصلتْ مع قاصدنا من جهة مصر فترسلها إلى أصحابها[٢] كالقضاة الذين بمصر والتجار ويأخذ منه حلوانه على العادة. ولم يصرح بولاية أحد ولا عزله، فخاط أهل الأغراض في ذلك وماطوا، خصوصاً، واستمر القضاة الذين بمكة يباشرون الأحكام على عادتهم ولم يعتبروا إشاعة عزلهم لكونها من أخصامهم وكون الشريف لم يتعرض لولايتهم بوجه من الوجوه. والله أعلم بحقيقتها .

وفي ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه دخل الجمالي محمد ابن الشيخ زين الدين عبد الكبير

(١) سقطت القصيدة من الأصل وترك الناسخ بياضاً بمقدار ستة أسطر .

(٢) بالأصل: فترسلهم إلى أصحابهم .

الحرازي على زوجته البكر المراهق أم الحسين ابنة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الخياط المكي الشهير بروح جده [٢٨ أ] وفي صباحها هنّأه الفقهاء بها وعُمل له سفرة مختصرة حضرها أقارب الزوج وأصحاب والده وغيرهم .

وفي يوم تاريخه ظهرتْ سرقة كبيرة عند شرف الدين ابن القاضي بهاء الدين ابن قاضي القضاة جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة مِن جارية حبشية، لبعض التجار الشاميين وكان ساكناً في بعض بيوت بني ظهيرة في السويقة، وتوجه إلى جدة وأغلق بابه، ففتحَه وأخذ منه نقداً كثيراً نحو الألف وقماشاً وعنبراً ولآلئَ، وتوجّه ببعضها إلى حلي فباعه وعاد إلى مكة وأقبل على اللهو والفساد. فاطّلع التاجر على ذلك برؤية بعض ملبوسه عليه، فشكاه إلى عمّه قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة فمسكه وضربه ضرباً مؤلماً، فأقرّ بحمله أمتعة عند جماعة من السوقة وغيرهم اشتروها منه. فدفعه عمه إلى حاكم مكة القائد مبارك بن بدر فوضعه في السجن وضربه أيضاً ضرباً مؤلماً، وطالب المشترين منه بما أخذوه فظفر بجملة أمتعة رُدّتْ على صاحبها مع كونها قدراً كثيراً. وتألم أقاربه وغالب أهل مكة لذلك لكونه من بيت رئاسة. فالله تعالى يتوب عليه ويستره أو يهلكه ويقصمه .

وفي يوم الأربعاء سابع عشريْ الشهر أمر القائد مبارك بن بدر بالنداء في شوارع مكة وأسواقها بتجهيز الأروام الذين بها إلى جدة ليسافروا صحبة الأمير سنان الرومي بحراً إلى اليمن لمواجهة السيد الشريف بها، وما عُلِم مقصده بذلك مع كونه أشيع أنّ السيد بركات نيته العود إلى مكة قبل تنجيل [1] المراكب الهندية ليحضر عشورها،

---

(١) التنجيل: إنزال التجارة والبضائع من السفن، ورد استعمال هذا اللفظ في العقد الثمين للفاسي ٤: ٩٢؛ وعند العز ابن فهد في غاية المرام ٢: ٢٥٦، ٢٩١، ٣٤٤ .

وتواترت الأخبار بذلك. فالله تعالى يقدر للمسلمين خيراً ويحفظ عليهم السيد الشريف بركات ويطيل [عمره] [1] فإنه بركة الحجاز، في الحقيقة لا المجاز .

وفي يوم الخميس ثامن عشريْ تاريخه ظهر للقاضي الحنبلي المحيوي عبد القادر بن ظهيرة القرشي ابنة ثالثة من جارية حبشية سماها لطيفة، لطف الله تعالى بها وبالمسلمين.

وفي ليلة الجمعة تاسع عشريْ الشهر وُلد للشيخ محيي الدين عبد القادر بن فهد ابنة ثانية مباركة إن شاء الله تعالى سمّاها أم هاني ست بني هاشم، وأمها سيدة الكل ابنة الشيخ جمال الدين محمد بن قاسم الدب المغربي الأصل المكي. فالله تعالى يجعلها مباركة عليه وعلينا وينشئها نشأً صالحاً ويُقِرّ أعيْننا بأولاد ذكور، بجاه سيد الأولين والآخرين .

وفي صبح يوم السبت ثاني تاريخه ماتت ابنة للخواجا عبد القادر بن شمس الدين المصري نزيل مكة الشهير بالمغربي من الشريفة فاطمة ابنة الشيخ إمام الحنفية شمس الدين محمد البخاري، عمرها ثمانية أشهر، فصلّي عليها بعد صلاة العصر وشيّعها جماعة من الفقهاء لأجل خالها إمام الحنفية العفيف عبد الله البخاري، وتخلف عن الطلوع معها إلى المعلاة شقيق أمّها الشيخ شهاب الدين أحمد البخاري نفسه ولأمها من مدة طويلة [2]، وأنكر عليه ذلك بعضٌ، فإنه كان أحق بها من أخيه الثاني. فسبحان مقلّب القلوب وقاسم العقول .

شهر جماد الأول جعله الله شهراً مباركاً من سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م)

[٢٨ ب] استهل كاملاً في ليلة الأحد .

---

(١) كلمة سقطت من الأصل .

(٢) كذا وردت الجملة بالأصل، ولعلها منقوصة .

وفي صباحه ولد للإمام خير الدين أبي الخير بن أبي السعادات الطبري المكي الشافعي ابنة مباركة -إن شاء الله- سمّاها أم الخير سُتَيْت، وأمها ستّ الجميع ابنة الخواجا قاسم المغربي الشهير بالدّبّ نزيل مكة المشرفة، وله منها ولد غيره .

وفي ظهر يوم الإثنين ثاني تاريخه وصل قاصد من عند السيد الشريف بركات من جهة اليمن ومعه جملة أوراق لجماعة من الناس، وصُحبتْه أربعة مراسيم لقاضي القضاة الحنفي بديع الزمان بن الضياء والمالكي الزيني عبدالحق النويري، اثنان منها للسيد الشريف بركات، واثنان مطلقان لكل واقف عليهما[1]. شاهدتُ مرسوم أولهما المطلق صورته .

في العنوان: الاسم الكريم. مرسوم كريم مطلق إلى كل واقف عليه من المقر الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري الشريفي الزيني أمير مكة المشرفة وشيخ الإسلام الشافعي بها والأكابر والأعيان والحكام الخاص والعام بالأقطار الحجازية أعزهم الله تعالى، بأن يتقدموا باعتماد ما تضمنه هذا المرسوم الكريم والعمل به

وباطنه بالخط الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، الملكي المظفري خائر بك .

المرسوم بالأمر الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري السيدي المالكي المخدومي الأعظمي السيفي خائر بك نائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية وما مع ذلك، أعزّ الله تعالى أنصاره، وضاعف اقتداره .

إلى كل واقف عليه من المقرّ الكريم والجناب العالي والمجلس السامي الغالي الأميري والقاضوي والقضاة الكبيرية الشريفي الزيني نائب السلطنة الشريفة بمكة المشرفة والأقطار الحجازية والأكابر والأعيان والخاص والعام وولاة الأمور بمكة المشرفة أعزهم

(١) بالأصل: عليهم .

الله تعالى:

نعلمكم أن المجلس العالي القاضوي الكبيري العالمي العَلاّمي البليغي المفيدي البارعي المجيدي الأوحدي الأكملي الأصيلي العريفي البديعي قاضي القضاة ابن أبي الليث ابن الضياء الحنفي تغمد الله تعالى روح والده برحمته وأدام نِعَمه. المشار إليه توجّه إلى جهة خدمة الأعتاب الشريفة المقام الشريف الجنكار الأعظم مالك رقاب الأمم، خلد الله تعالى ملكه وسلطانه، ونصر جيوشه وأعوانه، وعاد إلى أبوابنا العالية من حلب المحروسة وعلى يده مرسوم شريف، مشمول بالخط الشريف، يعود وظيفة قضاء القضاة الحنفية بمكة المشرفة إليه على جاري عادته، ومستقر قاعدته.

ومرسومنا لهم أن يتقدموا بتمكين نائب المشار إليه من تعاطي الأحكام الشرعية وإقامة ناموس الشرع الشريف إلى حين توجهه من أبوابنا العالية وتقْوية يده وشد عضده ومعاملته بكل جميل وكل رعاية، ومساعدته على تنفيذ الأحكام الشرعية وإقامة ناموس الشرع الشريف من غير تهاون في ذلك ولا إهمال .

وليعتمدْ هذا المرسوم الكريم كل واقف عليه وسامع وناظر إليه وليعمل بمضمونه ومقتضاه، من غير عدول عن لفظه ولا خروج عن معناه، والخط العالي أعلاه، والحجة بفحواه، إن شاء الله تعالى .

بتاريخ مستهل شهر صفر الخير سنة خمس وعشرين وتسعمائة. والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ومرسوم المالكي بمضمونه، وكذا مرسوما[1] الشريف، وأرسل كل منهما ورقة للشريف والحنفي وورقة لقاضي القضاة الشافعي وورقة لأخيه أبي السرور بنيابَتِهِ في

(١) بالأصل: مرسومي .

القضاء، وكذا [٢٩ أ] لإمام الحنفية شهاب الدين أحمد بن البخاري، و لم يكتب له ورقة، وقال لأخيه العمدة في النيابة ولنائبهما ورقة لولده علي بالنيابة فقط.

فعند وصول هذا الخبر إليهم مع قاصد الحاكم مبارك بن بدر خلع على كل من أخي الحنفي وابن المالكي ثوب صوف عليه، ودقتْ النقارة على بابهما وهنأهما الناس بالولاية، وتألم كثير من الأخيار لعزل القاضيين اللذيْن قبْلهما لكِبَر سِنهما وعلمهما ودينهما، فالله تعالى يلطف بالمسلمين ويُعينهم.

ووصل مع هذا القاصد عدة أوراق للناس فيها أخبار كثيرة منها غلو الحب بالقاهرة(1)، بحيث بلغ الإردب بسبعين محلقاً ثم نزل إلى ستين محلقاً، والرطل السمن بأربعة محلقة.

وفي يوم تاريخه وصل الخبر من جدة أن مراكب الهند الأربعة دخلتْها في صباح السبت سلخ الشهر وهي الشاهي الكبير ويوسف التركي وطليعته وبركات الحلبي أربعتهم من كنباية، وظهر ففرح الناس بذلك فرحاً كثيراً، فالله تعالى يديم أفراح المسلمين ويُرخّص أسعارهم.

وعرض عرْضة حسنة في ثاني يوم دخولهم، ونزل ناخوذة الشاهي حاملاً (2) على رأسه بالمصحف الشريف الذي وصل به معه بخط السلطان مظفرشاه صاحب الصدقة العظيمة الواصلة في سنة تاريخه جزاه الله تعالى خيراً وأمر بوضع المصحف في المسجد الحرام. وقرر في تقدمته الخواجا الأصيل بدر الدين حسن قاوان، وكان في الهند عنده، وقرر كثيراً من أهل مكة من صدقة مرسل بها في هذا العام، وهي كبيرة جداً لم يرَ

(١) بالأصل: القاهر .

(٢) بالأصل: حامل .

مثلها، ومقدارها نحو من ستين ألف دينار غالبُها لأهل مكة والباقي لأهل المدينة الشريفة. وسمعنا أن غالبها قماش ولاك ونيل (1)، ويعطي للمقررين ما قُرر لهم وللشريف خمسة آلاف وربطة قماش، والباقي يُبْنَى بها مدرسة بمكة المشرفة ويُجْعل فيها حضور عشرة أنفس كل واحد باثني عشر أشرفية وشيخهم إمام الحنفية، وتدريس لفقه الحنفية يباشره قاضيهم وغير ذلك مما لا يُتحقق، فالله تعالى يتقبل منه ذلك ويجزيه عليه الجزاء العظيم في الدنيا والآخرة. فإن ذلك وقع به عند أهل الحرمين موقعا كبيرا، لما هم فيه من ضيق (2) الحال لغلو الأقوات واستمراره مدة طويلة .

وفي ليلة الأربعاء رابع الشهر دخل الجمال محمد ابن الشيخ فخر الدين أبي بكر ابن سليمان الشيخ المكي على زوجته البكر المراهق ابنة الشيخ العلامة بدر الدين محمد ابن أحمد الجناحي(3) المالكي الأزهري نزيل مكة في بيت والدها. وبرز في صباحه و لم يُهنِهِ أحدٌ لاختياره لذلك. فالله تعالى يجعل كلاً منهما مباركاً على صاحبه. ومما قدره الله تعالى عليهما عدم الإلفة والمنافع، فأقاما في خصام نحو الشهرين ثم تفارقا، فالله تعالى يُغنيهما من سعة فضله، ويعوض كلاً منهما خيراً.

وفي يوم السبت سابع الشهر ابتُدئ في تفرقة حب صدقة السلطان (4) الأشرف قايتباي على أهل رباطه بمكة، الواصلة بحراً في عام تاريخه ولها سنين منقطعة، جملته

(١) النيل: نوع من البهار يؤتى به من الهند والعراق . انظر مفاكهة الخلان لابن طولون ٢: ١٠٢، وربما كان المقصود هنا الأوراق التي تستخرج منها النيلة الصابغة باللون الأزرق .

(٢) بالأصل: ضيع .

(٣) ورد هذا الاسم في الأصل غير معجم .

(٤) بالأصل: الصدقة السلطان .

ثلاثمائة إردب، أصْرِف منها قدر أربعين إردبا[1]، والباقي فُرق على أهل الرباط والأيتام وأهل المجمع من طلبة العلم وجملة من الوظائف غير الصوفية[2] [٢٩ ب] لكل واحد خمسة عشر ربْعية عن كل شهر بجموع كل شهر ثلاثة وعشرين إردباً، أعطي لكل واحد عن عشرة أشهر، فارتفق بها كثير من الناس وتضاعف دعاؤهم للواقف والناظر جزاهم الله خيراً .

وفي مغرب ليلة الإثنين تاسع الشهر وصل إلي كتابٌ من جدة المحروسة أرسله صاحبنا الخواجا الأصيل بدر الدين حسن ابن الخواجا حسين قاوان المكي الواصل من الهند صُحْبة المراكب والصدقة المظفرية، وكان هو غائباً في الهند في خدمة السلطان مظفر المذكور، مضمونه الإخبار بوصوله إلى بندر جدة في المركب الشاهي يوم السبت سلخ ربيع الثاني، ونزل منه ثاني شهر جماد الأول صحْبة أهل المركب والوكيل على الصدقة الملك محمد بن شيخ بن علي الكيلاني الشافعي والناظر عليها الخواجا صلاح الدين ومعهم المصحف الشريف بخط الملك مظفر شاه محمول على الرؤوس، فلما وصلوا إلى الساحل تلقاهم الأمير قاسم نائب جدة والجمالي محمد بن راجح الوزير بها وقاضيها الجمالي بن ظهيرة والتجار بها وخلق من العامة، فقبلوا المصحف ووضعوه على رؤوسهم ومشوا معه من باب الفرضة[3] وهو محمول قدامهم إلى أن وصلوا إلى بيت الوكيل بتهليلة عظيمة وأعلام ومعهم الشيخ عبدالرزاق المساوي وكان وصل معهم من الهند .

---

(١) بالأصل: إردب .
(٢) بالأصل: الصوفة .
(٣) باب الفرضة بجدة: هي مخازن الميناء وإدارته كما تدلّ عليه النصوص الكثيرة الواردة في هذا الكتاب. وقد عمرها الفقيه جابر الحارثي سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م. انظر العز بن فهد: غاية المرام ٢: ٢٦٨ .

وأما الصدقة الواصلة صحبتهم فهي عظيمة لم يُسْبَقْ صاحبها، وهي كلّ لك بخمسة آلاف أشرفي فمجموعها نحو ستين ألف دينار، منها ستة لكوك ونصف لأهل مكة، وأربعة لكوك ونصف لأهل المدينة الشريفة، غير قماش وبضائع وهدايا للشريف .

تفصيل ذلك لكّان[1] عن سنتين ماضيتين، عن سنة اثنتين وعشرين والتي[2] بعدها، وأربعة لكوك ونصف خدمة لوصول المصحف الشريف. ولأهل المدينة لكّان عن سنتين ماضيتين، ولكّان ونصف خدمة للمصحف. وقُرر في خدمة المصحف بمكة كاتب هذه الرسالة وجعلوا له في كل عام معلوم ستين ديناراً ويوضع في المدرسة التي أمر السلطان بعمارتها بمكة، وأرسل السلطان لكين تَنْكة[3] غير الأحد عشر لكّاً يُشْترى بها بيوت وتعمر وتوقف على المدرسة ويُقَرر فيها عشرة أنْفس شيْخهم إمام الحنفية السيد عبد الله البخاري، وعشرة أنفس من الحنفية يدرسون[4] بها وشيخهم القاضي الحنفي، وقرر لكل واحد منهم أربعة وعشرين أشرفياً، وشيخهم ثمانية وأربعين، وعشرة أنفس يقرؤون القرآن وشيخهم إمام الحنفية ورتب لكل واحد منهم اثني عشر أشرفياً ولشيخهم عشرين[5] أشرفياً، وللداعي عشرة أشرفية .

وكان السلطان اتفق مع الخواجا إبراهيم ابن الشيخ علي الشامي التاجر نزيل مكة وكان بالهند في مشترى دارهم[6] المجاورة للمسجد الحرام بجانب باب الصفا التي صارت

---

(١) بالأصل: لكين .
(٢) بالأصل: الذي .
(٣) التنكة: عملة فارسية كانت تستعمل بالهند، ذكرها ابن بطوطة في رحلته. انظر دوزي: تكملة المعاجم العربية تعليق النعيمي (مادة: ت ن ك) ٢: ٦٩ .
(٤) بالأصل: يدرسوا .
(٥) بالأصل: عشرون .
(٦) بالأصل: دراهم .

إليهم من الخواجا إبراهيم بن الزمن على إعطائه مائة وعشرة قِطَع لكّ، ويجعلها مدرسة، فقام بعض الناس عارض في ذلك وقال: إن البيت اشتراه أخوه ومات وله أولاد، فوقف الأمر ووُضع اللكّ تحت يد الوكيل حتى ينظر المشترى والمشاطر ويتأملهم، فإن كان البيت يساوي ذلك فيشترى وإن كان فيه غبن فاحش فلا يُشترى. وبلغ السلطان أمر اللكّ في العام [٣٠ أ] الماضي وما حصل للناس فيه من النقص فاغتاظ غيظاً عظيماً وأمر الوكيل أن يبيع العروض التي جمعها ولا يقسم الصدقة إلا ذهبا نقداً، وعين السلطان، نصره الله تعالى، لصاحب مكة الشريف بركات أيده الله تعالى ستة آلاف أشرفي وهدية تساوي أربعة آلاف أشرفي، الجملة عشرة آلاف وسأل فضله في عدم التعرض للصدقة وأخْذ الثلث منها على عادته وقال السلطان لوكيله: إن سمع الشريف ذلك حمدناه على فعله وإلا لا يُعطى شيئاً وتُخلى الصدقة مرمية ونكاتب السلطان سليم شاه وصاحب مصر ونخبرهم بما وقع ومهما أمر به نفعله، فنسأل الله تعالى أن يُصلح الأحوال ويوفق ما بينهم .

وقُررَ جماعة كثيرون من الفقهاء في هذا العام بواسطة كاتب الرسالة، وأكثر ما يكون لكل واحد إلى المائة، وأقل ما يكون إلى الخمسين والثلاثين. [وكانت المبالغ الكثيرة للصفويين بواسطة الوزير خداوند خان](١) .

وسُميَ جماعة منهم كاتب هذه الأحرف وابن أخيه وبعض أقاربه وأصهاره وغيرهم من أصحابه بواسطة ذكره لهم في رسالة أرسلها لكاتب الورقة وخاله الشيخ شرف الدين أبي القاسم بن فهد، وقال: كل مَن كان له اسم في القديم يقبض مرتين عن العام وهذه السنة، وأيضاً يقبض حصة في الخيرات العامة التي هي صحبة المصحف

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

الشريف المتجددة هذه السنة. فالله تعالى يتقبل من هذا الملك فعل الخيرات، ويغفر له السيئات، وينصره نصراً عزيزاً، ويفتح له فتحاً مبيناً، فإنه انفرد بفعل هذا عن سلاطين زمانه، فصار بذلك أوحد عصره وأوانه، فقد فاض إحسانه على الحرمين الشريفين .

وفي عصر يوم الإثنين تاسع الشهر المذكور وقع في المدرسة الأشرفية خصام بين القاضي الحنبلي محيي الدين عبد القادر بن ظهيرة والشيخ أبي الفضائل ابن الضياء الحنفي بسبب جلوس ثانيهما على طرف إيوان صغير بجانب أولهما مُعْتَـلٍ عليه، فأمره بالنزول إلى جانبه فامتنع من ذلك فقام إليه وجره إلى أسفله، وتكالما كلاماً فاحشاً، فقام إليهما القاضي شرف الدين يحيى ابن القاضي عز الدين بن الفائز بن ظهيرة ومسك ابن الضياء وتوجه به إلى مجلسه فسكن الكلام. ثم بعد الحضور طلب القاضي الحنبلي خصمه بالتوجه إلى القاضي الشافعي، فتواصلا إليه ووقع بينهما خصام بحضرته ثم انفصلا على غير طائل. وانتقد الناس على كل منهما فعله، فلا قوة إلا بالله. [والحنبلي شرير سفيه جاهل](١) .

وفي مغرب ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه ماتت سيدة الجميع ابنة الخواجا جمال الدين محمد بن محمود الفومني، زوجها القاضي عز الدين الفائز بن ظهيرة، ولها معه سنة كاملة إلا يوماً، فجهّزتْ في بيت والدها بالشبيكة، وصلّي عليها بعد صلاة الصبح، وشيّعها خلق من الأعيان، ودُفنت بتربة سلفها عند الشيخ الزيلعي، وعُمل لها ربعة صباحاً ومساءً، وخُتم لها في يوم الجمعة رابع موتها، رحمها الله تعالى. وخلفتْ زوجاً ووالدة وأخاً وأختاً شقيقين. وبلغني أنها أشْهدتْ قبل زواجها أنها ليس لها ملك بل جميع الذي معها لأمها، وما ورثْته من أبيها ملك لأخيها، والله أعلم بحقيقة ذلك.

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

وفي عصر يوم الجمعة ثالث عشر الشهر ماتت عائشة شقيقة خوند زوجة الأشرف قايتباي زينب ابنة العلائي علي بن خاص بك بعد توعكها نحو جمعة بالحمى. فعمل لها فسقية جانب تربة الأمير تَنِبك الجمالي(١) في حضيرة مختص الخادم(٢) بالمعلاة في يوم وليلة. واستمرتْ في منزلها إلى أن تغيرتْ وأرْوحت، فجهّزت في ظهر ثاني تاريخه وصلّي عليها عند [٣٠ ب] باب الكعبة قبيْل صلاة العصر، وحصل على نعشها بشخانة خفيفة كعادة الخوندات بالقاهرة، وشيّعها جماعة قليلون لبروزهم بنعشها في هذا الوقت وخوفهم من ازدياد الرائحة الكريهة. فدُفنتْ في الفسقية التي أعِدتْ لها، رحمها الله تعالى، وخلفتْ ابنة بالقاهرة من الأمير الدوادار. وضُبط موجودها بعد يومين وهو قليل بالنسبة إلى حالها، فإنها تزوجتْ ستة أمراء مقدمين، مات كل منهم معها وورثته، لكن الأروام صادروها وأخذوا منها نحو مائتي ألف دينار على ما يُقال .

وفي يوم الإثنين سادس عشر ضرب النويري علي بن عبد الحق المالكي الجديد الزيني عبدوه ابن الشيخ نور الدين بن ناصر بيده ورمى(٣) عمامته من على رأسه بسبب أنه تكلم على بعض الرسل الذين أرسلهم القاضي المذكور خلف شخص هرب منه إلى الكعبة الشريفة ولزمها، فقال للرسول: أنا أؤدي الخصم للقاضي، فلما توجّه به إليه سبه سباً فاحشاً ومنعه من الشهادة على بابه. فتشوش كثير من الناس لفعله هذا وجرأته على الخصم وغيره من الناس بالضرب والسب الذي لا يليق فعله لأكثر منه، لكن الولد سر أبيه فالله يهلكهما ويُريح المسلمين من أحكامهما القراقوشية وأفعالهما الطاغوتية والجبروتية .

---

(١) هو تنبك الجمالي أمير المحمل المصري سنة ٩٠٣هـ . انظر العز بن فهد: غاية المرام ٣: ٨٢ .
(٢) ذُكر في غاية المرام للعز بن فهد ٢: ٥٩٤ .
(٣) بالأصل: وأرمى .

وفي عشاء ليلة الأربعاء ثامن عشر الشهر وصل إلى مكة ميتاً الوزير بجدة الجمالي محمد بن راجح بن شُمَيْلة الخفيصي الجدي، وكان موته فجأة بخارجها في الليلة قبل تاريخه، وحُمل منها في صباحها فجهّز في ليلته وصلّي عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة وظهرت له رائحة كريهة فصار بعض الناس يُقلّ الرحمة عليه. وشيّعه جماعة من الأعيان ودُفن بالمعلاة في تربة أعدها لشيخه العارف بالله الجنيد بن محمد المشرع اليمني في حياته، ودُفن بجانبه لطلب بركته، نفع الله به وغفر للميت بسببه، فإنه كان كبير العشارين بجدة والمتسبب في الغلاء لأهل مكة لتحكيره لأقواتهم الواصلة بحراً، وتقتيره على المتسببين براً فالله تعالى يسامحه، وان شَمَتَ به خلق من الناس. وأنشد فيه بعض الشعراء الأكياس:

هلك الكلب فجأة   أيها الناس كبروا
وأشعلا قبره لظى   يا نكير ومنكر

وخلف ابنة صالحة وذكراً مراهقاً اسمه إسماعيل يغلب عليه البَلَهُ وبنتاً بالغاً، فخُتِمتْ بيوته وعُلقت الفرضة السلطانية، وتعطل أهل المراكب الهندية من التنجيل حتى تولى الشريف حمن(١) وتولى عوضه .

وفي صبح يوم الجمعة عشرين الشهر عُمل له ختم بالمعلاة وتوجه ولده وأولاد أخيه إلى الشريف في جهة اليمن بسببه، فالله تعالى يعفو عنه ويعوضهم فيه .

وفي عصر تاريخه سافر قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة القرشي إلى جدة المعمورة بسبب موسم الهندي وودّعَه جماعة من الأعيان في منزله وتوجه صحبته ابن أخيه المحيوي ابن القاضي بهاء الدين .

---

(١) كذا بالأصل، ولعله يحيى بن سبيع الذي سيذكر في الصفحة ١٤٧ .

وفي ليلة الأحد ثاني عشريْ الشهر وصلت إلى مكة الشريفتان[1] أم السعود وبيدح ابنتا[2] السيد عجل أختا[3] الشريفة أم الكامل زوجة السيد الشريف بركات صاحب الحجاز من عند أختها بفريق زوجها في اليمن وأخبرتا[4] بتكلم الشيخ علي العماري صاحب حلي مع [٣١ أ] الشريف بركات في الصلح بينه وبين عرب القرب عبيد بن يعقوب على إعطاء أربعين درعا وأربعين فرساً ويرجع عنهم وهو متوقف في ذلك، فالله تعالى يقدر له خيراً ويُعامله بلطفه، فإنه بركة الحجاز على الإطلاق، وملكه بالاستحقاق.

وفي ليلة السبت ثامن عشريْ الشهر ولد لقريبنا الإمام أبي اليمن محمد ابن الإمام أبي السعادات محمد ابن شيخنا قاضي القضاة الإمام محب الدين الطبري المكي الشافعي ولد مبارك إن شاء الله تعالى سمّاه....[5] وأمه الشريفة....[5] ابنة الشريف أبي الخير محمد الحسني الفاسي، فالله تعالى ينشؤه نشأً صالحاً، ويجعله ولد الحياة عالماً فالحاً.

وفي ليلة الأحد ثاني تاريخه ماتت المرأة الجليلة زينب ابنة الخواجا محمد بن عبد الرحمن المسيني البصري الأصل المكي بعد وجعها مدة طويلة، فجهّزها صهرها زوج ابنتها صاحبنا الخواجا أبو الخير بن عبد القادر ابن فريوات الدمشقي في ليلتها، وصلّي عليها عند باب الكعبة الشريفة بعد صلاة الصبح، وشيّعها جماعة من الأعيان ودفنت بتربة سلفها بالمعلاة، وخلفت بنتاً وأخاً وأختاً، وحضر جهازها الشرائف صاحباتها[6]

(١) بالأصل: الشريفتين .
(٢) بالأصل: ابنتي .
(٣) بالأصل: أختي .
(٤) بالأصل: وأخبرا .
(٥) بالأصل: وقع تبييض الاسمين في الأصل .
(٦) بالأصل: أصحابها .

وأمعنوا في جهازها، وما وسع المتقدم في ذلك إلا الموافقة. فالله تعالى يخلف عليهم بها....[1] عمل خيراً ويُعظم لهم الأجر، ويُجْزل لهم الثواب والصبر.

وفي يوم تاريخه وصل الخبر إلى مكة بولاية يحيى بن سبيع الجدي لوزر جدة عوض عمه الجمالي محمد بن راجح، وأشرك ابن عمه المراهق إسماعيل وجعل عليهم مالاً، يُقال سبعة آلاف دينار، وأرسل الشريف معهم قاصداً لتسلم المال، فدخلا جدة قبل تاريخه وباشرا الوظيفة وهنأهما الناس بها، فالله تعالى يعينهما ويوفقهما لفعل الخير .

شهر جماد الثاني، أهل باليُمْن والبركة،
من سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م)

استهل في ليلة الإثنين ناقصاً .

وفي يوم السبت سادسه جاءت أوراق إلى مكة وإلى جدة[2] بأخبار تفْرقة الصدقة المظفرية الهندية على يد وكيلها في يوم الخميس رابع الشهر، فهرع كثير من الفقهاء للتوجه إليها فلما وصلوا لجدة وجدوا جماعة الشريف منعوا الوكيل من التفرقة حتى وصل الشريف من اليمن. وكان قبض جماعة القاضي الشافعي بني ظهيرة وكثير من الأعاجم، فتشوش الناس لذلك وحصل لهم....[3] بتكلفهم للشخوص وطلبهم وعدم قضاء حوائجهم، وتوجه بعض الناس في الكتابة له عند باب القاضي الشافعي بجدة فبلغه ذلك فتكلم عليه ومنعه من الكتابة. فصار الناس لا يُخْلونه من المباطنة في المنع وتعليم

(١) كلمة غير واضحة بالأصل .
(٢) بالأصل: إلى مكة إلى جدة .
(٣) كلمة غير واضحة بالأصل .

جماعة الشريف ذلك، وكثُر تشويش الناس معه خصوصاً وصار كثير من الفقهاء يتزاحمون في المجيء من مكة ويترددون إلى الوكيل، ويقول لهم: هاتوا لي خط القاضي الشافعي .

وفي يوم الإثنين خامس عشر الشهر وصل من مكة قاضيا القضاة الحنفي نسيم الدين المرشدي والمالكي الجلال الأنصاري وهما منفصلان عن القضاء لطلب استحقاقهما من المخاصمين [٣١ ب] لهما المتوليَيْن للقضاء عنهما لغيبتهما وحضور نُوابهما، وجاء الخبر يوم وصولهما من عند السيد بركات بفتح الفرضة وتعشير الهندي ففرح الناس بذلك وتباشروا بوصوله خصوصاً وقد حصل الصلح بينه وبين أهل حلي عبيد بني يعقوب المشهورين بالقرب وأنهم بذلوا له أربعين فرساً وثلاثين درعاً وعشرة آلاف دينار، وقصد العود إلى مكة، فالله تعالى يمن بوصوله ويفرج عن المسلمين ما هم فيه من التحير وعدم قضاء حوائجهم .

وفي يوم الجمعة تاسع عشر الشهر وصلتْ إلى جدة قافلة المدينة الشريفة وفيها أميرها السيد باز بن فارس بن شامان من طريق....(١) السيد بركات صاحب مكة المشرفة وتوجه إليه بها من خارج جدة ودخل هو ورفقاؤه وهم شيخ الحرم النبوي قاضي القضاة بالقاهرة كان شرف الدين يحيى بن البرديني الشافعي وصُحْبَته ولده، وقاضي القضاة الشافعي بالمدينة الشريفة الشرفي أبو(٢) الفتح بن صالح وقاضي القضاة الحنفي شمس الدين بن الخجُنْدي، والشيخ شمس الدين محمد بن عمر وولده، وخادم الحجرة الشريفة عنبر الشجاعي الخازندار وغيره، لأجل الصدقة الهندية الواصلة لأهل

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) بالأصل:أبي .

المدينة الشريفة من الملك مظفرشاه صاحب الأعمال الكجراتية، نصره الله تعالى وأدام أيامه، فتوقف أمرهم حتى يحضر الشريف كأهل مكة، فلا قوة إلا بالله تعالى .

وفي هذه الجمعة فُتِحتْ شُونة الحب الواصلة بحراً من ملك الأمراء نائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية للتوْسِعة على أهل مكة وبيعها على سعر الوقت ليرخّص في أسعارهم ومقدارها ألف وثمانمائة إردب، منها مائة إردب صدقة على أهل الحرم الشريف جعل أمرها للخواجا الأجل شرف الدين يحيى ابن شيخ سوق الدهشة الحلبي، فأخّر أمرها حتى توجّه إلى مكة، وبيع كل إردب بأحد عشر أشرفياً وربع مصاريف، ثم زاد ديناراً آخر، فارتفق الناس به كثيراً فصار يعطي كل شخص إردباً واحداً، فارتفق الناس به كثيراً(١) وجعل للسوق في كل يوم عشرة أرادب .

واتفق في هذه الجمعة إرسال الشريف بركات إلى جدة بغلو الفرضة السلطانية وعدم التسعير بها حتى يحضر أو يرد ما أخذه بواسطة موت الشخص الرومي الذي خلف حبا وضع يده عليه نائب جدة الأمير قاسم الشرواني لمساعدة ابن أخ له أوصى به عند موته مع ديون ذكرها. فعند وصول الخبر بذلك كاتَب الشريف نائب جدة وأركان الدولة بها بأن(٢) مخلف الرومي يُرد لجماعة الشريف وتُفْتح الفرضة لتفريج الهنود والتوسعة لهم لضيق الوقت عليهم في السفر. ففُتِحتْ بعد رد جواب الشريف .

وفي صبح يوم السبت عشريْ الشهر دخل الشريف بركات إلى مكة المشرفة محرماً وطاف وسعى وتكلم معه في الطواف بَعْض المغاربة المباركين المجاورين بمكة في أمر تحكير الأقوات بها وأنه ينظر في أمر الرعية فإنه مسؤول عنهم. فرده الشيخ نور الدين بن

(١) كذا تكررت الجملة بالأصل .
(٢) بالأصل: بأنهم .

ناصر الشافعي وقال له: ليس هذا محل ذلك، فأنكر عليه الناس ذلك فسكت، وأعجب الشريف فعله وأقبل عليه وسأله الدعاء وقال له: الغلاء والرخص من الله وهذا ليس مختصاً [١] بمكة، ووعده بالنداء وإظهار القوت فنُودِيَ بذلك في شوارع مكة، فقدّر الله تعالى ازدياد الأمر وارتفاع [٣٢ أ] الأسعار خصوصاً الحَب، فبيعت الربعية الحَب المصرية بخمسة محلقة بعد أن كانت بثلاثة ونصف، والربعية اللقيمية بستة محلقة، والأرز بخمسة ونصف، والذرة بخمسة، والرطل السمن بثمانية محلقة، والجبن بمحلقين ونصف، والعسل بثلاثة ونصف، واللحم كل رطل بمحلق ونصف ولا يوجد، والراوية [٢] الماء بمحلقين إلا ربعاً، والقربة بمحلق وربع .

فتشوش الناس لذلك وكانوا يترجوْن الرخص لكن [كان] [٣] أمر الله قدرا مقدورا، واستمر الشريف بركات بمكة هو وولده الشريف أبو نميْ وثانيهما متوعك وبعض الحكماء يتردد إليه حتى شُفيَ [٤]، ثم توجّه إلى وادي مر بأرض حسان في يوم الثلاثاء ثالث عشريْ الشهر. ونزل السعر بعدهم بمكة قليلاً، وتكلم جماعة الشريف بجدة مع المسعر على حَب ملك الأمراء ومنعه من البيع حتى يحضر الشريف بركات وينظر في مُوجِبه فامتنع من البيع، وانحصر الناس لذلك وطلعتْ أسعار الحب بجدة، فلا قوة إلا بالله.

وفي يوم الأحد ثامن عشريْ الشهر دخل إلى جدة أتراك الشريف نحو خمسين نفساً وأخبروا بوصوله بعدهم فتباشر الناس بذلك .

---

(١) بالأصل: مختص .

(٢) بالأصل: الراواية. والراوية: قِرْبة كبيرة من جلد الثور أو الجمل .

(٣) إضافة تقتضيها الجملة .

(٤) بالأصل: شبه .

وفي صبح ثاني تاريخه وصل ركابة الشريف إلى جدة فنزل في ظاهرها عند صهريج الخواجا محمد بن يوسف القاري في جهة الشام، فهرع الناس من أركان الدولة وغيرهم للسلام عليه أفواجاً أفواجاً، وعَمل له نُوابةُ هناك سماطاً حسناً حضره جماعته فقط .

وفي يوم تاريخه مات بمكة الشيخ العالم الصالح شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمار النوري الحلبي نزيل [١] مكة المشرفة وقارئ الحديث بها، من غير وجع سابق، بل تحركتْ عليه دموية فأُدخل المارستان المنصوري في عشية يومه فبات به ليلة ثم مات. فجهّز ضحوة تاريخه وصلّي عليه عند باب الكعبة ودفن على والدته بالمعلاة، وخلف بعض كتب وولدا غائباً ببلده، رحمه الله تعالى ونفع به .

شهر رجب الفرد جعله الله شهراً مباركاً
وقضى فيه حوائجنا من سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م)

استهل كاملاً في ليلة الأربعاء ونحن بجدة المعمورة وكذا سلطان مكة السيد الشريف بركات وأولاده وقضاة القضاة والأعيان فتوجه الجميع إلى [٢] الشريف للسلام عليه في فريقه خارج البلد. وأنشده قاضي القضاة الحنفي نسيم الدين المرشدي متع الله بحياته قول بعضهم في التهنئة بالشهر .

قد أقبل الشهر فأهلاً به ... تَهَنَّ مولانا بإقباله
فالله يُبقيك لأمثالنا ... والله يُحيك لأمثاله

---

(١) بالأصل: نزل .

(٢) بالأصل: على .

فأعجب الشريف بهذين البيتين وصار يكررهما، وخلع على وكيل الصدقة الهندية الشيخ العلامة الملك شمس الدين محمد بن شيخ علي القيلاني[1] الشافعي خلعة قفطان مدنّر فدخل بها إلى البلد وهو معجب بها .

وفي ثاني تاريخه دخل السيد الشريف إلى جدة ونزل في بيت قاضي القضاة الشافعي، ثم توجّه راكباً إلى نائب جدة الأمير قاسم الشرواني وسَقاه سكراً مُذاباً ثم عاد إلى بيت قاضي القضاة الشافعي، فاجتمع به جماعة من الأعيان منهم قضاة مكة فسلموا عليه وتكلموا مع القاضي الشافعي في أمرهم، فأمر السيد الشريف بالقاضي بعد توجههِ من عنده فحضّره الشريف عرار بن عجل ثم قدّم للشريف حلوى فأكل القضاة معه وانصرفوا. وأقام الشريف [٣٢ ب] إلى قريب الظهر ثم توجّه إلى فريقه فعاد القضاة إلى القاضي الشافعي فوجدوا الشريف عرار عنده فتكلموا في معلوم القضاء بين القضاة المتولين والمعزولين، وتخاصم بعضهم ثم وقع الاتفاق على أن يُعطى لقاضي القضاة نسيم الدين المرشدي الحنفي نحو ثلث المعلوم لمباشَرتِه للوظيفة عن أقل من سنة ثلاث وعشرين ونصف سنة تاريخه، والباقي لنائب القاضي المتولي قاضي القضاة بديع الزمان بن الضياء عن سنة لولايته عن سنة اثنين وعشرين والتي بعدها، ولقاضي القضاة الجلالي المالكي قريب النصف لولايته عن سنة ثلاث وعشرين ونصف سنة تاريخه، والباقي للقاضي المتولي الزيني عبدالحق النويري. وحصة كل سنة أربعين ديناراً هي معلوم سنتين ماضيتين، سنة اثنين وعشرين والتي بعدها، وإنعام عن سنة تاريخه لوصول المصحف الشريف وتأخير الهند معلوم سنتين– على ما يقال – هما سنة تاريخه والتي قبلها. وحصل بوصول هذه الصدقة لأهل الحرمين الشريفين غاية الخير والرفق .

(١) هو الذي ورد اسمه سابقاً الكيلاني .

وفي صبح يوم الجمعة ثالث الشهر توجّه الوكيل والناظر إلى فريق السيد الشريف فوقع الكلام في الصرف للمستحقين المقيمين بجدة، فأنعم الشريف بالصرف لهم وألبس الناظر والمباشر على الصدقة خلعة حسنة ودخلا إلى البلد. ثم اجتمع الخلق إلى منزل قاضي القضاة الشافعي وكتَب كل واحد من المستحقين إشهاداً بما يقبضه فكُتِب له عليه وتوجّه به إلى الوكيل فكتب له بالصرف إلى الصيْرفي فقبض الناس استحقاقهم ثاني تاريخه وانفرجوا بعد الضيق، وفرح لهم كل صاحب وصديق، فالله تعالى يُجزي المحسنين، ويُصلح أحوال المسلمين، ويفرج الهمّ[1] عن المدينين، ويكتب السلامة على المسافرين، وينْصر غُزاة الموحدين، بجاه سيد الأولين والآخرين.

وفي فجر يوم الإثنين سادس الشهر وُلد بمكة النجل السعيد إن شاء الله تعالى نجم الدين محمد ابن القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخنا قاضي القضاة بالحرمين الشريفين نجم الدين محمد بن يعقوب المالكي المكي، وأمه السيدة الجليلة سيدة قريش ابنة قاضي القضاة بالحرمين الشريفين محيي الدين عبد القادر ابن الشيخ العلامة نجم الدين محمد بن ظهيرة القرشي الحنبلي. وكان والده وجده لأمه بجدة فأُرسِل قاصد لوالده، ففرح بذلك هو وأصحابه. جعله الله ولداً مباركاً وأنشأه نشأً صالحاً وأقر به عين أبيه، ووالدته ومُحِبيهِ .

وفي هذه الجمعة عاد إلى مكة الفقهاء الذين بجدة بعد قَبْضهم لتعلقِهم في الصدقة المظفرية .

وفي مغرب ليلة الأربعاء ثامن الشهر وصلت إلى جدة زعيمة من ينبع أخبَر رَكَبَتُها بوصول جلاب إلى الطور، وفيها قاضي القضاة الحنفي بديع الزمان ابن الضياء القرشي،

(١) بالأصل: المهمومين .

ووصل منه فيها كتاب لأخيه القاضي أبي السرور الحنفي مضمونه: الشكر من ملك الأمراء والمقر الشهابي ابن الجيعان، وأن رفيقه القاضي المالكي الزيني عبد الحق النويري توجّه من مصر إلى الصعيد على نية العود منها إلى مكة، وأن إمام الحنابلة البدري حسن الزيني ولي قضاء المدينة الشريفة وهو يسعى في قضاء مكة، وكان للفخري أبي بكر ابن الشيخ كريم الدين بن ظهيرة. ثم بلغهم [٣٣ أ] موته، وسبب ذلك ما أشيع عن المتولي من قذف عرضه ولفعْلِهِ في ابنته، فبلغه ذلك فكتب محضراً مضمونه براءته مما نُسبَ إليه وأن الناس راضون به في أحكامه وليس في البلد غيره من الحنابلة يصلح للقضاء، فكتب له فيه صاحب البلاد السيد بركات والقضاة والفقهاء والأعيان من أهل البلد وغيرهم من الغرباء الأروام، وتوجه به إلى جدة على نية السفر به ثم نأى عن ذلك وأرسل به مع نائبه الشهابي أحمد ابن الشيخ كريم الدين بن ظهيرة الحنبلي بحراً ليوصله إلى ملك الأمراء بالديار المصرية. والله تعالى يلطف بالمسلمين ويقدر لهم خيراً .

وفي ليلة الثلاثاء رابع عشر الشهر سافرتْ قافلة المدينة الشريفة من مكة المشرفة وفيها جماعة من الأعيان، منهم القاضي العلامة الزاهد عز الدين الفائز ابن قاضي القضاة بجدة ابن الخطيب فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة القرشي الشافعي وأخوه القاضي الرئيس جلال الدين محمد بن ظهيرة وزوجته السيدة الجليلة أم الحسين ابنة قاضي القضاة الجمالي أبي السعود بن ظهيرة شقيقة قاضي القضاة الصلاحي والشيخ الأديب محيي الدين عبد القادر ابن الشيخ عبد الرحمن العراقي المكي ومعه زوجته وعزم على أمها وأخيها الزيني جعفر بن عبد القوي واختهما، وغيرهم من الأعاجم والسوقة ما يأتي مقدار حمولهم نحو مائة حمل، فأقاموا في وادي الجموم إلى الظهر ثم رحلوا منها وودَعْتُهم بها، كتب الله سلامتهم وتقبل زيارتهم .

وبلغني أن الشريف عرار بن عجل الحسني توجّه من جدة بقافلة أخرى على نية التوجه إلى المدينة الشريفة ثم إلى ينبع .

وفي ليلة الجمعة رابع عشريْ الشهر وصل إلى مكة المشرفة المتحدث على الصدقة المظفرية الهندية الملك محمد ابن شيخ علي القيلاني وصُحْبَتُه المصحف الشريف المظفري وقواد من جماعة الشريف وبعض قواسة من جماعة نائب جدة، فسكن في بيت الشيبي المعروف قديماً بدار عمرو بن العاص عند باب العجَلة أحد أبوابَ المسجد الحرام وتوجه الناس للسلام عليه، وتردد له جماعة من العامة لأجل الصرف عليهم فوعدهم بعد عوْده إلى جدة وبيْعه بقية القماش والأمتعة التي تحت يده. فتشوشوا لذلك وأرادوا رَجْمه فتخوفوا من الجماعة الذين صُحْبته من الدولة .

وفي عصر يوم السبت مات القاضي نور الدين علي بن خالص المغربي[١] نزيل مكة بها، وكان نائبَ جدة مدة في زمن الأتراك، فجُهّز في ليلته وصُلّي عليه بعد صلاة الصبح من ثاني تاريخه وشيّعه جماعة ودفن بالمعلاة، وخلف أولاداً صغاراً، رحمه الله .

وفي ليلة الأحد المذكورة دخل السيد أبو[٢] بكر بن... [٣] القبيباتي الدمشقي على زوجته البكر كمالية ابنة شيخنا قاضي القضاة بالحرمين الشريفين النجمي محمد بن [٤] يعقوب المالكي المكي في منزل والدها، وهنأه الناس بها. فالله تعالى يجعل كلاً منهما مباركاً على صاحبه .

(١) علي بن خالص المغربي: ذُكرتْ بعض أخباره في غاية المرام للعز بن فهد ٣: ٢١٣ .
(٢) بالأصل: أبي .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٤) كلمة سقطت من الأصل .

وفي عصر تاريخه زُف المصحف الشريف المظفري الواصل من الهند من منزل حامله الوكيل على الصدقة، فمشى معه القضاة والأعيان من الفقهاء وأركان الدولة وغيرهم ومعهم أعلام الفقراء وهم يهللون أمامه وهو محمول على الرؤوس وله رؤية عظيمة وأبهة [٣٣ ب] جسيمة ورفقته كرسي له من صندل مصفح بالفضة ودكة من خشب مُخَرمة يُوضَع عليها وعدة أمتعة يوضع في وسطها من حرير وغيره، ثم وضعوه في المدرسة التي اشتراها كأبيه السلطان الأعظم والخاقان المكرم مظفر شاه نصره الله، وهي عند باب الصفا – أحد أبواب المسجد الحرام – ومطلة عليه، وكانت دارا للخواجا إبراهيم بن الزمن ثم صارت لورثة عبد الرحمن ابن الشيخ علي الدمشقي. وأمر الوكيل بالقراءة فيه إمام الحنفية السيد العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله ابن السيد إمام الحنفية وشيخ المدرسة الحلجية[1] شمس الدين محمد البخاري الحنفي، فقرأ ابنه جانباً من القرآن العظيم بحضرة الجماعة الحاضرين ثم بعد الفراغ دُعي لسلطان الحرمين الشريفين ولصاحب مكة ثم لصاحب الهند الملك مظفر شاه كاتب المصحف الشريف ولوزيره المسند العالي خداوند خان ثم سُلم المصحف الشريف ومفتاح المدرسة لصاحبنا الخواجا بدر الدين حسن قاوان المكي، وكان في الهند ووصل صُحبته، وجعل له على ذلك معلوم ستين ديناراً، ولم يعين القارئ في المصحف من هناك .

وفي عصر تاريخه أحرم الوكيل الملك محمد القيلاني بعمرة للسلطان مظفر شاه، وبعد العشاء من ليلة الإثنين سابع عشريْ الشهر عَمل مولداً له في المسجد الحرام حضره الأعيان من الفقهاء وغيرهم وأوقد فيه الثريات والشموع ودُعي له فيه. فالله تعالى يتقبل منه ذلك ويجزي السلطان على أفعاله الجميلة أحسن المسالك .

(١) كذا ورد الاسم بالأصل .

وفي ثاني تاريخه سافر الوكيل الملك محمد القيلاني إلى جدة على نية العود إلى مكة .

وفي هذا الشهر كان معظم الصيف، وبيع فيه الرطب غالياً وكان رطل بُرني بمحلق ونصف ثم نزل إلى محلق، وكذا اللبان واللوز، بل بيعت اللبانة بجدة كل رطل بمحلقين للهنود، وكل حمل بخمسين ديناراً. وكيله نحو الغرارتين، عشرين مداً مكياً[1] . وارتفع السعر في الأقوات فبيع السمن كل رطل بسبعة محلقة واللحم كل رطل بمحلق ونصف وزيادة، والحب كل ربعية بأربعة محلقة وزيادة أيضاً مع وجود الصرام في الأودية في الحب الذرة، والقربة الماء بمكة بمحلق ونصف والرطل العنب بمحلق، والخوخ كل رطل وربع بمحلق، والناس في ضرورة[2] بسبب ذلك. فالله تعالى يرخّص الأسعار، ويكتب سلامة السفر في البراري والبحار، بمحمد وآله الأخيار .

شهر شعبان المبارك، إن شاء الله تعالى، من سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م)

استهل ناقصاً في ليلة الخميس .

وفي ليلة الجمعة ثانيه مات الشيخ المبارك ناصر الدين الواسطي البصري نزيل مكة بها وعمره نحو سبعين سنة، وقَدِمَها في العشرين من عمره، فصار يتردد إلى اليمن للمتجر ويبيع البز ثم ترك ذلك وأقبل على العبادة، وسمع على الوالد كثيراً من الحديث، وخلف أولاداً ذكوراً وغيرهم، فجهّز في ليلته وصلّي عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة، ودفن بالمعلاة بالقرب من قبر سلَفِه، رحمه الله تعالى .

(١) بالأصل: مكي .

(٢) بالأصل: استعمل لفظ " ضرورة " للدلالة على الضرر .

وفي يوم الأحد سادس الشهر وصل السيد الشريف بركات من جدة إلى أرض حسان[1] بوادي مَر ومعه ولده الشريف أبو نمي وبقية جماعته .

وفي ظهر يوم الجمعة تاسع الشهر برز بعض المراكب الهندية إلى خارج المرسى بجدة .

[٣٤ أ] وفي ثاني تاريخه برز الباقي، وفي ثالثه سافروا وهم ثلاثة مراكب[2] الشاهي المظفري الكبير والتركي وطليعته وبركات الحلبي، وسافر فيهم خلق من التجار المجاورين بمكة من الأروام والشاميين والحلبيين والأعاجم وغيرهم، لأجل التجارة والربح الذي ما سُمع بمثله في الزمن الماضي. وحصل للمركب الشاهي شدة عند خروجه من البندر ثم سلمه الله تعالى، فالله يكمل له السلامة، وكذا جميع المسافرين ولا أعْقَبَهم ندامة .

وأرسلتُ مع بعض المسافرين إلى الهند مؤلفَين عملتُهما في الشهر الماضي، أحدهما للسلطان الأعظم مظفر شاه سميته **حسن السلوك في فضل الملوك**، وهو مشتمل على أحاديث شريفة، وآثار منيفة، مرتب على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة. وثانيهما لوزيره المسند العالي خداوند خان سميتُه **تحفة المسند العالي بنخبة الأسانيد العوالي، لشيخنا الحافظ السخاوي** جمعتُه له بسؤال بعض أصدقائه من الهند وهو خالي الصالح الشيخ شرف الدين أبو القاسم بن فهد، نفع الله به، وجمع شملنا برؤيته .

---

(١) أرض حسان: من أودية مكة ذكره جار الله بن فهد في كتابه حسن القرى في أودية أم القرى، نشر في مجلة العرب (رمضان – شوال ١٤٠٣هـ) ص١٨٧-١٩٠ .

(٢) كذا بالأصل، والواقع أنها أربعة مراكب كما ذكرها المؤلف في نص سابق. ويبدو أنه لم يعتبر هنا طليعة التركي مركباً منفصلاً .

وأرسل كثير من أهل الحرمين الشريفين جملة قصص وقصائد للسلطان مظفر شاه، نصره الله تعالى .

وسافر إلى الهند جماعة لطلب الرزق من أهل مكة منهم الشيخ محمد بن أبي الخير الحريري الموقت، والشيخ نور الدين علي بن عبد الرؤوف بن ظهيرة قريب قاضي جدة، يقال بمحضر من القاضي الشافعي، وعبد الوهاب الأحمدي المنشد ورفيقه محمد البدري الحضاء[1]، والشيخ ناصر المحدث وتزاحم أهل المراكب على حمله ثم اختار الركوب مع بركات الحلبي، فالله تعالى يرزقنا وإياهم القبول، ويبلغنا غاية الأمل ونهاية السول .

وفي يوم السبت عاشر الشهر وصل القاضي الشافعي إلى مكة وأقام بها جمعة، وفي يوم السبت سابع عشر الشهر توجّه إلى وادي أرض خالد[2] أحد أودية وادي مر وصُحْبته ابن أخيه المحِي ابن القاضي بهاء الدين وأحد العدول الرضي الحناوي وابنه المحِي محمد لأجل كتابة أشاهيد بين صاحب البلاد السيد بركات وإخوانه الذكور والإناث من جهة براءة بينهم لما وضع يده عليه لهم بعد وفاة والده وإرضائهم في ذلك. فوقع الإشهاد في ليلة الخميس ثاني عشريْ الشهر على الإناث، وفي صباحها على الذكور بوادي الدكناء [3] وكُتِب بذلك مكتوب أثبت على القاضي الشافعي .

وفي تاريخه سلم الشيخ عبد الكبير ابن الشيخ ياسين ابن الشيخ عبد الكبير الحضرمي المكي ما كان تحت يده من الوديعة التي وضعها عنده السيد قايتباي أمير مكة المشرفة لأولاده بحضرة عمهم صاحب البلاد السيد بركات. يُقال إنها سبعة آلاف دينار

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) أرض خالد: من أودية مكة. ذكرها جار الله بن فهد: حسن القرى في أخبار أم القرى، نشرت في مجلة العرب عدد (رمضان –شوال ١٤٠٣هـ) ص ١٩٠-١٩١ .

(٣) وادي الدكناء: نفس المصدر (ذو القعدة – ذو الحجة ١٤٠٣هـ) ص٣٥٧-٣٥٩ .

نقداً. وكَتب بذلك إشهاداً بعد إذن القاضي الشافعي بدفعها لهم، فإن بعض الورثة صغار[١] وبعضهم غائب .

وفي يوم الأربعاء حادي عشريْ الشهر دخل إلى جدة ثلاثة جلاب من الطور فيها حمل أمير الحاج وتليها ركبة، وفيهم قاضي القضاة الحنفي الجديد بديع الزمان بن الضياء الحنفي فتوجه إليه أخوه أبو السرور وقريبه الشيخ أبو الفضائل فلاقياه من الجلبة ونزلا معه إلى البلد فواجه نائبها وأراه مراسيمه بولاية القضاء وأكرمه بالترحيب والإنعام فأقام نحو جمعة، ثم خرج منها وتوجه إلى الشريف بركات بوادي الدكناء فواجهَهُ بها وأراه مراسيمه الثلاثة: اثنان من السيد الخنكار وواحد من ملك الأمراء نائب مصر بالوصية [٣٤ ب] به والإعلام بولايته للقضاء، فقرأها وكتب على أحدها[٢] " امتثال الأمر والإجابة بالولاية ". وأضافه وأعطاه فرساً للركوب عليها عند الدخول لمكة بسؤاله. فدخل إلى مكة في ليلة الخميس تاسع عشر الشهر محرماً وطاف وسعى وفرحتْ [٣] به والدته وإخوانه وأصحابه وهنأه الناس في صباحها بالولاية، وعُملت له سفرة طعام ودقتْ النقارة عنده .

وكان قبل تاريخه بيوم توجّه القاضي الشافعي من الوادي إلى مكة فدخلها ليلة الأربعاء تاسع عشريْ الشهر فوجد مات[٤] فيها أحد جماعته المنتمي إلى أهله الشهابي أحمد بن مصطفاي الجندي الشهير بأبيه وكان صائفاً في الوادي بأرض خالد ومتوجعاً

(١) بالأصل: صغارا .
(٢) بالأصل: فقرأهم وكتب على أحدهم .
(٣) بالأصل: وفرح .
(٤) كذا بالأصل .

زمناً طويلاً، فقويَ عليه المرض فحُمِل إلى مكة.... [١]لجميع مخلفه على جماعته منهم ابنة أخيه ووالدته وزوجته، وجعل وصيه القاضي الشافعي وأقر له بأشياء كانت محصولة له تجاه والده وأهله بحيث تياسر[٢]من ذلك وحصل الدور والأصائل وعامل وعُد من أهل اليَسار. وكان عنده أدب وخفة روح وملقًى حسن[٣]، رحمه الله .

وسمعتُ أن الدولة ختموا على بيته بالشبيكة يوم موته حتى يُنْظر في أمره ويُراجع الشريف، فلذلك لم يظهر شيء مما أوقفَه وأوصى به عند موته، ولكل امرئ عمله .

وفي ليلة الخميس ثامن عشريْ الشهر وُلِد للقاضي تاج الدين محمد ابن قاضي القضاة الجمالي محمد أبي السعود بن ظهيرة ولد سماه أبو السعود باسم أبيه، وكان ظهر له قبل ذلك ولد فسماه باسمه ومات. وأمه سعادة ابنة الشيخ نجم الدين بن ظهيرة القرشي الشافعي .

وفي ليلة الإثنين سادس عشريْ الشهر مات بمكة الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل بن محمد القلهاني الأصل المكي أخو[٤] الشيخ زائد الشاهد عم البرهاني السمرقندي زوج أمه، وكان نائبه في كتابة الغيبة في المدرسة الأشرفية القايتبائية بمكة، بعد توجعه لمدة طويلة، فجُهّز في ليلته وصُلّي عليه طلوع الشمس عند باب الكعبة ودُفن بالمعلاة .

وفي يوم الجمعة ثالث عشريْ الشهر مات الطفل نجم الدين محمد ابن القاضي تاج الدين المالكي المولود في شهر رجب من هذه السنة بعد وجعه مدة يسيرة فجُهّز من وقته

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بالأصل: باشر .
(٣) بالأصل: حسنا .
(٤) بالأصل: أخي .

وصلّي عليه عند باب الكعبة ودُفن بالمعلاة في تربة جده لأمه السيد أصيل، وحزن عليه والِدَاهُ كثيراً وكذا جدتّاه وعَماته، فالله تعالى يعوضهم فيه خيراً ويُعْظم لهم الأجر .

شهر رمضان المعظم عرفنا الله ببركته
وجعلنا الله فيه من المقبولين من سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م)

استهل كاملاً في ليلة السبت، وابتدئ في أوله بعمل خبز للفقراء المنقطعين بمكة من صدقة ملك الأمراء نائب الديار المصرية المقر الكافلي خائر بك كل يوم ألف رغيف يُعمل من إردب حب مصرية على يد الخواجا الأجل المحترم المؤتمن نخبة الملوك والسلاطين شرف الدين ابن شيخ سوق الدهشة الحلبي كما رسم بذلك له، وحصل بفعل ذلك النفع للفقراء. وفُرّق على جماعة من الفقهاء وأرباب الوظائف بالمسجد الحرام من الأئمة والمدرسين لكل واحد وَيْبة حب فارتفقوا بها مع وجود الغلاء في سائر الأقوات خصوصاً الحب واللحم والسمن فإن العمدة عليها[1] بحيث بيعت[2] الربعية الحب المصرية بأربعة محلقة وزيادة واللقيمية بخمسة محلقة والذرة بأربعة إلاّ ربعاً، والرطل اللحم الضاني بمحلقين مع عزته والرطل الجملي بمحلق والماعز بمحلق ونصف [٣٥ أ] والرطل السمن بسبعة محلقة، والراوية الماء الحلو بثلاثة محلقة والقِربة بمحلق ونصف. وتألم الناس لذلك، فالله تعالى يُرخّص أسعارهم .

واستمر عمل الدشيشة للفقراء في هذا الشهر مع اللذيْن قبله من عند الخواجا الكبير محيي الدين عبد القادر القاري، كان الله له وعافاه، ومن الأسواء كفاه.

(١) بالأصل: عليهم .

(٢) بالأصل: بيع .

وقرأ فيه القاضي الشافعي صحيح البخاري بالمسجد الحرام في وقت واحد بعد صلاة الصبح وبعد ظهر الجمعة وكان الصبح وقت قراءة الشفاء لبعض الملوك المتقدمين وتركه مع قراءة البخاري في الظهر والعصر وذلك لضعف بدنه واستيلاء الحَسب الفرنجي[1] عليه، وما هو إلا بكثرة دعاء الناس عليه وانتقام الناس منه بما يفعله معهم، فالله تعالى يُصلحه ويوفقُه ويُلْهمه رشده .

وفي يوم الأحد ثاني الشهر وُلد لقاضي القضاة الجلالي أبي السعادات المالكي ولد سمّاه عبد اللطيف وسمّتْه أمه سيد الناس، وهي اسمها خديجة ابنة المعلم عمر بن محمد الحضرمي الخراز، وكان تزوجها سراً فحملتْ منه، فلما وضعتْ[2] هذا الولد أظهرها وتشوش أولاده وأمهم وأحباؤه لذلك، فالله تعالى يَقيه شر ما هنالك، ويسلك بنا وبه أحسن المسالك .

وفي ضحى يوم الأربعاء خامس الشهر وُلد للقاضي[3] شرف الدين أبي القاسم ابن قاضي القضاة الجلالي المالكي ابنة سماها سعادة وأمها ابنة عمه ست قريش ابنة الإمام زين الدين عبد المعطي ابن الإمام مكرم الطبري الشافعي، فالله تعالى يجعلها مباركة عليه.

وفي هذه الجمعة وصلت أوراق من المدينة الشريفة وفيها الإخبار أن جماعة من العرب وصلوا من الشام إلى العلاء وذكروا أن السلطان سليمان شاه ابن عثمان نوى

(١) الحب الفرنجي: من الأمراض التي انتشرت بالحجاز خلال هذه الفترة، وهو المسمى بداء الزهري، ولعله هو نفس المرض الذي يسمّى بالحب الفارسي والذي ظهر بدمشق خلال سنة ٩٠٨ هـ وبعدها. انظر ابن طولون: مفاكهة الخلان١ : ٢٦٦. وكان له ظهور بمكة في سنة ٩٠٩هـ وفي سنة ٩١١هـ، انظر غاية المرام للعز بن فهد ٣: ١٦٩، ١٨٥ .

(٢) بالأصل: وضعته .

(٣) كلمة تكررت بالأصل: .

الحج في هذا العام في أربعة عشر سنجقاً كل سنجق ألف نفس ويكون صحبته نائب الشام ملك الأمراء جان بردي الغزالي، والله أعلم بحقيقة ذلك .

ووصل بجدة المعمورة كاتب الصدقة الرومية سِنان بك وأخبر أنها وصلتْ معه عن معلوم السنة الماضية ذهبٌ سليمية، ففرح الناس بها وتضاعف دعاؤهم للسلطان بسببها .

وفي يوم الإثنين عاشر الشهر وصل إلى مكة الملك شيخ محمد القيلاني الناظر على الصدقة الهندية المظفرشاهية، وبعده في هذه الجمعة وصل إليها نائب جدة الأمير قاسم الشرواني وكاتب الصدقة الرومية سنان بك وذكر أنه ينتظر وصول الأمين عليها بحراً فإن أمر تفْرقتها إليه، وأفاد عزل الجماعة الذين فوض إليهم ملك الأمراء تفرقتها وهم الشيخ نور الدين حمزة الرومي والقاضي مصطفى والآغا صندل الخصي نائب الديار المصرية، وذلك أنهم سألوا السلطان في تعيين مبلغ لهم لأجل سفرهم إلى المدينة الشريفة لتفرقة الصدقة، فأُعْفُوا لذلك .

وفي ليلة الثلاثاء حادي عشر[1] الشهر ماتت مستولدة الشيخ عبد الله الشيبي المدعوة سنية الهندية أم أبنائه الموجودين[2] . فجهّزت في ليلتها وصلّي عليها بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة، ودُفنتْ بتربة سيدها بالمعلاة، رحمها الله تعالى وأخلف[3] بَنيها خيراً .

(١) بالأصل: عشريْ، وهو خطأ أصلحناه .
(٢) بالأصل: أم بناته الموجودين .
(٣) بالأصل: وخلف .

وفي صبح يوم الخميس ثالث عشر الشهر ابتدئ في قراءة ربعة خلف مقام الحنفية بعد صلاة الصبح [٣٥ ب] عقب ربعة السلطان سليم شاه، قرر فيها ثلاثين نفراً الخواجا الأجل المحترم شرف الدين ابن شيخ سوق[1] الدهشة الحلبي، وقال: إن قصده استمرارها إن شاء الله تعالى، لكن القصد شهر رمضان، فإنه باع حمل دقيق بأحد وأربعين ديناراً ففرقه على الجماعة الذين عينهم، كل واحد دينار وثلث، فالله تعالى يتقبل ذلك منه بمنه وكرمه .

وفي ظهر يوم الجمعة رابع عشر الشهر ابتدئ في قراءة ربعة السلطان مظفر شاه الكجراتي في المدرسة التي اشتُريتْ له على باب الصفا، وقرر وكيل الملك محمد القيلاني فيها أربعة أنفس، هم إماما الحنفية البخاريان والقاضي تاج الدين المالكي وأعجمي والستة الباقين فوض أمرهم إلى قاضي القضاة الشافعي فقرر فيها أخويه البدري والتاجي وابن أخيه المحبي ابن البهائي وقريبه القاضي شرف الدين ابن الفائز والبرهاني إبراهيم ابن عمه القاضي شهاب الدين ومحمد ابن الشيخ عبد الكبير الحضرمي وشيخ الفراشين النوري البيسقي في تفْرقة الأجزاء، والشرفي الصلاحي في الدعاء، واستناب كلاً من الأخيريْن في ذلك، وصرف لكل منهم نصف معلوم سنة وهو ستة أشرفية، وعَين الحضور في كل يوم بعد صلاة العصر ويترك يوم الثلاثاء، وتكون بعد صلاة الجمعة قراءة إمام الحنفية الكبير في المصحف الشريف الذي كتبه السلطان مظفر شاه بيده، تقبل الله منه ذلك .

وقرر في طلب الدرس في المدرسة المذكورة عشرة أنفار، عين ثمانية أنفار منهم قاضي القضاة الحنفي الجديد بديع الزمان بن الضياء القرشي وهم: ١- ولده المولود علي

(١) بالأصل: يوسف، وهو خطأ من الناسخ، فقد ذُكِر الشخص مرات باسم " شيخ سوق الدهشة " .

٢- وشقيقه أبو السرور ٣- وعمه قوام الدين ٤- وإمام الحنفية شهاب الدين البخاري٥- وجار الله ابن القاضي أمين الدين بن ظهيرة ٦- وابن عمه الشرفي يحيى السامي ٧- والشيخ أبو[1] الفضائل ابن الضياء ٨- والشرفي يحيى الرسولي. وأرسل لقاضي القضاة الشافعي تعيين تكملة العشرة أخذاً من جماعته فعين الشيخ شهاب الدين الحرازي والشيخ نور الدين علي بن عبد الرحمن المرشدي، فعين لكل واحد منهم أربعة وعشرين أشرفياً، ولشيخهم ثمانية وأربعين، وصرف لكل منهم نصف المعلوم. فتكلم قاضي القضاة الحنفي المعزول نسيم الدين المرشدي مع الوكيل وعيّن له وظيفة من العشرة، وأسقط من معلوم كل واحد من الطلبة دينارين وجعل ذلك لكل من كان قاضياً حنفياً معزولاً، فحُمِد على ذلك .

وفي يوم الجمعة المذكور جاء الخبر إلى مكة بوصول أمين الصدقة الرومية إلى جدة فتباشر الناس به ثم لم يصح ذلك، وقيل إنه وصل إلى ينبع، والله أعلم بحقيقته، كتب الله سلامته .

وفي ليلة الإثنين سابع عشر الشهر عمل الفقيه محمد ابن الشيخ عثمان بن إبراهيم الكلوي المقدسي وليمة حسنة بعد الإفطار حضرها جماعة من الأعيان لأجل زواجه بابنة الشيخ أيوب المقدسي، فدخل عليها في ليلة تاريخه، وهنأه الناس في صباحها. جعلها الله مباركة عليه .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر نُودي في شوارع مكة باجتماع الفقراء الرجال ثاني [٣٦ أ] تاريخه في الحلقة السلطانية في المدعى لأجل تفرقة الصدقة الهندية فحضر

---

(١) بالأصل: أبي .

الفقراء لذلك في ثاني تاريخه فأعطى الوكيل لكل واحد أشرفياً واحداً[1] ثم تكاثر الناس عليه فأعْطى كل واحد نصف دينار وأقل من ذلك، وأقام عندهم إلى قرب الظهر ثم انصرف عنهم و لم يعُمهم لكثرتهم، ورضَى الناس غاية لا تُدرك .

وفي ليلة الخميس عشريْ الشهر مات الرئيس على زمزم النوري علي بن أبي عبد الله الكازروني الأصل المكي بعد طول وجعه بالحب الفرنجي، فجُهّز من ليلته وصُلّي عليه بعد صلاة[2] عند باب الكعبة، وشيّعه جماعة من الفقهاء ودفن بالمعلاة في تربة أسلافه، وخلف أماً وأخاً، وكان نزل بوظيفته من الرئاسة من مدة طويلة لشقيقه الفخري أبي بكر. فلما مات قبله أخذ النزول وجحد فعل ذلك، وفرح بموت أخيه، وأخذه الله بسرعة لشماتته بموت أخيه، لكنه أشهد على نفسه قبل موته بمدة أن نزوله لأخيه صحيح وذلك بواسطة قريبه الشيخ شهاب الدين العليف وتحذيره عاقبة ذلك، فإن أخاه خلف أيتاماً صغاراً[3] عوضهم الله خيراً وصبرهم .

وفي يوم تاريخه فرق الوكيل على الصدقة الهندية على الفقراء من النساء فكثر ازدحامهن[4] عند ذلك فوقع الضرب عليهن [5] من الغلمان الذين رفقته من أركان الدولة فتضررن[6] بذلك كثيراً وقد صرن[7] يدعون عليه. وقد أساء التدبير في فعل ذلك،

---

(١) بالأصل: أشرفي واحد .
(٢) سقطت من النص الكلمة التي تعين الصلاة .
(٣) بالأصل: صارا .
(٤) بالأصل: ازدحامهم .
(٥) بالأصل: عليهم .
(٦) بالأصل: فتضروا .
(٧) بالأصل: صاروا .

فإنه لا يعرف أحوال الناس ولا يقدر على رضى كل أحد. بل بلغني أن بعض أركان الدولة الذين كانوا صحبته خطفوا بعض المال الذي معه .

وفي يوم تاريخه قسم الأمير قاسم الشرواني نائب جدة المعمورة مَبَرة من عنده، يقال خمسمائة دينار على أرباب الشعائر بالمسجد الحرام وغيرهم من الفقراء كل واحد بحسب حاله بهَنَاوَةٍ من غير مشقة، فإنه طلبَهم إلى منزله وأدخلهم عنده ثم أعطى كل واحد نصيبه وأخرجه. فصاروا يدعون له وذريته كذلك، فالله تعالى يؤيده ويخلف عليه خيراً منه.

وكان أعطى قضاة القضاة ومعهم أرباب الشعائر من جدة كل واحد عشرين أشرفياً وأكثر وأقل فوقع لذلك موقعاً عندهم وتضاعف دعاؤهم وثناؤهم عليه .

وفي ليلة الأحد ثالث عشريْ الشهر كان ختم الزمامية في صلاة التراويح بالمسجد الحرام على العادة فدُعي فيه لملك الأمراء نائب الديار المصرية بإشارة محبه وأحد المقربين عنده الخواجا شرف الدين ابن شيخ سوق الدهشة الحلبي فإنه أمر المقرئ بذلك. وكان قبله ختم إمام الشافعية في ليلة أحد وعشرين فلم يدع له، وكان الدعاء له بعد السلطان سليم شاه والسيد بركات صاحب مكة، وبعده دعي لناظر المسجد الحرام ثم نائب جدة. وكانت العادة عدم الدعاء لنائب جدة لكنه أمر بذلك وتشوش لتأخيره بالدعاء بعد الناظر، فقُدم عليه بعد ذلك في ختم الحنفي في ليلة خامس عشريْ الشهر .

وفي ليلة الأربعاء سادس عشريْ الشهر حصل بمكة بعد المغرب رياح عاصفة وغيم مُطبق ثم انجلى ذلك من غير مطر وحصل سيل طالب(1) من خارج مكة بعد

(1) كذا بالأصل .

العشاء فدخلها وصار الناس يخوضون فيه ساعة ثم وقف. فالله تعالى يُكثر الأمطار، ويُرخّص الأسعار، ببركة شهر الصيام، ونبينا محمد خير الأنام .

وفي يوم الخميس ثانيه كتب الوكيل أوصالاً كثيرة لجماعة من الفقهاء في الصدقة الهندية جعل لكل [٣٦ ب] واحد خمسة أشرفية وأربعة وثلاثة ودون ذلك، وبعض الأكابر من الأئمة ثمانية أشرفية، وكذا المولود من بني ظهيرة وأصاغرهم ومَن يلوذ بهم؛ بإشارة كبيرهم(1) قاضي القضاة الشافعي. فتشوش الناس لذلك وأطلقوا ألسنتهم بالسب والدعاء لمن كان السبب في ذلك، والله أحْكم الحاكمين .

وفي ليلة تاريخه ختم النوري علي ابن الحكيم الشيخ العلامة شمس الدين محمد القزويني المقيم بالروم عند السلطان ابن عثمان في مقام الحنابلة، وصلّى خلفه جماعة من الأعيان وخطب بعد الفراغ خطبة حسنة، فالله يبارك فيه، ويجمع شمله بأبيه. وأبوه حكيم السلطان سليم ورأس الأطباء عنده .

وفي ليلة الجمعة ثاني تاريخه وصل إلى مكة قاضي القضاة المالكية الجديد الزيني عبد الحق النويري من عند الشريف بعد وصوله من جدة وإتيانه بحراً من الصعيد متولياً القضاء، فهنأه الناس لذلك واغتم بعضهم بولايته، فالله تعالى يلطف بالمسلمين. [فإنه جاهل سفيه قليل الدين](2) .

وفي ظهر تاريخه ختم قاضي القضاة الشافعي صحيح البخاري على العادة، حضره القضاة المتولون(3) خلا الحنبلي وجماعة منَ الفقهاء أقل من العادة، وخُلِع على القاري

(1) بالأصل: كبير .
(2) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(3) بالأصل: المتولين .

وشيخ الفراشين وأنشد علي الجندار قصيدة من نظم غيره، وفرق الريحان على العادة وهنئ القاضي بذلك فالله تعالى يلطف به .

وفي ليلة الأحد تاسع عشريْ الشهر طلع الشهود إلى جبل أبي قبيس لرؤية الهلال وتخلف القاضي الشافعي عن ذلك لوجعه فلم يُرَ الهلال لصغر قوسه، وصام الناس تاماً بحمد الله تعالى .

شهر شوال المبارك استهل كاملاً ليلة الإثنين من سنة ٩٢٥هـ (١٥١٩م)

وفي صباحها عَيّدَ أهل مكة ونواحيها وخطب للعيد الشرفي يحيى النويري خطبة لطيفة توقف في كثير منها وعاب ذلك السامعون له. فالله تعالى يوفقه ويُلهمه صحة الخطبة .

وفي مغرب ليلة الأربعاء ثالث الشهر وصل إلى مكة صاحبها السيد الشريف بركات وإخوانه حمَيْضة وأبو الغيث وسيسد من أجل حضور عقد ابن أخي قاضي القضاة الشافعي، فهرع الأعيان للسلام عليه [وأظهر التألم لولاية عبد الحق النويري وعبد القادر الحنبلي، فلا تخفى أحوالهما] [1] .

وفي صباحها بُل سكر العقد المذكور عند بيت والد الزوجة القاضي شهاب الدين ابن ظهيرة بحارة قريش وحضره القضاة المتولون[2] وقاضي القضاة الجلالي المالكي

---

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(٢) بالأصل: المتولين .

المفصول وبعض الفقهاء، وبعد الفراغ عُملتْ مَدة لطيفة ثم شرب الحاضرون سكراً وانصرفوا .

وفي عصر تاريخه قُرئ في المسجد الحرام مرسوما القاضيين الجديدين[1] الحنفي بديع الزمان بن الضياء والمالكي الزيني عبد الحق النويري، حضر ذلك قليل من الناس وذلك بسؤالهم للشريف، ولم يحضر معهم القاضي الشافعي واعتذر عن ذلك. [ولم يفرح بولايتهما أحد] [2] .

وفي عشاء ليلة الخميس ثاني تاريخه عُمل العقد المشار إليه أمام الرواق الشمالي بالقرب من مقام الحنفية جُعل فيه شموع كثيرة[3] في فوانيس صغار وكبار نحو السبعة، لم تُعمل في غيره، كانت مدخرة عند جديْ[4] العريسين لأبيهما. وهما القاضي الرئيس كريم الدين محب الدين أحمد ابن القاضي بهاء الدين محمد ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام ناظر المسجد الحرام جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة القرشي الشافعي، والمحجبة الأصيلة البكر سيدة الكل ابنة عم أبيه [٣٧ أ] أقضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام ناظر المسجد الحرام البرهاني إبراهيم بن ظهيرة القرشي الشافعي .

حضره السيد الشريف، صاحب الحجاز المنيف، زين الدين بركات وإخوانه الثلاثة الماضي ذكْرهم والقضاة المتولون[5] ونائب جدة المعمورة الأمير قاسم الشرواني

---

(١) بالأصل: مرسومي القاضيين الجدد .

(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(٣) بالأصل: كثير .

(٤) بالأصل: جد .

(٥) بالأصل: المتولين .

وخلق من الفقهاء والتجار والعامة الرجال والنساء. فابتهج الناس به وسُروا برؤيته وباشر العقد عم العريس وابن عم الزوجة قاضي القضاة شيخ الإسلام خطيب الخطباء وناظر المسجد الحرام صلاح الدين أبو[1] المحاسن محمد بن ظهيرة القرشي الشافعي، فكان العقد على قاعدة بني ظهيرة بمائتي مثقال. وبعد الفراغ شرب الحاضرون سكراً مذاباً بعد البخور والماورد على العادة، وأنشد المقربون بعض قصائد، ودُعيَ بعد ذلك للسلطان سليم شاه ثم ملك الأمراء نائب الديار المصرية ثم لصاحب مكة ثم لنائب جدة ثم لناظر المسجد الحرام، وانصرف الخلق بعد تهنئة العريس وعمه، فالله تعالى يجعل ذلك مباركاً عليهم .

وفي عصر يوم الجمعة خامس الشهر ابتدئ في لعب العيري أمام منزل والد الزوجة بحارة قريش .

وفي ليلة السبت سادس الشهر ماتت نور الصباح الحبشية مستولدة الشيخ كمال الدين أبي البركات ابن أبي الفضل الزين المكي، وكان توعكها نحو نصف شهر في الوادي وغيره وجاءت إلى مكة، فجهّزت في ليلتها، وصلّي عليها ضحى تاريخها عند باب الكعبة، وشيّعها جماعة من الفقهاء ودفنت بتربة أسلاف سيدها في المعلاة بالقرب من الفضيل بن عياض رحمها الله تعالى وعوض سيدها خيراً، وخلفتْ بنتاً سباعية .

وفي صبح يوم الإثنين ثامن الشهر عُملت فازة لعرس ابن أخي قاضي القضاة الشافعي في منزله بحارة بني ظهيرة في السويقة حضرها القضاة المتولون والمفصولون[2]

(١) بالأصل: أبي .
(٢) بالأصل: المتوليين والمفصولين .

وغيرهم من أهل الزوجين والفقهاء، وقدم لهم حلوى سكرية ولوز مُلبس، وكانت العادة معمولاً .

وفي صبح يوم الأربعاء عاشر الشهر حضر في فازة قاضي القضاة الشافعي خلق من قضاة القضاة المتوليين والمفصولين وغيرهم من الفقهاء والتجار الموجودين بمكة على دِكَكٍ من خشب متعددة لأجل خروج المؤذنة على العادة. فخرجتْ مؤذنتان إحداهما لجماعة الزوج وثانيتهما[1] للزوجة. فتوجهتْ إحداهما إلى القضاة المتولّين وهم في جهة من الفازة، وثانيتهما[2] للقاضيين المفصولين وهما في ناحية، فألصق كل واحد من القضاة على كل واحدة دينارين، ثم اجتمعتا عند غيرهم فألصق غالب الحاضرين على كل واحدة ديناراً واحداً[3] وبعضهم نصف دينار، فالتمّ من ذلك نحو الثمانين ديناراً وأكثر، ودقت الطبلخانة والمغاني عند خروجهما على العادة. وبعد ذلك قدم للحاضرين حلوى سكرية ومعمولاً عظيماً، وسلم الناس على الزوج وعمه وانصرفوا .

وفي ليلة الخميس ثاني تاريخه كانت الغمرة من غير زفة للعريس لأنه وعمه لم يرضيا بفعلها. وكان السيد الشريف بركات سأل قاضي القضاة الشافعي عنها فقال: لم يفعلها، [٣٧ ب] فلزما ذلك، ولعب النساء على العادة في ستارة فُعِلَتْ لهن[4] أمام منزل والد الزوجة في حارة قريش .

(١) بالأصل: فخرج مؤذنتين أحدهما لجماعة الزوج وثانيهما .
(٢) بالأصل: وثانيهما .
(٣) بالأصل: دينار واحد .
(٤) بالأصل: لهم .

وفي ليلة السبت ثالث عشر عُمل شراع[1] حافل في الستارة المذكورة حضره القضاة، المتوليان والمفصولان[2] وقرابة الزوجين خلا القاضي أمين الدين بن ظهيرة وقريبه القاضي أبي البقاء لتشوشهما[3] من عم الزوج وهجرهما له وغيرهم من الفقهاء والتجار والعامة. فلعب المغاني على العادة وقدم لهم حلوى سكرية وملبساً وانصرفوا من غير لصق، وحمد الناس فعل ذلك .

وفي ليلة تاريخه وصل الأمين على الصدقة الرومية الأمين علي بك الرومي ونزل في المدرسة العينية وتباشر الناس به وبما في يديه من الصدقة الرومية عن عامين. وفي صباحها هنأه الناس بوصوله، ونَصتْ العروس على زوجها....[4] وفي السماط في منزل قاضي القضاة الشافعي، وكان هائلاً معظماً، فيه المأمونيتان الحموي والسكب والهريسة الفستق والرغيف الأسيوطي والجرجانية والمروزية والرزان الحلوي والمفلفل والضلع المحشي والمشورات وغير ذلك من الأطعمة المفتخرة، فحضره القضاة والفقهاء والتجار والعامة ومَن لا يُحصى ذكره ولم يتغير لكبره. وبعد ذلك مُد للنساء مدة لطيفة فيها من جميع الألوان المذكورة .

وفي يوم تاريخه اجتمع التجار عند الخواجا بيري الرومي بعد أكلهم من السماط وجمعوا للقاضي الشافعي نقده، يُقال مائة وخمسين ديناراً ليستعين بها، كان ذلك بقية اللصق .

(١) بالأصل: مراع .
(٢) بالأصل: المتولين والمفصولين .
(٣) بالأصل: لتشوبهما .
(٤) بياض بالأصل بمقدار ثلاث كلمات .

وفي ليلة الأحد رابع عشر الشهر دخل القاضي محب الدين بن ظهيرة على زوجته في منزل عمه قاضي القضاة الشافعي المعروف ببَيْت المال، فهنأه الناس فيه وقدم لهم معمولاً حسناً، فالله تعالى يخلفه عليهم ويجعله مباركاً بمحمد وآله آمين.

وفي صباحها وصل إلى مكة الشريف عبد الله بن حسين الفراش المكي من جدة، وكان وصل بحراً من الروم صحبة الأمين ووصلت معه جملة أوراق وأخبار، منها أن السلطان سليم شاه ابن عثمان منع أبناء العرب من دخول الروم، ومَن دخلها مُنِع من الخروج منها، وأنه خرج فاراً مستخدماً مع الأمين، وكان أهل المدينة جعلوه وكيلاً على الصدقة الرومية ولم يحصل على طائل .

وجاءني معه ورقة من أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عبد الله محمد العباسي وهو مقيم في إسطنبول مضمونها السلام وسؤال الدعاء والوصية برباط جَدهِ العباس بمكة وإخباره أنه وعد بالتوجه إلى مكة إذا قدم السلطان إلى إسطنبول ويستقر بها إلى الممات. فالله تعالى يحقق له ذلك ويرزقه الثبات.

وفي الأوراق الواصلة صحبته: الإخبار بموت كاتب الأسرار الشريفة كان المقر المحبي ابن الأجا الحلبي بها وبَلَدِيّه شيخ الإسلام حسام الدين حسن بن علي السيوفي الشافعي. وغلو القاهرة في جميع الأقوات بحيث بيع الإردب الحب بثلاثة أشرفية ونصف، وعُدم الخبز والدقيق في الأسواق وذلك لتوقّف بحر النيل. ثم مَنّ الله تعالى بجريانه في شهر شعبان وزاد زيادة عظيمة لم يُسمع بمثلها، ويشاع أنها عشرة أصابع من إحدى وعشرين [٣٨ أ] ذراعاً، فإن صح ذلك حصل به خير كبير[1] ورخصتْ الأسعار بعد الزيادة وبيع الإردب بأربعين محلقاً ثم بثلاثين .

(١) بالأصل: خيراً كبيراً .

ووصل من الروم مرسوم بالقبض على الأخوين المباركين صاحبنا المحدّث شمس الدين محمد بن علي الداودي المالكي وأخيه الشيخ شهاب الدين أحمد وتسليمهما إلى الوالي حتى يدفعا المال المودَع عندهما للأمير طقطباي نائب القلعة كان المدفون في تربته، الذي أولهما متحدث عليها[1] فقبض عليهما الوالي و لم يجد عندهما شيئاً من المال وظهر كذب الناقل لذلك. وأقاما عنده حتى يراجع في أمرهما ويدفعان كل يوم ترسيماً نحو الدينارين. فالله تعالى يفرّج عنهما ويسلّمهما ويكفيهما شرّ المؤذين ويفرج عنهما .

وفي ضحى يوم الإثنين خامس عشر الشهر اجتمع الشريف عرار بن عجل والأمين على الصدقة الرومية عند الأمير قاسم الشرواني نائب جدة، وتكلموا في أمر الصدقة الرومية وأنّ الأمين يؤخّر تفرقتها حتى يواجه الشريف بركات ويُريه المراسيم الواصلة صحبته على ما جرتْ به العادة، فأظهر الأمين تشويشاً لذلك وعتباً على جماعة الشريف بما فعلوه معه في بندر ينبع ثم جدة. فاعتذر له الشريف بعدم معرفتهم له، وتفرّقا على نية التوجّه إلى الشريف بالوادي. ثم في آخر النهار أشيع توجّه الشريف إلى جهة جدة فتوقف الأمين عن التوجّه إليه .

وفي يوم تاريخه ماتت المرأة المباركة المعمّرة عائشة ابنة سعادة الهندية والدة المعلم إبراهيم الخياط، وصلّي عليها عند باب الكعبة بعد صلاة العصر، وشيّعها جماعة إلى المعلاة، ودُفنت بتربة الهنود بالقرب من تربة الخواجا محمد سلطان، رحمها الله تعالى. وكان عمرها أزْيَدَ من مائة سنة، وكفّ نظرها وخلفتْ ولدها إبراهيم، تحرّق عليها كثيراً. ورأتْ أولاد أولاد أحفادها، فإنها رُزقتْ عدة أولاد مات في حياتها سبعة وخلّفتْ ذكراً وبنتين هما فاطمة وزينب وبنت فاطمة سُتيْت، وولدت هذه عائشة،

(١) أي القلعة .

وولدت هي شمسية فسُميّة ابنة عائشة ابنة ستيت ابنة [1] فاطمة ابنة عائشة. وهذا أكثر ما رأيتُ في زماننا من إدراك زمن الأحفاد بالأجداد .

وفي ليلة تاريخه مات المعلم عمر ابن المعلم أحمد بن علي بن إسماعيل السحولي المكي الحطا[2] بعد توعّكه مدة يسيرة، فجُهّز في ليلته وصُلّي عليه بعد صلاة الصبح ودفن عند والده بالمعلاة. وكان مباركاً فاضلاً حفظ كتباً منها الأربعين للنووي والمنهاج له واشتغل قليلاً ولازم طريقة التصوف والصلاة مع الجماعة وكثرة الطواف، رحمه الله تعالى ونفع به .

وفي ليلة الخميس ثامن عشر الشهر مات الشريف حميدان بن شامان ابن....[3] الحسيني الشرفي صهر صاحب الحجاز السيد بركات بن محمد وابن خال أبيه. وكان قدم عليه في شهر رمضان بأرض حسان فتوعّك بها عند ابنته الشريفة غنية [4] والدة الشريف أبي نمي وثقبة، ثم قوي عليه الألم فحُمل إلى مكة وصحبته ابنته فجهّزتْه وصلّي عليه بعد صلاة الصبح من يوم تاريخه عند باب الكعبة ونادى عليه الرئيس في المطاف، وشيّعه جماعة [٣٨ ب] من الأعيان، ودفن بالمعلاة عند قبور الأشراف خلف قبّة ابن أخته السيد محمد بن بركات. وعُمل له ختم في رابع وفاته حضره القضاة والأعيان وعزى ابنته جميع الأشراف بمكة. و لم يحضر وفاته صهره ولا أحفاده، رحمه الله تعالى وإيانا. ولأجل وفاته بطل القاضي من عمل سابع لابن أخيه، وذلك حزناً عليه .

(١) بالأصل: بن .

(٢) كذا بالأصل، ولعلها الحطاب .

(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل، ولعله شامان بن زهير الذي ذكره العز بن فهد مرّات في كتابه غاية المرام، انظر فهارسه .

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل .

وفي ليلة السبت عشريْ الشهر سقط سقف المدرسة الجمالية وكان نائما فوقها الكاتب على الصدقة الرومية وولده فتألما لذلك وحصل لهما عاطل في يديهما، ويقال إنّ الولد يُخشى عليه، فالله تعالى يسلّمهما. وفي صباحها انتقل الكاتب منها إلى المدرسة البنجالية، المتحدث عليها الشيخ عبد الله الشيبي.

وفي صبح يوم الأحد عُمل ختم بالمعلاة للشريف حميدان صهر صاحب الحجاز .

وفي يوم تاريخه ماتتْ زوجة قاضي القضاة الحنبلي محيي الدين عبد القادر بن ظهيرة القرشي وشيّعها جماعة من الفقهاء بعد الصلاة عليها ضحى عند باب الكعبة، ودفنها القاضي الحنبلي في تربة السادة المشائخ الصوفية الفضيل بن عياض وعبد الله بن أسعد اليافعي، وكان والده دفن بها. وأخذ العزاء فيها مع أرملة مطلقة منه وهي مصرية تزوج بها في القاهرة. وتزوجتْ البنت في العام الماضي على مملوك الشريف بركات وهو غائب عن مكة لم يحضر وفاتها. رحمها الله تعالى .

وفي صبح يوم الإثنين ثاني عشريْ الشهر اجتمع الشريف عرار والقاضي الشافعي ونائب جدة عند الأمين على الصدقة الرومية وتكلموا في أمرها من جهة تعلّق الشريف، صاحب الحجاز المنيف، ورأوا الدفتر وفيه أسماء له، وطالب جماعة الشريف بركات بتعلّقه فيها، فأخرج الأمين هدية السلطان له وهي قماش بمائتي دينار فأكثر، فأخذها جماعة الشريف منه وأمروه بتأخير القسمة حتى يكاتبوا الشريف ويأتي جوابه. وحضر في المجلس الشريف عبد الله الفراش ومعه مرسوم بولاية وظيفة المشدية في المدرسة القايتبائية بمكة المشرفة ومعلومها ستون ديناراً، فعارضه الشريف عرار وقال علينا جواب السلطان وقصْدنا حدان[1] جماعة السمرقندي وأنت ابن خالته، فتشوش لذلك وانتهر

(١) كذا وردت بالأصل .

الرومي المتولي عليه، فالله تعالى يلطف بالمسلمين .

وفي يوم تاريخه أشيع أن الشريف توجّه إلى العزيب [1] جهة اليمن، فانتظره الأمين إلى يوم الجمعة سادس عشريْ الشهر فلما أبطأ الجواب اتفق مع الكاتب ونائب جدة على التفرقة بعد صلاة الجمعة فحضر الجميع في بيت الكاتب وصحْبتهم الشيخ الرئيس مصطفى الرومي وبعض المستحقين والأعاجم وتأخر القضاة والأعيان لأجل الدولة المكية، فبلغ جماعة الشريف فعلهم فجاء الحاكم القائد مبارك بن بدر إلى الأمين وقال له: الأدب مطلوب، كان ينبغي لكم انتظار جواب الشريف. فأجابه الأمين بأني ما فرقت الصدقة العامة وهذه [٣٩ أ] صُرر أمانة معي لأربابها، فتكلم الحاكم على بعض الحاضرين من الفقهاء فلم يجبه أحد منهم واستمرتْ القسمة إلى بعد آذان العصر. وكان في المجلس قبض الشيخ نور الدين حمزة الرومي صرراً له ولبعض جماعته وقدر ذلك مائتي دينار وتوجّه بها إلى منزله وردّ منها واحداً زاعماً أنه زاد معه في العدد. فتكلم الناس في ذلك وقال بعض الأروام في المجلس: لا يُعْرف الرجل .... [2] وإظهار الزهد، والثناء عليه غير جميل .

وكان إذا حضر في مثل هذا المجلس يؤذي المستحقين، فأراحهم الله منه [3] وعوضهم بالأمير قاسم الشرواني نائب جدة والعلامة المدرّس مصطفى الرومي فإنهما كثيرا [4] النفع لقضاء الحوائج ومساعدة المستحقّين، جزاهما الله خيراً وكثّر من أمثالهما.

(١) العزيب: ذكره ولم يحدد مكانه ياقوت في معجم البلدان ٤: ١٢٠ .
(٢) بياض بمقدار خمس كلمات .
(٣) بالأصل: فأراحه الله منهم .
(٤) بالأصل: كثيران .

وفي صبح يوم السبت ثاني تاريخه اجتمعوا أيضاً وأرسلوا للقضاة وجماعة الشريف فحضر الجميع وروّح الأمين تعلّق الشريف من الأسماء الواردة في الدفتر لصهره الشريف عرار بن عجل، واتفقوا على التفرقة وإرضاء الشريف بعد ذلك. وحصل في أول المجلس خصام بين القاضيين الحنفي الجديد والحنبلي بسبب تعصّب ثانيهما مع القاضي الحنفي المفصول في معلوم تدريس الحنفية كان من مقابيض الحنفي الجديد وأبيه من قبله، ووقع بينهما كلام لا طائل تحته، وانتصر نائب جدة للحنفي الجديد وتكلم على الحنبلي بل أقامه من المجلس وخرج منه، ثم عاد بطلب منه للصلح بينهما. وتشوّش كثير من الناس لذلك، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وبعد ذلك قُسم المعلوم بين القاضيين فأخذ المتولي الثلثين[1] وهو عشرون ديناراً والمفصول الثلث، وفرق بقية الصرر وشرع في البيوت فأعطى بعضهم وانصرفوا بعد أذان الظهر والناس راضون بتفرقتهم داعون لسلطانهم. فالله تعالى ينصر سلاطين المسلمين ويرخّص أسعارهم ويقضي الدين عن المدينين .

وفي صبح يوم الأحد ثامن عشريْ الشهر فرّق غالب البيوت في الصدقة الرومية ولم يحضرها الأمين لتوعكه، عافاه الله تعالى وشفاه .

وفي ثالث تاريخه وقع خصام بين نائب جدة الأمير قاسم الشرواني والشيخ المدرس مصطفى الرومي الحنفي بحضرة الكاتب على الصدقة الرومية وقت تفرقتها في منزله، وذلك أنّ الأمير- نصره الله - قصد الجميل مع أهل مكة لكونه لم ير [2] لهم مرتباً في الصدقة الرومية كالأعاجم والأروام فقال: يُنظر في الفائض من مال السلطان مع الأسماء الشاغرة من الأموات والغياب فيُقرر الأعيان من المستحقين من أهل مكة، فقال

(١) بالأصل: الثلثا .

(٢) بالأصل: لم يرى .

له الشيخ مصطفى: الأروام يستحقون ذلك أكثر منهم، فقال له الأمير: السلطان ما قصد إلا أهل مكة والرومية لا يُسَمّى إلاّ لهم، وليس لهم فيها مرتب. فترادا في الكلام، فقام الأمير من المجلس وتركهم فانفضوا بعده و لم يفرّقوا على أحد لأنه الناظر على التفرقة كما رسم به السلطان في مرسوم أرسله في هذا العام مع الأمين والكاتب. فكثر الدعاء من أهل مكة للأمير والوقيعة في المعارض له، فالله تعالى يخذله ويؤيد الأمير وينصره .

[٣٩ ب] وفي آخر النهار اجتمع جماعة من الأروام وتوجهوا بالشيخ مصطفى إلى منزل الأمير وأصلحوا بينهما، فعفا عنه واتفقوا على ما يريده من الخير، فالله يُكثر من أمثاله ويدفع عنه شرّ كل وضيع .

وأشيع في هذه الجمعة وصول مركبين من عدن وأخبار ثماني مراكب بعدها. فالله تعالى يحقق ذلك ويرخّص أسعار المسلمين، ويكتب السلامة على المسافرين، بجاه سيد الأولين والآخرين .

شهر ذي القعدة الحرام استهل كاملاً كالذي قبله من سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩م)

ويُشاع أنه رئي في بعض الأودية التي حوالي مكة بالثلاثاء و لم أتحقق صحة ذلك .

ويُذكر أن قاصداً وصل بَراً من القاهرة إلى جدة وتوجه لصاحب البلاد الحجازية السيد بركات في جهة اليمن ويقال أخبر بإشاعة وصول الفرنج إلى جدة وحرقهم المراكب بها. وتوجّه الشريف إلى اليمن فأرسل ملك الأمراء نائب الديار المصرية عسكراً من البحر نحو خمسمائة رومي وغير ذلك من الرماة والأتراك وعين ثلاثة آمار[1] للتوجه

(١) كذا بالأصل، ولعله جمع لكلمة " أمير "، كان مستعملاً .

مع الحاج بحراً، منهم باش ومحتسب مكة وهو الأمير بكتاي الأزبكي، وأن الحاج الشامي قصدهم الوصول من طريق غزة ثم في درب المصري، والله أعلم بحقيقة ذلك .

وفي صبح يوم الخميس ثاني الشهر عمل الخواجا الكبير بيري الرومي أحد أعيان الدولة الرومية سماطاً هائلاً في سطح منزله بالسويقة لأجل زواجه على .... (١) ابنة الخواجا الأجل المحترم زين الدين عبد القادر القاري الدمشقي. وكان عقده عليها في العام الماضي في .... (٢) ربيع الأول، واستغل مونة معرفته (٣) عند جماعة من أصحابه التجار .

وكان فيه أطعمة مفتخرة كثيرة لم يتّفقْ فعلها لكثير من الأكابر بمكة في وقت تاريخه واجتمع فيه من الصحون الكبار والصغار قريب الألف، وما رُئيَ (٤) أطول منه ولا أعرض. وجعل فيه ألواناً كثيرة من الحلويات والدجاج والأرز والغزلان والخرفان، يقال إنه اشترى خمسين خروفاً بمائة وخمسين ديناراً ومائتي دجاجة بنحو المائة وغير ذلك من المؤن كالسمن والعسل والأرز والقمح والخضر بما يُعْجَز عن حصره. ويقال كَلّفتْه أكثر من ألف دينار .

واجتمع فيه من الألوان المفتخرة الرّزّان الحلو والمفلفل والمأمونيتان الحموي والسكب وهريستا الفستق واللحم و مابهما من الأرز والحب والزايرباج والماوردية والرغيف الأسيوطي والشيشرك الحلو والحامض وغير ذلك من أطعمة العرب والعجم.

---

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل، و لم يذكر هذا الخبر في ما كتبه المؤلف عن شهر ربيع الأول من سنة ٩٢٤هـ .

(٣) كذا وردت الجملة بالأصل .

(٤) بالأصل:را .

وفي صدره غزال مشوية وحولها أربع أوزات، وباقيه متساو في الأطعمة من الحلويات وغيرها، وكل مَن(١) جلس في موضع يرى منه أنه الصدر لتساوي الأطعمة فيه.

وحضره نائب جدة الأمير قاسم الشرواني وكان هو القائم بأمره، ويبدأ(٢) الأعيان من القضاة والفقهاء والتجار فحضروا جميعهم في نُوَبٍ متعددة، وبعد الفراغ لم يتحرك السماط لكبره. فالله تعالى يخلف على صاحبه ويعينه على مُهِمّهِ .

وفي ليلة الأحد خامس الشهر مات الخواجا الأجل النوري علي بن الزين بن عبد الحق النويري .

وفي يوم تاريخه وصل قاصد من الديار المصرية وخرج منها في الثلث الأول من شوال [٤٠ أ] وكان توجّه إلى السيد بركات صاحب الحجاز إلى جهة اليمن، فعاد من عنده ومعه مرسوم لنائب جدة الأمير قاسم الشرواني مضمونه الإخبار بوصول مكاتبته والشريف بركات لملك الأمراء نائب الديار المصرية. وفيها الإخبار بوجود الغلاء بمكة في القمح وغيره وذلك لخراب بوجود الأتراك بها وتخبيط المهرة (٣) في البحر وقحط بلاد زيلع لوجود اللعين(٤) بها. وأمرنا بتجهيز خمسمائة رومي في البحر ليقيموا بجدة حفظاً للمراكب التي بها من الفرنج المخذولين، وإرسال ثلاثمائة مملوك مع الحاج المصري ومائتي فارس وخمسة امارة فينظر في أمرهم وإن أمكن تجهيزهم إلى اليمن فيجهّزون

---

(١) بالأصل: كلمن .

(٢) بالأصل: وردت الكلمة غير معجمة، ولعل صوابها: ودعا .

(٣) المهرة: قبيلة تنسب إلى بلاد مهرة، وهي بلاد مقفرة تقع بين حضرموت وعُمان، ياقوت: معجم البلدان٥: ٢٣٤. استولى المهرة على جزيرة سقطرة سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م المواجهة لسواحل عدن .

(٤) بالأصل: العين، وهو يقصد النصارى البرتغاليين .

وإلاّ يقيمون [1] بجدة .

وحقّق القاصد خروج ركب شامي قليل على درب غزة، فقرأ الأمير قاسم مرسومه في منزله بحضرة جماعة من الأعيان. فتشوش الناس لهذه الأخبار لإقامة العسكر بمكة وأعمالها خوفًا من ازدياد الغلاء في الأقوات، فالله تعالى يلطف بالمسلمين ويقدّر لهم خيراً .

وفي صبح ثاني تاريخه عمل نائب جدة عقد مجلس عنده بالقضاة الثلاثة خلا الشافعي فإنه تعذر عن الحضور بسبب مستَنَدٍ كَتَبَه منصور ابن الخواجا شمس الدين محمد الحموي بوقفية منزل والده الكبير بمكة وكانت أخته قد ادّعتْ الملك فيه وشهد لها جماعة بذلك منهم الخواجا جلال الدين القرشي والشريف علي الأخصاصي مع كون الأب أوصى ولم يتعرض لذلك. فطعن الولد في شهودها وأقام بينة بوقْفيته عليه وأثبتَ ذلك عند القاضي المالكي الجديد بشهادة الفقيه جمال الدين محمد بن موسى الطاهري والصلاحي صلاح الدين بن أبي البركات ابن الشيخ عبد القادر النويري والبرهاني إبراهيم بن الجمال محمد ابن الشيخ إسماعيل بن أبي يزيد، وطلب تسجيله على القاضي الحنفي الجديد بديع الزمان محمد بن الضياء فأمر بذلك فكُتِبَ السّجِل. وهؤلاء الشهود مناسبون[2] لهذا القاضي، وأُستُشهِد في ذلك بكلام بعض المتقدمين وهو:

زمانك والشهود وأنت قاض   قريب من قريب من قريب

فسمع القاضي المالكي والد المثبت بذلك فأرسل إلى الشاهد الزيني عبدوه ابن الشيخ نور الدين بن ناصر وطلب منه المستند فأراه له، فقال له: أتركْه عندي حتى أتأمّله

(١) بالأصل: فيجهّزوا وإلا يقيموا .
(٢) بالأصل: مناسبين .

فتركه عنده وذهب ثم طُولِبَ به فأنكره، فاشتكى ابن الحموي الشاهد عند نائب جدة فأحضره وأراد ضربه فأخبره بقضيته مع القاضي المالكي، فأرسل إليه قواساً فأحضره وسأله عن المستند فأنكر وتكلّم على الشاهد وقال: مثل هذا يصدق عليّ وهو عدوي وابن عدوي ؟ فأرسل الأمير إلى القاضي الشافعي وأخبره بالقضية فقال: ما جرّبْنا على الشاهد كذباً، وتلزم القاضي المالكي يمين أنه ما أخذ المستند، فحلّف الأمير القاضي في المجلس أنه ما أخذه ولا رآه فحلف بذلك، فقال الشاهد كان أخذه للمستند بحضرة الشهابي أحمد بن بربس العطار والده ... [1] هو فأرسل الأمير إليه رسالة عن ذلك، فقال: كنتُ الرسول بينهما في طلبه فحينئذ سبّ الأمير القاضي المالكي، ثم استشهد الشاهد بعبد المدّعي وهو معتوق فقال: أخذه القاضي وطالبتُه به مراراً ووعدني به ثم أنكره. فحينئذ سبّ الأمير القاضي سبّاً فاحشاً وتهدده بالترسيم والعزل وقال الشاهبندر بجدة وكان حاضر المجلس: اليسق العثماني مَن كذب وخان يُعزل، ولعمري إنّ هذا هو الشرع، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وعند ذلك قال الشيخ نور الدين [٤٠ ب] البيسقي شيخ الفراشين بمكة وهو في المجلس: يمكن إعادة كتابة المستند ويؤخذ عليه خط القاضي والشهود فأمر الأمير بكتابة المستند فأحْضر الشاهد نسخة أخرى نظيرة المستند المفقود ليس عليها خط الشهود، فقال الأمير: يؤخذ عليها خطهم وانفضّ المجلس على ذلك. وتشوّش الأخيار من هذه الفعلة القبيحة والوقيعة الشنيعة التي تصمّ عنها الآذان، وتنكرها قلوب أهل النظر والعميان، فالله المستعان، وعَلَيْه التكلان .

وفي ضحى يوم تاريخه مات الفخري أبو بكر ابن الخواجا جمال الدين محمد بن بسطام العجمي التبريزي الأصل المكي فجهّز في يومه وصلّي عليه بعد صلاة العصر

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

وشيّعه جماعة إلى المعلاة ودُفن بتربة أبيه وجده. وخلّف ولديْن ذكريْن وغيرهما، فالله تعالى يرحمه وإيانا .

وفي يوم الثلاثاء سابع الشهر شرع الكاتب على الصدقة الرومية في تفرقتها على الربط فبدأ برباط السلطان الأشرف قايتباي فحجز على أبناء العرب الساكنين به كثيراً ومنعهم من الإعطاء ودفع للأروام والأعاجم استحقاقهم وقال: السلطان أرسل مرسوماً بأن مَن له منزل وزوجة لا يُعطى في الرباط فقيل له: في المجلس كثير من الأروام والأعاجم له منزل وزوجة وأُعْطيَ، فلم يَلتفتْ لهذا الكلام. وكان حاضراً الأمير قاسم الشرواني نصره الله فقام من المجلس مغضباً بسبب أبناء العرب. فالله تعالى يؤيّده ويزيده من الخير .

وفي ليلة الجمعة عاشر الشهر وصلتْ قافلة من المدينة الشريفة، على الحالّ بها أفضل الصلاة والسلام، فيها الشيخ محيي الدين العراقي الأديب وأصهاره أولاد الشيخ فضل بن عبد القوي الزيني جعفر وأبو[1] المكارم وكان عزم عليهما مع والدتهما وأختهما لأجل زوجته شقيقتهم، فهنأهم الناس بالزيارة، فالله تعالى يتقبّلها منهم، ويخلف عليهم الإنفاق فيها .

وأخبروا بغلو الأقوات فيها لسعر مكة في غالب الأطعمة خلا اليسير وهو التمر والحب واللحم، وعدم الجمال للكراء فلذلك تخلّف الزوار بها من السادة بني ظهيرة، وأنّ قفلا لاقاهم عند خروجهم منها وصل من ينبع فيها حب ورفقتهم القاضي بدر الدين حسن بن الزين الحنبلي المتولي قضاء المدينة في سنة تاريخه من نائب الديار المصرية، وقصده قراءة مرسومه بالمدينة ثم العود لمكة. [وعظم ذلك على أهل المدينة لعدم لياقته

(١) بالأصل: أبي .

للمنصب][1]. وكان الفقهاء من أهل المدينة لما سمعوا بولايته كتبوا فيه محضراً بالحطّ عليه وسؤالهم في ولاية بَلَديّهم البرهاني إبراهيم ابن القاضي بها كان شمس الدين محمد السكندراني الحنبلي. وتوجّه بها بحراً إلى القاهرة. فالله تعالى يقدّر للمسلمين خيراً. [فإن كلاً منهما جاهل لا يليق][2].

وفي يوم تاريخه قسم الأروام على بعض الأربطة وحجروا على السكان بها ومنعوا بعض أهل الخلاوي من القبض، فتشوّش الناس لذلك وأطلقوا ألسنتهم بالسبّ والدعاء لمن كان السبب في قطع أرزاقهم. فالله يتقبّل ذلك، ويخلف على أهل مكة وكل قاطن بها الخير سالك .

وفي يوم السبت ثاني تاريخه اجتمع الكاتب على الصدقة الرومية ونائب جدة فأخذوا من الأسماء الموفّرة مقدار ألف ذهب ناقصه[3] وحملوها إلى وكالة الأشرف قايتباي عند الحناطين [٤١ أ] المعروفة بالحلقة وجمعوا فيها خلقاً من الفقراء الرجال والنساء ثم دفعوا لكل واحد مقدار أشرفي وبعضهم نصف وربع وأقل من ذلك إلى محلقين. فانشرح الفقراء لذلك ودعوا للسلطان، ولم يكن هذا الفعل عادة للأروام .

وفي يوم تاريخه وصل الخبر إلى مكة من جدة بوصول العسكر الرومي إلى ينبع فزاد غلو الأسعار بمكة وطلع الحب بحيث بيعت الربعية المصرية بخمسة محلقة بعد أن كانت بأربعة، والنخلية بزيادة نصف بعد أن كانت بأربعة ونصف، وزادت بعد ذلك نصفاً آخر .

(١) ما بين عاقفتين ورد بخط قطب الدين النهروالي .
(٢) ما بين عاقفتين ورد بخط قطب الدين النهروالي .
(٣) بالأصل: نقصه .

واتفق يوم تاريخه بلوغ نائب جدة أنّ عرباً وصلوا من الحجاز ومعهم أغنام كثيرة وضعوها بأرض عرفة فأرسل إليهم عبيده وقواسة له، فتوجهوا لهم إليها فما وجدوا إلا أهل البلد ونهبوا غنمهم ودخلوا بها إلى مكة. فتوجّه أهلها من العرب إلى الحاكم القائد مبارك بن بدر وعرّفوه محالّهم فتوجّه إلى الأمير وقال له: هؤلاء عرب مكة الجالبين لِلَبنِها وهم لا يبيعون غنمهم ويتولّد من فقد ذلك ضرر كبير، فرد الأغنام للحاكم وقال له الكالي أبو الفضل بن أبي علي الوزير: ترى الآن أنا أحصل لك غنماً، فحصل له نحو ثلاثمائة رأس غنم في هذه الجمعة. والله أعلم بحقيقة ذلك .

وفي عشاء ليلة الأحد ثالث عشر الشهر على رؤية أهل مكة والظاهر أنها ليلة رابع عشر على القاعدة. خسف القمر خسوفاً كاملاً لم يُر مثله من زمان طويل فوجلتْ القلوب عند رؤيته ودمعتْ العيون عند مشاهدته، وصلّى له بالمسجد الحرام جماعة أمّهم الخطيب الأصيل شرف الدين يحيى ابن الخطيب فخر الدين أبي بكر النويري صلاة طويلة أخْفَى قراءته فيها، وبعد الفراغ خطب له خطبة حسنة شكرها السامعون لها، فالله تعالى يختم بخير، ويدفع عنا كل شرّ وضيْر .

وفي ليلة تاريخه بعد انجلاء القمر وصلت قافلة من المدينة فيها الشيخ العارف بالله قدوة الشاهدين، وعمدة المسلكين، الغوث الفرد الجامع، ولي الله تعالى جمال الدين محمد ابن الشيخ المسند المعمّر نور الدين علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن صالح بن يوسف بن عراق الموسوي الدمشقي ثم الصالحي الشافعي[1]، متع الله بحياته وأدام النفع بعلومه وبركاته، وصحبْتُه ولده الشيخ القدوة المقرئ المسلك مربي المريدين، وأوحد الصوفية

(١) الشيخ محمد بن عراق أحد رجال الإصلاح الاجتماعي بمكة وهو من أشهر القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر مصادر ترجمته في كتابنا: التاريخ والمؤرخون بمكة المكرمة ص ١٨٣- ١٨٤.

المعتقدين، نور الدين علي والشيخ العلامة الزاهد مفتي المسلمين القاضي عز الدين الفائز ابن قاضي القضاة الخطيب فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة القرشي المكي وأخوه لأبيه القاضي الأصيل الجليل عين الأماثل المعتبرين جلال الدين أبو[1] البقاء محمد والفقيه العالم الأصيل عفيف الدين عبد الله ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الفاكهي وزوجة ثانيهم ابنة ابن عمه السيدة المصونة الجوهرة المكنونة أم الحسين ابنة المرحوم قاضي القضاة شيخ الإسلام الجمالي أبي السعود بن ظهيرة ووالدته مصباح الحبشية وغيرهم من أتباع الشيخ والجماعة بني ظهيرة وبعض أهل المدينة منهم الزيني عبد الحق ابن الخطيب شمس الدين محمد زين الدين القطان وطاهر ابن قاضي الحنفية شمس الدين محمد بن جلال الخُجُنْدي وهما من فقراء الشيخ ابن عراق. فهنأهم الناس بالزيارة والسلامة، فالله تعالى يتقبّل منهم. ولم يظهر الشيخ ابن عراق في هذا اليوم وظهر في ثاني تاريخه فهرع الناس [٤١ ب] للسلام عليه في المسجد الحرام. وكان أول ما قدم سكن في حدرة[2] القرارة عند بيت النيربي في منزل فقِيرِهِ فخر الدين الحمصي المعروف بابن التراب، فخلى ولده وعياله به، ثم انتقل هو إلى منزل للخواجا عبد القادر القاري بالقرب من المسجد في زقاقنا المعروف قديماً بابن عُطَيْعط وحديثا بالفهود. فتردد الناس إليه للسلام عليه، نفع الله به وأعاد علينا من بركاته .

وفي ليلة الثلاثاء خامس عشر الشهر ماتت جانسوار التركية زوجة الأغا صندل ابن عبد الله الخصي عتيق السلطان بايزيد بن عثمان، فجهّزتْ في ليلتها وصلّي عليها بعد

(١) بالأصل: أبي .

(٢) كذا بالأصل، ويمكن أن تكون الكلمة " حارة " .

صلاة الصبح وشيّعها قضاة القضاة وخلق من الأعيان، ودُفنت بالمعلاة في تربة ....[١] الشيخ أيوب الأزهري المكي بالقرب من مقابر الشيخ فضيل بن عياض وغيره من السادة. وحزن عليها زوجها حزناً[٢] كثيراً، وعمل لها ختماً في صبح يوم الجمعة بالمعلاة، رحمها الله تعالى، وأظهر عليها أسفاً واحتراقاً.

وفي ضحى يوم تاريخه وصل الخبر إلى مكة بوصول العساكر المصرية إلى جدة المعمورة فسمع بذلك نائب جدة الأمير قاسم الشرواني وهو يقسم الصدقة الرومية على أهل رباط كلالة صحبة الكاتب عليها فانْوَهَج[٣] عند سماع هذا الخبر وقام من المجلس قبل أن يُكْمل التفرقة على أهل الرباط، وتوجّه إلى منزله وطلب جماعة ممن يتعلق على الرمل فضربوا له به وأمروه بالتوجّه يوم تاريخه إلى جدة فإنه يوم مبارك، فاهتم للسفر وطاف بعد صلاة العصر وخرج من باب حزورة وودعه جماعة من الأعيان كالقضاة والفقهاء وغيرهم. وكان السيد الشريف كاتب فيه إلى مصر.

وفي صبح ثاني تاريخه فرّق الأروام على بعض الأربطة بحضرة دوادار نائب جدة لكونه له النظر على ذلك .

وفي صبح يوم الخميس سابع عشر الشهر وصل الخبر إلى مكة بقبض العساكر الواصلة إليها بحراً على نائب جدة الأمير قاسم الشرواني ووضْعه في الحديد وحمْله في غراب إلى البحر بأمر نائب مصر .

وسبب ذلك أنه لما وصل إلى جدة في صباح يوم الأربعاء توجّه بموكبه وصحبته

---

[١] كلمة غير مقروءة بالأصل .

[٢] بالأصل: حسنا .

[٣] كذا بالأصل، ولعلها انزعج .

قاضي جدة ومباشروها[١] وغلمانه إلى محل العرضة في مكان يقال له أبو صريف[٢]، فوجد العسكر نازلين [٣] به في خيام فسلم عليهم وأكرموه بالقيام له وجلّسوه صدر المجلس والتأدب معه فأمرهم بالعرضة والركوب إلى البلد، فقالوا له: نحن الآن تِعاباً وفي غد ندخل إلى البلد، فانفض المجلس على ذلك وأقام عندهم للتأنّس بهم فأظهروا له مرسوماً من ملك الأمراء نائب الديار المصرية فيه الطلب بالتوجه إلى الأبواب الشريفة الخندكارية وعزله من نيابة جدة وتولية أمير العسكر حسين بك الرومي عوضه. فأجابه بالسمع والطاعة فقبضوا عليه فلما رأى ذلك عبيده وغلمانه المستخدمين معه أرادوا الهرب منهم ووقوع فتنة في البلد، فقبض العسكر على كثير منهم وقال الأمير قاسم الشرواني للنائب عوضه: بعضهم ملكي ويكون عندك وبعضهم مستخدم معي. فقال: الأمر لهم يفترق كل ضعيف على حدة فافترقوا. فلما علم ذلك أخذ أسلحة المستخدمين من المدافع وغيرها وأطلقهم ووضع يده على العبيد المملوكين فوصى هو حسينا على أولاده وعياله ومخلّفه من الأثاث وغيره، وأرسل إلى مكة لولده الكبير إبراهيم ودواداره بها يوصيهما أيضاً فنقلا حوائجه من سكنه عند [٤٢ أ] باب العمرة إلى منزل أولاده بالسويقة. وهي تحفٌ كثيرة فكان نقلهم لها يوماً وليلة. فالله تعالى يؤمنه ويُحسن خلاصه ويكتب له السلامة ويجعل عاقبته إلى خير فإنه لا بأس به في حق العرب .

ويقال إن السبب في عزله والقبض عليه مكاتبة السيد الشريف بركات صاحب الأقطار الحجازية بالحط عليه. وقيل سخط مَلَكُ الأمراء نائب الديار المصرية عليه لكونه

---

[١] بالأصل: ومباشرينها.

[٢] أبو صريف بجدة: لم أجد ذكراً لهذا المكان في مابين يديّ من المصادر .

[٣] بالأصل: نازلون .

بلغه أنه يتعاظم عليه ويقول: أنا مثله عمل ولقب قبله (١)، وكل منا صاحب سنجق. وقيل السبب أعظم من ذلك لأن الخنكار بلغه أنه يكاتب الصوفي الخارج، وله ميل إليه، بل أحرق الأغربة بجدة وأبقى بعضها للسفر فيها إليه، والله أعلم بحقيقة الحال .

وفي صبح يوم الجمعة ثامن عشر الشهر كمّل الأروام تفرقة الصدقة الرومية على أهل الأربطة وبها تمتْ ثلاث جُمَع وهم يفرقون فيها الصدقة المذكورة، فالله تعالى يجعلها مقبولة .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشريْ الشهر وصل إلى مكة المشرفة أوائل العسكر المنصور الواصل بحراً صحبة نائب جدة الجديد وغالبهم جراكسة وبعضهم أروام. ويقال عدة الجميع قريب خمسمائة نفس، فالله تعالى يعطي أهل مكة خيرهم .

وفي صبح يوم الأربعاء ثاني تاريخه وصل إلى مكة سلطانها وابن سلطانها الشريف أبو نمي محمد ابن السيد بركات وصحبته أخوه ثقبة وبعض أعمامه وعسكره فهرع الأعيان للسلام عليه .

ووصل عشاء ليلة الجمعة رابع عشريْ الشهر - على رؤية أهل مكة - نائب جدة الأمير حسين بك، فطاف وسعى ماشياً ومعه الشيخ العلامة المدرس الزاهد مصطفى الرومي وهو المطوّف والمُسَعّي له بطلب من النائب وامتناعه مرة بعد أخرى. وبعد فراغه توجّه إلى الزاهر وبات به على العادة .

وفي صبح تاريخه صلّي عند باب الكعبة على المرأة الكبيرة .... ابنة .... (٢) الجوبري المكي، جده المحيي محمد ابن الشيخ أيوب لأمه، فشيّعها جماعة من الفقهاء

(١) كذا وردت الجملة بالأصل .

(٢) بياض بمقدار أربع كلمات تشمل اسم المرأة واسم أبيها .

وغيرهم إلى المعلاة، ودُفنتْ بالقرب من الفضيل بن عياض، رحمها الله تعالى .

وفي يوم تاريخه شُمِّرتْ الكعبة الشريفة وجُردت عنها ثيابها إلى نحو ثلثها، على العادة، وكان إحرامها في الخامس من شهر تاريخه. وقُدّم ذلك لوصول العسكر أو لاختلاف الرؤية في مكة وجهاتها .

واتفق يوم تاريخه عمل عرْضة حسنة لنائب جدة من الزاهر خرج للقائه الشريف أبو نمي وعسكره وقاضي القضاة الشافعي وخلق من العامة، فخلع على الشريف أبي نمي وأخيه ثقبة والقاضي الشافعي والناظر بجدة القاضي زين الدين المحتسب، فدخلوا من باب المعلاة في أبّهة عظيمة وقُدّامهم العسكر بعضهم على خيل وغالبهم مشاة وأمامهم النفط وخلفهم السناجق السلطانية وطبلخانة الشريف والطبل والزمر. فلما وصلوا إلى باب السلام دخلوا منه إلى المسجد الحرام وجلسوا بالحطيم، فقرئ به مرسومان(١) من ملك الأمراء نائب الديار المصرية أحدهما للسيد بركات وثانيهما لنائب جدة مضمونهما الإخبار بولاية نائب جدة المشار إليه وعزل مَن تقدمه وتجهيزه بحراً إلى الأبواب الشريفة، والوصية بالنائب الجديد والشكر منه ووُصِف بأوصاف حسنة من العقل والدين والمعرفة [٤٢ ب] التامة وتَقَرّبه من الخنكار وملك الأمراء وإخبار الشريف بوصول مكاتباته إلى الديار المصرية والأعمال الرومية. وفيها الإخبار بوجود القحط والغلاء بمكة وسببه خباط اليمن من الأتراك المقيمين فيها، ووجود المهرة في البحر وقطْعهم الطرقات ونهبهم بعض الجلاب وقتل بعض وأخذ مالهم وتعرّضهم لجلاب القصير، وإشاعة إصلاح الفرنج المخذولين نحو خمسين مركباً صغاراً في بلد

(١) بالأصل: مرسومين .

كشي[١] من جهة الهند، ونيتهم التوجه إلى جدة في هذا العام لأجل المراكب بها. فتشوشنا لذلك وجهّزنا هذا العسكر للإقامة بجدة وحفظ المراكب التي بها وإرسال بعضها[٢] إلى اليمن لإصلاحه. والحاضر يرى ما لا يراه الغائب. وعوّلوا في أمرهم على الشريف وأكّدوا عليه في الوصية بنائب جدة والعساكر المنصورة وإظهار التودد والمحبة له، أدام الله أيامه، وخلّد عليه إنعامه .

وبعد الفراغ من قراءة المراسيم دعى القراء للخنكار وملك الأمراء والشريف وولده ونائب جدة وناظر المسجد الحرام القاضي الشافعي. وتوجه كل منهم إلى منزله من غير طواف، وهنّأ الناس نائب جدة والشريف والقاضي. وسكن النائب في مسكن النائب قبله المطلّ على المسجد الحرام بالقرب من باب العمرة، وبعد توجّهه إلى منزله خلع خلعة على كبير التجّار من الأروام الخواجا بيري القرماني، ونادى في شوارع مكة بالأمان والاطمئنان وتنظيف الطرقات وأبواب المسجد الحرام. وسمعتُ أنه جعل أمر أبواب المسجد إلى جماعة من الأتراك الذين صحْبته وأعطاهم معلوما لذلك. فشرع الناس في التنظيف بهمّة زائدة ثم كشف عليهم بعد ذلك في ثاني تاريخه .

وفي ليلته دخل الخواجا بيري الرومي على زوجته .... [٣] ابنة الخواجا عبد القادر القاري وتوجّهَتْ له إلى منزله بالسويقة ومعها قليل من النسوة فلما

(١) كذا ورد الاسم بالأصل، وهي كوشان COCHIN مدينة على الساحل الغربي للهند تقع على ساحل المليبار قريبة من كاليكوت وأصبحت تنافسها في الأهمية، درسها وأبان مكانتها في العصر SERJEANT في كتابه:
THE PORTUGUESE OFF THE SOUTH ARABIAN COAST, p. 14 .

(٢) بالأصل: بعضهم .

(٣) سقط اسم الزوجة من الأصل .

دخلتْ عليه انصرفن[١] عنها بأمْره وطلبه لذلك لكونه يكتم ذلك مع علمه بالسماط الماضي وطول تراخيه في الدخول، فإن بين عقده ودخوله قريب السنتين وله مقصد في ذلك الله أعلم به، فإنه كثير العظمة مع التحيّل. وأقامتْ معه مدّة أشهر وطلقها لعدم التفاته إليها ومناكدتها له .

وفي صبح يوم الأحد سادس عشريْ الشهر أمر نائب جدة بجمع نُظّار الأوقاف من الرّبط والمياضي التي بمكة واجتمع عنده منهم جماعة فذكر لهم ترجمانه أن أصحاب الأوقاف مقصدهم خير[٢] وهو يعين على فعله[٣] ومن كان تحت يده وقف يصلحه ويُكثر من الماء فيه ولا يحجره على أحد. فذكر بعض الحاضرين أن الربط أمرها منحصر على ساكنيها ويحصل من الطارئ عليهم، فطولب بشرط الواقف وحصوله متعذر في غالب الأوقات لتقادم الزمن واختلاف النّظار. وانفضّ المجلس على إصلاح الجهات، وإذا لم يكن للمحل وقف يَصرف عليه من عنده، جزاه الله خيراً .

وفي ضحى تاريخه وصل إلى مكة سلطانها السيد الشريف بركات، أعزه الله تعالى، من جهة [٤٣ أ] اليمن فهرع الناس للسلام عليه ودخل إلى مكة جماعة من الأعراب سرجاً[٤] لعرضة الحاج على العادة ولعبوا عند بيت الشريف صباحاً ومساءً على النّقّارة .

وفي صبح تاريخه دخل إلى مكة المشرفة جماعة من الحاج وأخبروا بقِلّتِه ورخاء السعر معه وطلوع ركب شامي على درب المصري رفقة الركب الغزّاوي.

(١) بالأصل: انصرفوا .

(٢) بالأصل: خيرا .

(٣) بالأصل: فعل .

(٤) بالأصل: صرحا .

وفي يوم تاريخه ولد ابن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أبي بكر العراقي شيخ البيمارستان المكي وأمه .... [1] ابنة القاضي محيي الدين ابن رقيط، أحد المباشرين بجدة. وكان زواجه في سنة تاريخه .

وفي مغرب تاريخه اجتمع السيّد الشريف بركات بنائب جدة الجديد في المسجد الحرام لأجل السلام عليه. ووصل من الحاج شيخ العرب بالأعمال الشريفة من جهة الصعيد الأمير إسماعيل الجويلي، ويُذكر عنه كرم وإحسان للفقراء، أكثر الله من أمثاله .

وصحبه الشهابي أحمد ابن شيخ الفراشين بمكة عفيف الدين عبد الله بن بيسق المكي، وكان في القاهرة من مدة ثلاثة أعوام، وأخبر بأن جماعة من المكيين وصلوا صحبة الركب هم الشهابي أحمد والعفيف عبد الله ابنا الشيخ نور الدين بن ناصر والشرفي أبو القاسم المرشدي والوجيه عبد الرحمن بن زريق ووالدته أم كمال ابنة أبي البركات الحنفي والشهابي أحمد بن عمر بن الجمال المصري والقاضي برهان الدين إبراهيم ابن القاضي شمس الدين السكندراني المدني متولياً بقضاء المدينة الشريفة عوض القاضي بدر الدين حسن الزين المكي المتولّي لها في الشهر الماضي، مع أنّ كلاً منهما لم يُشكر، لكن أهل المدينة تعصبوا لبلديّهم وكتبوا له محضراً وسألوا في ولايته. فالله تعالى يقدّر للمسلمين خيراً، و لم يتهنّأ الزين بالقضاء .

وذكر أنّ السيد الشريف عفيف الدين عبد الله بن عبد الكريم السمهودي فوّض إليه قضاء الشافعية في المدينة الشريفة عوض القاضي بها الشرفي أبي[2] الفتح ابن القاضي صلاح الدين بن صالح وعوض الحنفي بها شخص رومي يقال له خضر كان في المدينة

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) بالأصل: أبو .

قبل ذلك محضراً في باب المعزول القاضي شمس الدين بن جلال، وولاية القاضي ناصر الدين بن صالح لنصف مشيخة المسجد النبوي مع غيرها من الوظائف من الروم، ثم عزله عنها بعد سفره بمدة يسيرة بسعي عبد الشيخ المعزول. واجتمعا بمصر فتوقف الشافعي عن التوجّه لبلده حتى يعود إلى الروم وينظر في أمره. وسبب ذلك عدم معرفة أركان الدولة بأحوال الناس، فلله الأمر. وأعظم من ذلك عزل قاضي مكة الشافعي وابن قضاتها بأكثر من ستين سنة ....[1] نحو مائة وعشرين سنة بمن كان شاهداً عند أبيه وجدّه و لم يُحمَد في سيرته الشيخ نور الدين علي بن ناصر النجار أبوه البلبيسي الأصل المكي[2] مع كبر سِنّهِ واختلاطه في أمره. ويقال إنّ السبب في ذلك شكوى بعض الناس من القاضي الشافعي الصلاحي بن ظهيرة عند الوزراء بالروم فعزل منها وأرسل بذلك إلى نائب الديار المصرية فسأل عن العلماء بمكة فعيّن له المتقدم ذكره ففوّض إليه القضاء وجعل له مبلغاً [٤٣ ب] من عنده لفقره، يقال نحو ثلاثمائة دينار، مع جعل معلوم الذخيرة للقاضي الشافعي له وهو ثلاثمائة أخرى. فلما جاء الخبر له بذلك فرح به وانبسط بسماعه، وكان الناس يظنونه بخلاف ذلك، فإنه كان يُظهر التقشّف والزهد في الدنيا وإظهار المسكنة. لكن الظلم كمين في النفس، الضعف يُخفيه والقدرة تُظهره، وصار عند الناس ضحكة بقبوله لذلك والعقلاء يبكون من أفعال هذه المسالك. ولله بعض الشعراء حيث قال في هذا المثال:

أمورٌ يَضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

وشمتَ بعض الناس بعزل القاضي المفصول وقال فيه أبياتاً يحمد الله على عزله

(١) بياض بمقدار أربع كلمات بالأصل .
(٢) انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٧: ٢٥٢ .

ويهنّئ أهل مكة بولاية غيره وهي:

لله حمـــداً ثم شكـرا دائـــما   سمع الإله لمن دعا بيقيـــن
زال الفساد عن البلاد أم القرى   وحقيقة جاها صلاح الدين
يهنئـــكم يا أهل مكـــة أبشروا   رضي الإله عليكم في الحين
وسلوه دوماً لا يعيـــد فسادها   أبداً إلى مرّ الدهور سنيـــن

وفي عصر يوم الإثنين سابع عشريْ الشهر توجّه السيد الشريف بركات وصحبته القاضي الشافعي صلاح الدين بن ظهيرة إلى أمير الحاج المقر الأشرف برسباي الجاركسي بالزاهر لأجل السلام عليه، فسلما عليه وعادا بسرعة. ولم أعلم ما وقع في المجلس من أمر القاضي الشافعي، لكن الشريف بركات لما عاد إلى منزله خرج إلى جهة اليمن وترك ولديه بمكة لأجل عَرضة أمير الحاج .

ويقال إنه تكلّم مع الأمير في جهة القاضي الشافعي المفصول فقال له: كنْ في نفسك، فتخيّل من ذلك، فالله تعالى يحميه ويحرسه بعيْنه التي لا تنام، فإنه بركة الحجاز .

وفي صبح تاريخه خرج للقائه أبو نمي وأخوه ثقبة وعسكرهما ونائب جدة وعسكره فخلع على كل منهم خلعة فدخلوا مكة من المعلاة بعرضة عظيمة فيها خيول كثيرة للشريف وأمير الحاج فمشوا معه إلى باب سَكَنه بالمدرسة الأشرفية القايتبائية بالمسعى المعظم، ثم توجّهوا إلى منزلهم ولم يضفْ الأمير القاضي الشافعي. وطولب المعزول فأحال على المتولّي. وكانت العادة يعشّي الشريف صاحب البلاد وبعده ثاني يوم القاضي الشافعي .

وفي ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه دخل إلى مكة أمير الحاج الشامي السيفي جان بلاط ابن عبد الله الجاركسي نائب السلطنة الشريفة بغزة المحروسة ودوادار المقر الكافلي جان

بردي الغزالي نائب الديار الشامية كان، فطاف وسعى وعاد إلى الزاهر وأقام به إلى الصباح، فخرج للقائه أبو نمي وأخوه ثقبة بعسكرهما ومعهما خيول كثيرة وأمير الحاج المصري - وهو غير العادة - ونائب جدة الرومي. فلبس كل من الشريفين خلعة وتوجهوا مع أمير الشامي إلى محطته بالأبطح ووصّلوه إلى منزله وعادوا إلى البلد وهم في أبّهة عظيمة وخيول جسيمة. فالله يؤيدهما ويحفظ والدهما .

وفي يوم تاريخه تكامل الركب الشامي والغزاوي في محطتهم بالأبطح، وكان ركبهما قليلاً بالنسبة إلى العادة. فالله يعطي الناس خير الحاج، ويقضي حوائج المحتاج، ويجعل ما قاله الشاعر مقبولاً وهو:

أقبل الموسم المبارك فيـه   من جميع الجهات خلق كثير
أعطنـا خيْرَهم إله البرايا   [٤٤ أ] واكفنا شرّهم فأنت القديـر

شهر ذي الحجة الحرام، استهل كاملاً بالخميس
من سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م)

وكان في ليلته أمر أمير الحاج المصري القاضي الشافعي الجديد النوري ابن ناصر بطلوع جبل أبي قبيس لرؤية الهلال فاعتذر لضعفه وكِبر سِنّهِ وأمر أولاده بذلك فطلع معهم شهود باب السلام فقط، فجلس هو عند باب الصفا، فلما رأوا الهلال نزلوا إليه وأدّى عنده بعض الشهود برؤيته فتوجّه بهم إلى أمير الحاج في المسْجد الحرام وأخبره بذلك. فاستخفّ الناس به واستنقصوه لفعله حيث أزرى المنصب لأنه ليس بأهل له، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي صباح تاريخه توجّه غالب الفقهاء لقاضي القضاة الشافعي المفصول الصلاحي

ابن ظهيرة لتهنئته بالشهر وغير ذلك. وعزم القاضي الشافعي الجديد لأمير الحاج المصري لمنزله في المدرسة الأشرفية القايتبائية وحضر معه القضاة الثلاثة المتولون[1] وجلسوا على مَيْسرة أمير الحاج وهو على ميمنته وتخلّف الشريف وأولاده عن الحضور يقال بواسطته. والذي يظهر أنّ أمير الحاج طلب حضور الشريف بركات بنفسه فامتنع من ذلك لتخيّلِهِ الشر هناك منه، وعادته يرسل أولاده فيلبسهم خلعة فلم يتفق ذلك. وقرئ في المجلس مرسوم للقاضي الجديد وفيه الشكر منه والعلم والدين وولايته لقضاء الشافعية عوض مَن كان قبله من غير تعرّض لقضاء جدة ونظر المسجد الحرام. فاستقبل القاضي القبلة عند سماع ذلك وسجد شكراً لله تعالى لولايته لمنصب القضاء، فَمَقَتَه جميع مَن حضر المجلس وكذا من سمعه. وكان السلف الصالح يكرهون التلبّس بالقضاء ويستحيون بسببه وهو فرح، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى .

وقُرئ في المجلس مرسوم مطلق للشريف والحكام بمكة وتوصيتهم بالأوقاف وعمارتها وتنْزيه المسجد من الأقذار والبدع. وبعد ذلك لبس القاضي الجديد خلعة قفطان مدنّر، وخرج من عند أمير الحاج وصحبته القضاة الثلاثة وهم حاجبون له ففارقه الحنفي والمالكي من باب المدرسة وتوجّه الحنبلي معه إلى مجلسه بباب السلام وذلك لتشويشه من قريبه القاضي المفصول. وسجد المتولي بعد وصوله إلى منزله سجدة شكر ثانية فمُقِتَ لها أيضاً وبالله المستعان. وهنأه قليل من الناس بولايته واغتمّ لها كثير منهم، وتوجّه بعد لبْسه للشريف بركات صاحب البلاد للسلام عليه فمنعه من الدخول إليه ازدراء به .

(١) بالأصل: المتولين .

وفي عصر تاريخه اتفقتْ [1] واقعة بين جماعة الشريف والأروام ثم أخمدها الله تعالى. وسببها أنّ شخصاً رومياً من جماعة نائب جدة اشترى من بعض العبيد بأجياد حشيشاً للدواب، فلم يوافقه على المبيع، فسطا به الرومي فحمي له جماعته فاجتمع الأروام وبنو حسن لذلك وتقابلوا ... [2] ومدافع النفط وغير ذلك من بعد العصر إلى قرب العشاء. فتشوّش الشريف وأمير الحاج المصري لذلك فقام ثانيهما بنفسه وتوجّه إليهم بعد إرساله للشريف الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة [٤٤ ب] الحلبي والخواجا عباس المصري فوجداه متألماً لذلك وهو مقيم في منزله ويحفظ جماعته. وكان يظن أن الفتنة لها أصل من أمير الحاج ونائب جدة. فلما تحقّق الشريف عدم ذلك وعدم رضاهما بذلك ركب بنفسه وردّ جماعته وردّ أمير الحاج جماعته الأروام وأصابتْه [3] نشّابة في يده لكنّها سليمة. ثم أرسل الشريف لأمير الحاج والي مكة علي الجنيدب ويقول له: هذه الفتنة أصلها من الأروام وأنا لا يعجبني ذلك ومهما حدث من جماعتي أنا أقوم وأنا طائع الخنكار. ونادى في البلد بالأمان والاطمئنان وعَسّ جماعة الشريف الحاج الشامي في الأبطح وأرسل خيلاً إلى درب جدة لحفظ حمل أمير الحاج الواصل بحراً. وكان في فعل ذلك لطفٌ كبير، ولله الحمد. والذي يظهر أنهم أرادوا أن يمكروا فسلّم الله تعالى .

ومات في هذه الوقعة من جماعة بني حسن وجرح خلق منهم ومن الأروام .

فممن مات عبد العزيز بن الحسني أحد الفرسان الشجعان، ومحمد بن علي بن

(١) بالأصل: اتفق .
(٢) كلمة ممحوة بالأصل، ولعلها " بالسلاح " .
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل .

عبد الكريم بن سكر، وجُرِخ ولد للشريف حميضة، والعفيف عبد الله النغر وغيرهما، ولولا ظلام الليل وخمود الفتنة لكان ما لا خير فيه، لكن كفى الله المؤمنين القتال، والله تعالى يؤمّننا في أوطاننا .

وفي يوم الجمعة ثاني الشهر وصل حمل كثير من جدة لأمير الحاج ورخصتْ الأسعار به بحيث بيع الرطل الدقيق بمحلق ونصف والربعية .... [١] بخمسة محلقة وبأربعة محلقة وبأقل .

وفي ظهر تاريخه فُرّقت الذخيرة عند أمير الحاج المصري بالمدرسة الأشرفية وكان القبض لها هنياً وكملتْ تفرقتها في ثالث تاريخه. وتنازع القاضي الشافعي الجديد مع القاضي المفصول في قبض الثلاثمائة دينار[٢] المرتّبة في الذخيرة للقاضي صلاح الدين بن ظهيرة وكانت باسمه ومن قبله باسم أبيه وجده[٣] فكُتب في الدفتر اسم القاضي الشافعي من غير تعيين. فأظهر القاضي المفصول مربعة باسمه وأنه تلقاها عن أبيه وجده، وليس لها علقة بالقضاء. وساعده على قبْضها الخواجا شرف الدين ابن شيخ سوق الدهشة أحد المقربين لنائب الديار المصرية، وعرّف أمير الحاج باستحقاقه لها بحضرة المتولي، ولم يحضر المفصول لكن أخواه البدري والتاجي حضرا التكلّم ووعد أمير الحاج بإقباضها للمفصول. وتألّم المتولي وأولاده لذلك ولم يتوصلوا للكلام هناك .

وفي يوم السبت ثالث الشهر وصل الخبر إلى مكة بقتل دوادار نائب جدة الرومي مع ثلاثة أنفس معه في وادي جدة. يقال إن القاتل لهم جماعة الشريف عوض مَن قُتِل من

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بالأصل: الدينار .
(٣) بالأصل: باسم حده أبيه وجده .

أصحابهم، وأخذوا أمْتِعَتَهم وتوجهوا بها إلى اليمن. والله أعلم بحقيقة ذلك. [ولم ينتطحْ في ذلك عنزان][١] .

وفي ليلة الأحد رابع الشهر فُرّق الصر الشامي في قبّة الفراشين حضره جماعة من الفقهاء وبعض القضاة. وكان المتولي لتفرقته حامله الجناب العالي علي باي دوادار أمير الحاج الشامي، وهي في خرَقٍ مصرورة على العوائد القديمة. وكانت بطلتْ من مدة طويلة، وطلع مع الصر المعتاد هذا العام وقفٌ جديد من الشام يقال له وقف فرمة المعتصرة أوقفه المرحوم بكتمر بن عبد الله الحسامي. وكان الجراكسة وضعوا[٢] أيديهم ولم يوصلوه لمستحقيه من أهل الحرمين الشريفين. وقرّر فيه الناظر القاضي تقي الدين القاري جماعة منهم كاتبه، وحمل لهم على حكم الصر المتقدم [٤٥ أ] ذكره وقدره مائتا دينار منها ستون لسكان الأربطة بمكة غير منهم عشرون [٣]، فحصة كل رباط ديناران [٤] ونصف، وعشرة للشيخ أبي تراب في فقرائه في دار الخيزران بمكة، جزاه الله تعالى والواقف خيراً بمحمد وآله .

وفي عصر يوم الإثنين خامس الشهر فُرّق المبلغ الواصل من الشام من جهة البرج والغازية في قبة الفراشين بالمسجد الحرام، ولم يحضره أحد من القضاة، وكان مضافاً إلى الصرّ المصري .

وكان قاضي مصر الشافعي ومباشره زين الدين أبو[٥] بكر الظاهري كَتَبَا

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٢) بالأصل: وضعون .
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل .
(٤) بالأصل: دينارين .
(٥) بالأصل: أبي .

مرسوماً من نائب الديار المصرية لقاضي القضاة الشافعي المفصول الصلاحي بن ظهيرة بإضافة هذا المبلغ إلى صرّهم المحمول من القاهرة ليكمل به، فإن أصل الوقف بالشام يُحمل إلى مصر، فامتنع الحامل له وهو أمير الشامي جان بلاط نائب غزة وأمر بتفرقته وحده على يد دواداره علي باي الأحدب. ففرّق على قائمة الحكمي والمستجد، ووصل مبلغ ستين ديناراً تفرقتْ شذر مذر على جماعة تجاهَوْا في تفرقته عليهم، وهذا أول تفرقتها على هذا الحكم، فلا قوة إلا بالله .

وفي مغرب ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه ماتت المرأة الجليلة المحترمة أم هاني ابنة المرحوم الشيخ العلامة فخر الدين أبي بكر بن عبد الغني المرشدي الحنفي بعد توعّكها أزيد من نصف سنة بالحمى والسعلة. ووصيّتها لأخويْها شقيقيها الجمالي محمد والبرهاني إبراهيم بتمليك ما يخصّها في العقار من زمن طويل وتَبَرّيها لذلك مع وجود ولدها الشهابي أحمد ابن الخواجا شمس الدين الحلبي وتخصيصه بالمصاغ وأثاث البيت، وإعطاء أخويها النقد الذي معها قرب موتها وهو خمسمائة دينار، على ما يقال .

فجهّزها ولدها وحزن عليها مع إخوانها الأربعة، وصلّي عليها صبح تاريخه عند باب الكعبة. ودُفنت بتربة أسلافها بالشعب الأقصى من المعلاة جوار السيدة خديجة والفضيل بن عياض وعبد الله بن أسعد اليافعي، ﷺ ونفع بهم. وعاشت إحدى وخمسين سنة، ومولدها في سنة أربع وسبعين وثمانمائة، وتزوجتْ الخواجا الحلبي ورزقتْ منه ولدها الماضي، ثم طلقها وتأيّمت بعده وأقامتْ عند والدها وإخوانها، مع عقلها وحسنها وتوددها وكثرة عبادتها وخيرها، رحمها الله تعالى وإيانا .

وفي عصر تاريخه وصلتْ قافلة من المدينة الشريفة فيها جماعة من الأعيان وقضاتها وغيرهم مع قضاتها الأربعة الشافعييْن المتولي والمفصول والحنفييْن أيضاً. فالرومي خضر

الجديد وصل مع الركب المصري والمالكي المتولي والحنبلي المفصول، وأقام بها الحنبلي الجديد وتوجّه الجميع عند وصولهم للشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عراق فسلّموا عليه وأضافهم ورحّب بهم، نفع الله به وكثّر من أمثاله.

وفي يوم تاريخه قبض الشافعي الجديد النوري ابن ناصر معلوم الذخيرة المنازع فيه بواسطة انحراف أمير الحاج المصري من القاضي المفصول الصلاحي بن ظهيرة بتعليم أخيه القاضي بدر الدين بن ظهيرة له لما رآه متشوشاً من مكافأته لهديته بنزْر يسير، فقال له الدوادار الثاني: كون (١) لما حج أعطاه خمسمائة دينار وأعطاك نصفها وهديتك بقدرها، فأصبح حينئذ أمير الحاج وأعطى ابن ناصر القاضي الجديد معلوم الذخيرة المذكورة ودفع له مفتاح حاصل الزيت والشمع وفوّض إليه نظر [٤٥ب] المسجد الحرام وقضاء جدة وصار مساعداً له بعد أن كان متوقّفاً. وأثبت ذلك عند قاضي المحمل زين الدين بشر الحنفي بشهادة جماعة على ملك الأمراء وغيره بعزل المفصول عن جميع الوظائف وتولية القاضي الجديد لها. وموجب ذلك تعاظُم المفصول وعدم إرضائه للأمير وقاضي المحمل .

وذكروا أن بَدْوهم وقع فيها قتال بين سلطانهم مقرن بن زامل وبين قريبه في قرية قريبة منه (٢) وكان دُعِيَ له في بعض البلدان، فغيّب الشيخ مقرن على القاضي محمد بن فرق (٣) فخشي وفرّ إلى بلدة أخرى خارجة عن أعمال بلاده، فالله تعالى يحميه .

وهادى أمير الحاج الشريف بركات بهدية قيمتها أزْيَد من ألف دينار فأعْطِيَ ضعفها من التحف الهندية ومن النقد سبعة آلاف دينار، فسبحان قاسِم العقول .

(١) كذا بالأصل .
(٢) بالأصل: عنه .
(٣) كذا بالأصل .

وفي يوم الأربعاء سابع الشهر وصل جماعة قليلون من بني خير لأجل الحج. وفيه خطب الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري بعد صلاة الظهر خطبة السابع على العادة وخرّفَ فيها .

وفرّق القاضي الشافعي الجديد المبلغ الواصل من نائب طرابلس وهو خمسمائة دينار يقال إنها بدل وقف جعله لأهل مكة يصل لهم في كل عام، والله أعلم بحقيقته، فحصل لكل قاض خمسة أشرفية ولغالب الناس أرباب الشعائر وغيرهم من أهل البيوت كل واحد ديناران أو نصفهما وبعض الناس نصف دينار ودونه. وتصدّى لذلك شيخ الفراشين النوري علي بن بيسق المكي وأولاد القاضي الشافعي الجديد وفرحوا بأنفسهم وصار لهم أمر ونهي، فسبحان المعْطي .

وفي يوم الجمعة تاسع الشهر كانت الوقفة المباركة وهي هنيّة حسنة مع أن الناس كانوا خائفين وجلين، فطمّنهم الله تعالى وأمّن خوفهم ولله الحمد بعد أن كادت الفتنة تقع .

وموجب ذلك أن الشريف بركات سلطان الحجاز وقف بعيداً عن الموقف الشريف درءاً لوقوع الفتنة بينه وبين أمير الحاج ونائب جدة الرومي. وطلع على الجبل القاضي الشافعي الجديد النوري ابن ناصر ودعا بالناس وهو لابس ثيابه مقنّع بالطيلسان. ولما نفر الناس بعد الغروب تقرّب الشريف بركات إلى جبل الرحمة ووقف به مع جماعته فكان مأنوساً بالخيرات محفوفاً، فالله تعالى يحرسه ويحميه، ومن الأسواء يقيه، ببركة جده ﷺ .

وبات الحاج بمزدلفة ودفعوا منها إلى منى صباح يوم السبت عاشر الشهر ورمى أمير الحاج جمرة العقبة وتوجّهوا إلى مكة لكسوة الكعبة على العادة وطافوا وسعوا

وعادوا إلى منى .

وفي ليلة الأحد ثاني تاريخه نزل الشريف بركات إلى مكة وطاف وسعى وعاد إلى منى. وأقام أمير الحاج المصري بمنى إلى رابع أيام التشريق، وكذا الشريف وكان نوى مواجهة أمير الحاج المصري في صباح تاريخه ظناً لسفر نائب جدة إلى مكة فتخلف هو بمنى وترك الشريف ذلك وأقام بها إلى الليل ثم دخل مكة بعد العشاء في ليلة الأربعاء رابع عشر الشهر وهو في غاية الحذر والتوقّي .

وفي صباحها سافر أمير الحاج المصري وتوجّه الشريف بركات لمودعته بالزاهر فوجده رحل إلى الوادي فتبعه ولحقه بالقرب منه فنزل في خيمة له واعتذر له من عدم مواجهته بأمور قِبَلها وقال له: أنا طائع للخنكار وملك الأمراء وإذا طلبتَ التوجّه صُحْبَتك توجّهْتُ معك [٤٦ أ] فأعجبه ذلك وانشرح به. وكان في فعل ذلك درء فتنة كبيرة، فإن الأمير تخيّل منه وكان قصده التكلم فيه والشكوى منه، فزال ذلك منه ولله الحمد .

وسافر مع الركب المصري قليل لغلو كراء الجمال، فإن الجمل وصل إلى أربعين ديناراً وأكثر وأقل وذلك لقلة الجمال وضعفها. ورافق الحاج إلى القاهرة القاضي محيي الدين عبد القادر ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات الأنصاري المالكي لأجل السعي في وظيفة قضاء المالكية لأبيه، فالله تعالى يقضي حوائجه ويحْميه .

وفي ثاني تاريخه سافر الحاج الشامي والغزاوي وكتب معهم محضراً بالشكر من نائبها ملك الأمراء جان بردي الغزالي والناظر على أوقاف الحرمين الشريفين القاضي تقي الدين القاري بها والحطّ على المتكلم بالأوقاف المصرية زين الدين الظاهري. وأرسل ذلك صحبة الشمسي محمد السكندراني المدني ورافق الحاج الشامي وهم في

غاية الخوف والوجل من عرب جغيمان وبني لام .

وفي صبح تاريخه سافر القاضي بدر الدين بن ظهيرة أخو قاضي القضاة الشافعي المفصول الصلاحي بن ظهيرة وردّ في ثالث يومه إلى مكة، ويقال إن السبب في ردّه جماعة الشريف بركات لأمره لتكلم [1] أخيه معه وخوفه من شكواه لملك الأمراء بالديار المصرية .

وقيل إنّ الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة الحلبي المسافر معهم أشار عليه بعدم سفره في هذا العام وأنه يقضي له حوائجه على ما يريد ويأخذ له منصب القضاء .

وفي يوم الجمعة سادس عشر الشهر سافر إلى جدة نائبها الأمير حسن بك الرومي وودعه بعد صلاة الجمعة القاضي الشافعي الجديد النوري ابن ناصر وفوّض إلى ولده الثالث الشهابي أحمد قضاء جدة بحضرته ووصاه به فقال له: إذا فعل الشرع لا يحتاج مني وصية. فقال له والده: أولادي مكمّلون بحمد الله تعالى، فضحك لذلك هو والحاضرون، وأرسل معه ولده الثاني عبدوه الذي استخلفه ليكون موثقاً عنده في بندر جدة .

وكان نائب جدة تكلّم مع قاضي القضاة الحنفي بديع الزمان بن الضياء في النزول إلى جدة والحكم بها أو نيابة حنفي فيها فمال لفعل ذلك، فبلغ الشافعي الجديد ذلك فوقعت[2] منه كلمات في حقه فترك لكون العادة جرت بحكم جدة للشافعي وحده. وكان متردداً في تفويض ذلك إلى نائبها الأصلّي القاضي جمال الدين محمد ابن القاضي محب الدين بن ظهيرة وغيره. فامتنع من القبول مراعاة لقريبه المفصول، مع أن نائب جدة

(١) كذا بالأصل .

(٢) بالأصل: فوقع .

كان له ميل إليه ويودّ تكلّمُه في ذلك لعقله ومداراته. ولكن الأمور بيد الله تعالى، ولكلّ أجل كتاب .

وفي يوم الثلاثاء عشريْ الشهر ولدتْ سيدة الكل ابنة القاضي تقي الدين بن ظهيرة القرشي توأمين ذكراً وأنثى من الخواجا تقي الدين أبي بكر بن قرموط الحلبي، وكان توجّه إلى الهند مع المراكب، كتب الله سلامته وجمع الشمل به .

وفي يوم الإثنين سادس عشريْ الشهر فُرّق الصر المصري المحمول من القاضي الشافعي بها المعروف بالحكمي والمستجد، وهما من أوقاف القاهرة، وكان مالهما رُصد عند الأديب المحبي بن عبد القادر العراقي المكي لكونه حمل ناقصاً على حكم النصف من القاضي الماضي، وذلك [٤٦ ب] من تصرّف الشيخ زين الدين الظاهري المتحدث على الأوقاف بالقاهرة وأعمالها، لكون وقف البرج والغازية حُمل من الشام في هذا العام والذي قبله إلى مكة وفُرّق على أربابه، وقال: إنه كان من مضافاته في الزمن الخالي ثم استولتْ [1] عليه الدولة، واستنجز مرسوماً بإضافة ما يُحمل من الشام إلى ما أرسل من مصر ويُفرق جميعه، فامتنع أمير الحاج الشامي من ذلك وقال: كل واحد يفرّق وحده، كما تقدم ذكره .

وقصد الفقهاء بتأخير تفرقته الإشلاء على مُرسله وأنه لم يفرّق لنقصه ثم اتفقوا على تفرقته بعد سفر الحاج، وكان ذلك في منزل قاضي القضاة الشافعي المفصول الصلاحي بن ظهيرة لكون مرسله فوّض إليه ذلك وأرسل له مرسوماً من ملك الأمراء نائب الديار المصرية بذلك وأضرب عن القاضي الجديد، ففرق على حكم النصف، ولله

(١) بالأصل: واستولى .

الأمر من قبل ومن بعد، [وفرح الناس بتكلّم القاضي المفصول][1].

وفي ليلة الثلاثاء سابع عشريْ الشهر مات الطفل نور الدين علي ابن الإمام أمين الدين أبي اليمن الطبري المكي الشافعي، فجهّز في يومه وصلّي عليه بعد صلاة العصر بساعة ودفن بالمعلاة بتربة أسلاف والده، وحزن عليه مع أمه وأصحابه لكونه ليس معه غيره إلاّ ابنة واحدة، فالله تعالى يحييها له ويرزقه ذكرا معها بمحمد وآله .

وفي ظهر يوم الخميس تاسع عشريْ[2] الشهر توجّهتُ صحبة سيدي الشيخ القدوة العارف بالله تعالى مرشد السالكين، بقية السلف الصالحين، ناصر الدين محمد المهاجر ابن الشيخ المسند المعمر علاء الدين علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف بن صالح بن أبي بكر بن موسى الكناني الموسوي الدمشقي الشافعي الشهير بابن عراق، نفع الله به في جميع الآفاق، وأعاد علينا من بركته وأرشدنا لسيرته، لزيارة جبل حراء المعظم ورفقته جماعة من الإخوان منهم ابن الشيخ المشار إليه سيدي الأخ السالك الناسك المقرئ المؤلف ذو[3] الفضل الجلي نور الدين علي. وبِتْنا فيه إلى الصباح، والشيخ جمال الدين محمد الحدب والسيد زين العابدين الحسني المالكيان والشيخ أبو السعود المسيري والخواجا أحمد بن محمد القاري والشيخ يونس نقيب الشيخ وغيرهم، ثم في صبح تاريخه توجهنا من خلفه إلى جهة التنعيم، لنفوز بالعمرة والنعيم .

فأنشدني في الطريق أعزّ الأحباب الذي هو كالأخ الشقيق سيدي نور الدين علي ابن الشيخ محمد بن عراق المشار إليه، أدام الله نعمه وأعاد عليّ من بركتهما، وحشرني

---

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(٢) بالأصل: عشر .

(٣) بالأصل: ذي .

في زمرتهما، قوله بديها في المعنى وعمرتنا من التنعيم بعد زيارة غار حراء:

تدانى لنا التكريم بالأنس في حِرا   وكيف بغار حله سيّد الورى

وسرنا إلى التنعيم بالفتح تلوه   فحرم حتما ما سوى الله لو يرى

فقلنا جميعاً حقّق الظن واتركن   لصرفك وامدد سفرة البِشْر للقرى

ولقد شاهدتُ وجميع الجماعة الذين كانوا صحبة الشيخ محمد بن عراق منه الكرامة عند توجّهِنا للعمرة واعتمارنا منها وإدراكنا لصلاة الجمعة وتحققنا أنه[1] زيدَ في الوقت لأننا ذكرنا للشيخ أنّ وقت الجمعة فات ولا ندرك صلاتها، فقال لنا: وعزة ربّي لا أتوجّه للنافلة وتفوتني الفريضة، فتقدم الشيخ مع بعض الجماعة وطُويت له الأرض حتى طاف وسعى وأدرك الخطبة وأرسل لبقية جماعته فأدركوا الصلاة عند إقامتها. وعَدَدْنا ذلك من كرامته فيها.

---

(١) بالأصل: أن .

سنة ست وعشرين وتسعمائة ٩٢٦هـ (١٥١٩م - ١٥٢٠)

أحسن الله عاقبتها وجعلها مباركة رخية بجاه خير البريّة ﷺ

[٤٧ أ] أولها شهر محرم الحرام، استهلّ كاملا في ليلة السبت المبارك .

وفي هذه الليلة المباركة اجتمعتُ بعد صلاة العشاء بالشيخ القدوة المحقق العارف بالله تعالى شيخ الطريقين، وإمام الفريقين، مرشد السالكين، ومربي المريدين شمس الدين محمد ابن الشيخ المعمر أحد الأمراء المنقطعين بالشام علاء الدين علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف بن صالح بن أبي بكر بن موسى الكناني الموسوي الدمشقي ثم الصالحي الشافعي نفع الله به والمسلمين ببركاته، وأغاثنا بصيّب علومه ونفحاته، فلقّنني الذكر الشريف وأرْخى لعمامتي عذبة اقتداء بفعل النبي المعظم المنيف وذلك جهة اليسار، قصد إثبات[1] السنة على القلب والسكينة والوقار، نفعني الله بذلك وأرشدني أحسن المسالك .

وألّفْتُ بسبب ذلك تأليفي **بلوغ الأرب، في حكم تيجان العرب** وقرّضها لي جماعة نظماً ونثراً، واستمررتُ[2] على فعل العذبة وتقصير الأكمام، بعض أشهر وأعوام، فظهر لي في ذلك الرياء فعرضتُه على الشيخ فقال لي: حالك الأول ألْيَقُ بك، فعُدتُ إلى كبر العمامة مما كنتُ أفعله أولاً. والأعمال بالنيات، والله الهادي للأفعال الصالحات .

شهر صفر الخير المبارك استهل ناقصاً في ليلة الأحد

من سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)

وفي أوله أرخصتْ الأسعار في الحب لوصول جلاب من القصير لجدة، فبيع

(١) بالأصل: الثبات .

(٢) بالأصل: واستمريت .

الحب المصرية بمكة كل ربعية بمحلقين ونصف وثلاثة إلاّ ربعاً يوماً واحداً، ثم طلع السعر إلى ثلاثة وربع وأزيد قليلاً وأنقص من ذلك، ولزم السمن سعره عن كل رطل أربعة محلقة، والجبن الرطل بمحلق ونصف، واللحم الضاني بمحلقين، والقربة الماء الحلو بربع محلق. فالله تعالى يزيد في رخص الأسعار ويُصلح الأحوال.

وفي يوم الأربعاء رابع الشهر تخاصم الجمالي محمد ابن قاضي القضاة نسيم الدين المرشدي الحنفي مع شخص ساكن في أوقاف والد زوجته الخواجا حسن الظاهري لمطالبته بحصة زوجته فقال له الناظر: القاضي المالكي الجديد الزيني عبد الحق النويري أمرني أن لا أعطيك شيئاً، فقال له: ليس له النظر وإنما النظر للقاضي المفصول الجلالي أبي السعادات، فتوجها إلى المتولي فلما رآهما أغلق بابه وغُيّب عنهما فلقيا في طريقهما ولده النوري علي وهو نائبه في الحكم فقال له المكتري: والدك أمرني بعدم الإعطاء، فقال له: لا تعطه[1] شيئاً، فقال له الجمالي المرشدي: آخذ منه حق زوجتي على رغم أنفه، فسبّه ابن المالكي فرد عليه ما قال له فمدّ ابن المالكي يده إليه فتعاطى منه بمثل ما فعل معه، ثم أنهما تخانقا وتواصلا إلى الشريفة أم المسعود ابنة عجل أخت[2] زوجة الشريف بركات، فجاء ابن الحنفي ببينة عندها أنّ ابن المالكي هو البادئ عليه وأنه انتصر لنفسه فقالت لهما: توجّها إلى الحاكم القائد مبارك بن بدر، فتوجّها إليه وحضرتْ البيّنة الأولى عنده فقال لهما: لا أدخل بينكما وكل منكما ابن قاض. فصار ابن المالكي يتكلم ويقول: أنا نائب الشرع وهو سوقي. فلعمري إذا كان نائب الشرع لا يفعله ويقابل الأخصام بالشر والخصام فماذا يحصل له، [٤٧ ب] لكنه ابن أبيه بالحمق والتعدّي على الناس .

فلما سمع والده بالقضية كتب محضراً بأن ولد الحنفي محمد المرشدي ظالم على

(١) بالأصل: تعطيه .

(٢) بالأصل: أحد .

ولده وأخذ عليه خطوط جماعة ممن يُرائي المخلوقين على الخالق، وكتب رسالة للشريف وأرسل ولده، فسمع ابن الحنفي بذلك فسأل والده في كتابة رسالة إلى الشريف فقال له: الشريف عادل ولا يحتاج إلى كتابة لكن توجّه للحاكم وخُذْ منه ورقة بما أدى الشهود به عنده، ففعل ذلك وتوجّه به إلى الشريف واجتمع بخصمه عنده فتكلم عندهما وقال: إذا فعلتم هذا أنتم فما يفعل غيركم من العامة ؟

وكتب المالكي ورقة، جواب ورقته فيها أن ولدك أتعب نفسه بالمجيء إلينا ولا كان يحتاج إلى ذلك وتغلب على[1] سلامته أشياء كون أمه جاركسية وجدّه القاضي علي والسيد عقيل معهم من الأولين نعرفه[2] بالحمق. [وهم بيت حمق قديماً وحديثاً ولا يلدون إلاّ أحمق سفيه] [3].

وسمعتُ أنّ الشريف ومن حضر أثنى على الحنفي وقال لولده: أنا أكفيك هذه القضية وأخلّي المالكي المفصول يتكلم فيها ونعطيك حصة زوجتك. فرجع وهو شاكر من الشريف، فالله تعالى يؤيده.

وفي ليلة الخميس ثاني تاريخه ماتت زينب ابنة بدرية المصرية جارتنا بعد توعّكها مدة يسيرة نحو نصف شهر، فجهّزتْ في ليلتها وصُلي عليها بعد صلاة الظهر ودُفنت بالمعلاة عند تربة ابن الزمن، رحمها الله تعالى، واستولى جماعة الشريف على مُخلّفها وهو شيء يسير مع استدانتها وعدم كتابة وصية لهجوم المنية، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وفي يوم السبت سابع الشهر تخاصم قاضي القضاة الحنفي الجديد بديع الزمان ابن الضياء العمري مع ابن خالته الوجيه عبد الرحمن الصنعاني بسبب ما أوحى إليه عياله، فتوجّه إلى الحاكم مبارك بن بدر وطلب منه ضرب خصمه عنده فقال له:

(١) بالأصل: عليه .

(٢) بالأصل: تعريفه .

(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

الفقهاء لا أدخل بينهم، ثم إنه طلب منه صبيين من عنده يتوجّه بهما إلى منزله لضربه، فتوجّها معه وشالا له ابن خالته فضربه بيده أمام منزله، فسمعتْ والدته فسبّته كثيراً من منزلها وصارت تدعو عليه والولد يسبّه كثيراً وعرض في أهله بما لا أحبّ ذكره. ثم لما فرغ من ضربه أمر بتوجهه إلى السجن فسُحب إليه فخلّصه القاضي أمين الدين ابن الخطيب فخر الدين بن ظهيرة القرشي في الطريق، وكثرت القالة بسبب ذلك.

ويقال إن سبب هذا الفعل أن زوجة الحنفي المطلقة منه ابنة الشيخ الطيب الشيبي أرسلتْ له ورقة فيها التحريش على أم أولاده وفعلها مع ابن خالته القبيح، فضرب زوجته وحبسها وشاع خبَره بمكة وتألّم الناس لذلك. فالله تعالى يستر الأحوال ويختم بخير.

وفي عشاء ليلة الإثنين تاسع الشهر وصل بشير من عند الخواجا جمال الدين محمد بن شهاب الدين الهرموزي من بلده وأخبر بوفاة سيّده مقتولاً في البحر وهو متوجه في العام الحالي، قتله المهرة في أواخر ربيع الثاني مع جماعة من التجار، فبكى عليه أهله وحزنتْ[1] عليه أمّه وأخواته وجواريه وأصحابه، فالله تعالى يرحمه، فإنه كان عاقلاً ساكناً محسناً كثير الخير. ووصلت مع العبد أوراق كثيرة جاءتْ إلى الشحر[2] من الهند فيها الإخبار بخروج أربعة عشر قطعة من مراكب الفرنج المخذولين عليهم قريب الهند في حادي [عشر] [3] من صفر (١١صفر ٩٢٦هـ / ١ فبراير ١٥٢٠م) فقاتلهم جماعة المركب [٤٨ أ] الشاهي فقُتِل منهم نحو عشرة أنفس، عُيّن منهم صهر الخواجا ابن القويضي وعبدٌ للخواجا ابن قرموط وجرح الخواجا عز الدين اللاري في يده بالنار وسَلِم الشاهي

(١) بالأصل: وحزن .

(٢) الشحر: منطقة يمنية على ساحل بحر الهند، ياقوت: معجم البلدان ٣: ٣٢٧ .

(٣) كلمة سقطت من الأصل .

ودخل الهند ومعه بعض مراكب. وأخذ الفرنج أربعة مراكب من عدن منها[١] مركب عبد الله الحوراني. وتوجّه مركب بركات الحلبي إلى الشحر فالله تعالى [يكتب][٢] سلامة المسلمين، ويخذل الكفرة الملحدين، سيما الإفرنج المخذولين.

وفي ليلة الأربعاء حادي عشر الشهر مات سري الناس ابن القاضي بهاء الدين أحمد ابن قاضي القضاة الجمالي أبي السعود بن ظهيرة فجهّز في ليلته وخرجوا به بعد صلاة الصبح عقب صلاة الحنفي وذلك حتى طلع النهار واستغنوا عن الشمع لأجل استئذان جماعته للقاضي الشافعي والناظر الجديد بشمع الحرم على العادة. فصُلّي عليه عند الحجر الأسود على عادة بني ظهيرة وشيّعه جماعة من الفقهاء ولم يسمع به كثير منهم، ودفن بتربة أسلافه بالمعلاة. وأخذ العزاء فيه أخوه القاضي محب الدين ولعله فرح بموته لسوء طريقته وقبح سيرته، رحمه الله تعالى وعفا عنه. وتقدّم أنه سرق غفر الله له.

وعمل له ربعة بالمعلاة صباحاً ومساءً ثلاثة أيام وختم له في صبح يوم الجمعة وحضر ذلك خلق.

وفي ليلة الخميس ثاني تاريخه ماتت شيختنا المعمّرة الضريرة كمالية ابنة الشيخ أبي الفتح محمد بن إسماعيل بن علي بن محمد بن داود الرومي المكية. وعمرها نحو خمسة وثمانين، فجهّزت في ليلتها وصُلّي عليها بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ودُفنت بالمعلاة في تربة أسلافها بالقرب من الشيخ علي الشولي، رحمها الله تعالى وإيانا.

وفي يوم تاريخه جاء الخبر من جدة أنّ نائبها الرومي سافر منها يوم الثلاثاء عاشر الشهر ومعه ثلاثة مراكب إلى جهة اليمن لإصلاحها، واستناب بها المشدّ على

(١) بالأصل: منهم .
(٢) كلمة سقطت من الأصل .

المراكب إدريس الرومي. ورأيتُ بعض الناس يذكر غيره.

وصرف[١] شيخنا العارف بالله سيدي الشيخ محمد بن عراق على الفَعَلة المشتغلين بعين حنين صرفة رابعة مقدار مائة وخمسة أشرفية غير مصاريف قريب العشرة. وتوجّه معهم للمشارفة عليهم، وكان توجّه إليهم في أثناء الجمعة الماضية لوجع الشيخ شهاب الدين الزبيدي الشافعي الذي قدّمه في المشارفة عليهم، فالله تعالى يعينه على فعل ذلك ويتقبّل منه بمنّهِ وكرمه.

وزار الشيخ يوم تاريخه جماعة من أصحابه المرضى في بيوتهم وهم الشيخ العلامة علاء الدين عبد الوهاب بن ....[٢] الكرماني والشيخ المحدث شهاب الدين أحمد الجرموشي المديني، ويُقال الشيخ المعتقد أبو حامد محمد بن عمر المرشدي الأنصاري خادم الشعْرة النبوية، وكأنه كالمودّع لهم.

وفي يوم تاريخه عمل الحاكم بمكة مبارك بن بدر الحسني دعوة لعرسه على امرأة من العرب بالبادية في منزله جمع فيها من الباعة والتجار مالاً كبيراً، يقال نحو خمسمائة دينار وأكثر.

وفي صبح يوم الثلاثاء سابع عشر الشهر حضرتْ ابنتي أم محمد آسية المدعوة سيدة الكل في الشهر الرابع من السنة الثانية من عمرها على الشيخ العلامة السيد المعمر أقضى القضاة شرف الدين أبي القاسم الرافعي ابن قاضي القضاة جلال الدين أبي السعادات بن ظهيرة القرشي الشافعي -متع الله بحياته - في الحِجْر الشريف، المعظم المنيف، بقراءتي الحديث المسلسل بالأولية من **مشيخة** [٤٨ ب] **والد المسمع** تخريج جدي الحافظ تقي الدين بن فَهْد[٣]، والحديث المسلسل لختم الدعاء

(١) بالأصل: وأصرف .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) ذكر النجم بن فهد هذا الكتاب في الدر الكمين ورقة ٥٥أ والسخاوي في الضوء اللامع ٩: ٢١٥ .

من **مشيخة الشيخ أبي الفتح المراغي** تخريج [1] جدي الحافظ نجم الدين عمر بن فهد [2] وتنفرد[3] في المجلس بقراءة سيدي الشيخ القدوة المفتي نور الدين علي ابن شيخ الشيوخ القطب الرباني ناصر الدين محمد بن عراق الدمشقي الشافعي.... [4] الله قدوة بوالده كتاب **إحياء القلب بدخول الشعب** [5] تأليف الحافظ زين الدين العراقي[6] وأسمع ذلك جماعة ذكرتُهم في **الثَّبْت** وأجاز [7] المسمّع لكل من القارئ والسامع جميع ما يجوز له وعنه روايته .

وفي صبح يوم تاريخه مات الشيخ الصالح المقرئ أبو حامد محمد ابن الشيخ عمر بن محمد بن أبي بكر المرشدي المكي بعد توعّكه نحو جمعتين بالحمى فجهّز في يومه وصلّى عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ولَدُه الصغير السراجي عمر لغَيْبَة أخيه الكبير الجمالي محمد في الحجاز، وشيّعه خلق من الأعيان وغيرهم إلى المعلاة، ودُفن بها بتربة السادة المشائخ الفضيل بن عياض وعبد الله بن أسعد اليافعي، وكان الجمع في جنازته حافلاً وترحّم الناس عليه كثيراً وأثنوْا على طريقته، رحمه الله تعالى، وخلّف ولدين ذكرين وابنتين وزوجة، عوّضهم الله والمسلمين فيه خيراً.

وفي مغرب ليلة الأربعاء ثامن عشر الشهر مات شيخنا العلامة المحدث المفيد بقية السلف شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الحرفوشي المديني المكي الشافعي بعد توعّكه نحو سنة بمطلوع تحت خاصرته اليمنى انفجر عليه ولزم منزله لأجله

(١) بالأصل: ع.ج .

(٢) ذكرها السخاوي في الضوء اللامع ٦: ١٢٦-١٣١ .

(٣) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة .

(٤) بالأصل: بياض بالأصل بمقدار كلمة .

(٥) كلمة غير واضحة بالأصل .

(٦) هو عبد الرحيم بن الحسين الكردي العراقي، من كبار محدثي عصره، توفي سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م، انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٥: ٢٠٤ .

(٧) بالأصل: أخبر .

وكان يتحدث إلى وقت طلوع روحه وهو متوضّئ للصلاة. وغاب عنه ولده الكبير الشيخ بركات بوادي منى بإشارة شيخ الشيوخ والطريقة محمد بن عراق فجاء له بعد العشاء فجهّزه وصلّى عليه عند باب الكعبة بعد صلاة الصبح، ودُفن في المعلاة بتربة بني زايد تحت الحجون على قبر ابتكره الشيخ فخر الدين الشلح لأولاد.... [1] له ثم دَفن الشيخ المتولي ولدا له أيضاً بأمر أهل التربة فنازع في دفْنه ابنة الشيخ فخر الدين الشلح وقالت: هذا القبر أعدّه والدي لنفسه ثم دُفن بغير مكة، وأنا جعلتُه لي مع أن والدتها مدفونة في غيره بالقرب منه، ولازمتْ في إخراجه من القبر. فتكلم معها ولده وجماعة في إعطاء مبلغ أو حفر قبر لها عوضه فما وافقتْ على إبقائه إلاّ بشرط أنها تَدفن عليه كل من مات عندها من حرّ أو رقيق. فأنكر ذلك عليها أشدّ الإنكار من كل أحد حيث حجّرتْ واسعاً وتملكتْ ما ليس لها لكون التربة مسبّلة. وأذن أهل التربة بدفن ذلك فيها مع وجود المتكلم وأخيها واطلاعهم على ذلك وحضورهم وقت الدفن وسكوته عن الكلام لكنه يظهر التبري وينسب ذلك إلى أخته ولم يفدها إلاّ الملام، وترحّم الناس على الميت وذكروه بخير، رحمه الله تعالى وإيانا والمسلمين. وخلّف ولدَيْن ذكرين وبنتاً وعدّة سراري وأملاكاً بمكة وجدة ونُسِبتْ إليه معاملات كثيرة الله أعلم بحقيقتها. [وخلّف عدة كتب نفيسة من محاسن كل فن وأكثرها كتب الفقه] [2].

وفي عصر يوم الجمعة عشريْ الشهر مات الحاج يوسف الشامي الشهير بابن الطبّالة بعد كتابة وصية أسندها لشيخ الطريقة محمد بن عراق – نفع الله به – وجعل له مائة دينار ليشغل عين بازان ولصاحب مكة مائتي دينار ومثلها يُفرّق على جماعة له، وأقرّ أنّ له أخا بالشام له عنده ألفا دينار ذهب عتيق واشترى بها بهاراً بجدة وله

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

سفرة في الهند بثلاثة آلاف دينار ذكر أنه نذر أن يبني بها مسجداً في الشاغور بالشام نظره للشيخ ابن عراق، ووُجد عنده نقْد(١) نحو المائة [٤٩ أ] والخمسين. فباشر جهازه الشيخ محمد الحطاب وقسم بعض الدراهم التي(٢) أوصى بها في حياته، أعطى لخدام الكعبة عشرة أشرفية وللفراشين مثلها ولقاضي الشافعية الجديد مثلها وغير ذلك مما لا أتحققه، وذلك بأمر الموصي. وصُلّي عليه بعد صلاة الصبح يوم السبت ثاني تاريخه وُدفن بالمعلاة رحمه الله تعالى وسامحه فإنه كان يُتّهَمُ بكثرة المال والحرص على الدنيا مع كبر سنّهِ وملازمة صلاة الجماعة وتلاوة القرآن.

وفي ليلة الأحد ثاني عشريْ الشهر ماتت وردفان الجاركسية زوجة الإمام جمال الدين محمد ابن الإمام أبي السعادات الطبري الشافعي بعد توعّكها مدة فجهّزها زوجها في ليلتها وصلّى عليها بعد صلاة الصبح وشيّعها جماعة من الفقهاء وغيرهم ودُفنت بالمعلاة في تربة أسلاف زوجها. وخلّفت مُعتقتها بمصر، وحزن عليها زوجها فإنه يشكر منها لموافقتها له وصبرها وعقلها، رحمها الله تعالى وعوّض زوجها فيها خيراً.

وفي ظهر تاريخه ماتت البنت المراهق أم هاني ابنة الخواجا جمال الدين محمد بن يعقوب الحصي الشامي بعد توعكها ثلاثة أيام. وزوجها ابن عمها الشهاب أحمد غائب في الهند(٣) قبل الدخول بها فجهّزها المتكلم على أملاكهم الخواجا أبو اليمن محمد بن علي بن محمد بن يعقوب الطهطاوي المكّي وصُلّي عليها بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ودفنت بالمعلاة رحمها الله تعالى وعوضها في شبابها الجنة، وخلّفتْ أمّا حبشية وزوجا عاصياً لها ولأبيها من قبلها، وحزن عليها العارفون لها.

وفي ثاني تاريخه ماتت أم القاضي إبراهيم ابن القاضي سالم المباشر والده عند

(١) بالأصل: نقدا .
(٢) بالأصل: الذي .
(٣) بالأصل: وزوجها غائب الشهاب أحمد في الهند .

أمير كبير أزبك بالقاهرة فجهّزتْ في يومها وصُلّي عليها بعد صلاة العصر عند باب الكعبة، ودفنت بالمعلاة بتربة الشيخ حاتم التي بناها، رحمها الله تعالى وإيانا. وخلّفت ولدها المذكور مريضاً بمكة وابنة بالقاهرة.

وفي يوم الخميس خامس عشريْ الشهر مات الفقيه العدل الأصيل شهاب الدين أحمد ابن الشيخ العلامة المعمّر القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن صدقة الصيرفي العسقلاني الأصل الشافعي الشهير كوالده بابن الصيرفي الشاهد بباب السلام بعد توعكه نحو شهر حرقة على مبلغ سُرِق له كان مدفوناً في خلوة له يقال أزيَد من خمسين ديناراً ذهباً ونحو العشرين فضة. فجهّز في يومه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من الفقهاء وغيرهم ودفن بالمعلاة وحزن الناس عليه كثيراً فإنه كان ساكناً منجمعاً عن الناس مع الحشمة والمودة وملازمة المسجد للصلاة والشهادة رحمه الله وعوضه الجنة.

وفي يوم الإثنين تاسع عشريْ الشهر مات الفقيه الأصيل المفتي نجم الدين محمد ابن الشيخ العلامة مفتي المسلمين، عين الزهاد والمدرسين، جمال الدين محمد ابن الأمير دولات فجهّز في يومه وصلّى عليه عند باب الكعبة بعد صلاة العصر إمام الحنفية السيد عبد الله البخاري الحنفي بأمر أخيه البدري محمد. وشيّعه جماعة من الأعيان وغيرهم ودفن بالمعلاة عند أبيه في شعب النور. وعمره نحو أربع وعشرين سنة وبينه وبين موت أبيه نحو السنة. ومولده سنة ثلاث وتسعمائة، وحزن عليه أخوه وأخته وأمهم وكذا جميع معارفهم لشبابه وعقله [٤٩ ب] وانجماعه عن الناس، رحمه الله وعوضه في شبابه الجنة بمنّهِ وكرمه آمين.

وفي هذا الشهر كثر المرض والموت بمكة وأعمالها كجدة والأودية والبوادي وبلغ الأموات في كل يوم أزيَد من عشرة أنفس الذين يصلون عليهم في المسجد الحرام، ويدخل المرض في كل بيت لكنه سليم العاقبة. فالله تعالى يلطف بالمسلمين

ويعافي مرضاهم بجاه سيد الأولين والآخرين ﷺ .

شهر ربيع الأول استهل ناقصاً في ليلة الإثنين من غير رؤية لكنه بشهادة بعض أهل البلد و العرب جعله الله مباركاً سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م)

في أوله نزل سعر الحب المصرية بمكة بحيث بيعت الربعية بمحلّقين ونصف وأقل من ذلك بعد أن كانت ملازمة الثلاثة وأزيد، والرطل السمن بثلاثة محلقة ونصف وأقلّ من ذلك، والمنّ الجبن بثلاثة محلقة. وموجب هذا الرخص في الأخيرين كثرة المرعى وحسن الربيع، وفي الحب وصول جلاب من القصير واليمن وثلاثة مراكب من الهند خرجت [1] في أول زمان.

وفي ضحى يوم الإثنين مستهل الشهر مات الفقيه العدل المرتضى شرف الدين يحيى بن إدريس بن يحيى بن أبي الخير محمد بن عبد القوي المكي المالكي بعد توعّكه نحو نصف شهر بالحمى والجدور [2] فجهّز من يومه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة، ودُفن بالمعلاة بالقرب من تربة الشيخ عمر العرابي بوصية منه لكونه فقيره. وخلّف ولديْن ذكرين وبنتين مزوجتين أكبرهما على محمد ابن الشيخ باكثير وثانيتهما[3] على محمد ابن الشيخ الحطاب. وصهورته لهذين تدلّ على بركته، رحمه الله تعالى. فإنه كان فقيراً ملازماً على الشهادة بباب السلام وشغل العُمَر والقيام بعياله مع البشاشة والقناعة، تغمده الله برحمته.

وفي ظهر تاريخه سافر من مكة المشرفة الملك محمد بن شيخ علي القيلاني

(١) بالأصل: خرجوا .

(٢) الجدور: التورّم الناتج عن مرض الجدري .

(٣) بالأصل: وثانيهما .

الهندي الأمين على الصدقة الهندية المظفرشاهية بنية زيارة المدينة الشريفة وصحبته جماعة من الزوار، وكان برز حموله في الزاهر خارج مكة في يوم السبت ثامن عشريْ صفر وخرج معها بعد ثلاثة أيام بتجمّل زائد.

وفي أوله وصل قاصد من القاهرة المحروسة يقال له مسلم وتوجّه إلى السيد الشريف بركات صاحب الحجاز المنيف جهة اليمن و لم يُعلم خبره ثم أرسل الشريف أوراقاً إلى مكة لقاضيها كان الصلاحي بن ظهيرة وصحْبتها مراسيم الشريف وفيها جواب ما أرسله مع الحجاج أو قبلهم من جهة الوقعة مع الأروام في أيام الثمان[1] والاعتذار منه فيما فعل وأنه لا يرضيهم، وأكدوا على نائب جدة حسين الرومي في طاعة الشريف وإكرامه واحترامه وهو قد توجّه إلى اليمن بحراً و لم يتعرض فيها لأخبار القاضي المعزول. وكان الشريف كاتب في أمره ويُقال أن جماعة كتبوا من القاهرة أن ملك الأمراء نائب الديار المصرية مصمّم في عزله ويتهدد المتكلم له بالتوجّه إلى إسطنبول، والله أعلم بحقيقة ذلك .

وفي ضحى يوم السبت سادس الشهر ماتت الطفلة البنت.... [2] ابنة الشيخ العلامة المدرس شهاب الدين أحمد بن يوسف الزبيدي الأصل المكي الشافعي وعمرها سنة ونصف ووالدها غائب في شغل عين حُنين بأمر شيخ الشيوخ محمد بن عراق - نفع الله به - فجهّزها الشيخ في يومها وصلّى عليها بعد صلاة العصر عند باب الكعبة وشيّعها جماعة من الفقهاء [٥٠ أ] وقال الشيخ ابن عراق للرئيس بزمزم: نَادِ بالصلاة على الجنازة قبل صلاة الحنفي وبادر بالدعاء للشافعية قبلهم، فتشوش بذلك الشيخ المعتقَد عند الأروام نُوّر الدين حمزة الروميّ الساكن بمولد السيد أبي بكر الصديق، وتكلّم على الرئيس بسبب فعله ذلك فقال له: الشيخ محمد

(١) كذا بالأصل .

(٢) بياض بالأصل بمقدار كلمتين .

ابن عراق أمرني بذلك، فسبّ الشيخ وذكره بأمور قبيحة أنكرها كُل مَن سمعها وعابَها عليه مَن حضرها. فبلغ الشيخ كلامه فاحتسب عليه بالله تعالى وتوجّه إلى وادي منى لأجل العزلة والعبادة، نفع الله به عباده.

وفي صبح يوم الإثنين ثامن الشهر مات الشيخ المبارك المعتقد زين الدين عبد الرزاق ابن الشيخ الصالح المعتقد عفيف الدين عبد الله بن عامر المساوي البدري الأصل المكي، وكان توعّكه نحو جمعة بالحمى والباردة كوجع الناس في هذه الأيام. فجهّز في يومه وصلّى عليه ضحى تاريخه عند باب الكعبة تلميذ والده الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن بن أبي بكر النويري العقيلي. وشيّعه جماعة كثيرون ودفن بالشبيكة في تربة والده، رحمهم الله تعالى وإيانا ونفع بهم، وخلّف ولداً ذكراً – أظن – وأربع بنات وزوجتين، وترحّم الناس عليه وذكروه بخير. وبعض الناس قال: إن جماعة من فقراء والده يدعون عليه لأخذه تعلّقهم في الصدقة الهندية التي كان السبب في تقريرها لهم بالهند. فالله تعالى يعفو عنه ويُرضي عنه خصماءه.

وفي صبح يوم الثلاثاء ثاني تاريخه وصل إلى مكة سلطانها السيد الشريف بركات وولده الشريف أبو نمي وجميع عياله و.... (1) فهرع الناس من الأعيان للسلام [عليه](2) وعلى ولده وهو مريض طلع له الحب الفرنجي.... (3) والده دهانه، فالله تعالى يعافيه، ومن الأسواء يَقِيه.

وفي يوم تاريخه جاء الخبر إلى مكة بغرق طراد(4) بالقرب من سواكن فيه جماعة من أهل مكة وغيرهم نحو الثمانين نفساً. فممن هلك (5) ونُعِيَ عليه أهله بمكة

(1) كلمة غير واضحة بالأصل .
(2) كلمة سقطت من الأصل .
(3) كلمة غير واضحة بالأصل .
(4) طرّاد وطرّادة: زورق سريع السير، سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية ٣٥٣-٣٥٤ .
(5) بالأصل: ذلك .

الزيني عبد المعطي ابن الخواجا عبد الرزاق العيناتي المكي والنوري علي بن أبي القاسم الأشتر أحد الخدام للكعبة الشريفة. وحكى السالم من الغرقى أنهم وقفوا على شعب فنزل بعضهم إليه فسلم وبعضهم رمى بنفسه في البحر متكلاً على عومه فأكلته القروش، وكل شيء بقضاء وقدّر.

وفي يوم الأربعاء عاشر الشهر توجّه الشيخ نور الدين حمزة وجماعته صحبة الشيخ العلامة المدرس ملا حاجي العجمي إلى وادي منى لأجل ملاقاة الشيخ محمد ابن عراق والاعتذار منه مما وقع للشيخ نور الدين حمزة من الكلام فيه. وموجب ذلك أنه رأى مناماً بسببه أخبر به بعض جماعته فواجهوا الشيخ ابن عراق وعفا عنه، نفع الله به.

وفي ليلة الجمعة ثاني عشر الشهر عُملتْ زفة لطيفة فيها عشر فوانيس من المسجد الحرام إلى المولد الشريف النبوي مشى فيها ناظر المسجد الحرام والقاضي الشافعي الجديد النوري ابن ناصر ورفقته أولاده والخطيب عبد الرحمن النويري وبعض أروام وجماعة من العامة، وتأخر الفقهاء جميعهم عن المشي معه استحقاراً له وصار يفعل ذلك ضحكة، فإنه لم يتمّ له غرضه على مقصوده، ولا اتفق له بعض ما فعل النظار قبل وجوده، ولو ترك ذلك كان أصلح له، خصوصاً وقد نهاه شيخ الشيوخ محمد بن عراق عن فعلها وأنها بدعة يجب تركها [٥٠ ب] فوافقه على ذلك ثم نقضه ليطلع على فعله كل قاطن وسالك، فسبحان قاسم العقول.

وفي صبح تاريخه تضارب البدري حسن أكبر أولاد القاضي الشافعي الجديد مع الفقيه العالم العفيف عبد الله ابن الشيخ شهاب الدين أحمد ابن العلامة نور الدين علي الفاكهي بسبب انتقاد الثاني على والد الأول في ما أفتى به على سؤال: لفظٌ في أثناء البردة النبوية هو:

إذا الكريم تحلّى باسم منتقم

فقال والد الأول: تجلى بالجيم المعجمة، وقال الثاني: صوابه تحلّى بالحاء المهملة، فرد الولد عليه بغلظة وسطا بعمامته ابن الفاكهي، فدخل بينهما جماعة كانوا حاضرين فانفض المجلس والعفيف الفاكهي متشوّش، فاجتمع بصاحب البلاد السيد بركات بن محمد بعد صلاة الجمعة بالمسجد فشكا عليه فعل البدري بن ناصر به واستشهد بأخبار وأشعار في الانتصار أعجبتْ الشريف، فأقبل عليه وقال له: خصمك حشاش، وأمر الحاكم مبارك بن بدر بطلبه في ثاني تاريخه فطلبه بحضرة خصمه وأغلظ له في الكلام، وحين رأى ذلك أخذ يقول: مهما فعله الحاكم فيّ أحتمِلُهُ ولو كان ضرباً على رجلي، وسلّم على رأس الفاكهي وأخذ يظهر في المجلس الخبال كعادته، فأصلح بينهما الحاكم وخرجا من عنده، وصدق المثل في قوله: أوْسع الجرح، وآخره صلح.

وفي ليلة الثلاثاء سادس عشر الشهر عمل القاضي تاج الدين محمد ابن قاضي القضاة الجمالي أبي السعود بن ظهيرة القرشي المكي مولداً في منزله وسَكَنِ والده بالسويقة حضره جماعته وكثير من الفقراء فلما فرغوا منه ذكروا الله تعالى وانصرفوا.

وكان له ولد صغير عمره قريب سنة راقد في مرقده....[١] ومات، فجهّز في يومه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر عند الحجَر الأسود كعادة بني ظهيرة وحضر معه ثلاثة جنائز فصُلّي عليهم معه أمام الحجر الأسود، منهم المرأة الكاملة المباركة أم الخير ابنة الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مصلح العراقي المكي شيخ البيمارستان بها، طليقة الشرفي يحيى بن عبد القوي المتدرّج بالوفاة في هذا الشهر وأم بنته أم هاني فدفنوا في المعلاة بتربة أسلافهم رحمهم الله، واحترق والد الأول وجماعته عليه كثيراً[٢] فالله تعالى يعوّضهم فيه خيراً.

(١) خمس كلمات بالأصل غير واضحة المعنى وغير معجمة .

(٢) بالأصل: كثير .

وفي ثاني تاريخه ماتت الشريفة عائشة ابنة الشريف أبي الخير محمد بن عبد اللطيف الحسني الفاسي زوجة الشرفي يحيى بن عبد القوي الثانية وأم أولاده الباقين، فجهّزت في يومها وصُلّي عليها[١] بعد صلاة العصر ودُفنت بالمعلاة، رحمها الله تعالى.

وفي أثناء هذه الجمعة ادهن الشريف أبو نمي ابن السيد بركات صاحب البلاد لوجعه بالحَبّ، عالجه شخص هندي يقال له حسن بدهن بعض أطراف يديه، ومكث ثلاثة أيام ثم عوفي وزال ألمه، فحصلت لمعالجه إنعامات كثيرة من الثياب والدراهم وغيرها من جميع عائلة ابنه رجالاً ونساءً يُقال أزيد من خمسمائة، والله المعطي والقاسم.

وفي ظهر يوم الأحد حادي عشريْ الشهر توجّه الشريف بركات وأهله إلى فريقه جهة اليمن، وماتت الشريفة زيلعة ابنة محمد بن أحمد بن سالم الشطي المكي وجهّزت في يومها [٥١ أ] وصلّى عليها بعد العصر بساعة قاضي الحنفية بديع الزمان بن الضياء القرشي وشيّعها جماعة كثيرون ودُفنت على قبر أمّها بالقرب من درب المعلاة. وخلّفتْ ولدين ذكرين من نزيل الكرام الريمي وتأيمتْ بعده مدة وخطبها الأزواج فلم ترْض بهم. وكانت مباركة ملازمة على العبادة والخير، رحمها الله تعالى وإيانا.

وفي يوم الأربعاء رابع عشريْ الشهر فرّق أوائل صدقة السيد الشريف بركات صاحب البلاد على الفقهاء كحكم السنة قبلها وزيادة شيء يسير لزيادة المبلغ وهو ستمائة دينار، يقال إنها زكاة إبله، تقبّل الله ذلك منه وبارك له فيها، على يد الوزير كمال الدين محمد بن أبي علي المكي. فجعل لكل قاض متول ومعزول خمسة عشر أشرفياً خلا الشافعي الجديد النوري ابن ناصر فعشرين والشافعي المفصول واطلع

(١) بالأصل: عليه .

على تفرقتها وينسب إليه توزيعها يقال خمسين ديناراً أو أكثر وابن أخيه المحبي عشرين ولكل من جماعته خمسة أشرفية خلا القاضي فائز فعشرة وكذا صاحبنا الشيخ شهاب الدين الحرازي والشيخ نور الدين الزبيدي فمثله والقاضي شرف الدين الرافعي فستة أشرفية وغالب أكابر أهل الحرم كائمة المذاهب الأربعة ومشائخها كل واحد دينارين، ومنهم كاتبه، والباقي دينار وأقل من ذلك. وأطلق بعض الناس ألسنتهم في القاضي المفصول ونسبوه إلى هضمهم وهو يتبرأ من ذلك، والله أعلم بحقيقة الحال.

وفي ليلة الخميس ثاني تاريخه ماتت زينب ابنة القاضي أمين الدين أبي اليمن محمد ابن القاضي محب الدين أحمد بن أبي السعادات محمد بن ظهيرة القرشية المكية بعد توعكها أربعة أيام، فجهّزت في ظهر يومها وصلّى عليها جدها لأمها القاضي شرف الدين أبو القاسم الرافعي بعد صلاة العصر عند الحجر الأسود كعادة بني ظهيرة، وشيّعها جماعة كثيرون ودفنت بالمعلاة بتربة أسلافها بالحجون، وحزن الناس عليها لشبابها وقصر وجعها. وخلفت ولداً مراهقاً وجدّها وعمتها رحمها الله تعالى وعوضهم فيها خيراً .

وفي أول هذه الجمعة ولد لسيدي الشيخ الولي الكبير محمد بن عراق، نفع الله به، ابنة عاشت يومين ثم ماتت وهو غائب في شغل عين مكة يوم الإثنين تاسع عشريْ الشهر، فجهّزها أخوها في عصر تاريخه وشيّعها جماعة من الأعيان، ودُفنت بتربة شيخنا باكثير تحت جدار الحجون، رحمها الله تعالى وعوض والديها فيها خيراً.

وفي يوم تاريخه مات الشيخ المعمر عمر بن محمد بن عمر الدرا الحمصي الأصل نزيل مكة والد الخواجا فخر الدين عثمان. فجهّزه ولده وصُلي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ودفن بالشعب الأقصى من المعلاة بالقرب من السيدة خديجة، رحمه الله تعالى.

وفي صبح يوم الثلاثاء ثاني تاريخه مات الطفل.... [١] ابن الشيخ إبراهيم العراقي الناظر على البيمارستان المكي، فصُلي عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ودُفن بالمعلاة.

وفي عصر تاريخه مات الفقيه أبو بكر بن عثمان الجبرتي مؤدب الأطفال وشيخ رباط السيد بركات وصُلي عليه بعد صلاة العصر ودُفن بالمعلاة، وخلّف ولدا اسمه محمد تولّى مشيخة الرباط [٥١ ب] بعده، رحمه الله تعالى وإيانا.

شهر ربيع الثاني أوله الأربعاء وهو كامل
من سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م)

وفيه وصلتْ عدة مراكب هندية إلى جدة. هي ثلاثة مراكب من منير والفتحي من كنباية والساجور من الديو، ورخص به سعر الحب والسمن والجبن. فبيع الحب كل ربعية مصرية بمحلقين وأنقص، والرطل السمن بثلاثة محلّقة والجبن بمحلق، والناس يترجّون خيراً. وكثُر الأموات به.

وفي يوم الجمعة ثالث الشهر [توفيتْ][٢] الشريفة أمة الله ابنة شيخنا أصيل الدين عبد الله ابن الأيجي الحسني، وخلّفتْ ثلاث أخوات وزوجاً وولداً من غيره، رحمها الله تعالى وإيانا.

وفي يوم تاريخه مات الشهابي أحمد بن محمد الطباطبي العطار المدعو بالشريف، وليس كذلك لإنكار والده على مَن يشافهه بذلك[٣]. فجهّز في يومه وصُلي عليه

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

(٢) كلمة سقطت من الأصل .

(٣) أثبت المؤلف جار الله بن فهد أنّ عائلة الطباطبائي لا تنسب إلى السلالة النبوية في رسالته التي عنوانها « القول المؤتلف، في نسبة الخمسة بيوت إلى الشرف » ألّفها سنة ٩٣٧ هـ، من هذه الرسالة نسخة بمكتبة الحرم المكي، رقم ١١٨ تراجم دهلوي .

بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة بتربة والده. وخلّف زوجة وأولاداً وأخاً وأمّاً ماتت بعده بثلاثة أيام، رحمة الله عليهما.

وفي هذه الجمعة خطب بمكة الشيخ فتح الدين بن عبد الله الهرموزي نزيل مكة والناسخ بها نيابة عن الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري لتوعكه، ولبس ثياباً بيضاء وقرأ الخطبة في ورقة بيده. وأنكر ذلك الناس لكونه مولى وعدم أهليته مع أنه أدى الخطبة بفصاحة لسان وقوة جنان.

وفي يوم الأحد خامس الشهر ماتت فاطمة ابنة الخواجا هبة الله بن عبد الحميد العجمي الشرواني نزيل مكة زوجة الخواجا محمد سلطان وأم ولده علي الباقي بعدها والمجهّز لها. وصُلي عليها بعد صلاة العصر في يومه عند باب الكعبة ودفنت بالمعلاة بالتربة التي بنتْها على زوجها وأبيها بالقرب من.... [1] وعمل لها ولدها ربعة وختماً بالمعلاة. وأوصتْ لجماعة من النساء المترددات [2] إليها لأجل البكاء عليها، وخلفتْ بيوتاً ومصاغاً كثيراً لم يوجد عند غيرها وكان يستعيرها الناس لأجل أعراسهم منها وذُكرتْ به وأُثنِيَ عليها بسببه، رحمها الله تعالى وعفا عنها.

وفي ثاني تاريخه ماتت فاطمة ابنة خنيْفس البدوي السمّان أم زوجة الشيخ عبد الكبير الحضرمي وأولاد الطباطبي. فجهّزت في يومها وصُلي عليها بعد صلاة العصر، ودُفنت بالشبيكة عند تربة أسلاف صهرها وعُمِل لها ختم بها، رحمها الله تعالى.

وفي ليلة الثلاثاء سابع الشهر ماتت سيّدة الكل المدعوة ستيتة ابنة الخواجا عبد الرزاق العبياني صهر الخواجا علي راحات العجمي، فجهّزتْ في يومها وصُلي عليها ضحى عند باب الكعبة ودُفنت في المعلاة بتربة زوجها شيخ الفراشين عند قرب [3]

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) بالأصل: المترددين .
(٣) كذا بالأصل .

وحزن وذكرها بعقل وتدبير وحسن قراءة وتألم لفقدها مع أبويها، وهي ثاني مصيبة عليهما في هذا العام لفقد أخ لها غرق في البحر وجاءهم خبره في الشهر قبله. فالله تعالى يرزقهما الصبر ويعوّضهما فيهما خيرا ويرحمهما رحمة واسعة.

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه وصل لمكة من المدينة الملك محمد بن شيخ علي القيلاني الوكيل على الصدقة المظفرشاهية الهندية – خلّد الله ملك مالكها – وصُحْبتُه جماعة منهم [٥٢ أ] إمام الحنفية بها نور الدين علي بن محمد بن محمد الخُجَنْدي، وأخبرني أنه فرّق البر الواصل صحبته من الهند وقدّره أربعة عشر ألف دينار تكملة ثلاثين ألفا بالمبلغ الذي أخذ منه بجدة بأسماء المقررين وهو ستة عشر ألف دينار. وحصلت بسببه فتنة بين أهل المدينة الفقهاء والرافضة لقصد الوكيل في التفرقة عليهم جميعا فقال أهل السنة: العادة لا يُعْطى الرافضة شيئاً[1] من الصدقات. فلما سمع بعض الرافضة من أهل البَر[2] قصدوا بعض الفقهاء إلى محلّهم وسطوْا ببعضهم منهم القاضي الحنفي المعزول الشمس محمد بن جلال الخُجَنْدي ووثبوا[3] إلى الغور[4] وقصدوا الشافعي الجديد السيد عبد الله السمهودي فسلّمه الله منهم بوصول القائد مفتاح البقيري وجماعة من بني حسين جاؤوا فزعا لهم لأجل إخماد الفتنة. وطُلِب أمير المدينة إلى المسجد النبوي وتكلم الفقهاء معه في إعطائهم غرماءهم فصار يحلف لهم بعدم معرفته لهم وأنه لم يطلع على القضية، فعُيّن له شخص منهم يعقد الأنكحة لهم فقال: هو ضعيف وليس له [5]. فعلموا مباطنته لهم فقاموا من المجلس على غير فصل. ونادى أمير المدينة بخروج الأشراف منها ليرضى الفقهاء

(١) بالأصل: شيء .
(٢) كذا بالأصل، ولعلها الشر .
(٣) بالأصل: ووثبة .
(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٥) كذا بالأصل .

بذلك، وتأهّب الأشراف للخروج فخشوا من إثارة فتنة فمشى بعضهم في الصلح وأن يجعل للرافضة ألف دينار ولأمير المدينة ألفين وخمسمائة ولشيخ الحرم خمسمائة وبقية الناس يأخذ كل نفر له ولعياله ثلاثة أشرفية، وأنهم يتسلمونها (١) من الوكيل وهو يقسم منها ألفين بنفسه، فاتفقوا على ذلك، ورضي به كل قاطن وسالك، وخمدتْ الفتنة، وغص بها كل ذي.... (٢).

وفي يوم تاريخه ماتت الشريفة سعدانة ابنة صاحب مكة السيد بركات بن محمد الحسني فكانت في البر وحُملت إلى مكة وجهّزت في يومها وصُلّيَ عليها ضحى تاريخه عند باب الكعبة، ودفنتْ بالمعلاة في تربة سلفها، وشيّعها جماعة من الأعيان، وأخذ العزاء فيها فتى والدها وخازنداره مفتاح المغربي الحبشي، رحمها الله تعالى.

وفي يوم تاريخه عاشر الشهر صُلي بمكة على شمس الدين محمد ابن.... (٣) الخانكي المتوفى بجدة في هذه الجمعة. وكان ترك نقدا يقال ألفا وخمسمائة دينار، وأوصى بثُلثها لجماعة منها مائة وخمسون لصاحب مكة الشريف بركات وثلاثون للقاضي الشافعي الجديد وخمسون لصاحبه إمام الحنفية شهاب الدين البخاري ومائتان تُفرق على أهل مكة وأسند أمرها للشمسي محمد المعناوي والباقي يُجهّز بها. ففُرّقت المائتان على من اختاره الوصيّ من الفقراء وأرباب الوظائف بالمسجد الحرام فأخذ الكبير منهم دينارا واحدا(٤) والباقي رُبع دينار وأقلّ من ذلك.

وفي يوم الأحد ثاني عشر الشهر ماتتْ امرأة القائد غزاونة (٥) وخلفتْ تركة

(١) بالأصل: يتسلموها .
(٢) بياض بالأصل .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٤) بالأصل: واحد .
(٥) وردت الكلمة غير معجمة بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه .

وورثة غائبين ببلدها فوضع جماعة الشريف على مخلّفها فسمع القاضي الشافعي الجديد نور الدين بن(١) ناصر فتكلم كلاما كثيرا وقال: هذا لا يحلّ فعله، وخرج من مجلس حكمه بالمدرسة الأشرفية القايتبائية إلى بابها من جهة السوق وقال: أنا أعزل نفسي ولا أتكلم في قضية بعد هذه الفعلة فإن أمر الغيّاب يتعلق بقاضي الشرع، وكان من الاتفاقيات بروز المتكلم على المواريث [٥٢ ب] الكمالي أبي الفضل بن أبي علي فقال له الناس: يتولد من هذا ضرر على الشريف فقال: أنا ختمتُ على حوائجها والقاضي يتوجه يضبط المخلّف ويختم عليه حتى يراجع الشريف، فسكت القاضي حينئذ ورجع إلى محله وصار بعض الناس يتكلم في هذه القضية وينسب القاضي للغرض فيها لأجل مصلحته والتصرف عليها وحرصه على التحصيل من التركات لما رآه في هذا الشهر من تعدّد الوصايا وإسنادها إليه وجَرّ نفْعها عليه.

وفي ضحى يوم الإثنين ثاني تاريخه وصل لمكة قاصد من جهة سلطانها الشريف بركات وهو نازل في ناحية اليمن، وأخبر أن شجاعا الرومي وصل إليه وأخبَره أن نائب جدة حسين الرومي أرسله لحفظ جدة من الفرنج المخذولين فانهم وصلوا إلى جبل الزقر(٢) خارج باب المندب في خمس وأربعين مركبا وهو مقيم في البقعة (٣) بندر مدينة زبيد وقد صالح سلطانها إسكندر الجاركسي، ويسأل الشريف في حفظها فأمر الحاكم بمكة القائد مبارك بن بدر بالنداء في شوارع مكة بالجهاد في سبيل الله والتوجه إلى بندر جدة، فنادى الحاكم بذلك وتوجّه بنفسه إلى السوق وأخذ منها فروق حَب لنفسه وكذا محتسب مكة وغيرهما من الدولة وأصحابهم فتشوّش الناس لذلك وطلع سعر الحَب في سَاعته بزيادة نصف محلّق ثم رفع من السوق واتخذ الباعة فعل الحاكم سُلّمًا في منْعهم من بيْعه بسعره المعتاد، وتضرّر

(١) كلمة سقطت من الأصل .
(٢) جبل الزقر: جبل في البحر الأحمر بالقرب من ساحل زبيد، المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ص ١٩٢،
(٣) البقعة: بلدة صغيرة قرب زبيد، المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ص ٢٥٥ .

المسلمون بذلك وصاروا يدعون إلى الله تعالى على فاعله في جميع المَسالك.

واتفق في يوم تاريخه موت جماعة من المباركين منهم الشيخ العلامة الصوفي فخر الدين....[١] اليزدي العجمي والقارئة الكاتبة ابنة ملا محمد بن....[٢] النيريزي العجمي، وكانت بكرا وتزوجت في العام الماضي بالقاضي شرف الدين ابن شيخ الدهشة الحلبي ثم طلّقها وسافر عنها مع الحاج. فحزن والدها عليها ودُفنا جميعا بالقرب من تربة الشيخ عبد المعطي المغربي في طريق الحجون بالمعلاة، رحمهما الله تعالى.

وفي فجر يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر وَلَدتْ شقيقتي أم هاني سعادة بنتا مباركة سمّتْها كمالية باسم الوالدة من ابن عمة الوالدين الفقيه الأصيل سراج الدين عمر ابن الشيخ المفيد جمال الدين محمد بن عمر الرضي المكي، أنبَتَها الله تعالى وجعلها مباركة علينا.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشري الشهر[٣] أشيع وصول نائب جدة حسين الرومي إليها وأنه نادى بها أن لا يزيد الحب عن سعره كل ربعية بمحلق ونصف. ثم تحقّق عدم وصوله وأنه أرسل عسكرا في غرابين كانا معه لأجل حفظ جدة ووصول المراكب الهندية إليها وهي[٤] الفتحي من كنباية والساجور من الديو. وأن الآمر بحفظ سعر الحَب نائبه إدريس الرومي، فشكر الناس له ذلك لكنه طلّع كراء الجمال من جدة بحيث صار كراء كل جمل بخمسة أشرفية ونصف وقيل ستة أشرفية، وازداد غلو الحب بمكة فبيعت كل ربعية حنطة بثلاثة محلقة والشعير[٥] بمحلقين والدخن

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) بالأصل: ثاني تاريخه .
(٤) بالأصل: وهم .
(٥) بالأصل: السعر .

والذرة بثلاثة إلاّ ربعاً.

وفي يوم تاريخه وصلتْ إلى مكة ورقة لبعض التجار وهو أحمد العنبري الدمشقي [٥٣ أ] من عند صاحب له بالقاهرة ذكر فيها أنّ قاضي مكة الشافعي صلاح الدين بن ظهيرة ولي جميع وظائفه وهي واصلة، فأريَ القاضي الورقة وأشيعتْ بمكة واستمر القاضي المفصول يحكم.

وفي عصر تاريخه سافر أتراك الشريف بركات إلى جدة ومعهم بُناةٌ لبناء البرج اليماني يلي البحر في سور جدة وغيره للاحتفاظ من الفرنج المخذولين.

وفي ليلة السبت ثامن عشر الشهر مات الشيخ المقرئ الصالح ملا عفيف الدين محمد ابن الشيخ العلامة الواعظ قطب الدين محمد بن علي بن محمود بن علي الأصبهاني الأصل ثم الشيرازي المكي الشافعي وصلّى عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة رفيقه أمام الحنفية الكبير وشيّعه جماعة من الأعيان وغيرهم من الفقراء بالتهليل والأعلام ودفن بتربة صهر زوج ابنة أخيه الخواجا بيقره ابن....[١] العجمي وكان أوصى لابن أخيه بتجهيزه وأنّ عليه ديونا أكثر من مائة دينار وترك بوظيفته[٢] في العادة لابن أخي رفيقه إمام الحنفية وترك كتُبًا وزوجة وأخا وأحباء ببلاده فذكر بخير عند الله وعباده رحمه الله تعالى وإيانا.

وفي ثاني تاريخه وصل قاصد من جدة ومعه أوراق من قاضيها المعزول لمستنيبه وقريبه القاضي صلاح الدين بن ظهيرة يخبره فيها بوصول أوراق إليه وإلى بعض التجار من القاهرة بولايته لجميع وظائفه وأن نائب جدة الرومي وصل إليها أمس تاريخه، فسُرّ بها وأشاع جماعته ذكرها.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشري الشهر وصل لمكة ساع من جدة وأخبر بمرض

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) كذا بالأصل .

نائبها حسين الرومي وانطلاق بَطْنِه، وطلب له الحكيم الشيخ مصطفى الرومي الحنفي فتوجّه إليه.

وتحقق المسلمون عدم وصول الفرنج المخذولين إلى جهة جدة وأن الإشاعة بوصولهم كان سببها سلطان اليمن إسكندر الجاركسي لكون نائب جدة الرومي كان عنده واجتمع به في البقعة ببندر زبيد وقدّم له هدايا كثيرة فخلع عليه وطلب منه التوجّه[1] صحبته إلى بندر عدن فقال له إسكندر: توجّه[2] لها من البحر وأنا من البر، وسأله في إمداده بعسكر من الأروام والجراكسة مع آلة النفط فأعطاه قريب مائة نفس بآلتهم من المدافع وغيرها وهرب إليه مثلهم ثم أشاع وصول الفرنج إلى باب المندب وأنهم متوجّهون إلى بندر جدة فارتجف نائبها وخاف من توجّههم لها فقصد باحتها لأجل حفظها، فلما وصل إلى أثناء الطريق تحقّق عدم صحة ذلك وأنها فُعِلت مكيدة له فأحرق مراكب[3] له وأخذ ما فيها. وأرسل إلى إسكندر يطلب منه العسكر مع المدافع وآلات الحرب التي صحبتهم فأجابه بأن العسكر لا أحكم عليهم وأنهم ما وافقوا إلى المجيء إليك، وأما الآلات فأنا محتاج إليها وهي عندي وديعة حتى أفرغ منها، وكأنه قصد أخذ عدن بها، فتمت له مكيدته، فتشوّش نائب جدة منه وعاد إلى محل ولايته واهتم بهذه الفعلة ووجع من قهره وخوفه من مرسله وأستاذه لكونه لم يكمل فيما توجّه بصدده. ولعمري إنّ هذه المكيدة مضرة بالمسلمين إذا بلغت الفرنج المخذولين فإنهم يطمعون فيهم ويحرصون على المجيء إليهم، فالله تعالى يخذلهم وينصر المسلمين.

ثم تحقق بعد مدة دخول الفرنج المخذولين من باب المندب وتوجّهوا من

(١) بالأصل: وتوجّه منه التوجّه .
(٢) بالأصل: أتوجّه .
(٣) بالأصل: مراكبا .

ناحية دهلك في برّ عجم وأنهم بنَوْا هناك قلعة [٥٣ ب] وكاتبوا الحطي[1] الكافر مع إرسال هدية له، فالله تعالى يخذلهم.

وفي يوم تاريخه أشيع أنّ عسكر نائب جدة تقاتلوا مع جماعة الشريف ومنعهم النائب من دخولها فرفع أهل السوق الحب وازداد الغلو فيه بمكة، فالله تعالى يُصلح الأحوال.

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه وصلت عين حنين إلى مكة وتوجّهت إلى أسفلها ببازان المعروفة بالفراد وذلك ببركة سيدي الشيخ الولي الكبير سيدي العارف بالله محمد بن عراق، نفع الله به، وشُغْله فيها نحو خمسة أشهر وصرفه عليها ثماني صرفات كل صرفة نصف شهر وأزيد بمائة دينار وزيادة، فمجموع ذلك قريب من الألف، فالله تعالى يتقبّل منه فعله وينفع المسلمين ببركته. وأرسل عمالاً لتنظيف بركة الماجن أسفل مكة من جهة اليمن وطريق العين إليها وتوجّه هو بنفسه إلى علو العين ليزيد في تنظيفها فإنها غزيرة ويقال إذا وصلت إلى شراك نعل القائم في مشرعتها تكون قوية وهي كذلك ووصلت منها كورة واحدة من أربعة كورات التي جُعلت لأجل شغل العمال فيها والباقي يصل بعدها، فالله تعالى يقويها ويطرح البركة فيها ويُديم النفع بها بمحمد وآله آمين.

وفي يوم الجمعة رابع عشري الشهر بطّل الأئمة القنوت في الصلوات[2] الخمس والدعاء على الفرنج المخذولين لتحقّق عدم وصولهم.

وفي يوم تاريخه وصلتْ لقاضي القضاة الشافعي المفصول الصلاحي بن ظهيرة ورقة من عند صاحب مكة السيد الشريف بركات يأمره بالتوجّه إليه لجدة، فتوجّه في ظهر تاريخه، فخاط الناس في ذلك وماطوا وكثرتْ فيها قالات الأعداء فيه بحسب

(١) كذا بالأصل .
(٢) بالأصل: الصلاة .

أغراضهم: إن الشريف طلبه لأجل مفاوضته في سفر ولده الشريف ثقبة إلى الديار المصرية وكتابة المطالعات معه وغير ذلك من أغراض الشريف، فواجهه بها. وكان الشريف دخلها في يوم الخميس ثالث عشر الشهر وشق البلد بعسكره وحريمه وتوجّه إلى الأبراج ورأى تحصينها من الفرنج المخذولين ثم خرج منها ونزل بصهاريجها جهة الشام كعادته وتردد إليه القاضي صلاح الدين ولا يكاد يفارقه.

وفي الجمعة التي تليها مات الفقيه نور الدين علي بن عبد الله الشفتي والد مؤدب الأطفال شهاب الدين أحمد وهو وَجِع أيضا، فجهز وصُلي عليه عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة.

وفيها وصلت قافلة من المدينة الشريفة فيها جماعة من أهلها وأخبروا أنّ أوراقا وصلت من البحر أرسلها جماعة من القاهرة وضمنها عزل قضاتها الثلاثة فالشافعي الجديد بها السيد عبد الله السمهودي بقاضي ينبع كان أبي السعادات ابن زبالة والقاضي المالكي بها وابن قضاتها من زمن طويل(١) الشمسي محمد السخاوي بالفقيه عمر ابن.... (٢) الشهير بابن المرابطة أحد الملازمين للمقر الشهابي ابن الجيعان والحنبلي البرهان السكندراني بالرئيس محمد فلم يصحّ الثلاثة وصحّ الحنبلي .

شهر جماد الأول استهل كاملا في ليلة الخميس
من سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م)

في يوم الجمعة ثانيه وصل إلى مكة جماعة من المراكب الهندية الذين وصلوا في هذا العام وأخبروا أنّ مراكبهم وصلت بالرياضة قريب جدة وهم التبري من

(١) بالأصل: طول .
(٢) بياض بمقدار كلمتين في الأصل .

كنباية و.... (١) [٥٤ أ] وتباشر الناس بهم وفرح التجار بقدومهم.

وفي ليلة الجمعة المذكورة تجرّأ عليّ قاضي المالكية عبد الحق النويري بقضية مشهورة يخزيه الله بها. وهي أني دخلتُ إلى المطاف الشريف بعد هجعة من الليل لأطوف ببيت الله المعظم المنيف فوجدته يصلي بحجر إسماعيل عليه السلام فصليت ما يسّره الله تعالى لي ثم توجّهتُ إلى جهة المستجار وصليتُ قريباً منه بعض ركعات فجاءني القاضي المذكور وأنا بالصلاة ووقف خلفي وصار يسبّني بكلمات قبيحة وألفاظ شنيعة. فلمّا فرغتُ من الصلاة سألتُه عن كلامه وعرّفته بكثرة كلامه وجرْأته عليّ في المحل الشريف فولى عليّ معرضا ولم يكن بالطواف أحد فدعوتُ الله عليه بما أرجو من الله أن يعجّل به إليه. فلما أصبحتُ أخبرتُ بفعله بعض أصحابه فأخبره بذلك فحلف وأنكر عليه وحلف هناك ونسب إليّ أني بدأته بالقبيح، والله مطّلع على القول الصحيح، ولله در الشاعر الأديب أبي(٢) عبد الله الفيومي الأريب حيث قال:

قد تجرّى على اليمين فُتَيّ ... زاد في فسقه وفي حمقه
وارتضى طبعه الخبيث له ... أن تكون اليمين في عُنقه

فيا لله العجب كيف يكون مثله قاضيا على المسلمين مستبيحا لأعراض الخلق وحرمة بيت رب العالمين مع الكذب والأيمان الباطلة، والأحوال التي كلها عاطلة، فالله تعالى ينتقم منه، ولا يخفف الرحمة عنه، بجاه سيّد المرسلين وآله والصحابة أجمعين.

وفي ليلة تاريخه ماتت المرأة المباركة كمالية ابنة أبي القاسم بن.... (٣) الدميري

(١) بياض بمقدار ثلاث كلمات في الأصل .
(٢) بالأصل: أبو .
(٣) بياض بمقدار كلمتين .

المكي زوجة الفقيه عبد الله بن.... [١] الطنبداوي أم ولده وغيره.... [٢] الحبشية موطوءة القاضي أبي عبد الله محمد ابن الشيخ زين الدين عطية بن ظهيرة القرشي. فصُلّي عليهما بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ودفنتا بالمعلاة، فالأولى عند تربة الخواجا الطاهر والثانية عند الشيخ الشولي بتربة أسلاف مولاها.

وفي ضحى تاريخه مات الشيخ المحدث عبد الغني الشاعر الريفي الشهير بالأعور ودفن بالمعلاة بالقرب من الحجون، وذُكر بكراماته مع كونه كان يظهر المخلعة والمجون وإنشاد الشعر والشحادة رحمه الله.

وفي يوم السبت ثاني تاريخه مات الفقيه المبارك شهاب الدين أحمد بن علي الشفتي المكي مؤدب الأطفال بالمسجد الحرام بعد توعكه أزْيَدَ من نصف سنة، فجهّز في يومه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر ودفن بالمعلاة.

وفي ليلة الأحد رابع الشهر وصل إلى مكة قاضي القضاة الشافعي كان الصلاحي بن ظهيرة من عند الشريف بركات وهرع الفقهاء وغيرهم للسلام عليه كعادته في الولاية.

وفي يوم تاريخه مات الحاج بلال بن عبد الله الحبشي عتيق الشيخ أبي بكر بن إبراهيم العراقي شيخ البيمارستان المكي، وكان ملازما للطواف وصلاة الجماعة وخدمة ابن سيده البرهاني إبراهيم فخالف عليه فهجره، ولما مرض أدخله البيمارستان فمات فيه، وجهّز في يوم تاريخه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر ودفن بتربة مواليه في المعلاة.

وفي يوم الإثنين ثاني تاريخه مات الشيخ الأصيل زين الدين أبو الفضل ابن شيخنا السيد المعمر أبي اليسر محمد ابن الشيخ أبي الخير بن عبد القوي المكي خادم

(١) بياض بمقدار كلمتين .

(٢) بياض بمقدار كلمتين .

ضريح [٥٤ ب] السيدة[١] خديجة ابنة خويلد، رضي الله عنها، بالمعلاة فجهّز في يومه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر ودفن بالمعلاة في تربة سلفه، وخلف ولدا صغيرا وابنتين إحداهما[٢] مزوّجة.

وفي يوم الثلاثاء سادس الشهر وصلت من السيد الشريف زين الدين بركات صاحب الحجاز المنيف ورقة للحاكم بمكة القائد مبارك بن بدر يأمره بمنع النورى علي بن راشد المقرئ بالمعلاة على تربة الأشراف بها تأديبا له لما يتكلم به في أمر قاضي القضاة الصلاحي بن ظهيرة من الإشلاء والتعرض لذكره في الطرقات وغير ذلك، فانقمع لذلك وتوجّه إلى السيد الشريف بجدة، فبلغني أنه لم يؤذن له في الاجتماع به وأقام في.... [٣] وبَعْدَ مُدَّة ثم وَاجَهَهُ وأحال أمره على رضاء خصمه، فعاد له إلى مكة وتوسّل بالشيخ عبد الكريم بن ياسين الحضرمي في التكلم معه فامتنع من مواجهته ثم لازمه في الرضا عنه فأظهر الرضا عنه في الظاهر وطلب منه الكتابة بذلك للشريف فامتنع من ذلك وقال: الشيخ يُخْبِره بالرضا، فتوجّه ابن راشد للشريف مرة ثانية، فالله تعالى يُصلح الأحوال.

وفي ليلة الأربعاء ثاني تاريخه مات الطفل المراهق أبو السرور محمد بن المحبي أحمد ابن الشيخ العلامة خير الدين أبي الخير بن ظهيرة القرشي بعد توعكه مع أبيه مدة أشهر. فجهّز في صباح تاريخه وصُلّي عليه شروق الشمس عند الحجر الأسود على عادة بني ظهيرة، وشيّعه جماعة كثيرون ودفن بالمعلاة، وعُزيَ والده في منزله لوجعه، فالله تعالى يعافيه ويعوضه في ولده خيرا وكذلك والدته وجميع محبيه وأقاربه.

وفي يوم الجمعة ثامن الشهر أرسل السيد الشريف بركات إلى مكة يطلب

(١) بالأصل: السيد .

(٢) بالأصل: أحدهما .

(٣) كلمة سقطت من الأصل .

محتسبها[1] الجمالي محمد بن علي بن عوض المواز بشكوى السوقة منه وكذا غيرهم. فسافر في يوم تاريخه إلى الشريف بجدة فبلغنا عزله والأمر بحسابه عند حاكم جدة القائد بدر العراقي وأن الشريف ولّى القائد شوفان بن بيشة عتيق جَدِّه السيد بركات بن حسن وهو مسنّ ومشهور عنه عوضه الخير والصلاح.

وفي يوم الأحد حادي عشر الشهر مات شخص رومي اسمه يوسف ويقال إنه مملوك للملك العادل طومان الأشرفي. وكان أوصى من مدة شهرين أو أقل للشريف بركات بمائة وخمسين دينارا وللقاضي الشافعي الجديد النوري ابن ناصر بمثلها وبحجة بمائة دينار وأنه يفرق ثلث ماله وهو أزيّد من ألف دينار على مَن يختاره من أهل الحرم وغيرهم. فختمتْ[2] الدولة على بيته وجهّز في يومه وصلي عليه قبل صلاة العصر ودفن بالمعلاة، رحمه الله تعالى.

وفي ليلة الإثنين ثاني تاريخه ماتت المرأة المباركة المعمرة أم الحسين وتُسمى فاطمة ابنة إمام المالكية جمال الدين محمد بن أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز النويري المكي وعمرها ثمانية وسبعون سنة، فجهّزها ابن أخيها إمام المالكية الشرفي أبي القاسم بن أبي عبد الله النويري وصُلي عليها بعد صلاة الصبح ودفنت في المعلاة بتربة سلفها، رحمها الله تعالى.

وفي ليلة الخميس خامس عشر الشهر كسف ربع القمر بعد صلاة العشاء بساعة وانجلى بسرعة وصلّى له الشيخ فتح الله الناسخ صلاة متوسطة مع خطبة لطيفة أداها في ورقة بيده [٥٥ أ] تأدية حسنة بصوته الجهوري وشكر الناس منه أكثر من مستنيبه، وكان تأخر لوجعه عافاه الله. وما علم الناس بوجود الكسوف إلاّ في وقته وعُدّ ذلك من الغرائب لكونه في ليلة خمسة عشر بعد عادته بليلة و لم يتفق

(١) بالأصل: يطلبها محتسبها .

(٢) بالأصل: فختم .

ذلك إلاّ في ليلة مات السيد إبراهيم ابن نبينا محمد ﷺ كما رأيتُ ذلك منقولا في....[1] .

وفي ضحى تاريخه وصل إلى مكة المشرفة الشريف ثقبة ابن السيد بركات الحسني صاحب مكة لأجل طواف الوداع والسفر للقاهرة صحبة قريبه الشريف عرار بن عجل النموي بأمر والده، فهرع الأكابر للسلام عليهما على العادة.

وفي يوم تاريخه مات النوري علي ابن نزيل الكرام أحمد بن محمد اليماني الأصل المدني البواب بالمسجد النبوي والده وعمره خمسون [2] سنة، فجهّز في يومه وصُلي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة على قبر جده لأمه وهي أم الحسين ابنة الشيخ عطية ابن النجمي محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي. وكان قدم بحرا لجهاز ابنتين له يريد زواجهما، فتزوج بمكة سرّا فخلفها وزوجة بالمدينة وأربع بنات وذكرا اسمه الجمالي محمد، رحمه الله تعالى وعوضهم فيه خيرا وجبرهم، ويُتّهَم بمعاملات وبيع ومشتروات، فلم يظهر له كثير فائدة إلاّ سمنا ونقدا يسيرا.

وفي ظهر يوم الجمعة ثاني تاريخه ابتدأ الملك محمد بن شيخ علي القيلاني الهندي أمين الصدقة المظفر شاهية في قراءة البخاري بالمسجد الحرام بحضرة كاتبه وجماعة من الفقهاء والفضلاء بعبارة صحيحة....[3] فصيحة، أفاد فيها وأمعن وحقّق ودقّق وحضر الفضلاء.

ووقف في القراءة آخر الشهر على العادة، وطلب مني الإجازة فالله تعالى يتقبّله ويكتب له السلامة في السفر والإقامة، فأجزتُ له وأرسل إليّ بمبلغ من

(١) سقط عنوان المصدر الذي نقل عنه الخبر .

(٢) بالأصل: خمسين .

(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .

إحسانه.

وفي مغرب ليلة السبت سابع عشريْ الشهر طاف الشريف ثقبة وقريبه الشريف عرار بن عجل وخرجا من باب عزورة (١) للسفر إلى القاهرة فودعهما جماعة من الأعيان وسافر صحبتهما(٢) قاضي المالكية بمكة الزيني عبد الحق النويري بسؤاله للسيد بركات والد الشريف ثقبة وتَجَوّهِه(٣) في ذلك بالشريفة أم المسعود ابنة عجل أخت الشريف عرار المذكور. ويقال إنها أخذت له من الشريف خمسين دينارا للإعانة بها على السفر وسألته في الوصية به عند ملك الأمراء بالديار المصرية والكتابة في مساعدته على ابن خصمه القاضي محيي الدين عبد القادر ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات الأنصاري المالكي الذي أخذ الوظيفة عنه، لإشاعة أنه سعى في الوظيفة لوالده من القاهرة فأجِيبتْ (٤) ثم توقف ملك الأمراء وأحال الأمر إلى الخنكار بالروم لكون خصمه وُلِّيَ من هناك فامتنع الشريف من الكتابة له وقال: لا أدخل بين الفقهاء، وبينه وبين خصمه، فسافر إليه، فالله تعالى ينصر خصمه عليه ويأخذه من مأمَنِهِ ويخذله ويريح المسلمين منه، فإنه كثير ضرره وتعدّيه على الناس بالجهل والحمق والفجور وإثارة الفتن والشرور.

ورأيتُ بعض أهل مكة كتب فيه قصة بالشكوى منه وأرسلها لملك الأمراء نائب الديار المصرية [٥٥ ب] صحبة جماعة ولد الشريف مضمونها: الفقراء إلى الله تعالى سكّان الحرم الشريف، وبلد الله المعظم المنيف، يقبّلون الأرض لدى المقر الأشرف العالي، صاحب المفاخر والمعالي، الأميري الكبيري العالمي القارئي الغوثي العتابي الكهفي الملاذي السيدي السندي الملكي المريدي المسددي المظفري كافل

(١) وهو باب حزورة من أبواب المسجد الحرام .
(٢) بالأصل: صحبتهم .
(٣) كذا بالأصل، ولعله لفظ عامي للدلالة على الاستجاهة .
(٤) بالأصل: فأجبت .

المملكة العلية، وملك الأمراء بالديار المصرية، أعز الله أنصاره، وضاعف اقتداره، وأيد بدولته السنة الشريفة، وأعزها بوجوده وجعلها مشرقة منيفة، ومتّع بحياته الإسلام والمسلمين، وأحيى به سيرة الخلفاء والسلاطين آمين.

آمين آمين لا يُرْضى بواحدة حتى [تضاف] (١) إليها ألف آمينا

ويُنهون أنهم ما زالوا رافعين أيديهم للمواقف الشريفة العثمانية، والصدقات المعظمة المظفرية، شرفها الله تعالى وعظّمها وثبّت قواعد مملكتها حول بيت الله الحرام، وفي ملتزم الذمام، وتحت ميزاب سُحب الأنعام، وفي مواطن الإجابة، بالأدعية الصالحة المستجابة.

ويعرضون على الأعتاب العالية، والرحاب المنيفة المتعالية، أن المتولي لقضاء المالكية بمكة المشرفة البهية، لا يصلح لمباشرة القضاء بها لانقياده لَهواه، واستيلاء الجهل عليه وكثرة خصامه ودعواه لأمور عظيمة، وارتكابه لأحوال غير مستقيمة، قادحة في الدين، مضرّة بالمسلمين.

ويسألون من الصدقات الشريفة، والمراحم المعظمة المنيفة، أن يكشف عنهم هذه النازلة العظيمة، والحادثة الأليمة، فإنه ورد في الآثار، وجملة من الأخبار، أن الملك يُسأل عن عماله، كما يسأل عن عمله وأحواله. وقد أجمع أهل الخير والصلاح، والرشد والفلاح، على بغض المتولي وكراهيته في الله، والثناء على مَن عزله بالقول المتناه، فإنه مشهور بالعلم والديانة، والعفة والنزاهة والصيانة، وقال فيهما بعض الفقهاء، والأدباء النّبهاء:

أتيتَ يا دهر بأمر عظيم أضْحى به كل ذي علم عليم
الجاهل الناقص ولّيْتَه مَن حُكْمه ما زال حكما سقيم
عزلتَ بحر العلم حِبْر الورى مَن نُطقه الفصل كدُرّ نظيم

(١) كلمة سقطت من الأصل سهواً من الناسخ .

أعني الجلالي الذي ما له ... مثل على منهجه مستقيمُ

لا زال والسعد له خادم ... ودحض مَن عانَدَه مستديم

وقال بعض المتقدّمين في واقعة حال تصلح أن تكون فيهما يِّقين:

أقام الترجمان لسان حال ... عن الدنيا يقول لنا جِهارا

زمانا فيه قد وضعوا جلالا ... عن العليا وقد رفعوا حمارا

وقال آخر في المعنى، وذكر جَدَّهُ المحَلّل هنا :

ومن عجب أن الفضالة حرمت ... على بَعْلها في مكة وهو الولي

فحلّلها العاري عن العلم إنّه ... هو المستعار التيس نجْل المحلل

وجيران بيت الله [1] الشريف، وسكان البلد المعظم المنيف، يكررون السؤال لمولانا ملك الأمراء – حرس الله مهجته، وبسط للأنام معدلته [2] – ويتوسلون إليه بوجه العظيم الذي لا يُسأل به إلاّ الجنة ويتشفعون لديه بنبيّ أوجب الله قبول شفاعته، وتعظيم مكانته، أنْ يصون منصب الشرع الشريف، ويولّي ببلاد الله مَن له عقل ودين وفضل منيف، [٥٦ أ] فإن المتولي الآن ممن سار سيرة وضيعة، وارتكب أموراً شنيعة، وغرّه جهله بالجاه، وإبلاغ هواه، فالله تعالى يقابله عن ذلك، ويلقيه في أعظم المهالك، ويحمي الإسلام من بقائه في جميع الممالك.

أنْهَوْا ذلك داعين، وللإجابة منتظرين، والحمد لله وحده. وكتب أكثر الصلحاء من المجاورين والمقيمين .

وفي صبح يوم السبت المذكور مات خادم بئر زمزم المعلم أبو الخير بن عبد الله المصري بعد توعكه مدة يسيرة وأوصى أنّ له أخا وزوجة بالقاهرة وزوجة بمكة وَدَيْناً عليه. وجعل وصيّه شيخ المالكية محمد بن عبد الرحمن الحطاب المغربي

(١) بالأصل: بيت .

(٢) كذا بالأصل .

الطرابلسي- نفع الله به - فجهّزه في يومه وصلّى عليه بعد صلاة العصر ودفن بالمعلاة وعارضت[1] الدولة وصيّه لغيبة وارثه، فراجع الشريف في أمره فسامحه وسأله الدعاء.

وفي صبح يوم الخميس ثاني عشريْ الشهر وصل إلى مكة محتسبا لها عوض الجمال محمد المواز ولاه الشريف بركات صاحب الحجاز، وهو قائد كبير مشهور بالعقل والدين اسمه شوفان بن بيسة[2]عتيق السيد بركات بن حسن جد المولّي له، فتوجّه إلى المدعى في طريق المعلاة وصحبته الحاكم بمكة القائد مبارك بن بدر فألْبسه خلعة هناك على العادة وركب فرسا وعاد إلى منزله بلا طبل وزمر. فتباشر الناس به لبركته وظهرتْ نتيجته في يومه برخص الحب ونزوله عن سعره المعتاد، بحيث بيعت الربعية بمحلقين إلاّ ربعاً، وأقلّ من ذلك وأكثر قليلا، فالله تعالى يتمّ ذلك ويزيد في الرخص.

وفي يوم الجمعة ثاني تاريخه أرسل نائب جدة حسين الرومي جماعة لفتح بيت النائب قبله الأمير قاسم الشرواني وضبط ما فيه بحضرة قضاة البلد، فحضروا وفتحوا حواصله فوجدوا فيها كثيرا من التّحَف والأقمشة والسلاح والنقدين، الذهب يقال إن مجموع ذلك نحو لكّيْن[3] فالفضة ثمان شكائر كبار، والذهب سبعة مراطبين[4] وكانت[5] تحت الأرض ودلّهم عليها ولده الكبير لخوفه منهم وأن يوجد ذلك خفية بلا ضبط. فضُبط الجميع وخُتِم على البيت وأخرج أصحابه منه بسبب آخر،

(١) بالأصل: وعارض .

(٢) ورد اسمه سابقاً "شوفان بن بيشة " .

(٣) اللّك: عدد يساوي مائة ألف بالهند وغيرها .

(٤) كذا بالأصل: جمع لكلمة « مرطبان »وهو إناء من الفخار، وقد ذكر العز بن فهد في غاية المرام ٢: ٤٤٤ أنّ عشرين ألف إفلوري وُضِعت في مرطبانين، وذكر المحقق (في الهامش رقم ١ من نفس الصفحة) إنه مصطلح مكي .

(٥) بالأصل: وكانوا .

فتشوّش الناس لهم ولوالدهم، فالله تعالى يُحسن خلاصهم .

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشريْ الشهر طلب نائب جدة أولاد قاسم وعياله وماله النقد، فجهّزوا في يومهم وسافروا إلى جدة، فبلغ الشريف بركات ذلك وكان في طريق جدة فأرسل خيلاً لملاقاتهم وإتيانه بهم فتوجّهوا بهم، فوضع يده على المال وقال: أمر البلاد إليّ وهم في تسليمي حتى يأتي خبر الخنكار. وأنكر نائب جدة فعله بغير مرسوم وقال للأولاد: توجّهوا إلى جدة، فتوجّهوا إليها، وفات الناس غرضه منهم ونزلوا في بيت لهم ويقال إنّ المال معهم .

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه ماتت المرأة الكامل فاطمة ابنة الخواجا عبد القادر ابن أيوب الدمشقي فجهّزت في يومها وصلي عليها بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ودفنت بالمعلاة بتربة أبيها، وخلفت أخا وزوجا غائبين في الهند وأمّا بمكة. رحمها الله تعالى وعوّضهم فيها خيرا.

وفي يوم الخميس تاسع عشريْ الشهر وقف الملك محمد بن شيخ علي القيلاني الهندي، أعزه الله تعالى في قراءته لصحيح البخاري في المسجد الحرام وصرف معلومًا لجماعة حضروا عنده [٥٦ ب] جزاه الله خيرا. وفرّق على الصوفية والفقهاء المقرّرين في مدرسة السلطان مظفر شاه الكجراتي معلوم سنة تاريخه فتضاعف الدعاء له، وعزل بعض الصوفية عن القراءة بمكة لعدم ملازمته للحضور فشفع بعض الأكابر فأعاده، واشترى بيت الخواجا.... (١) في القرارة بستمائة دينار وأوقفه على مدرسة موكّله السلطان مظفر شاه. ثم سافر إلى جدة في ثاني تاريخه، كتب الله (٢) له السلامة في السفر والإقامة.

(١) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعلها: الزين .
(٢) كلمة سقطت من الأصل .

شهر جماد الثاني جعله الله شهراً مباركاً

استهل كاملاً في ليلة السبت من سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)

فيها وصل إلى مكة الخواجا الأجل المحترم شرف الدين ابن شيخ الدهشة الحلبي بحرا من القاهرة فهرع الأعيان للسلام عليه وأخبر أنّ ملك الأمراء نائب الديار المصرية أرسل معه عدّة مراسيم لجماعة منها مرسوم لشيخ الشيوخ العارف بالله تعالى ناصر الدين محمد بن عراق الدمشقي- نفع الله به - للشكر منه في شغل عين مكة وإسناد الأمر إليه في تنوير المسجد الحرام وبَطْحِهِ وزيادة عمارة عين مكة وأنه أرسل مالاً مع حامل المرسوم لذلك، ولعمارة تربة السيد حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم النبي ﷺ بالمدينة الشريفة والعين التي عنده، وفوّض أمر ذلك إلى الشيخ أيضاً. فواجه الخواجا الشيخ وأعطاه المرسوم فقال له: أنا متوجّه لزيارة الحبر عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- بالطائف وإذا أردتم العمل في المسجد يكون وكيلي الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف الزبيدي الشافعي، فقال له الخواجا: أنا متوجّه إلى جدة وأعود إلى مكة إذا قدِمتم عليها.

فسافر الشيخ في عصر تاريخه وسافر الخواجا إلى جدة في ليلة الأحد ثاني تاريخه، وأشيع أنّ له التحدّث على القبّانين والعتّالين بجدة لأجل الاطلاع على ما يُباع بها من البهار وغيره لكونه تاجر السلطان ونائب ملك الأمراء بالديار المصرية. ولم يصح ما أشيع من ولايته لنظر جدة وحِسبتها وغير ذلك من الولاية للقاضي صلاح الدين بن ظهيرة لقضاء الشافعية بمكة لكنه ذكر أن ملك الأمراء أوقف أمره حتى يصل إليه الشريف ثقبة ابن السيد بركات صاحب الحجاز ويفاوضه في أمره. فالله تعالى يقدّر له وللمسلمين خيرا ويدفع عنهم [كلّ](١) شرّ وضَير، بمحمد وآله آمين.

(١) كلمة سقطت من الأصل .

وفي يوم الأحد ثاني الشهر ماتت أم هاني ابنة الشرفي يحيى بن إدريس بن عبد القوي المكي زوجة الشيخ جمال الدين محمد ابن شيخنا عفيف الدين عبد الله باكثير المكي الشافعي وأم أولاده وهي نُفَساء على ابنة ماتت قبلها فجهّزت في يومها وصلّى عليها زوجها بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ودفنت بالمعلاة بتربة أجدادها لأمها بيت العراقي، وكانت أمّها ماتت في هذا العام وكذا أبوها، فالله تعالى يرحمهم أجمعين.

وفي يوم الإثنين ثالث الشهر مات الفقيه الأصيل زين الدين عبد الباسط ابن الشيخ جمال الدين فاتح بيت الله محمد بن عمر بن أبي راجح محمد بن علي الشيبي المكي. وكان وجع زمانا طويلا بالحمى والإسهال. فجهّز في يومه وصُلي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من الأعيان وغيرهم ودفن بتربة والده المستجدة بالقرب من تربة الشيبيين [٥٧ أ] بالشعب الأقصى جوار السادة المشائخ الفضيل بن عياض وعبد الله بن أسعد اليافعي. وخلف ولدا مراهقاً من ابنة عمه الشيخ الطيب، وهو مفارق لها ومخاصم لوالدتها وحزن الناس عليه لشبابه وهو في عشر الأربعين، ومولده في سنة ست وثمانين وثمانمائة، رحمه الله تعالى .

وفي نصف ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه وُلِدتْ البنت المباركة الأصيلة ستيت ابنة صاحبنا العلامة الأصيل القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخنا قاضي القضاة بالحرمين الشريفين نجم الدين محمد بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكي وأمّها سيدة قريش ابنة قاضي القضاة بالحرمين الشريفين المحيوي عبد القادر ابن الشيخ نجم الدين ابن ظهيرة القرشي سبطة قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة، فهنّأه الناس بها، فالله يحييها له ويعضدها بذكَر صالح.

وفي أول هذه الجمعة فُرّق حب دشيشة السلطان الأشرف قايتباي – رحمه الله تعالى – على أهل رباطه وأرباب وظائفه غير الصدقة، فأعْطِيَ كل واحد إردب حبّ

ستة أمداد بالكيل المكي، ومجموعه ألف إردب وخمسمائة إردب، وكان ثلاثة آلاف إردب فنقص ثلثها سرقة في البحر، وبيع سدسها وصرف عليه لأجل الكراء وغير ذلك. وكان المتولي لتفرقته المشدّ الرومي والقاضي الشافعي نور الدين بن ناصر والناظر على الدشيشة القاضي عز الدين فائز بن ظهيرة على العادة.

وارتفق أهل الرباط بالحب وباعوا بعضه ونزل سعر الحبّ في السوق بحيث بيعت الربعية منه بمحلق ونصف لفرقه، ومن غيره بمحلقين إلاّ ربعاً وأقلّ من ذلك وأكثر، فالله يرخّص أسعار المسلمين ويرحم الواقف ويجزي الناظر على ذلك خيرا.

وفي ضحى يوم السبت ثامن الشهر مات النجيب البارع صفي الدين محمد ويُدعى جار الله ابن الشيخ العلامة الموقّع تقي الدين محمد رمضان العزي القاهري الحنفي نزيل مكة المشرفة وعمره أربعة عشر ونصف، ومولده في عشريْ المحرم سنة ٩١٢ بالقاهرة واعتنى به والده فأسْمعه على جماعة من الشيوخ بمكة وغيرها واجتهد عليه فحفظ أربعة عشر كتابا في فنون شتى....[1] فمرض نصف سنة بالحمى واشتغل في آخرها، ثم قضى نحبه فجهّز في يومه وصلّى عليه عند باب الكعبة ودفن في المعلاة بشعب النور وحزن عليه والِداه حزنا كبيرا لكونهما ليس معهما غيره إلاّ ابنة تقاربه في السن، فالله تعالى يرحمه ويعوّض كلاً منهم الجنة .

وفي يوم تاريخه ظهرت خَبِيئةُ ذهبٍ في قبر بالمعلاة، اطلع عليها جماعة من الحفارين واقتسموها بينهم فبلغ الحاكم القائد مبارك بن بدر ذلك فمسكهم وأخذها منهم بعد ضرب بعضهم وحبسهم وهي قليلة تأتي ثلاثين دينارا ذهباً سكة أهل الغرب ذهبا مليحا خالصا.

وفي ضحى يوم الإثنين عاشر الشهر مات شيخ السدنة العلامة الأصيل فاتح

(١) كلمة غير واضحة بالأصل .

بيت الله الجليل.... (١) المدعو الطيب ابن الشيخ سراج الدين عمر بن أبي راجح محمد بن علي الشيبي المكي الشافعي وعمره ثمانون (٢) سنة بعد توعّكه نصف سنة بالحمى والإسهال والفالج بحيث بطل بعض أعضائه. فجهّز في يومه وصلّى عليه قاضي الشافعية الآن النوري بن ناصر بعد صلاة العصر عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من الأعيان وغيرهم. وكانت جنازته حافلة ودفن على قبر مشائخ [٥٧ ب] السدَنة (٣) في الشعب الأقصى بالمعلاة جوار الشيخ فضيل بن عياض ورفقائه المشائخ الصوفية، نفع الله بهم ورحمهم. وخلف ولدا اسمه يحيى. وتولّى فتح الكعبة بعده أخوه الشيخ عبد الله وهو أصغر منه بثلاث سنين ولم يستَنِبْه في حياته لخصام بينهما. ويقال إنه فرح بموت الزيني عبد الباسط ابن أخيه لما سمع بموته فعاش بعده جمعة ولِحِقه، فسبحان الحي الذي لا يموت.

وفي يوم تاريخه وصل إلى مكة من جدة البدري حسن ابن القائد نور الدين علي بن مبارك الحسني الحاكم بمكة كان وهو مريض وحصل له ماخولية(٤) في عقله، وكانت تعتريه في بعض الأحيان وفي الغالب يكون عاقلاً مع الحشْمة والتودد للناس والصبر على الشدة والبأس. فقدّر الله تعالى أنه قويَتْ عليه الماخولية وغفل عنه أهله فدخل إلى مخزن وعلّق به حبْلاً فشنق فيه نفسه، فلمّا دخلوا إليه وجدوه قد مات. فحزن عليه والده وأخته وجميع أصحابه ومعارفه لشبابه، وجهّز في يومه وصُلّي عليه عند باب الكعبة مع فاتحها الطيب الشيبي وشيّعا جميعا إلى المعلاة ودفن بالحجون بجانب تربة بني زائد والخواجا محمد سلطان، رحمه الله وعفا عنه وعوضه في شبابه الجنة، فإنه عمره نحو ثلاثين سنة.

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) بالأصل: ثمانين .
(٣) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة .
(٤) ماخولية: كذا بالأصل وهو خطأ صوابه " ملنخوليا ": مرض عقلي نفسي .

وفي يوم الثلاثاء ثاني تاريخه ماتت زين الكمال ابنة عبد الله الحبشية موطوءة قاضي القضاة الشافعي كان الصلاحي بن ظهيرة. فجهّزتْ في يومها وصلّى عليها بعد صلاة العصر عند باب الكعبة نائب سيّدها قريبه القاضي شرف الدين أبو القاسم بن ظهيرة الشهير بالرافعي وشيّعها جماعة من الأعيان ودُفنتْ بالمعلاة داخل تربة سيّدها بالحجون وحزن عليها، فالله تعالى يرحمها ويعوّضه فيها خيرًا.

وفي ليلة الخميس ثالث عشر الشهر مات الفقيه العدل المرتضى العارف بصنعة المواثيق كاتبه رضي الدين محمد ابن الشيخ العلامة نور الدين علي بن محمد الحناوي ثم المكي المالكي بعد توعكه ثلاثة أشهر بالحمى وغيرها وطاب في بعضها وغسل أوراقا في المواثيق والحساب على جماعة خشي منها الضرر على أهلها من ولده المحبي محمد فندم عليها واعترته(١) حرارة في باطنه كما أخبر به من طبّه.

وجهّز في ليلته وصُلّي عليه عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من الأعيان وغيرهم(٢) ودفن على أبيه بالمعلاة بالقرب من تربة بني شيبة بفم الشعب الأقصى، رحمه الله تعالى وعفا عنه، فإنه كان ذا حدّة وحمق وخصام مع من لا يوافقه على غرضه، بحيث أفضى به ذلك إلى ذكر الناس له إلى ما لا خير فيه لكنه عارف بصَنْعته مظهر للحق في غالب حالته، سامحه الله(٣) ورحمه.

وفي ليلة الجمعة ثاني تاريخه ماتت المرأة الأصيلة سعادة ابنة الشيخ العلامة نجم الدين محمد ابن القاضي نجم الدين محمد بن أبي البركات بن ظهيرة ابن قاضي الحرمين المحيوي عبدالقادر، وزوجة القاضي تاج الدين محمد ابن قاضي القضاة الجمالي أبي السعود بن ظهيرة، فجهّزها زوجها جهازا فائقا كعادتهْ وارتكب فيه الديون، وصلّى عليها أخوها بعد صلاة العصر عند الحجر الأسود وشيّعها خلق من

(١) بالأصل: واعتراه .
(٢) بالأصل: وجهّزه جماعة من الأعيان وغيره .
(٣) كلمة سقطت من الأصل .

الأعيان وغيرهم ودفنت داخل تربة جد زوجها في محل كان أعدّه أخوه الكبير قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة لنفسه فوقع بينهما كلام بسببه ثم تركه لها، رحمها الله تعالى.

وكانت شهدتْ لزوجها في مرضها بتمليك مخلّفها من أثاث البيت مع مهرها والاعتراف له بمبلغ ثلاثمائة دينار-ويقال خمسمائة - فتشوش أخوها من ذلك وخاصمه بسببه قبل موتها وكان قبل زواجها [٥٨ أ] أشهد عليها أخوها بمبلغ لنفسه أنفقه عليها واعتاض بذلك مخلّفها من أبيها في الأملاك، فكان فعْلها من جزاء عمَله.

وفي ليلة الإثنين سابع عشر الشهر ماتت سيّدة الكل ابنة الخواجا حافظ عبيد العجمي زوجة الخواجا علي راحات وأم ولده أبي بكر بعد توعكها مدة يسيرة، ووصيتها بدين نحو أربعمائة دينار. فجهّزتْ في ليلتها وصُلي عليها بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة، ودفنت بالمعلاة في تربة والدها.

وفي هذه الجمعة جاء جماعة من المدينة الشريفة وأخبروا أنها محاصرة من عِيرِ شيخ بني لام وأنه قطع نخيل البركة التي عند جبل أحد وهي للأشراف بني حسين وأنه طلب منهم مالا فجعلوا له بعض التمر والحب وغير ذلك كعادته معهم، فبلغ ذلك صاحب مكة السيد الشريف بركات بن محمد فأرسل سرية فيها ولده الشريف أبو نمي وبعض إخوانه وقريب مائة فرس وأضعافها من الرجل وورّى بتوجّههم إلى أهل الصفراء [1] في طريق المدينة الشريفة، فالله تعالى يؤيدهم وينصرهم.

وأشيع سفر الفرنج المخذولين من بلاد دهلك إلى جهة الهند وذلك لوجعهم ولرد هونهم بها وحصرهم فيها [2]. وأن المركب الشاهي الذي فيه اللاك صدقة

(١) الصفراء: في الطريق بين مكة والمدينة، وصفها الجزيري في الدرر الفرائد ص ٤٦٠ .
(٢) كذا وردت الكلمة بالأصل .

السلطان مظفر شاه الكجراتي على أهل الحرمين الشريفين وصل إلى بندر عدن بالسلامة وكان قصده التوجه إلى جدة، فلما سمع ناخوذته بأنّ الفرنج توجّهوا إلى دهلك صدّ عنهم. فالله تعالى يهلكهم ويسلّم المسلمين منهم .

وفي آخر الشهر وصل في البحر من الطور جلبة فيها أربعمائة حمل دقيق صدقة على أهل مكة من عند ملك الأمراء نائب الديار المصرية، ويقال من الخنكار سليم خان ابن عثمان وأن المتكلم عليها شخص رومي وصل معه ثلاثة مراسيم أحدها للشريف بركات بالوصية به والمسامحة في عشورها، وثانيها بتقدّمه بخراب قبّة مقام الحنفية إلى حاشية الطواف وعمل مقصورة عليه، وثالثها لنائب جدة، فسامح الشريف بعشوره في الدقيق.

ونقل إلى مكة المشرفة ورقة [1] حَررت تركة الحاج محمد شنيبل الدمشقي التاجر الواصل من الهند في عام تاريخه ومات في طريقه قريب جدة، وخلّف بنتا وزوجة حاملا ولدتْ ذكرا في شهر رجب وأوصى بثلث مخلّفه لأهل الحرمين الشريفين، فضُبط جميع ماله فجاء ثلاثين ألف دينار، وأخذ الشريف ثلث الثلث على عادته في الصدقات، وأخذ قاضي جدة ابن قاضي مكة ابن ناصر الثلث الثاني على عادته في الصدقات الثاني [2] وأخذ أهل المدينة الثلث الثالث، وشرع قاضي مكة في كتابة قائمة لتفرقتها على أهل الحرمين وغيرهم، فالله تعالى يُلهمه الخير.

وفي ليلة الخميس ثامن عشريْ الشهر وصل إلى مكة ولد للشريف أبي الغيث ابن صاحب مكة السيد محمد بن بركات وهو ميت وعمره اثنتا عشرة سنة فجهّز في ليلته وصُلي عليه بعد صلاة الصبح ودفن بالمعلاة، رحمه الله تعالى وإيانا.

وفي يوم السبت سلخ الشهر مات المقرئ محيي الدين عبد القادر ابن.... [3]

(١) بالأصل: وقت .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

المصري صهر الخواجا جلال الدين القرشي -جارُنا- وكان مريضا بالإسهال وتوجّه إلى جدة فزاد عليه ذلك فرجع إلى مكة وأقام بها ثلاثة أيام ثم مات، فجهّز في يومه وصُلي عليه بعد صلاة العصر [٥٨ ب] ودفن بالمعلاة داخل تربة الشيخ شرف الدين المجذوب، نفع الله به، وخلّف زوجة وصبيين صغيرين، جبَرهما الله تعالى .

وحدثتْ في هذا الشهر واقعة شنيعة مخِلّة بالدين عمِلها بعض القضاة المحيرين(١).

وهي أن شخصا يقال له حسين السولي مات وخلّف بنتاً وعصبة وتركة لها صورة من النخيل والثمار والحب وأوصى بثلث مخلّفه لعصبته، وأثبتوا ذلك على النوري علي ابن القاضي المالكي الزيني عبد الحق النويري بعد أن أخذ منهم نحو عشرة أشرفية، ونفذ ذلك القاضي الحنفي بديع الزمان بن الضياء بمبلغ أشرفيتين وأخذ الشهود مثلها، فبلغ ابنة الميت ذلك فتكلم لها جماعة مع القاضي المثْبت وجعل له مالا يقال خمسين دينارا فطلب خصمها بحضرة وكيلها وأمره بإحضار مستنده الذي أثبتّه له فأحضره إليه فقطعه بحضرته وقال له: رجعتُ عن حكمي، فتوجّه الخصم إلى القائد مبارك بن بدر الحاكم بمكة وتكلم معه في ردّ دراهمه التي أخذها القضاة منه فأمرهم بردها له. وسمعتُ أن المالكي ردها وأما الحنفي فقال: أنا منفّذ والعمدة على الحكم. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وبالله المستعان.

شهر رجب الفرد أهلّ كاملاً في ليلة الأحد من سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)

في أوله وصلتْ الشريفة أم الكامل ابنة عجل زوجة الشريف بركات إلى مكة وذكرتْ أنّ زوجها توجّه إلى جهة اليمن للكشف على إبِله ويعود إلى الوادي في نصف الشهر .

(١) وردت الكلمة بالأصل غير تامة الإعجام .

وفيه ظهرتْ الفاكهة بمكة المشرفة وهي الرطب والعنب والتوت والتين والخوخ والتفاح، وبيع تمر النخل بالأودية بيعا حسنا مع كثرة، فالله تعالى يرخّص الأسعار.

وفي يوم الإثنين ثاني تاريخه ماتت غزال الراجحية موطوءة القاضي بجدة كمال الدين أبي البركات محمد بن علي بن ظهيرة وأمّ ولده أبي البقاء وصفية. وكان القاضي جمال الدين أبو(١) السعود بن ظهيرة تزوجها ثم فارقها وتزوجها جوهر.... (٢) سيّدها، وهي مشهورة بالحسن والعقل لكنّها كبرتْ. وسمعتُ أنّ الشريفة أم الكامل ابنة عجل زوجة السيد بركات صاحب مكة أقامتْها متكلمة على رباطها بجياد. فجهّزت في يومها وصُلي عليها بعد صلاة العصر وشيّعها جماعة من الفقهاء ودفنتْ بتربة مواليها بالمعلاة، رحمها الله تعالى وإيانا.

وفي ضحى يوم الثلاثاء ثالث الشهر مات الخواجا الكبير المعمّر محيي الدين عبد القادر بن بدر الدين الحلبي بعد توعكه مدة بجدة وحُمِل إلى مكة وأراد الوصية وطلب ولده عبد الكريم القاضي الشافعي النوري بن ناصر لأجلها فأسكت. ومات ولم يُوصِ فجهّز في يومه وصُلي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من الأعيان وغيرهم ودُفن بالمعلاة في تربة الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أيوب صاحب مكة واليمن. وأظنّ ذلك بطلب من القاضي الشافعي فإنه أصلحها بعد خرابها وأعدّها لنفسه فوافقوا ولده الثاني، وخلّفه مع ولد أكبر منه غائباً وآخريْن أصغر منه وغير ذلك. وتركته لها صورة من النقد والعقار ببلاده وعدة سفرات، فالله تعالى يرحمه ويعفو عنه، فإنه كان يخرج زكاة ماله[٥٩ أ] على الفقراء بعنف وسبّ على طريقة أهل بلاده، مع الجماعة وملازمته العبادة وصلاة الجماعة. فعمل له ولده ختما(٣) بالمعلاة فيه أطعمة وبخور على قاعدة

(١) بالأصل: أبا .
(٢) كلمتان غير واضحتين بالأصل .
(٣) بالأصل: ولد ختم .

بلادهم. وخدم القاضي الشافعي بمبلغ كبير يقال ألف دينار حتى أقامه على أخوانه الصغار وتركة والده.

وفي ليلة الجمعة وصل من الفريق ميتا [١] الشريف عجلان ابن السيد أبي الغيث ابن صاحب مكة الشريف [بركات] [٢] بن محمد بن بركات الحسني وهو بالغ ومعه والده فجهّزه وصُلي عليه بعد صلاة الصبح ودفن بالمعلاة قريب قبر أخيه الماضي قريباً، رحمه الله تعالى وعوّض والدهما فيهما خيرا.

وفي مغرب ليلة الثلاثاء عاشر الشهر ولدت زوجة الشيخ العالم المبارك المعتقد الصوفي نور الدين علي ابن سيّدنا وشيخنا العارف بالله تعالى مربي المريدين ومرشد السالكين ناصر الدين بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الدمشقي الشافعي ولدا مباركا سمّاه بلالاً، فالله تعالى يُنْشئه نشأ صالحا وينفع به كما نفع بأبيه وجدّه.

وفي صبح تاريخه تحرّك الخواجا الأصيل بدر الدين حسن ابن المرحوم الخواجا العالم بدر الدين حسين قاوان المكي - أعزه الله تعالى - للسفر إلى جدة بطلب من الملك محمد بن شيخ علي القيلاني الشافعي وكيل السلطان مظفر شاه الكجراتي لكونه نوى السفر إلى الهند مع المراكب في هذا العام وأمره بثبوت الأوقاف التي اشترى بها البيوت الموقوفة بمكة على القراء في المدرسة المظفرشاهية. وكان مشتراه لغالبها في أول السنة وتأخرت كتابتها لوجع شاهدها كبير الموقعين رضي الدين محمد بن علي الحناوي، فلما مات طولب ولده المحبي بكتابتها لأخذ والده معلومها وهو مائة دينار فقال: لا يلزمني ذلك إلاّ بأجْرة جديدة، وإذا كان لكم عند والدي شيء [٣] فخذوه من تركته، وتوجّه إلى صاحب البلاد السيد بركات جهة جدة فتكلم معه في إعطاء مبلغ فجعل له خمسين أشرفيا وكتب المستندات كتابة حسنة

(١) بالأصل: ميت .
(٢) كلمة سقطت من الأصل .
(٣) بالأصل: شيئا .

بطريقة معتبرة استكثرت عليه، ويقال إن والده سوّدها من حياته وأثبتها على قاضي القضاة الحنفي بديع الزمان بن الضياء الحنفي.

البيوت، وهي:

(١) قاعة القاضي الشافعي جمال الدين أبي [١] السعود بن ظهيرة التي صارت لولده التاجي محمد، وقيمتها ألف وثلاثمائة دينار.

(٢) وبيت الخواجا علي الطاهر الصائر للبرهاني ابن قاضي سالم، وقيمته ألف وثلاثمائة دينار.

(٣) وبيت الخواجا شرف الدين يحيى بن علي المغربي المعروفة بدار اللؤلؤة، وقيمتها ألف وثلاثمائة.

(٤) وبيت الخواجا ابن شمس الصائر للشهابي أحمد دوادار المقر الشهابي بن الجيعان، وقيمتها ألف وخمسمائة.

(٥) وبيت القاضي أبي البقاء ابن العفيف بن ظهيرة المجاور لقاعة القاضي أبي السعود، وقيمته مائتان وستون.

(٦) ودكان بالمسعى بجانب وقف ابن عمران لقاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة بتسعين أشرفيا.

(٧) وبيت الزير بالقرارة.

الجملة للجميع ستة آلاف ومائتان وخمسون دينارا. وتكلم بعض البائعين.... [٢] فيما باعوه لطمعهم في المشتري وكون المال الذي اشتريَ به من عين الصدقة. فمسك القاضي المستندات حتى جُعِلَت مصلحته يقال بخمسين دينارا أو أقل منها، فلا قوة إلاّ الله.

(١) بالأصل: أبو .
(٢) وردت الجملة مضطربة كما يلي: « وتكلم بعض البائعين فيما باعوه » .

وتصدّى البدري حسن قاوان لها وتعب فيها وكتب قائمة باسم فقهاء مكة وعيالهم [٥٩ ب] وأتباعهم لكون الوكيل طلب تفرقة الباقي عنده من صدقة سلطانه – نصره الله تعالى – وأمر العدل ولي الدين أبا(١) زرعة المنوفي بالتوجّه إلى جدة لضبط ذلك، فبلغ القاضي الشافعي النوري ابن ناصر ذلك فكتب قائمة فيها الغثّ والسمين من الفقهاء والعامة وأرسلها إلى الوكيل صحبة رسالة بالخط على أبي زرعة ومنْعه من الشهادة وكتابة القوائم لأجل القاضي الشافعي المفصول الصلاحي ابن ظهيرة. وكتب بذلك ورقة لنائب جدة وبالخط على مخدومه، فمُقت لذلك، وعَرض فيه عرضا(٢) وأرسل الشريف بركات للوكيل يوصيه على أبي زرعة موافقة لمخدومه.

وفي يوم الجمعة ثالث عشر الشهر سافرتْ قافلة قليلة للمدينة الشريفة فيها إمام الحنفية بها النوري علي الخُجُندي، وتخلّف كثير من الناس لسماع الخوف بها لنزول العرب عليها.

وفي أثناء هذه الجمعة وصل جماعة منها على درب الماشي ومعهم أوراق من بعض أكابر أهلها اطلعتُ عليها ومضمونها: أنه قد حصل لأهل المدينة الشريفة ما لم يقع لهم نظيره قبل تاريخه وهو وصول طائفة من العرب يقال لهم آل ظفير ونزلوا في موضع يقال له البركة شامي المدينة الشريفة وقطعوا ثمارها وجميع ما كان في تلك الناحية من الثمار أيضا، ثم إنهم رحلوا وغابوا نحو الأسبوع وعادوا إلى شرقي المدينة ونهبوا من جمال الحدائق نحو التسعة. ثم إنّ أمير المدينة خرج إليهم ومعه جميع بني حسين وجماعة من الفقهاء وغالب أهل البلد وكان خيل الأمير ثلاثة أرؤس من غير زيادة، وصل الأربعين نحو الأربعين (٣) فأرسل كاتب هذه الورقة وهو القاضي

(١) بالأصل: أبو .
(٢) بالأصل: عرض .
(٣) كذا وردت الجملة مضطربة بالأصل .

الشافعي السيد عبد الله السمهودي للأمير ينهاه عن القتال لعلمه بعدم مقاومتهم للعدو، وأن يعطى ما يمكن إعطاؤه ويصالح به عن دماء المسلمين وأموالهم فامتنع، ووقع بينهم القتال فانكسر أهل المدينة الشريفة كسرة شنيعة بحيث قُتل منهم ثمانية أنفس اثنان من الأشراف وواحد من الفقهاء والباقي من العامة، ومسكوا من أهل المدينة أربعة عشر رجلا منهم سبعة من بني حسين واثنان من الفقهاء ولم يرجع أحد من الفزع إلاّ وهو مُصاب إما بالسلاح أو الحجارة، وغُلّقت أبواب المدينة وصارت خيل العدو تصل إلى باب البقيع والى تحت قلعة الأمير ولا يمكن الخروج إليه. فالله تعالى يلطف بالمسلمين وينصرهم على أعدائهم بجاه سيّد المرسلين. وفي يومه قطع نحو نصف ثمار المدينة وأفسدها وعزم على إفساد ثمار قبا والعوالي فلم نر (١) لنا بُدّا من أن ندفع له خمسمائة دينار وفرساً ومائة لمن كان واسطة حتى كفّ عن الإفساد وأخذ من الربطاء ما يزيد على الألف حتى أطلقهم. وكان الناس في وجل عظيم وإلى الآن هم على حالهم من الخوف، ولم يبق طائفة بالمدينة إلاّ وحصل فيهم القتل والأسْر والجرح، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله. بتاريخ ثاني عشر جمادى الآخرة.

وأخبر الزوار بسفر العرب عن المدينة لما سمعوا بوصول الشريف أبي نمي ابن السيد بركات صاحب مكة وابن عمّته صاحب المدينة الشريف باز بن فارس بن شامان مع العسكر إلى الصفراء، فأقاموا بها إلى أن فاتهم العدو لأجل مصالحهم، وهو مسك بعض عرب الصفراء وقطع نخيلهم وتوجّهوا إلى ينبع، فالله تعالى يلطف بالمسلمين.

وفي يوم الجمعة عشريْ الشهر وصَلَ الخبر لمكة من جدة بوصول زعيمة إليها فيها مراسيم لنائب [٦٠ أ] جدة المتولي حسين بك الرومي ولولد المفصول البرهاني إبراهيم ابن الأمير قاسم الشرواني، وفيها الإخبار بإطلاق الأمير قاسم المشار إليه من

(١) بالأصل: فلم نرى .

الترسيم بالقلعة ونزوله إلى القاهرة مكرما معظما وتخيير ولده في الإقامة بمكة أو السفر إلى والده مكرما وتمكينه من تعلقات والده ومساعدته عليها. ففرح أهله بذلك ودقت النقارة عندهم، فالله تعالى يجمع شملهم ويُتِمّ سرورهم.

وفي ليلة الثلاثاء رابع عشريْ الشهر وصل إلى مكة العفيف عبد الله ابن القاضي الشافعي النوري ابن ناصر بالمبلغ الذي قبضه من معلوم الصدقة التي أوصى بها الحاج محمد شنيبل الشامي وهو ألف وثلاثمائة دينار بعضها قماش وبعضها نقد وتكملة المبلغ وهو سبعمائة تأخّر عند التجار المشترين للتركة، ويقال إنّ الدولة وصّوْا المرتهنة في عدم دفع المبلغ لهم حتى يصل قاصد ابن الشريف من القاهرة ويأتي بولاية صاحب الوظيفة قبله القاضي صلاح الدين بن ظهيرة. فنوى القاضي ابن ناصر تفْرقتها بوصول ولده، وشرع في مهمّ لزواجه وزواج أخيه قاضي جدة الشهابي أحمد فلم يتمّ له مقصوده.

وفي ظهر تاريخه [وصل] [1] قاصد من عند الشريف لخصمه القاضي الشافعي بأخبار ولايته ووصول قاصده مسلم البدوي إلى الوادي ومعه مرسومان[2] للقاضي أحدهما مطلق لكل واقف عليه بأخبار ولايته وثانيهما خاص به وفيه إرسال قاصد[3] ملك الأمراء للخنكار لإخباره بولايته لابن الشريف وأنه يأخذ المعلوم الهندي من تاريخ الولاية وهي سابع شهر رجب. وفيها خرج القاصد من مصر ففرح القاضي صلاح الدين بن ظهيرة بذلك وقصده الناس لتهنئته و لم يتوجّهوا لخصمه مراعاة له وأرسل عبده على فرسه بمرسومه المطلق إلى جدة لنائبه بها بعد مواجهة الشريف بالوادي وأخذ مكاتبته لنائب جدة حسين بك الرومي يخبره بولايته فدخل جدة في ضحى يوم الخميس سادس عشريْ الشهر وأعطى المرسوم لنائبه

(١) كلمة سقطت من الأصل .
(٢) بالأصل: مرسومين .
(٣) بالأصل: قاصدا .

القاضي جمال الدين محمد بن محب الدين بن عبد الحي القيوم بن ظهيرة، فتوجّه به إلى نائب جدة وقرأه عليه ففرح بذلك لكونه اتفق له مع القاضي المفصول القاضي بها الشهابي ابن ناصر خصام في يوم تاريخه وغلق القاضي بابه، وكان فألاً عليه. وشمت به كثير من أعدائه، لطيشه وشدّة مرائه.

وفي فجر يوم الخميس سادس عشريْ الشهر وُلدتْ للسيد أبي بكر بن الحسين القبيباتي الدمشقي ابنة سماها رقية وأمّها كمالية ابنة شيخنا قاضي الحرمين نجم الدين محمد بن يعقوب المالكي – رحمه الله تعالى – وصانها و لم يرض بها لكونها بنتا، فالله تعالى يعوّضه عقبها ذكرا ويُنْشئها ويبارك له فيها.

وفي عشاء ليلة الجمعة ثاني تاريخه وصل إلى مكة السيد الشريف زين الدين بركات بن محمد الحسني محرما بعمرة كعادته من وادي مر، فطاف وسعى بعد صلاة العشاء .

وفي صباحها توجّه الأعيان للسلام عليه منهم قاضياها الشافعيان [1] المتولي والمفصول وتقدم ثانيهما بالسلام وأراد الانصراف فأمره الشريف بالجلوس فقعد ساعة ثم وصل خصمه بمرسومه فقرئ بحضرة الشريف وجماعة من الأعيان القضاة والفقهاء فقال القاضي المفصول النوري ابن ناصر: ليس لي في ذلك دافع ولا مطعن مع أنّ الشرع لا يعزل القاضي إلاّ بجنحة [٦٠ ب] ولا يجوز السعي عليه إلاّ إذا وُجدت الجنحة. فقال له الشريف: هذه عادة الدولة المصرية وغيرك عُزل بلا سبب، فقال: الأمور بيد الله تعالى وأنا وظيفتي العلم ولا أعْزَل عنه، وبلغني التهديد لي ولأولادي ونحن إذا وجدنا التشويش بمكة خرجنا منها إلى بلد يحصل لنا العزّ فيها. فقال له الشريف: لا تخرج منها إلاّ إلى الله، يعني بذلك الموت. فقال له القاضي

(١) بالأصل: قاضيها الشافعيين .

الشافعي المتولي الصلاحي بن ظهيرة: ممن بلغك التهديد؟ أما أنا شاكر منك [١] وانفض المجلس بعد كلام من هذا النمط واستسمحه كثير من الحاضرين على القاضي المعزول وهو يقدّر في ذلك فإن العزل حبس الرجال. وقد قال بعض العقلاء من القضاة: إنّ الولاية لم تسرّنا لكن ساءنا العزل، فلا قوة إلاّ بالله.

وأمر السيد الشريف القاضي المفصول في المجلس بتسليم مفتاح حاصل زيت المسجد الحرام إلى القاضي المتولي فأمر أمينه الشرفي الصلاحي بتسلُّمِه منه. فبلغني أنه وجده ناقصا فإنّ أصله أربعة وعشرون قنطارا قالوا أسْرج منها في نصف السنة الماضية ستة عشر قنطارا وبقي ثمانية فوُزنتْ فوُجد الباقي أربعة قناطير. وتكلم القاضي الحنفي بعد أن قام القاضي المفصول في الصدقة التي تحت يده فقال الشريف: أمرنا إلى مولانا المتولي، وانفضّ المجلس على ذلك.

ووصل مع الشريف قاصده مسلم وهو وجع ومعه أوراق لكثير من الناس فقرئتْ على أربابها ووصلتني ورقة من القاهرة من بعض الأكابر المقيمين بها مضمونها أنّ السيد الشريف ثقبة ابن السيد بركات - أدام الله عزه ونصر والده - وصل إلى القاهرة في رابع عشريْ جمادى الآخرة سنة تاريخه وأقام يوم وصوله بالعادلية وفي ثاني تاريخه طلع إلى القلعة للسلام على ملك الأمراء نائب الديار المصرية -أعزه الله- وشقّ القصبة في موكب عظيم قدامه جميع العسكر وهو لابس خِلعة وكذلك السيد عرار بن عجل - أيدّه الله- ثم نزل من القلعة بعد السلام وقُدّامهما من العسكر البعض ممن طلع وعليهما خلعتان خلاف الأولين ونزل معهما القاضي المالكي بمكة عبد الحق النويري والقاضي المالكي بالمدينة محمد السخاوي وهما لابسان قفطانين. واستقر ابن الشريف بالسبع قاعات ببيت المقر الشهابي ابن

(١) كذا وردت الجملة مضطربة بالأصل، ولعل صوابها: ما أنا شاك منك .

الجيعان بإشارة ملك الأمراء بذلك. وحصل له خير عظيم من ملك الأمراء[١] ورسم له بمثل ما رسم به السلطان الغوري لوالده[٢] عند قدومه عليه.

وقد وصل من أهل المدينة مع ابن الشريف القاضي الشافعي بالمدينة أبو الفتح ابن صالح ومالكيّها محمد السخاوي وجمال الدين بن عمر وغيرهم .

ووقعت حركة في أيام الخماسين [٣] توفي فيها جماعة من أهل البلد كثيرون منهم الشيخ شهاب الدين المسمرسي[٤] أحد نواب المالكية ومحب الدين البلبيسي أحد نواب الشافعية ومن الحجازيين حسن بن موفق البرهاني ومصلح القاواني .

وأشيع أنّ مولانا السلطان - نصره الله - قصد قتال الفرنج برودس وأن عسكره ثلاثمائة ألف من البر والبحر. وأمر ملك الأمراء القضاة بالتوجّه إلى الإمام الشافعي وقراءة سورة الأنعام والدعاء للسلطان بالنصر وذلك بعد العشرين من جماد الأول وأن مصر متشحطة الأسعار، والإردب بأشرفيين بعد أن كان نزل إلى دون ذلك والسمن [٦١ أ] الرطل بخمسة محلقة، والعسل بثلاثة، والسكر المكرر كذلك والنبات بأربعة [٥]، والجبن الرطل بأزيد من محلق، واللحم البقري بمحلق، والضاني بمحلق ونصف، والقماش أيضا في غاية الغلو، والله تعالى يلطف بالمسلمين.

وقد أعيدتْ وظيفة القاضي الشافعي الصلاحي بن ظهيرة إليه بواسطة السيد الشريف بركات بسؤال ولده، وأعيدتْ وظيفة الشمس بن جلال الحنفي بالمدينة الشريفة وولي محمد ابن الرئيس حنبليّها بالمدينة عوضا عن إبراهيم السكندراني.

وفي ثاني تاريخه تخلص الأمير قاسم الشرواني من الترسيم ونزل إلى بيته

(١) بالأصل: ملك الأمر .
(٢) بالأصل: لوالد .
(٣) الخماسين: رياح حارة جافة تَرِبَة تهبّ في أشهر الربيع .
(٤) كذا بالأصل .
(٥) كذا وردت الجملة بالأصل .

بالمدينة – عامله الله بلطفه – وتاريخ الورقة في سابع عشريْ جماد الآخر سنة تاريخه.

وفي ضحى يوم السبت ثامن عشريْ الشهر طلب السيد الشريف بركات صاحب مكة الشيخ العلامة المبارك أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المالكي الشهير بالحطاب – نفع الله به – وسأله بحضرة القاضي الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وغيره عن مخلّف الحاج يوسف ابن الطبّالة الدمشقي فأخبَره بوصيته الظاهرة فقال له: بلغني أنّ له نقْدا عندك غير الذي ذكره في الوصية، فأنكره وقال: لا أعرف ذلك، فقال له الشريف: أنا أعتقدك وتحققتُ أنّ عندك المال، والناس – بحمد الله – في أمان، وما الحامل على الكتمان؟ فقال له: أنتم أعرف بذلك، وكان في المجلس ناظر المواريث الكمالي أبو الفضل ابن أبي علي فقال للشريف: عندي جماعة يشهدون على الشيخ أنّ المال في منزله، فأنكر الشيخ ذلك، فقالوا نتوجّه إلى منزلك وننظره، فقال: افعلوا ما شئتم، فأمره الشريف بالتوجّه مع جماعته إلى منزله فتوجّه معهم امتثالاً لأمره فأراهم عبْد الميت مع شخص كان حاضرا الوصية المخزن الذي فيه المال. فأمر جماعة الشريف الشيخ بفتح المخزن ففتحه لهم موافقة فأراهم العبد والشاهد محلّ المال وهو في صندوق كبير مغلق عليه بقفل ففتحها(1) جماعة الشريف فوجدوا فيها خمسمائة وستين دينارا ذهبا عتيقا وألفا(2) وسبعمائة أشرفي فضة وثمانية آلاف وسبعمائة قفلة فضة خالصة. قُوّم الجميع الألف دينار على ما يُقال.

وكان الميّت كتبها في وصية مخفية وقال: إنها وديعة عنده لأخيه الغائب وإذا حضر يدفعها الشيخ له، فأراهم الشيخ حينئذ الوصية، فقالوا له: لأي شيء أنكرتَ ذلك أولا ؟ فقال لهم: كان يجب عليّ الإنكار. فأخذ المال جماعةُ الشريف وتوجّهوا

(١) أي الوصية والأمانة المذكورة سابقاً .

(٢) بالأصل: دينار ذهب عتيق وألف .

به إليه وتشوّش الأخيار لذلك، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، وقدّر الله وصول أخي الميّت في الموسم فأخذ المال من جماعة الشريف، وعُدّ ذلك من بركة الميّت والوصي وعدل الشريف.

وفي عصر تاريخه توجّه السيد الشريف بركات إلى وادي مر بالدكناء وصحْبَته قاصده مسلم البدوي على نية السفر إلى القاهرة، وأودعه الناس أوراقاً كثيرة.

وفي يوم الأحد ثاني تاريخه شرع القاضي نور الدين في تفرقة الصدقة التي تحت يده وأوصى بها الحاج شنبيل الشامي وهي قماش ودراهم، فسمع القاضي المتولي الصلاحي بن ظهيرة فمنعه من ذلك وقال: أمر تفرقتها لي، فوقع بينهما كلام ومراسلة في ذلك واتفق [٦١ ب] الحال على التوقّف ومراسلة الشريف في أمرها. وتكلم القاضي الحنفي بديع الزمان بن الضياء فيها بحضرة الشافعي المتولي وطلب الزيادة فيما عُيّنَ له، وهو عشرون دينارا، فلم يوافق على الزيادة ثم اتفق الحال على رضا المتولي بتفرقة المفصول لها لكونه شرع في بعضها وعيّن غالبها لكثير من العامة لا يمكن إعطاء المتولي لهم شيئا ويحصل له بذلك الضرر بعد عمل مصلحته، ففرّقها المفصول بعد ذلك بمساعدة أولاده البدري حسين والعفيف عبد الله وصار أولهما يكتب أوصالا بخطه لكل من عين له شيء بحسب حاله ويعطي الوصل للثاني فيدفع له ما يخصّه قماشا ودراهما .

وعيّنَ لكل قاض عشرين (1) أشرفيا وكذا فاتح الكعبة الشيخ عبدالله الشيبي والخطيب عبد الرحمن النويري والقاضي شرف الدين الرافعي ولكل نائب قاض عشرة أشرفية ولأئمة الحرم ومشائخه كلّ واحد ثمانية أشرفية وأنا منهم. فتكلم الأئمة فكمّلوا لهم عشرة أشرفية وزادوا القضاة أيضا خمسة أشرفية وجعلوا لأولاد الأئمة خمسة ولبقية الناس خمسة وأربعة وثلاثة وأقلّ من ذلك إلى ربع دينار. وردّ

(١) بالأصل: عشرون .

كثيرا من الناس مع إنصافهم، وامتنع القضاة من القبض فإنهم قالوا: على كل ألف عادتهم عشرون أشرفية، فقال لهم المفرّق: هذه وصية ويجب فيها التساوي، وما رأيتُ أحدا راضيا، ورضى الناس غاية لا تُدرَك، مع أنه أنْصف كثيراً من الناس في البدأة وغيرها.

شهر شعبان استهل كاملا في ليلة الثلاثاء
بمكة المشرفة من سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م)

ورآه أهل المدينة الشريفة وبندر جدة والأودية التي حوالي مكة بالإثنين، فعلى الرؤية الأولى في ثاني الشهر وصل الشريف أبو نمي ابن السيد بركات صاحب مكة إلى والده بوادي الدكناء، أحد أودية وادي مَر، ومعه مماليك والده وهم ظافرون بالصلح على الذين توجّهوا إليهم من أهل ينبع ووادي الصفراء وأعمالها بعد أخذ أموال وأغنام وجمال منهم وقطع بعض نخيل أهل الصفراء.

وفي صبح يوم الجمعة رابع الشهر دخل إلى مكة أتراك الشريف بعرضة لطيفة من المعلاة فيها الطبل والزمر وأقاموا بها فغلا الماء حتى بلغت القربة الحلو إلى محلق ونصف والراوية بمحلقين وعُدم اللحم، فالله تعالى يُرخّص أسعار المسلمين.

وفي ضحى يوم السبت ثاني تاريخه مات الخواجا الأصيل فخر الدين أبو بكر بن.... (١) الناصري الدمشقي نزيل مكة المشرفة بعد توعكه مدة طويلة، وخلّف بنتاً وزوجة ويقال ابن أخ صغير غائب، فجهّز في يومه وصُلّيّ عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة، رحمه الله تعالى وعفا عنه، فإنه كان خفيف الروح مع عدم التصرف والضبط حتى ضعف حاله وتقرر بعده في التكلم على رباط والده بباب العمرة والدار التي بجانبها قاضي القضاة الحنفي بديع الزمان بن الضياء من

(١) بياض بمقدار ثلاث كلمات بالأصل .

القاضي الشافعي وصاحب مكة السيد بركات، نصره الله تعالى.

وفي ليلة الثلاثاء ثامن الشهر وصل إلى مكة المشرفة الأمناء على الباقي من الصدقة المظفر شاهية الكجراتية ويقال إنها أربعة وعشرون ألف دينار وقيل ستّة وعشرون ألفا، جعل للشريف منها ألفان وترك الثلث الذي كان يأخذه في الصدقات للمستحقين، ووزع بقية المال على غالب أهل مكة في دفتر كتبه العدل ولي الدين أبو زرعة المنوفي بجدة المعمورة بحضرة الأمين عليها الملك محمد [٦٢ أ] ابن شيخ علي القيلاني. وتصرّف فيها مع شيخ الفراشين نور الدين علي بن أبي الفتح بن بيسق المكي ووزعوا الناس بحسب أغراضهم ويقال بإشارة القاضي الشافعي المتولي، وهو يتبرأ من ذلك.

وهو درج كبير مرتب على البيوت وصدر في أوله بالأرامل والأربطة وختم بالعامة وجملتها في الدفتر على ما أشيع نحو سبعة آلاف دينار منها ألف وخمسمائة خاصة بالفقهاء وأتباعهم ونحو سبعمائة لأهل الأربطة التي بمكة وألفان لعامة مكة وثلاثة آلاف للأعاجم، وجعل لبيت السيد الإيجي نحو الألفين لكل نفر مائة دينار وأقلّ من ذلك، ولكل قاض أربعون دينارا غير عائلاتهم(١) فإنّ لكل شخص منهم عشرة أشرفية ودونها، ولكل نائب خمسة عشر أشرفية وأقلّ منها، وجعل لأئمة الحرم ومشائخه لكل واحد عشرة أشرفية وأقلّ منها، ولعيالهم من ستة وخمسة ودونها، ولكل شخص من أهل الأربطة ديناران وللعامة مثل ذلك وأكثر قليلا.

وسلّم المال للخواجا بدر الدين حسن بن حسين قاوان المكي والشيخ بهاء الدين الجهرمي العجمي والكاتب شاه مَيَر العجمي والصيرفي سليمان بن محمد وغيرهم من جماعة الشريف ونائب جدة.

ووضعوا المال في المدرسة المظفرية بباب الصفا وشرعوا بها في التقسمة على

(١) بالأصل: عائلتهم .

أهل الأربطة في عصر تاريخ وصولهم وسلموا ذلك لمشائخ الأربطة فسهّل عليهم وارتفق الناس بها مع وصولها إلى أهلها.

وفي صبح يوم الأربعاء ثاني تاريخه حضر قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وجماعته والقاضي الحنفي بديع الزمان بن الضياء وغيرهم من أعيان الحرم في المدرسة المذكورة وقبض كل منهم ما يخصّهُ وتتابع الفقهاء بعدهم فقبض كثير من أهل البيوت.

وفي يوم الخميس عاشر الشهر كمل قبض أهل البيوت وقبض بعض العامة، وأما العجم فقبض غالبهم بجدة.

وفي يوم الجمعة ثاني تاريخه تركوا القسمة لأجل الراحة وحرروا حساب ما قُبض ونفذت أوراق البيوت الموقوفة على المدرسة المظفر شاهية على القاضي الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وعقد البيع في بقية دار قاضي القضاة الشافعي المرحوم الجمالي أبي السعود بن ظهيرة التي باعها ولده تاج الدين لوكيل الأمين على الصدقة الملك محمد القيلاني لتكملة وقف المدرسة بمبلغ ألف وخمسمائة دينار ووقف الثمن حتى توجّه الوكيل بجدة وأرسلتْ الأوراق مع دفتر ثان صحبة عبد الأمين إلى جدة لإدراك سيّده قبل سفره إلى الهند مع المراكب، كتب الله سلامتهم.

وفي يوم السبت ثاني عشر الشهر قسمتْ الصدقة الهندية وحضرها البدري حسين ابن القاضي نور الدين علي بن ناصر الشافعي المفصول لقبض ما يتعلق به وبوالده وعيالهما. فجُعِل لوالده ثلاثون دينارا أقل من القضاة هضما له وكتب بها وصلا واحدا[١] في المجلس الولوي أبو زرعة المنوفي الشاهد والكاتب على الصدقة لأجل دين عليه في ورقة لوالده ادّعى بها عليه و لم يثبت له وكتب له وصلا ثانيا[٢]

(١) بالأصل: وصل واحد .

(٢) بالأصل: وصل ثاني .

لعياله بثلاثين أشرفية أخرى أخذها القاضي تاج الدين بن ظهيرة أخو قاضي القضاة الشافعي المتولي الصلاحي بن ظهيرة وقال: هي حصتي وأخي بدر الدين بن ظهيرة في الصدقة الشنيبلية. وكان أعطاه فيها عشرة أشرفية وردّها وأخوه غائب في القاهرة لم يذكره فأخذ كل منهما ما يدّعيه بيده و لم ينكر ذلك عليهم أحد، وعند الله تجتمع الخصوم، فلما رأى ذلك ولده قال لهم: أخبرونا إن كان يحصل لنا شيء وإلاّ قُمتُ من المجلس، فكُتب له حينئذ وإخوانه ولعيالهم وصْل بالذي لهم [٦٢ ب] فقبضه وتوجّه إلى والده فلم يبدِ، و لم يُعِدْ، واستعان بالله تعالى عليهم.

وفي يوم الأحد ثاني تاريخه كملتْ قسْمة الأسماء المكتوبة في الدفتر على العامة وحضر عندهم الخطيب عبد الرحمن النويري بورقة من السيد بركات صاحب مكة وكان توجّه له إلى الوادي وفيها الوصية به وإعطاؤه عادته مثل القضاة، فإنه جعل له خمسة عشر دينارا أقل من النصف هضماً له كولد القاضي ابن ناصر المفصول أيام ولايته فلم يوافقه أحد على مساواته بالقضاة بل خاصمه الكاتب على الصدقة الولوي أبو زرعة المنوفي ووقعت بينهما كلمات استطال بها المخاصم عليه وقام من المجلس صفر اليدين عاري الثدين، وتألّمَ لذلك بعض الناس لهضم مثله، فلا قوة إلاّ بالله.

وفي يوم الإثنين رابع عشر الشهر نودي في شوارع مكة باجتماع الفقراء في حوش الدشيشة بسوق الليل وفي دار الخضر عند الخياطين ليفرق عليهم فضلة الصدقة المظفر شاهية فجمع في المحلين أزيد من ألفيْ نفس كما ذكر فأعطي لكل نصف دينار وزيادة وأكثر من ذلك فضبطِ ما فرق عليهم ألف دينار وزيادة.

وبعد ذلك حمل بقية المال من المدرسة المظفر شاهية إلى أحد أوقافها وهي قاعة قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة بالسويقة. فحرّر الباقي فجاء ألفاً وثمانمائة دينار على ما أشيع وهي: ثلاثمائة دينار لشغل عين حنين وألف

وخمسمائة لمشترى بقية بيت القاضي أبي السعود المشار إليه على ما عيّنه الوكيل بجدة. وذلك غير ما وُفّر من الصرف في كل دينار نصف محلّق وغيره من زيادة الصرف في الذهب. والنقصان في الفضة الحجبية والسليمية للصيارف والمباشرين فتولّد من ذلك مبلغ كبير، وتشوّش كثير من الناس فيما عُيّن له وأطلقوا ألسِنتهم في القاضي المتولي وشاهده الكاتب على الصدقة المذكورة والأمناء عليها وواجهوهم بالإشارة وتوجّه بعضهم إلى الشريف للشكوى فيهم وكاتَبه جماعة من الأكابر في ذلك، فتشوّش الشريف منهم وكتب لبعض الناس أوراقا بالزيادة لهم منهم الزيني بيسق ابن الشيخ عبد الله بن عمر بن بيسق وأخيه الشهابي أحمد والحط على قريبهم شيخ الفراشين النوري علي بن أبي الفتح بن بيسق، وأمر الشريف بأخذ شمع الحرم منه وإعطائه لهم. فامتثل قريبه ذلك ودفعوا إليهم فطاشوا بفعلهم وأنكر ذلك عليهم كثير من الفقهاء والعقلاء بآرائهم حفاظاً لمودتهم.

وفي ليلة الثلاثاء خامس عشر[1] الشهر سافر الأمناء والكتّاب والصيارف على الصدقة المذكورة إلى جدة المعمورة فجاءت إليهم عدة أوراق من الشريف بالصرف لأربابها والوصية بهم فلم يجدوهم فخاط الناس في ذلك وماطوا وكثرتْ القالات فيهم، فلما وصلوا إلى جدة في صباح يوم الأربعاء تالي تاريخه وجدوا بعض المراكب الهندية سافرت وفيها الأمين على الصدقة المظفر شاهية الملك محمد القيلاني، فأرسلوا له زعيمة مع الصيرفي وفيها الدفتر الثاني وأخبروه بالباقي من المبلغ فأمرهم بشراء بقية[دار] القاضي الجمالي[2] أبي السعود بن ظهيرة وشغل عين حنين وكتب لهم خطه بذلك، فالله يَقِيهِ المهالك ويكتب له السلامة، في السفر والإقامة.

وفي ثاني تاريخها وصل إليهم الجمالي محمد بن مدهش كاتب صاحب مكة

(١) بالأصل: عشري، وهو خطأ صوبناه بناء على ما ورد في النص بعد ذلك .
(٢) بالأصل: بشراء القاضي جمالي .

السيد الشريف بركات الحسني وطلب منهم المحاسبة في المال الذي فرّقوه فحسبوه له فما اطلع إلاّ على المبلغ المعين لشراء [٦٣ أ] الدار وشغل العين وأروه خط الوكيل بذلك فطلب منهم الخدمة لنفسه فجُعل له على ما قيل مائة دينار وللشريف أبي نمي ابن السيد بركات ثلاثمائة دينار وللشريف عرار بن عجل مائة دينار ولجماعة[1] من الأشراف مائة أخرى تكملة ستمائة أشرفي. ويقال إنّ ذلك مكتوب في الدفتر وإنه من المخلف تحت يدهم.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر الشهر سافر قاضي القضاة الشافعي الصلاحي ابن ظهيرة إلى وادي أرض خالد للتنزّه والسلام على صاحب مكة السيد بركات، ففوّض الحكم في القضاء إلى ابن أخته القاضي محب الدين محمد ابن القاضي بهاء الدين أحمد بن ظهيرة القرشي الشافعي فباشر الحكم من يومه وهنّأه بعض الناس بذلك، وهو حقيق بها لما هو مشتمل عليه من المحاسن العديدة، والأوصاف الحميدة، كثّر الله من أمثاله، وزاد في أفضاله.

وكان قاضي القضاة الحنفي بديع الزمان بن الضياء توجّه إلى الوادي واجتمع بالشريف وشكا من القاضي الشافعي والأمناء على الصدقة الهندية فيقال: إنّ الشريف تشوّش من القاضي الشافعي وعتب عليه فيما فعل في الصدقة وربما لوّح له يعني ذلك بقبضه وجماعته لأسماء ليس لها وجود وكذا لغيره، فليّنَ له الأمر فمال إلى كلامه ولم يُصغِ لغير ملامه.

وكان الشريف توجّه قبل وصول القاضي إلى هدة بني جابر وكشف على عين الحميرة لأجل إصلاحها وكوْن أهلها جعلوا لها جُعْلا عليها، فالله يُجريها على يديه، ويجعل ثوابها لديْه.

وفي ثلث ليلة السبت تاسع عشر الشهر مات القاضي جمال الدين محمد ابن

(١) بالأصل: لحماية .

الشيخ فخر الدين أبي بكر بن عبد الغني المرشدي الحنفي، وكان وجعه خمسة أشهر بالاستسقاء وانكتم باطنه في آخر الأمر، فجهّز في ليلته وصلّى عليه أخوه قاضي القضاة الحنفي كان يسلم الدين عبد الغني المرشدي عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من الأعيان ودفن بالشعب الأقصى من المعلاة على قبر والديه بالقرب من السيدة خديجة، رضي الله عنها ورحمه. وكان يُذكر بالخير والمروءة والبشاشة والملاءمة....[1] وخلّف ثلاثة ذكور اثنان أشقاء أمّهما موطوءة له حبشية وواحد صغير أمه مطلقة منه وجعل....[2] شيخ المالكية والناظر على رباط المغاربة الشيخ محمد الحطاب المغربي الطرابلسي والشيخ الوصي الشهاب أحمد بن محمد النشيلي الشافعي وهو مريض في منزله، وجعل لأوّلهما النظر وكتب بذلك مستنداً من مدة أشهر، وتشوّش إخوانه لذلك.

وفي ضحى يوم الثلاثاء ثاني عشريْ الشهر مات محتسب مكة الجديد القائد شوفان بن سعيد السحرتي الحسني وعمره نحو سبعين سنة فجهّز في يومه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة – رحمه الله تعالى- وكان مباركا منجمعا عن الناس كارها لولاية الحسبة لذلك لم يباشرها بنفسه واستناب فيها صالح بن....[3] دلاّل الخضر، وعُدّ ذلك من تغفّله وخسة الزمان. ومن الحوادث الدالة على قُرب الساعة ولاية جماعة في هذا العام وفيما بعده [من غير][4] أهلها وهي: ولاية قضاء الشافعية بها للشيخ الواعظ نور الدين بن ناصر وفتح الكعبة الشريفة للنوري علي ابن الشيخ محمد الشيبي نيابة عن عمّه الطيب لوجعه مع وجود [٦٣ ب] عمّه الكبير الشيخ عبد الله، وخطابة الشيخ فتح الله الناسخ الموَلّى عن

(١) بياض بالأصل بمقدار نصف سطر .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٤) كلمتان سقطتا من الأصل أضفناهما ليتّم المعنى .

الخطيب عبد الرحمن النويري لوجعه، ونيابة الحسبة لدلال الخضر المذكور ومن قبله محمد الموّاز، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه أشيع بمكة طلب سلطانها السيد بركات [بن][1] محمد للأمناء على الصدقة المظفر شاهية لكثرة شكوى الناس فيهم من جدة إلى الوادي، فواجهوه بها بحضرة قاضي الشافعية [2] الصلاحي بن ظهيرة وهم الخواجا بدر الدين حسين بن قاوان والشيخ بهاء الدين العجمي والسيد شاه مير الناسخ وشيخ الفراشين نور الدين البيسقي. وكان المجلس له[3] في خطاب الشريف وتعريفه بحالهم، فمال إليه وأقبل بكليته عليه وأعاد له شمع الحرم من أقاربه بيسق وأخيه وكتب له بذلك ورقة عظّمهُ فيها وكتب ببراءتهم مما نُسب إليهم من أكل الصدقة المذكورة وأنّه حاسبهم عنها فقاموا من عنده مجبوري[4] الخاطر بعد أن أشيع عنهم بمكة إشاعات كثيرة من البهدلة وغيرها ولم يصحّ. وكان السبب في الاعتناء بهم مواجهة القاضي الشافعي للشريف وإخباره بحالهم وبراءته لأعراضهم مع أنّ الشريف – نصره الله – طبْعه جبر خاطر من يقصده، ويسمع كلام من يطلبه.

وفي يوم الخميس رابع عشريْ الشهر وصل غالب الجماعة المذكورين لمكة وهم شاكرون من الشريف، داعون لجنابه المنيف.

وفي يوم السبت ثالث تاريخه وصل لمكة قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وقصده الناس للسلام عليه على العادة وبعده تتابع الفقهاء الصيّامين، لأجل صوم رمضان بمكة، ما عدا القاضي أبي البَقَّاء بن ظهيرة وابن أخيه الجمالي محمد

(١) كلمة سقطت من الأصل .
(٢) بالأصل: قاضي الشافعي .
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل .
(٤) بالأصل: مجبورين .

وعيالهم فإنهم توجّهوا إلى المدينة الشريفة لزيارة النبي ﷺ مع جماعة من أهلها في جمعة تاريخه، فالله تعالى يتقبّل منهم ويُيسّر لنا ذلك.

وفي يوم الإثنين ثامن عشريْ الشهر وصل لمكة نائب جدة الأمير حسين بك الرومي فهرع الأعيان للسلام عليه.

وفي يوم الثلاثاء ثاني تاريخه سافر من مكة أتراك الشريف بركات لملاقاته جهة الشرفة لأجل الاجتماع ببعض العرب. وكان وصل إليه في جمعة تاريخه قاصد من القاهرة المحروسة أرسله إليه ولده الشريف ثقبة وصهره الشريف عرار بن عجل وصحبته أوراق وفيها: أن قصدهم التبريز منها في عشريْ شعبان، وكان قصدهم السفر قبل ذلك فبلغهم أن جغيمان شيخ بني لام الذي نهب الحاج الشامي في العام الماضي الخالي مقيم بعقبة أيْلة وأنّ ولده واجه ملك الأمراء نائب الأقطار الحجازية الشامية جان بردي الغزالي فأنعم عليه وطلب مواجهة أبيه فوعده به إلى بعد خروج الحاج الشامي وعودهم سالمين في وجهه، وأنّ جماعة من المصريين قصْدهم السفر صحبتهم قبل الحاج، فالله تعالى يقدّر لهم خيرا.

ووصلت مع القاصد مراسيم للخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة -أعزّه الله تعالى- بولايته لنظر جدة وحسبتها وشاه بندر وغير ذلك من الولايات بها عوض القاضي زين الدين المحتسب الذي توجّه إلى القاهرة وغيره، وكانت عرضتْ هذه الوظائف على المتولي لها وهو بالقاهرة فلم يقبلها، فالله تعالى يؤيده فيها ويعينه عليها.

[٦٤ أ] شهر رمضان المعظم قدّره

استهل بالأربعاء من سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)

في مغرب ليلة الأربعاء طلع إلى جبل أبي قبيس - على العادة - نائب قاضي

القضاة الشافعي وابن أخته القاضي محب الدين محمد بن البهائي أحمد بن ظهيرة القرشي وصحبته الشهود بباب السلام وغيرهم، وتأخّر الفقهاء عنه لعدم طلبهم لذلك كالعادة.

وفي ليلة تاريخه وصل إلى مكة الخواجا الكبير المحترم شرف الدين ابن شيخ الدهشة الحلبي فهرع الناس من الأعيان للسلام عليه، واجتمع به قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة فوجد عنده أخاه القاضي تاج الدين بن ظهيرة فسأله الخواجا في استنابته له في نيابة الحكم بمكة وكان توسّل به في ذلك فتوقف أخوه قليلاً فلازمه وأكد عليه فما أمكنه إلاّ موافقته ففوّض إليه الحكم بحضرة جماعة في المجلس منهم إماما الحنفية السيّدان عفيف الدين عبد الله وشهاب الدين أحمد البخاريان، وأشهدهما بذلك بسؤال الخواجا له فأشهدهما على نفسه بما فوّضه له موافقة فيما سئل فيه.

وفي يوم تاريخه أمر نائب جدة الرومي بالشروع في كتابة دفتر لأسماء أهل مكة لأجل تفرقة الدقيق الواصل إليهم بحراً من القاهرة المحروسة المتفضل به الخنكار سليم شاه ابن عثمان على أمر ملك الأمراء نائب الديار المصرية وهو أربعمائة حمل دقيق، بيع بعضها لأجل حمله من جدة إلى مكة فباشر ذلك بعض الأروام من جهة نائب جدة وشاهدان(١) من جهة القاضي الشافعي وهما العدل ولي الدين أبو زرعة المنوفي والمحبي محمد بن الرضي الحناوي، فبدؤوا في كتابة البيوت الملاصقة للمسجد الحرام ثم بقية حارات مكة على ترتيبها وأثبتوا الأحرار من الفقهاء وأتباعهم والعامة من أهل البلد والغرباء ما عدا التجار، فبلغني أنّ مجموع عدّتهم أربعة عشر[ألف](٢) نفس، واستمرّ ضبطهم إلى أثناء العشر الثالث من شهر رمضان حتى كملوا ذلك.

(١) بالأصل: وشاهدين.
(٢) كلمة سقطت من الأصل أضفناها ليتّم المعنى.

شهر شوال المبارك استهل كاملا في
ليلة الجمعة من سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)

في صباحها صلّى النـاس العيـد في المسجد الحـرام وخطب فيـه الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري خطبة العيد المعتادة باختصار وأداها بفصاحة لكنه توقف في بعضها وانتقد عليه ذلك لعادته.

ولعب عامة مكة أهل المعلاة والمسفلة في حاراتهم، فأهل المسفلة في الصباح بها وأهل المعلاة آخر النهار بسوق الليل كالعادة وحضر بعض كل منهم على الآخرين واختلس أهل المعلاة نقارة صغيرة لأهل المسفلة لكونهم محتاجين إليها ففطن بها عند الأخذ بعضهم فاستردها ممن أخذها فتخلف شيخ أهل المعلاة عن أخذها فقدّر الله تعالى أنه سكر وتوجّه إلى لعبهم في عصر يوم السبت ثاني العيد فطعنه أحمد بن عمر الدلال صهر الكمالي ابن أبي علي وغيره من أهل المعلاة بجنابيهم (١) وطعن هو بعضهم وكان شجاعا واسمه محمد بن حسن الشاعر الشبيكي وأمه كرامة بياعة القهوة فكثر عليه أهل فوق(٢) إلى أن قتلوه. وتعصب له جماعة فكونوا بعض أهل المسفلة وطاح هو ميتاً فحمل إلى بيته فغسل [٦٤ ب] وكفن وصلي عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة وحضر دفنه شخص من أقاربه فقال له:.... (٣) لكونه مخالفا لأهل فوق ففطن به بعض أهل المسفلة فأرادوا قتله عند القبر فصاح والد الميت فقال: يقتل ولدي وابن أخي؟ فقام شيخ أهل المسفلة ومنعهم من قتله فأظهروا الشر والانتقام من أهل المعلاة فبلغ الحاكم

(١) جمع جنبية: وهي نوع من الخناجر .
(٢) ولعله يقصد أهل المعلاة المقابلين لأهل المسفلة .
(٣) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

مبارك بن بدر ذلك فنادى لهم بترك اللعب والكف عن بعضهم حتى يصل الشريف بركات لمكة. فما سمع أهل المسفلة ذلك بل صلوا صلاة العصر في المسجد وتجمعوا أكثر من خمسين رجلاً وتوجّهوا إلى سوق الليل وحضروا لعب أهل فوق فاختفى بعضهم.

ثم في مغرب ثاني تاريخه ضرب محمد بن شهوان الشبيكي شيخ أهل فوق عبد الكريم ابن زردبه بجنبيته في رقبته وكان السبب في أخذ النقارة والاحتراس بهم ويقال انه اختفى في المعلاة عند قبة السيد بركات وما ظهر لما سمع النداء بالأمان لهم وأراد شكايتهم(١) عند الحاكم لما جاؤوه لمحلهم بعد النداء. فلما رأى ذلك هرب ودخل إلى المسجد والناس في صلاة المغرب والضارب له خلفه إلى أن وصل إلى الكعبة وتعصب لكل منهما جماعة وتكلم عليهم بل ضرب(٢) أخو المقتول من أهل المسفلة سياطاً على رجليه وجرس(٣) محمد شهوان الكائن بأمر نائب جدة وفي رقبته الحديد. وطعن في كل من أحد جنبيه الأيمن والأيسر بسكين وجنبيه لينظرهما الناس(٤) فداخل حينئذ أهل المسفلة الوسواس وما أخذوا ثأراً لقتيلهم، فالله تعالى يظفرهم به.

وفي ضحى يوم الأحد ثالث الشهر وصل إلى مكة قاصد من مصر أرسله الشريف ثقبة ابن السيد بركات صاحب مكة واسمه معبر مولد(٥) لأهل الوادي فجاء معه بأوراق للشريف من ولده ثقبة وبأوراق من غيره، وأخبر بأنه خرج من مصر في سادس رمضان وصحبته قاضي المالكية بمكة الزيني عبد الحق النويري الذي توجّه معه

(١) بالأصل: شكيتهم .
(٢) كلمتان مكررتان بالأصل .
(٣) كذا بالأصل .
(٤) كذا وردت الجملة بالأصل .
(٥) كذا وردت الجملة بالأصل .

ورفقته بعض الحاج يقال أزيد من مائة جمل، فسر الناس بذلك ونـادى الحـاكم بمكة بالزينة سبعة أيام واللعب عند بيت الشريف على العادة، وتوجّه القاصد من يومه للشريف بركات جهة الحجاز فلاقاه في الطريق فعاد معه إلى مكة في يوم الثلاثاء خامس الشهر وأقام الشريف بمكة يوماً واحداً وتوجّه في ليلته إلى وادي الدكناء[1] أحد أودية مر لإقامة له وملاقاة ولده.

وفي صبح يوم الإثنين رابع الشهر[اجتمع][2] شاه بندر جدة أحد المقربين لملك الأمراء نائب الديار المصرية الجناب العالي الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة وقاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وقاضي القضاة الحنبلي بديع الزمان ابن الضياء وغيرهم من الأعيان في دار الخضر التي عند الحناطين لأجل تفرقة الدقيق الواصل لمكة في البحر. فاتفق رأيهم على إعطاء كل نفس عشرة أرطال فحرر لذلك مكيال من خشب فكيل به لكل واحد ثم يزنه القبّاني، فأعطوا أهل الدور المطلّة على المسجد ومن يقاربه فتضاعف الدعاء لمرسله لعموم الناس بالخيرات والصلة والمبرات فالله يتقبل منه ذلك.

وفي ظهر يوم الجمعة ثامن الشهر مات أحمد بن محمد الهندي السقّاء بالمدعى أحد المكويين[3] من أهل المعلاة، فصُلّيّ عليه بعد صلاة الجمعة ودفن بالمعلاة، وقال أصحابه: قتيلٌ بقتيل، وأهل المسفلة ما رضوا به.

وفي طلوع الشمس من يوم الأحد ثاني تاريخه وُلِدَتْ ابنتي المباركة، إن شاء الله تعالى، أم عبد الله عائشة والمدعوة ست الجميع وأمها أم الهدى زينب ابنة قاضي المسلمين نور الدين [٦٥ أ] علي بن أبي بكر المرشدي الأنصاري الحنفي وقاست عليها شدة ثم خلّصها الله تعالى يضاعف لها ولي الأجر ويرزقنا الحياة لتربيتها وأختها

(١) بالأصل: الوادي الدكناء .
(٢) سقط فعل الجملة من الأصل، والإصلاح مقترح لأنه المناسب لمعنى الكلام .
(٣) كذا وردت الكلمة بالأصل .

ويعضدهما بذكر صالح يحصل به الخير.

وفي يوم الإثنين حادي عشر الشهر وصلت أوراق من الشريف بركات لقاضي القضاة الشافعي بمكة الصلاحي بن ظهيرة وغيره فيها الإخبار بنُصْرة ولده الشريف أبي نمي على شيخ بني لام عين الشرّ في القرب من المدينة الشريفة لتعديه[1] على أهلها، وقتل مقتلة كبيرة منهم أربعة من مشائخ العرب وسبعة عشر نفسا وهرب عين [2] مغبونا في أربعة عشر فارساً مجرحين بالبندق والنار انتقاما من الله لجيران نبيه المختار، واستولى على جميع حلته وقبض على الذي بها من رجال ونساء وكسب إبلا وشياه كثيرة وثلاثة وعشرين فرساً وثلاثة دروع، وغير ذلك من الأصول والفروع، وأن ولده الشريف ثقبة وصل إلى ودّان ويدخل إلى الوادي في ثالث عشر الشهر. فسر الناس بأخبارهما وتحدثوا بسعدهما، وأمر الحاكم بمكة القائد مبارك بن بدر بزينة الأسواق سبعة أيام، ولعب العيري عند بيت الشريف بأجياد والعرضة كذلك في كل يوم صباحا ومساء .

وفي ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه توجّه محبَ الدين ابن أخي القاضي الشافعي لتهنئة الشريف وملاقاة أولاده في الوادي عوض عمه، لوجعه وانقطاعه في منزله، وتبعه قاضي القضاة الحنفي وابن المالكي الواصل صحبتهم وغير ذلك ممن يتردد لهم رجالا ونساء .

وتهيأ الشريف بركات لعمل سماط كبير لولده ثقبة في الوادي وتوجّه له من مكة كثير من آلات السماط والمباشرين لعمله. فوصل إلى والده في ليلة الأربعاء ثالث عشر الشهر فعمل له سماطا حسنا وحضره القضاة الذين في الوادي، وعادوا في ليلة الخميس ثاني تاريخه إلى مكة وصحبتهم القاضي المالكي الزيني عبد الحق النويري

(١) وردت الكلمة غير واضحة بالأصل .
(٢) وردت الكلمة غير واضحة بالأصل .

الواصل صحبة ابن الشريف من القاهرة، فقصده الناس للسلام عليه فصار يظهر لهم عظمة نفسه وما حصل له مع ابن الشريف، خِفّةً منه على عادته.

وفي مغرب ليلة الجمعة خامس عشر الشهر وصل الشريف أبو نمي من الشرق[1] ظافرا على أعدائه، ونزل بستان نائب جدة جان بلك في جهة الأبطح فأقام به إلى الصباح.

ووصل في أثناء الليل والده السيد بركات إلى مكة وصحبته ولده الشريف ثقبة وبقية العسكر لأجل الخلع والمراسيم الواصلة له من القاهرة. فلما صلّى الناس صبح الجمعة تهيأ الشريف أبو نمي لدخول مكة فهيأ خيله ورجله وأرسل إلى والده يخبره بذلك، فخرج إليه ورفقته عسكره ونائب جدة الأمير حسين بك الرومي والخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة شاه بندر جدة وغيرهم من عربان مكة وأهلها فلاقوه عند بستان بيرم خجا بالقرب من تربة المعلاة فسلموا عليه ومشوا معه إلى تربة جده السيد محمد بن بركات فدخلوا إلى عند قُبّته فنزلوا عن خيلهم فلبس الشريف أبو نمي خلعة أمير مكة [على][2] العادة وأخوه ثقبة خلعة النائب الثانية والشريف عرار بن عجل خلعة لصحبته الشريف ثقبة من القاهرة وكونه قاصد صاحب مكة وأمير جده خلعه وقاضي مكة المالكي خلعة قفطان وولده خلعة قفطان حمراء لطلب والده ذلك له من القاهرة لكونه توجّه صحبة ابن الشريف إليها فلم يطلع هو وولده فيها، وترك الشريف بركات لبس الخلعة هناك ومشى أمام العرضة قُدّام أولاده [٦٥ ب] مع جملة العسكر. فكانت العرضة عظيمة لاجتماع العسكر فيها والطبول والنفط ونشور الجيوش وآلة الحرب من السيوف والدرق والرماح وغير ذلك من الكسب. وابتهج الناس برؤيتها وسُرّوا ببهجتها. فلما وصلت العرضة

(١) بالأصل: الشريف أبو نمي صاحب من الشرق .
(٢) كلمة سقطت من الأصل أضيفت لتمام المعنى .

إلى باب السلام ترجل الشريف وأولاده وجميع الأكابر ودخلوا منه إلى المسجد الحرام وتوجّهوا إلى الحطيم لقراءة المراسيم.

فقرئ به للشريف ثلاثة مراسيم ولولده الشريف أبي نمي مثلها ولنائب جدة واحد وللقضاة الثلاثة، خلا الحنبلي، ثلاثة.

وفي مراسيم الشريف وولده إخبارهما بوصول الشريف ثقبة إلى القاهرة وإكرامهم له بملاقاة العسكر من خارج البلد صحبة الأمراء المقدمين من الأروام وغيرهم منهم الأمير فرحات والأمير موسى فرأوا الأمير خير الدين نائب القلعة وطلعوا صحبته إليها فواجهوا بها ملك الأمراء نائب الديار المصرية فأكرمه وعظمه وخلع عليه مع الواصلين صحبته وأنعم عليهم بالهدايا المرضية والخلع السنية.

وفوض إلى الشريف أبي نمي إمرة مكة لسؤال والده في ذلك وأشرك معه أخاه ثقبة في لبس الخلعة الثانية وأعفى الشريف من لبس الخلعة عند وصول أمراء الحاج، وعوّلوا في الأمر عليه مع إكرامه[1] والتودد له وتوصية ولده بالرعية والعدل فيهم، والرضا عن نائب جدة واجتماع كلمتهما لئلا يطمع فيهما العدو والمخذول. والإرسال إلى صاحب عدن في الاحتراز من إسكندر صاحب زبيد وإخباره بأن الخلعة التي لبسها من نائب جدة ليست من الخنكار وإنما لبسها من عنده وإن كان طائعاً يدوس البساط ويحصل الرضا عنه. والاحتراز من الفرنج، وأخذ العشور من الهندي الذي دخل عدن على العادة من زمن الأشرف قايتباي ولا يسامح أحدا[2] من التجار إلاّ بمرسوم ويترك الجلاب التي عملها الغوري. وولاية المدينة الشريفة والينبوع لمن يصلح لهما فإن أهل المدينة شكوا من أميرها باز بن قتارس بن شامان وأمه الشريفة خزيمة أخت الشريف بركات وغير ذلك من إزالة الضرورات.

(١) بالأصل: الكرمية، والإصلاح مقترح .
(٢) بالأصل: أحد .

واختصر القارئ من قراءة بعض المراسيم عند ذكر شكوى أهل المدينة من أميرها باز، وكان حاضر القراءة مع خاله الشريف بركات، فإنه كان مع ولده الشريف أبي نمي في الغزو.

وفي مرسوم نائب جدة غالب ما في مراسيم الشريف والتأكيد عليه في مصالحة الشريف واجتماع كلمتهما لئلا يطمع فيهما الأخصام.

وفي مرسوم القاضي الشافعي الإخبار بولايته لسؤال السيد بركات، وأنّ الشريف عرار يشافهه بما شافهوه به واختصر في قراءته بعدها ولم يقرأ لأحد من المراسيم تواريخ، وكذا مرسوما[1] القاضيين بديع الزمان بن الضياء والمالكي الزيني عبد الحق النويري الذي وصل صحبة الشريف ثقبة من القاهرة وفيهما استمرارهما على وظيفتهما، والإخبار بوصول المالكي صحبة ابن الشريف وإكرامهم له .

ورأيت، في أوراق بعض المكيين الذين بالقاهرة أن ملك الأمراء كان عزم على عزله لشكوى، الناس منه، وسعى أقضى القضاة محي الدين عبد القادر ابن قاضي القضاة الجلالي أبو السعادات الأنصاري المالكي في الوظيفة لوالده، فلما وصل مع ابن الشريف بطّل ذلك مراعاة له، وإذا سافر معه يعزل في الموسم، فالله يحقق ذلك ويريح المسلمين من أحكامه وأحكام ولده.

[٦٦ أ] وبعد الفراغ من قراءة المراسيم بالحطيم لبس السيد بركات وقاضي القضاة الشافعي كل واحد خلعة[2] فعلى أولهما خلعة جوخ حمراء مبطنة بفرو سنجاب عالٍ من خواص ملبوس ملك الأمراء بالديار المصرية، وعلى ثانيهما خلعة صوف أصفر. ثم طاف الشريف أبو نمي أسبوعا وتوجّه إلى منزله ووالده قبله والقاضي الشافعي إلى محله بزيادة دار الندوة ومشى الفقهاء معه، ثم لحق الشريف

(١) بالأصل: مرسومي .
(٢) بالأصل: حفلة .

أبو نمي بعد مشي بعض الفقهاء مع المالكي إلى محل منزله بباب البغلة[1]. فلما وصل الشريف إلى منزله قلع خلعته وألبسها لنائب قاضي القضاة الشافعي وابن أخيه القاضي محب الدين أحمد بن القاضي بهاء الدين بن ظهيرة بيده بحضرة القاضي الشافعي المفصول نور الدين علي بن ناصر. فظهر الغيظ في وجهه، لكن ماذا يفعل الضعيف مع القوي. ومشى غالب الفقهاء أمام نائب الشافعي إلى منزل عمه بالسويقة وهنؤوه بها.

وعمل القاضي الشافعي للشريف مَدّة لطيفة في منزله بأجياد وسافر الشريف أبو نمي إلى الوادي في عصر تاريخه وامتدحه كثير من الشعراء بعدة قصائد قُدّمت لوالده لتهنئته بنصر ولده الكبير وقدوم ولده الصغير، حفظهما الله تعالى وأبقاه للمسلمين بجاه جده سيد المرسلين.

وفي ليلة الخميس حادي عشرى الشهر زُفّ ولد للجمالي محمد ابن الفقيه عبد المعطي بن حسان وكيل الشرع الشريف لأجل طهارة من الصفا إلى سكن والده بالفلق بشموع الحرم ومفرعاته، ومشى معه خلق من الفقهاء والعامة.

وفي ليلة السبت ثالث تاريخه عمل شراعا حضره بعض الفقهاء والتجار منهم قاضي القضاة الحنفي والحنبلي وألصقوا دراهم[2] مجموعها قريب الخمسين كما أشيع. وفي صباحها ختن الولد هداه الله تعالى.

وفي ليلة الأحد رابع عشريْ الشهر عمل مولد شريف في منزل القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخنا قاضي القضاة بالحرمين الشريفين نجم الدين محمد بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكي حضره قاضيا القضاة الشافعي والحنفي وكثير من الفقهاء والتجار وغيرهم لأجل طهارة المحيوي عبد القادر ابن أخيه القاضي

(١) باب البغلة هو أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية، وهو الذي ذكره الأزرقي باسم باب بني سفيان، قال عنه الفاسي « ولم أدر ما سبب هذه التسمية والشهرة » الفاسي: شفاء الغرام ١: ٣٨٢ .
(٢) بالأصل: دراهما .

جمال الدين محمد وابنيْ أختيه أم الحسين وكمالية، أولهما من الخواجا الوفائي، والثاني من الخواجا النحربادي[١] وكل منهم مات والده، ومَدّ سماط حلوى وفتوت[٢] بعد تقدمة سحوى[٣] بُنّ ومُسَكّر.

وألصق الحاضرون له نحو مائة دينار وتفصيلها: من قاضي القضاة الشافعي عشرة، ومن شاه بندر جدة الخواجا شرف الدين بن شيخ الدهشة عشرة مثلها، ومن إبراهيم ابن الشيخ علي خمسة، ومن عشرة من التجار عشرين، ومن خمسة تجار خمسة، ومن القاضي فائز أربعة، ومن أخويه أمين الدين ثلاثة وجلال الدين ثلاثة ومن ابن أخي القاضي الشافعي ثلاثة ومن أخيه التاجي ثلاثة ومن المحيوي العراقي ثلاثة، ومن كاتبه واحد. وبعد المجلس أعطى القاضي الحنفي خمسة وأخوه اثنين وإماما الحنفية أربعة ومن يحيى بن فضيضة خمسة. ولما فرغ المولد طهر الأولاد الثلاثة مع صبي وعبد لهم.

[٦٦ ب] وفي صباحها ظهرت أخت الولد الأول ومعها مولديات، وعُمل طعام للنساء والرجال من أهل البيت حدابه[٤] ومأمونية ولبن مخردل، فالله تعالى يخلف عليهم بخير ويجعله مباركا.

وفي صباح تاريخه قُسّم الدقيق الفاضل من القسمة على الأعيان من القضاة وأرباب الوظائف بالمسجد الحرام وغيرهم من المشائخ والمعتقدين فجعل لكل قاض مائتا رطل وللقاضي الشافعي أربعمائة ويقال زيدَ للشافعي، ولكل مقام مثل ذلك، وجعل الناس من مائة رطل وأقل من ذلك. وكان المتصدي لتفرقتها الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة مع البشاشة والكرامة والمحبة للمستحقين، جزاه الله

(١) ورد الاسم بالأصل غير معجم .
(٢) الفتوت: ثريد من خبز مفتوت كالسويق، الزبيدي: تاج العروس ١: ٥٦٧ .
(٣) كذا وردت الكلمة بالأصل .
(٤) كذا وردت الكلمة بالأصل .

خيرا وكثّر من أمثاله.

وفي صبح يوم الخميس ثامن عشريْ الشهر ماتت القائدة أم الكمال ابنة مفتاح المغربي الحبشي الشريفي الحسني أخت ملحم المؤاخي مع بني إبراهيم، زوجة القاضي المالكي الزيني عبد الحق النويري، وكان تزوج بها سرا خلافا لقاعدة مذهبه ولم يسمع بذلك غالب أهل مكة إلّا بعد موتها منهم كاتبه، فجهّزت في ضحى يومها وصلي عليها عند باب الكعبة ودفنت بالمعلاة، وأخذ العزاء فيها الحاكم مبارك بن بدر لقرابته لها ولكونه تزوج بها أول أمرها. وخلّفتْ بنتاً وأملاكاً بالوادي وغيره، وختم لها بالمعلاة، رحمها الله تعالى وعفا عنها.

وفي هذه الجمعة تكلم الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن عراق - نُفع به - مع ولاة الأمر كالقاضي الشافعي والحاكم بمكة من جهة الشريف ونائب جدة الرومي في النداء للناس بعدم التوجّه إلى منى لأجل السبت في أول جمعة من شهر القعدة الآتي لإزالة البدعة من اجتماع الرجال والنساء وغير ذلك من المنكرات التي تحدث بها وبمسجد الخيف، فنودي بذلك في شوارع مكة، فأخذت الحمية بعض أهل الجاهلية وتكلموا مع القائد في التوجّه إليها لأجل العادة وأنهم لا يحدثون شيئاً من المنكرات، فتكلم مع الشيخ في ذلك ووافقه عليه، فيما سَمِعتُ.

وفي ليلة السبت سلخ الشهر طلع نائب القاضي الشافعي مع الشهود إلى جبل أبي قبيس لرؤية الهلال على العادة فلم يروه.

وتوجّه في صباح تاريخه إلى منى جميع التجّار من الحلبيين والشاميين رفقة شاه بندر جدة الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة لأجل النزهة وشركتهم[١].

وحصل مطر بمكة ومنى وتباشر الناس به لحاجتهم إليه في منى لأن آبارها قليلة الماء والصهاريج التي بها يُحتاج إلى ملئها في هذه الأيام، وبلغت الراوية إلى

(١) كذا بالأصل .

محلقين، فالله تعالى يرخّص أسعار المسلمين، بجاه سيد الأولين والآخرين.

شهر ذي القعدة الحرام المبارك استهل كاملاً بالأحد سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)

ورآه بعض أهل الآفاق بالسبت. وفي صباحه توجّه كثير من الفقهاء للسلام على القاضي الشافعي بالشهر في منزله لتوعّكه.

وفي ظهر يوم الخميس خامس الشهر، على رؤية مكة، وُلد الولد المبارك شهاب الدين أحمد ويُدعى عبد الله ابن الفقيه العالم الأديب فخر الدين أبي بكر ابن قاضي المسلمين نور الدين علي بن أبي بكر المرشدي الأنصاري الحنفي، وأمه ستيت ابنة الشيخ زين الدين عبد الواحد بن إبراهيم بن عبد الواحد المرشدي، أنشأه الله تعالى وجعله مباركاً على والديه آمين.

[٦٧ أ] وفي صباح تاريخه تكلم مفخر التجار وشاه بندر جدة الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة الحلبي على قاضي مكة المالكي من جهة حكم ولده على الفقيه عمر الغمري للخواجا عباس وأنه باطل، وقد استفتى علماء المالكية عنه فأجابوا ببطلانه وسأله في نقضه فامتنع من ذلك وتهدده بالكلام وعرْض القضية على ملك الأمراء نائب الديار المصرية وأن ولده ارتشى فيها مائة دينار على إبقاء الحكم لجهله وجرأته وعدم معرفته، فالله تعالى ينتقم منهما بعدله ويجازي كلا منهما على فعله.

وفي يوم الإثنين تاسع الشهر وصلت قافلة المدينة الشريفة وفيها فاتح الكعبة الشيخ عفيف الدين عبد الله ابن الشيخ سراج الدين عمر الشيبي الحجبي المكي والقاضي الرئيس جلال الدين أبو البقاء محمد ابن القاضي عفيف الدين عبد الله ابن أقضى القضاة الكمالي أبي الفضل بن ظهيرة القرشي المكي وابن أخيه القاضي

جمال الدين محمد بن أبي الفضل ووالدة أولهما وعياله، فتوجّه الناس لتهنئتهم في منازلهم، تقبل الله زيارتهم وأخلف نفقتهم.

وفي يوم الخميس ثاني عشر الشهر نقض قاضي القضاة الحنبلي محي الدين بن ظهيرة القرشي حكم النوري علي ابن القاضي المكي الزيني عبد الحق النويري الذي حكمه للخواجا عباس تاجر السلطان علي الفقيه عمر التاجر لبطلانه في مذهبه وعدم موافقته لعدم غيره وذلك لجهله وإقدامه وتناوله الرشوة لأجل مرامه. وذكر أنه أخذ عليه مائة دينار، ونفذ على القاضي الحنفي بديع الزمان بن الضياء بخمسة وعشرين، وأخذ الوكيل الجمالي محمد بن حسان مثلهما والشاهدان[1] الجمالي محمد الصيرفي المصري والشرفي يحيى بن إدريس نحو الأربعين، ومات الشاهدان واختفى الخواجا عباس بعد ذلك لتكلم شاه بندر جدة الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة عليه وتهديده، فانزعج المالكي لذلك وكثر عليه الإشلاء وعلى ولده، فالله تعالى يطهّر مكة منهم ويريح المسلمين من أحكامهما.

وفي ليلة السبت رابع عشر الشهر مات القاضي مصطفى الرومي، وكان مباركا كثير العبادة والانجماع عن الناس، ومساعدة من يقصده في تفرقة الصدقة الرومية، وكثر الثناء عليه لذلك، فجهّز في ليلته وصلي عليه بعد صلاة الصبح ودفن بالمعلاة، رحمه الله، وخلف ولدا كبيرا بمكة وآخر ببلده ونقدا مع كونه كان يسكن رباط الأشرف قايتباي وذلك لعزوبته وإظهار قلة ما بيده، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وفي ثاني تاريخه نادى الحاكم بمكة القائد مبارك بن بدر بصرف المساعيد[2]

(١) بالأصل: الشاهدين .

(٢) هي الدراهم المسعودية، نسبة إلى الملك المسعود يوسف ابن الملك الكامل محمد الأيوبي، ملك اليمن في بداية القرن السابع الهجري، انظر أهم المصادر التي ذكرت الدراهم المسعودية في ما كتبه د/ ضيف الله الزهراني في كتابه أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال الفترة ٦٤٨ هـ – ٩٢٣ هـ، ص ١٠٦ هامش٢٨، ص ١٠٨ هامش ٣٦، وهذا النص الذي أورده جار الله بن فهد يضيف معلومات جديدة عن أسعار صرف المساعيد بعد مقارنته بغيره من النصوص التي اعتمدها البحث المذكور سابقا .

كل محلق باثنين وثلثين بزيادة نصف صرفه المعتاد وذلك لزغل[١] المساعيد بالنحاس وكثرتها ممن لا يُعرف فاعله. فانحصر الفاعلون لذلك وتوقفوا في إخراجها بالأسواق، فقل وجودها وتشوش الناس لذلك وتكلموا مع الحاكم في بطلان ما نادى به، فلم يجبهم لغرضهم، فاستمر التوقف مدة ثم ظهرت المساعيد وهي الآن وزن المساعيد قدْر المحلق المصروف بها فخف الأمر في زيادتها، فالله تعالى يلهم الحكام لشريعة سيد الأنام.

وفي ليلة الثلاثاء رابع عشريْ الشهر وصل الشريف أبو نمي ابن السيد بركات صاحب مكة من عند والده بالوادي، فهرع الأعيان للسلام عليه في صباح تاريخه ونادى بالعرضة لأهل مكة [٦٧ ب] وجدة والأودية التي حوالي مكة فعرض أهل مكة في عصر يومهم.

وفي مغرب ليلة الأربعاء ثاني تاريخه وصل قاصد من أهل ينبع من عند صاحبها يخبر عن الحاج على العادة وجاءت معه أوراق من بعض المكيين الواصلين رفقة الحاج، وفيها أن الحاج كبير وفيه جملة من الأعيان.

ووصل من أهل مكة: القاضي محي الدين عبد القادر المالكي من غير وظيفة لوالده لتوعكه ومعارضة بعض أرباب الدولة له بسبب جاء خصمه بمرافقة ولد الشريف لما وصل صحْبته إلى القاهرة، فالله تعالى يخذله ويأخذه من مأمنه، وعديله المحبي ابن الشيخ أيوب والجمالي أبو السعود القرشي والقاضي بدر الدين بن ظهيرة الشافعي ومعه مرسوم بالنيابة عن أخيه بمكة وجدة والزيني عبد الواحد ابن الشيخ محمد الشيبي. وأن الشيخ برهان الدين البصري وصل من الروم إلى القاهرة وصحبته مرسوم بولاية قضاء الشافعية بمكة، فعارضه ملك الأمراء نائب الديار المصرية ومنعه من التوجّه إلى مكة، وقرر له خمسين دينارا نصف صرة الشيخ أبي الفتح بن مظفر

(١) الزغل: الغشّ.

ونصفها لولده حتى سكت.

ووصل صحبة الأمير جانم الحمزاوي[١] في تاسع عشريْ رمضان ووصل معه الشهابي أحمد الحويزي ومعه مرسوم لقريبه أبي السعادات ابن الشيخ زايد الشاهد بولاية خطابة المسجد الحرام وإمضاء ما كان بيده وعدم معارضته فإن الشريف بركات كان منعه من المباشرة في السنتين قبل تاريخه وأنه استناب إمام الشافعية أمين الدين أبا[٢] اليمن الطبري فإن لم يرض فيكون عوضه الشيخ شهاب الدين الزبيدي الشافعي، وأن الصر جميعه حمل على حكم السنة التي قبل تاريخه، والرومية حملت عن سنة واحدة ذهب سليمي.

وفي صباح تاريخه شُمرت ثياب الكعبة الشريفة على العادة ويقال أحرمتْ. وتكلم الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن عراق - نفع الله به - مع فاتحها الشيخ عبد الله الشيبي في إبقاء الثوب على حاله ليكون أستر لها وأوقع في قلوب العامة لحرمتها، فلم يوافق على ذلك، فالله تعالى يلهم المسلمين لإزالة البدع، ويكفينا كل أمر مبتدَع.

وفي ظهر تاريخه مات جلال الدين محمد ابن الشيخ بدر الدين بن نقيشة[٣] وكيل الشرع الشريف هو ووالده ثم العطار، فجهّز في يومه وصُلي عليه في المسجد الحرام ودفن بالمعلاة، وخلّف أولادا جملة، وكان مرض زمانا طويلاً بالحَبّ الفرنجي بحيث أكل وجهه وتعطلت حركته، فالله تعالى يرحمه ويعفو عنه.

وفي مغرب ليلة الخميس سادس عشريْ الشهر وصل جماعة من الحاج ثم

(١) ورد هذا العلم مراراً في نص الكتاب " حاتم الحمراوي " وهو خطأ أصلحناه اعتمادا على ما أورده المؤرخون المعاصرون له ومنهم ابن إياس في بدائع الزهور حيث ذكره باسم " جانم الحمزاوي " انظر فهارس بدائع الزهور ١: ٤٨٢-٤٨٣؛ وكذلك الجزيري في الدرر الفرائد ص ٨١٥ وغيرها.
(٢) بالأصل: أبو.
(٣) كذا ورد العلم بالأصل.

تتابعوا في صباح تاريخه ووصل الشريف بركات في ليلة تاريخه وهرع الناس للسلام عليه وتخلف الشافعي لتوعكه فتوجّه الشريف لزيارته في عصر تاريخه فجابذه بالكلام والمساعدة في المزاح.

وفي صبح تاريخه عرض أهل مكة وجدة والأودية عرضة هائلة في أسفل مكة بدرب اليمن وتوجّهوا إلى بيت الشريف فشاهدهم ببدره المعظم المنيف.

وفي ظهر يوم الجمعة ثاني تاريخه انجرّ جميع الحاج إلى مكة وتتابعوا إلى صباح ثانيه.... [١]، ودخل مكة الأمير بكباي اليزبكي، وهو متولي مشيخة الحرم النبوي، وتقدم الحاج معه في [٦٨ أ] ركب ثان لكثرته، فتوجّه الناس للسلام عليه.

وفي ليلة الخميس ثامن عشريْ الشهر ماتت عائشة ابنة الشيخ عفيف الدين عبد الله الشيبي فاتح الكعبة الشريفة زوجة الجمالي محمد ابن الشيخ عبد الكبير الحضرمي فجهّزت في ليلتها، وصلّي عليها بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة وشيّعها خلق من الأعيان، ودفنت بالمعلاة بالتربة التي استحدثها والدها[٢] بالشعب الأقصى، رحمها الله تعالى، وهي شابة في العُمُر.

وفي صبح تاريخه برز صاحب مكة الشريف أبو نمي ووالده السيد بركات وجميع العسكر وأهل مكة وجدة وعرب الأودية للعرضة لأمير الحاج أحد المقدمين الأمير جانم الأشرفي كاشف الفيوم فواجهوه في الزاهر على العادة، فخلع على الشريف أبي نمي خلعة البلاد المعتادة، وعلى أخيه السيد ثقبة الخلعة الثانية وعلى ابن أحدهما خلعة خضراء وعلى نائب جدة وشاه بندرها، ولبس القاضي المالكي الزيني عبد الحق النويري خلعة حمراء وهي خلاف ملبوس القضاة ولا يُعلم هل هي تحقيقا من الأمير أو جلبها من عنده ليُظهر أنه مقرب لأمير الحاج والشريف، والله أعلم.

(١) بالأصل: ثاني .
(٢) بالأصل: والده .

ولبس قاضي المحمل العلامة فتح الدين أبو الفتح محمد بن أحمد الوفائي المالكي خلعة بطرْحة على العادة ومشى أمام المحمل، فكانت العرضة عظيمة لكثرة الناس والخيول المسوّمة الحشيمة.

وفي ضحى تاريخه بعد العرضة ركب قاضي القضاة وهو مريض وواجه أمير الحاج في منزله بالمدرسة الأشرفية القايتبائية فسلّم عليه وألبسه خلعة قفطان حرير خلاف عادة القضاة. وتوجّه إلى منزله فتتابع الفقهاء لتهنئته، وبرز الشريف بركات إلى خارج مكة جهة اليمن لإبعاده عن الحاج.

وفي يوم الأحد ثاني تاريخه فُرّقت الصر في المدرسة المظفرية فابتهج بها أهلها وسُرَّ القابضون لها. وفي صبح تاريخه فرقت غالب البيوت على أهلها.

وفي ظهره[١] ماتت ابنة شقيقتي الكبرى أم هاني سعادة المسماة كمالية ابنة السراجي عمر ابن الشيخ جمال الدين محمد بن عمر الرضي المكي وعمرها نحو ثمانية أشهر، وكانت في غالب هذه المدة مريضة، وكذا والدتها، عافاها الله تعالى ولطف بها آمين.

وفي عصر تاريخه طلع إلى جبل أبي قبيس لرؤية الهلال نائب القاضي الشافعي وابن أخيه القاضي محب الدين محمد[٢] ابن القاضي بهاء الدين أحمد بن ظهيرة القرشي الشافعي ومعه شهود باب السلام وبعض جماعة من الفقهاء، فلم يروه وكان الجو صاحيا.

وفي ليلة الإثنين ثاني تاريخه اجتمع الشيخ العلامة الصالح خاتمة السلف وبقية الخلف نور الدين علي ابن....[٣] الشوني ثم القاهري الشافعي – نفع الله به، وكتب سلامته – وجماعة من فقرائه وغيره أمام الرواق الشمالي من المسجد الحرام، بالقرب

(١) بالأصل: وفي ظهر .
(٢) كذا بالأصل. وقد ورد اسمه مراراً محب الدين أحمد بن ظهيرة. انظر مثلاً ص ٢٩٧ .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

من مقام الحنفية فأحيوا ليلتهم من العشاء إلى الصباح بالصلاة على النبي ﷺ كعادته بالقاهرة. فكانت صورة صلاتهم في أول الليل" اللهم صل على حبيبنا محمد وعلى آل محمد كما صليت [٦٨ ب] على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، عدد خلقك ورضا نفسك ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون". وفي الثلث الأخير من الليل صورتها.... [1].

فصلّيت معهم في أول الليل كثيراً وحصل لي وللحاضرين أنس عظيم[2]، فالله ينفعنا بذلك، ويعيد البركة لكل قاطن وسالك، انه بالإجابة جدير، وعلى ما يشاء قدير.

شهر ذي الحجة الحرام استهل كاملا بالثلاثاء
من سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)

في صباحه [3] توجّه الشريف أبو نمي ابن السيد بركات الحسني صاحب مكة وأخوه الشريف للسلام على أمير الحاج المصري أحد المقدمين جانم الأشرفي [كاشف][4] الفيوم، فاجتمع عنده القضاة الأربعة وقُرئت مراسيم الشريف وغيرها على العادة، وخلع الأمير على الشريفين والقاضي الشافعي ونائب جدة وتكلم قاضي المحمل الشيخ العلامة فتح الدين أبو الفتح محمد بن أحمد الوفائي[5] المالكي في الوقوف بعرفة مرتين للاحتياط من جهة رؤية الهلال في الأول قبل تاريخه، فقال له بعض الشافعية:

(١) سقط الدعاء من النص، وبيّض الناسخ له سطرين ونصفا .
(٢) بالأصل: أنسا عظيما .
(٣) بالأصل: في صباحها .
(٤) كلمة سقطت من الأصل .
(٥) بياض بمقدار كلمتين، أكملناهما من ورود اسمه كاملاً في الصفحة السابقة .

العبرة عندنا برؤية مكة، فلازم في ذلك لأجل مذهبه فقال له القاضي الشافعي: الرؤية ليس فيها خلاف، وانفضّ المجلس على ذلك وركب الشريفان[1] إلى محلهما، والقاضي الشافعي إلى منزله لوجعه ودخل نائب جدة الرومي المسجد الحرام وهو لابس خلعته فخلعها في أثناء الطريق لزهده فيها وتوجّه الفقهاء للسلام على القاضي الشافعي في منزله لتهنئته بالخلعة على العادة.

وفي صبح يوم الأربعاء ثاني تاريخه وصل جماعة، على ما يقال، سبق من الحاج الشامي، ففرح الناس بهم وسُرّوا بقدومهم وأُلبست الكعبة الشريفة ثوبها الجديد على الثوب العتيق قبل وقت لُبْسها المعتاد، وذلك بإشارة شيخ السدنة وفاتحها الجديد الشيخ عفيف الدين عبد الله ابن الشيخ عمر الشيبي، وقال كانت هذه عادتها القديمة من زمن والده، فخاض الناس في ذلك وماطوا.

وفي يوم تاريخه طلع سعر الحب بزيادة نصف محلق وكذا اللحم والماء، فبيعت الربعية الحب المصرية بمحلقين ونصف والنخلية[2] بثلاثة والرطل اللحم[3] بمحلقين ونصف والراوية الماء بأربعة محلقة والسمن بثمانية محلقة بزيادة محلق.

وفي ظهر تاريخه.... [4] أن بعض الأروام جاء يسُلّم إلى قبة مقام الحنفية وأمر المكبرين لإمامهم بالطلوع عليه والتكبير للصلاة فوقه [5]، فأنكر ذلك الشيخ المعتقد نور الدين علي ابن شيخ الشيوخ العارف بالله سيدي محمد بن عراق- نفع الله به وبابنه – وكان في المسجد فوقع بينه وبين بعض الأروام كلام فتركه وتوجّه إلى

(١) بالأصل: الشريفين .
(٢) النخلية هي ما نُخِل من الحب بعد رحيه .
(٣) كلمتان تكررتا بالأصل .
(٤) كلمة سقطت من الأصل .
(٥) بالأصل: فوق .

والده[1] في منزله وأخبره بذلك، فأرسل والده إلى الخواجا شرف الدين الحلبي شاه بندر جدة يقول له: هذه بدعة وكذا صلاتهم في الحجر، وتضرر [٦٩ أ] الطائفون بذلك، وأمره بالتوجّه إلى أمير الحاج وإخباره بذلك، فتوجّه إلى الأمير وأخبره بقول الشيخ، فأرسل الأمير نائب جدة الرومي وقال له ذلك، فأمر أئمة الحنفية بالصلاة في مقامهم فقال بعض الأروام: يتأخر الأروام بتأخر الشافعية كذلك[2]، فتأخر كل من الشافعية والحنفية في صلاة العصر إلى مقاماتهم، فحصل بذلك النفع للطائفين وسكّنتْ المتعصبين، فالله تعالى يصلح المفسدين، ويزيل بدع المفسدين.

وفي يوم الخميس ثالث الشهر فُرّقت الذخيرة الشريفة على أربابها في المدرسة الأشرفية سكن أمير الحاج المصري، وكان قبْضها هنيا، كل أشرفي بأربعة وعشرين محلقا ويأخذ الخازندار نصف محلق كل أشرفي، واستمر قبضها نحو ثلاثة أيام.

وفي ليلة الجمعة ثاني تاريخه وصل إلى مكة أول الحاج الشامي واستمروا ينجرّون ليلتهم ويومهم مع كثرتهم، ونزل غالبهم وبعضهم دخل البلد وتحرك البيع والشراء في البهار والقماش بعد أن كان البيع جامدا[3] ودخل مكة أميرهم المقر الكريم العالي السيفي جان بلاط بن عبد الله الجاركسي نائب السلطنة الشريفة بغزة المحروسة ودوادار المقر الكافلي جان بردي الغزالي كافل المملكة الشامية كان وأمير الركب الشامي في سنة خمس وعشرين أيضاً. فطاف وسعى نصف الليل وعاد إلى الزاهر كعادته فخرج للقائه الشريف أبو نمي وأخوه ثقبة فخلع عليهما خلعة ودخلوا من الحجون بعرضة حسنة ولاقاهم بالمعلاة السيد الشريف بركات والد الرئيس أبي نمي وثقبة وأمير الحاج المصري وأمير جدة حسين بك، فسلم الشريف بركات عليه أمام قبة والده ثم عاد إلى منزله.

(١) بالأصل: والد .
(٢) بالأصل: بذلك .
(٣) بالأصل: جامد .

وتوجّه أمير الحاج إلى الأبطح للسلام عليه بعد أن وقف في الجبل المنسوب لعبد الله بن عمر ﷺ بالمعلاة ورمى مدافع النفط المزعجة لِيُرِيَه قوته. فعاد الشريفان[1] أبو نمي وثقبة إلى منزلهما بعد إيصاله إلى محطته بالأبطح ومعهما عسكرهما فرسانا ورجلانا.

وفي ضحى يوم الأحد سادس الشهر فرقت الصرر الشامية على يد حاملها السيفي علي بالي دوادار أمير الحاج الشامي في زيادة دار الندوة من المسجد الحرام بمصلّى القاضي الشافعي بحضرة نائبه ابن أخيه[2] محب الدين أحمد بن ظهيرة وهي في صُرَر، فانبسط الفقهاء بها وانشرحوا بقبضها.

وفي ظهر تاريخه تكلم جماعة من أهل الأربطة مع صاحب البلاد الحجازية السيد بركات بن محمد الحسني في الصرف لهم من الصدقة الرومية لضيق الوقت عليهم، فأرسل معهم جماعة إلى الأمين على صرف الصدقة الرومية بالصرف لهم على يد مشائخهم، فإن بعضهم صُرف له بعد تعب كبير ومُنع كثير منهم لغيبته عن خلوته، ففرح الفقراء بذلك ودعوا للسلطان والآمر له.

وفي يوم الإثنين ثاني تاريخه فُرّق الصر الحكمي والمستجد المحمول من شافعي مصر على يد أمير الحاج المحمل وسلّمه الشافعي بمكة، فأمر بتفرقته في قبة الفراشين بحضرة نائبه القاضي محب الدين لوجع عمّه، ففُرّق على حكم الربع أزْيد من السنة التي قبل تاريخه بقليل، فكثر الكلام على مرسله، فالله تعالى ينتقم منه بعدله.

[٦٩ ب] وفي ظهر تاريخه خطب الخطيب بالمسجد الحرام خطبة السابع من ذي الحجة على العادة وتوقف فيها.

وفي ضحى تاريخه مات الشيخ العلامة شاعر البطحاء أحمد بن الحسين ابن

(١) بالأصل: الشريفين .
(٢) بالأصل: أخته .

العُلَيْف المدني ثم المكي الشافعي[1] بعد وصيته لي لغيْبة ولده، فجهّزتُه يوم تاريخه وصلّى عليه قاضي جدة الجمال محمد بن محب الدين المذكور بن ظهيرة عند باب الكعبة، وشيّعه جماعة إلى المعلاة ودفن عند الشيخ علي الشولي[2] بتربة الشيخ إسماعيل بن أبي زائد، رحمه الله تعالى.

وفي يوم الثلاثاء ثامن الشهر رحل الناس إلى عرفة كعادتهم. وكانت الوقفة المباركة يوم الأربعاء تاسع الشهر.

وحدثتُ[3] بمؤلفي في عام تاريخه بأرض عرفات واسمه" **القول المبرور في فضل عرفة والدعاء بها المأثور** ". وسمعه جماعة وأجزتُ لهم.

(١) هو أحمد بن الحسين بن محمد المكي المعروف بابن العليف الشاعر (شاعر البطحاء) أديب مكي لازم الشريف بركات ومدحه بقصائد كثيرة وبليغة حتى سُمّي بمتنبي زمانه، ألّف كتاب الدر المنظوم في مناقب بايزيد سلطان الروم (مخطوط)، انظر مصادر ترجمته في كتابنا التاريخ والمورخون بمكة ص١٧٩ – ١٨٢ .

(٢) بالأصل: علي الولي، فقد أسقط الناسخ الشين من الشولي .

(٣) بالأصل: وحد .

سنة سبع وعشرين وتسعمائة

شهر المحرم الحرام استهل كاملاً من سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢٠ م)

في أوله هنأ أهل مكة قاضيهم الشافعي الصلاحي بن ظهيرة على العادة وهو مريض بمنزله.

وتحرك سعر الحب فبيعت الربعية اللقيمية بأربعة محلقة والمصرية بثلاثة وربع والدخن والذرة بدون ذلك والرطل السمن بسبعة محلقة والرطل اللحم بمحلقين ونصف، وهو عزيز الوجود، والراوية الماء بمحلقين مع وجود العين في البلد والناس في ضرورة بسبب ذلك، فالله تعالى يرخّص أسعار المسلمين، ويلهم الحكام العدل في العالمين.

وفي فجر ليلة الثلاثاء سابع الشهر عمل الشيخ العلامة أحد أعيان فقهاء الحنفية شهاب الدين أحمد ابن المرحوم الشيخ جمال الدين محمد الحرازي العمري الحنفي أعزّه الله، زفة لطهور ولديه من الصفا إلى منزل سلفه بأجياد بالقرب من باب حزورة. وحضر ذلك جماعة من الفقهاء والأعيان كبني ظهيرة وغيرهم من الأعيان بدعواه لهم فحضروا الطهور وألصق غالب الحاضرين[1] له ذهباً وأرسل القاضي الشافعي الصلاحي بن ظهيرة عشرة أشرفية فاجتمع له قريب الخمسين ديناراً على ما يقال.

وفي ضحى تاريخه بعد الظهر مد سماطا لطيفا للحاضرين، فالله تعالى يخلفه عليه ويجعله مباركا على أولاده ويعيد نفعه إليه بجاه سيد الأولين والآخرين.

وفي يوم الخميس تاسع الشهر وَصَل الخبر إلى مكة من جدة في عدة رسائل من نائبها لبعض الأروام بأن ملك الأمراء نائب الديار المصرية أرسل إلى نائب جدة ستة أنفس على رواحل بمراسيم فيها عصيان نائب الشام ملك الأمراء جان بردي الغزالي

(١) بالأصل: الحاضرون .

بعد مكاتبته نائب الديار المصرية في التئامه عليه ويجتمعان على عصيان سلطان الروم وابن سلاطينها سليمان خان ابن عثمان عقب موت والده. فامتنع نائب مصر من ذلك وحذره من عاقبة فعله فقتل رسوله ونوى المسير إلى الديار المصرية، ودعا له على منابر دمشق الشام وأعمالها، وضُربت السكة باسمه فأمر نائب الديار المصرية حكام الأقطار المكية بالاحتراز[١] منه وعدم تمكينه من ذلك، فالله تعالى يلطف بالمسلمين، ولا يصلح عمل المفسدين.

وفي ضحى يوم تاريخه عمل قاضي القضاة الحنفي بديع الزمان ابن الضياء القرشي الحنفي وليمة عظيمة فيها ألوان مفتخرة لأجل بلّ السكر لعقد شقيقته البكر المصونة سيدة قريش[٢] على القاضي الأصيل زين الدين جار الله ابن القاضي أمين الدين ابن قاضي القضاة الخطيب فخر الدين [٧٠ أ] أبي بكر بن ظهيرة القرشي الحنفي، فحضر جماعة من الفقهاء والتجار.

وفي ليلة الجمعة ثاني تاريخه عُمل العقد في المسجد الحرام أمام الرواق الغربي من باب العمرة إلى باب الحزورة وأوقدت شموع الحرم وثرياته وقْدة عظيمة وحضره خلق من الأعيان والعامة الرجال والنساء، وانتظر[٣] قاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة لأجل مباشرة العقد زمانا طويلا فلم يقدِر على الحضور لعجزه عن الحركة لزيادة وجعه، عافاه الله تعالى، فباشر العقد بنفسه أخو الزوجة قاضي القضاة الحنفي على مائتي مثقال مهرها، فتوقف الزوج ووالده على ذلك، فوعد بترك مائة على العادة. وبعد الفراغ فرق السكر المذاب على الحاضرين وكذا البخور والماورد وأنشد القراء بعض القصائد، وكان العقد حافلا بهجا، جعله الله مباركا، وهُنّئ الزوج ووالده وأخو الزوجة، فالله تعالى يتمه لهم ويعيد نفعه عليهم.

(١) بالأصل: من الاحتراز .
(٢) بالأصل: على سيدة قريش .
(٣) بالأصل: انتصر .

وفي ليلة الجمعة رابع عشريْ الشهر وصلت قافلة المدينة الشريفة وفيها الشيخ المعتقد عفيف الدين عبد الله بن مرزوق اليمني - نفع الله به - وصهرا الفقيه العالم فخر الدين أبي بكر ابن قاضي المسلمين نور الدين علي بن أبي بكر المرشدي الحنفي، وكان توجّه للزيارة شوقا لها وتسلية لما وقع بينه وبين والده من النّفْرة، فالله تعالى يحسن العاقبة لهما، والقاضي سعد الدين محمد ابن القاضي خير الدين بن ظهيرة الشافعي وعديله الشهابي أحمد بن أبي بكر الفتوحي جابي وقف....[١] والفقيه الأديب الكمالي أبو الفضل ابن شيخ الأدباء الشهابي أحمد بن الحسين بن العُلَيْف وإمام الحنفية الزيني أبو الفوز محمد الخجندي المدنيان. وسبب وصول أولهما لزيارة محل قبر والده والاستيلاء على مخلّفه، وثانيهما لزواجه بابنة قاضي المالكية بمكة الزيني عبد الحق النويري.

وأخبروا أن المدينة مغلية في الأقوات، فبيعت بها الكيلة الحب بخمسة محلقة والرطل السمن بثمانية محلقة واللحم عزيز الوجود كمكة، وازداد ذلك عند وصول الشيخ مقرن بن زامل الجبري إليها، وكان تأخر عن الحاج الشامي عند عرب زُبيد لزواجه بابنة شيخهم مالك بن رومي وأعطاها ألف دينار وقسّم على أقاربها جملة وأعطى أهل المدينة صدقة وسافر ولم يقسّم. وواجه الحاج المصري الركب الشامي في وادي الصفراء عند افتراقهم الطريق إلى ينبع فأراد أمير الحاج الشامي خلاص الخواجا عباس من أمير الحاج المصري فامتنع من ذلك وأراد أن تقع بينهما فتنة من أجله فسأل الخواجا عباس أمير الشامي في تركه معهم فتركه وسكنت الفتنة، فالله يكتب سلامة الجميع.

وقيد عند باب السلام جماعة من رجال الحاج المصري لكبرهم ولاقاهم سيْلٌ

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

بالقرب من المدينة[١]، فسلمهم الله تعالى منه.

وفي هذه الجمعة غليت أسعار الحب بمكة فبلغت الربعية الحب اللقيمية بأربعة محلق ونصف والنخلية بأربعة والمصرية بأربعة إلاّ ربعاً والدخن والذرة بثلاثة والرطل السمن بسبعة واللحم بمحلقين ونصف. وسبب الغلو عدم الواصل من الجلاب بحرا وإشاعة الفتنة بمصر بين نائبها ونائب الديار الشامية، فالله تعالى يصلح الأحوال ويرخّص الأسعار.

[٧٠ ب] وفي ليلة السبت ثاني تاريخه توجّه قاضي المالكية الزيني عبد الحق النويري إلى فريق الشريف بركات في جهة اليمن بالقرب من جدة لأجل عقد ابن أخيه الشريف شرف ابن السيد قايتباي بن محمد الحسني على الشريفة.... [٢] ابنة السيد عرار بن عجل النموي، وأشاع أن الشريف طلبه، والله أعلم بحقيقة ذلك، واستمر بهم إلى أن عقد لهما [٣] وحضر عرسهم وعاد إلى مكة بعد نصف شهر.

وفي عشاء تاريخه مات قاضي القضاة الشافعي بمكة المشرفة وناظر المسجد الحرام الصلاحي بن ظهيرة فصُلّيّ عليه صبح تاريخه عند الحجر الأسود على عادة بني ظهيرة، ونادى له الرئيس فوق ظلة زمزم بألقاب كثيرة، على الألسنة شهيرة، وشيّعه خلق من الأعيان وغيرهم ودفن بالمعلاة في تربة سلفه بالحجون في قبر مبتكر بين جده القاضي برهان الدين وأخيه الخطيب فخر الدين بوصية منه، رحمه الله تعالى.

وعُملتْ له ربعة بالمسجد الحرام صباحاً ومساء وبالمعلاة كذلك ثلاثة أيام وختم له في اليوم الرابع. ووصل لأجله صاحب مكة الشريف أبو نمي ابن السيد بركات الحسني في صبح يوم الإثنين سابع عشري الشهر فحضر الشريف الربعة صباحاً ومساء في المسجد الحرام والمعلاة، وعزّى جماعته الرجال وتوجّه إلى النساء في

(١) بالأصل: المدرسة .

(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

(٣) بالأصل: عقد بهم .

منزلهن وجَبَر خاطرَ ابن أخيه القاضي محب الدين أحمد ابن القاضي بهاء الدين بن ظهيرة بتطمين خاطره وإعطاء ورقة له من أبيه بالتعزية ووعده بولاية قضاء الشافعية له عوض عمه فانجبر لذلك كثيرا وتشوش عمّاه بسببه.

وموجب ذلك نفور الميت منهما وميله إليه ووصية الشريف به وكان أسند وصيته إليه في حياته وإلى شقيقته الكبرى السيدة سعادة، وجعل الشريف ناظرا عليهما. وذكر أن عليه دينا سبعة آلاف دينار منها ألفان لأخيه بهاء الدين وألف.... [١] الشرفي الصلاحي، وأن أملاكه تباع في ذلك وملك الوصي دار جَدّه بالسويقة. و لم يرض أخواه بذلك وصارا يلازمان الربعة تجملا. وطلع الشريف إلى المعلاة ثلاث مرّات راكبا وصحبته صهره الشريف بساط بن عنقا النموي وجماعة من مماليك أبيه وعسكره وأتباعه وحفدته، وغالب من كان بمكة إذ ذاك من أتباعه.

وفي صبح يوم الثلاثاء ثامن عشريْ الشهر خُتِم له بالمسجد الحرام وبالمعلاة وأنشد عند قبره الفقيه الأديب الفرضي الشهابي أحمد بن علي الجِبْلي اليمني مرثية حسنة مطلعها:

النائبات كثيرة الإنذار   واليوم طالب صرفها بالثار

فشكرها السامعون لها وذرفت أعينهم عند سماعها، وفُرّق على الحاضرين بالمسجد الحرام والمعلاة الريحان والبخور والماورد، على العادة، وتفرق الناس بعد ذلك، وسافر الشريف أبو نمي إلى فريق والده يوم تاريخه واستمر جماعة القاضي وبنو عمه يطلعون له المعلاة صباحاً ومساء مدة جمعة وزيادة نحو شهر.

وفي ليلة الخميس تاسع عشريْ الشهر مات الشيخ المعمر جمالي الدين محمد بن حسان اليمني ثم المكي الدلال بعد ضعف طويل قل فيه نظره، وجهّزه في ليلته شيخ الفراشين نور الدين علي بن أبي الفتح بن بيسق لتربيته له في صغره، وصُلّي عليه في

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

صبح يوم الأربعاء ثاني تاريخه عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة، رحمه الله تعالى وأخلف مَن بعده خيرا. [٧١ أ] وخلّف ولدين ذكرين دلالين عاقّين له، وكان يذكر أنه تربى في دار صلاح عند ملوك بني رسول ورأى عندهم خيرا كثيرا، وبعدهم لازم بمكة جماعة من أكابرها رجالا ونساء وتزوج على عدة زوجات نال من بعضهن دنيا وأذهبها مع كونه حازما في أمره، وطُعِن في شهادته ومنعه بعض الحكام منها. وبطّل الدلالة لضعف حركته فلازم العبادة وجعل الصلاة والطواف له عادة، فختم الله له بخير.

وفي ظهر تاريخه ماتت خديجة ابنة المعلم فخري العجمي زوجة الشيخ عبد الرحمن المرجاني وأم ابنته كمالية زوجة الزيني عبد الواحد بن إبراهيم المرشدي. فجهّزها في يوم تاريخه وصُلّيَ عليها بعد صلاة العصر عند باب الكعبة، ودفنت بالمعلاة في قبر والدها عند عبد الله بن عمر، وشيّعها جماعة من الفقهاء لأجل زوج ابنتها وأخذ العزاء فيها وصحبته أخوها الشهابي أحمد ولم يحضر أخوها الثاني علي، رحمها الله تعالى وإيانا.

شهر صفر الخير استهل ناقصا في ليلة الجمعة
من سنة ٩٢٧هـ (١٥٢١م)

وفي عصر تاريخه عُمل لقاضي القضاة الشافعي كان الصلاحي بن ظهيرة تهليلة بالمعلاة وحضرها القضاة والأعيان وغيرهم، وبعد الفراغ أنشدت مرثية فيه ثانية عملها أحد فضلاء الشافعية العلامة عز الدين عبد العزيز بن علي الزمزمي المكي وبالغ فيها مبالغة كبيرة، بحيث صارت على الألسنة شهيرة مع حسنها وفصاحة نظمها ومطلعها ....(١).

وفي عشاء ليلة السبت ثاني تاريخه سافر جماعة القاضي الشافعي وهم أخواه

(١) لم يرد في النص مطلع القصيدة .

المحمدان البدري والتاجي وابن أخيه المحِبي أحمد بن البهائي محمد ورفقة ثالثهم قاضي جدة الجمالي محمد بن ظهيرة والشرفي الصلاحي والمولوي أبو زرعة المنوفي والجمال محمد بن عمر الوكيل والكمالي أبو الفضل العُلَيْف لغرض له وغيرهم من الغلمان فوصلوا إلى فريق الشريف في جهة اليمن ضحى يوم الإثنين رابع الشهر فنصب لهم خيمتين إحداهما لأخوي القاضي وثانيتهما(١) لابن أخيه وجماعته. وكان كل منهم فريق وهم متنافرون، فالتمّ أخو القاضي على ابن أخيهما وجعلوا خيمتهم الثانية للعبيد وفعل ذلك بمباشرة القاضي بدر الدين بن ظهيرة لما تحقق من الشريف ميلاً إلى ابن أخيه، فحمده العقلاء لذلك. وتوجّه الشريف إلى الصيد وعاد بعد الظهر ولم يجتمعوا به إلاّ بعد فراغه من المندي(٢). فتوجّه لهم إلى خيمتهم وسَلّم عليهم وعزّاهم في القاضي وجبر خاطرهم بكلمات حسنة ثم توجّه إلى محلّه، فتوجّه له القاضي محب الدين في عصر ثاني تاريخه بطلبه له فجلس عنده زمانا على سريره وقدم له بقجة(٣) كان عمّه أوصى بها للشريف يقال قماش جوخ وصوف وغير ذلك من المصاغ، الله أعلم بحقيقته، وبالفرش التي أعطاها لعمه، فردها عليه لوصيته بذلك.

ثم بعد ذلك طلب الشريف عمّيْه(٤) فجلسا قدام الشريف تحت صهره الشريف عرار بن عجل فقال لهم: لا أتخلى عنكم ولو بقي منكم جارية ساعدتها ولا تفترقوا يطمع فيكم المصريون. وأمر محب الدين بكتم الوصية وأن يكتب أوراقا إلى مصر للسعي في وظائف عمّه من قضاء مكة وجدة ونظر المسجد الحرام وفوّض إليه ذلك وكتب له قائمة مضمونها: " يقول مسطرها بركات [٧١ ب] بن محمد:

(١) بالأصل: أحدهما... وثانيهما .
(٢) كذا بالأصل، ولعله طعام يجهّز فيه اللحم على طريقة خاصة، وما زال مستعملاً بين أهل مكة والحجاز .
(٣) البقجة: ما يجمع من الثياب وغيرها من الأغراض الثمينة في وعاء من القماش أو غيره، تجمع على بُقَج أو بقجات، وقد تُنطق في اللغة العامية " بقشة " .
(٤) بالأصل: عمّاه .

إني فوّضتُ إلى مولانا قاضي المسلمين محب الدين بن ظهيرة قضاءَ مكة وجدة والتّحدث على المسجد الحرام على ما كان عليه عمّه شيخ الإسلام المرحوم صلاح الدين بن ظهيرة حسب ما أذن لي في ذلك ملك الأمراء نائب الديار المصرية خائر بك المظفري. يعلم ذلك كل واقف عليه". وكتب الشريف لقاضي جدة الجمالي محمد تفويض الحكم بجدة مثلها.

وأقاموا في القرية ثلاثة أيام وعيّنوا قاصدا لإرساله بكتب الشريف لأجل السعي في الوظائف للقاضي محب الدين بن ظهيرة وجعلوا له مبلغاً على ذلك. وعادوا إلى مكة فوصلوها في ليلة الأربعاء سادس الشهر فتوجّه غالب الفقهاء للسلام عليهم وتهنئة القاضي محب الدين بتفويض الشريف إليه الحكم وباشر ذلك في يومه، وبطل عمله الحكم[1] من يوم مات مستنيبهم القاضي و تألموا لفعل الشريف وتفويضه الحكم لأصغرهم. وهو حقيق بذلك لما اشتمل عليه من المحاسن كالعقل والدين والحشمة والفضل والأدب، زاده الله خيراً.

وفي ظهر يوم الثلاثاء خامس الشهر مات الفقيه العلامة المدرس مفتي المسلمين بقية السلف الصالحين جمال الدين يوسف بن الصديق بن الناصر اليمني الشافعي القرشي بلده القادم في عام تاريخه بحرا لأجل الحج، و لم يدركه بعد توعكه أربعة أيام، وكان صلّى الجمعة الماضية واغتسل لها فحصل له خدور في أعضائه ثم نزل على قلبه فثقّل لسانه، وأمره بعض الحكماء بالفصد ثم الحقنة في أول وجعه ففعل ذلك ثم زال عنه ألَمُه ثم عاد إليه وقضى نحبه. فحضر ابن أخ له فجهّزه وصُلّي عليه بعد صلاة الصبح ودُفن بالشعب الأقصى من المعلاة في تربة الشيخ عبد الله باكثير الحضرمي، نفع الله به، فحزن الناس عليه كثيراً وتألموا لموته فإنه فتح درساً في المسجد

(١) كذا وردت الجملة بالأصل.

الحرام في تقسيم **الإرشاد لابن المقري**[1] تقسيما حفلا، وحضر عنده جماعة من فضلاء مكة والمجاورين بها واغتبطوا به فنَغص بذلك عليهم موته وحصل بذلك ثلمة في الدين، فالله تعالى يرحمه ويجعل قراه الجنة. وبلغني أن عمره قريب الخمسين سنة وهو من الفقهاء الملازمين لسلطان اليمن الشيخ عامر بن طاهر في حياته وحصّل أموالاً بجاهه، وعرض عليه القضاء فلم يقبلْه، رحمه الله تعالى.

وفي عصر يوم الأربعاء ثاني تاريخه مات الشهابي أحمد بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن[2] محمد بن فليته المكي الشهير كسلفه بالحسني. وهو كهل في عشر الخمسين بعد أن أضر سنين وأراد قدح[3] عينيْه، فجاء لمكة من الوادي وترك عياله فتحدر له حدور على قلبه. وجهّزه القائد شهاب الدين أحمد بن حسن بن خزيمة في يومه وصُلّي عليه في مغرب ليلة الخميس سابع عشر الشهر ودفن بالمعلاة على والده وجده. وخلّف ولدين ذكرين هما حسن وأبو القاسم وأمهما صفراوية. رحمه الله تعالى وعوضهم فيه خيراً.

وفي هذه الجمعة وصل قضاة الطائف والحجاز للتعزية في القاضي الشافعي الصلاحي بن ظهيرة وعمل بعضهم مرثية فيه أنشدتْ عند قبره وطلب فيها نيابة القضاء في بلده، فكاتب ابن أخيه القاضي محب الدين السيد الشريف بركات في أمرهم فكتب له بالتفويض في نيابتهم ففعل ذلك، وحضروا تهليلة ثانية عملت للقاضي بالفقراء العرابية في عصر يوم الجمعة خامس عشر الشهر وفرق على الفقراء بعد فراغهم لكل واحد محلقين وزيادة لبعضهم فانشرحوا بذلك.

[٧٢ أ] وفي صبح يوم الثلاثاء تاسع عَشر الشهر سمعت على شيخنا العلامة

(١) هو كتاب الإرشاد في فروع الشافعية، ألّفه فقيه اليمن شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر بن المقري (ت٨٣٦هـ) اختصر فيه الحاوي الصغير للقزويني، انظر حاجي خليفة: كشف الظنون ص ٦٩ .

(٢) بالأصل: أن .

(٣) بالأصل: قلع .

خاتمة المسندين القاضي شرف الدين أبي القاسم المدعو عبد الكريم ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام الجلالي أبي السعادات محمد بن ظهيرة القرشي، أبقاه الله تعالى ورحم سلفه، بقراءة الشيخ العلامة المفيد زين الدين عمر بن أحمد بن علي الحلبي الشافعي الشهير بالشماع [1]، أعزّه الله تعالى، **الحديث المسلسل بالأولية** وأبيات في نظم معناه للحافظ زين الدين العراقي وولده القاضي ولي الدين أبو زرعة وقاضي القضاة أبو الفضل ابن حجر وجميع **جزئيْ أبي الجهم** العلاء بن موسى الباهلي المشهور وحضر ذلك ابنتي أم محمد ستيْتة المدعوة سيدة الكل وهي حاضرة في الشهر الرابع من السنة الثالثة وغيرها، وأجاز لنا المسمّع.

وفي يوم تاريخه.... [2] وابنتي بالقراءة على قاضي القضاة شيخ الإسلام الجلالي أبي السعادات المالكي ثلاثيات **صحيح البخاري** وبعض **الموطأ رواية يحيى بن يحيى**.

ثم سمعتُ بمفْردي بالقراءة على الشيخ العلامة مفتي المسلمين شمس الدين محمد الحطاب المغربي الطرابلسي.

وفي صبح يوم الجمعة ثاني عشر الشهر اتفق قضية شنيعة فعَلَها السراجي عمر ابن سليمان النجار أحد أخصاء قاضي القضاة الشافعي كان الجمالي أبو السعود بن ظهيرة وهي تزوير إبطال حكم لولد أستاذه قاضي القضاة الصلاحي وثبوت ذلك عند قاضي القضاة الحنفي بديع الزمان ابن الضياء بشهادة شيخ المحافل بمكة المشرفة أبي القاسم بن عبد القادر الخصي الشهير بالقرق والشيخ أبي[3] بكر بن علي الحويزي وذلك في وصية القاضي جمال الدين محمد بن أبي بكر المرشدي. وكان أسندها إلى شيخ رباط الموفق وعالم المالكية الشمسي محمد الطرابلسي الشهير

(1) هو عمر بن أحمد بن علي الشماع الحلبي، فقيه محدث مؤرخ، كان على علاقة بمكة وشيوخ العلم بها، وهو من أصدقاء المؤلف جار الله بن فهد، توفي الشماع سنة ٩٣٦ هـ، الغزي: الكواكب السائرة ٢: ٢٢٤-٢٢٦ .

(2) كلمة سقطت من الأصل .

(3) بالأصل: أبو .

بالحطاب وغيره من فضلاء الشافعية، وشهد بثبوتها جماعة من الأماثل.

وكان الوصي ترك ثلاثة أولاد ذكورا اثنين من موطوءة له حبشية وواحداً من فاطمة ابنة الخواجا محمد العجمي الشهير بالزير وجعل لثالثهم القيام به إلى أن يبلغ ويُعْطى له مكان في الوادي يسوى نحو ثلاثمائة دينار. فمات بعد أبيه بأشهر وطالبت أمّه بمخلفه واشتكتْهم عند صاحب مكة وأمير الحاج فأمروها بالتوجّه إلى الشرع، فوقفت على أولاد الميت وإخوانه فذكروا لها وصيته فلم ترض بها واستعملت السراجي عمر النجار في إبطالها فسعى في ذلك ببذل مال للشهود والقاضي فبلغ القاضي محب الدين بن ظهيرة سعيه في إبطال حكم عمّه بالزور، فأرسل إلى الشاهدَيْن فسألهما عن ذلك في الشهادة على عمه بنقض حكمه فقال: أنا أشهد عليه بالثبوت، وأرسلها إلى الحاكم القائد مبارك بن بدر فأخذ القرق أبو القاسم منه وجها واعترف بأن عمر النجار أعطاه خمسة أشرفية وقال له: أنا أشهد على القاضي صلاح الدين بالرجوع عن الحكم والقضية باطلة ولولا أنهم يستخصمون [1] بي لشهدت بذلك، وحلف له بالطلاق من زوجته أنه محق في ذلك ولا يناله ضرر في شهادته. فأرسل الحاكم الشاهدين إلى القاضي محب الدين فاعترف قاسم بما قاله للحاكم وصمّم الحويزي في الشهادة على القاضي فقال له ابن أخيه: في أي وقت شهدتَ عليه ؟ فقال: في نصف المحرم بعد الظهر، فقال له: تلك الأيام كان مريضا فيها [٧٢ ب] ولا يدخل عليه أحد إلاّ بإذن، وأنا ما فارقتُه فيها، فصمّم فأمر بحبسه وتعزيره، فأقرّ على عمر النجار بما أقرّ به صاحبه، وزاد أنّ عمر قال له: إنّ القاضي محب الدين أخذ في هذه القضية ثلاثين دينارا، فازداد غيظه عليه وأمر بجمع شهود باب السلام وكتابة محضر بصورة إقرار الشهود على عمر النجار بأنه الماشي في إبطال حكم عمّه بالزور، فكتب الشهود خطهم في ذلك واطّلع الحاكم عليه

(1) بالأصل: يستخصموا .

فأرسل إلى عمر النجار وسأله عن القضية فأنكرها، فسمعت المرأة بالقضية فجاءت إلى الحاكم وحلفت له أنها لا تعرف الشهود وأنّ عمر النجار هو الأصل في القضية، فأرسلها الحاكم إلى القاضي محب الدين وتوجّه بعده إليه وجمع بينه وبين الشاهدين فاعترفا بحضرته على ما قالاه في غيبته، فصمم في الإنكار فحينئذ أمر الحاكم بضربه أمام منزل القاضي فضُرب على مقعدته نحو مائة عَصا، وتعاطى الحاكم بعضها بيده، ثم شفع فيه بعض بني ظهيرة فترك من الضرب وكُشِف رأسه وعُزّر في السوق والمنادي يقول: هذا جزاء من يزوّر ويرمي الفتنة بين القضاة.

ثم وُضع في الحبس عند بيت القائد إلى جانب من الليل، ثم إنّ الشريفة أم المسعود ابنة عجل تكلمت مع القائد في إخراجه فقال: أمرني الشريف بأن أفعل فيه ما يأمرني به القاضي محب الدين ولو أراد شنْقه فعلتُ. ويقال إنه أراد ذلك ثم تركه وأخرجه من السجن وكاتب الشريف في أمره.

وتشوش القاضي الحنفي بديع الزمان من هذا الفعل وانتصر أخصامه المراشدة عليه لظهور شهادة الزور في بابه خصوصا وقد أرسل إليه خصمه القاضي نسيم الدين وهو يقول له: لا تدخل في القضية فإنها باطلة، فقال له: قد فعلتها وعليّ الخروج من عُهدتها. فكثرت القالات فيه ونسب إليه الأكل فيها، والله [أعلم] (١) بحقيقتها، ونسأل الله السلامة وخاتمة الخير قبل يوم القيامة، وتكلم القاضي بديع الزمان الحنفي مع رفيقه القاضي المالكي عبد الحق النويري في كتابة الشريفة أم المسعود ابنة عجل لأختها الشريفة أم الكامل زوجة الشريف بركات في القضية، فكتبت لها بذلك وأرسلت قاصدا للفريق وأشير على السراج عمر النجار باختفائه فجلس في منزل الشيخ عبد الكبير الحضرمي بسوق الليل.

(١) كلمة سقطت من الأصل .

وفي يوم الأحد رابع عشريْ الشهر ماتت.... (١) ابنة الشيخ كمال الدين أبي الفضائل محمد بن الشهابي أحمد ابن القاضي أبي البقاء محمد بن أحمد ابن الضياء القرشي الحنفي فجهّزت في يومها وصُلّي عليها بعد صلاة العصر عند باب الكعبة وشيّعها جماعة من الأعيان ودفنت بالمعلاة بتربة أسلافها وخلّفت زوجا مملوكا تزوجها بغير رضا أبيها، وتعب بسببها فأراحه الله منها .

وفي ليلة الثلاثاء سادس عشريْ الشهر دخل التاجر جمال الدين محمد بن جابر العدني الشهير بابن أبي الليل على المصونة البكر أم مريم المدعوة سيّدة الكل ابنة المرحوم الشيخ جمال الدين محمد بن عمر الرضيّ المكي واستفضّ بكارتها بعد تعب كبير مع كِبَرها، وشكرها الناس لذلك وهنأه الناس بها في منزل أهلها، فالله تعالى يبارك لكل منهما(٢).

وفي صبح تاريخه وصلت أوراق من عدن لجماعة من التجار فيها الإخبار بأن مركب [٧٣ أ] الساجور الشامي، أخذه الفرنج المخذولون(٣) قريب الهند وأسروا ركَبَته بعد مقاتلتهم وحرق مركبهم وقتل جماعة منهم وغرق مركب من المراكب التي سافرتْ من عدن، وقصد مركبين(٤) من المراكب التي سافرت من جدة أحدهما فيه الملك محمد القيلاني وكيل الصدقة المظفرية، ويقال إنه تُوه، فالله تعالى يلطف بالمسلمين، ويكتب سلامة المسافرين، ويخذل الكفرة والمشركين. وأشيع أن الكفرة التي في كُوّة (٥) من بلاد الهند تحركوا على قتال سلطان كنبايه مظفر شاه، فالله تعالى ينصره عليهم ويجعل الدائرة بهم.

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) بالأصل: منهم .
(٣) بالأصل: المخذولين .
(٤) بالأصل: مركبان .
(٥) كوة: من بلاد الهند، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤: ٤٩٦ .

وفي ليلة الجمعة سلخ الشهر ماتت كوكب الزنجية عتيقة الوالد، وكانت ربّتني والإخوان، وخرجتْ من منزلنا بطَرا وسلّط الله عليها الحب الفرنجي فتعطلت لذلك وصارت تتردد إلينا قليلاً، ثم وجعتْ زمانا طويلاً مدة سنين وتبرأ في أثناء ذلك، إلى أن قدّر الله وفاتها في سوق الليل ولم يطلع عليها أحد إلاّ بعد يومين. فأمرتُ بجهازها فجهّزت في صبح يوم الجمعة وصُلّي عليها بالمسجد الحرام ودفنتْ بالمعلاة، رحمها الله تعالى وعفا عنها.

وفي هذه الجمعة طلع سعر الحب لعدم وصول الجلاب من البحر، فالله تعالى يمنّ بوصولها ويُرخّص الأسعار في الأقوات وبالأمطار. فإنّ المرعى قليل وتضرر الأعراب الذين في البادية من ذلك وجلبوا الأغنام لمكة وباعوها برخص خوفا من موتها، فبيع الرطل اللحم بمحلق وربع بعد أن كان بمحلقين، فالله تعالى يجعل العاقبة إلى خير آمين. فإن في هذا الوقت أوان المطر مع وجود الغيم، لكن بعض الفضلاء أنشدني لغيره في معنى ذلك وكثرة الظلم بمكة وهو:

يمر السحاب على مكة ... بمُزْن كثيـر من المعصرات
يروم النزول فلا يستطيع ... لزور الشهود وفسق القضاة

شهر ربيع الأول جعله الله مباركاً ببركة مَن وُلد فيه ﷺ
واستهل ناقصا في ليلة السبت من سنة ٩٢٧هـ (١٥٢١م)

وفي صباحها عُمل عقد مجلس في المسجد الحرام بأمر الحاكم مبارك بن بدر حضره القاضي محب الدين بن ظهيرة الشافعي وجماعة من فضلاء الشافعية في زيادة دار الندوة، منهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد النشيلي وشهاب الدين أحمد ابن يوسف الزبيدي والفقيه جمال الدين ابن شيخنا عبد الله باكثير الحضرمي والعفيف عبد الله البخاري إمام الحنفية وغيرهم. بسبب دعوى الشيخ

عبد المعطي بن.... (١) الفوي صهر الشيخ عبد الكبير الحضرمي المكي على جابي بيوت السلطان قانصوه الغوري التي بباب إبراهيم لكونه قرره ولده الناصري محمد في قراءة مصحف وجعل له معلوما في كل سنة أربعة وعشرين(٢) أشرفيا، ولم يصرفها له المتكلم على الجهات الزيني جعفر ابن الشيخ كمال الدين الفضل بن عبد القوي لكون مُستنيبه قاضي المالكية بالديار المصرية الشرفي يحيى الدميري لم يأمره بها مدة ثلاث سنين واشتكى الجابي عليها النوري علي بن أبي بكر الفيومي جابي أوقاف الزمام عند النوري علي ابن قاضي المالكية بمكة الزيني عبد الحق النويري فأمر الحاكم بدفع المعلوم له فقال: ليس تحت يدي شيء من الجهات وأخذها مني نائب الناظر الزيني جعفر، فحكم بسجنه في سجن الحاكم بمكة القائد مبارك بن بدر مع خصومته له ولأستاذه القاضي تاج الدين المالكي. فلما وصل إلى الحاكم تكلم على محضر منه له [٧٣ ب] فقال: الشريف أمرني بفصل هذه الخصومة عند القاضي محب الدين بن ظهيرة، فتشوش المالكي وابنه لذلك وكثرت قالاتهم بسببها، فتكلم الجماعة الحاضرون في القضية بعد استئناف الدعوى عند القاضي محب الدين على الجابي فأجاب بما أجاب به أولا عند الحاكم الأول، فرأى القضية لا يفصلها إلاّ الصلح وتكلموا مع نائب الناظر والشاهد والجابي في دفع مبلغ ستة عشر دينارا....(٣) حُملاء الجابي بأربعة والباقي توازعه الحاضرون وأعطوها لعبد المعطي الفوي. وانفضّ المجلس على ذلك وحُمِد القاضي محب الدين على فعله هذا، فالله تعالى يزيده من الخير ويُكثر من أمثاله.

وفي يوم الإثنين ثالث الشهر وُلدت سُتَيْتة ابنة الزيني جعفر بن عبد القوي وأمّها فاطمة ابنة الرئيس بالحرم المكي فخر الدين أبي بكر بن عبد الله الكازروني

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.
(٢) بالأصل: وعشرون.
(٣) بالأصل: دينار في.

الأصل الحنبلي، ولم يرْض والدها بها لكونها بنتا، وتشوّش أهلها لها لكونه تزوج بأمها سرا، لكن الأمر لله تعالى ما شاء فعل، ويؤجر المرء على رغم أنفه.

وفي عشاء ليلة الجمعة سابع الشهر مات صهري زوج أختي العلامة المفتي قاضي المسلمين عين الأماثل المعتبرين محيي الدين أبو المفاخر عبد القادر ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام الجلالي أبي السعادات الأنصاري المالكي بعد توعّكه زماناً طويلاً بالحمى والسعلة والإسهال، وكان غائباً في العام الماضي بالديار المصرية فوصل مع الركب بمكة وهو مريض فمكث بها ثلاثة أشهر ويبرز في أثنائها، إلى أن قدّر الله تعالى وفاته شهيداً بالبطن وهو موقن بالموت وينطق بالشهادة بحضرة أبويْه، وتأسّفوا على فقده وفجعوا به مع زوجته وكذا جميع أهله ومعارفه لما كان مشتملاً[1] عليه من المحاسن الكثيرة والفضائل الشهيرة، فجهّز في ليلته وصلّى عليه والده بعد صلاة الصبح أمام باب الكعبة بعد أن نادى له الرئيس بألقاب حسنة، وسجَعات مُتْقنَة، بكى لها السامعون، واعتبر بها المعتبرون، لموت مثله في سن الشباب، وكونه صار من العلماء ذوي الألباب. وشيّعه خلق من الأعيان وغيرهم من الفقراء والعامة والغلمان. فكانت جنزته مشهودة، وروحه الزكية الشهيدة مسعودة، فدُفن على قبر جدّته بالمعلاة بالشعب الأقصى، فعُدّ ذلك من سعده في الدنيا والأخرى.

وعُملت له ربعة ثلاثة أيام وختم له بالمعلاة على الوجه التام وفاز بالوفاة في ليلة الجمعة الغراء ووقي فتنة القبر وجاء عليه طائع الشهداء كما رواه أحمد والترمذي عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر التقي. فالله تعالى يتغمّده بالرحمة والرضوان، ويُسكنه أعالي الجنان، ويرزق والديه وزوجته الصبر عليه ويعظم لهم الأجر ويبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله، فإنه حقيق بذلك لاشتماله على المحاسن كما يعلمه كل قاطن وسالك.

(١) بالأصل: مشتمل.

وفي هذه الجمعة طلعت الأسعار في الحب بحيث بيعت الربعية الحجازية بخمسة محلّقة ونصف والدخن والذرة بأربعة محلقة وزيادة. ونادى الحاكم بمكة القائد مبارك ابن بدر بأمر الشريف بركات أن لا يسافر أحد إلى اليمن من العرب البادية ومن دخل منهم إليها يقف عليه في فريقه ليأخذ خطه بالفسحة له. وذلك أنه رأى بعض عرب الليث وأهل فريقه محتاجين الحب لغلوه عندهم، فتضرر العرب لذلك وتركوا ميرة الحب لأهل مكة وقلّ الواصل به من جدة، فالله تعالى يُرخّص الأسعار ويلهم ولاة الأمر العدل والإنصاف.

[٧٤ أ] وفي يوم الإثنين عاشر الشهر وصلت أوراق من الشريف لقاضي المسلمين محب الدين بن ظهيرة يأمره في المشي في زفة المولد على العادة وقال: من حضر معك من الفقهاء حضر، ومن تأخر ما عليك منه. وفي ورقة الحاكم مبارك بن بدر قال في تعريضه فكان ذلك اعتناؤه[1]. وأمر الحاكم ومماليكه المشي معه فتعبّأ لذلك. وسمعنا أنّ سيدي الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن عراق، نفع الله به، أرسل ورقة من منى لسكنه بها لشاه بندر جدة الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة الحلبي يأمره في تبطيل الزفة لكونها بدعة واختلاط الرجال بالنساء مع إيقاد الشموع. فأرسل للقاضي محب الدين بذلك وقال له: جاءتني ورقة الشريف بالفعل ولا يمكنني مخالفة ولي الأمر خصوصاً وهي غرضه، فسكت عن ذلك الخواجا شرف الدين وشرع القاضي محب الدين في ذلك.

وفي [2] يوم الثلاثاء حادي عشر الشهر أمر النوري علي بن أبي الوفاء نائب الحسبة أن يُباع الحب بخمسة محلقة، فخالفه بعض السوقة، فضرب بعضهم وحرسه[3] فشالوا الحب المليح وباعوا الحب الوطي بالسعر الذي أمر به. فالله تعالى

(١) كذا وردت الجملة بالأصل.
(٢) كامل هذه الفقرة وردت قبل الفقرة السابقة وعليها علامة تأخير.
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل.

يصلح الأحوال [فإن الرأس إذا صلح صلح الجسد كله] (١).

وفي ليلة الأربعاء ثاني عشر الشهر كانت زفة المولد الشريف، على العادة، من المسجد الحرام إلى محل المولد الشريف بسوق الليل، وأوقدت شموع الحرم ومفرّعاته وجميع فوانيسه وقَدَّة حسنة، واجتمع الفقهاء والعامة ومماليك الشريف فيها أمام القاضي محب الدين الشافعي، فكان على يمينه قريبه القاضي الحنبلي المحيوي عبد القادر بن نجم الدين بن ظهيرة وبجانبه عمّه القاضي بدر الدين وعلى يساره الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري، فلم يتخلف عنه من الأكابر إلاّ من له عنده غرض، وفي قلبه مرض، فسلم الناس عليه من مصلاه ومصلّى سلفه خلف مقام الحنفية ومشوا أمامه إلى المولد الشريف، فخطب فيه خطبة العادة ودُعي له فيها، بعد سلطان الروم وملك الأمراء بالديار المصرية والسيد بركات وولده الشريف أبي نمي (٢) أصحاب الأقطار الحجازية، بقاضي المسلمين ببلد الله الحرام استقلالا، وقاضي القضاة بها – إن شاء الله – مآلا، وناظر المسجد الحرام، والربط والأوقاف والأيتام. وصلّى في المحراب كعادة أسلافه ثم عاد إلى المسجد الحرام وصلّى العشاء أمام باب الكعبة الشريفة بجانب قبة الفراشين ودعا له الرئيس مع تقدم ذكره بدعاء عظيم مشتمل على وصف كريم، فابتهج السامعون به وقرّت أعينهم بسببه، فالله تعالى يزيده من الخير، ويدفع عنه كل شر وضير. فانه حقيق بالخيرات، لا سيما على المحاسن العديدات.

وفي ليلة الجمعة رابع عشر الشهر عقد الشيخ العلامة الزاهد شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم النشيلي ثم المكي الشافعي بابنته البكر عائشة على الفقيه العالم الأوحد القاضي محب الدين محمد ابن شيخنا العلامة مفيد الطالبين، زين الدين

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٢) بالأصل: أبو نمي .

أيوب بن عبد السلام الأزهري الأصل الشافعي وسط الحِجر الشريف وحضره جماعة من المباركين والأعيان، وباشر العقد بنفسه والد الزوجة على خمسين مثقالا مقسّطة في كل عام مثقال واحد(١) فحصلت في العقد حالات مباركة وهي المحل والوقت في الليلة والشهر وحضور الجماعة ووالد الزوج [٧٤ ب] والزوجة وغير ذلك، فالله يجعله مباركا ميمونا.

وفي ليلة السبت ثاني تاريخه دخل الزوج بزوجته في منزل والده وهنأه الناس بها، فالله تعالى يؤلف بينهما، ويطرح البركة في نسلهما، بمحمد وآله آمين.

وفي عصر يوم الجمعة المذكورة عُملتْ تهليلة بالمعلاة على قبر محيي الدين عبد القادر المالكي، رحمه الله تعالى، حضرها جماعة من الأعيان والفقراء والإخوان، وأُنشِدَتْ في المجلس مرثية فيه قالها خاله الفقيه العالم الوجيه كمال الدين أبو(٢) البركات محمد ابن الشيخ العلامة مفتي المسلمين خير الدين أبي الخير بن أبي السعود ابن ظهيرة القرشي الشافعي، كان الله له، وكان حاضرا في المجلس، وهي:

يعز على بيت الرئاسة والعلم ... وأهل المعالي والفضائل والحلم
رحيل إمام يُتمَ العلم بعده ... وكان له أصل منيع من اليتم(٣)
وحلّ بأهل الفضل بعد غيابهم ... بطلعته الغراء كاسفة النجم
وأصبح عقد الدرس منه معطلا ... وكان به تالله واسطة النظم
فما المسجد السامي بمكة واجد ... نظيرا له فيه يقرّر للعلم
ولا المنبر الأسنى يفوز بمثله ... عليه إذا يقري الحديث وفي الختم
ولا ربعه العالي ومن فيه قاطن ... بهم بهجة دون الإضاءة بالرسم

(١) بالأصل: مثقالا واحدا .
(٢) بالأصل: أبي .
(٣) بالأصل: وكان له أصلا منيعا من اليتم .

فلا غرو أن أضحت عليه مدامع … تفيض من الأجفان منْ لوعة تضمي
لقد فطر الأكباد داعيه إذ دعا … وأنفذ في الأحشاء سهما لها يدمي
وأسهرت الأجفان غمضة طرفه … وحل بها في الظهر قاصمة العظم
فيالك من خطب سطوتَ على الذي … تفرَّدَ في حوز الفضائل والفهم
فمن بعده للمشكلات وحلّها … أصولاً وتفريعاً وللألغاز في النظم[١]
وواحسرتي أين المحاسن تلتقي … وصحبته سارت إلى اللحد بالرغم
لقد عزّ وجدان التصبُّر والأسى … عليه مذيب للعظام وللّحم
عليه بكت أم القرى وجهاتها … وسكانها لا بالتصنع والرغم
بكاء على الجديين أثر وقعه … وعارضه المعتاد من ناظري يهمي
فوا أسفي أدري المدافع وهي لا … تفيد إيانا للذي جدّ في العزم
ولا حيلة للمرء في دفع ما قضى … عليه به الرحمن في سابق العلم
فبالمصطفى المختار أوفى تأسيا … لأصْلَيْه فيما حلّ من واقع الحكم
وآجرْهما فيه وللأهل كلهم … وأعظمه يا ذا الفضل من فيصل الحلم
وصِنْويه أيضا ثم يا رب حُطْهما … بفاتحة القرآن واحفظهما واخْتم
وأوسع لمحيي الدين يا رب نزْله … وبالعفو والتكريم إلْقه وبالحلم[٢]
وأسكنه في جناتك الخلد منزلا … عليّا ومن رحماك وفيه في القسم
وأزكى صلاة مع سلام مجدد … على سيّد الرسل الكرام أولي العزم
[٧٥ أ] محمد الهادي ثم حُماته … مع الآل والأصحاب من قائل النظم

وفي يوم الأحد سادس عشر الشهر وصلت لمكة أوراق من جدة فيها الإخبار أنّ معلم الدلالين علي العباسي وصل إلى بندر ينبع وتوجّه لزيارة المدينة الشريفة

(١) كذا بالأصل. ولعل صوابها وللغز في النظم .
(٢) كذا بالأصل .

وأخبر أنه ولي وظيفته على عادته وأنّ القاضي زين الدين المحتسب ولي الحسبة والنظر بجدة على عادته وفارقه من السويس، وكذا الخواجا أبو البقاء السكري صهر القاضي تاج الدين المالكي، وهو الذي سعى له في قضاء المالكية بمكة.

وأشيع أنه ولي شاه بندر جدة وأخذ قضاء المالكية لصهره ففرح لذلك جماعة كثيرون واغتم المتولي لذلك، فالله تعالى يريح المسلمين منه ومن أفعاله. ويقال إن شخصا وصل لمكة بحرا وأخبر بموت شيخ الإسلام زكريا، وقد جاوز عمره المائة، في رابع ذي الحجة عام ستّ وعشرين (٩٢٦هـ)[١].

وفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر الشهر وصلت أوراق من فريق الشريف لجماعة من التجار فيها الإخبار بوصول المركب الفتحي من كنبايه ونزل منه جماعة قريب الليث وذكروا أنّ خلفهم سبعة مراكب، ثلاثة من كنبايه وأربعة من الديو. فتباشر التجّار بذلك، فالله تعالى يُرخّص أسعار المسلمين، ويُسمعنا ما يسرّ، ويدفع عنّا ما يضرّ، بمحمد وآله آمين.

وفي يوم الجمعة حادي عشريْ الشهر وصل لمكة قاصد للسيد بركات صاحب مكة يقال له مُسَلَّم بعدّة مراسيم ولشاه بندر جدة الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة علي بن حمزة الحلبي ثلاثة مراسيم أحدها فيه الإخبار بهزيمة نائب الشام جان بردي الغزالي من حلب بعد محاصرة أهلها ثلاثة عشر يوما ورميه مدافع عليهم فأحرق باب المقام، ثم بلغه وصول علي بن سوار في عشرين ألف نفر وبعدد كثير من العساكر الرومية نحو سبعين ألفا عليهم أربع باشات هم فرحات باشا والياس باشا وخسرو باشا وغيرهم. وتوجّه إلى جهة الشام وقصدنا ملاقاته بها مع العساكر الواصلة إليه. وثانيها أمره بمساعدة نائب جدة في بناء البرج الشامي بها

(١) هو زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري القاهري (ت٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠م) من كبار علماء عصره، فقيه محدّث نحوي جامع لشتى المعارف، له مؤلفات عديدة، العيدروسي: النور السافر ١٢٠-١٢٥؛ الزركلي: الأعلام ٣: ٤٦ .

وكذا باب البَرّ منها. وثالثها الوصية بالخواجا أبي البقاء السكري المتوليُ عوضه شاه بندر جدة.

وصلت للناس عدة أوراق فيها أن ملك الأمراء نائب الديار المصرية أشيع بعصيان نائب الشام أرسل له قاصدا إلى حلب اسمه فرحات لنائبها فرحات باشا الرومي يأمره بحفظ البلد وكذا الأمير علي بن سوار. ففعلوا ما أمرَهم به قبل وصول نائب الشام لهم، وأن بعض الجراكسة الذين(١) بمصر كثُر كلامه فقُتل وكذا غيرهم من الأعوان، ونودي في الشوارع بعدم الكلام فيما لا يفيد، واضطربت مصر لذلك وغليت الأسعار، فالله تعالى يُرخّصها على المسلمين.

وفي يوم السبت ثاني تاريخه سافرت قافلة المدينة الشريفة وكبيرها شخص يسمى الخواجا عبد القادر القاري وفيها الكمالي أبو الفضل العُلَيْف وأختاه وزوجة والده، كتب الله سلامتهم وتقبّل مجاورتهم.

وفي هذه الجمعة نودي بالزينة لأخذ جان بردي الغزالي فزينتْ أسواق مكة ففُعلتْ، وعبث أتراك الشريف بالمارة فيها وتجاهروا بالمعاصي وتعدّى الضرر في الشوارع، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

[٧٥ ب] وفي صبح يوم الثلاثاء خامس عشريْ الشهر وصل قاصد من نائب جدة الرومي لأخذ السفرة التي لنائب الشام جان بردي الغزالي المودعة في بيت الخواجا عباس، فاجتمع شاه بندر جدة الخواجا شرف الدين ابن [شيخ](٢) الدهشة والقضاة الأربعة بالمسجد الحرام وطلبوا البدري محمد أخا(٣) عباس وسألوه عنها فقال لهم: في حاصل عليها ختم أمير الشامي، فتهدّدوه بكلمات انزعج لها مع ضعفه، ثم توجّهوا معه إلى المنزل وفتحوا الحاصل وأخذوا ما فيه من الصناديق

(١) بالأصل: الذي .
(٢) كلمة سقطت من الأصل .
(٣) بالأصل: أخي .

المرجان والزبرجد(١) وغير ذلك مما يأتي قدّره أزّيد من عشرين ألف دينار وأرسلوها لجدة، ووضعوا أخا(٢) عباس في الحديد طول النهار ثم أطلقوه بعد المغرب وأخذوا(٣) منه عشرة أشرفية ترسيماً للقاصد الواصل من جدة، ونُسب هذا الفعل لشاه بندر جدة، وعند الله تجتمع الخصوم.

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه اتفقت قضية للرئيس في بحر الإسكندرية نور الدين علي المغربي وكيل ملك الأمراء بالديار المصرية مع قاضي القضاة بديع الزمان ابن الضياء الحنفي وهي أنّ الرئيس طلب ثبوت محضر كتبه علي في مال غرق ومشاهدة ذلك بشهوده عليه، فتوقّف في ذلك وأثبته على القاضي الحنبلي محيي الدين عبد القادر بن ظهيرة، فسأله القاضي بديع عن سبب ثبوته على غيره فقال له: شاهدك قال إنه يطلب مني خمسة أشرفية، فكذّبه القاضي، فرد عليه تكذيبه، فاغتاظ منه القاضي وقام من مجلسه في المسجد وتوجّه إلى حاشية المطاف عند شاه بندر جدة الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة الحلبي وحكى له سبّه له، فطلبه وسأله عن القضية فوقع بينهما كلمات أدت إلى أن القاضي أمر بكشف رأسه ورفع عمامته تعزيرا له فيما فعله معه، والمغربي يظن أنّ ذلك للصلح، فتوجّه المغربي وقال له(٤) بعض المغرضين عند القاضي: إنه عزرك بذلك، فقام وقعد وتكلم بكلمات من التهديد وشكواه لنائب الديار المصرية، فسمع القاضي بذلك وعرف مقامه فتشوش من ذلك وصار يظهر التجلّد وتكلم مع شاه بندر جدة في مصالحته فلم يصغ المغربي لذلك وسافر في جمعة تاريخه إلى جدة، فالله تعالى يقدّر للمسلمين خيراً.

وفي يوم تاريخه وصلت قافلة المدينة الشريفة، وأُخْبِر بوصول المركب المسماري

(١) بالأصل: الزبجفر .
(٢) بالأصل: أخي .
(٣) بالأصل: أخذ .
(٤) كلمتان تكررتا بالأصل .

إلى الينبع وفيه قمح الصدقة إليها وفيه حَب كثير، فالله تعالى يرخِّص أسعار المسلمين.

وفي جمعة تاريخه طلع سعر المساعيد الفينق[١] إلى ثمانين بمحلق وتضرر الناس بذلك لكثرتهم وبخسهم.

وفيها شرع الخواجا الكبير بيري الرومي في عمارة بركتيْ الحاج اللتين[٢] بالمعلاة وصرف عليهما مالا جزيلا من عنده واشترى نورة فنوّر جدرانَها وسفلها واستمر الشغل في البركة الأولى مدة.

وفي ليلة الأربعاء سادس عشريْ الشهر وصل إلى مكة زيت الحرم الشريف المكي، وكان وصل بحرا في المركب المسماري إلى ينبع وأرْسِل في حلبة إلى جدة، وعادته يصل مع الحاج صحبة الشمع والبطائن التي لأكفان الأموات، فتسلّمه القاضي الشافعي محب الدين بن ظهيرة ووضعه في حاصل الحرم بباب الدريبة وضبطه مع القباني فجاء وزنه ألفا وستمائة واثنين وثمانين رطلا[٣]، وحمل شمعه وزنُته ثلاثمائة وثلاثة وثمانون رطلا، وستون بطانة لأكفان الأموات. وابتهج القاضي بوصوله وعد ذلك من سعده.

[٧٦ أ] شهر ربيع الثاني استهل كاملا في ليلة الإثنين من سنة ٩٢٧هـ (١٥٢١م)

وفي أوله تباشر الناس بدخول المراكب الهندية إلى بندر جدة المعمورة، فدخلها في أوله الفتحي من الديو ثم التركي من كنباية ثم البروجي ثم بركات الحلبي منها

(١) الفينق: كذا بالأصل، ولم أجد لهذا اللفظ توضيحا في ما بين يديّ من المصادر .
(٢) بالأصل: اللتان .
(٣) بالأصل: ألف وستمائة واثنان وثمانون .

وتتابعت البقية كذلك.

وأشيع في آخر الشهر أنّ مراكب كنباية رجعت إلى محلها بخبر الفرنج وغير ذلك .

وفي يوم الخميس رابع الشهر ظهرت سكة المساعيد والفلوس وصُرف كل محلق من المساعيد بثمانية ومن الفلوس بأربعة وعشرين. وزفت في معاشر على رؤوس الجمال بالطبل والزمر وداروا بها شوارع مكة فانفرج المسلمون[١] بها واستراحوا من الربا في صرف المحلقة بالمساعيد لزيادتها، ووصلت في صرف المساعيد العتيقة إلى ثمانين مسعوديا كلّ محلق، وهي تتطاير بأدنى شيء من الكف.

وكتب على المساعيد الجدد والفلوس اسم الشريف أبي[٢] نمي صاحب مكة وكان فعل ذلك بسبب كلام قطب الآفاق الشيخ محمد بن عراق مع الشريف صاحب مكة وغيره من أرباب الدولة. ثم تُركتْ المساعيد وتعامل الناس بالفلوس، واستراح أهل مكة من الربا المنحوس، وذلك ببركة الشيخ ابن عراق، نفع الله به في جميع الآفاق.

وفي يوم الثلاثاء تاسع الشهر وصلت أوراق من جدة أرسلها جماعة من الهند فى المراكب الواصلة في شهر تاريخه مضمونها الإخبار بتحرّك الكفار المخذولين المقيمين فى أعمال الهرموز من الهند على سلطان المسلمين بكنبايه مظفر شاه، نصره الله تعالى، وأنهم ساروا إليه في عشرين ألف نفر، وقيل مائة ألف، ودخلوا إلى بعض بلدانه فجهّز لهم عسكرا مرة بعد أخرى فيعودون إليه بمنعة منهم، فاستنجد بسلطان دلي محمود فوعده بالمسير إليه، فالله تعالى ينصُر عساكر المسلمين، ويخذل الكفرة والملحدين.

(١) بالأصل: المسلمين .
(٢) بالأصل: أبو .

وفيها وفاة السيد العلامة المعتقد صفي الدين محمد بـن.... [١] الحسني الإيجي في شهر رجب من السنة الماضية، وخالي الشيخ محمد المعمر المسند شرف الدين أبو القاسم ابن الشيخ فخر الدين أبي بكر بن فـهد الهاشمي المكي في التاريخ المذكور، وعُملتْ ربعة السيدة بديعة على ولدها السيد صفي الدين وصُلّي عليه في ظهر يوم الجمعة ثاني عشر الشهر ونادى له الرئيس فوق ظلة زمزم بألقاب كثيرة ذكر فيها كرامات أسلافه وهي على الألسنة شهيرة.

وفي ليلة الأحد رابع عشر الشهر بكى الأخوات على خالنا وعَزّانا الناس فيه وصُلّيّ عليه صلاة الغائب في ظهر يوم الجمعة تاسع عشر الشهر ونادى له الرئيس فوق ظلة زمزم صورته: " الصلاة على العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ العلامة الإمام الهمام خادم سُنّة سيّد المرسلين، خاتمة المحدثين بقية السلف الصالحين، محمد أبي القاسم شرف الدين بن فهد الهاشمي المكي الشافعي، رحمه الله تعالى في غُربته، وأناله الجنان بشهادته، الصلاة ".

وفي ضحى يوم الإثنين خامس عشر الشهر وَلدت زوجة قاضي القضاة بديع الزمان بن الضياء الحنفي جوهرة شقيقة القاضي جمال الدين محمد بن يعقوب المالكي أم أولاده بنتين توأمين في بطن واحد، فتشوّش والدهما بذلك وقصَده الناس بالتهنئة بهما فلم يُعجبه ذلك.

[٧٦ ب] وفي يوم تاريخه دخلت الخماسين وكثر مرض الحصبة في أهل مكة، يمرض كل واحد أسبوعاً ثم يُشفى، وغالب ذلك من الصغار، ومرض فيه ابنتاي فشفاهما الله تعالى، ولله الحمد.

وفي يوم الإثنين ثاني تاريخه أرسل نائب جدة الرومي قاصداً لمكة لطلب البُناة والسقائين منها لعمارة البُرج الشامي في بندر جدة فجمعهم الحاكم بها القائد مبارك

(١) بياض بالأصل بمقدار ثلاث كلمات .

ابن بدر وأرسلهم إليه مكرهين امتثالا لأمر [١] ملك الأمراء نائب الديار المصرية في المراسيم الماضي ذكرها في الشهر الذي قبله.

وفي ضحى يوم الأربعاء سابع عشر الشهر عُمِلتْ وليمة عظيمة في المدرسة الباسطية للعزاء في السيد صفي الدين محمد الإيجي على قاعدة العجم، عملها أقاربه من أرز وأطعمة وحلوى ورقاق من غير خبز، حضرها القضاة الأربعة وخلق من الأعيان وغيرهم وجلس القضاة الثلاثة على يمين الشافعي المستقل من صاحب مكة القاضي محب الدين بن ظهيرة حاجبين للحنفي وجماعته على يساره وبقية الناس على مراتبهم.

وفي ظهر يوم الجمعة صُلّي صلاة الغائب على خالنا بالمسجد الحرام كما تقدم ذكره قريباً.

وفي صبح يوم الثلاثاء ثالث عشريْ الشهر مات النوري علي بن محمد بن مهدي الصائغ فجهّز في يومه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر ودفن بالمعلاة، وخلّف ولدا ذكرا وزوجة.

وفي يوم تاريخه قبض الحاكم بمكة على أهل السوق من الصيارف والجبّانين والسمّانين وغيرهم وضرب كثيراً منهم وتهدّدهم بكلمات كثيرة للزيادة في صرف المساعيد الجدد إلى اثني عشر مسعوديا كل محلق بعد أن فعل بثمانية، وقال لهم: هذه مخالفة لصاحب البلاد، فخدموه بمال وطلّعوا الأسعار في ثاني تاريخه بعد نزولها.

ثم قدّر الله تعالى في هذه الجمعة إشاعة وصول مركبين من الهند أحدهما يقال له البَروَجي، من بَرْوَج [٢] ويُقال فيه صدقة أَرزّ من أميرها خير الدين؛ وبعض قماش من الملك إياس نائب السلطان مظفر، ولم يتحقق ذلك، وثانيهما مركب بركات

(١) بالأصل: لأمر به .

(٢) بَرَوْج: من مدن الهند البحرية يُجلب منها النيل، ياقوت: معجم البلدان ١: ٤٠٤ .

الحلبي من الديو.

وأرسل ناخوذة ثانيهما عدة أوراق إلى مكة فيها الأخبار المكدرة التي استسمجها السامعون لها خصوصا وهي غير مقبولة، ومنها أن مراكب الشاهي والمحمدي والمظفري خرجوا قبله من بندر كنبايه فلاقوا الفرنج المخذولين في طريقهم قريب البندر فرجعوا إليه لذلك، وبعضهم حصل له فتح في جانبه، وتعجّب الناس لإخباره بذلك لعدم مشاهدته لهم أو ملاقاة مَن يُخبره عنهم وبعضهم ذكر أن هذه إشاعة لتحسين البضائع التي معه، فالله تعالى يلطف ويُقدّر للمسلمين خيرا. وفيها أنّ خمسة جلاب وصلت من اليمن وزيلع والقصير فيها حب كثير، ففرح الناس به ونزل السعر في مكة فبيعت الربعية الحنطة والدخن بثلاثة محلقة والذرة بمحلقين ونصف.

وجاء جماعة من الشرق أخبروا بمطر [٧٧ أ] تلك الناحية وحصول السيل فيها مرة بعد أخرى، وأنّ قافلة خرجت من بَجيلة (١) فيها جماعة من الأعراب معهم حبّ وزبيب فخرج عليهم عرب عتيبة ونهبوهم وقتلوا منهم شخصا مصريا في محل يُقال له الحجر قرب الطائف. فبلغ ذلك صاحب مكة السيد بركات في ناحية اليمن فدخل مكة على نية التوجّه جهة الشرق لأجل المرعى في ضحى يوم الجمعة سادس عشريْ الشهر، فهرع القضاة والأعيان للسلام عليه وشكا إليه أهل القافلة العرب الذين أخذوهم، فوعدهم بنصرهم وأخذ ثأرهم وردّ ما أخِذ لهم، فدعوا له وانصرفوا.

وفي عصر تاريخه عقد القاضي المالكي الزيني عبد الحق النويري بابنته الكبيرة.... (٢) على الإمام زين الدين أبي الفوز بن محمد الخجُنْدي المدني الحنفي

(١) بَجيلة: قرية شرقي الطائف، في وادي لِيّة يسكنها بعض الأشراف، ذكرها البلادي مرارا في معجم الحجاز، انظر فهارسه .

(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

وذلك بالمسجد الحرام وحضره بعض جماعة اتفاقا. وكان خطبها منه فتوقّف معه مدة ثم أنعم عليه وشرط عليه الدخول في أول السنة الآتية، وانتُقِد على الزوج مصاهرته، فالله تعالى يُعينه عليه لسوء معاملته.

وفي عصر يوم السبت ثاني تاريخه ركب الشريف بركات صاحب مكة وتوجّه لعزاء القاضي الشافعي محب الدين بن ظهيرة في عمّه القاضي صلاح الدين وجلس عنده قليلاً وجابَرَه بكلمات كثيرة ثم توجّه لعمّته السيدة سعادة ابنة القاضي أبي السعود بن ظهيرة فعزاها أيضا وعاد لمنزله.

وفي يوم الإثنين تاسع عشريْ الشهر مات القائد بدر الدين حسن بن عبد الكريم بن شكر الحسني الناظر على أوقاف جده بالمسفلة وأوقافه، وكان كفّ نظره مع كثرة كلامه وإيصاله لمراده، فوجع زمنا طويلاً، فجهّز في يومه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر ودفن بالمعلاة في تربة سلفه، رحمه الله تعالى وعفا عنه آمين، وخلّف ولديْن ذكريْن عبد الله ومحمد وكلاهما رجلان وحالهما أصلح من أبيهما.

شهر جماد الأول استهل ناقصا بالثلاثاء من سنة ٩٢٧هـ (١٥٢١م)

وكان صاحب مكة الشريف أبو نمي ووالده السيد بركات الحسنيان مقيمين بها.

وفي صبح تاريخه توجّه القضاة والأعيان للسلام عليهما في منزلهما، فشكى القاضي الحنبلي محيي الدين عبد القادر بن ظهيرة من قاضي المالكية الزيني عبد الحق النويري وأطْلع الشريف على بعض أحواله وولده وارتكابهما لأمورٍ محرّمة، فقال له الشريف: أما ولده فشابٌ، وكل أحد له صبوة، فبلغ المالكي وابنه ذلك فأرسلا إلى الحنبلي يسبّانه وبالغ الولد في ذلك لجيرانه على عادته، وقد قال فيه بعض الشعراء يشكوه للشريف ويُعرفه بحاله.

قل للشريف أبي زهير والذي — حفظ الأنام بعدله وأمانه
إن كنت قد أمّنتنا في مكة — من طارق يسطو بحدّ حسامه
فانظر لعبد الحق خلف نجله — نهب الأنام بزوره وحرامه
ولأنت يا بركات تُسأل في غد — عنه فعجّل بانقضا أيامه

وتشوش الحنبلي منهما وأراد شكواهما للشريف، وكان توجّه في عصر تاريخه إلى منى [٧٧ ب] وزار بها سيدي الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن عراق، نفع الله به، وبات بها إلى الصباح وتوجّه إلى الصيد فمسك فيه غزالين وأرسلهما للشيخ ابن عراق، فأعطى الشيخ أحدهما لشيخ رباط الموفق الشيخ محمد الحطاب المالكي وثانيهما لأهل رباط المغاربة، و لم يأكل منهما شيئاً.

وفي صبح يوم الأربعاء ثاني الشهر المذكور سمعتُ، وابنتي سيّدة الكل حاضرة في الثالثة، على الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن أبي السعود بن ظهيرة القرشي المكي كان الله له، **المسلسل بالأولية** بقراءتي **وجزأي التطا**[1] **والغضائري**[2] بقراءة الشيخ زين الدين عمر بن [الشماع] [3] الحلبي.

وفي صبح يوم الخميس ثاني تاريخه اجتمع القاضيان المالكي والحنبلي عند صاحب مكة السيد بركات بن محمد الحسني وكان عنده القاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة وغالب إخوانه وخلق من أتباعه فشكا الحنبلي من المالكي بعد أن تغدى الشريف وخرج المالكي لغسل يديه فأمر الشريف بندائه فطُلِب وجاء بين يديْه والحنبلي على يسار الشافعي فأعاد الحنبلي الشكوى منه وذكر قبائحه من ارتكاب المحرمات من الاجتماع بالمُرْد وشرب الخمر وأكل الحشيش، وحلف برأس الشريف

(١) كذا بالأصل، ولعل صوابها " جزء البطاقة لحمزة الكناني " .
(٢) هو الحسين بن عبد الله الغضائري، توفي ٤١١هـ/ ١٠٢٠م، كحالة: معجم المؤلفين ٤: ٢٥ .
(٣) بياض بمقدار كلمة بالأصل، والإكمال مقترح حيث أن عمر الشماع كان معاصرا للمؤلف وصديقا له كما كان قرأ كتبا ذُكرتْ سابقا وحضرها المؤلف .

أنه جاء للسلام عليه في أول الشهر وهو سكران، وبالغ في الحط عليه وقال: لولا حرمتك لأخذتُ حقي بيدي من ضربه ورمي عمامته. فقال له المالكي: أنت مُرَاق الدم وقبائحك وصلتْ إلى الروم لفعلك في ابنتك، فقال له: هذا الكلام لا يقوله إلاّ مفتر[1] مثلك، فضحك الحاضرون عليهما خصوصاً الشريف وإخوانه بل قال بعضهم: إيش تركوا للعامة، ومثلهم لا يصلح للقضاء، ولم يخاطبهم أحد منهم.

فلمّا طال الكلام طلب المالكي الشيخ عفيف الدين عبد الله الرومي لكونه سأله في مساعدته عند الشريف في المرسوم الذي وصل صحبته من الروم لأجل مسامحته فيما فعل له من الفوت وترك معشره له وكان حاضراً في المجلس فقام وقعد بجانبه أمام الشريف، فلما رآه قال: هذا الذي شكاني عند الخنكار، فأجابه بالإنكار فسبّه وتهدده بالقتل وغيره فثبت في جوابه وقال له: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ﴾ [2] أي تثبتوا، فقال له الشريف: أنا ظلمتك، فأجابه بقوله: نعم لأن نسبة[3] هذا القول إلي وأنا بريء منه لكني لما كنت في الروم وقعت القصة بالشكوى من صهرك الشريف عرار بن عجل ووزيرك بجدة محمد بن راجح والقاضي الشافعي صلاح الدين بن ظهيرة ونائب جدة قاسم الشرواني فساعدت وأعيد[4] في إبطالها لكوني ساكن في بلدك. فاستشهد الشريف بالمالكي فشهد [5] أنه سمع ذلك بمصر، فتشوش منه وأمر بعض إخوان الشريف بالاستغفار، وقال: لا يستغفر إلاّ مذنب، فأعجب ذلك جميع الحاضرين[6] فأمره الشريف بالانصراف

(١) بالأصل: مفتري .
(٢) سورة الحجرات، الآية ٦ .
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل .
(٤) كذا بالأصل .
(٥) بالأصل: فسمع، والإصلاح مقترح .
(٦) بالأصل: الحاضرون .

ولزوم بيته وعدم مداخلته لأحد، فقام القضاة وهو معهم فكثرت القالات في ذلك وشمَت كثير من الناس لما حصل للمالكي ما حصل، ولله در القائل حيث قال:

أمور يضحك السفهاء منها ... ويبكي من عواقبها اللبيب

وغير ذلك مما يناسبه.

وفي ضحى يوم الخميس المذكور ذبح شخص نفسه هرموزي كان خادماً عند وزيرها فاتهمه بسرقة مال وتهدده بالضرب فذبح نفسه واطلع عليه سيده فرمى[١] بنفسه من محل عال [٧٨ أ] وهرب منه إلى المسجد الحرام فبلغه وسأله بحضرة جماعة عن من ذبحه فاعترف بفعل ذلك بنفسه فحمله إلى منزله وقطب[٢] له رقبته فمكث إلى بعض الظهر ثم مات، فجهز في عصر يومه وصلّي عليه عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة. واختلفت الأقوال فيه ويقال إنه آخى سيّده في بلاده، فالله تعالى يعفو عنه ويسامحه.

وفي ظهر يوم الجمعة رابع الشهر تكلّم الشريف بركات صاحب مكة على الزيني جعفر بن عبد القوي وأقامه من مجلسه بغلظة في حضرة الناس وقت صلاة الجمعة في المسجد الحرام وذلك بسبب شكواه للشيخ عبد المعطي الفُوي صهر الشيخ عبد الكبير الحضرمي وملازمته للشريف في طلب أوراق تحت يده ينازعه بها من جهة بيوت الأشرف الغوري التي كان متكلما عليها في جهة باب إبراهيم من المسجد الحرام. وأنكر عليه ذلك لملازمته للشريف في غير كبير فائدة وما لا يجدي خصوصا مع تقرب خصمه منه واعتقاده له وكذا غيره ممن قرّره، فسبحان قاسم العقول.

وفي عصر تاريخه توجّه الشريف بركات، نصره الله تعالى، إلى وادي جدة

(١) بالأصل: فارمى .
(٢) قطب: جمع طرفي الجرح .

للكشف على نخيله بها فلاقاه مباشرو[١] جدة فيها فأمرهم[٢] بالتوجّه إلى مكة حتى يعود إليهم بعد كشفه على نخله بوادي مر الظهران وجميع الأودية التي بها وبوادي واسط هدة بني جابر فقام[٣] عن مكة ثلاثة أيام وعاد إليها في ظهر يوم الإثنين سابع الشهر ودخل إلى منزله ولم يجتمع به في يومه إلاّ القاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة والقاضي نسيم الدين المرشدي الحنفي ومنع بقية القضاة.

وفي ثاني تاريخه واجه بقية القضاة مع مباشري جدة والخواجا بركات الحلبي صاحب المركب الواصل من الهند وقدم له ولولده الشريف أبي نمي وزوجته الشريفة أم الكامل ابنة عجل هدية حسنة من القماش والعود والمربيات والسرر[٤] وغير ذلك من التحف[٥] مما يقال مقدّرا خمسمائة دينار. ثم طلب الشريف منه هدية لزوجته الشريفة غنية[٦] أم الشريف أبي نمي فقدّم لها هدية وحدها.

وكتب المباشرون[٧] بجدة عن محصولها في سنته وبحضور الشريف وسعى عنده الشهابي أحمد المريسي في وزرها، ويقال إنه قدم للشريف ثلاثة آلاف دينار[٨] حالّة وأربعة آلاف مقسّطة في كل ثلاثة أشهر ألف واحدة.

وفي صبح يوم الثلاثاء ثامن الشهر دخل السّيد الشريف إلى المطاف، ودّع الكعبة الشريفة وخرج من باب حزورة، ووادَعَهُ القضاة والأعيان، وتوجّه إلى علو مكة بقصد السفر إلى بلد الشرق ونزل في بستان نائب جدة جان بك الأشرفي وأقام

(١) بالأصل: مباشري .
(٢) بالأصل: فأمره .
(٣) كذا بالأصل، ولعلها: فغاب .
(٤) كذا بالأصل، ولعلها: السدر .
(٥) بالأصل: البخت .
(٦) بالأصل: غبية، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٧) بالأصل: المباشرين .
(٨) بالأصل: دينارا .

به إلى عصر ثاني تاريخه إلى أن تكامل عسكره عنده، ثم رحل وخلع على الشهابي المريسي هناك وولاّه وزْر جدة والتكلم على المباشرين بها عوض الشرفي يحيى بن سبيع بن راجح ابن أخي الجمالي محمد المتولي، وكان سلّم للشريف في الوظيفة المذكورة من مدة سنتين خمسة آلاف، واستلف له من التجار مثلها فدخل على الشريفة أم الكامل ابنة عجل زوجة الشريف بركات في ردّ الخمسة التي استلفها من التجار فأحاله الشريف على المتولي الشهابي المريسي وحمل التجار هَمّ ولايته لظلمه وعدم مراعاته لهم، فالله تعالى يعين عليه ويلطف بالمسلمين فيما صار إليه.

وفي عصر يوم الثلاثاء المذكور وُلد الولد المبارك جمال الدين محمد ابن سيدي الشيخ القدوة [٧٨ ب] المعتقد العارف بالله ناصر الدين محمد بن عراق الدمشقي نزيل مكة – نفع الله به – وكان والده مقيما في منى، فجاء إلى مكة وأقام بها إلى كمال سابعه فأولم له، ثم عاد إليها، وحصلت للناس بركته في مدة إقامته بمكة ووقع فيها مطر.

وفي هذا التاريخ سقط السيد بركات بن محمد من راحلته جهة الشرق، وعمل مُوَرِّياً [١] الفقيه شهاب الدين أحمد بن مخراق البصري الشافعي أبياتا[٢] ضمّنها وقْعته من راحلته وأنشدها له وكتبتُها منه وهي.... [٣] .

وفي ليلة الخميس سابع[٤] عشر الشهر دخل السراجي عمر ابن الشيخ عبد الكبير الحضرمي المكي على ابنة عمّه الشيخ أبي الفتح بن.... [٥] فهنّأه الناس بها في

(١) بالأصل: موربي .
(٢) بالأصل: أبيات .
(٣) لم ترد الأبيات المشار إليها في النص .
(٤) وردت الكلمة بالأصل « سادس » وهو خطأ أصلحناه بناء على حساب أيام الشهر السابقة الورود، كما أن هذه الفقرة وردت متقدمة على محلها من النص .
(٥) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

منزلها بالمدعى.

وفي آخر هذه الجمعة وجع والد الزوج بالزيادة فأخرج دماً كثيراً من حلقه، ففرج الله عنه ثم شفي بحمد الله بعد نصف شهر.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر الشهر وصل إلى مكة قاصد من نائب جدة الرومي بأوراق منه وأوراق وصلت في البحر من اليمن أرسلها حاكمها الآن كمال الرومي مقدم الأروام بها لقضاة الشرع الأربعة بمكة ولسلطانها وشاه بندرها، ويقال للشافعي والحنفي. مضمونها الإخبار بقتله لأمير زبيد إسكندر الجاركسي في أواخر ربيع الآخر لظلمه وخروجه عن طاعة الخنكار سليمان خان ابن السلطان سليم شاه ابن عثمان ودعائه لنفسه في الخطب ومنْعه لسفر الجلاب إلى جدة، وأنه أمر بجهازها إليها بالأقوات على العادة، وسؤالهم في الكتابة له لملك الأمراء[١] نائب الديار المصرية في الشكر منه وإبقائه على حاله متكلماً على اليمن وإرسال ذلك إلى الخنكار في الروم. وطلب نائب جدة جواب كتبه من القضاة له ولملك الأمراء وأخبرهم أنه جهّز زعيمة للسفر إلى القاهرة وهو ينتظر الأجوبة له.

وفي ظهر تاريخه مات الشاب السعيد الأصيل زين الدين عبد الغني بن محمد بن محمد بن سليمان بن داود الجزولي المغربي الأصل المكي، وهو طيّب وبرز في أول نهاره فكان يعتريه ضيق النفس فتحرك عليه ومات به، فجهّز في عصره وصُلّي عليه عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة في تربة جَدّه، نفع الله به ورحمه، وخلّف أخا غائبا في الهند، وأخته زينب بمكة، رحمه الله تعالى.

وفي هذه الجمعة أشيع بمكة وصول جلاب بجدة من اليمن فيها حب فرخص السعر بها وبجدة وبيعتْ الربعية المصرية بمحلقين ونصف والذرة بدون ذلك والدّخن بزيادة ربع محلق والنخلية بثلاثة محلّقة، فتباشر الناس برخص الأسعار خصوصاً وبذكر

(١) بالأصل: الأمر .

جلاب واصلة من القصير، فالله تعالى يحقّق ذلك ويديم الخير على المسلمين.

وفي صبيح يوم السبت تاسع عشر الشهر طلب السيد محمد بن علي الآمدي العجمي شاه بندر جدة - كان - مباشره أحمد بن الحجازي المصري إلى عند قاضي القضاة الحنفي بديع الزمان بن الضياء بالمسجد الحرام، وحضرهم الخواجا بيري الرومي والحاكم مبارك بن بدر فادعى عليه بعشرة آلاف دينار فأنكرها خصمه فتكلّم عليه الحاضرون في ذلك بتكلم بالحق فادعى عليه ثانيا بثلاثة آلاف دينار [٧٩ أ] أو دونها فأقرّ بأنها كانت عنده ودفعها له على نقدات بأيدي جماعة أحالهم عليه بوصولٍ بخطه فأنكرها، فقال الخواجا بيري: كلاكما كاذب، فقال المباشر: يحلف لي على ذلك وإن كان معي بيّنة أحضرتها، فتشوش منه شاه بندر وقام في المجلس ضربه بيده ورجله ضربا مؤلما، فاغتاظ الحاكم من فعله وقام من المجلس وقال: لو كان هذا في مجلسي قطعتُ يد الضارب. فانفض المجلس بعده على غير شيء، وأنكر الناس ذلك على القاضي لعدم كلامه على.... [1] وسطوته على مجلس الشرع بحضرته، فلا قوة إلاّ بالله.

وفي ضحى يوم الأحد ثاني تاريخه اتفقت قضية أشنع من هذه فَعَلَها القاضي المالكي عبد الحق النويري، وهي أنه طلب الفقيه الأصيل عباس ابن القاضي أبي المحاسن ابن قاضي القضاة أبي القاسم بن الضياء الحنفي في شهادة ليس لها أصل ووعده بدفع عشرة أشرفية إذا شهد بها لجليسه وأحد عُشَرائه الخواجا إبراهيم ابن الشيخ علي الشامي، فامتنع من فِعلْها مع الشاهد الثاني فطلب القاضي المالكي الزيني عبده ابن القاضي نور الدين بن ناصر الشافعي وقال له: اكتب المستند بشهادة عباس ومحمد القرشي عندي، فبلغ ذلك عباس فتكلم على الورق، فقال له: لم أشهدْ بها ولا أعرف الخصم الذي يريد المالكي يثْبِت الحق عليه، فبلغ المالكي ذلك فأرسل إليه

(١) كلمة غير واضحة بالأصل .

يطلبه فامتنع من التوجّه إليه، فأرسل له قاصدين من صبيان الحاكم مبارك بن بدر ولم يخبرهما بحقيقة حاله، فطلباه إلى الحاكم فتوجّه معهما ومروا به على بيت المالكي ودخلا به إليه فمسكه بيده ولبب[1] له وسَبّه، وأراد عباس البطش به فما مكّنه صبيان الحاكم منه، فأمرهما المالكي بالتوجّه به إلى الحاكم فتوجّه إليه وحكى تزوير المالكي فتشوش من ذلك وأمر بإطلاقه. [وله أفعال قبيحة وتزويرات أعظم من هذه][2].

وسمع قريبه القاضي الحنفي بالقضية فأرسل إلى الحاكم يطلب منه دفع القضية إليه لكونه قريبه فقال الحاكم: هذا مظلوم، ولله در بعض الشعراء حيث قال:

كنّا نَفِرّ من الولا   ة الجائرين إلى القضاة

فالآن نحن نفرّ من   جور القضاة إلى الولاة

وفي أثناء ليلة الجمعة خامس عشريْ الشهر وصل ساع[3] من قاضي جدة الجمالي محمد بن ظهيرة إلى مُسْتَنِيبه قاضي القضاة الشافعي بمكة المحيي بن ظهيرة يخبره بوصول قاصده من مصر بالولاية له ووصل معه مراسيمه من ملك الأمراء بالديار المصرية، فبشّر بذلك وكذا محبيه واغتم أعاديه له لكونه سادهُم بِصِغَر سِنّه، فالله تعالى يزيده من الخير، ويدفع عنه كل شر وضير.

وفي صباح تاريخه توجّه الأعيان من الفقهاء وغيرهم للسلام وسُرّ غالب الناس بولايته لعقله ودينه، زاده الله من ذلك.

وفي عصر يوم السبت ثاني تاريخه وصل القاصد من جدة وصُحْبَته شاووش من الدولة يقال له شجاع ورفقته ثلاثة مراسيم له أحدها مطلق لكل واقف عليه وثانيها للشريف وثالثها توقيع، وفيها الثناء عليه وإجابة الشريف لما سأله فيه من

(١) أمسك بتلابيبه .

(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهر والي .

(٣) بالأصل: ساعي .

الولاية وأن خلعته واصلة في البحر صحبة شاه بندر جدة الخواجا أبي البقاء السكري المتولي لها عام تاريخه. وكتب بعض أركان الدولة أن مَنْ لاحظتْه عناية السيد بركات فهو في أعلى الدرجات.

ووصل مع القاصد عدة مراسيم للشريف ولنائب جدة وشاه بندرها [٧٩ب] المفصول وذكر فيها النصرة على نائب الشام جان بردي الغزالي وقتله بعد محاربته مرتين في.... (١) ويقال إن الشام نُهبت يوماً واحدا ووصل لها نائب رومي يقال له فرحات باشا، وتوجّه إلى مصر لملاقاة نائبها المقرّ الكافلي خائر بك فخلع عليه خلعتين وعاد لمحلّ ولايته وصحبته الأمير سلمان قبطان البحر وغير ذلك من النواب.

وفي ليلة السبت المذكور ماتت.... (٢) ابنة الجمالي محمد ابن الشيخ أبي الفتح ابن بركات ابن الشيخ الكبير عبد الكبير الحضرمي زوجة الشيخ جمال الدين محمد ابن شيخنا عبد الله باكثير الشافعي وكان تزوّج بها في العام الماضي بعد زوجته أم ولده، فجهّزت في ليلتها وصُلّي عليها بعد صلاة العصر ودفنت في الشبيكة بتربة جدّها، رحمها الله.

وفي ظهر يوم الإثنين ثامن عشريْ الشهر سافر القاصد والشاووش إلى جهة السيد الشريف بركات صاحب الحجاز في الشرق بمراسيمه.

وفي ثاني تاريخه سافر الوزيران بمكة والحجاز الجمالي محمد والكمالي أبو الفضل ابنا البرهاني إبراهيم بن علي المكيّان الشهيران بأبي علي لمواجهة الشريف ومصالحهما بالحجاز.

(١) كلمتان غير واضحتين بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

شهر جماد الثاني استهل ناقصاً بالأربعاء من سنة ٩٢٧هـ (١٥٢١م)

وفي مغربها هرع غالب الفقهاء للسلام على قاضي القضاة الشافعي الجديد المحبي بن ظهيرة في مصلى سلَفه خلف مقام الحنفي ومشوا معه إلى باب السويقة وسلموا عليه وعادوا كعادة أسلافه، وكان عمّه تركها مدة سنين لوجعه، فالله تعالى يجعله شهرا مباركا على جميع المسلمين ويديم النفع بقاضيها على مرّ السنين.

وفي عشاء ليلة تاريخه مات الشيخ الصالح المعتقد زين الدين عبد الكبير الأنصاري الحضرمي الأصل المكي بعد وجعه عشرين يوماً بالزيادة واستقلاله(١) في أثناء ذلك، فجُهّز في ليلته وصلّى عليه القاضي الشافعي بعد صلاة الصبح وشيّعه خلق من الأعيان وغيرهم، وحُمِلت جنازته على الرؤوس ودفن في تربة جده ووالده في قبر استجده وعمارة محل أوصله بتربة جده ومنزل.... (٢) كان مهتماً(٣) به قبل وجعه وزواج ابنه، فتمّ له ذلك قبل توعّكه وكان يقول: كان في خاطري زواج الولد عمر وعمارة التربة على الصفة التي فعلتُها، فحقق الله له ذلك ببركته وبركة سلفه، وعدّ ذلك بعض الناس كشفا له بموته عقب فعل ذلك بسرعة خصوصا وقد اهتم بفعل ذلك مدة يسيرة. فحزن الناس عليه كثيرا وذكروه بالخيرات والصلة والمبرات وكان عمره سبعاً وخمسين سنة، وخلّف ولدين كبيرين هما الجمالي محمد والسراجي عمر وبنتين مزوجتين وأمّهم، فالله تعالى يعظم لهم الأجر ويرحمه والمسلمين وينفع به وبسلَفِه.

وفي ليلة السبت رابع الشهر أشيع بمكة وصول مركب من كنباية للخواجا السقطي المنقطع بها وفيه ولده فتباشر الناس به لنزول الأسعار في القماش.

(١) كذا بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) بالأصل: منها .

ثم في يوم الثلاثاء سابع [الشهر][1] أشيع حرقه في البندر فتشوش الناس لذلك واطلعتُ على [٨٠ أ] ورقة جاءت من جدة فيها خبره وهي أنّ ناخوذته نزل إلى البندر في يوم الأحد ومعه البحارة بِبُقَجٍ كثيرة فاستكثر عليه أهل الديوان ذلك وقالوا له: مركبك صغير وتنزل بهذا كله جَوْزا على الديوان، وإن منعناك من عادتك ظلمناك، فجعلوا بين ذلك مصلحة ثلاثمائة وخمسين أشرفية تركوها من عشور البُقَج فقال لهم: عندي كل توبلي[2] بمركب كامل، يعني من التحف وشحنة مركبة كلها له.

وفي ليلة الإثنين سادس الشهر قبل غيبة القمر رأى الناس بمركبه نار نفط فصاحوا وفزع الناس إلى جهة الفرضة فطردهم[3] التركمان ورجعوا إلى محل آخر الفرضة من جهة الساحل وصاحوا عند الأمير فأمر بطلوع ثلاثة سنابيك وغالبهم هنود لأجل خوفهم على مراكبهم، فاستمرت النار تَقِدُ فيه إلى الصبح وسدّ الدخان الأفق وشاهد ذلك غالب مَن بجدة، ثم طلعت إليه سنابيك نحو الثلاثين وأكثر فخرقوا المركب حتى غرّقوه وهمدت النار.... [4] احترق وطاح في البحر وماتت جارية الناخوذة وعبده ثم تُرك ما حرك[5] فنظرت الناس إلى التحف أصنافا لو سَلِمتْ لامتلأت البلد منها كالشاش والبيرم الذي للناس زمانا طويلاً مثله، وكذا المناديل والقطنيات، ويقال قيمة كل منديل ثلاثون أشرفية والخيَم والسرر، وقال الناخوذة: قيمة بعض السرر ألف دينار وخناجر بمثل ذلك وأشياء لا تكاد تُعَدّ[6]

(١) كلمة سقطت من الأصل .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) بالأصل: فطردوهم .
(٤) ثلاث كلمات غير واضحة بالأصل .
(٥) كذا بالأصل .
(٦) وردت الجملة بالأصل: " لا تعّد تكاد " .

وفيه نحو الثلاثمائة من ثياب الدوقدة [1] وسبع وعشرون ألفا من النارجيل وسليط وحب ودخن وأربعمائة قميص للصدقة، فذهبَ ذلك كله وبقي كوم سواد، والأمر كله لله.

ويقال إنّ سبب الحريق استهتار الناخوذة وكذا الخواجا السقطي بالشيخ عبد الله المظلوم المدفون بجدة، وأنّ خادمه جاء إليه وطلب منه بعض النذور، فقال له وهو سكران: أنا لي في البحر أربعة أشهر وقاسيت فيه شدة ما نفعني فيه أحد من الصالحين ولا أعطيك شيئا، فانكسر خاطره من ذلك ودعا عليه ولازم شيخه فيه فقدّر الله تعالى بالحريق في ليلة كلامه.

وفي عصر يوم الإثنين سادس الشهر مات الخواجا الأجل المحترم حافظ الرومي، فجهّز في يومه وصُلّي عليه بعد صلاة المغرب وشيّعه جماعة إلى المعلاة ودفن في الشعب الأقصى في تربة استجدّها، رحمه الله تعالى، وخلّف ولدين ذكرين وكان مباركا كاملا[2] لصلاة الجماعة والانجماع عن الناس وقلة الكلام، رحمه الله تعالى.

وفي ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه دخل الخواجا جمال الدين محمد ابن الخواجا الكبير زين الدين عبد القادر بن محمد بن عيسى القاري بابنة عم أبيه البكر أم هاني ابنة المرحوم الخواجا عمر بن عيسى القاري، وزفّهُ والده ببعض شمع الحرم زفة مختصرة بعد صلاة العشاء ومشى معه أصحاب والده من زيادة دار الندوة إلى منزل الزوجة في السويقة.

وفي صباح تاريخه هنّأه الناس بذلك، على العادة، فالله تعالى يجعل ذلك مباركا على الزوجين.

وفي يوم الأربعاء ثامن الشهر كملت تقسمة حب الأشرف قايتباي الواصل في

(١) كذا بالأصل .
(٢) كذا بالأصل .

البحر عام تاريخه لسكان رباطه بمكة ومقداره ثلاثمائة إردب وزيادة، ونقص منه في البيع والتلف أزْيَد [٨٠ ب] من ستين إردبا فأُعطي لأهل الرباط والأيتام وأرباب الوظائف ما عدا الصوفية والفقهاء كل واحد إردبا ونصفاً(١) ولكل من أهل المجمع دينار واحد وعِدّتهم مائة نفس، وكانوا في زمان الواقف جماعة قليلين يفرق عليهم الفاضل من الخير. وكان المباشر لتفرقة ذلك الناظر الرومي وغيره من المباشرين كالقاضي عز الدين فائز بن ظهيرة والشيخ شهاب الدين النشيلي والبدري حسين ابن القاضي نور الدين بن ناصر والمحيوي العراقي نيابة عن المقر الشهابي بن الجيعان. ورأيت كثيراً من الناس يشكونه(٢) لسوء تصرفاته في ذلك.

وارتفق الناس بوجود هذا الحب وبيع بعضه في السوق كل إردب بعشرة أشرفية سعر كل ربعية بمحلقين ونصف. ونزل السعر في السوق إلى ثلاثة محلقة إلاّ ربعاً بنقص ربع محلق في بعض ذلك وبنصف في بعضه، فالله تعالى يرحم الواقف ويجزيه والناظر خيرا ويجعل قِراه الجنة بمنّه وكرمه.

وفي ظهر يوم الجمعة عاشر الشهر ماتت موطوءة الخواجا أبي اليمن ابن....(٣) الطهطاوي أم أولاده الحبشية فجهّزت في يومها وصُلّي عليها بعد صلاة العصر وشيّعها جماعة إلى المعلاة ودفنت بتربة أسلاف سيّدها، رحمها الله تعالى.

وفي يوم الأحد ثاني عشر الشهر وصل القاضي الشافعي الذي توجّه إلى الشريف بمراسيمه إلى الشرق ومعه أوراق للقاضي الشافعي من الشريف، وفيها تهنئة بالوظيفة، وأنه لعب الحمام عند سماع ولايته بالنصرة على الوالي نائب الشام، وأمر الحاكم بزينة مكة سبعة أيام، فزُينتْ بأمر الشريف، فالله تعالى يؤيده ويمتع المسلمين بحياته.

---

(١) بالأصل: إردب ونصف .
(٢) بالأصل: يشكوا ابن، والإصلاح مقترح .
(٣) كلمة سقطت من الأصل .

وفي صبح يوم الأربعاء خامس عشر الشهر صلّى قاضي القضاة الشافعي ابن ظهيرة المجي صلاة الصبح ودخل إلى البيت الشريف صحبة خاله شيخ السدنة الحجبة عفيف الدين عبد الله بن عمر الشيبي وصلّى فيه ركعتين ثم طاف بعد ذلك أسبوعا، وصلّى خلف المقام ركعتين وعقد الطيلسان على عمامته فيه ثم برز منه وأمامه جماعة من أقاربه، وحضر في الربعة السليمية خلف مقام الحنفية كعادة عمّه، ثم بعد فراغه توجّه إلى منزله ومشى معه القضاة الثلاثة وكثير من الفقهاء وغيرهم وهنؤوه بفعل ذلك، ولم يتفق فعله على هذه الهيئة الحسنة لأحد من أسلافه وطلع فيه بهجاً ووجهه مشرقاً، فالله تعالى يجعله مباركا عليه ويديم النفع به كما نفع بسلفه، بمحمد وآله آمين.

وفي عصر تاريخه بعد الصلاة توجّه قاضي القضاة الشافعي المشار إليه، أدام الله نعمه عليه، إلى حضور المدرسة الأشرفية القايتبائية ورافقه القضاة الثلاثة وأصحاب الوظائف على العادة، فباشر ذلك مباشرة تقرّ الناظر وتشرح الصدور والخواطر، وأنشد الرئيس جمال الدين محمد ابن أبي عبد الله محمد بن أبي الخير المكي قصيدة لطيفة يهنيه بها.

وفي يوم الخميس ثاني تاريخه وصل الخبر إلى مكة بوصول قاصد من مصر يقال له مسلّم البدوي أرسله ملك الأمراء نائب الديار المصرية لإخبار جماعته بجدة يشترون له قماشا [٨١ أ] وغيره من التحف لأجل هدية للخنكار سليمان خان، فإنه نوى التوجّه إليه للروم وأرسل الأمير جانم الحمزاوي يستأذن له في السفر إليه.

وفي عصر تاريخه مات الطفل تقي الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين الحرازي.

وفي ظهر يوم الجمعة سابع عشر الشهر صُلّي على الشريف عفيف الدين

عبد الله بن أحمد السليماني [المعروف](١) بابن صبرة صلاة الغائب بمكة، وكانت وفاته في بلاد صروعة لإقامته بها غالب السنة في يوم الأربعاء خامس عشر الشهر، وكان عمره أزيد من ستين سنة مع لطافته وتودده ومخالطته للأكابر وممازحتهم له، ولم يخلّف ذكرا بل ....(٢) وزوجة، رحمه الله تعالى وإيانا.

وفي آخر هذه الجمعة كمُلتْ عمارة بركة الحاج الكبيرة التي تلي المعلاة ودُهِنَتْ بالزيت الطيّب وأُصرفتْ فيها عين بازان، ويقال جملة مصروفها قريب أربعة آلاف دينار مع ثمن النورة للبركة الثانية. عوّضهم الله خيرا منها ومَن كان السبب.

وفي يوم الأحد مات الشيخ الصالح المعتقد المجذوب محمد المدعو سديد المغربي في محل سكنِه برباط الموفّق المعروف بالمغاربة، وكان مقيماً فيه نحو خمسين [سنة](٣) وللناس فيه اعتقاد مع انجماعِهِ عنهم وعدم مخالطته لكثير منهم ويقبل الفتوح من بعضهم، ثم ضعفت حركته وقلّ نظره فلازم خلوته إلى أن ختم الله له بالموت، فجهّز في يوم تاريخه وصُلّي عليه بعد صلاة العصر وشيّعه خلق من الأعيان والعامة ودفن في المعلاة بالشعب الأقصى في تربة أعدّها لنفسه من حياته، وكان يتردد إليها في أيام صحته ويقيم بها فعمرّها الخواجا بيري الرومي له ليدفن عنده، نفع الله به وأعاد علينا من بركته. وهو ممن كان يتردد إلى والدي ويعتقده، رحمهما الله تعالى وإيانا.

وفي ضحى يوم الأحد سادس عشريْ الشهر مات أحد التوأمين ابنة قاضي القضاة الحنفي الجمالي بديع الزمان بن الضياء وكان مولدها سنة تاريخه فجهّزت في ساعتها ودفنت في المعلاة وشيّعها جماعة قليلون لعدم اطلاعهم على موتها وقصد الناس والدها بالتعزية بها.

(١) كلمة سقطت من الأصل، أضفناها لأن سياق الجملة يتطلبها .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٣) كلمة سقطت من الأصل .

وفي عصر يوم الإثنين ثاني تاريخه وصل قاصد من جدة وأخبر بوصول الخواجا أبي البقاء السكري شاه بندر جدة إليها من البحر، يُقال في نحو عشرة أيام من الطور وعرض له نائبها في يوم تاريخه. وقُرِئت مراسيمه في الفرضة وفيها زائد له بالوصية عليه وأنه مقرّب عند ملك الأمراء نائب الديار المصرية. وذكروا فيها تحريض شاه بندر قبله الخواجا شرف الدين ابن شيخ الدهشة حمزة الحلبي على عدم مخالفته وأن الشخص ابن يومه ولا يغترّ بصحبته الماضية. وأنه قدم هدية لملك الأمراء وأركان الدولة ما بهره به لكثرته وطرفته. وأشيع توليته لنظر أوقاف الزمام والتحدث على مدرسته بمكة وعزل صهره أخي زوجته القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخنا قاضي القضاة النجمي محمد بن يعقوب المالكي عن ذلك، فكثر المقت له والإشلاء عليه في فعل ذلك، فالله تعالى يكفيه شرّه ويعينه عليه.

وفي عصر يوم الثلاثاء ثامن عشريْ الشهر ماتت سعادة ابنة القاضي شرف الدين أبي القاسم ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات المالكي وعمرها نحو سنتين فجهّزت في يومها ودفنت بالمعلاة [٨١ ب] في تربة سلفها، وسافر والداها(١) إلى الوادي هدة بني جابر ثاني تاريخه.

وفي فجر يوم الأربعاء ماتت ثانية التوأمين ابنة القاضي الحنفي بديع الزمان ابن الضياء فجهّزت في يومها ودفنت في المعلاة وعزّى الناس والدها بها وعمرها(٢) أشهرا كأختها الماضية، وأراح الله والدهما منهما، فإنّ معه ذكرا وأنثى وغيرهما.

وفي ليلة الخميس سلخ الشهر وصل الخواجا....(٣) ابن مالك الدمشقي من جدة، وكان وصل من مصر صحبة شاه بندر فواجه شيخ الفراشين نور الدين علي البيسقي في مجلس شاه بندر، فأخبره بولاية ولديْ عمه الزيني بيسق والشهابي أحمد

(١) بالأصل: والديها .
(٢) بالأصل: وعمرا .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

مشيخة الفراشين عوضه، فقال له: الوظائف تقليد لا تمليك، وإذا توجّهت إلى مكة تسمع بخبر ابنتك وما فعلتْه(١) في غيبتك .

ويقال إنها خرجت إلى المسجد بعد العشاء فوجدها الزيني عبد الواحد ابن الشيخ محمد الشيبي في المسجد، وهو سكران، فكلّمها ونفرت منه فأخذ إزارها، ومرّ عليها شخص أعجمي فأنكر ذلك عليه فضربه بجنبيتهِ أدماه بها فشاع ذلك، فترتب(٢) عليه ما قدّره الله تعالى عليها. فلما وصل والدها إلى منزله فرحت به وأضافته فلم يلتفت إليها بل أدار كِتافها وقَتَلها خنقاً وتدخيناً بالنار في حلقها. فلما أصبح أشاع(٣) وفاتها، ويقال: إنه أُنكِرَ عليه ذلك فاعترف بقتلها لفسقها. فسمع الحاكم مبارك بن بدر فأرسل إليه بسببها فأنكر قتلها وجاء بحكيمين وهما الشهابي أحمد القيسوني المصري وعلي بن سكيكر العطار بمكة وأراها لهما ووعدهما بمبلغ فذكرا أنها ميتة من غير قتل فتركه الحاكم، وأعطى صبيانه نحو الدينارين وللشاهدين مضاعفة ذلك وجهّزها ضحى تاريخه. فكثر كلام الناس فيه وبلغ ذلك نائب جدة الرومي فأرسل إليه يطلبه فتوجّه له وأثبت عند القاضي الحنفي بديع الزمان براءته من قتلها بشهادة الحكيمين مع أن القاضي المذكور ممن أنكر عليه أول أمره وسمع منه الاعتراف بالقتل ولا العار بذكر فسقها، وربما سمع من عياله المباشرين لقتلها معه السبب الذي قتلها وهو تكتيفها بحبل وحرق خرقة وإدخال دخانها في حلقها إلى أن ماتت بذلك. وقد سمعت ذلك من القاضي في بداءة الأمر ونفذ حكمه على المالكي الزيني عبد الحق النويري. ويقال إنه أطعمهما رشوة، فلله الأمر من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

ثم توجّه إلى جدة وعاد إلى مكة بسرعة لبراءته مّما كتبه وأثبته على الحنفي ولا

(١) بالأصل: فعله .
(٢) وردت الكلمة غير معجمة بالأصل .
(٣) بالأصل: شاع .

تخفى على الله خافية، فالله تعالى ينتقم منه ومن الحكام والشهود بعدْله. وممن [ذكر](١) فعله لابنته بعض الشعراء في أبيات أنشدني منها الشيخ الصوفي الأديب بدر الدين حسن ابن.... (٢) الأديبي الحلبي نزيل مكة قوله في المعنى:

عصيت الله نازل يا ابن مالك ... بذنوب عقابها عند مالك
قد قتل بنته عتابا جهارا ... في بلاد الإله يفعل ذلك
عن قريب يرى تدور عليه ... دائرات تسوقه للمهالك(٣)

شهر رجب الفرد استهل كاملا بالجمعة في مكة من سنة ٩٢٧هـ (١٥٢١م)

ويقال إنه رؤي في بندر جدة وأودية مكة بالخميس، وأرّخ أهل مكة بالأول.

[٨٢ أ] وفي صبح يوم الأحد ثالث الشهر وصل إلى مكة وهو ميت صاحبنا الخواجا الأديب خير الدين أبو الخير محمد ابن الخواجا عبد القادر بن فريوات الدمشقي الشافعي، وكان غائباً في الهند سنتين، ووصل في المركب وهو مريض بالبواسير وحمى الدق، وأقام بجدة إلى أن مات في يوم السبت ثاني الشهر وحُمل إلى مكة ودفن بالمعلاة و لم يحضره أحد إلاّ أفراد من الناس لعدم معرفتهم بموته ولكونه لم يخلّف ذكرا كبيراً بل خلّف مولودا وزوجة جعلها وصية وأمه، فالله تعالى يرحمه.

وفي عصر يوم الإثنين ثاني تاريخه سافر قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة إلى جدة لحضور موسم الهندي فطاف أسبوعاً وخرج من باب حزورة على عادة

(١) إضافة تقتضيها الجملة .
(٢) في هذا الاسم بياض بمقدار كلمة .
(٣) كذا وردت الأبيات بالأصل .

سلفه ووادعه القضاة [1] والأعيان، فالله يزيده من الخير، ويدفع عنه كل شر وضير، بمحمد وآله آمين .

وفي صبح يوم الخميس رابع عشر الشهر وصل إلى مكة الخواجا.... [2] ابن حب الرمان الدمشقي بسبب التشكي من القاضي المالكي الزيني عبد الحق النويري لما أثبته عليه من المال الذي عنده، وليس له أصل، للقاضي تاج الدين رئيس الشام لكونه جليس القاضي المالكي الخواجا إبراهيم ابن الشيخ علي التاجر كان لوالده عنده دَين بمسطور. وقال بعض الحجاج: إن له سفره عند ابن حب الرمان وأعطى بعض الشهود مبلغاً للشهادة بذلك، فامتنع وأمر المالكي بكتابة المستند بشهادة عباس ابن أبي المحاسن بن الضياء فوقع بينهما ما تقدم ذكره في شهر جماد الأول فأبطل ذلك وكتب المستند بشهادة رجلين غائبين عن مكة سافرا مع الحاج وأثبته وتوجّه به خصمه إلى جدة وطالب ابن حب الرمان بالمال فقال: ليس له عندي مال وهذا زور، فوجّه عليه القاضي الشافعي يمينا فخرج من جدة وأتى إلى مكة فحضر بعد صلاة الصبح في الربعة السليمية في المقام الحنفي وأشلى على المالكي ودعا عليه ودخل إلى المطاف والتزم الملتزم عليه وهو محترق والناس ساكتون ولم ينكر معه أحد.... [3] الدّين بقلبه وذلك أضعف الإيمان.

وفي ظهر يوم الجمعة ثاني تاريخه مسك ابن حب الرمان الخطيب عند صعوده المنبر وصاح: وا إسلاماه، وا ديناه، أُظْلَم ويُزَوَّر عليّ بالباطل وأنا بمكة ! فدفعه الناس عن الخطيب ولم يُجدِ فعله ولا وجد له ناصرا، وبلغ المالكي ذلك فاختفى بعد الصلاة ولزم بيته مدة فاستفتى عليه خصمه في ثبوت المال عليه مع وجوده قرب مكة، فأفتاه بعض المالكية بصحة الحكم مع إبقاء حجة خصمه فبلغ القاضي ذلك

(١) كلمة وردت مكررة بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .

فقال له: اكتب لك ورقة إلى خصمك وأخبره بإبقاء حجتك في الدافع والمطعن في الشهود، وما التفت إلى تزويره وما فعله باطلا، وعند الله يجتمع الخصوم.

وفي ظهر يوم الجمعة المذكور صلّى الخطيب على أمير عدن مرجان الحبشي صلاة الغائب لوفاته بها، ويقال مقتولاً، رحمه الله تعالى.

وفي عصر يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر وصل إلى مكة القاضي [1] الجمالي محمد ابن قاضيها المحيي محمد بن عبد الحي القيوم بن ظهيرة القرشي المكي وصحبته أخته الرئيسة الجليلة زبيدة ميّتة ومعها ولدها القاضي محي الدين عبد القادر بن أبي بكر بن ظهيرة. وكان موتها بجدة في عشاء ليلة تاريخه بعد وجعها نحو سبعة أشهر بجدور تحدر في حلقها منعها من الكلام والطعام [٨٢ ب] والشراب وأوصت بجهازها مائة دينار وأعتقت بعض جوار ونذرت لجماعة كانوا يترددون لها ويجمعون على حبّها، فجُهِّزت في وقتها وصُلّي عليها عند الحجر الأسود كعادة سلفها، وشيّعها جماعة من الأعيان ودفنت بالمعلاة عند الشيخ علي الشولي وعملت لها ربعة ثلاثة أيام بالمعلاة صباحاً ومساء وختم لها في صبح الجمعة، رحمها الله تعالى وعفا عنها. وفي عصره جعل لها تهليلة حضرها الفقهاء والفقراء. وفي أمس تاريخه عمل لها عزاء تكلف فيه بالأطعمة وحضور النساء في منزلها وأثنى الناس عليها جزاء لفعلها وحشمتها ومودتها، رحمها الله تعالى وعظّم الأجر لأهلها.

وفي ظهر يوم الجمعة المذكور صُلي على المرأة الكبيرة سلامة ابنة الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام بن موسى الزمزمي المكي .

(١) بالأصل: قاضي .

شهر شعبان المبارك استهل بمكة كاملاً بالأحد لوجود الغيم بها من سنة ٩٢٧هـ (١٥٢١م)

ورآه جماعة من أهل الوادي وجدة وغيرهما بالسبت وثبت ذلك في جدة على قاضيها الشافعي فأرّخ أهل مكة به . وفي عصر يوم الأحد وُلِدَ لقاضي القضاة الشافعي الجديد المحبي بن ظهيرة ولد ذكر سماه باسم جده جمال الدين محمد أبي السعود وأمه ابنة عم والده سيدة الكل ابنة قاضي المسلمين شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة البرهاني بن ظهيرة فهو أصيل الطرفين، عفيف الأبوين، قرنه الله بالسعد والبركة، وجعله مباركاً على أبويه في جميع الحركة، ففرح به والداه ومحبوهما[١] ففرَّح به أباه الأعيان نظما ونثرا وعمل له وليمة مختصرة مراعاة لقريب والدته قاضي، جدة الجمالي محمد لموت أخته في الشهر الماضي قبله[٢].

شهر جماد الثاني استهل كاملاً بالأربعاء من سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م)

وفي ضحى أوله وصل لمكة قاصد يقال له ابن مسلّم البدوي[٣] وعليه خلعة ألبسها ابن السيد الشريف بركات بن محمد صاحب مكة عند مواجهته له بوادي

(١) بالأصل: والديه ومحبيهم .

(٢) هنا انقطعت أخبار المؤلف من شهر شعبان سنة ٩٢٧هـ فلم يسجّل شيئا من أخبار مكة إلى التاريخ الموالي وهو شهر جمادى الثانية سنة ٩٣٠هـ، فكانت مدة الانقطاع سنتين وعشرة أشهر، وهي الفترة التي كان فيها غائبا عن مكة في رحلة قام بها إلى بلاد الروم (تركيا) وفيها ألّف كتابه " الجواهر الحسان، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان " (مخطوط) فقد أتمّه في مدينة بورصا في رمضان سنة ٩٢٨هـ، انظر تفاصيل ذلك في كتابنا: التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٢٠١-٢٠٤ .

(٣) ورد الاسم بالأصل: " ابن مسلم " وذلك يخالف ما ورد في النص مرارا وهو " مسلم " .

أكرى[١] جهة الينبوع، وتوجّه إلى سكن الشريف عرار بن عجل الحسني في بيت الجمالي البوني أمام الحناطين فوجده في عمارته بجانب سكنه فدخل معه إلى منزله وأرسل للقاضي الشافعي المفصول المحبي بن ظهيرة والكمالي بن أبي علي وزير الشريف بمكة فقرؤوا مراسيم[٢] الشريف وغيرها من الأوراق الواصلة معه وتكتّموها ثم أجهروا النداء بالأمان والاطمئنان حسبما رسم به ملك الأمراء أحمد باشا نائب الديار المصرية والسيد بركات وأنّ البلاد بلاد الخنكار سليمان شاه ابن عثمان. ثم أبطل النداء باسم باشا وأشيع قتل صاحبه العواني إبراهيم البرقماني[٣] ودفترداره القاضي زاده العجمي، فخاط الناس في ذلك وماطوا، وكثرت القالات في سبب ذلك. ثم تحقق قتل أحمد باشا لعصيانه، ودُعي له على المنابر وضرب السكة باسمه نحو جمعتين في أوائل ربيع الثاني، وقيام شخص رومي كان في خدمته يقال له محمد بك ودخل معه إلى الحمام في سابع عشر الشهر فهرب منه إلى القلعة فتبعه مع جماعته الأروام إلى بَرّ الجيزة وضيّقوا عليه المسالك حتى ظفروا به فقبض عليه العرب وقتلوه في سابع عشريْ الشهر[٤]. وأطلق الجماعة الذين حبسهم ظلماً من أرباب الوظائف والتجار وغيرهم ممن جعل عليهم مالا جزيلاً يقال نحو أربعة وعشرين ومائة ألف دينار [٨٣ أ] منهم مدّبر المملكة الأمير جانم الحمزاوي وكان أكبر العالمِين بقتله، وهو المرسل بالقاصد إلى مكة وأخبر الشريف بركات بجملة من أخباره: منها أنه أظهر العصيان، وكاتب الصوفي شاه إسماعيل الخارجي، وسعى في خراب المملكة المصرية، وساعده الجراكسة في قتل الأروام المخالفين له في العصيان.

(١) بالأصل: أكرة، وهو خطأ صوّبناه، فإن وادي أكرى في جهة ينبع على طريق الحاج المصري، البلادي: معجم معالم الحجاز ١: ١٣١.

(٢) بالأصل: مسراسيم .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) وردت أخبار أحمد باشا ونهايته في أخبار الدول للقرماني ص٣١٨ .

وأن الشريف محرم ابن أخيه السيد هزاع سعى عنده في ولاية إمْرة مكةُ عوضه وولد يحيى بن سبيع في إمْرة الينبع، وبذلوا له أموالاً جمّة بقولهم يعجزون[1] عن أدائها وغير ذلك مما لم يتحقق. وقد ظهر للشريف الفرح بقتله وكفاية مؤونته، وكان ذلك من سعده .

وفي عصر تاريخه أرسل الشريف عرار إلى جدة عبداً له في طلب نائبها فرحات الرومي مملوك أحمد باشا المقتول ليسمع مراسيم أستاذه، فاجتمع به في ثاني تاريخه .

وأشيع بمكة عدم موافقته في المجيء وقال: تأتيني مراسيمي إلى جدة. ولما سمع بقتل أستاذه شحن[2] غرابا في البحر بأمتعته وعبث الأروام في السوق عند شراء القوت لسفرهم، وكانوا يظنون بطش جماعة الشريف بهم لأنّ حاكم جدة توجّه لهم مع جماعة الشريف فرماهم[3] الأروام بالبندق وقُتل من جماعة الشريف اثنان ومن الأروام واحد، على ما يُقال، وأنّ الحاكم نادى لهم بالأمان فمكثوا في محلّهم ينتظرون صحة ذلك من جماعة الشريف .

وفي ظهر يوم الجمعة ثالث الشهر وصل عبد الشريف عرار إلى مكة وأخبره بأن نائب جدة لم يوافق على عوده إليه فتوجّه له بنفسه وصحب معه نائب جدة الأمير حسين الرومي المشدّ على عمارة عين مكة الآن فوصلا إلى وادي جدة ولاقاهما بها قاصد أخبرهما بطاعة نائب جدة وأنه مقيم بها، فرجع الأمير حسين منها لعين مكة وتوجّه الشريف عرار لجدة فواجه نائبها وأمره بالتوجّه لمكة ليسمع مرسوم الخنكار، فعاد معه ووصل لمكة في ليلة الثلاثاء سابع الشهر وسكن في المدرسة الباسطية بعد فراغه من الطواف. فلما دخلها قُدّم له قيد من حديد وقالوا له

(١) بالأصل: يعجزوا .
(٢) بالأصل: أشحن .
(٣) بالأصل: فأرماهم .

الشريف بركات رسم به فأجاب بالطاعة ووضعه في رجله بقية ليلته ويومه. ثم إنّ بعض مماليك الشريف ممن كان مترسما على نائب جدة مع الأروام تكلم في فَكّ القيد منه ويراجع الشريف في أمره، فَفُكّ عنه واستمر مرسّماً عليه في محله .

وفي مغرب ليلة الأربعاء ثامن الشهر عقد القاضي عز الدين بن ظهيرة على ابنة ابن عمّه أم الحسين ابنة قاضي القضاة الجمالي أبي السعود بن ظهيرة طليقة أخيه القاضي جلال الدين بن ظهيرة، وكان في بيت ابن أخي الزوجة قاضي القضاة المحبي أحمد ابن القاضي بهاء الدين أحمد بن ظهيرة الشافعي، وباشر العقد قريبهما قاضي القضاة الحنبلي أبو[1] حامد ابن الشيخ عطية بن ظهيرة لغيبة الولي القريب أخي الزوجة القاضي بدر الدين بن ظهيرة لأن مذهب الشافعي إذا غاب الولي القريب يكون القاضي مقدّما على الولي البعيد، فعقد بهما على ثلاثمائة دينار مقبوض منها مائتان ومائة منها مقسّطة والمهر مائتا مثقال، و لم يحضر أقارب الزوجين بل ولا ولد الزوج، وأنكر فعل ذلك عليه، وكثرتْ قالات الناس فيه [٨٣ ب] لأخذه زوجة أخيه بسرعة لغرضه فيها وكونه طلّقها طلقة واحدة على عوض بذلته له لكراهتها فيه. ويقال إنها كانت مباطنة للزوج الثاني وأنه قال لها: مهما دفعتِه[2] له أسَلّمه لك، فظهر ذلك لزواجه بها[3] بسرعة وبذله المبلغ المعين لها، فإنها وأمثالها لم يُدفع لهن[4] ذلك وقت البكارة. ونسب زوجها الأول إليها قبائح، نعوذ بالله منها ونسأله الستر والسلامة .

وفي ثاني تاريخه شرعتْ الزوجة في عمل مُهمّ الزواج من المعمول وغيره لأجل الدخول في ليلة السبت حادي عشر الشهر، فقدّر الله تعالى وصول جماعة من القاهرة

(١) بالأصل: أبي .
(٢) بالأصل: دفعتيه .
(٣) بالأصل: لها .
(٤) بالأصل: لهم .

بحراً وأخبروا بوفاة أخي الزوجة القاضي بدر الدين بن ظهيرة مطعوناً، في يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول عام تاريخه فبلغ أهله ذلك فصاروا يكتمونه لأجل دخول أخته في الليلة المعينة وبعض أقاربها ينكرون ذلك ويظهرون موت أخيها، فلما كثرت الإشاعات نعوه في مغرب ليلة السبت المذكورة وتركوا الدخول، فكان ذلك تنغيصاً على الزوجين بقدْرة الله تعالى .

شهر ذي الحجة الحرام أوله الخميس من سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م)

وكانت الوقفة بالجمعة وأمير الحاج جانم الحمزاوي، ووصل الشيخ عبد الحق السنباطي وأولاده وعيالهم، وحصل الغلو في الأقوات والماء بحيث بيعت الراوية الماء بدينار وربع، وأمطرت السماء بعرفة فحصلت البركة، ببركة ذلك الشريف المعظَّم المنيف .

شهر ربيع الأول أوله الجمعة من سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م)

واتفق في يوم السبت سادس عشريْ ربيع الأول حصول مطر نافع بمكة المشرفة، وتوالى بها وبأعمالها مدة ثلاثة أيام بلياليها بحيث يمطر ساعة ويسكت أخرى، إلى أن كان في ليلة الإثنين ثامن عشريْ الشهر قوي في آخر الليل ونزل بَرَد كثير وسالت الأسطحة من ميازيبها في الأزقة وجاء سيل وادي إبراهيم عند طلوع [الشمس][1] ودخل المسجد الحرام من جميع أبوابه الثمانية بل توجّه إلى المسعى، ودخل من باب بني شيبة المعروف بباب السلام مع الأبواب الموالية له الشرقية وملأ الحرم حتى وصل قناديل المطاف وعلا عتبة الكعبة الشريفة مقدار ذراع أو أقل شبرا ودخلها من خلال الباب، ومَلأ غالب القناديل التي بالمطاف وعامَ منابر الوعاظ

(١) كلمة سقطت من الأصل أضفناها لإكمال المعنى .

ودرجة الكعبة حتى وصلت إلى باب إبراهيم، وسلّم الله المصاحف والربعات التي بقُبّة الفراشين، لأن صاحب النوبة لما استشعر بالسيل رفعها علو الرفوف بها، جزاه الله خيرا، بل دار على الفقراء اليمانيين[1] في المسجد وأقامهم فخرجوا سالمين بحمد الله و لم يُصَب منهم إلاّ فقير أعمى كان في جهة باب إبراهيم فاز بالشهادة، وتعلّق رجلان منهم على درجة باب قبة العباس ومسكا حلق الباب حتى تصرّف غالب الماء من المسجد، واستمر غالب النهار لكنه وقف السيل وصار يخرج من الأبواب الثمانية عند طلوع الشمس، وكان غالب خروجه من باب إبراهيم .

وامتلأت ثلاث برك الحاج التي بالمعلاة إلى علوها وكسر جانب إحدى[2] بركتي المصري الموالي للمسجد الحرام في ركنها اليماني، وطاح كثير من الدور التي في طريق سوق الليل والمسفلة بل أطراف مكة وداخلها وعلو جبل أبي قبيس وتوالى ذلك أياماً. وكان الهدم سالما لم يعطب فيه أحد إلاّ رجلاً إسكندرانياً أثنى[٨٤ أ] الناس عليه خيراً، وعم السيل نواحي كمنى وعرفة والأودية وجدة وغير ذلك، وتعطل الناس من السفر إليها نحو اليومين بل طاح كثير[3] من بيوت منى ويقال إنّ عدة الواقعة بها وبمكة قريب من ألف بيت، وكان منها منزلنا بهما مع غيرهما من الأملاك، فالله تعالى يعين على عمارتها جميع المُلاّك .

وصلّى الناس ظهر تاريخه على سطح المسجد الحرام واستمروا على ذلك إلى ظهر ثانيه لأن ناظر المسجد الحرام قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة بادر في صبْحه مع أتباعه وخلق من أكابر مكة والتجار والمجاورين بها للعمل في تنظيف المطاف وشيل الوحل منه إلى خارجه فبذلوا الهمّة في ذلك، ونالوا به أحسن المسالك، بحيث نُظِّفَ الحجر والمطاف ومقام إبراهيم ومقام الحنفية في نصف نهار، ولله الحمد.

(١) كذا بالأصل، ولعل صوابها: " البائتين بالمسجد " .
(٢) بالأصل: أحد .
(٣) بالأصل: كثيرا .

شهر ربيع الثاني استهل ناقصاً في ليلة الأربعاء
من سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م)

وفي صبح يوم الأربعاء نَظف أماكن في المسجد الحرام ناظره مع جماعة من التجار الأروام والأعاجم وأولاد العرب وغيرهم، وأرسل الناظر إلى جدة يُخبر مشدّ العمائر الخنكارية المظفرية العثمانية لكونه نزّلها لحمل مُؤن العمائر بمكة المشرفة، فوصلها في اليوم الثالث ووالَى العمل في المسجد من يوم السبت رابع الشهر وكوّم الطين في أطراف المسجد ومعه المهندسون[١] والعمال من المصريين والأروام، وكان قصده عمل الطين آجورا للبناية في العمارة لمنارة باب علي التي شرعوا في هدمها يوم تاريخه لكون بعضها متشعباً[٢]. وكان بناها المهدي لأبي جعفر المنصور العباسي ويقال الوزير الأصفهاني الجواد، وأصلح سفلها مما يلي المسجد في الجهتين سودون المحمدي في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة .

وجاوَدَ الأمين على العمارة الخنكارية العثمانية على حمل التراب المكوّم بالمسجد الحرام وهو نحو ثلاثين كوما بأزيد من ألف دينار وعلى قطع المسعى من باب السلام إلى جهة الصفا إلى سفل مكة جهة باب إبراهيم بألفي أشرفي ومائتين وثلاثين أشرفياً وتنظيف العتبة مع باب سويقة بخمسمائة أشرفي، واستمرّ العمل في ذلك جميع ربيع الثاني .

وفي شهر جماد الأول كمل هدم منارة باب علي مع هدم باب السلام والرواق الموالي له إلى أمام مدرسة الأشرف قايتباي، وظهر في أساس المنارة أربعة أعمدة، وعُمِّر مكانها حجارة سوداء منْحوتة وعلّوها حجر أصفر رخو وبُني بنورة جديدة مخلوطة بالنورة العتيقة وآجرّ مدكوك ومدر مخلوط معها، واستمر العمل في باب

(١) بالأصل: المهندسين .
(٢) بالأصل: متشعب .

السلام] إلى باب القفص وغيرّ جميع السقف، وفي المنارة مؤن عظيمة في غاية الاستحكام ما أمكنهم هدمها إلاّ بعد علاج شديد][١] .

وفي نصف شهر جماد الأول شرع الأمين على العمارة في هدم قُبّة دار الوحي مع مولد السيدة فاطمة ابنة المصطفى ﷺ وكان المباشر لها المعلم.... [٢] الحميماتي المصري والمعلم محمود بن.... [٣] المكي .

واتفق في صبح يوم الجمعة تاسع عشريْ الشهر اجتماع القاضي شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات ابن أبي العباس الأنصاري المكي مع الشيخ محمد بن.... [٤] القيرواني[٥] [٨٤ ب] المغربي، القادم لمكة مع الحاج في عام تاريخه، في مجلس وتكلّم معه فيما بلغه عنه في جواب مسألة رُفعتْ إليه من كلام الشيخ سهل بن عبد الله التستري[٦] الصوفي، نفع الله به وهو:" إذا ظهر سرّ الربوبية بطلت النبوية، وإذا ظهر سرّ النبوية بطل العلم، وإذا ظهر سرّ العلم بطلتْ الشريعة". ونُقِل عنه كلمات يترتب منها أنّ كفار قريش كأبي جهل بن هاشم وأترابه اطلعوا على سر الربوبية فجحدوا نبوة محمد ﷺ. فقال له القاضي شهاب الدين: كفرتَ، هذا مخالف للشريعة ونص الكتاب العزيز، وقام من مجلسه فأدركوه مع جماعته وطلبوه إلى مجلس الشرع فتوجّه معهم إلى قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة والتمَّ عليهم خلق كثير من العامة المعتقدين للمغربي وغيرهم، فحضر مجلس الشافعي أخو المنكر قاضي القضاة الشرفي المالكي المفصول وقال: مذهبي أنّ قائل ذلك يكفر

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٢) بياض بمقدار أربع كلمات بالأصل .
(٣) بياض بمقدار كلمة واحدة بالأصل .
(٤) بياض بمقدار كلمة واحدة بالأصل .
(٥) بالأصل: القرواني .
(٦) بالأصل: البشري .

ولا تُقْبَل توبته. فسألوا المغربي عن ذلك فأنكره، فشهد عليه ابن أخت المنكر القاضي سعد الدين ابن القاضي خير الدين أبي الخير بن أبي السعود بن ظهيرة الشافعي والخواجا عبد الكريم ابن الفخري أبي بكر الطهطاوي المالكي مع غيرهما، فحينئذ أمر القاضي الشافعي المغربي بالتشهّد، وردعَه بكلمات ومنعه من الكلام على العامة بالمسجد الحرام .

فخرج من المجلس وهو ذليل خائف، والْتَمَّ عليه جماعة من المفسدين العوام وغيرهم من الأروام وألزموه بالجلوس ومكاتبة الشريف بركات بأمره، فكاتَبَه وجلس في المسجد على عادته فرآه القاضي الشافعي، وأرسل له بالقيام وامتثال أمر الشرع الشريف، فقام بسرعة وهو مع.... (١) ومحبيه كثيري (٢) الإنكار على أهل البلد.

وكثرت القالات والأهواء المضلات (٣) وموجب ذلك شغور المسجد الحرام من واعظ يلتمّ عليه العامة، فإنّهم لما رأوا المغربي التمّوا عليه خصوصاً ويعمل ذِكْراً وأوراداً (٤) بعد صلاة الصبح والعشاء .

وفي ثالث يوم الواقعة وهو يوم الأحد ثاني شهر جماد الثاني جلس المغربي بجرأته وإقدامه وكون بعض الأروام منهم اليازجي في العمارة الخنكارية سأل الشافعي في عود المغربي لعوده (٥) في مجلس ورده، فقال: لا يتكلم بكلام الصوفية في حضرة العامة، فإنهم لا يفهمون ذلك، فجلس وتكلّم في الحسد وغيره مع التعرّض للمنكرين، فاشتدّ العوام في نُصرته بل بالغ المشدّ على العمارة وأخذ المغربي وذهب

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بالأصل: كثيرين .
(٣) بالأصل: وأهوا المضلات .
(٤) بالأصل: وأوراد .
(٥) كذا بالأصل .

به إلى محل قبة الوحي(١) وسأله في وضع الحجر الذي كان رسول الله ﷺ يبكي عليه في تهجده إلى موضع بنائه، فذكر الله تعالى هناك مع تلامذته ووضعه في محله، فكثر كلام العوام في مدحه وتطوّروا وتهوّروا في ذلك .

وفيها كان أمير الحاج المصري المقر الزيني الأمير جانم الحمزاوي الماضي في السنة قبلها وأمير الحاج الشامي مصطفى الرومي. وكانت الوقفة بالأربعاء. ومات صاحب مكة السيد الشريف بركات بن محمد الحسني في رابع عشري ذي القعدة. وحج بالناس شريكه في الأمر ولده الشريف أبو نمي فحصل [٨٥ أ] للناس الأمن والرخاء، ولله الحمد على ذلك .

شهر رمضان المعظم قدّره استهل كاملاً بالثلاثاء من سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م)

وفي ثاني الشهر ابتدئ في قراءة سورة الأنعام بالحطيم بعد صلاة الصبح ويدعى عليها وبين الجلالتين(٢) بنصر السلطان الأعظم والخاقان المكرم حامي حمى الحرمين الشريفين إسكندر الزمان، صفوة الصفوة من ملوك بني عثمان، الملك المظفر سليمان خان، ويحضر ذلك القضاة الأربعة وأئمة المسجد وأرباب الوظائف وغيرهم من المباركين ...(٣) اثنين وأربعين نفرا، منهم ستة عشر أفاقيا عجميا وروميا والباقي من أهل مكة بتعيين القاضي الشافعي لذلك بأمر نائب جدة، وقرّر لكل واحد في كل يوم محلق كبير فالله تعالى يتقبّل ذلك .

وفي يوم الجمعة رابع الشهر كملتْ عمارة دار السبيل بالسويقة وقْف جدي

(١) بالأصل: فيه الوحي .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .

المرحوم الشيخ الحافظ تقي الدين أبي الفضل محمد ابن الشيخ العلامة المسند نجم الدين محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي، رحمه الله تعالى، المشمولة بنظري كما شرَطه واقفه، وكانت خربة وعمَّرها والدي وأحدث مخزناً في شرقي الدار مدة سبعين سنة بتقديم السين المهملة بمبلغ مائة وأربعين أشرفياً جعلت منها للمستأجر خمسين أشرفياً بعمارة عين الوقف ثم تعدى على تغيير شيء فيه ونقض بعضه، فأنكرتُه، وتكلّم معي بعض فقهاء الشافعية في تسليم إرش لما تعدى به في مدة إجارته مبلغ عشرين أشرفياً فصار المقبوض بيدي من دراهم الإجارة مبلغ مائة وعشرة أشرفية عمرتُ بجميعها مع دين على الوقف بمثلها وأزيد، كما هو مكتوب في القوائم المخلدة تحت يدي، فالله تعالى يحسن عملي ويضاعف أجر الواقف وأجري .

وفي يوم الأربعاء تاسع الشهر المذكور سَبَّلْتُ الماء في السبيل طلبا للثواب والأجور قبل كراء الدار، طالباً من الله الخير المدرار .

وتوالى في هذا الشهر عدة حوادث مؤلمة، وللقلوب مظلمة، فالله تعالى يحيلها عن المسلمين ويلهم الحكام العدل في العالمين، منها وصول عسكر الأروام إلى بندر جدة من البحر فارتفع سعر الحب بمكة بحيث بلغ: بيعت الربعية المصرية بربع دينار ونصف والذرة بخمسة محلقة صغار والشعير بأربعة صغيرة والفول بثلاثة محلقة ونصف. وكان غالب الناس لا يجدون في السوق غيره، نسأل الله أن يلطف بالمسلمين .

وفي يوم الأحد ثالث عشر الشهر وصل بعض عسكر الأروام لمكة بأمر نائب جدة العلائي علي الشاووش الرومي، ويقال فعل ذلك لضيق جدة وغلو الماء بها، فتشوّش لذلك صاحب مكة الشريف أبو نمي وجميع أهلها خصوصاً وقد عملوا بمكة أعمالاً شنيعة من هجم بيوت الناس وإخراجهم منها مع حريمهم ووضع أيديهم على أمتعتهم

وإتلافها وسكنهم فيها عوضهم فيستغيث[1] الناس فلا يجدون من يغيثهم إلاّ الله تعالى، وكثر ضررهم بذلك، وصار يدعو عليهم كل قاطن وسالك.

ثم إنهم تمادوا بالأذى وتجاهروا بالفسق في النساء وأخذ المأكولات من السوق بثمن بخس وبعضهم لا يعطي شيئاً، ووضَع رؤساؤهم سناجقهم أمام الرواق الشمالي [٨٥ ب] من المسجد الحرام بالقرب من باب السلام. وتكامل عددهم أربعة عشر سنجقا، ويقال مع كل سنجق خمسون رجلا جملتهم سبعمائة رجل، وصاروا يطوفون بها ويسعوْن ويعتمرون كل جماعة بسنجقهم، فالله تعالى يعين المسلمين عليهم .

وفي يوم الثلاثاء خامس عشر الشهر وصل لمكة قاضي الحنفية الجديد وجيه الدين عبد الرحمن ابن الشيخ زين الدين أبي الغيث بن زبرق الشيباني المكي .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر الشهر وصل لمكة نائب جدة العلائي علي الرومي وسكن في مسكنه بالمدرسة العينية المعروفة قديماً بالمجاهدية، فتوجّه بعض الناس إليه يشكون الأروام عليه وضررهم وسكنهم في بيوتهم، فأرسل إلى جماعة منهم وتكلم عليهم وقال لهم: لا تسكنوا[2] في بيوت الفقهاء والفقراء والمباركين فإنكم عسكر السلطان في الحرب وهم عسكره بالدعاء، فشكر الناس منه ذلك، ثم إنّ الأروام لازموا في سكن بيوت التجار الغائبين بجدة وأخرجوا حريمهم وبعض بيوت بني حسن بأجياد، ويقال بأمر نائب جدة، فالله تعالى يرفع عن المسلمين هذه الشدة .

(١) بالأصل: فيستيغيثون .
(٢) بالأصل: تسكنون .

شهر شوال الحرام استهل كاملا بالخميس
من سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م)

وصلّى الناس العيد في المسجد الحرام وهم خائفون، ومن الأروام وجلون، خصوصاً لعبثهم بهم وانتهاك عرضهم، و لم يطلع أحد منهم المعلاة للتفرّج على العادة بل طلع بعض الرجال والصغار وكثير من الأروام، فلم يحصل فيها لعب من العوام .

وفي آخر يوم تاريخه أشيع وصول القبطان الأمير سلمان إلى جدة من طريق السويس ومعه جماعة من العساكر الأروام، ويقال عدّتهم سبعمائة نفر، وكان مسيرهم نحو نصف شهر .

وفي ضحى يوم السبت ثالث الشهر مات الشيخ العلامة الصوفي أبو البركات محمد ابن شيخنا العلامة المحدث شهاب الدين أحمد بن صحصاح الخانكي نزيل مكّة المشرفة الشهير كوالده بالحرفوش وجهّز في يومه وصلّي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من الأعيان، ودفن بالمعلاة على قبر أبيه بتربة بني زائد تحت الحجون، وأثنى عليه الناس خيراً لكثرة عبادته وتقشفه، وبعضهم ذمّه لحرصه على الدنيا وجمعها. وخلف أملاكاً وبعض معاملات يخفيها وله أم وبنتان وأخ غائب [1] عن مكّة وزوجة، فالله تعالى يرحمه ويسامحه. وقد كان بالمدرسة الشريفة وتوعك بها، وعاد إلى مكّة في آخر شهر رمضان لطلبه لذلك ومساعدة سيدي الشيخ ابن عراق له وحلول نظره عليه فإنه من جماعته، وقال إنه أسند وصيته له ولأمه وللخواجا عبد القادر القاري و لم تظهر صحة ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم بحاله.

وفي يوم الجمعة رابع الشهر سافر من مكّة نائب جدة إليها وتتابع عسكر الأروام بعده جماعة بعد جماعة وصار حاكم البلد ومحتسبها من جماعة صاحب مكّة

(١) بالأصل: أخا غائبا .

الشريف أبي نمي يجمعون له الجمال ليسافروا[1] عليها، فأخذوا شقادف الناس وهجموا بيوتهم مع كثير من الجمال والحمير من أهلها بعنف بحيث قلّ الواصل لمكة من الأقوات والحبوب، وبيع الرطل الرطب [٨٦ أ] بمحلقين صغار، وكذا العنب فإن هذا أوان وصوله من الوادي والحجاز .

وتكامل خروج العسكر من مكّة في يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر وخلا المسجد من سناجقهم الموضوعة فيه، فاطمأنّ أهل مكّة بعدهم وظهر الحب بحيث بيعت الربعية المصرية بخمسة محلقة صغار عن كبيرين ونصف صغير مع كثرة وجودها في السوق .

وأشيع بمكة أنّ القبطان سلمان أمير العساكر الرومية نادى بجدة أن تباع الربعية الحب بها بأربعة محلقة، وباع حبّا له فيها بهذا السعر أمام منزله للآكلين، ومنع أهل السوق من شراء حبّه وصاروا يبيعون بزيادة نصف محلق على سعره، وتباشر الناس بالرخاء والأمن .

واهتمّ القبطان بجهاز المراكب السلطانية التي كانت مقيمة بجدة ليسافر فيها بالعساكر مع المراكب الهندية، بل يقال إنه شحن بعض حوائجه فيها، ثم إنه نأى عن ذلك وأمر العسكر من الأروام بالعود إلى مكّة وذكر أنّ البحر عري عن إدخال مراكبه وضاق الوقت عن شحنها وسفره مع المراكب إلى الهند، فأرجف الناس بذلك واهتم له كل قاطن وسالك .

ثم في يوم الثلاثاء عشريْ الشهر وصل أول لمكة [2] وهجموا بيوت التجّار وبعض بيوت الناس الكبار وأخرجوا أهلها خصوصا الحُرم وانتهكوا حرمة الحرم وتضرّر منهم الخاص والعام، والتجؤوا إلى ربّهم الملك العلاّم .

(١) بالأصل: ليسافرون .
(٢) كذا وردت الجملة بالأصل .

وكان من لطفه بهم [أن] (١) وصل إليهم في يوم الأربعاء سابع الشهر الشيخ العارف بالله قدوة السالكين، ومغيث المسلمين، أبو علي محمد .... (٢) المهاجر بن علي بن عبد الرحمن نزيل الحرمين الشريفين المدعو بابن عراق، نفع الله به المسلمين في جميع الآفاق، متقدما عن قافلة المدينة الشريفة ومعه ولده الثاني المدعو عبد النافع وقليل من جماعته. ويقال إنه وصل بإشارة من النبي ﷺ وقال له: توجّه إلى مكّة لإصلاحها، وكان غائباً عنها نحو خمسين سنة .

ثم في يوم الأحد حادي عشر الشهر وصلت قافلة المدينة الشريفة وفيها جماعة من أهلها وأعيانها كقاضيها الشافعي السيد عبد الله السمهودي وقاضيها المالكي جمال الدين محمد ابن القاضي محب الدين السخاوي وعيالهما وأخبروا بغلاء المدينة في الحب والسمن وقصدهم تعلّقهم في الصدقة الهندية المظفرية، فالله تعالى يلطف بالمسلمين ويرخّص أسعارهم، ويؤمنهم في أوطانهم .

وفي يوم الخميس خامس عشر الشهر وصل لمكة قاضي العسكر الرميلي كان واسع جلبي الرومي طلباً للحج، وسكن في المدرسة الشرابية، وهرع الأعيان للسلام عليه وأظهر الزهادة والتقشف والعبادة .

وفي يوم السبت ثالث عشريْ الشهر كثُر ضرر الأروام ومسكوا بعض العوام فاجتمعوا بالشيخ ابن عراق بالمسجد الحرام فجلس بزيادة دار الندوة ومحلّ ورده في أوقات الصلوات الخمس وطلب قاضي العسكر الرميلي كان واسع جلبي الرومي وقضاة مكّة الأربعة ما عدا الحنفي [٨٦ ب] وجماعة من الأعيان وحضر خلق كثير من الأعيان وشكوا أمرهم العام، فجمع لهم الشيخ رؤساء العسكر وتكلم عليهم

(١) إضافة تتطلبها الجملة .

(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

كالأسد دفعا للشر بحيث أصغوا لقوله، وأرعبوا من طَوْله، وأمرهم بإخراج جماعتهم من بيوت الناس، ودفع الأذى عنهم والبأس، وأمر بإرسال جماعة إلى نائب جدة وأميرهم القبطان سلمان وكتابة أوراق لهما، فكتب لهما قاضي العسكر، بما عليه يُشكر، وعين الشيخ شهاب الدين الزبيدي وملا حاجي الكردي وكتب معهما رسالة إلى الأميرين المشار إليهما، وزوّدهما مع الدعاء بإعانتهما، وسافرا من مكّة في عصر يوم تاريخه مخفين، ولإعانة المسلمين مسرعين. فوصلا جدة في صبح ثاني تاريخه ودخلا على باب نائب جدة فوجدا عنده الأمير سلمان فأطلعاهما على ما عندهما، فأظهر لهما الأميران التشويش من فعل العسكر، وصار الأمير سلمان لذلك يتفكر، ونائب جدة ينكر عليه، وينسب فعلهم إليه، وهو يحلف بالله أنه لا يقدر على ردّهم، وأمر بالبطش فيهم وضربهم، وأنّ الشريف أبا نمي يفعل ذلك وهو يساعده عليهم وأنهم يرسلون للشريف الأمين عليهم خير الدين الرومي أحد أخصاء الخنكار ويكتبون للشيخ ابن عراق جواب ذلك، ففعلوا هذا مِن ساعتهم وخرج رسُله من يومهم، وعُدّ هذا من كرامته وملاحظة المسلمين بنفعه .

فوصل إليه قاصداه في ظهر يوم الإثنين خامس عشريْ الشهر ثالث يوم إرساله وأخبروه بالجواب وأعطوا له ولقاضي العسكر كل واحد كتاباً وفيهما ما يسرّ المسلمين، ويقمع المفسدين .

وفي أثناء هذه الأيام ثار العرب في البرية وأذاقوا الأروام بالقتل والنهب ومقابلة فعلهم بالحرب ويقال قُتِل منهم في طريق جدة أزيد من عشرين نفساً، وانقمعوا بذلك يقينا لا حدسا، ولله الحمد على ذلك والمنة، ثم تواتر القتل فيهم بحيث زادت القتلى على المائة .

وفي يوم الثلاثاء سابع عشريْ الشهر وصل الأمير خير الدين الرومي إلى الشريف أبي نمي بوادي الدكناء، أحد أودية مر، وكان عند سماعه بوصوله إليه

أرسل إليه أخاه الشريف ثقبة إلى وادي .... [1] فلاقاه بها فأكرمه وأنزله في محل عظيم على بركة النزهة، وواجهه في صباح تاريخه فخلع عليه خلعة مثمنة يقال بنحو ثلاثمائة دينار وأزيد وأعطاه مائتي أشرفي وأخبره بفعل الأمير سلمان معه وتشويشه عليه، وأنّ العرب عصوا عليه بواسطة فعله وقطع البندر عليه، وأنه طائع للخنكار ولو كان الأمر بينه وبين سلمان حاربه، فإنه عدو له ولوالده .

فحلف له الأمين خير الدين على المصحف الشريف أنه لم يطلع له على سوء وأنّ معه مراسيم الخنكار بأمر طاعة الشريف أبي نمي وأنه ما تأخر عن إحضارها له إلاّ لعدم معرفته بالطريق إليه، وأن سلمان يقول له: الشريف في الجبال وهو بعيد، ولو عرفتُ أنّ هذا محلك ما تأخرتُ عن الوصول. فرضي الشريف منه بذلك وقال: أنا أرسل عسكري إلى العرب لحفظ الطرقات وعليّ جهاز العسكر لجدة على جمالي وأكفيهم ما يطلبون من شرب الماء والحطب، وإذا جاء وقت الحج أجهّز لهم أربعمائة جمل يحجّون عليها، وإن لم يخرجوا[2] من مكّة لا أدخلها ولا أواجه الحاج، فوافقه على توجّههم إلى جدة وأنهم يسافرون أي وقت حصل لهم التسهيل [٨٧ أ] في البحر ولو كان قبل الحج. فقنع الشريف بقوله، فالله تعالى يحوطه بقوته وحوله .

وأقام عنده بقية النهار ورجع إلى مكّة فوصلها مع جماعة أرسلهم الشريف معه في ليلة الأربعاء ثاني تاريخه واجتمع في صباحها بقاضي العسكر والشيخ ابن عراق وأخبرهما بعدم رضاهم بفعل العسكر وكلام الشريف له فقال له الشيخ ابن عراق: أنت فعلك مشتقّ من اسمك ووظيفتك خير الدين الأمين، وأخبرْني عن حقيقة حالكم، إن كان قصدكم خلاف ظاهركم فنهاجر من مكّة إلى غيرها ولا

(١) سقط اسم الوادي من الأصل .

(٢) بالأصل: يخرجون .

نرى فيها شيئا[1] من الفتن، وعليّ جواب الخنكار فيما يفعلونه. فحلف له وبكى وقال: إن شاء الله أزيل كل مُشْتَكى، فتوجّه من عنده إلى منزله وقبض على جماعة من أكابر الأروام وأغلظ لهم في الكلام بل ضرب بعضهم وهدد بعضهم، منهم أحد رؤسائهم ابن أخت يعقوب الناظر بجدة كان، فإنه ممن هجم بيوت الأشراف، وفعل كثيراً من الإسراف، وجَرّس به .

ثم في ضحى يوم الخميس ثامن عشريْ الشهر توجّه إلى المسعى الشريف مع جماعة من الأروام ووقف على باب مدرسة الأشرف قايتباي الجاركسي ونادى رؤساء العسكر وأغلظ لهم في الكلام بحضرة العوام وقال لهم: دلوني على من آذى الناس منكم وإلاّ ضربتكم، فصار الرؤساء يخبرونه بالمؤذين ويشيرون إليهم، ومن كان غائباً أحضروه. فضرب منهم .... [2] نفسا ضربا مبرّحا على مقعدته كل واحد بعصاتين نحو المائة وأزيد من ذلك وأقلّ، فذلّوا لذلك، وانشرح لفعله كل قاطن وسالك، فالله تعالى يُكْثر من أمثاله، ويزيده من أفضاله .

وفي ثاني تاريخه أراد الأمين خير الدين قتل جماعة من المؤذين فنهاه الشيخ ابن عراق عن ذلك وقال: يكفيهم الأدب بالضرب، فحينئذ جَرّس ثلاثة أنفس منهم، وجعل كتف كل واحد منهم مكشوفا وغرز فيه سكينا نافذة في لحمه، وبعدهم جَرّس ثلاثة نسوة ممن يُفْسَق بهن وأركبهن على حُمُر في الشوارع سافرات الوجوه إحداهن يمانية وثانيتهن بجلية [3] وثالثتهن مولدة [4]، جزاه الله على فعله خيرا، وسكنت الفتنة لذلك بعض سكون.

(١) بالأصل: شيء .

(٢) سقط عدد المضروبين من الأصل .

(٣) وردت الكلمة على شكلها الوارد أعلاه، إلا أن نقطة الحرف الأول غير ظاهرة مما جعل نسبة هذه المرأة غير محققة .

(٤) وردت الجملة في الأصل كما يلي: " أحدهن يمانية وثانيهن بجلية وثالثهن مولدة " .

وفي أثناء هذه الأيام قلّ الواصل من جدة وغيرها وغلت(١) الأسعار في الحبوب بحيث بيعت الربعية المصرية بثلاثة محلقة كبار عن سبعة صغار ونصف واليمانية بزيادة نصف والذرة بستة ونصف ولا يظهر في السوق إلاّ القليل أول النهار وصاروا يكيلون الفول(٢) كل ربعية بخمسة محلقة صغار عن كبيرين، وعدم السمن من الأسواق وبيع خفية كلّ رطل مصري بخمسة عشر محلقا وكل رطل سمن بثمانية عشر محلقا صغيراً وأزيد من ذلك. وقاسى الناس شدة وذلك لخوف الطريق من العرب .

ثم إن الشريف أبا نمي أرسل أخاه الشريف ثقبة مع جماعة من عسكره إلى طريق جدة بخيول عدة فقبض على بعض العرب وقتل بعضهم ونادى بالأمان والاطمئنان، فعادت بعض القوافل من جدة وقلوبهم مرتجة على غير الطريق المعتاد، ثم عادوا منها بعد طمأنينة العباد، فالله تعالى يديم ذلك على المسلمين، ويؤمّن جيران بلد الله الأمين، بجاه سيد المرسلين ﷺ .

شهر ذي القعدة الحرام استهل كاملاً بالسبت
وهو ثالث شهر كامل من سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م)

[٨٧ ب] ويقال إنّ الوادي وغيرها من البلدان رأوا الهلال بالجمعة، لكن أهل مكّة المشرفة أرّخوا برؤيتهم .

وفي أول الشهر حصل الأمن في طريق جدة والأودية وسلكتها(٣) القوافل وجُلبت الأقوات إلى مكّة. وسافرت المراكب الهندية في يوم الأحد ثاني الشهر

(١) بالأصل: غليت .
(٢) بالأصل: يأكلون الفول .
(٣) بالأصل: وسلوكها القوافل .

وعدّتها ستة، وعاد بعض التجار مع غلو كراء الجمال كل حمْل بخمسة أشرفية، فلذلك ارتفع سعر الحب فبيعت الربعية اللقيمية بمحلقة كبار أربعة عن عشرة صغار وبعضها بتسعة، وكذلك الدخن والمصرية بثمانية صغار والذرة بسبعة صغار والشعير بستة صغار .

ثم في يوم الخميس سادس الشهر وصلت أوراق من جدة للحناطين بمكة أن الحب نزل بجدة كل ربعية مصرية بستة محلقة صغار، وذلك لوصول جلاب من اليمن والقصير فنزل السعر قليلاً بمكة، فالله تعالى يحقق ذلك ويرخّص أسعار المسلمين .

وفي هذه الجمعة قَلّ الرطب وبيع كل رطل بمحلقين صغار والرطل اللبانة اليابسة بكبير عن محلقين صغار ونصف، والرطل العنب بمحلق ونصف والرطل الضاني بمحلق كبير والماعز والجملي بصغيرين، أرخص الله الأسعار على المسلمين، بجاه سيّد المرسلين .

وفي يوم الثلاثاء رابع الشهر جاء الخبر من جدة للأمير خير الدين الرومي أنّ القبطان سلمان ما وافق على سفر العسكر من مكّة وعودهم لجدة، فتشوّش من ذلك وأرسل لسيدي الشيخ علي(١) بن عراق يتألّف خاطره ويتبرّأ من مخالفة ما وقع الوفاق عليه، فقال الشيخ: أهاجرُ من مكّة ولا أحج في هذا العام، لضرر الخاص والعام، فأرسل الأمير خير الدين إلى صاحب مكّة السيد أبي نمي الحسني ابن أخي يعقوب الراشدي ومعه جماعة من الأروام يخبره بجواب القبطان سلمان ويُظهر له التبرّي من مخالفته ويطلب جمالا لحمل حصل له من جدة لمكة مع أفراس لحفظه .

فيقال إن الشريف أبا نمي لما وصلوا إليه وأخبروه بذلك أظهر الغيظ عليهم وقال: لا يجيء أحد منكم، وأما النوتي سلمان فأقطع رأسه، ورضا الخنكار عليّ،

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب " الشيخ محمد بن عراق " .

وتكلم في نائب جدة قال: ذلك خائن يحلف باطلا وليس عندي خيل ولا جمال، فإني لست غلاما لهم وبيني وبينهم الحرب ويتأهبوا لذلك، فصار ابن أخي يعقوب أحد رؤساء العسكر يترضى الشريف أبا نمي بالقول والسلام عليه حتى سكن ما عنده ووعده بالإصلاح بينهم، فالله تعالى يقدّر للمسلمين كل خير، ويدفع عنهم كل شر وضير .

وفي يوم الجمعة سابع الشهر طلب نائب جدة والقبطان سلمان الأمين خير الدين لجدة فسافر في عصر يومه ويقال للصلح بينهم وبين الشريف، فالله تعالى يحقق ذلك .

وفي ضحى يوم تاريخه نادى منادي الشريف في شوارع مكّة أن لا يتوجّه أحد من الناس إلى سبْتِ منى للخوف في طريقها فامتنع الناس من ذلك.

وفي ليلة السبت ثاني تاريخه وصلت لمكة من المدينة الشريفة [قافلة][1] وفيها جماعة من أهلها وكبيرها الخواجا عبد القادر بن محمد بن عيسى القاري وأخبروا برخاء المدينة عما كانت عليه من الأسعار قليلاً مع مطرها .

وفي يوم تاريخه وصل لمكة أيضاً جماعة من عسكر الأروام يقال نحو مائة نفس بسنجقين [٨٨ أ] فوضعوا في المسجد الحرام لتكملة ستة عشر سنجقاً وسكن بعضهم في بيوت الناس الخالية وبعضهم في المسجد الحرام .

وأشيع أنه وصل لجدة بعض جلاب فيها عسكر أيضاً يقال نحو ثلاثمائة نفس وبقي مثلهم تكملة الألفين، فالله تعالى يعطي الناس خيرهم، ويدفع عنهم شرّهم .

وفي يوم الإثنين عاشر الشهر وصل لمكة حمل نائب جدة العلائي علي الرومي ويقال فيه متحصّل مال جدة للخنكار، وبلغ عدّته مائتي ألف وثمانين ألف دينار، وذلك جميع ما هو للسلطان والشريف صاحب مكّة ورسوم عسكره والزوامل

(١) كلمة سقطت من الأصل .

المقررة لأرباب الوظائف والمساجد والقرب وغيرها من المكوسات. وكان للسلطان نحو ربعها وللشريف مثله، وذلك أن الخنكار أمر بقبض جميعه في عام تاريخه ليصرف على العسكر المجهّزين للفرنج في جهة الهند القبطان سلمان. وأرسل الخنكار مرسوماً لصاحب مكّة الشريف أبي نمي يخبره بذلك، ويأمر نائب جدة العلائي علي بتسليمه.

ويقال إنّ السبب في ذلك هو والقبطان سلمان لأذية صاحب مكّة وإضعافه فحصل بذلك وبوجود العسكر المجهّز من الروم غاية الضرر لصاحب مكّة وسكانها لضيقهم[1] المعاش على أهل مكّة وغلو الأقوات وخوف الطرقات، فلله الأمر من قبل ومن بعد. وكانوا يظنون أن محصول جدة شيء كثير جداً فظهر لهم ذلك .

وتوجّه نائب جدة من وادي جدة إلى وادي الدكناء من وادي مر لمواجهة الشريف أبي نمي لإزالة ما في خاطره وللإصلاح بينه وبين القبطان سلمان، فلاقاه الشريف وأكرمه وأضافه وقدم له الآخر هدية سنيّة من تحف الهند تقطع ألوفا من الدنانير، كما يقال، وحلف له على المصحف الشريف بعد أن أراه له وقال: لا أعمل مثل المصريين بالحلف على الصابون، للتورية بالحلف على المصحف الشريف بأنه لا يريد عليه سوءا، وظاهره وباطنه معه سواء، ولا يعلم عليه إلاّ الخير والاستمرار على ولايته من جهة الخنكار .

وكذا أمر القبطان سلمان لكنه يطالبه بألفي دينار وحب قبضه والده الشريف بركات في غيبته بغير وجه شرعي، فقال له: خلفه كان مصطفى الرومي للجماعة الذين سافروا لسلمان إلى مصر والحب عشور رجب وصل معه، ومرجع ذلك إلى العادة، وليس له بذلك عليّ طلب، فقال له: إن كان كذلك فليس له مطالبة عليك. فطاب خاطر الشريف بذلك وأقام النائب عنده إلى آخر النهار وعاد إلى مكّة المشرفة فوصلها ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه وقصده القضاة والأعيان للسلام عليه،

(١) كذا بالأصل، ولعلها: لتضييقهم .

ووصل صحبته محتسب مكّة الحاج علي بن عبيد المغربي، وكان في فُريق الشريف توجّه إليه خوفا من الأروام، فأظهر همة عند وصول بالندي[1] ورخّص الأسعار، فوافق وصول قافلة من بجيلة فيها حب لقيمية فبيعت كل ربعية منها بسبعة محلقة ونصف عن ثلاثة كبار والمصرية بسبعة بنقص نصف محلق والدخن مثلها والذرة دونها .

وأشيع أنّ القبطان سلمان بلغه بجدة أن الشريف قبض على نائبها ونهب العرب [٨٨ ب] مال الخنكار فحصّن جدة بالمدافع وغلق سورها ومسك أولاد حاكم جدة عبد الشريف صاحب مكّة وأراد إحداث أمر فيهم فقال له الأمير خير الدين: لا تفعل شيئاً فإن الشريف عاقل ولا يصدر منه تشويش، ثم ظهر لهم سلامة وإكرام نائب جدة، فنُودي في البلد بالأمان والاطمئنان وأن البلاد للشريف أبي نمي وأُطلق أولاد الحاكم، فالله تعالى يسلم المسلمين، ويخمد الفتن عن جيران بلد الله الأمين .

وفي نصف ليلة الأربعاء ثاني عشر الشهر ماتت ابنتي المولودة في سنة تاريخه أم الخير سيّدة الجميع المدعوة محسنة[2] وعمرها سبعة أشهر، فجهّزتها في صبح تاريخه وصلّى عليها قاضي الشافعية المحبي بن ظهيرة عقب قراءة سورة الأنعام بالحطيم عند باب الكعبة وشيّعها جماعة من القضاة والفقهاء وغيرهم ودفنت على أخواتها بتربة سلفنا بالحجون من المعلاة، وحزنتُ عليها وأمها كثيرا لكونها ثاني ابنة توفيت لنا في هذا العام، فالله تعالى يجعل قراها الجنة ويعوضنا فيها عوض خير بذَكَر صالح إن شاء الله تعالى .

وفي صبح يوم الجمعة رابع عشر الشهر وصلت إلى مكّة عدّة رسل من

(١) كذا بالأصل .
(٢) بالأصل: محسنة المدعوة .

صاحبها الشريف أبي نمي إلى نائب جدة العلائي علي الشاووش، أولها يقال إخباره بوصول قاصده الشريف محمد السمهودي المدني من الروم بإنعام الخنكار عليه بإمرة مكّة وأعمالها على جاري عادته وخلعة ومراسيم، ومشورته في دخول مكّة لقراءة مراسيمه ولبس خلعته، وأنّ العسكر من الأروام يتوجّهون إلى وادي منى خوفا من حصول فتنة بينهم وبين عسكر بني حسن، أو يتوجّه له للوادي لسماع مراسيمه .

وثانيها خبره بهروب عمومته عنه ليلة تاريخه بعضهم إلى جهة وادي الخيف وأولاد الشريف حميضة ورميح ابن عمه شرف الدين ومحمد ابن عمه قايتباي، وكانوا أظهروا له التوجّه لأجل مقام لزواج بنت صهره الشريف بساط بن عنقا بالخيف، وأرسل معهم أخاه الشريف ثقبة ليلصق عليها، فعلم[1] بتوجّه الأولين إلى جدة فتشوش من ذلك وقال لنائب جدة: إن كان فعلهم عن مباطنة منك أو من القبطان سلمان فعرّفني بذلك، فأرسل له بالجوابين أن البلاد بلاده وحلف له أن ليس له علم بفعل عمومته وظهر من جوهر المغربي آراء سديدة في تسكين فتنة أعمام الشريف وأغدق عليهم .

ثم في ظهر تاريخه جاءه قاصد ثالث من مماليك الشريف يخبره بوصول عبد قاصده مسلّم البدوي من مصر وأنه فارق الحاج من العقبة وهم بخير، وأن معه مراسيم من ملك الأمراء بمصر سليمان الخصي أحدها للشريف بولاية مكّة على عادته، وثانيها لنائب جدة يأمره بموافقة الشريف أبي نمي وعدم مخالفته ومشاورته في تصرفاته فإنه بلغه مخالفته، وأنه أمر قاصديه الجمالي محمد بن مدهش وأحمد بن نصر بالتوجّه إلى الروم للأبواب الخنكارية ويتكلمان[2] في أمر بندر جدة، فالله تعالى يطمئن المسلمين ويصلح أحوالهم .

(١) بالأصل: فعميم .
(٢) بالأصل: ويتكلما .

وأشيع أنّ الشريف أبا نمي أرسل الشريف عرار بن عجل النموي في خمسين فارسا لطلب عمومته الهاربين منه إلى الخيف ثم أردفه بصهره بساط بن عنقا بثلاثين فارسا [٨٩ أ] ثم بأخيه ثقبة في مائة فارس ثم توجّه بفريقه إلى جهة مشرعة الجموم (١) ويقال إنّ الخيل نزلت هالة الخيف(٢) على نية الإصلاح بين الشريف وعمومته، فأصلح بينهم القائد جوهر بالحسنة .

وفي ليلة الأحد سادس عشر الشهر وصل إلى مكّة الخبر بوصول قاصد صاحب مكّة السيد أبي نمي محمد بن بركات الحسني وهو السيد جمال الدين محمد ابن عبد الكريم بن عبد الله السمهودي المدني من الروم بمراسيم وخلع من الأبواب الخنكارية المظفرية العثمانية باستمراره على ولاية مكّة عقب وفاة والده. وكان وصل إلى القاهرة من البر ثم توجّه إلى الطور وركب البحر المالح وعاد فيه إلى بندر ينبع وركب منه في البر إلى جهة الشريف فواجهه نازلا(٣) على مشرعة وادي الجموم أحد أودية مر وذلك لمحاصرة عمومته المخالفين عليه مع أولادهم المتوجّهين إلى وادي الخيف، فأرسل نائب الحاكم بها وابن أخته القائد مرشد الحريري وأمره بزينة مكّة سبعة أيام ولعب الحمام على العادة أمام منزل الشريف بأجياد. فنودي بالزينة ضحوة يوم تاريخه ولعب الحمام في عصره أهل مكّة العوام وغريب الدار، وفرح الناس بذلك، وأمن القاطن والسالك .

وكان اتفق في ليلة تاريخه وصول قافلة من جدة فيها الخواجا الشيخ علي القيلاني وعديله شاه محمد قوام ومعهما عدول قماش، فخرج عليهم جماعة من

(١) الجموم: جار الله بن فهد: حسن القرى بأودية أم القرى، مجلة العرب (رمضان – شوال، سنة ١٤٠٣هـ) ص١٩٧-٢٠٣ .

(٢) هالة الخيف: لعل المقصود خيف بني شديد الذي سكنه الأشراف ذوو راجح. جار الله بن فهد: حسن القرى، مجلة العرب (رمضان – شوال، سنة ١٤٠٣هـ) ص ٢٠٧.

(٣) بالأصل: نازل .

العرب بالقرب من مكّة وقطعوا .... (١) حتى سقط إلى الأرض فسطا العرب عليها بالسيوف وأثخنوا جراحاتهما مع جماعة من خدمهما وأخذوا لهما بعض الأمتعة وتركوا الغالب فدخلوا مكّة مجرحين، وعلى أنفسهم خائفين، فأقام الشيخ علي في منزله إلى ضحوة النهار ثم مات، وجهّز في يومه وصلّي عليه عصر تاريخه ومعه جماعة من التجار والأعيان ودفن بالمعلاة. وتوفي بعده شاه محمد قوام أيضا، رحمهما الله تعالى، وخلّف ابنة صغيرة وأخا كبيرا، وضبط نائب جدة تركته مع سابق عداوة بينهما، وما عُلم قاتله، وأثنى الناس عليه خيراً، رحمه الله تعالى .

وفي ليلة الإثنين ثاني تاريخه وصل لمكة الأمير خير الدين الرومي ومعه جماعة من الأروام .

وأشيع أنّ الشريفين (٢) أبا الغيث ورميثة عمّيْ (٣) الشريف أبي نمي توجّها إلى جدة لمواجهة القبطان سلمان وأقاما بظاهرها عند الصهاريج وأرسلا له قاصدا يخبرانه(٤) بوصولهما مخالفين لابن أخيهما أمير مكّة السيد أبي نمي وقصداه بمددهما، فامتنع من مواجهتهما وعدم إرسال أحد من جهته لهما، وقال لرسولهما: أنا جندي من تحت الأمر مثلهما وأخاف من سطوة الخنكار .

فلما علما منه ذلك توجّها إلى جهة الخيف ونزلا عند أهله الأشراف من بني حسن فوجدا عسكر الشريف أبي نمي مقيماً في المرابط، فخرجا من الخيف في أربعة أفراس متوجّهين إلى ينبع، فبلغ الشريف أبا نمي(٥) خبرهم فأرسل في طلبهم أخاه الشريف ثقبة في ثلاثة عشر فرسا وبعض ركاب عليها جماعة من عبيده وصحبتهم

(١) كلمتان غير مقروءتين بالأصل .

(٢) بالأصل: الشريفان .

(٣) بالأصل: عمّا .

(٤) بالأصل: يخبراه .

(٥) بالأصل: أبي نمي .

الشريف باز بن فارس بن شامان الحسيني ابن عمته خزيمة وأمرهم بالقبض عليهم والفتك بهم، فقال له الشريف باز: أنا حسيني غريب عنكم، فقال له الشريف أبو نمي: أنت مشير لا قاتل، فتوجّهوا إلى جهة عسفان فلم يجدوا أحدا سبقهم إليها فعادوا إلى طرف البرقاء[1] فرأوا خيلهم بها، فلما أحسوا بهم [٨٩ ب] ولّوا منهزمين إلى جهة الخيف والطلب في أثرهم، فلما رآهم [2] أهل الخيف مقبلين عليهم خافوا من طلب الشريف أبي نمي لهم بعسكره، فلما تحققوا قلّة الفزع أمنوهم ودخلوا بهم إلى بلدهم وعاد الشريف ثقبة إلى أخيه وأخبره بخبرهم فأرسل إليهم وإلى الأشراف يطلب منهم خيوله ودروعه التي تحت أيديهم من جهته وجهة أبيه، فجاءه جماعة من أكابر الشرف منهم عرار بن شقيق و.... [3] من فعل عمومته وأنه لا يرضيهم ذلك وحلفوا له على الطاعة ومشوا في الصلح بينهم، فالله تعالى يقدر خيراً ويصلح خيراً .

وفي صبح يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر ركب الأمين مصلح الدين الرومي ونائب جدة علي الشاووش وأمامهم محتسب مكّة النوري المصري وبعض مقدمي الأروام وداروا على بيوت العسكر بمكة وأمروهم باجتماع كل مائة نفس أو خمسين نفسا في بيت، وأمروهم بإعطاء كراء كل منزل لأصحابه، ومَن لا يكون [4] معه نفقة يعطى له من مال الخنكار، فشكر الناس من فعلهم هذا وتضرر بعض أهل المنازل من اجتماعهم وكثرتهم في كل منزل خوفا على خرابه، خصوصا وليس لهم دربة ولا شفقة على المنازل وأهلها، وانتقل بقية الأروام الساكنين في المسجد إلى البيوت على هذا الشرط، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

(١) البرقاء، ياقوت: معجم البلدان ١: ٣٨٦ .
(٢) بالأصل: رأوهم .
(٣) بياض بمقدار ثلاث كلمات بالأصل .
(٤) بالأصل: يكن .

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه أشيع بمكة أنّ الشريف أبا نمي توافق مع عمومته على جواز شهر وعشرة أيام في الإقامة بفريقه ثم يذهبون إلى اليمن أو الشرق ولا يتوجّهون إلى الشام، وتحالفوا على ذلك اتباعاً لطريقة العرب، ويقال إنه زادهم في عطائهم نفقة وكسوة لسؤالهم في ذلك من فضله .

وفي آخر ليلة الخميس عشريْ الشهر مات الشريف عبد الله ابن السيد أصيل الدين محمد بن....[1] الحسيني المجذوب خال قاضي المالكية القاضي عبد الوهاب بن يعقوب المالكي فجهّز في صبح تاريخه وصلّي عليه عقب قراءة الأنعام بالحطيم وشيّعه القضاة الأربعة وخلق من الفقهاء وغيرهم، ودفن بتربة والده بالمعلاة. وكان تحرك عليه حدور وانقطع في البيت مدة ثم برز لبيت القهوة فَحُمل منها وهو مشترك في النزع وعمره نحو الخمسين، فان مولده في رمضان سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة وجُذِبَ من ثلاثين سنة، ويقال إنه كان يستحضر الجان ويتعلق على الأسماء الروحانية، فلذلك تغيرت هيئته في ملبسه وحركته، وكان يلبس القميص مدة بقائه حتى يتقطع ولا يغسل جسده ويحمل في كمّه خِرَقا محزومة وُجد فيها فلوس نحو المائتين مزيفة [2] وخاتمين فضة وسكينين، فكان ذلك مخلّفه مع أخته السيدة فاطمة وابن أخيه السيد زين العابدين بن محمد. وذكر له كرامات، نفع الله به وبعباده الصالحين .

وفي مغرب ليلة الجمعة ثاني تاريخه ماتت.... [3] ابنة علي بن عيسى القاري زوجة قريبها أحمد بن الحسين القاري أم أولاده، فجُهّزت في ليلتها وصُلّي عليها صبح تاريخه ودفنت بالمعلاة في تربتهم بالشعب الأقصى، رحمها الله تعالى وإيانا والمسلمين، وخلّفت أربعة أولاد صغارا بل أحَدهم نفساء عليه .

وفي صبح تاريخه نودي بمكة أنّ عسكر الأروام يتوجّهون إلى وادي منى حتى

(١) كلمتان غير واضحتين بالأصل .
(٢) بالأصل: مزيقة .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

يدخل مكّة صاحبها أبو نمي الحسني بعسكره ويلبس خلعة الخنكار بُها، فتوجّهوا آخر النهار إليها.

وحصل [٩٠ أ] بمكة شعث ورياح وبعض مطر وكثيرُهُ بمنى حتى سالت الجبال وأسقيتْ البساتين بها وحصل النفع لأهلها، وكان عادتهم يملؤون (١) الصهاريج للحجاج في شهر تاريخه فنشفت آبار منى وغلا الماء بها بحيث باعوا كل عشرة راوية بأشرفي، فقال سيدي الشيخ ابن عراق، نفع الله به، لبعض من شكا عليه ذلك: يصبر الناس إلى أول الشهر ويملؤون الصهاريج بسهولة، إن شاء الله تعالى. فقدّر الله حصول هذا المطر ببركة دعائه، نفع الله المسلمين به وأعاد علينا من بركاته.

وفي صبح يوم السبت ثاني عشر الشهر قدم مكّة صاحبها الشريف أبو نمي ومعه عسكره نحو مائة وخمسين فارسا وكثير من الرجال المشاة العبيد والعرب وأهل مكّة وبعض الأروام، فعرض من الزاهر ولبس خلعته من بين الحجونين، ودخل معه نائب جدة والأمين مصلح الدين والقاضي الشافعي وعَمّاه الشريفان شولق وسيسد والشريف عرار بن عجل لابس، والسيد محمد السمهودي القاصد إلى الروم بلا خلعة، وشقوا المسعى، وتوجّه الشريف أبو نمي إلى منزله وخلع خلعته وخرج من أسفل مكّة جهة الشبيكة وأقام بالزاهر وكان الناس ينتظرون دخوله إلى المسجد لقراءة مراسيمه فلم يأتهم، فخاط الناس في ذلك وماطوا. فتوجّه له نائب جدة والأمين خير الدين فسألاه في قراءة المراسيم فتخيّل منهما وقال لهما: قد رأيتما المرسوم ولا يحتاج إلى قراءته بحضرتي، وأرسل به مع القائد ياقوت بن عجلان مقدم المماليك، فدخل به إلى المسجد واجتمع هو والقضاة الأربعة وأمير جدة وقُرئ أمام مدرسة الشريف بالجانب اليماني أمام باب أم هاني على كرسي. ومضمونه: الثناء

(١) بالأصل: يملوون .

على الشريف أبي نمي لطمأنينة الحاج في العام الماضي وإخباره بوصول قاصده عقب وفاة والده وتعزيتهم به، وأنه مستمر على وظيفته ويطالعهم بكل ما يحدث له من الأقارب والأباعد من غير زيادة على ذلك، ثم دعى للخنكار وانفض المجلس .

ويقال إنّ الشريف تخيّل من نائب جدة طلب الشريف عند مواجهته له وبلغه أنّ عسكر الأروام عائدون من منى، فحماه الله ومن الشر وقاه، وأقام بالزاهر بقية نهاره وأرسل له فيه القاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة ضيافة على عادته فأكلها وجاءه المغاني فانشرح بهم ثم عاد إلى الحجون وزار والده ورأى قبّته الجديدة، وكان الأروام نازلين من منى فتوجّه في آخر نهاره إلى فريقه بوادي مر .

ووصلت إليه به راحلة الينبع بأخبار الحاج وهم قليل، ورَكْب المصري والشامي قليل جميعا، وأنّ البلاد له من غير معارض له في ذلك، فاطمأن خاطره .

وفي يوم الثلاثاء خامس عشريْ الشهر على رؤية أهل مكّة وسادس عشريه على رؤية الحاج بالعقبة شُمّرت ثياب الكعبة الشريفة، ويقال إحرامها، على العادة عند العوام .

وفي عصر تاريخه وصل لمكة سبق الحاج بعض أروام وعرب أدلاّء (١) الطريق .

وفي ثاني تاريخه تتابع جماعة آخرون من الأروام وهجموا بعض البيوت وعيّنوها لأصحابهم الواصلين مع الحاج، فتشوّش الناس من ذلك وشكوا أمرهم لنائب جدة فوعد بإعطاء كرائها. وكُتِبْتُ ضمن [مَن] (٢) عُيّنَ بعض بيوته، واحتسبْتُ بالله تعالى مع غالب أهل حارتنا .

وفي ظهر يوم الخميس سابع عشريْ الشهر دخل لمكة كثير من حجاج مصر وغالبهم أروام [٩٠ ب] وبعض أرياف وتكاررة. وأخبروا أنّ الشريف أبا نمي

(١) بالأصل: دللا .
(٢) إضافة تتطلبها الجملة .

عرض لأمير الحاج المصري في وادي الجموم بعسكر كثيرا من الخيل، والرجل جمعهم من الشرق واليمن ومكة المشرفة وغيرها، وطلب من أمير الحاج خلعته، وهو رومي واسمه سنان الكيخيا، وُصِف بالعقل والتدبير، فطلب منه التوجّه إلى مكّة ليلبْسها (١) فيها، فقال له الشريف: أنا لا أدخل مكّة ما دام العسكر المجهّز مع القبطان سلمان فيها وكذلك نائب جدة الشاووش علي الرومي، وشكا منهما، وكان واقفا بعسكره أمام الحاج و لم يقربهم فأمرهم بمواجهته وحلف له على المصحف الشريف بعدم خيانته، فقال له أمير الحاج: أنا جئت للحج ولا أحلف لك ومهما طلبتَه أفعلُه لك، وأرسل له بخلعته على رأس حامل لها فلبسها وهو على فرسه وتوجّه إلى فريقه بالقرب من وادي أبي عروة (٢) .

ثم في ليلة الجمعة ثاني تاريخه دخل مكّة أمير الحاج المصري وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر خارج مكّة، على العادة، وبات بها إلى الصباح، وكذا أمير الشامي واسمه أويس الكاشف، وأقاما بها إلى ضحوة النهار، فدخل أمير المصري مكّة بعرضة صغيرة فيها عسكره، وتوجّه أمير الشامي إلى محطته بالأبطح، و لم يحصل بدخولهما أبّهة لعدم ملاقاة صاحب مكّة الشريف أبي نمي لهما. ويُقال إنّ أمير الشامي لما سمع أنّ أمير الحاج المصري أرسل للشريف أبي نمي خلعته أرسل له الآخر بخلعته إلى الوادي وعتب على أمير المصري لعدم إخباره بذلك، ودخل مع الركب المصري أمين الصدقة الرومية وكاتبها وسكن الأول في مسكن الأمناء بمنزل قاضي القضاة التاجي المالكي على عادتهم وما وافق الكاتب على سكنه بالمدرسة الزمامية على العادة بل سكن عند الخطيب عبد الرحمن النويري بسوق الليل، والله يقدر للمسلمين خيراً .

(١) بالأصل: لبلسها .

(٢) وادي أبي عروة: عَرَّف به جار الله بن فهد في حسن القرى، مجلة العرب(رمضان – شوال ١٤٠٣هـ) ص١٩٢ .

شهر ذي الحجة الحرام (٩٣٢هـ / ١٥٢٦م)

استهل في ليلة الأحد ناقصاً ورآه القاضي الشافعي والفقهاء وغيرهم من علو جبل أبي قبيس المقر العلائي وقاضي القضاة الشافعي وجميع الحاج من أسفله .

وفي صُبحِهِ اجتمع نائب جدة المقر العلائي وقاضي القضاة الشافعي وغيرهم من جماعة صاحب مكّة الشريف أبي نمي فقُرِئتْ المراسيم الخنكارية ونائب الديار المصرية بالوصية على الكاشف سنان الرومي أمير الحاج، ثم أخلع على أمير علي نائب جدة والقاضي الشافعي وأرسل للشريف خلعته إلى محله وطمأن خاطره .

وفي ثاني تاريخه فُرقت المبرّة الرومية في الرواق الغربي من المسجد الحرام أمام منزل السيد علاء الدين ملك التجار بالقرب من باب العمرة وانفرج الناس بها واستمروا يفرقونها (١) أربعة أيام متوالية من أول النهار إلى بعد صلاة العصر، وشكر غالب الناس مَن يفرقها، وأصلح الأمين كثيراً من الأسماء مع إلحاق أسماء عوض الأموات، وتكلم بعض العامة في قطع بعض أسمائهم وشكوا أمرهم لقطب الآفاق سيدي الشيخ محمد بن عراق فكلمه الشيخ في أمرهم فأرضى بعضهم بكتابة اسمه، فالله تعالى يجزيهم خيرا وينصر الخنكار ويُثيبه على فعله أجرا .

وفي ضحى يوم الخميس خامس الشهر وصل لمكة القبطان سلمان الرومي وعرض بعسكره [٩١ أ] عرضة هائلة وشق المسعى إلى باب الصفا ونزل عند الأمير خير الدين الرومي ثم توجّه إلى سكنه بالسويقة في بيت الطاهر المجاور لباب المسجد الحرام، ويقال إنه تكلم في الشريف أبي نمي عند أميريْ الحاج المصري والشامي، فسعى أمير المصري بالصلح بينه وبين الشريف، جوزي خيرا، وكان ذلك قبل دخوله لمكة في يوم الأربعاء رابع الشهر وتوجّه أمير الحاج صحبته إلى محطة

(١) بالأصل: يفرقوها .

الشريف أبي نمي عند جبل حراء بأسفل مكّة، ثم دخلها في صباحها .

وفي يوم تاريخه أوصى الخواجا شرف الدين بن حمزة ابن شيخ الدهشة الحلبي نزيل مكّة لطول وجعه وأسند وصيته لابن أخيه محيي الدين وغيره. وكان يُتهم بالتشيّع، والله أعلم بحقيقته .

وفي ليلة الجمعة سادس الشهر توفي إلى رحمة الله تعالى وجهّز في ليلته وصلّي عليه عقب صلاة الصبح عند باب الكعبة وشيّعه خلق إلى المعلاة ودفن بها بالحجون وباشر نزوله إلى قبره شيخ الرافضة بالشام شمس الدين بن هلال بطلب[1] أخي الميت له، ويُقال إنّه كسر يده اليسرى على معتقد الرافضة في تعطيلها عن أخذ كتابه بها، وأنْكرَ ذلك في المجلس، وكنتُ حاضره، نعوذ بالله من أهل الفساد ونقص العقول والألباب .

وفي يوم الأحد ثامن الشهر توجّه الحاج لعرفة والناس خائفون وجلون من إحداث العسكر فتنة بها فسلم الله تعالى منها بواسطة شيخ الشيوخ محمد بن عراق، نفع الله به المسلمين في جميع الآفاق .

وكانت الوقفة بالإثنين وعاد الحاج سالمين[2] بعد إكمال مناسكهم، فلله الحمد والمنة .

وفي يوم الأربعاء خامس عشري الشهر وصل الخبر إلى مكّة بوصول إحدى عشر جلبة من اليمن فيها حب وأربع جلاب من قصير، فتباشر الناس ورخصت الأسعار بجدة، بيعت الربعية المصرية بستة محلقة صغار والنخلية بستة ونصف .

وفي يوم السبت ثامن عشريْ الشهر وصل حمول من جدة وبيعت الربعية المصرية بأربعة محلّقة ونصف والربعية الذرة والدخن بأربعة محلّقة والربعية الأرز

(١) بالأصل: فطلب .
(٢) بالأصل: سالمون .

بسبعة محلّقة .

شهر الله المحرم الحرام من سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٦م)

استهل بليلة الإثنين من غير رؤية للهلال إلاّ لأفراد من الناس جاؤوا من طريق العمرة أخبروا برؤيته، وثبت ذلك عند قاضي القضاة الشافعي في صبح تاريخه، وأوقدتْ شموع المطاف الكبار مع شَغْل[1] المقامات في ليلة الثلاثاء ثانيه إيهاما لغالب الناس أنها أول الشهر والسنة، فعُدّ ذلك من الحوادث المظلمة، فالله تعالى يعطي الناس خيرها ويرخّص أسعارها ويؤمن المسلمين في جميع أوطانهم، ويبلغهم نصرة سلطانهم .

وكانت الأسعار بمكة غالية في جميع الأوقات فقيمة الحب المصرية كل ربع بدينار وزيادة نصف محلق والرطل السمن بأشرفي والرطل اللحم بمحلق كبير، وكلها عزيزة الوجود مع غالب المأكولات ما عدا الماء الحلو فكثير مع رخصه لتوالي الأمطار في القرى والقفار .

واتفق فيها من الحوادث المظلمة، التي هي للقلوب مؤلمة، توهين خطبة المسلمين، ببلد الله الأمين، وذلك أن بعض المحدثين يقال له محيي الدين العراقي وعُرف في بدايته بالحمصاني [٩١ ب] سافر إلى بلد الروم سنة تسع وعشرين وتسعمائة وسعى في ثُلُثَيْ الخطابة موهما شغورها عن سيدي الخطيب محب الدين النويري لموته وذلك من مدة ثمانية أعوام، وكان تلقّاها عنه قريبه الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري وباشرها مع باقيها بولايته عن السلطان لذلك سليم خان ابن عثمان عند قدومه لبلاد الشام. فحين وصول العراقي لمكة في موسم سنة تسع وعشرين منعه صاحب مكّة السيد الشريف زين الدنيا والدين أبو زهير بركات بن

(١) كذا بالأصل. ومعناها: إنارة المقامات .

محمد الحسني لتدليسه وعدم أهليّته فانقمع لذلك، وانحسمت[1] مادة التعدي لمن سلك هذه المسالك، فقدّر الله تعالى وفاة مولانا السيد الشريف بركات، رحمه الله تعالى، وتولى عوضه مكّة نجله السيد المؤيد السيد الشريف نجم الدين أبو نمي محمد وعضده بعد وفاة والده نائب جدة المقر العلائي علي الرومي الشاووش، فمال الشريف أبو نمي إليه، وعوّل في أموره عليه، فطمع الأمير في جانبه لصِغَر سنّه وما علم أنه ليْثٌ من أسد، وجانبه أقوى منه وأشد، لكونه من بيت النبوة، وارث الشجاعة والرئاسة من الجدود والأبوة .

فكاتب ملك الروم يُخبره بوفاة صاحب مكّة وأنه قام بولده بعده. ويقال إنّه كتب بذلك محضرا دسّ فيه بعض أغراضه ليتوصل بها إلى مراده وأخذ خطوط جماعة من أرباب الوظائف بها وبعض الغرباء المقيمين فيها مع إحسانه إليهم فعاد ضرر ذلك عليهم لكون المحضر وصل إلى الديار المصرية واطلع عليه مُدبّر المملكة جانم الحمزاوي فأرسل به إلى الشريف أبي نمي، فتحمّل ممن كُتِب فيه ويقال منهم الخطيب عبد الرحمن النويري، فبلغ ذلك خصمه فتوجّه إلى الشريف وتوسّل بالشيخ محمد بن عراق عنده، ويقال إنه خدم بعض جماعة الشريف بمال فمكّنه من وظيفة الخطابة وكتب معه عدة كُتُب لقاضي مكّة الشافعي وحاكمها وولاة الأمور بها ليمكّنُوه منها، فوصل بالأوراق في ليلة الثلاثاء ثاني الشهر المذكور وكتم أمرها وصار يظهر الفرح والسرور بها ويقول إنّ الشريف أذن له في السفر ليستنجز مرسوماً بتمكينه من الخطبة والظفر وذلك على جاري عادته في إظهار خلاف ما في باطنه .

فحس الخطيب عبد الرحمن بالقضية فتحيّر في أمره ولازم الصالحين في دفع ما نزل به واجتمع بشيخ الشيوخ محمد بن عراق في ظهر يوم الأربعاء ثالث الشهر

---

(١) كذا بالأصل .

وأراه مراسيمه وشكا عليه أمره فأظهر له التألم وأشار عليه بعقد مجلس عند القضاة والعلماء ورؤيتهم لما بيده ويد خصمه. فتوجّه لقاضي القضاة المحبي بن ظهيرة وقاضي القضاة المالكي الشرفي الأنصاري وأخبرهما بخبره، فسمع محيي الدين العراقي بذلك فاجتمع بشيخ الشيوخ محمد بن عراق في ليلة الخميس وسأله عن عقد المجلس فذكره له وأشاع عنه أنه ولي وتُلي له: ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل و لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ﴾[1] وأشار بذلك إلى مساعدته له، والله أعلم بحقيقة ذلك .

ثم في ضحى يوم الخميس رابع الشهر اجتمع الخطيب وجيه الدين النويري بقاضي القضاة الشافعي والمالكي المشار إليهما عقب قراءة الربعة السليمية خلف مقام الحنفية وطالب منهما حاضرا في محل ورده في زيادة دار الندوة من المسجد الحرام فتوجّه إليه وطلب القاضيين[2] المشار إليهما مع مفتي الشافعية الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد النشيلي [٩٢ أ] والمدرس شهاب الدين أحمد بن يوسف الزبيدي ومفتي المالكية الشيخ شمس الدين محمد الحطاب وغيرهم من أهل الحرم وجماعة آخرين. وقام الشيخ ابن عراق عنهم وأمرهم برؤية أحكام الخصمين والفصل بينهما. فتكلم بعض الناس في عدم صحة الصلاة خلف محيي الدين العراقي، منهم كاتبه، وذلك لربط لسانه وعدم صحة ولايته فتأثر من ذلك وقام من المجلس وأفهم مواجهة الشيخ علي بن عراق، وذلك مكيدة منه لفض المجلس وحضور نائب حاكم الشريف لمساعدته، فتوجّه إلى الشيخ وعاد عند وصول الحاكم المذكور، وهو القائد مرشد ابن أخت الحاكم القائد مبارك بن بدر، فأظهر في المجلس ورقة السيد الشريف أبي نمي بتمكين العراقي من الخطبة من غَيْرِ معارضة له فيها ومنع مَن يعارضه .

وانكف الكلام عنه والإشلاء عليه لعدم معارضة صاحب البلاد فيما أمر به

---

(١) سورة آل عمران، ١٧٤ .

(٢) بالأصل: القاضيان .

وقال عن الشيخ ابن عراق إن القاضيين [1] والمشايخ يتوجّهون إلى منزل قاضي القضاة وينظرون في أحكام الخصمين. فتوجّهوا معه فرأوا مع الخطيب عبد الرحمن مرسومين أحدهما من السلطان سليم خان مؤرخ في سنة ثلاث وعشرين (٩٢٣هـ) بالشام، وثانيهما من ولده السلطان سليمان خان مؤرخ بشعبان سنة تسع وعشرين (٩٢٩هـ) بالروم، ومع محيي الدين العراقي ثلاثة مراسيم أحدها بالعربي مكتوب أوله بالذهب في البسملة والعلامة الخنكارية وتاريخه مع الآخرين التركيَيْن في رمضان سنة تسع وعشرين (٩٢٩هـ) وفي أولها [2] كشط وإصلاح في لفظة أن يستقرّ في ثلثيْ الخطابة وهو القدر الذي كان للخطيب محب الدين فكُشط وهو وجعلها.... [3] لا عوضا، فنبّه الحاضرين على ذلك قاضي القضاة المالكي، ففطن لها جميع مَن في المجلس وعلموا تدليسه وانفضّ المجلس لإخبار الشيخ ابن عراق بما وقع في المجلس فذُكر له تأخير تاريخ مرسوم العراقي، فاعتمده وقال: الكشط فيه لا يضر لدعواه أنه من كاتبه، فالله قبيله وحسيبه، فترك الخطيب عبد الرحمن حينئذ الكلام وعلم أنه لا يفيده إلاّ كثرة الملام .

وفي ثاني تاريخه أرسل العراقي بعض صبيان الحاكم إلى الخطيب عبد الرحمن يطلب منه أعلام المنبر وثوب الخطابة، فأعطاه علمين ومنعه من الثوب لكونه ملكه، فاهتمّ العراقي بشأن الخطبة هو وأصحابه، وفرّق دراهم على جماعة منهم، ويقال أعطى صبيان الحاكم عند مجيء الأعلام عشرة أشرفية ولنائب الحاكم بكسوة فيها فوطة وهيبي وأزرق وسوسية واشترى سكرا أذابه لمن مشى أمامه عند مباشرة الخطبة ومن هنّأه بها والتمّ عليه للسلام جماعة من غوغاء الناس ومشوا أمامه ذهابا وإيابا.

واتفق له عند طلوع المنبر رد السلام ثلاث مرات أولها عند باب المنبر وثانيها

(١) بالأصل: القاضيان .
(٢) بالأصل: أولهم .
(٣) كلمتان غير واضحتين بالأصل .

في وسطه وثالثها في أعلاه وافتتحها بالحمد لله الذي وعد الصابرين وآتاهم أجرهم بغير حساب وتلا في آخرها قوله تعالى: ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ [1]، وقصد بالمطلع والختم المانع له وهو السيد بركات والد الآمر له و لم يُطّلَع لما قصده، وصلّى كثير من الطلبة والفقهاء خلفه [٩٢ ب] جمعة وأعادوها ظهرا منهم كاتبه، بل بعض الناس امتنع من الصلاة خلفه لبطلانها على المذاهب الأربعة، منها ربط لسانه وعدم تأديته لأحرف القراءة كإبدال السين والضاد والراء بغيرها، فالله تعالى ينتقم منه ويعجل بعزله فإنه أبطل جمعة المسلمين، في بلد الله الأمين .

وقال فيه بعض الفضلاء منشدا قوله :

ألا تبا [2] لدهر قد رمانا ... بكلب من كلاب جا مُريبا
فرخ من فراخ الشريف حقا ... فلاّح ابن فلاّح نسيبا
كثير للفساد له وقايع ... قبيحات وفي نفس معيبا
وسوقي يبيع الحمص كانا ... وهذا اليوم قد أمسى خطيبا
دعوت على الزمان يسوء فعله ... وقلت له أما أنت لم تك مصيبا
فقال الوقت ذا وقتٌ رديء ... ومثل الوقت قد جِبْتُ لكم خطيبا
عتبني الشعر لما أن هجوته ... وقال قد ضيّعتني يا أديبا
فلا تهج [3] سوى رجل مثيل ... يخاف العيْب كما من به لبن حليبا [4]

ولما فرغ من صلاة الجمعة توجّه إلى منزله بسوق الليل ومرّ على خصمه ذهابا وإيابا وصحبته جماعة من أصحابه وخلق من العوام وهم يهنونه بمباشرة الخطابة،

(١) سورة الكهف، آية ٤٩ .
(٢) بالأصل: ألا تبابا .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٤) كذا وردت القصيدة باللهجة العامية لذلك العصر .

وأسقاهم سكرا مذابا، وأنشد لسان الخطيب الوجيه قول مَن قال فيه:

ولو أني بليــت بهاشمي — خؤولتــه بنو عبد المدان
لهان عليّ ما ألقى ولكن — تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ورحم الله إمامنا الشافعي حيث قال: مَن سام نفسه فـوق مـا يسـاوي ردّه الله إلى ما يساويها. وقال الإمام أبو حنيفة: مَن طلب الرئاسة في غير حينه لم يُولّ. وقـال الشيخ الشبلي: مَن تصدى قبل أوانه فقد تصدّى لهوانه. وقال بعض العلماء: واللبيب مَن صان نفسه عـن تعرضـها لمـا يعدّ فيـها ناقصـا وبتعاطيـه ظالمـا أو بـإصراره عليـه واسعا(١). فنعوذ بالله من استعلاء الأرذال على الأصلاء، وقهر السفهاء الفضلاء، وولاية الدين لغير أهله، وإظهار الفحش من كل جاهل على قدر جهله، لما رواه أبو أيوب الأنصاري مما هو في التحذير خيري(٢) لا تبكوا على الدين إذا وليـه أهلـه، وابكوا عليه إذا وليه غير أهله .

واتفق للخطيب المفصول قهره لمباشرة خصمه المخذول وأراد التوجّه لصاحب مكّة فحصل له وجع وشدة برمي الدم وانقطع بمنزله مدة ثم شُفي من ذلك، والتجأ في قضيته إلى مولى الممالك، نرجو منه وقوع خصمه في المهالك .

وفي يوم السبت سادس الشهر جاء الخبر لمكة بأن عسكر الأروام هجموا على غالب بيوت جدة ونهبوا منها الأواني والأمتعة وطلعوا بها إلى مراكبهم فمنعهم القبطان سلمان ورمى ببعضها في البحر وبعضها أنزله إلى البر، وسافر بهم في جمعة تاريخه متوجّهاً إلى جهة اليمن، لا رده الله إلينا. وقد استمر بها حتى قُتِل فيها(٣).

وفي يوم الجمعة سابع عشريْ الشهر وصل لمكة الشاووش يحيى الرومي من مصر بحرا أرسله نائب الديار المصرية سليمان باشا الخصي الرومي وصحْبته خلعة

(١) كذا وردت الجملة بالأصل .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) ذكر قطب الدين النهروالي تفاصيل مقتل سلمان في كتابه البرق اليماني ٥٣-٥٤ .

ومرسوم لصاحب مكّة [٩٣ أ] السيد الشريف أبي نمي محمد ابن بركات الحسني فأقام بمكة في مدرسة الأشرف قايتباي إلى آخر النهار ثم توجّه إلى الشريف جهة الفريق باليمن فأقام عنده يوماً واحداً وأمره بالعود إلى مكّة وهو يلحقه ليقرأ مرسومه في الحرم الشريف، فقام إلى مكّة في يوم الأحد ثاني تاريخه .

وفي ضحى يوم تاريخه مات شيخنا العلامة المبارك مفيد الطالبين بدر الدين حسن بن علي بن محمد بن رضوان الطلحاوي نزيل مكّة، وعمره ثمانون(١) سنة، وكان انقطع بمنزله نحو سنة، فجهّز في يومه مع .... (٢) ابنة فاتح الكعبة الشيخ القدوة جمال الدين محمد بن عمر بن محمد الشيبي المكي وصلّى عليهما بعد صلاة العصر أمام باب الكعبة قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة وشيّعهما جماعة من الأعيان ودُفنا بالشعب الأقصى، أولهما بالقرب من الشيخ سفيان بن عيينة والثانية بتربة سلفها، رحمهما الله تعالى. وخلّف الأول ولده علياً وبنتا، وخلّفت الثانية بنتا وأخوات(٣) لأبيها. وفي صبح يوم تاريخه شرع شيخ الشيوخ قطب دائرة الآفاق سيدي الشيخ محمد بن عراق في غسل أبواب المسجد الحرام وتطهيرها، وأمر الناس بلبس نعلهم من خارجها ونادى في الشوارع باحترام المسجد من المرور منه بالأمتعة وغيرها من الحوائج المبتدعة، جزاه الله خيرا، وأثابه على ذلك أجرا.

وفي ظهر يوم الإثنين تاسع عشريْ الشهر تحركت رياح القولنج على الشيخ محمد بن عراق فانقطع بمنزله في الخلوة التي على باب ميضاة الأمير صَرْغَتمش(٤) الناصري وعمّرها الأمير مقبل القديدي جوار البيمارستان المستنصري في الرواق الشامي من المسجد الحرام، وصار الناس يترددون لزيارته طالبين لبركته إلى أن قضى

(١) بالأصل: ثمانين .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٣) بالأصل: أخواتا .
(٤) بالأصل: طرغمتش. وهو خطأ أصلحناه من ترجمته الواردة في كتاب الدليل الشافي لابن تغري بردي ١ : ٣٥٣.

نحّبه بعد جمعة كما يلي ذلك في الشهر بعده .

شهر صفر الخير استهل كاملا بالأربعاء ويقال رؤي في البرية بالثلاثاء من سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٦م)

وفي ثالث الشهر يوم الجمعة خطب المحيوي العراقي خطبة عرّض بعدم الطيرة في هذا الشهر. وكان عرضها على سيدي الشيخ محمد بن عراق وهو مريض فتشاءم بها ومقته الناس في عرضها وذلك لسوء طويته، وعدم الموقع لموعظته، [لمحبّته التعاظم وعدم تلبّس سلفه للأبهة] [١] .

واتفق أنّ سيدي الشيخ محمد بن عراق اشتد به المرض بعدها ومات في عصر يوم الأحد ثالث تاريخه. وعُدّ ذلك من شؤمة الخطيب على المسلمين، وظهور ثلمة في الدين .

وكان وجعه برياح القولنج والحمى الشديدة[٢] التي كانت تمنع غيره من مباشرة أمور عديدة [٣] وهو مع وجودها شاهدتُه صلّى الظهر جماعة في محله أمس يوم وفاته وهو متفكّر فقرأ في الأوليين بالفاتحة والسماء والطارق والسماء ذات البروج حرصا على السُنة [٤] في فعل ذلك لما رواه الترمذي في جامعه أن النبي ﷺ كان يقرؤهما في الظهر والعصر[٥]، ويلازم الصلوات الخمس في وقتها مع سننها وذكر أوراده وتلاوة القرآن فيها ويباشر الفرض قائماً والسنن قاعدا ما عدا ظهر يوم

(١) مابين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(٢) بالأصل: الشديد .

(٣) بالأصل: عديد .

(٤) يُلاحَظ أن ابن عراق صلّى الظهر وهي ليست صلاة جهر حتى يتعرّف المؤلف على السُوَر التي قرأ بها المصلّي .

(٥) الترمذي: الجامع الصحيح ٢: ١١٠ (تحقيق أحمد محمد شاكر) .

وفاته فإنه صلاها قاعدا، وقال: هي صلاة الوداع، مع وصيته عقبها بعدة من الخيرات والصلة والمبرات، بل عرجت روحه [٩٣ ب] السعيدة، وهو يتلو آيات من القرآن عديدة. وحضر لوفاته[١] جماعة من الفقراء والمحبين، ممن انتظم في سلك العلماء والصالحين، فعادت بركته عليهم وفاحت نفحاته[٢] لديهم، فسمع الناس بذلك، فقصده للسلام عليه كل قاطن وسالك .

فكانت ساعة مهولة ذرفت لها العيون ووجلت لها القلوب، فيالَها من ساعة لم يُر مثلها و لم يفْجَع الخلق بأعظم منها، فثبّتَ عندها من وفّقه الله، وتلا عليه ختمة من كلام الله، وكان فراغها عند ابتداء غسله وقت السحر، وجهّز من وقته ووضع عند باب الكعبة والحجر، وصلّى عليه عقب صلاة الصبح يوم الإثنين قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة، بعد نداء الرئيس له بألقاب معتبرة شهيرة، وشيّعه خلق من الأعيان، وغيرهم من الرجال والنساء والصبيان، ودفن بقبر جديد في الشعب الأعلى أمام قبر الشيخ أبي كثير بالمعلاة، وهرع الناس صباحاً ومساءً للقراءة عليه خمسة أيام، وأنشدت عنده مرثيتان[٣] يوم الختم، وذلك يوم الجمعة عاشر الشهر الحرام، أولاهما[٤] للشيخ الصوفي الأديب بدر الدين حسن بن الإدلبي الحلبي نزيل مكّة المشرفة وقرأها بلفظه وعدتها سبعة وعشرون بيتا ومطلعها:

فرّق الموت بيننا بالفراق ... ما أمرّ المنون عند المذاق

هكذا تفعل المنايا دواما ... وطؤها بالمناسم الأعناق

وثانيتهما[٥] للعلامة البليغ زين الدين عبد اللطيف بن علي بن إبراهيم الأزهري

(١) بالأصل: بوفاته .

(٢) بالأصل: نفحاتهم .

(٣) بالأصل: مرثيتين .

(٤) بالأصل: أولهما .

(٥) بالأصل: ثانيهما .

المعروف بالديربي .... [1] وعدّتها نحو ستين بيتاً ومطلعها:

أسهد الناس هول يوم التلاق مَشهد القطب سيدي ابن عراق
حين قد مات أظلم الجو حتى أفجع النـــاس ظلمـــة الآفاق
فُجِع النـــاس في إمـــام وليّ حجـــة الله صفـــوة الخلاّق

ونحب الناس بالبكاء عند سماعهما، فالله تعالى يغفر لأهل الجمع، وينوّر لهما القلوب والسمع. وبعد ذلك أجاز لي الناظمان للقصيدتين[2] روايتهما عنهما وأنشدني الثاني بعضها من لفظه مع خمسة أبيات من نظمه بالمسعى الشريف وهي:

بموت ابن العراق أبي علي ترى الدنيا وساكنها بُكيا
وبيت الله والمسعى وأفضى أباطحه عليه غدا سجيا
وليّ الله كان بغيـــر شك على وفق الكتاب محمديا
تنقّل في جوار الله حيـــا من الدنيا إلى الأخرى وليا
سقى الرحمن تربتـــه غواد تسحّ بقبـــره سَحّا قويـــا

شهر ربيع الأول المبارك أعاد الله على المسلمين مِن بركة مَن وُلِد فيه، استهل كاملا بالخميس سنة ٩٣٣هـ (١٥٢٦م)

وفي ليلة الجمعة ثاني تاريخه كان عقدا حافلا لزواج الفقيه الأصيل عفيف الدين أبي البقاء محمد ابن القاضي عفيف الدين عبد الله بن أبي الفضل بن ظهيرة القرشي المكي في سطح الرواق الغربي من المسجد الحرام أمام منزل الزوجة البنت البكر الأصيلة أم الخير ابنة شيخنا العلاّمة قاضي المسلمين شرف الدين بن أبي القاسم [٩٤ أ] عبد الكريم الرافعي ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات بن ظهيرة

(١) كلمة مغطاة بالحبر في المخطوط.
(٢) بالأصل: للقصيدة .

القرشية المكية، حضره القضاة الأربعة والشريفان زين الدين حميضة وأخوه شولق ابنا صاحب مكّة السيد جمال الدين محمد بن بركات الحسنيان وخلق من الأعيان كالفقهاء والتجار وغيرهم من النساء والصبيان وأوقدت شموع الحرم بالفوانيس وغيرها بمباشرة ناظر الحرم والمتعاطي للعقد ابن عم الزوجين قاضي القضاة الشافعي المحيي بن ظهيرة القرشي الشافعي وابن القاضي بهاء الدين أحمد ابن قاضي القضاة ناظر المسجد الحرام الجمالي أبي السعود بن ظهيرة القرشي الشافعي وعظّم كلاّ من الزوجين بألقاب كثيرة، معتبرة شهيرة .

وكان العقد لهما بمائتيْ مثقال كعادة سلفهم، وبعد فراغه من الخطبة شرب الجماعة الحاضرون سكرا مذابا وبخروا بالعود والعنبر والماورد وسمعوا إنشادا مطابًا، فكانت الليلة بهجة، والخلق فيها مبتهجة، وأصبح الناس هنّؤوا الزوج بذلك .

وجاء الخبر من جدة بنصرة الخنكار على أعدائه المهالك، وتوجّه القاصد الرومي إلى فريق الشريف، فقابله بالمسرة والتشاريف، وزيّن الناس بندر جدة، وزال عنهم الكرب والشدة، ونودي في مكّة بزينتها وإظهار السرور بها سبعة أيام، وكان ذلك في يوم الإثنين خامس الشهر المذكور [لوصول خبر نصرة السلطان وأخذ جزيرة رودس][1].

وفي ثاني تاريخه خرجت المؤذنة لطلب النساء في العرس المشهور فاجتمع بمنزل الزوجة أسفل مكّة القضاة الثلاثة خلا الحنفي وقرابة الزوج بني ظهيرة وبعض التجار من أصحاب والده وغيرهم. وألصق الحاضرون على مؤذنتين واحدة لأهل الزوج وثانية للزوجة، فأعطى القاضي الشافعي والقاضي شمس الدين بن عوض المباشر لكل واحدة أشرفياً سليمياً عن أشرفين وكذا والد الزوج وبعض الحاضرين وبقيتهم كل

(١) مابين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي. وانظر تفاصيل فتح جزيرة رودس في كتاب الإعلام للنهروالي ص٣١٥-٣١٧؛ وكتاب تاريخ الدولة العلية لمحمد فريد بك المحامي ص ٢٠٣-٢٠٦ .

واحد أشرفياً فضة وبعضهم أقل من ذلك. ثم مد للحاضرين معمولًا في صحون فأكلوا وانصرفوا ولعب لهم العيري بالنقارة أمام دار الزوجة بالمسفلة في عصر تاريخه. وعرض أهل السوق إلى منزل الشريف أبي نمي صاحب مكّة بأجياد الكبير، ودقّت النقارة لهم لأجل الزينة سبعة أيام لفتح رودس .

وفي ضحى يوم الأربعاء سابع الشهر اجتمع القاصد الرومي الواصل أمس من فريق الشريف أبي نمي صاحب مكّة في جهة اليمن والقضاة الأربعة والتجار وغيرهم من الخلق بالحطيم أمام البيت الشريف، وقُرئ فيه ثلاثة مراسيم: أولها لصاحب مكّة الشريف أبي نمي وثانيها للقضاة وثالثها للتجار من ملك الأمراء نائب الديار المصرية سليمان الخصي الرومي، مضمونها: الإخبار بنصرة الخنكار الأعظم سليمان خان ابن عثمان خان على الفرنج المخذولين أصحاب [بلغراد][1] وأولها كتابة وأفصحها عبارة ومضمونه إخبار الشريف بوصول قاصد من الأبواب الخنكارية المظفرية السليمانية واسمه فرحات وعلى يده مرسوم شريف يتضمن نصرة مولانا السلطان سليمان خان ابن عثمان على الفرنج المخذولين أهل [بلغراد] كان افتتح بلادهم في الزمن الماضي مع أهل رودس على طريقة أسلافه في جهاد المخذولين[2] .

وكان توجّه إليهم في شهر رجب الفرد من العام الماضي قبل تاريخه [٩٤ب] فوصل إلى نهرهم المعروف بصيرة [3] وهو أكبر من سيحون[4] وجيحون[5] فنصب مراكب[6] عليه وجعل عليه جسرا تعْدُو عليه خيوله المنصورة كل صف عشرين

(١) بالأصل: بني الأغراض. وهو غلط من الناسخ أصلحه قطب الدين النهروالي بخطه في الهامش مرتين .

(٢) فتح بلغراد: وردت أخبار هذا الفتح في كتاب الإعلام للنهروالي ص٣١٨-٣١٩؛ وكتاب أخبار الدول للقرماني ص ٣١٨ .

(٣) النهر المشهور عندهم هو نهر صاوة الواقع قرب بلغراد؛ أو نهر الطونة، القرماني: أخبار الدول ص٣١٨ .

(٤) نهر سيحون: نهر كبير يقع وراء سمرقند يجمد ماؤه شتاء، ياقوت: معجم البلدان ٣: ٢٩٤ .

(٥) نهر جيحون: من أنهار ما وراء النهر، ياقوت: معجم البلدان ٢: ١٩٦-١٩٧ .

(٦) بالأصل: مراكبا .

فرسا مقدمهم الوزير الأعظم إبراهيم باشا وصحبته الوزيران مصطفى باشا وإياس باشا، وحاصروا أهل جزيرة هناك تسمى مدة[1] ثلاثة أيام ثم نصرهم الله عليهم في ثاني عشر ذي القعدة وافتتحوا بعدها خمس عشرة قلعة ثم قصدوا ملكهم المسمى إسبانيا[2] فوجدوه قد جمع من الفرنج المخذولين مائة وخمسين ألف نفس فاستعانوا عليهم بالله تعالى وحاصروهم ثلاثة أيام وانهزم الفرنج المخذولون[3] والعساكر المنصورة في آثارهم طالبين وذلك في ثاني عشريْ ذي القعدة المذكور، فضاعف الله لهم الثواب والأجور، وجعل العاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين .

و لم تتفق هذه النصرة لأحد من سلاطين الإسلام من أول الزمان إلى الآن فإن بلادهم لم يملكها سلطان المسلمين، وكذا بلاد رودس الملاعين، إلاّ الأخير فملكها المسلمون مدة يسيرة. فإني رأيت بخط الشيخ تقي الدين المقريزي مؤرخ القاهرة أنها فُتحت على أيام معاوية بن أبي سفيان بعث إليها جنادة بن أبي أمية[4] وكان فتحها سنة اثنين وخمسين وأقام بها المسلمون سبع سنين وأقام بها مجاهد بن جبر[5] يُقْرئ الناس فيها القرآن وعنده نافع ابن امرأة كعب الأحدب، ومات جنادة سنة ثمانين، انتهى .

وسمعتُ أن الفرنج المخذولين ملكوها في زمن يزيد بن معاوية، فاستمرت بأيديهم إلى وقت فتح ملك زماننا لها، فالله تعالى يجعلها دار إسلام إلى يوم القيامة .

وفي المراسيم الأمر بزينة البلاد، وبنصرة وطمأنينة العباد، وتاريخها في العشرين

(١) لم نجد ذكرًا لجزيرة بهذا الاسم في منطقة بلغراد، وهو خطأ من الناسخ، ولعل الصواب " بدون " انظر كتاب الإعلام للنهروالي ص ٣١٨؛ القرماني: أخبار الدول ص ٣١٩ .

(٢) كذا ورد اسم ملكهم في النص، وهو مخالف لما ورد في المصادر التاريخية الأخرى .

(٣) بالأصل: المخذولين .

(٤) هوجنادة بن أبي أمية الدوسي، سكن الشام. ابن حجر: تقريب التهذيب ص ١٤٢ .

(٥) مجاهد بن جبر، إمام ثقة في التفسير والعلم، حضر فتح رودس سنة٥٢ هـ. ابن حجر: تقريب التهذيب ص٥٢٠ .

من المحرم. فَسُرّ الناس لسماعها وابتهجوا بأخبارها وضجّوا بالدعاء لمُولانا السلطان ولجميع وزرائه والأعوان، فالله تعالى يتقبّل من الجميع ويُديم نصرة المسلمين ويفرّج همهم ويكشف كربهم ويرخّص أسعارهم ويؤمنهم في أوطانهم .

وفي ليلة الخميس ثاني تاريخه كانت غمرة العروس وهي بنت القاضي شرف الدين الرافعي .

وفي صباحها عُمل سماط متوسط بالمسفلة لزواج العفيف ابن القاضي أبي البقاء بن ظهيرة في بيت شيخ الدلالين محمد العباسي المتوفى لقربه من منزل العروس، وكان فيه أطعمة كثيرة من الرّزّين المفلفل والحلو والمأمونية السكب والمشورات والرومية وغير ذلك من الألوان، وحضره القضاة والأعيان والفقهاء والتجار والمتكسبون وغيرهم فأكلوا ثم مدوا للنساء بعدهم على العادة .

ودخل العريس بزوجته في ليلة الجمعة ثاني تاريخه وحضر النّصّة جماعة الزوج من بني ظهيرة ولصقوا عليها كعادتهم، أخلفه الله عليهم، وكان اللصق مثل لصق ليلة المؤذنة .

وفي صبح تاريخه هُنّيء الزوج بالعرس وقدم للناس المعمول والطيب على العادة وتكلّف والد الزوج والوصي على الزوجة[1] من قِبَل أمها القاضي شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات المالكي بما تجمّلا به في هذا الوقت لغلو جميع الأسعار، فالله تعالى يخلف عليهما ويجعل المهم مباركاً عليهما، والله تعالى يُرخي الأسعار ويُكثر الخيرات .

وفي صبح يوم الجمعة المذكور عدم الحب من السوق وظهر بعض دخن وذرة بزيادة في سعرهما فبيعت الربعية الدخن بسبعة محلقة صغار والذرة بستة ونصف واللقيمية بتسعة [٩٥ أ] واليمانية بثمانية مع قلة الموجود، فضاقت الصدور والتجأ

(١) بالأصل: الزوج، والتعديل يتطلبه المعنى .

الناس بالدعاء لخالق الوجود، ففرج الله عنهم في آخر النهار بوصول قاصد من جدة وأخبر بوصول جلاب من اليمن والقصير فارتفعت الشدة ونزل السعر بمكة قليلا في كل ربعية نصف محلق .

وأشيع أنّ نائب النائب بجدة الرومي سَعّرَ للجلاّبة في بيع الحب بعد ضبط مشتراهم ومصرفهم من الكراء والعشور بالمضاعفة لهم في رأس مالهم، فكان سعر كل ربعية من الدخن بخمسة محلقة صغار والذرة بأربعة ونصف والرطل السمن بثلث دينار. وأمر السوقة بجدة أن يكسبوا في كل ربعية ربع محلق، فانضبط سعرهم بها، فالله تعالى يلهم ولي الأمر بمكة ذلك، ويفرج همّ كل قاطن بها وسالك، [وتعب لذلك المحتكرون والحناطون][1].

وفي عصر يوم الإثنين ثاني عشر الشهر وقع بمكة مطر قوي وتتابع إلى المغرب فترك زفة المولد قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة بعد تعبئة المفرعات والفوانيس والشمع لها في وسط المسجد الحرام، ثم سكت المطر بعد المغرب فنظفت بعض طرقات المولد الشريف من جهة سوق الليل بأمر الناظر، واستمروا ينظفون الطرقات إلى بعد صلاة العشاء .

وعُملت الزفة بعد صلاة العشاء و لم يتّفق فعلها في هذا الوقت لأحدٍ من أسلافه وغيرهم فيما أعلم لكنه حدث مطر في عدة أيام زمن المولد الشريف في النهار و لم يمنع الزفة بعد المغرب .

ومشى في الزفة مع الناظر جميع القضاة والخطيبان[2] الوجيهي عبد الرحمن النويري والمحيوي عبد القادر العراقي ومَشّيَ أولهما على ميمنة الحنفي وثانيهما على ميسرة الحنبلي وحضرها كثير من الفقهاء والفقراء والعوام وكانت لطيفية مع وحل

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٢) بالأصل: الخطيبين .

الطريق والتكلف .

وخطب في المولد الشهابي أحمد ابن الوجيه عبد الرحمن ابن الشيخ إدريس ابن عبد القوي كعادة سلفهم في تقدم أصغر أولادهم، ودعا للسلطان وصاحب مكّة والناظر على العادة، ثم وقع مطر والقضاة في المولد الشريف فخففوا الزيارة ثم عادوا إلى المسجد الحرام وهم مسرعون خائفون من المطر فسلّمهم الله تعالى إلى أن دخلوا المسجد، ووضعوا المفرعات بالرواق الشمالي أمام باب العباس فقوي المطر، وأمن الناس الضرر والحمد لله، وهذا من النوادر.

وكانت ساعة مباركة تُرجى فيها البركة ودعا هنا الرئيس الصغير عبد السلام لولاة الأمور، فتمّ الخير والسرور. ولقد رأيت شيخ شيوخنا الحافظ المقرئ شمس الدين محمد بن الجزري، رحمه الله تعالى، ذكر في تأليفه" **التعريف بالمولد الشريف**"[1] أنه لا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم لذلك ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر من بركاته كل فضل عميم.

ومما جُرِّب من خواصه أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة لنيل البغية والمرام، وأكثرهم بذلك عناية أهل مصر والشام، وللسلطان في تلك الليلة مقام، يقوم فيه أعظم قيام .

ثم ذكر حضوره ليلة المولد الشريف سنة خمس وثمانين وسبعمائة (٧٨٥هـ) عند سلطان مصر الظاهر برقوق في قلعة الجبل وما شاهده من القراء والخلع، وما فعله ملوك الغرب من الليلة التي تسير بها الركبان، ويجتمع فيها أئمة العلماء من كل مكان، وتعلو بها بين أهل الكفر كلمة الإيمان. وكان للملك المظفر صاحب إربل بذلك [٩٥ ب] أتم عناية، واهتمام جاوز الغاية، أثنى عليه لذلك العلامة أبو شامة

(١) كتاب التعريف بالمولد الشريف لابن الجزري، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ٤٢١ .

في كتاب" **الباعث على إنكار البدع والحوادث**"[1] وقال: مثل هذا يحسن ويُندب إليه، ويُذكر فاعله ويُثنى عليه .

قلتُ: ولو لم يكن في ذلك إلاّ إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمان، فإذا كان أهل الصليب اتخذوا مولد نبيهم عيدا أكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكبير وأجدر، فرحم الله امرأ اتخذ ليالي هذا الشهر المبارك وأيامه أعيادا، ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعيى داءً. انتهى كلام ابن الجزري .

وبه تم الاستدلال القوي في تعظيم هذه الليلة الشريفة، خصوصا بمحل البقعة المنيفة، ولا يُعتَدّ بالإنكار على فاعلها لقصد تعظيم الآثار، فالله تعالى يديم السرور، ويطفئ أهل البدع والشرور، ويعيد علينا من بركة صاحب المولد الشريف ﷺ وشرف وكرم وعلى آله الكرام، وصحبه العظام .

وفي ليلة الأربعاء رابع عشر الشهر كُسِفَ القمر في ثلث الليل الأول كسوفا قويا وصلّى له الخطيب الجديد المحيي عبد القادر العراقي بسورة البقرة في أربع ركعات وخطب بعدها خطبة طويلة بليغة جليلة، وسمعتُها منه مع ربط لسانه في تأدية بعض حروفها .

شهر جماد الأول استهل كاملاً في ليلة الأحد من سنة ٩٣٣هـ (١٥٢٧م)

وفي أوله رُفع الحب من السوق وارتفع السعر قليلاً بزيادة محلق صغير، فإنه كان بثلاثة صغار ودون ربع فجَرّس المحتسبُ جماعة من الباعة له .

ومسك مرشد أخو[2] الحاكم مبارك بن بدر قاتلة الولدين في وادي

(١) أبو شامة: الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٣٣ (نقل بتصرّف) .

(٢) بالأصل: أخي .

جدة وهي بدوية مولدة وأرسل بها لقاضي القضاة الشافعي المحبّي بن ظهيرة فسألها عن قتلهما فاعترفت به، فأمر بحبسها حتى يحضر والد الولدين المقتولين، واستمرت فيه إلى يوم الأربعاء سادس عشر، فحضر والد المقتولين وتوجّه للقاضي الشافعي فأرسل [في] (١) طلبها، وحضر جماعة من علماء الشافعية كالشيخ شهاب الدين النشيلي والشيخ شهاب الدين الزبيدي والشيخ محمد باكثير، وسألها القاضي بحضرتهم فاعترفت بقتل الولد والبنت خنقا ثم تغريقا في عين حدة، فقال القاضي لأبيهما: أمرها إليك في القتل أو العفو، فأمر بخنقها ثم تغريقها كما فعلت في أولاده، ففُعل بها ذلك يوم تاريخه وغُرّقت في بركة الماجن أسفل مكّة، فالله تعالى يلطف ويقدر خيرا .

وفي ظهر يوم الجمعة سادس الشهر صلّى الخطيب وجيه الدين النويري العقيلي على سلطان الهند مظفر شاه صلاة الغائب بعد نداء الرئيس له فوق ظلة زمزم بألقاب(٢) كثيرة، رحمه الله وسامحه .

شهر جماد الثاني استهل ناقصا بالإثنين من سنة ٩٣٣هـ (١٥٢٧م)

شهر رجب الفرد استهل كاملاً بالأربعاء من سنة ٩٣٣هـ (١٥٢٧م)

في العشر الأول من الشهر وصل لمكة الآغا قجماس بن عبد الله الجاركسي مملوك مدبّر المملكة المصرية الأمير جانم الحمزاوي وأخبر بوصول مركبين مسماريين بجدة فيهما حب من سيّده صدقة له لأهل مكّة مع بيع الباقي على أهلها لما بلغه وجود الغلاء بمكة وجدة، بحيث بيع الإردب بثمانية أشرفية بمكة وبجدة بستة ونصف، وابتهج الناس بذلك .

(١) كلمة سقطت من الأصل تتطلبها الجملة .
(٢) بالأصل: بالقاه .

وأشيع أن المتكلمين على الحب امتنعوا من بيعه لعدم خلاص ثمنه، فطلب شراء الحب قليل(١) وأطلق الناس ألسنتهم في المتكلمين ثم إنهم باعوا بعضه بهذا السعر، وشرعوا في قسمة الصدقة [٩٦ أ] كما يأتي ذكره. ورخصت الأسعار بحمد الله تعالى في السمن والعسل والجبن بحيث بيع المنّ السمن بأربعة أشرفية والقنطار العسل باثني عشر أشرفياً والمن الجبن بخمسة محلقة والرطل اللحم بمحلق ونصف وربع .

شهر شعبان المكرم أوله الخميس من سنة ٩٣٣هـ (١٥٢٧م)

استهل فيها ناقصا وطلع لرؤيته علو جبل أبي قبيس قاضي القضاة الشافعي وناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة، على العادة، ومعه كثير من الفقهاء والأعيان وهنأه الناس في صباحه .

وفي يوم تاريخه [وصل] (٢) من جدة حبّ قاضي القضاة الشافعي من صدقة الذرة الواصلة من اليمن مع صدقة البُرّ من مصر التي أرسلها مدبّر المملكة المصرية الأمير جانم الحمزاوي، وحصته فيها ثمانية أرادب ولقاضي القضاة المالكي الشرفي الأنصاري نصفها وللقاضيين الحنفي والحنبلي كل واحد ثلاثة وللأئمة الأربعة وفاتح الكعبة والخطيب القديم والفراشين والخدام والريّس والمؤذنين لكل واحد أربعة أرادب، ثم زيد المؤذنون إردبين والخطيب المستجد مثلها وكثير من الفقهاء وغيرهم مثلها ودونها. وعيّن من جدة خلق من أهل مكّة والغرباء. ووصلت ثاني تاريخه قائمة فيها أسماء من عُيّن، ولم أجد لي فيها اسمًا، فالله تعالى يعوّضني خيرا منها .

وفي ضحى يوم السبت ثالث الشهر وصل لمكة حاكمها القائد مبارك بن بدر

(١) بالأصل: قليلا .
(٢) كلمة سقطت من الأصل أضفناها لإكمال المعنى .

وأخبر بوصول قاصد صاحب [مكّة] [1] السيد الشريف أبي نمي الحسني وهو الشيخ مسلم البدوي وتعشى عنده خارج مكّة أمس تاريخه، وذكر له أنّ قُصّاد الشريف المتوجّهين إلى بلاد الروم كالجمالي محمد بن مدهش والشهابي أحمد بن نصر وصلا إلى القاهرة ومعهما خلَع ومراسيم الشريف بالإنعام عليه بِرَد بندر جدة وتطييب خاطره فيما مضى، وزُيّنتْ مصر لهم. وأن ملك التجار السيد علاء الدين لم يدخل الروم لتعويقه في الطريق، وكان السبب في قضاء حوائج القضاة أمير الحاج سنان الكيخيا، فإنه بالغ في مدح الشريف وأخبر السلطان بأن البلاد ما تصلح ولا تعمر[2] ويأمن الحاج إلاّ بولايته، جزاه الله خيرا.

وذكر القاصد أنّ معه مراسيم بولاية القاضي بديع الزمان بن الضياء الحنفي لقضاء الحنفية بمكة .

وأشيع معها قضاء جدة وعزل أحمد بن ناصر منها وعبد الرحمن بن زبرق من مكّة مع أخذه منه لنظر قلنسار [3] وكان توجّه للروم وتولية القاضي تاج الدين بن يعقوب المالكي لقضاء المالكية بمكة عوض القاضي شرف الدين أبي القاسم الأنصاري بسعاية صهره الخواجا أبي البقاء السكري .

وتوجّه القاصد للشريف في بلاد الليث من جهة اليمن وأخبر الحاكم بذلك، وأمر بزينة مكّة سبعة أيام أولها يوم السبت فتباشر الناس بهذه الأخبار، وأمنوا من الأكدار، فعرض أهل مكّة من السوقة بعد صلاة العصر من أعلى مكّة إلى جهة منزل الشريف بأجياد الكبير، ودقت[4] النقارة أمامه سبعة أيام وزينت الأسواق وبعض بيوت التجار فسُرّوا بها وابتهجوا برؤيتها، ولله الحمد .

(١) كلمة سقطت من الأصل أضفناها لإكمال المعنى .
(٢) بالأصل: ما يصلح ولا يعمر .
(٣) قلنسار: كذا وردت الكلمة بالأصل، ولم أجد لها توضيحا لما بين يدي من المصادر .
(٤) بالأصل: ودقة .

وفي عشاء ليلة الأربعاء سابع الشهر وصل لمكة نعْي القائد محمد بن بلال السحرتي مقدم صاحب مكّة السيد الشريف أبي نمي، واختلف في خبره فيُقال إنّ سيده [٩٦ ب] بلغه أنه حالف جماعة على قتله فتوجّه إلى منزله بنفسه وطلبه إليه فلما جاءه أمر بضربه[1] ضربا مؤلما وباشر ذلك بروحه[2] حتى أتلفه وحمل إلى منزله عند زوجته قندولة ابنة شافة زوجة الخواجا عبد القادر القاري الدمشقي .... [3] فأفصل[4] من وقته ودفن في محله وجاء الخبر بذلك لأم زوجته فنعته في منزله بأجياد ويقال بأمر من سيّده وإلاّ ما يمكن من ذلك. فلله الأمر من قبل ومن بعد .

ويقال: إنّ الشريف لما بلغه مخالفة المذكور مع جماعة أمر بدق النقّارة وأشاع وصول خبر قضاة من الروم بالإنعام عليه بِرَدّ بندر جدة وغيرها فكان الفال موكّلا بمنطقه، فوصل إليه في ساعة دقها قاصده مسلم البدوي وجاءه بمراسيم من نائب الديار المصرية الكافلي سليمان الخصي، ومضمونها وصول قاصديْه من الروم وهما الجمالي محمد بن مدهش والنوري علي بن محمد بن نصر الحسنيان وأنّ الخنكار أنعم عليه برد بندر جدة وفوّض أمر الحجاز إليه وغير ذلك مما يأتي ذكره في المراسيم وأوراق القضاة، فسُرّ بذلك وجميع القصّاد الذين[5] في الفريق ومكة وغيرهما، وأنعم على القاصد بخِلَع وإنعامات وأقام نحو جمعة. وصحَّ قضاء مكّة للمتولين لغيبته[6] وتوقف قضاة المالكية عن الحكم وباشرها الحنفي ابن زبرق جرْيا على قاعدة مذهبه حتى يصل المنشور.

(١) بالأصل: بضره .
(٢) كذا بالأصل، أي بنفسه .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٤) كذا بالأصل .
(٥) بالأصل: الذي .
(٦) وردت الكلمة بالأصل غير واضحة .

ثم في ليلة الإثنين ثاني عشر الشهر وصل لمكة القاصد مسلم البدوي وصحبته مرسوم لقاضي القضاة الشافعي محب الدين بن ظهيرة لولايته لقضاء جدة وعزل القاضي أحمد بن ناصر، ومرسوم لقاضي القضاة التاجي عبد الوهاب بن يعقوب المالكي بولاية قضاء مكّة، ومرسوم الشريف أبي نمي صاحب مكّة من نائب الديار المصرية ومضمونه إخباره بوصول قُصّاده والإنعام عليه برد بندر جدة وتوليته قضاء جدة لمن ذكر وقضاء المالكية بمكة للتاجي وقضاء المدينة للقاضي شمس الدين بن المحبي السخاوي المالكي .

وفي الأوراق تولية القاضي بديع الزمان بن الضياء الحنفي من الروم واستنابته لإمام الحنفية السيد شهاب الدين أحمد البخاري وأنه عاد من بلاد بُرْصا لما سمع بوصول ملك التجار علاء الدين إلى الروم وخشي من معارضته في وظيفة قضاء الحنفية لأخيه أبي السرور بن الضياء، و لم يصل مرسومه لمكة، فسمع خصمه القاضي عبد الرحمن بن زبرق(١) بأنّه ليس لولايته ذكْر في المراسيم، فقال: مذهبي لا أعزل إلاّ بالأوراق، بل أباشر الحكم حتى يصل المنشور، فبلغ ذلك نائب خصمه الشهاب البخاري فتوجّه إلى قاضي القضاة الشافعي وسأله في استنابة الحكم حتى يباشر الأحكام، فأذن له وباشر الحكم وقصده الناس للتهنئة إلى منزله، و لم يسبق له بذلك عادة لكنه اختلال الأمور أوجب هذا وكانت القاعدة يهنئه صاحب الوظيفة لا نائبه، فلم يلتفت صاحبه وهو خصمه لمباشرته وباشر الأحكام بنفسه أيضاً، وصارا بذلك ضحكة عند الأخيار، لحرصهما على الفشار، واشتغال ذمّتهما بما يوجب الخزي والعار. فتوجّه الناس لتهنئة الشافعي والمالكي المتولي والمفصول للتنقيم له، وحزن له كثير من الناس .

ونادى الحاكم القائد مبارك [٩٧ أ] بن بدر بزينة البلد تتمة الشهر حتى

(١) بالأصل: زين .

يصل قُصّاد الشريف من مصر فأعيدت الزينة، وتكلّف الناس لها لطول مدتها وقُرْب عهدهم بها .

وفي عصر يوم الجمعة سادس عشر الشهر سافر من مكّة لجدة قاضيها الجديد قاضي القضاة الشافعي بمكة قريبه(١) أقضى القضاة شرف الدين يحيى ابن القاضي عز الدين فائز ابن قاضي القضاة بجدة الخطيب فخر الدين أبو(٢) بكر بن ظهيرة القرشي الشافعي .

وفي صبح يوم السبت ثاني تاريخه اجتمع قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة والقاضي تاج الدين المالكي والقاضي أبو حامد بن ظهيرة الحنبلي ونائب الحنفي الجديد الإمام شهاب الدين البخاري وغيرهم في وكالة الأشرف قايتباي بسوق الحناطين لتفرقة الحب الواصل من جهة الخنكار ووزيره الأعظم إبراهيم باشا لأهل مكّة، أثابهما الله على ذلك، بعد ضبط أهل مكّة وسكانها بقوائم على العادة اعتنى بها رأس الموقّعين الشيخ أبو زرعة المنوفي في مدة شهر وأكثر فوصل إليهم بعد اجتماعهم بقاضي الحنفية المفصول الوجيهي عبد الرحمن بن زبرق وجلس بين الشافعي والمالكي فقال له بعض الحاضرين: أنت معزول وليس لك حضور مع الجماعة، فقال: مذهبي لا أعزل [إلاّ](٣) بوصول المنشور. ووقع كلام بينه وبين نائب المتولي والشيخ أبي زرعة فتطاول الحنفي المفصول على خصمه إمام الحنفية فحمي له جماعة من الحاضرين وأعانهم الخصم على نفسه بإساءته على خصمه وقُبْح فعله، فأنكر الخاص والعام عليه وأمروه بالقيام فامتنع، وحينئذ أرسل القضاة المتولّون(٤) للقائد مرشد ابن أخت الحاكم ليَحضر ويُقيمه من المجلس فحصل لغط

(١) كذا بالأصل .
(٢) بالأصل: أبي .
(٣) إضافة يقتضيها المعنى .
(٤) بالأصل: المتولين .

كثير حتى حضر القائد، فلما رآه قام ونزل من على الدكة الخشب التي كان قاعدا عليها مع القضاة. فيقال إنّ القائد أغلظ له في القول والتهديد وربما سطا عليه أعوان خصمه كابن البخاري وابن زوجته وصاحب المحبي ابن الشيخ أيوب وغيرهم باللسان واليدّ حتى قطعت ملوطته[1]. فكفهم القاضي الشافعي عنه وكذا المالكي وأمرا بعض الأروام بالتوجّه معه إلى منزله خوفاً عليه من العامة، وصاروا ينكرون عليه أفعاله وأحكامه ويذكرون عنه أمورا قبيحة، نسأل الله العافية منها .

فلما وصل إلى منزله أقام به إلى بعد الظهر ثم برز إلى المسجد واجتمع فيه ببعض الأروام وشكا حاله عليهم، فمرّ عليه وهو جالس أمام باب الصفا الشيخ أبو زرعة فطلبه إليه ولبّبَ [2] له وسطا عليه بيده، فأراد الآخر البطش به فمنعه الحاضرون من الأروام، ثم تفلّت منهم وذهب إلى قاضي القضاة الشافعي وأخبره بقضيته، فأرسل طلَبَ القضاة والقائد مرشد وخصمه السيد البخاري وجلسوا بمقام الحنفية، فحضر ابن زبرق ومعه بعض الأروام فرمى بمرسومه وتظلم بعزله، فادعى عليه السيد البخاري بقوله: أنت كلب كافر فاسق، عند صاحبه وجليسه القاضي تاج الدين المالكي، وتعصّب له جماعة من الحاضرين مع كثير من العامة وأمر بالجلوس مع خصمه أمام القاضي، فأقيما من المجلس وجلسا خلف القضاة وادعى عليه فلم يثبت و لم ينف، وصار يقول: الدعوى لي، فقال المالكي له ما معناه اعذر[3] في الوظيفة لخصمك نصلح القضية، فصار يتكلم ولا يُرد له جوابٌ، فقال له حينئذ المالكي: [٩٧ ب] مذهبي إذا تلدّد الخصم في الجواب يحبس، ففرح خصمه بهذا القول وأخذ بيده من جهة وأخوه محمد من الجهة الأخرى وولده محمد وابن زوجته

(١) الملوطة: لباس يرتديه الموظفون من أهل العلم. انظر
Dozy: Dict. détaillé des noms des vêtement chez les Arabes pp. 412-413 .

(٢) لبّبه: أمسك بتلابيبه .

(٣) كذا بالأصل .

الجمالي محمد ابن الفقيه شهاب الدين بن حسان يدفعانه[1] والناس يكثرون الكلام ويعجبهم ذلك للتفرج والمضحكة، وكان فعل ذلك ثلمة في الدين ولله درّ من قال:

أمور يضحك السفهاء منها ... ويبكي من عواقبها اللبيب

فتوجّه به أخصامه إلى جهة باب السلام ليحبسوه[2] في حبس المحتسب، فأنكر بعض القضاة ذلك وقال: مثله لا يُحْبس هناك ويُحبس في قبة الفراشين بالمسجد الحرام، فأمروهم بذلك فأدخلوه القبّة.

ثم إن القائد مرشد مشى في صفح البخاري عن سَبّه وإخراج القاضي من حبسه، فصفح عنه وأخرج القاضي وتوجّه إلى منزله، وتألم الأخيار لبهْذلته، وعُدّ ذلك من الانتقام عليهم وجرأة البخاري وتعصّب المالكي معه، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله .

ثم إن القاضي عبد الرحمن بن زبرق توجّه في الليل لكبير الأروام مصطفى وبكى عنده وشكا ضرورته فوعده بعقد مجلس له مع خصمه في صبح تاريخه، فقدّر الله تعالى في ضحى يوم الأحد ثاني تاريخه اجتمع الأروام في المسجد الحرام وطلبوا القضاة، وتوقف القاضي الشافعي عن الحضور حتى أرسل للقائد مرشد فحضر مع المالكي والحنبلي، وأرسلوا لأئمة الحنفية فحضروا وهم ظاهر عليهم الانكسار بسبب الإشلاء عليهم فيما فعلوه مع القاضي ابن زبرق، فادعى على خصمه وولده أنهما أساءا عليه مع البطش به، فقال إمام الحنفية شهاب البخاري: الدعوى لي من أمس فإنها لم تنفصل، وأنكر العفو وتكلم الأروام عليه وعلى القاضي المالكي، فأنكر الحكم عليه بشيء لكنه لما تردّد عن الجواب أمر بحبسه حتى يوافق أو تقوم البينة عليه، فحينئذ قال الأروام: يترك الخصمان الحكم حتى يُكتَب للشريف في أمرهما.

(١) بالأصل: يدفعاه .

(٢) بالأصل: ليحبسونه .

وأصلح بينهما بقيام الشهاب البخاري إلى ابن زبرق وسلّم عليه فصَحّ ما قيل في المثل " أثخن الجرح، وفي الآخر الصلح " .

وفي هذا المجلس حصل لابن زبرق نوع ظفر لكن ما استقام الحاصل بالمحصول. وانفض المجلس على مكاتبة الشريف في أمر الخصمين وتركهما حتى يرد جوابه، فبلغني أنّ كلا منهما باشر الحكم ثاني تاريخه وأيضا كالحضور في تفرقة الحب، وأرسل ثاني تاريخه للقاضي ابن زبرق بإردب حب بواسطة الوزير كمال الدين أبي الفضل بن علي فقنع به وسكت .

ثم إنّ القاضي عبد الرحمن بن زبرق توجّه بنفسه لملاقاة صاحب مكّة السيد الشريف أبي نمي وذلك في ليلة السبت رابع عشريْ الشهر، فلاقاه بفريقه خارج بندر جدة، فإنه كان قد قدم إليه في هذه الجمعة من جهة اليمن، فأخبره بقضيته وكان في المجلس جماعة معارضون[1] في إخباره وأنكروا عليه جميع أفعاله، فصار الشريف يضحك عليه ولا يردّ له جوابا، فقال للشريف: آتيك وأنا مكسور وما تجبرني؟ فقال له: ما أفعل معك ؟ فقال: تأمرني بالحكم حتى يقدم خصمي، فقال له: كيف آمرك بالحكم وقد جاء الخبر بعزلك، لكنك اصبرْ حتى يأتي قاصدنا من مصر ويتحقق خبرك .

فقام من عند الشريف وتوجّه إلى جدة وعمل له خصاماً بها مع الأمين على العمارة الخنكارية بمكة الزيني مصطفى الرومي وادعى عليه عند القاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة وكان قدمها في أول شهر رمضان [٩٨ أ] بطلب الشريف له لزواج[2] وزواج أخته حماطة بولديْ الشريف عرار بن عجل فامتنع القاضي من الدخول بينهما فتوجّها إلى نائب أمير جدة الزيني حمزة الرومي وادعى مصطفى أنّ

(١) بالأصل: عارضون .

(٢) كذا بالأصل .

القاضي ابن زبرق قال له: أنت خائن السلطان في ماله وتفسد العسكر، فأنكر القول الأول واعترف بالثاني، فقال له النائب: تقيم عليه بيّنة بذلك، فعجز عنها فوضعه في مخزن عنده إلى قرب الظهر حتى شفع فيه جماعة وخرج والكبار والصغار يتبعونه ويضحكون منه وغير ذلك من خفة عقله وعدم تدبيره، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، [والجنون فنون][1] .

وفي ظهر يوم الإثنين سادس عشريْ الشهر فُرّقتْ صدقة العامة من الحب وشرعوا في تفرقة الفقهاء وأعطيَ لكل فقيه ستة رباعي كالعام الماضي وفرغ الحب في ظهر ثاني تاريخه وبقي كثير من الناس لم يأخذ شيئا، وكثر الإشلاء على الحاضرين بالسب والدعاء واعتُذِر عنهم بنقص الحب نحو عشرين إردبا أخذ منه قاضي القضاة قاضي جدة ابن ناصر ثلاثة والحاكم بها اثنين والمباشرون[2] عوّقوا خمسة أرادب، وزيد لقضاة مكّة المتولين والمعزولين والمباشرين والمشدّين بقية ذلك، والله أعلم بحقيقة الحال، [وأكثر ذلك في بطون المباشرين، والله أعلم][3] .

وفي عصر يوم الخميس تاسع عشريْ الشهر طلع قاضي القضاة الشافعي وبقية القضاة والأعيان وغيرهم إلى علو جبل أبي قبيس لرؤية هلال رمضان على العادة فوقع في المسجد الحرام خصام بين الخطيبيْن، وذلك أنّ الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري لما قدم للمشي مع القاضي الشافعي على العادة وجد القاضي المالكي ماشياً وبجانبه خصمه الخطيب المحيوي العراقي فأراد أن يجلس بينهما فدفعه واستقرّ مكانه، فأنكر ذلك الشيخ عفيف الدين عبد الله الحرازي فوقع بينه وبين العراقي كلام كان من جهة الأول أكثر ومن جهة الثاني ....[4] لدناءته وعدم رئاسته، فلله

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(٢) بالأصل: المباشرين .

(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل .

الأمر من قبل ومن بعد .

واتفق عدم رؤية الهلال في هذه الليلة .

شهر رمضان المعظم من سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٧م)

استهل ناقصاً في ليلة السبت وصامه الناس في شدة الحر واستوى فيه الرطب والعنب والتوت والتين وغيرها[1] من الفاكهة، [واستعان الصائمون بالفواكه مَنْ قَدِرَ منهم على ذلك] [2] .

وفي ليلة الإثنين ثالث الشهر توجّه قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة لجهة صاحب مكّة السيد أبي نمي لطلبه ليعقد بأخته حماطة على الجمالي محمد ابن الشريف عرار بن عجل، فاجتمع به في فريقه ظاهر بندر جدة فعقد بهما، وقال له السيد أبو نمي: تعقد بي أولا على الشريفة ابنة الشريف عرار بن عجل، وكانت مخطوبة أخيه الشريف ثقبة، ففعل به أولا ثم بأخته المشار إليها، وحضر القاضي دخولها وتأخر دخول أخيها على زوجته لغيبتها في جهة ينبع، وأقام القاضي الشافعي بجدة حتى فرغا وعاد لمكة في ليلة الثلاثاء حادي عشر الشهر، [وسلّم الناس عليه سلام القدوم أفواجا ووافوه] [3] .

وفي هذه الجمعة كانت للخطيب عبد [الرحمن] [4] النويري خصمة، تحدّث المحيوي العراقي في مباشرة خطبة العيد وسأل جماعة في التكلم مع الخطيب عبد الرحمن في ذلك فإنّها في جمعته وله الثلث ولخصمه الثلثان، فامتنع من ذلك، فتكرر كلام العراقي مع القاضي الشافعي وقال: جُمُعتي [٩٨ب] أولها يوم الجمعة وآخرها

(١) بالأصل: وغيرهم .

(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

(٣) كذا وردت الكلمة بالأصل. وما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(٤) كلمة سقطت من الأصل .

يوم الخميس، وأنكر عليه ذلك وقال له: الجمعة أولها السبت، فحوّل الكلام على عادته وقال: العبرة بالمواكب وهي ثلاثة خطبة عيد الفطر وخطبة التروية وخطبة يوم عرفة، فقال: يُكشف التاريخ على ذلك. فأرسل لي القاضي الشافعي فاعتذرتُ له في الاشتغال في شهر الصوم عن الكشف عن ذلك وأنّ العراقي لا يحملني على النصح لعداوة بيننا وعدم انقياده للحق ورفيقه أحمد البخاري أولى بذلك لتعلّقه بالتاريخ. فلازمني مع عدة للكشف عن ذلك، فرأيت في تاريخ جدي المسمى" **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** " [1] في حوادث سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة [2] « أن في صبح يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة دخل مكّة نائب جدة الأمير جان بك فاجتمع مع القضاة والأعيان وُقرئ مرسوم للخطيبين أبي القاسم وأبي الفضل النويريين بالخطابة عن القاضي أبي اليمن النويري وباشر الخطيب أبو القاسم ابن أبي الفضل النويري وظيفة الخطابة من يوم الجمعة حادي عشريْ القعدة. ثم في عصر اليوم الأول من ذي الحجة قُرئ مرسومهما أيضاً. وفيها خطب الخطيب أبو الفضل بمسجد الخيف بمنى يوم النحر ويوم النفر الأول أيضاً » انتهى[3] .

فعُلم من هذه الأخبار أن الجمعة الأولى كانت لأخيه الخطيب أبي القاسم فباشر فيها نصف الخطابة والجمعة الثانية وهي ثامن عشريْ القعدة للخطيب أبي الفضل، والجمعة الثالثة وهي سادس ذي الحجة كانت للخطيب أبي القاسم، والجمعة الرابعة للخطيب أبي الفضل، وأولها يوم السبت وفيه خطبة السابع وفي ثالثها يوم الإثنين كانت الوقفة وخطبة ظهر عرفة، وأحدث في جمعته خطبتين يوم النحر ويوم النفر الأول. وأحيى هذه السنة المتروكة من دهر قديم، كما ذكره جدي

(١) هو من تأليف جد المؤلف عمر بن محمد بن فهد. طبع في أربعة أجزاء مع جزء من الفهارس .

(٢) بالأصل: وتسعمائة، وهو خطأ واضح .

(٣) النقل بتصرف من إتحاف الورى للنجم بن فهد ٤: ٢٧٩.

في حوادث سنة .... (1) وهي من بعد القاضي شهاب الدين بن ظهيرة، ثم باشر في آخر الجمعة الخطبة بمكة وهي ثالث عشريْ ذي الحجة وباشر الخطيب أبو الفضل في جمعته خمس خطب كما هو مفهوم من المباشرة لكل من الآخرين في التاريخ المذكور.

ومع هذا لم يلتفت العراقي المتعدي على صاحب الخطابة من أبيه وأجداده نحو مائة وسبعين سنة فعزم المشار إليه لمواجهة صاحب مكّة السيد الشريف أبي نمي بن محمد بن بركات الحسني إلى جهة جدة في عشاء ليلة الإثنين عاشر الشهر، فسمع خصمه المحيوي العراقي فعزم من نصف الليل على بغل ورفيقه الشرفي يحيى بن عمر الذروي ومعه هدية لجماعة الشريف يقال نقد وقماش وسكر لمساعدته على خصمه، فالله تعالى يخذله وينتقم منه ويأخذه من مأمنه، فاجتمع الخصمان في فريق الشريف صبح يوم الثلاثاء ثاني تاريخه وترك العراقي عند وزير الشريف القائد مفتاح المغربي والخطيب عبد الرحمن في خيمة قريب منزل الشريف أبي نمي وواجهه عند ركوبه للتوجّه لتهنئة زواج بعض أقاربه وقدم له قصة بشرح حاله فأخذها وركب ولم يجتمع به وبخصمه في يوم تاريخه، وقدّم العراقي هديته وتوجّه إلى جدة وعاد للفريق في صبح يوم الأربعاء ثاني تاريخه .

واجتمع كل من الخصمين بالشريف أبي نمي بحضرة جماعة من إخوانه وأكابر بني حسن كالشريف عرار بن عجل وغيره، فجلس كل واحد من الخطيبين في جهة وخاطب الشريف الخطيب عبد الرحمن بخطاب [99 أ] التعظيم بمولانا وخصمه بمحيي الدين، ثم إنّ بعض الحاضرين خاطبه بالشيخ فصار يذكرها له. وذكر الخطيب عبد الرحمن للشريف أنّ جماعة من أهل مكّة يصلون في جمعة العراقي ظهرا لعدم صحتها فبهت الشريف فيه، وتكلم العراقي بكلام لم يلتفت إليه كعادته في

(1) لم تُذكر السنة في الأصل .

كثرة الكلام وادعى أن خطبة العيد في جمعته وأولها الجمعة وآخرها الخميس، فما وافقه أحد من الحاضرين على أنّ أول الجمعة آخرها بل أولها السبت، فالتفت وقال: المواكب ثلاثة العيد والتروية ويوم عرفة، فقال الشريف أبو نمي: أيّ المواكب أعظم؟ فقالوا له العيد ويقابلها يوم التروية، فأمر الشريف بالقرعة بينهما وذلك بعمودين وخاتمين للشريف أبي نمي وعرار، فطلعت خطبة العيد للعراقي والتروية للخطيب عبد الرحمن وأضيف إليه يوم عرفة لكونه يوم جمعة وهي له .

وبلغ العراقي مقصوده في تحقيق خطبة العيد، وسأله الشريف عرار: إيش يتحصّل لك من خطبة العيد ؟ فقال: صفاعة الذقن وخسارة الفلوس. وقد صدق في ذلك وهو كذوب لكن مثله يتعاظم بمباشرتها للتشبّه بالرؤساء لكونه وقد أزرى هذا المنصب بولايته له، فلا قوة إلاّ بالله، ويعَدّ ذلك من علامات الساعة. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

ثم عاد الخطيبان(1) إلى مكّة فوصلها المحيوي العراقي مع مغرب ليلة الجمعة رابع عشر الشهر وفي أثناء الليل وصل الخطيب عبد الرحمن وصار كل واحد منهما ينبئ عن الشريف أبي نمي، والعراقي يعظّم نفسه كثيراً وادعى أنّ له خطبة العيد مع خطبة يوم عرفة والخطيب عبد الرحمن يكذبه في الثانية، فالله تعالى ينتقم منه ويريح المسلمين من تأذيته وسفالته .

وأشيع بوصول الخبر إلى فريق الشريف بموت شيخ الحرم النبوي الأمير حاتم الأشرفي الجاركسي والآغا إيدين الرومي، ويقال إنهما مسمومان لأن أولهما تحتحَتَ ذقنه. وكان عمل لهما مع جماعة غيرهما من الأكابر وليمة في الحديقة الشمسية الآغا عنبر الخصي عتيق الأمير شاهين الجمالي، وهو مشهور بقتل جماعة بذلك وكانا يحترزان فأوقعتهما قدرة الله تعالى، وهو أعلم بحقيقة الحال، وإليه المشتكى والمآل.

(1) بالأصل: الخطيبين .

[وفي الحقيقة هذه تهمة لا يوقَف على حقيقتها] [١].

واتفق أنّ صاحب المدينة محمد بن جامع الحسيني هجم بيت إيدين وأخذ منه جميع النقد والخف وهو متهم بمال كبير وضبط القضاة مخلّف الأول، وتشوّش صاحب مكّة الشريف أبو نمي من هذا الخبر وولى إمرة المدينة لابن عمته الشريف باز بن فارس بن شامان الحسيني وأمره بالتوجّه إلى محل ولايته .

وفي الساعة الأخيرة [٢] من يوم السبت ثاني عشريْ الشهر وُلد ولدي المبارك الموفق السعيد، إن شاء الله تعالى، نجم الدين عمر المدعو أبو القاسم وانجبرتُ بوجوده وهنّأني الناس بولادته، فالله تعالى يجعله ولد الحياة ويُقرّ به العيون، ويحقق فيه الظنون، بجاه محمد عليه الصلاة والسلام .

وفي مغرب ليلة الأحد ثاني تاريخه وصل لمكة جماعة قُصاد صاحب مكّة الواصلين من الروم وهما الجمالي محمد بن مدهش والنوري علي بن أحمد بن نصر وتوجّها هما لفريق الشريف جهة جدة ودقت النقارة [لوصولهما بالخلع السلطانية للشريف أبي نمي بن بركات، نصره الله تعالى] [٣] .

وفي صبح تاريخه نادى الحاكم بمكة بزينتها والأسواق سبعة أيام فزُيّنت البيوت وبيوت التجار التي في الشوارع وابتهج الناس بحصولها لكن الصوم أشغلهم عن التفرّج عليها، وكذلك الغلاء .

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(٢) بالأصل: الأخير .

(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

[٩٩ ب] شهر شوال المبارك استهل كاملاً في ليلة الأحد من سنة ٩٣٣هـ (١٥٢٧م)

وكان القاضي الشافعي ناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة طلع لرؤيته إلى علو جبل أبي قبيس على العادة في الليلة التي لم يُر فيها، وأفطر الفقهاء عنده بعد نزوله ومدّ لهم سماطا حسنا فاق مَن قبله لتأنّقه في الأطعمة والأواني، جمّله الله تعالى .

وفي صبح العيد خطب خطبته المحيوي العراقي ومشى أمامه من منزله الساكن فيه بسوق الليل وقف رباط العباس ﷺ جماعة طلبهم من أصحابه كقاضي المالكية التاجي ابن يعقوب وغالب أئمة الشافعية الطبور وثاني أئمة الحنفية وخلق من الأعيان وغيرهم والتكبير أمامه، وسلك في الذهاب إلى المسجد المرور من زقاق البوني جهة الحناطين وفي الإياب إلى منزله خط سوق الليل ومدّ لهم سماطا كبيرا كما بلغني وطوّل في الخطبة كعادته حتى ملّه الناس وقام جماعة قبل فراغها، ولله الأمر مِن قبل ومن بعد .

شهر ذي القعدة الحرام استهل ناقصاً في ليلة الثلاثاء من سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٧م)

كان قاضي الشافعية ناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة طلع إلى علو جبل أبي قبيس على العادة وتراءى له إلاّ القاضي جمال الدين ابن أبي الفضل بن ظهيرة والشيخ جمال الدين محمد بن.... [١] الفومي وشخص مغربي وأدي الثاني وتوقّف الآخران لتشككهما في رؤيته، ثم بعد نزول القاضي وتوجّهه [٢] إلى منزله شهد عنده شخصان مصريان أحدهما مؤذن باب العمرة برؤيته فأثبت ذلك وأوقد شموع

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

(٢) بالأصل: وتوجّه .

المطاف والمقامات على العادة .

وفي يوم الأربعاء سادس[1] عشر الشهر وصل لمكة جماعة فريق صاحب مكّة السيد الشريف أبي نمي الحسني وأخبروا بوصوله وأنّ أخاه الشريف ثقبة توجّه إلى وادي الخيف لزواج ابن عمه الشريف محمد بن أبي الغيث بن محمد بن بركات ومعه لصق أخيه، وكان طلبه عمه للتوجّه بنفسه للحضور في الزواج فامتنع من ذلك .

ووصل لمكة في ضحى يوم الخميس ثاني تاريخه وتوجّه الأكابر وأرباب الوظائف للسلام عليه وتتابع بقية عسكره للوصول لمكة خلفه. فغلا الماء وبعض الأقوات [لاستيلاء عبيد الشريف] [2] .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر الشهر طلع الشريف أبو نمي إلى المعلاة لزيارة والده وركب معه جماعة من عسكره وغيرهم من الأروام منهم الزيني مصطفى مشدّ العين والعمائر الخنكارية، فتكلم العامة قدّام الشريف لفتح فقير العين الذي بسوق المعلاة ليتّسع الناس في وصول الماء ويرخص سعره. فأمر الشريف بفتحه ففتح من ساعته ولم يظهر لفتحه نتيجة لأنّ العين ضعيفة لعدم الأمطار في هذا العام، وكثر كلام العامة في أمر المشدّ فتوجّه إلى الشريف وعرّفه بالأمور وكثرة كلام العامة في أمره وأنه كثير المحبة له .

وكان السبب في منع الإنقشارية المقيمين عنده بمكة مراعاة لخاطر صاحبها، فأصغى له الشريف وأمر مناديا له بالرضا عنه، وأنّ أمر العين له ولا يعارَض في أمرها، فسكن الكلام .

وفي ليلة الثلاثاء ثاني عشريْ الشهر حرق رباط القاضي زين الدين أبي بكر ابن مزهر المجاور [١٠٠ أ] للصفا والمتكلم عليه الشيخ أيوب الأزهري وأولاده من بعده. وكان السبب في حرقه أنّ شخصا طبخ فيه وترك بقية النار بجانب خشب في الدهليز فتعلّقت به وأكلته مع سقف المكان وجميع الخلاوي العلوية مع الربع فوقها. وعجز الناس عن إطفائها واستمرت إلى الصباح، ووجد في بعض الخلاوي بهار هندي وقماش وغير ذلك لبعض المتسبّبين فحرق جميعه، وأنكر الإنكار فعل ذلك لأن الخلاوي معدّة لسكن الفقراء فمنعوا منها .

ويقال إن المتكلمين على الرباط ملؤوا من صهريج الرباط ماء من العين وباعوه في هذه الأيام لغلو الماء، كل راوية بمحلق كبير، ومنع السبيل منه وكثير منه أطفئ به الحريق. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله. وحصل لنا إصابة فيه بحرق بعض كتُبِنا المعارة على بعض الساكنين فيه، فالله تعالى يعوّض فيها خيريْ الدنيا والآخرة .

واتفق في ليلة تاريخه أنّ الشريف أبا نمي صاحب مكّة بلغه أن أعمامه الشرفاء حميضة ورميثة وسيسد وبعض أتباعهم أخذوا له خيلاً من وادي الدكناء وتوجّهوا إلى جهة الخيف وأظهروا العصيان عليه، لأنه بلغهم أنه قبض على بقية إخوانهم المقيمين عنده بمكة وهم الشريف أبو الغيث وشولق وولد حميضة بن زهير. فأمر الشريف بدق النقارة ولبس الخيل وركوب العسكر لمحاربتهم في صبح تاريخه. فسمع بذلك الشريف عرار بن عجل النموي وتوجّه إليه ودخل عليه في إبطال ذلك حتى يتوجّه إليهم وينظر في أمرهم ويعود إليه في عصر تاريخه، فتوجّه إليهم. فصبر الشريف عن فعله إلى صبح تاريخه وطلب الأروام المقيمين بمكة فتوجّهوا إليه وهم مستعدون بالنفط وغيره، فعرض على أكابرهم ما فعله جماعته فقالوا له: إذا طلبتَ محاربتهم توجّهنا معك، فشكرهم على ذلك وقال لهم: توجّهوا إلى محلكم وإذا طلبتكم[1] تحضرون، فإن البلاد بلاد الخنكار وأنا في طاعته. فرضوا عنه وتوجّهوا إلى محلهم .

(١) بالأصل: ساس .

(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(١) بالأصل: طبتكم .

ثم إن الشريف أبا نمي عيّن أخاه الشريف ثقبة مع سبعين خُيالاً وغيرهم من المشاة للتوجّه إلى الأشراف بوادي الخيف ومحاربتهم وحرق بعض حملهم إلى درب الشبيكة أسفل مكّة. ثم إنّ صهره الشريف بساط بن عنقا وغيره من الأشراف دخلوا عليه بترك ذلك حتى يأتيه خبر الشريف عرار بن عجل من عندهم. فأمر برد الحمول البارزة وترك خروج العسكر، لكنه أمر أخاه الشريف ثقبة والشريف زهير ابن عمه حميضة بالتوجّه إليهم مُخفّين حتى ينظروا أمرهم، فبرزوا قرب مغرب ليلة الأربعاء فواجهوا الشريف عرار في الليل وهو عائد من عندهم بالصلح وطلبوا من الشريف إعطاءهم نفقتهم المنكسرة عنده من مدة أشهر وأن يعفو عن جماعة منهم ابن القائد مفتاح الطيبي وبقية الصحبة التي أخرج رسمهم عنهم ويعطى لهم ألفي[1] دينار تدرك [2] بها الشريف عرار من عنده إن لم يعطها الشريف. فعرض ذلك على الشريف أبي نمي فرضي بالصلح من غير زيادة على ذلك، وعاد معه منهم جماعة رضي الشريف عنهم [3] وسكنت الفتنة بذلك .

وفي يوم الخميس رابع عشريْ الشهر وصل لمكة دوادار نائب جدة الجديد مصطفى الرومي [١٠٠ ب] المعروف بقلقيس [4]، معنى: مقطوع الأذن، وأخبر بوصوله لجدة في البحر ومعه مراسيم متعلقات جدة وغيرها، وأنه حسن السيرة .

وفي صبح يوم الجمعة ثاني تاريخه [5] شُمّرت ثياب الكعبة ويقال إحرامها على عادتها .

وفي ضحى يوم السبت سادس عشر الشهر وصل لمكة مقدما عن الحاج

(١) بالأصل: ألفين .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) بالأصل: عنه .
(٤) وردت الكلمة بالأصل غيرمعجمة .
(٥) وردت الكلمة مكررة بالأصل .

المصري من ينبع قاصد صاحب مكّة الشيخ مسلم البدوي وصحبته جماعة منهم الخواجا أبو البقاء السكري شاه بندر جدة كان وتأخروا [1] من باب الشبيكة إلى منزل الشريف وسلّموا عليه وأعطاه السكري ورقة من قاضي الحنفية بديع الزمان محمد ابن الضياء الحنفي ومرسوما خندكاريا[2] من صاحب مصر فيه الإعلام بولايته لقضاء الحنفية من الأبواب الخندكارية وأضيف إليه قضاء جدة ونظر المسجد الحرام وإمامة الموقف الشريف وغير ذلك من الوظائف التي تعدّى بولايتها على أصحابها. فأخذ الشريف المرسوم و لم يُبْد جوابا، ثم إنّ صاحب الوظائف القاضي الشافعي بلغه ذلك فتوجّه إلى الشريف وعرض عليه تعديه على وظائفه، فطيّب خاطره ووعده بالنصرة له. فخاط الناس في ذلك وماطوا، ومقتوا المتولي، فسبحان قاسم العقول .

وأشيع بمكة عود الخطابة لصاحبها الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري وفرح الأخيار له بذلك وهنّؤوه بها .

وفي ليلة الأحد ثاني تاريخه وصل لمكة نائب جدة الجديد وسكن في المدرسة العينية في الرواق اليماني من المسجد الحرام وقصده الأعيان للسلام عليه، و لم يجتمع الشريف به وأضافه الخواجا أبو البقاء السكري بأطعمة .

وفي ثاني تاريخه أضافه القاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة فخلع عليه خلعة وهنّأه الناس بها وتوجّه لمنزل صاحب مكّة وسلم عليه فأكرمه وأعطاه فرسا ليركب عليها أرسلها إلى منزله مع الشريف عرار بن عجل فخلع عليه خلعة .

وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشريْ الشهر تتابع الحاج المصري في دخول مكّة.

ووصل في ظهر تاريخه الشيخ العلامة مفتي المسلمين تاج العارفين أبو الحسن محمد ابن الشيخ جلال الدين أبي البقاء محمد بن عبد الرحمن بن أحمد القرشي

(١) بالأصل: وتوخروا .
(٢) بالأصل: ومرسوم خندكاري .

البكري الشافعي القاهري[1] وسكن بمنزلنا عند والدته وصحبته عياله وأولاده وجماعة من تلامذته ونوى المجاورة بهم في السنة الآتية. تقبّل الله منه.

وفي عصر تاريخه دخل قاضي مكّة الحنفي بديع الزمان ابن الضياء ولاقاه من خارجها أخوه القاضي أبو السرور وعمه من تربة المعلاة وبعض جماعة قليلين من باب السلام. وتوقف كثير من الناس من ملاقاته مراعاة للناظر المفصول قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة وأمر الشهود بالطلوع إلى جبل أبي قبيس لرؤية الهلال فلم يروه وذكر [2] الحاج أنهم رأوا هلال ذي القعدة في الإثنين .

وفي ليلتها سلخ الشهر دخل أمير الحاج المصري الأمير تنم الجاركسي مشد الشون وطاف [١٠١ أ] وسعى وتوجّه للزاهر وبات به إلى الصباح. وخرج للقائه صاحب مكّة السيد أبو نمي والشريف ثقبة وعسكرهما فعرضوا له من الزاهر فخلع على كل منهما خلعة وكذا على قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة وشيخ الحرم النبوي الأمير صندل السليم القادم من الروم بالولاية والسيد عرار بن عجل، واجتمع في العسكر كثير نحو مائتي فرس للشريف ويرق [3] عظيم من الخيل والرواحل الجنائب وغير ذلك لأمير الحاج. وابتهج الناس برؤيتها .

شهر ذي الحجة الحرام من سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٧م)

وكان الهلال خفياً ورآه بعض الحاج في ليلة الخميس وذلك يدل على أن رؤية

(١) هو أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي المصري الشافعي (ت ٩٥٢هـ /١٥٤٥م) اشتهر بالعلم والصلاح وحسن الخلق وكانت صلته بمكة وأهلها كبيرة، ذكرته أغلب كُتب تاريخ مكّة. انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين ٧: ٢٠٨ .

(٢) بالأصل: وذكروا الحاج .

(٣) البرق = البراق: السلاح، وقد يستعمل لتجهيزات السفر. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، صفحة ١٥٧.

الهلال كانت قبله بالأربعاء. وتوقف بعض الناس في ثبوته ليلة تاريخه، ويحصل بذلك ضرر حالٌ في الوقفة الشريفة. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العظيم.

وفي صبح يوم الجمعة شرع الأروام في تقسمة المبرة الرومية الواصلة من الحضرة الشريفة السليمانية الخندكارية العثمانية، خلّد الله ملكها، وأدام دولتها، وذلك في زيادة باب إبراهيم في الجهة الغربية أمام رباط الخوزي بالقرب من القصر مسكن الأمناء في عام تاريخه. وجلسوا لها جميع النهار حتى أكملوا الصرّ .

وفي ثاني تاريخه شرعوا في البيوت واستمروا خمسة أيام حتى قسموا الأربطة في اليومين الأخيرين وداروا بأنفسهم عليها وأعطوا المبلغ مشائخها. وحصل في مجلسهم أول يوم تخاصم بين قاضي الشافعية المحبي بن ظهيرة وقاضي الحنفية بديع الزمان ابن الضياء بسبب قبض ثانيهما معلوم نظر المسجد الحرام والمنّ الزيت المرتب فيه وقدره ثلاثون دينارا، وترافعا إلى صاحب مكّة فلام الحنفي لسعيه على وظيفة الأول في النظر وقضاء جدة والموقف بعرفة، فقال له إنه تعدى عليه ومنعه من وصية الخواجا الحياني [1] واستولى على تركته وأنكر عليه ذلك. ويقال إن الشريف وفق بينهما في رد الوظائف، ولم يتحرر صحة ذلك ومنع الحنفي من مباشرة النظر على المسجد الحرام والموقف كما سيأتي.

وفي صبح يوم الجمعة ثاني الشهر توجّه الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري إلى صاحب مكّة السيد أبي نمي وأراه مرسومه بعود جميع الخطابة إليه وعزل المحيوي العراقي عن ثلثها، فكتب له الشريف استمراره فيها وسأله الخطيب في أخذ الأعلام من المفصول فأمره بأخذها منه، وبلغه ذلك فأراد الاجتماع بالشريف فلم يأذن له .

وتوجّه الخطيب عبد الرحمن إلى نائب جدة مصطفى الرومي وذكر له امتناعه

(١) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة والإعجام مقترح .

من إعطاء الأعلام فأرسل لخصمه وطلب منه الأعلام فتوقف في إعطائها وأراه مرسومه، فقال له: تاريخ مرسومك مقدم وتاريخ مرسومه مؤخر على مرسومك وأمره بإعطاء الأعلام للمتولي فوعد وقام من المجلس فأرسل له أربعة أنفار [1] لأخذها منه فكان الجزاء من جنس العمل. فإنه أخذها من الخطيب القديم بالدهلكي صبي الحاكم بعد إعطاء مبلغ له نحو عشرة أشرفية كما تقدم ذكره .

وباشر الخطيب عبد الرحمن الخطابة يوم تاريخه فكان مشهدا عظيما بحيث إنّ [١٠١ ب] العامة تهالكوا على التبرك به وبأعلامه من المسجد إلى منزله، ووقع بفعل ذلك اعتبار لمن اعتبر، فإن العراقي تعدى على الخطيب عبد الرحمن في أخذ خطبته يوم العيد وهي في .... [2] وانتزاعه عنه في يوم عرفة فحرمه [3] الله تعالى خطبة هذا اليوم وهو خاص به من غير نزاع، ومُكّنَ خصمه من جميع الخطب. فسبحان الفعال لما يشاء ويريد. وفرح كثير من الأخيار لعود الخطابة لصاحبها القديم وهنؤوه بذلك، فالله تعالى يكفيه شر خصمه ويجعلها خالدة تالدة في نسله كما كانت مع سلفه .

وفي صبح يوم الأحد رابع الشهر أوكب الشريف أبو نمي صاحب مكّة من منزله ومعه عسكره ركبانا ورجالا بالسيوف والرماح حتى دخل إلى المسجد الحرام ووقف غالب العسكر محتاطين بحاشية المطاف بأسلحتهم ودخل هو إلى الحطيم وجلس فيه ومعه القضاة الثلاثة ما عدا الحنفي ثم جاء هم أمير الحاج المصري تنم مشد الشون وصحبته قليل من جماعته ومعه الخلع والمراسيم. فقرئ في المجلس خمسة مراسيم اثنان للشريف بالثناء عليه والتوصية بالحاج وثالث لأمير الحاج ورابع للقاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة باستمراره وخامس للشريف عرار والوصية بكل

(١) بالأصل: انفا .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) بالأصل: فأحرمه .

منهم .

ثم بعد الفراغ لبس الشريف والقاضي خلعا وتوجّه الشريف إلى منزله والخلق أمامه والقاضي الشافعي إلى جهة الزيادة والفقهاء أمامه وخلع الخلعة وتوجّه لبيت الشريف لتهنئته، وأُبطلت العادة في قراءة المراسيم أول الشهر في منزل أمير الحاج. ويقال ذلك لتخيّل الشريف منه لكلام بلغه عن نائب جدة مصطفى الرومي، والله أعلم بحقيقة الحال .

وفي صبح يوم الثلاثاء سادس الشهر وصلت لمكة قافلة المدينة الشريفة وفيها جماعة من أهلها منهم قضاتها الثلاثة ما عدا الحنفي فكان بمكة من قبل تاريخه وجاءه خبر عزله بخصمه خضر الرومي ووصل صحبة الحاج الصامهري[1] الرومية في آخر يوم تاريخه ومُنع الباقون إلى منى فقبضوا فيها غالب تعلقهم.

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه دخلت لمكة قافلة الشيخ عبد الله بن مرزوق من حج اليمن في البر وهم كثيرون. وتتابع حاج الشرق وفيهم سلطانهم الجديد وهو الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل ..... [2] سلطان البصرة والحسا والقطيف ورفقته نحو خمسة آلاف نفس على رواحل وبركوا في الأبطح على عادتهم. وكانت ولاية سلطانهم للشرق في سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة (٩٣١هـ/١٥٢٥م) وكان بالبصرة فاستعان به الباقي من بني جبر لضعف حالهم وقوي عليهم وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالهما، وذلك لما استولى الفرنج المخذولون [3] على بلدهم وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرن بن زامل بن أجود بن زامل ابن حسين بن ناصر الجبري في سنة سبع وعشرين وتسعمائة (٩٢٧هـ/١٥٢١م). ثم وليها بعده عمه علي بن أجود نحو شهرين فأخذها منه ابن أخيه ناصر بن محمد بن

(١) كذا وردت الكلمة بالأصل .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) بالأصل: المخذولين .

أجود فأقام به ثلاث سنين وأعطاها بيعًا لقطن بن علي بن هلال بن زامل فأقام فيها نحو سنة [١٠٢ أ] ثم مات فخلفه ولده ثم عجز عنها ودفعها لعضيب بن زامل بن هلال، وأقام بها نحو سبعة أشهر فأخذها منه بالحرب الشيخ راشد بن مغامس المذكور وولّى البصرة لأخيه محمد وأقام هو بالحسا والقطيف .

وخرج الحج منها صحبة الشيخ يحيى ابن أخيه محمد والشيخ مهنا وقاضيهم الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن عبد العزيز الشهير برقرق المكي البصري الشافعي وغيرهم من أكابرهم ولحقهم الشيخ راشد في الطريق بعد نصف شهر.

وقدم مكّة خلق من الحاج متفرقين من عدة من البلدان ووافقت البركة في أسعار القوت والماء بعد أن كان الماء عزيزا واكتفى الحاج ببركهم وأهل البلد بالعين والآبار ورخيّت جميع الأسعار، ولله الحمد والمنة .

وكانت الوقفة المباركة في يوم الجمعة والحج هنيئا. ووقف بالموقف قاضي القضاة المحبي بن ظهيرة ومنع الشريف القاضي بديع الزمان الحنفي منها لمنعه من ولاية النظر. وزيّن صاحب مكّة الهوادج المتعلقة بحريمه وابتهج الناس برؤيتها. وكُسيتْ الكعبة الشريفة في يوم الأضحى على العادة والباقي يوم النفر الثاني وأقام الحج بمنى ثلاثة أيام متوالية ورحل بمحالهم في يوم النفر الأول .

واجتمعتُ بمنى في عصر يوم الأحد حادي عشر الشهر بقاضي الشرق الشيخ محمد بن رقرق وسمعتُ عليه الحديث الشريف" **كثلاثيات ابن ماجة** " وحديث من "**صحيح البخاري**"، وأنشدني من لفظه جملة أبيات من نظمه ونظم غيره. قوله في تعداد الجمعة :

الحمد لله وصلّى ربّنا ... على الرسول المصطفى نبينا
وبعد فالجمعة إن تعددت ... في بلد بغير عسر قد ثبت
خمسة أحوال لها فالأول ... أن يعلم السابق ثم يذهل

والثاني علم السبق دون من سبق ... يعاد ظهرا فيهما على الأحق
ثالثها أن يقع الكل معا ... والرابع الشك لما قد وقعا
ففيهما تعاد جمعة وإن ... تعلم سابقا فحكمه زكن
والاعتبار السبق بالتقدم ... ومن بعده تراه يقدم
وهذه جاءت بنحو الغرفي[1] ... فالإرث في الأول أوقف
ففي الثلاث اللات بعدهن معا ... تزار بأسهما[2] يا من وعى
في الخامس الأرث لمسبوق ثبت ... وهي بأنكاح الوليين بنت
فأوقفن عندهما في الأول ... وفي الثلاث التاليات أبطل
والعقد في خامسها قد ثبتا ... لسابق من غير شك يا فتى

وأجاز لي روايتها مع جماعة ممن حضر سماعها .

ونفر الحاج من منى في اليوم الثالث يوم الإثنين ثاني عشر الشهر. وسافر سلطان الشرق على جهة المدينة الشريفة لزيارة القبر الشريف. وأقام الحاج بمكة جميع هذه الجمعة .

[١٠٢ ب] وفي يوم الجمعة سادس عشر الشهر سافر الركب المصري من مكّة وتبعه الركب الشامي والغزاوي، ورحل المصري من وادي مر ليلة السبت ثاني تاريخه ولحقه الشامي في ضحوة يومه وسافرتُ صحبته إلى المدينة الشريفة على نية التوجّه إلى بلاد الروم [3]. بلّغني الله من الخيرات ما أروم، إن شاء الله تعالى .

(١) كذا بالأصل .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) يذكر المؤلف هنا رحلته الثانية إلى بلاد الروم، ولذلك توقف عن كتابة تاريخ مكة من يوم ١٦ ذي الحجة سنة ٩٣٣هـ إلى يوم ١٨ ذي القعدة سنة ٩٣٤هـ .

سنة أربعة وثلاثين أولها المحرم استهل بالسبت

سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ – ١٥٢٨م)

شهر ذي القعدة الحرام استهل كاملا بالإثنين من سنة ٩٣٤هـ (١٥٢٨م)

وفي يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة مات نائب جدة مصطفى الرومي فجهّز في ليلته وصلّي عليه صبح يوم الجمعة ثاني تاريخه عند باب الكعبة وشيّعه جماعة منهم أمير مكّة الشريف أبو نمي ودفن بالمعلاة تحت الحجون و(١) له قبّة لطيفة هناك، وضُبطتْ تركتُه ووجد فيها عدة مراسيم تتعلق بأمور يحصل بها الضرر على صاحب البلد وغيره، فكفى الله همه .

وفي يوم الإثنين ثاني عشريْ الشهر وصل لمكة القائد مفتاح فتى السيد عرار ابن عجل متقدما عن الحاج المصري وأخبر بوصولهم مع أوراق الخطيب الجديد محيي الدين العراقي وذكر فيها وصوله مع جماعة من أهل مكّة وغيرهم فتُهُيّئ للقائهم ،

وفي يوم الأربعاء خامس عشريْ الشهر شُمّرت ثياب الكعبة على عادتها ويقال إحرامها .

وفي عصر يوم الخميس مات الولد نجم الدين أبو القاسم عمر من دموية تحركت عليه وَجِع بها نحو يومين وقضى نحبه وجهّز في يومه ودفن بالمعلاة في تربة سلفه على قبر عم أبيه. فالله تعالى يرحمه ويعوضني وأمّه خيرا ويرزقنا الصبر، ويضاعف لنا الثواب والأجر إنه بالإجابة جدير وعلى ما يشاء قدير .

وفي صبح يوم الجمعة سابع عشريْ الشهر وصل سبق الحاج المصري من رابغ

---

(١) تكررت كلمة " دفن " هنا دون موجب .

وفيهم الحاج ياقوت الحبشي فتى أمير الحاج وخازنداره ورفقته المحيوي عبد القادر ابن المعلم علي المزني بسبب أمور تتعلق بأمور الحاج منها السكن بقرب المسجد الحرام. ويقال إنه عيّن المدرسة العينية فبلغ صاحب [مكّة] (١) الشريف أبا(٢) نمي عن ذلك فقال له: السلطان رسم أن لا يسكن الأمير وسط البلد وينزل بالحاج خارجها، وأظهر مرسوما كان صحبة أمين جدة المتوفى قريبا فعاد له الخبر بذلك فتشوش .

وفي عصر يوم السبت ثاني تاريخه دخل مكّة الركب المصري وصحبته كاتب هذه الأحرف الفقير المدعو جار الله بن عبد العزيز بن فهد المكي المحدث والخطيب الأديب محيي الدين عبد القادر بن عبد القادر بن عبد الرحمن العراقي الشافعي وولده الزيني عبد الرحيم وكانوا قدموا من الروم مع الحاج حسين المهتار المقرر في سبيل الدوارق المنسوبة للخنكار بالمسجد الحرام بمعلوم ثمانين أشرفيا ذهبا وعديله العدل شهاب الدين أحمد بن علي الحناوي ومؤدب الأيتام الفقيه جمال الدين محمد بن موسى الظاهري وأم كمال ابنة أبي البركات ابن الضياء الحنفي والسدة القاضي عبد الرحمن بن زبرق الشيباني وطليقها الحاج زين العابدين الخانكي وجماعة من أهل مصر ومن أعيانهم الشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن البكري القرشي ومعه ولده الثاني الجمالي محمد بأمه وأخته أسماء على نية الحج بهم والعود بولده الشيخ أبي الحسن معهم وقاضي القضاة بالقاهرة كان نور الدين علي بن ياسين الطرابلسي، ولاقاه قاضي الحنفية بمكة بديع الزمان ابن الضياء الحنفي من وادي مر بملاقاة [١٠٣ أ] حسنة من الأطعمة والفاكهة وأنزله عنده في منزله وسكنه وقسم مبرّة على بعض الفقراء، ثم سُرق له مبلغ كبير من الذهب العتيق لم يعلم كِميته واتهم به جماعة احتسب عليهم بالله تعالى، فالله تعالى يعوضه خيرا.

---

(١) كلمة سقطت من الأصل .

(٢) بالأصل: أبي .

وبلغني أنه كتب وصيته وباع جهاته وأعتق مماليكه وأوقف كُتُبَهُ لمنام رأى فيه النبي ﷺ أو رُئِيَ له بقرب وفاته وأشعرهُ بذلك، و[الله] (١) يضاعف حسناته .

وفي عشاء ليلة الأحد تاسع عشريْ الشهر دخل مكّة أمير الحاج المحمل تنم الجاركسي ناظر الدشيشة الأشرفية وغيرها فطاف وسعى بعد صلاة العشاء وعاد إلى الزاهر وبات فيه إلى الصباح كعادته .

وفي صباح تاريخه لاقاه صاحب مكّة الشريف أبو(٢) نمي بعسكره فعرض له ورفقته أخوه الشريف ثقبة فألبس كليهما(٣) خلعة ولم يعمل الشريف أبو نمي طبقا على عمامته كعادته بل طرارين (٤) فقط واختلع الشريف عرار بن عجل والقاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة وزين الدين الناظر بجدة العجمي.

ونزل أمير الحاج عند باب المعلاة ودخل الشريف إلى مكّة ونودي(٥) للحاج بسكنِهم خارج البلد ومَن خالف ذلك انتقم منه، فنزلوا عند أمير الحاج بأجمعهم ما عدا بعض الأعيان كوالد الشيخ أبي الحسن البكري عند ولده جهة باب حزورة في بيت الشريفة أم الكامل والقاضي الحنفي الطرابلسي عند قاضي مذهبه بمكة. وتضرر الحاج بنزولهم هناك لشدة الحر ووضع أمتعتهم في البر وكذا أهل البلد لتعطيلهم بيوتهم من الكراء وما علم فائدة ذلك ومن كان السبب فيه ولعله ما اطلعت فيه في بلاد الروم من شكوى أمير الحاج إلى الأبواب الخندكارية بسكن الأروام الإنقشارية في بيوتهم بلا أجرة، بل وأُخْرِجَ منها كرها، أو لتخيّل الشريف من العسكر وقصده حسم الشر. حمى الله أهل بلده الشريف .

(١) كلمة سقطت من الأصل .
(٢) بالأصل: أبي .
(٣) بالأصل: كلاهما .
(٤) كذا وردت الكلمة بالأصل .
(٥) كذا وردت الكلمة بالأصل .

وفي عصر تاريخه طلع قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الأعيان وغيرهم بعلو جبل أبي قبيس لرؤية الهلال وصلّوا هناك المغرب ونزلوا منه بغير رؤية مع وجود الصحو .

وفي صبح يوم الإثنين سلخ الشهر اجتمع اليازجي (١) على المبرّة الرومية واسمه محمود جلبي الرومي بصاحب مكّة الشريف أبي نمي وأمير الحاج تنم الجاركسي وسألهما ئ تفرقتها على أربابها، فأذنا له في ذلك فقبض المال من أمير الحاج المصري وكان وصل صحبته من القاهرة كما رسم به الخنكار في عام تاريخه، ووصلت الرسائل في البحر مع أمير جدة مصطفى المتوفى قريبا وتسلّم المال بحضرة قضاة مكّة الأربعة .

وفي يوم تاريخه فرّق أمير الحاج المصري الذخيرة الشريفة في وطاقه على يد ولده ومباشريه، وكان ذلك بسهولة .

شهر ذي الحجة الحرام استهل كاملا بالثلاثاء
من سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٨م)

وفي ضحى يوم تاريخه شرع اليازجي على الرومية بزيادة دار الندوة من المسجد الحرام في محل أوراد الشيخ محمد بن عراق، نفع الله به، وحضره القضاة الأربعة وغيرهم من المستحقين ففرّق الصّرر على أربابها بسهولة مع الأسماء المتفرقة .

وفي ثاني تاريخه فُرقت البيوت وثاني تاريخه أكملتْ تفرقة ذلك مع تسليم معلوم الأربطة لمشائخها وفرّقوها على أصحابها .

[١٠٣ ب] وفي هذه الأيام الثلاثة فُرّقت صرر مصر على أربابها كوقف الحنفي والمالكي والحنبلي وغير ذلك، وأوقف صر الشافعي كالحكمي والمستجد

(١) اليازجي: الكاتب باللغة التركية، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية ١٥٧ .

للحوالة على البرج والغازية الواصلة مع الركب الشامي كالعام الماضي وفرق في ربيع الأول .

وفي ظهر يوم الخميس المذكور وصل سبق الحاج الشامي وأخبروا بمفارقته من رابغ وأنهم وصلوا من دربهم القديم الذي بطّلوا سلوكه من مدة سبع وعشرين سنة وعجلوا عن عادتهم بيومين. كتب الله سلامتهم وجميع الحجاج من المسلمين .

وفي ليلة الجمعة ثاني تاريخه دخل مكّة أمير الحاج الشامي واسمه إبراهيم جلبي الرومي نائب عينتاب [1] الآن فطاف وسعى وعاد إلى الزاهر وبات بها [إلى] [2] الصباح، فخرج لملاقاته أمير مكّة بعسكره فخلع عليه بمفرده على عادته. ولاقاهم أمير الحاج المصري من بين الحجونين وفارقهم من المعلاة، وتوجّه الشريف أبو نمي صاحب مكّة معه إلى محطته بالأبطح ثم عاد إلى منزله وشقّ المسعى بعرضته ثم قلع خلعته وعاد إلى المسجد الحرام وجلس بالحطيم ومعه القضاة الأربعة وأمير الحاج المصري تنم الجاركسي، فقرئت مراسيمه الواصلة صحبته من ملك الأمراء كافل المملكة المصرية الخادم سليمان الخصي الرومي وعدتها أربعة مراسيم .

مضمون أولها الشكر من الشريف أبي نمي ووصيته بالحاج. واثنان يتعلقان بأمير الحاج أحدهما فيه الإعلام بولايته على عادته وإجرائه على عادته وثانيهما يتضمن نظره على المدرسة الأشرفية عوضا عمن كان فيه وهو قاضي جدة كان شهاب الدين أحمد بن علي بن ناصر وهو في الروم لطلب وظيفته. ورابعها يتعلق بالقاضي الشافعي واستمراره على وظائفه من قضاء جدة ونظر المسجد الحرام وغيره.

ثم خلع أمير الحاج على الشريف أبي نمي والقاضي الشافعي والشريف عرار

---

(١) وردت الكلمة غير معجمة بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) أضفنا حرف الجر ليتمّ المعنى .

ابن عجل ودعا لهم وتفرقوا من مجلسهم ووصّل الفقهاء الشريف إلى باب أجياد ثم القاضي الشافعي إلى زيادة دار الندوة وقلع خلعته فيها، كان الله في عونه بجاه سيد المرسلين.

وفي يوم تاريخه كان انتهاء لبس ثوب الكعبة الشريفة الجديد من داخلها الواصلة من القاهرة صحبة أمير الحاج وكان يحضر لبسها كل يوم مع الشيبيين، ثم اقتسموها على عادتهم. وظهر منهم خصام لشيخهم الشيخ إبراهيم بن أحمد بن علي الشيبي ونسبوه لخيانتهم في قطع تعلقهم وعدم إيصاله إليهم مع شبك بعض قناديل الكعبة وغيرها، وشكوه لأمير الحاج ومنعوا ولده الكبير الجمالي أبا[1] السعود من قبض تعلقهم في الرومية وبدا منهم ومن الخدام جرأة وإقدام على شيخهم وكان بينهم كلمات قبيحة وأحوال شنيعة أنكرها عليهم العُقّال، وبالله المستعان .

وفي ظهر يوم الجمعة رابع الشهر باشر الخطبة الخطيب الجديد المحيوي العراقي لأن له ثلثي الوظيفة وكان نائبه إمام الشافعية أبو[2] اليمن محمد بن أبي السعادات الطبري باشر الخطبة قبلها لوصول الخبر قبل صاحبها. واختلف الخطيبان في خطبة يوم سبع [١٠٤ أ] ويوم عرفة فاتفقا على أن الخطيب عبد الرحمن بن أبي بكر النويري يخطب يوم السابع وشريكه يوم عرفة، وباشر كل منهما ذلك في يومه .

وفي ظهر يوم الجمعة المذكور بالمسجد الحرام أنشدني الشيخ العلامة الأديب زين الدين عبد اللطيف بن إبراهيم الأنصاري الديربي الأزهري نزيل مكّة، أعزه الله تعالى، من لفظه قوله مهنئا لي بقدومي من سفرتي هذه وهي :

قدِمتَ جار الله من سفْرَة قد أكمدتْ منك العدو المريب
وكنتَ في الغربة خير امرئ عين ذوي العلم الحسيب النسيب

---

(١) بالأصل: أبي .
(٢) بالأصل: أبا .

لا يدع إن كنت ابن فهد الذي ... قد قلد الناس الجمِيل العجيب
مُدَوِّن التاريخ في مكّة ... ومكرم الضيف ومُؤوي الغريب
يا من أبوه العز من قبله ... عون ذوي البعد وعون القريب
ألستَ في أم القرى مُسْنَدا ... شيخ الحديث الأوحدي المنيب[1]
تختبط الأعداء في بعضها ... منك وتزكو فرح الحبيب[2]
أنت أخذت العلم عن شيخةٍ ... كان لها مجد المعالي نصيب
بقيتَ جار الله في مكّة ... خير إمام أفْضَلي نجيب
فيك قدوم بر كل الورى[3] ... وأصبح الجو به ينشر طيب
يا خير مَن بالفضل في وصفه ... ثمار أشجار المعاني تطيب
يا ذا الفُتُوات ويا مَن به ... يفتخر الأهل ويعلو الصحيب
دُمْتَ سيوف الله مسلولة ... لكل مَن كان بغيضا رغيب
فخذ وقار العلم وافخر ولا ... تخش كما لا أختشي من رقيب
قد كتب السعد على بابكم ... نصر من الله وفتح قريب

وفي يوم الأحد سادس الشهر وصل لمكة حجاج الشرق والبصرة ووقع بينهم قتال مع أهل نخلة وقُتل بعضهم وجُرح آخرون، ونُهب قماش الحاج.

وفي ليلة الإثنين ثاني تاريخه فُرقتْ الصرر الشامية في زيادة دار الندوة من المسجد الحرام بحضرة قاضي القضاة الشافعي وحاملها قاضي محمل[4] الشامي وشخص رومي جاء قبل تاريخه ورفقته الشمسي محمد السكندراني فوصلت الأوقاف كاملة وهي الصندوق القديم والمعتصرة وخربة روحاء ووقف سيدي

(١) كذا وردت الكلمة بالأصل .
(٢) كذا ورد عجز البيت بالأصل .
(٣) كذا ورد صدر البيت .
(٤) بالأصل: محمد .

وبطران. وتأخرت تفرقة الأخير بعد الحج. وكتب أهل مكّة محضرا بالثناء على ناظرها .

وفي يوم تاريخه وصل حاج اليمن من البر صحبة الشيخ المعتقد عفيف الدين عبد الله بن مرزوق كعادته. وخطب خطبة السابع بعد الظهر الخطيب عبد الرحمن النويري وتوجّه الحاج إلى عرفة في اليوم الثامن .

فكانت الوقفة المباركة بالأربعاء والحج هنيء والأسعار متحسنة بحيث بيع الكبش بدينارين وأزيد وأقل وأما البطيخ والفاكهة واللبن فغالٍ .

ونفر الناس من عرفة بخير، لكن وقع [١٠٤ ب] بين جماعة أمير الحاج المصري والشامي هوشة تضاربوا فيها بالحجارة لتقدم .... [1] أحد المحملين، فكف أمير المصري جماعته وقدم محمل الشامي فانحسمت مادة الشر ولله الحمد. وبات الحاج بمزدلفة إلى الصباح وتوجّهوا إلى منى ونزل أمير الحاج المصري لطواف الإفاضة وحضر كسوة الكعبة الشريفة من خارجها مع بني شيبة كعادتهم، وعادوا إلى منى وأقاموا بها ثلاثة أيام ونفر غالب الناس في الأول بعد توقفهم من أجل....[2] أمير مكّة الشريف أبي نمي في يوم تاريخه أن لا يرحل أحد إلى مكّة إلاّ في اليوم الرابع ذلك خاصا بعسكره لأمور تتعلق به وقصده السفر بهم إلى جهة الشرق لغزو بعض العرب، ثم نأى عن ذلك إلاّ بعد سفر الحاج وتأخر هو وإياهم إلى اليوم الرابع .

ونزل المحمل المصري من منى في ليلة الرابع وأميره مع بقية الحاج والشريف وعسكره في صبح تاريخه وحط الركبان المَصْري والشامي عند باب المعلاة لقرب من بعضهم وأقام الحاج المصري إلى ليلة الأربعاء سادس عشري الحجة ثم رحل وتلاه

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .

بقية الحاج في يوم تاريخه وتأخر أميرهم إلى الصباح. وسافر مع الحاجُ جماعة من أهل مكّة ومُنِع آخرون منهم القاضي أبو البقاء ابن القاضي عفيف الدين بن ظهيرة القرشي لتخيّل الشريف أبي نمي منه لصحبة عمه الشريف أبي الغيث، ويقال لتخيّل قريبه القاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة للسعي عليه في وظيفة القضاء بمكة. وكان اكترى وحمّل جماله فأرسل إليه الشريف وطلبه فواجهه بالمنع. وأما غيره كالحنفي المتولي القاضي بديع الزمان ابن الضياء والخطيب عبد الرحمن النويري فبالإشاعة من غير تحقيق. ومن المسافرين الزيني عبد الرحمن ابن القاضي نور الدين علي بن ناصر الشافعي والمحيوي عبد القادر ابن المعلم علي بن المزين والجمالي محمد ابن الفقيه عبد الله الخرفان مكبر الحنفية وكتب له محضر بالثناء عليه. وأما الأولان فخفية كما أشيع ذلك، والله أعلم بما هنالك.

وفي يوم تاريخه فرّق قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة صدقة قماش من شاشات وبيارم ومناديل عال وصلتْ من الشرق مع جنازة قاضي بلاد اللار[1] من العجم ودفن بالمعلاة في أيام .... [2] وأوصى بها لأرباب الوظائف كالقضاة الأربعة وأئمة المسجد الحرام والخطباء وفاتح الكعبة، وحصّل كل قاض سبع قطع منها والأئمة ستة وكذا الخطباء وفاتح البيت الشريف، ووصلت معها دراهم تفرق على أهل مكّة تسلمها القاضي الشافعي وقدرها أربعمائة دينار ذهب صكة بلاده، صرف كل دينار ثلاثة أشرفية وثلث، مجموعها ألف وثلاثمائة وثلاثون أشرفيا. وأضيف إليها ما وصل من بلاد حلب مع أمير الحاج الشامي وقدره ألف وخمسمائة أشرفي. وفُرقت في يوم الإثنين حادي عشري الشهر على الأعيان وأرباب الوظائف وغيرهم من أهل البلد والغرباء، فأعطي لكل قاض متول ومعزول أربعون أشرفيا ولكل نائب

(١) بلاد اللار من العجم، جزيرة كبيرة قرب سيراف. ياقوت: معجم البلدان ٥: ٧.

(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل.

عشرون وكذا فاتح الكعبة ولكل خطيب سبعة وعشرون ولكل إمام أربعة عشر، وبقية الناس على حسب اختيار المقسّم، وأعطاني منها ثمانية أشرفية وللأخ ستة ولبقية الناس أكثر من ذلك ودونه، وسخط بعض الناس منه وردّ عليه جماعة ولم يلتفت لهم، ولله الأمر.

ومن سخط عليه فاتح الكعبة الشيخ إبراهيم لعدم إعطائه حصة الخدام ليفرقها عليهم كعادته بل أعطاها لأحدهم ممن ارتضوه لأنفسهم. وترك شيخهم سدْل ثياب الكعبة نحو ثلاث [١٠٥ أ] جُمَع ثم سَدَلها في ثامن المحرم.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشريْ الشهر سافر حاج الشامي جميعه وكانت إقامته بمكة ثمانية عشر يوما كحاج المصري وابتهجوا بالبيع والشراء وخدم حاج الشامي أميرهم بمبلغ لأجل تأخرهم ليبيعوا ويشتروا كعادتهم.

وفي يوم تاريخه سافر من مكّة أميرها الشريف أبو نمي بعسكره للتوجّه إلى جهة اليمن ونزل في وادي الآبار[1] نحو مرحلتين من مكّة. ورافق حاج الشامي قاصده إلى الروم القائد شهاب الدين أحمد بن محمد بن نصر الحسني ليتوجّه إلى ينبع ويرافق منها الحاج المصري بعد زيارتهم ومعه هديتهم للخنكار ملك الروم، يقال قدرها نحو لاكٍ من المال منها ثلاثون ألف نقدا [2] وسبعون ألف عروضا [3] من البهار والقماش، فالله تعالى يصرفها بالقبول، ويبلغ صاحبها غاية السول والمأمول، ويكتب سلامة المسافرين، ويردّهم إلى أوطانهم سالمين، بجاه سيد المرسلين.

وفي ليلة الأربعاء ثاني تاريخه ماتت السيدة الكبرى الأصيلة المعمّرة الجليلة أم الخير واسمها شقراء ابنة أقْضى القضاة جمال الدين محمد ابن القاضي نجم الدين محمد ابن أبي البركات محمد بن أبي السعود بن ظهيرة القرشية المكية والدة القاضي أبي

(١) وادي الآبار: يقع جنوب مكّة في طريق اليمن على مسافة ٩٠ كلم.

(٢) بالأصل: نقد.

(٣) بالأصل: عروض.

البقاء بن ظهيرة، فجهّزها في ليلتها وصلّى عليها في صبح تاريخه عند الحجر الأسود كعادة سلفها الشيخ أبو الحسن علي ابن شيخ الشيوخ محمد بن عراق، وشيّعها خلق من الأعيان ودفنت بتربة سلفها القديمة بجانب قبر زوجها، ونُصبت عليها خيمة و لم يُعمل لها رُبعٌ، منع ولدها الناس منها بل طلع هو وأقاربه للقراء ة عليها شهرا كعادتهم. وكانت مريضة نحو ثلاث سنين وانقطعت في منزلها وحجت في عام وفاتها، رحمها الله تعالى .

وفي يوم السبت سادس عشريْ الشهر سافر الشيخ عفيف الدين عبد الله بن مرزوق اليماني لزيارة المدينة الشريفة على عادته بعد الحج ورافقه جماعة من أهل مكّة وغيرهم .

وفي مغرب ليلة الأحد ثاني تاريخه سافر رفقته الشيخ أبو الحسن علي بن عراق بوالدته وأخواته وكذا أئمة الشافعية الثلاثة الأشقاء أبو الخير وأبو اليمن وإبراهيم ومع الأولين عيالهما وأهلهما، فالله تعالى يتقبل من الجميع ويرزقنا كإياهم الزيارة، بجاه سيّد المرسلين ﷺ وشرّف وكرّم .

وعادت القافلة في سابع عشريْ المحرم وشيخها العفيف بن مرزوق مريض فطاف وهو محمول وسعى في شقدف ثم توجّه إلى بلاده برا فمات في طريقه قبل دخوله لبلده في بلاد حلي، ودفن بها عند شيخها.

شهر عاشوراء المحرم الحرام استهل كاملاً بالأربعاء من سنة٩٣٥ هـ (١٥٢٨م)

كانت الأسعار فيه رخيّة والأحوال فيه مرضية ولله الحمد والمنة .

وفي ليلة الأحد خامس الشهر ماتت المعمرة أم ربيع كوكب ابنة عبد الله الزنجية عتيقة الجد الشيخ تقي الدين بن فهد وعمرها نحو التسعين سنة فجهّزت في

يومها وصلّي عليها ضحى ودفنت بالمعلاة بتربة معتقها بجانب مصلب سيدنا عبد الله ابن الزبير، رضي الله عنهما، وخلفت ولدها ربيعاً الصائغ، رحمها الله تعالى وعفا عنها .

وفي ظهر يوم الثلاثاء سابع الشهر ولد الطفل أبو عبد الله محمد ابن صاحبنا الشيخ جمال الدين [١٠٥ ب] محمد بن أبي بكر بن الشّلْح[١]السلمي المكي[٢] ، وهو ثالث ولديْن درجا له، فالله يُحييه له ويقرّ عينه به.

وفي ظهر يوم الأربعاء ثاني تاريخه مات الخواجا وجيه الدين عبد الرحمن ابن الخواجا جمال الدين محمد بن حسن الطاهر الصعدي الأصل المكي وجهّز في بيت زوج أخته الحاكم بدر الدين علي الجنيدب بالمعلاة وصلّي عليه صبح يوم الخميس ودفن بالمعلاة على قرابته وشيّعه جماعة من الأعيان وغيرهم وأخذ العزاء فيه قرابة له وصل من البلاد كان له عليه شفقة وإحسان، وخلف ولدين[٣] هما محمد وعلي باليمن وابنة بمكة و لم يبق له شيء من الأملاك بل باعها مع جميع جهاته بأبخس الأثمان وأنفقها في لذاته حتى افتقر. وتاب إلى الله تعالى وصار يتهجد في الليل وخُتم له بخير، رحمه الله وعفا عنه .

وفي ضحى يوم الخميس تاسع الشهر وصل لمكة صاحبها الشريف الحسني بجماعته وعسكره فتوجّه الأعيان للسلام عليه ما عدا القاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة فإنه متوعك في منزله، فتوجّه الشريف في عصر تاريخه لزيارته وفي عوده دخل منزل قاضي الحنفية بديع الزمان ابن الضياء وجلس في دهليزه فعرض عليه الضيافة

---

(١) بالأصل: الشيخ، وهوخطأ يتبين لك في ما بعد .

(٢) هو جمال الدين محمد بن أبي بكر الشلح السلمي المكي، مؤرخ مكي، لم نجد له ترجمة. وصفه المؤلف جار الله بن فهد بقوله "صاحبنا " كما وصفه المؤرخ عبد القادر الجزيري في الدرر الفرائد بقوله"صاحبنا " أيضا وقال: ورأيت في قطعة من تاريخ صاحبنا العلامة محمد الشلح السلمي. وجمع الشيخ حمد الجاسر بعض تعاليق مفيدة عنه في مقدمة تحقيق الدرر الفرائد ص ٢٤ .

(٣) بالأصل: ولدان .

فحلف أنه صائم، وعادته يصوم الإثنين والخميس، فصار أصحابه يتحدثون بذلك ويظهرونه لكل قاطن وسالك .

وفي ظهر يوم الجمعة عاشر الشهر ركب الشريف أبو نمي من المسجد الحرام وتوجّه إلى جهة الحجاز لمحاربته عرب بني لام الذين غزاهم في العام الماضي، فإنه بلغه أنهم قربوا من جهة الحجاز ويقال برُكْبه (١) وأمر عسكره بلحاقه، فالله تعالى ينصره عليهم ويُظفره بهم .

وفي صبح يوم الإثنين ثالث عشر الشهر اتفقت فيه قضية شنيعة وثلمة في الإسلام وهي أن شخصا يقال له زين العابدين الخانكي ادعى على ابن طليقته قاضي الحنفية بمكة المعزول وجيه الدين عبد الرحمن بن أبي الغيث بن زبرق الشيباني بمبلغ مائتين وثلاثين دينارا بمسطور كُتب عليه في القاهرة يقال إنه اختلس مرسومه لولاية القضاء من الروم فصالحه على إعطائه له بهذا المبلغ والخصم يُنْكر ذلك ويدعي أنه دفع له المبلغ المذكور دينا وتغلب على إعطائه، فادعى عليه عند قاضي المالكية تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة النجمي محمد بن يعقوب وطلبه للتوجّه إليه، وكان بزيادة دار الندوة من المسجد الحرام، فأغلظ له في الكلام، وأكثر عليه الملام، فضربه القاضي عبد الرحمن بمداسه فشلش(٢) عليه خصمه وجرّه من ثيابه وتوجّه إلى بيت القاضي المالكي التاجي بن يعقوب وكان عنده جماعة من الأروام وأهل البلد، فقام له المالكي وأكرمه وخاطبه باللطف في المقال، فصار الحنفي يغلظ للمالكي في القول وادعى خصامه في المال فغضب لنفسه وحمي له الجماعة الذين في مجلسه ففهم الحنفي منهم البطش به فبدأ برمي عمامة المالكي من على رأسه فضربه حينئذ المالكي

(١) ركبة: مكان شمال شرقي الطائف يبعد عنها ٣٥ كلم في طريق حاج العراق. انظر تعليق د / الباز في الهامش ٦ صفحة ٢٥٩ من الجزء الرابع من إتحاف الورى للنجم ابن فهد، وذكرها البلادي في معجم معالم الحجاز مرات كثيرة، انظر فهارسه .

(٢) كذا بالأصل " شلش " ولعله لفظ عامي .

بنعله وساعده حينئذ الحاضرون بمجلسه فأوجعوا الحنفي ضربا فقطعوا ثيابه ورموا(١) عمامته. فسمعت أم الحنفي كمالية ابنة أبي البركات ابن الضياء بما جرى لولدها فخرجت من منزلها باكية وتبعها العامة إلى منزل المالكي، فكانت بينهم كلمات قبيحة وأفعال شنيعة أنكرها كل من حضرها أو سمعها وشدّد المالكي في الحكم على الحنفي بديع الزمان لخصمه، فضمنت أمه ذلك وخرجت بولدها وذهبت [١٠٦ أ] به إلى منزلها.

وكان وقع في يوم تاريخه موت النوري علي ابن قاضي القضاة الشافعي المحبي ابن ظهيرة وهو طفل عمره نحو ثمانية أشهر فخرجوا بجنازته ومروا بها من على بيت الحنفي المضروب فقام الحنفي في طاقة بيته فصار يسب المالكي وأصحابه وصهره الخواجا أبا البقاء السكري بلفظ شنيع، فتوجّه السكري إلى منزل الأمير مصطفى نائب جدة الرومي فشكى عليه سبّ الحنفي له ولصهره وأصحابه وادعى أنه مجنون وطبخ له طبخة عنده عقب صلاة العصر بعد تشييع الجنازة إلى المعلاة، وطلع فيها غالب أهل البلد من الكبار والصغار ما عدا والد الميت لتوعكه، فإنه رجع إلى منزله من المسجد الحرام والخواجا السكري والمحبي ابن الشيخ أيوب صاحب المالكي، فتوجّه الأروام إلى بيت الحنفي وأخرجوه منه بعنف وإهانة بالضرب والجر وهو حاف بلا ثياب وعمامة، فرثى له جميع من رآه حتى الشامت منهم المحبي بن أيوب وأعطاه ملوطته ونعله، وشقّوا به من على بيت المالكي والسكري والحنفي المتولي حتى ذهبوا به إلى سوق المسفلة فدخلوا به إلى بيت النائب بالعسه فوجدوا السكري عنده فيقال إنه ضربه بيده على وجهه ورأسه وأحضروا له فلقة وعصا لضربه وتجريسه وخيّروه في ذلك أو وضعه في البيمارستان، فذهبوا به إليه ووضعوا في حلقه جنزيرا حديدا ووضعوه في الطاقة التي على المسجد الحرام. فتألم له كل من رآه

(١) بالأصل: وارموا .

وأنكر هذا الفعل الخاص والعام، وعُدّ ذلك من الجرأة والإقدام، وعدم المبالاة بالحكام، ومخالفة الشرع والإسلام، فنعوذ بالله من الغرور والانتقام .

ولما رأت أم الحنفي ذلك تألمت في نفسها ودعت الله بخلاص ولدها وترددت إلى المالكي والسكري فكل منهما يحلف بالتبري من ذلك ويجتري، فاستمر الحنفي في البيمارستان إلى الصباح فتوجّه السكري إلى الأروام وسألهم في إخراجه وتوجّه إليه بنفسه ومعه شاهدان شهدا على الحنفي بتعديه على المالكي والسكري وكتب ورقة بذلك وأطلقه بحضرة الأروام. فتوجّه الحنفي بعد ذلك إلى المطاف ودعا الله تعالى في الملتزم، على السكري ومَن له ظلم، فالله يتقبّل ذلك، ويطهر مكّة من أهل الفتن والمهالك، بجاه سيد الأنام، محمد بدر التمام، عليه أفضل الصلاة والسلام .

وفي يوم الجمعة سابع عشر الشهر جاء الخبر إلى مكّة بنصرة الشريف أبي نمي على عرب سبيع، قبيلة من بني لام في جهة الشرق، وأنه واجههم في يوم الثلاثاء وكاد لهم فقُتل له مملوك وبعض جماعته وجرح آخرون وقتل من العرب نحو العشرين نفسا وقيل خمسون واضطرب الناس في الخبر وتحققت النصرة وترادفت الأخبار بها.

ثم في يوم الخميس ثالث عشريْ الشهر وصل عسكر الشريف من بني حسن وغيرهم إلى مكّة، ثم هو في صبح ثاني تاريخه يوم الجمعة ودخلها بعرضة على ركاب والخيل أمامه مجردة نحو العشرين يقال إنه كسبها من العرب مع أغنام كثيرة يقال نحو عشرة آلاف قسمها على عسكره منها للخيال ستة وللراجل ثلاثة وبعضهم أزيد من ذلك، وبيع الكسب من القماش وغيره بالمسعى. وتوجّه الأعيان للسلام على الشريف أبي نمي وتهنئته بالسلامة والنصرة. وأقام بمكة إلى بعد صلاة الجمعة ثم توجّه إلى فريقه جهة اليمن في وادي الآبار، ولله الحمد .

وفي مغرب ليلة الخميس عقد صاحبنا العلامة المدرس جمال الدين محمد ابن شيخنا عبد الله باكثير [١٠٦ ب] المكي الشافعي على زوجته البنت

الشريفة.... [١] ابنة السيد زين العابدين الحسيني المالكي وذلك في منزل ابن عم والد الزوجة قاضي القضاة التاجي عبد الوهاب بن يعقوب بحضرة جماعته، وأسقوا سكرا ودخل بها في ليلته وخرج في صباحها .

وفي عصر يوم الإثنين سابع عشريْ الشهر مات.... [٢] ابن قاضي القضاة أبي حامد محمد ابن الشيخ عطية بن ظهيرة الحنبلي وعمره نحو سنة ونصف وصلّي عليه بعد صلاة العصر عند الحجر الأسود كعادة سلفه وشيّعه الأعيان وغيره ودفن في تربة بني ظهيرة المجاورة للشيخ علي الشولي، نفع الله به .

وفي آخر يوم تاريخه وصلت قافلة المدينة الشريفة مع الشيخ ابن مرزوق اليمني وفيها أئمة الشافعية الأخوان الثلاثة الأشقاء هم المحمدان أبو الخير وأبو اليمن وإبراهيم بعيالهم والشرفي أبو القاسم ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن صالح المرشدي بعياله وجماعة آخرون، وتوجّه الناس للسلام عليهم وأطاف الأولان إخوانهم [٣] فعمل الإمام محمد المدعو عبد البر وليمة في الصباح فيها أطعمة ملونة حضرها جماعة من الأعيان وغيرهم .

وفي آخر النهار عمل الإمام إسماعيل جذابة سرا [٤] ومأمونية ولبناً مخردلاً وحضره جماعة من أهل البيت، ووقع خصام بين فاعلها وبين زوجة أخيه أبي الخير ست الجميع ابنة قاسم الدب المغربي بسبب أنه أرسل لها لمنزلها فردته عليه لسابق عداوة له، فاستطالت عليه بالكلام وعلى زوجته حتى أنكر عليها جميع مَن سمعها، فحلف الإمام إسماعيل بالطلاق أنه لا يسكن مع أخيه في دارهم حتى يسكن عوض سكنهم نحو عشرين سنة، فتشوش إخوانه من ذلك وبعضهم لامَهُ، وأما زوج المرأة

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٣) بالأصل: الأولين أخواهم .
(٤) كذا بالأصل .

فحمي لها ووقعت [١] بينهما كلمات، ويقال إن أخاه أبا الخير سَطا عليه بضربه وخرج من المنزل بأهله، وكانت حركة غير صالحة، نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن .

ووصل مع القافلة خبَر موت القاضي بجدة شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة بمكة كان نور الدين علي بن ناصر المكي الشافعي في بلاد الروم، ووصل بذلك شهوان بن ملوح الحسيني، وكان وصل من البحر عقب خروج الحاج من مصر. وذكر أنه حضر عيد رمضان بإسطنبول، ومات ابن ناصر بها في سادس شوال وعمل وصيّه القاضي مهنى الشافعي المصري ودفنه، وبرز منها في ثاني يوم وفاته، ولم يصدق إخوانه ووالدته بذلك، وتتابع الخبر بوفاته، فالله تعالى يرحمه ويعوضه خيرا من القضاء الذي توجّه بصدده ويجعل قراه الجنة. فإني اجتمعتُ به في مدة سفره ورأيتُه عشيرا موافقا .

شهر صفر الخير استهل كاملا بالجمعة
من سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨م)

وفي يوم السبت ثانيه دخل بزوجته الشهابي أحمد ابن الشيخ العلامة المدرس جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المالكي الشهير بالحطاب على زوجته فاطمة ابنة شيخنا العلامة النحوي زين الدين أيوب ابن عبد السلام الأزهري الشافعي. وهما أول من تزوج في هذا العام من الأطفال الأبكار. ومولد الزوج في يوم الجمعة حادي عشر صفر سنة ثماني عشرة وتسعمائة (٩١٨هـ/١٥١٢م) ومولد الزوجة في شوال سنة خمس عشرة وتسعمائة (٩١٥هـ/١٥١٠م) وهي أكبر من زوجها بثلاث سنين .

(١) بالأصل: وقع .

[١٠٧ أ] شهر ربيع الأول استهل ناقصا بالسبت
من سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨م)

وفي ليلة الثلاثاء حادي عشر الشهر وصل لمكة من فريقه صاحبها الشريف أبو[١] نمي الحسني لأجل زيارة المولد الشريف وعقد أولاد وزيره الآتي. ووافق وصول أمين الصدقة الهندية من جدة وهو الخواجا خليل والناظر عليه إقليم خان الهندي، فقصدهم الناس للسلام عليهم .

وفي عشاء تاريخه مات الشيخ العلامة المدرس مفتي المسلمين القاضي شمس الدين محمد ابن العز عبد العزيز الحجازي القاهري الشافعي نزيل مكّة المشرفة وأحد نوابها في الحكم من القاضي كمال الدين التادفي الحلبي كان. وجهّز في ليلته وصلّي عليه عقب صلاة الصبح ونودي له على زمزم ودفن بالمعلاة في تربة الجبرت وشيّعه جماعة وذكروه بخير .

[كان من أكابر العلماء ومن أجل تلامذة شيخ الإسلام زكريا، وله تصانيف كثيرة منها **شرح لطيف على صحيح البخاري وحواش على شرح العقائد وحواش على شرح هداية الحكيم** وكتاب حافل سماه **عنوان المعلوم** ذكر فيه من كل علم عدة مسائل ولطائف وفوائد وهو كتاب مفيد في بابه. رأيت هذه الكتب كلها بخطه وله غير ذلك من التصانيف والدقائق، وكان له درس في المسجد الحرام قرأتُ عليه قطعة من **المغني لابن هشام** وحضرتُ دروسه وأجاز لي. وكان لطيف الذات حسن المفاكهة ضحوك السنّ بشوشا، رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس

(١) بالأصل: أبي .

الأعلى. كتبه قطب الدين الحنفي] [1] .

وخلّف ولده عبد العزيز وابنتين من جاريتين، رحمه الله تعالى .

وفي ليلة الأربعاء ثاني تاريخه كانت زفة المولد الشريف من المسجد الحرام وكبيرها الناظر عليه قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة ومشى معه الأعيان وخلق من العامة وحجبه قاضي المالكية القاضي عبد الوهاب بن يعقوب وقاضي الحنابلة أبو حامد بن ظهيرة والخطيب الجديد المحيوي العراقي وأمامهم المفرعات وشمع الحرم على العادة. وكان القضاة الثلاثة متوعكين وأشدهم ضعفا الشافعي وجلس في الطريق مرارا ذهابا وإيابا، ودُعيَ له في المولد مع السلطان وأمير مكّة كعادتهم وكذا بالمسجد الحرام، وتفرق الناس عنه فيه بعد السلام عليه بعد صلاة العشاء .

ثم توجّه القضاة والأعيان من القضاة والتجار إلى بيت الوزير كمال الدين أبي الفضل بن أبي علي المكي لأجل عقد ولده الصغير المراهق الزيني على ابنة أخيه الجناب العالي الشيخ جمال الدين محمد المدعوة زينب، وعقد ولده البالغ السراجي عمر على ابنة عمه الماضي المدعوة أم هاني وهما مقصودان بالزواج لكبرهما وتأخير الأولين لصغر سنهما، فإن عمر الأول يقال أربع عشرة سنة وعمر زوجته نحو العشرة وقبل لكل واحد منهما والده عقده وباشر العقد قاضي القضاة الشافعي بخطبة واحدة، وحضر العقد السيد الشريف أبو نمي صاحب مكّة وأخوه الشريف ثقبة وجماعة من قوادهم، وكان جلوسهم في المجلس الكبير مع القضاة والفقهاء وغالب الناس في الزفاف على دكاك من خشب، وشرب الجميع سكرا مذابا وبُخروا بالعود والعنبر والماورد، على جاري العادة، وانفضوا وركب الشريف من

(١) ما بين عاقفتين كُتِب على الهامش بخط قطب الدين النهروالي، وكتب في آخره قوله: " كتبه قطب الدين الحنفي " .

فوره وتوجّه إلى فريقه. وهنأ الناس والد الزوجين في الصباح كل واحد في منزله، وقصد الناس أبا الفضل أكثر من أخيه لظهوره وتقدمه في الفرح والبذل للواجب وغيرهم، فالله تعالى يديم أفراحهم وأفراح المسلمين آمين .

وفي هذه الجمعة وصل لمكة وكيل الصدقة الهندية الخواجا خليل ابن.... [1] وتحدث الناس بتفرقته لها وتكلموا معه في أمرها فوعدهم لجدة ولازموه في تفرقتها بمكة وتعذر عليهم بكونه قماشا وهو بجدة، فتوجّهوا إلى قاضي القضاة الشافعي وسألوه في تفرقتها فأمره بذلك وصمم هنالك فاعتذر له وأرضاه بمبلغ يقال نحو ألفي دينار فلأجلها تجشم المشقة وتوجّه إلى جدة وهو مفصول عن قضائها ومتوعك في بدنه، وأظهر أنّ الشريف أبا نمي أمره بذلك .

فتوجّه قبله الأمين خليل ثم القاضي الشافعي تبعه إليها في صبح يوم السبت حادي عشر الشهر وتبعه قاضي [١٠٧ ب] الحنفية المفصول أبو السرور ابن الضياء ثم قاضي الحنابلة أبو حامد بن ظهيرة ثم قاضي المالكية التاجي عبد الوهاب ابن يعقوب ثم بقية الفقهاء وخلق من العرب والعجم لأجل قبض تعلقهم .

ثم توجّه كاتبه لجدة يوم الجمعة سابع عشريْ فوصلتُها صبح يوم الأحد فوجدتهم شرعوا في التفرقة على المستحقين قبل وصولي بيومين أو ثلاثة، وكان صرفهم باجتماع قاضي القضاة الشافعي والناظر على الصدقة إقليم خان ووكيلها خليل وبقية القضاة ما عدا الحنفي المتولي لقضاء مكّة وجدة وذلك في محل عروض الصدقة وهو أحد بيوت وقف الخواجا ترسن الرومي على ساحل البحر. وكتب على المستحقين لكل واحد إشهاد بخط الشيخ أبي زرعة المنوفي، وهو الضابط لها والعمدة عليه في معرفة مستحقها ومن قبض أولاً منها مع مباشر هندي من جهة

(١) بياض بالأصل بمقدار كلمتين .

الخان ثم يكتب على الإشهاد القاضي الشافعي .... (١) والقابض ثم عليه علامة اسم الخان، ثم توزيع الوكيل للعروض والنقد الباقي وهو نحو النصف من كل منها.

وأعطي لغالب الناس تفاريق عال كل شاش مرمر شاهي بسبعة أشرفية وكل ثوب جوتار بأربعة وعشرين ومناديل حرير كل واحدة بخمسة أشرفية وكل قطنية ملونة باثني عشر وكل محبس بأربعة والكورجة الكندكي الأحمر بخمسة وثلاثين والأسود حرج العرب باثني عشر وهو أسود من غيرها و لم يحصل لكل واحد. وأما الثياب الدوني فلم تظهر إلاّ للخواص .

وبلغني أن القضاة والمتجاهين من العجم أعطي لهم هذه العروض بأنقص من هذه الأثمان وخسر غالب الناس فيها نحو الثلث والربع خصوصاً القطنيات فإنها متفاوتة و لم يُراع في إعطائها جانب الله تعالى، وعنده تجتمع الخصوم. وبعض الناس باع استحقاقه بجدة وبعضهم حمله ورخص القماش فيها هضما لجانب المستحقين وعادوا لمكة أوّلاً فأوّلاً وكان يعطي كل واحد بحسب ما هو مكتوب له في الدفاتر من الهند وهي ثلاثة أحدها قديم والثاني تقرير جديد والثالث إنعام .

ففي الأول يحسب العشرة تسعين ثم يُسقط منها نحو الثلث فتصرف عن ثلاثة وستين أشرفيا وفي التقرير الجديد يصرف العشرة اثنين وأربعين أشرفيا عن ثلاث سنين وفي الإنعام عن سنة واحدة كل عشرة سبعة أشرفية .

وتضرر الناس بذلك ويقال سببه نقص سعر القماش وأخذ الشريف أبو نمي صاحب مكّة الثلث منها، ويقال نحو لاك مائة ألف دينار، وأعطى بعض جماعته وغير ذلك. ويقال إنه رصد للعامة منها عشرين ألفا وأخرت تفرقتها لاجتماع ثمن القماش في بيعه. وعيّن لأهل المدينة الشريفة حصتهم من النقد والقماش وكذا لأهل بيت المقدس. جزى الله المتفضل بها خيرا وأحسن إليه، وأدام نصره ونعمه عليه،

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

وألهم جماعته الشفقة على المستحقين ليحصل لهم الثواب والعود إلى أوطانهم سالمين، بمحمد وآله آمين .

شهر ربيع الثاني استهل بالإثنين من سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨م)

وفي يوم الثلاثاء ثاني تاريخه مات الشيخ العلامة المفيد بدر الدين محمد بن علي الجُناجي (١) المالكي نزيل مكّة المشرفة وجهّز في يومه وصلّي عليه بعد العصر عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة، رحمه الله تعالى. وخلف ذكرين وبنتا وتقرر ولداه في وظائفه. وكان منقطعا [١٠٨ أ] في منزله بوجع رجله نحو عشر سنين وأزيد .

وفي ضحى يوم السبت ثالث عشر الشهر ماتت الحاجة سعيدة الزنجية وهي التي ربّتني وإخواني وعمرها نحو المائة. وسبب وفاتها أنها عجزت عن الحركة لكبرها وضعف نظرها فطلعت إلى السطح بغدائها فوقعت من نحو قامة وسقط عليها حجر كبير كسر مخّها فطلعت روحها من وقتها. فجهّزتُها من يوم تاريخه وصلّي عليها بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ودفنت بالمعلاة عند تربة سلفنا بفم شعب النور، وشيّعها جماعة من الأعيان وغيرهم، رحمها الله تعالى .

وفي ليلة الأربعاء سابع عشر الشهر دخل بزوجته الزيني بركات ابن الشيخ محمد الحطاب المالكي شقيق أحمد الماضي زواجه في صفر على رقية ابنة الشيخ علاء الدين النهروالي الحنفي، وهي ثانية الأبكار الصغار، ومولدها في عام ثلاث وعشرين وتسعمائة (٩٢٣هـ/١٥١٧م) ومولد زوجها في سادس جماد الثاني سنة ثمان وتسعمائة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) وهو أكبر منها بخمس عشرة سنة، وراجع من زوجة قبلها ماتت معه. وعمل لهما وليمة في بيت والد الزوجة بالسويقة، حضرها جماعة

(١) ورد الإسم بالأصل " الجنابي " غير معجم. وهو خطأ من الناسخ فقد ترجم العيدروسي في النور السافر ص١٩٩ هذا العالم وضبط اسمه قائلا: " محمد بن علي بن أحمد بن سالم الجُناجي – بجيمين، الأولى مضمومة بينهما نون خفيفة، نسبة لجُناج: قرية بين البحراوية وسنهور من الغربية" .

من الأعيان، وأقام الزوجان فيه مدة ثم انتقلا إلى بيت الزوج بالشُبيكة عند والده وإخوانه بورك لهم.

وفي ضحى يوم السبت ثالث عشر الشهر شرع الشيخ القاضي شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات المالكي الأنصاري في زواج ابنته المراهق فاطمة وعمرها يقارب اثنتي عشرة سنة فإن مولدها في ....[1] جماد الثاني عام أربع وعشرين (٩٢٤هـ/١٥١٨م) على القاضي الأصيل ركن الدين محمد ابن أقضى القضاة شرف الدين أبي القاسم الرافعي بن ظهيرة القرشي الشافعي، وهو أسنّ منها بنحو ثمان سنين لأن مولده في.... [2] سنة سبع عشرة وتسعمائة (٩١٧هـ/١٥١١م). وعقد بهما عم الزوجة قاضي المالكية المفصول شرف الدين أبي القاسم في منزل أبيها. وعُمل لها مُهِمّ حافل، لكنهم تكدّروا بحادثة [3] وقعت في ليلة الغمرة عند دخول الزوج إلى الدار مع أقاربه وأولاد عم والد الزوجة الشيخ أبي البركات، وكان أقارب الزوج معتدين في أفعالهم وأقوالهم، وكنتُ حاضر الواقعة وأردتُ إصلاحها مع عم الزوجة فلم يقدّر الله ذلك لسوء الجانبين وليريد الله أمرا كان مفعولا، وتُرِك المهم مدة .

ثم إن القاضي الرئيس العلامة عز الدين الفائز ابن قاضي القضاة الخطيب فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة الشافعي مشى في الصلح بين الزوج ووالد الزوجة فوقع الاتفاق ولله الحمد. واستمر أقارب الزوج .... [4] القاضي سعد الدين ابن العلامة القاضي خير الدين أبي الخير بن أبي السعود بن ظهيرة وأخوه القاضي محب الدين

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) بالأصل: بحادة .
(٤) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

وأبو الخير ابن أختهم والشيخ [1] أبو البركات وباقي أقاربهم وبنو عمهم من أهل المعلاة والمسفلة. وكان الدخول في الشهر وهو جماد الأول، وأوله ناقص[2] بالإثنين، وعُمل يوم تاريخه سماط للزواج المذكور حضره الأعيان وغيرهم وفيه ألوان مفتخرة، أخلفه الله بخير على مَن بذله .

وفي يوم الإثنين سابع الشهر عُمل سماط ثان دون الذي قبله لزواج النوري علي ابن الشيخ جمال الدين أبي السعود بن أبي الفضل الزين على البنت المراهق ابنة عمته وقاء [3] واسمها أم الحسن ابنة إمام الشافعية الزيني عبد المعطي ابن الإمام مكرم ابن أبي السعادات الطبري المكي [١٠٨ ب] وهو زواج رابع من الأبكار وعمر الزوجين نحو عشرين سنة فإنهما وُلدا في عام أربع عشرة وتسعمائة (٩١٤هـ/١٥٠٨م) تقريبا، وكان دخولهما في ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه.

وفي فجر يوم تاريخه ولد لابن عم الزوج الزين ابن الشيخ كمال الدين أبي البركات بن أبي الفضل الزين ولد ذكر سمّاه عبد الغني باسم جده لأمه، وهي فاطمة ابنة قاضي القضاة نسيم الدين عبد الغني بن أبي بكر المرشدي الحنفي، ولم يرزقا ذكرا قبله، وهُنّئا به وفرحا بولادته وعملا له زلابية فُرّقت على معارفهم، وكذا سابعا حافلا، فالله يبارك فيه ويُحييه .

وفي ليلة الجمعة حادي عشر الشهر وُلد لأحمد ابن الفخري أبي بكر ابن الشيخ محيي الدين عبد القادر بن ظهيرة القرشي الشافعي وأمه .... [4] ابنة المرحوم جمال الدين محمد ابن الشيخ عطية بن ظهيرة القرشي، وفرح أهله به وهنأهم الناس بولادته.

(١) بالأصل: ابن أختهم الشيخ .
(٢) بالأصل: ناقصا .
(٣) كذا ورد الاسم بالأصل .
(٤) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

وفي يوم الإثنين رابع عشر الشهر كان سماطا أكبر من اللَذيْن قبله لزواج الأصيل خير الدين أبي الخير ابن الشيخ العلامة محيي الدين عبد القادر ابن الشيخ سراج الدين عمر بن أبي السعود بن ظهيرة القرشي على سعادة ابنة الشيخ الأوحد شرف الدين أبي القاسم ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن صالح المرشدي المكي ومولدها في عام أربعة عشر وتسعمائة (٩١٤هـ/١٥٠٨م) ومولد زوجها في ثالث عشري جماد الأول سنة إحدى عشر وتسعمائة (٩١١هـ/١٥٠٥م) وهو أكبر منها بثلاث سنين. وكان دخولهما في ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه في بيت والدة الزوجة الحاصل لأمها من الإمام محب الدين الطبري الشافعي .

وعُمل للزوجين عقد حافل في الدار المذكورة بحضرة القضاة الأربعة وجماعة من الأعيان وغيرهم وكذا يوم الثالث والسابع وغير ذلك مما اعتنى به والد الزوج والزوجة، فالله تعالى يخلف عليهم بخير، ويبارك لهم ويدفع كل شر وضير، بمحمد وآله آمين . .

وفي ليلة الجمعة ثامن عشر الشهر كان العقد المبارك في الحجر الشريف تحت ميزاب الكعبة بالفاضل الأصيل الزيني عبد الحق ابن العلامة المدرس إمام الشافعية خير الدين أبي الخير ابن الإمام أبي السعادات الطبري المكي على البنت البكر المراهق أم الكرم فاطمة ابنة شقيقي العلامة المقرئ الصوفي محيي الدين عبد القادر بن عبد العزيز ابن فهد الهاشمي المكي، أعزه الله تعالى. باشره قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة وأنشأ خطبة حسنة لمح فيها بذكر سلف الزوجين وعظّم فيها الجانبين، وحضر فيه القضاة الثلاثة وبعض الأعيان وغيرهم من الأهل والجيران، وأسرج بعض الشمع أمامهم، ولم يحدث شيء يضر بالطائفين حولهم، فكانت ساعة مأنوسة، بالخيرات محروسة .

وفي صباحها عُملت مَدّة لطيفة بجذابة [١] وخرذل ومأمونية، وذلك في منزل والد الزوجة بحارة سلفه بالسويقة، فشكر الناس منها وأثنوا على لطافتها .

وفي ليلة السبت ثاني تاريخه دخل الزوج بزوجته وهنّأه الناس في صباحيته، فالله تعالى يجعله مباركا عليهما، ويخلف بخير على أهلهما. وهذا الزواج [خامس][٢] زواج الأبكار في عام تاريخه بمكة. ومولد الزوج في سنة ستة عشر وتسعمائة (٩١٦هـ/١٥١٠م) والزوجة [٣] أصغر منه بسبع سنين [١٠٩ أ] فإن مولدها في رابع عشريْ المحرم سنة أربع وعشرين وتسعمائة (٩٢٤هـ/١٥١٨م) .

وفي هذا الشهر تزوج ابن أخ الخواجا زين الدين الناظر بجدة العجمي الشهير بابن العواني على ابنة محمد الحلبي، وعُمل لهما سماط مفتخر في بيت عم الزوج حضره خلق من الأكابر، ثم جُلِّيَتْ العروس على زوجها جلاءً مصريا سبعة أنواع. ودخل بها وهي بكر ولم أعلم بهما .

ودخل الشيخ محمد ابن شيخنا الجنيد بن محمد المشرع اليمني على زوجته البنت وهي ابنة محمد بن راجح الجدّي.

وفي هذا الشهر حدثت [٤] بمكة عدة أفراح وأتراح لم أحرر ضبطها، منها: ظهر في نصفه شعاع كالعمود معترض في أفق السماء من جهة المشرق إلى المغرب معارض لثلاث منازل من الكواكب الثوابت وأوله من جهة المشرق متصل بالشعراء اليمانية، واستمر أزيَد من نصف شهر. وما علمتُ حدوثه، ويقال عن المنجمين وبعض أعراب البادية إنه يظهر بوجوده الرخاء في الحبوب أو موت بعض الأكابر، مما يعلمه علاّم الغيوب .

(١) كذا بالأصل، وهو نوع من الطعام .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل، والإكمال يتطلبه المعنى، انظر أول الورقة ١٠٨ب حيث ذُكر الزواج الرابع .
(٣) بالأصل: والزوج، وهو خطأ واضح .
(٤) بالأصل: حدث .

وفي نصف الشهر أيضا شرع الشريف عرار بن عجل الحسنيّ في عمارة علو داره بأجياد، قاعة مصرية بمرافقها، وجمع لها البُناة أزيَد من عشرة وغير ذلك من العمال والنجارين والدهانين وآلات من الأخشاب والنوره والطوب وما يحتاج إليه، ولازمَ ذلك بنفسه مع همة عالية وجِدّة زائدة كعادته .

وعمّر في هذا الشهر أيضا مصطفى الرومي الناظر على العين بمكة ما يحتاج إليه من علو الدبول(1) الثلاثة التي بأسفل مكّة المسماة (2) ببازان : أحدها عند باب إبراهيم من المسجد الحرام وثانيها الموالي لها عند بيت القائد بُدَيْد (3) والقائد جوهر المغربي وثالثها خارج البيوت عند درب اليمن من جهة المسفلة مجاور المسجد الذي بناه مسلم من سنتين على محل المولد الذي يقال له مولد السيد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، عم النبي ﷺ، وذلك لصيانتها عن السيول المارة عليها. وأحكم ذلك بالنورة والحجارة الكبار، فالله تعالى يضاعف له الثواب بجاه محمد وآله آمين .

وفي آخر العشر الأول من شهر تاريخه أشيع بمكة أنّ الشريف عرار بن عجل أخبر الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري بوصول مرسومين له أحدهما من الروم وثانيهما من القاهرة، إلى عند السيد أبي نمي صاحب مكّة بتوليته لجميع الخطابة بمكة وأمره بالتوجّه إليه لأخذهما. فتوجّه إليه بعض الناس فأنكره، وخاط الناس في ذلك وماطوا .

ثم إن الخطيب عبد الرحمن عمل حلوى وصَحِبَها رفقته وتوجّه إلى فريق الشريف بالعياء(4) في ليلة السبت ثاني عشر الشهر فواجهَ الشريف وأهدى له ما

(1) جمع دبل وهو الجدول .
(2) بالأصل: المسمي .
(3) هو القائد بُدَيْد بن شكر بن راجح العمري. وردت أخباره الكثيرة في إتحاف الورى للنجم بن فهد، انظر فهارس الكتاب ص ٨٨. كما ذُكر في كتاب غاية المرام للعز بن فهد ٢: ٤١٥، ٤٣٢، ٥٠٩ .
(4) اسم مكان ورد على هذا الرسم، ولم نجد له تعريفا .

معه، فرحب به ويقال إنه قال له: الشريف عرار أخبرك بوصول المراسيم ؟ فقال: نعم، فقال له: توجّه إلى القائد جوهر المغربي. فتوجّه إليه فأظهر له التوقف ولم يظهر له تحقيق خبره وقال له: توجّه إلى مكّة والشريف يأتيك فيها. فقام من عنده واجتمع بالشريف مرة ثانية وترفق له في القول والاعتذار عما نسب إليه في حقه وأنه باطل فطيب الشريف خاطره وأمره بالتوجّه إلى مكّة فعاد إليها وهو مكسور الخاطر وفرح خصمه بعد أن ظهر عليه الخذلان. وتعجّب [١٠٩ ب] الأخيار من هذه الحركات، التي تؤدي عاقبتها إلى الخسارات، نعوذ بالله منها .

وفي صبح يوم الجمعة حادي عشر الشهر وصل لمكة الأمير صندل بن عبد الله السليمي شيخ الخدام بالحرم الشريف النبوي، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وكان توجّه لفريق الشريف أبي نمي صاحب مكّة واجتمع به لقضاء حاجته وهو إخباره بعصيان عرب المراوحة، وإجارة بعضهم على حمل حب الصدقة الخنكارية لأهل المدينة الشريفة، وهم في ضرورة (1) بسبب ذلك. فأمر الشريف صاحب ينبع بشنق المحيّرين وبردع الباقين، فالله تعالى يقدر خيرا للمسلمين. ويقال إنه اجتمع بأمين الصدقة الهندية وقال له: لا تتوجّه بمال أهل المدينة في هذه الأيام لأن الشريف مانع المفصول عن إمارة المدينة مقيم لك في الطريق مع بعض العرب فترك ذلك حتى يتوجّه الشريف أبو(2) نمي بنفسه أو يأخذ بعض عبيده .

وسافر شيخ الخدام بعد ثلاثة أيام وجاء بعده أمير المدينة الشريف باز بن فارس ابن شامان الحسني وتوجّه لفريق الشريف، ولعله من جهة عصيان الشريف مانع الزبيدي، ويقال إنه محاصر لطرق المدينة الشريفة، حماها الله تعالى منّ الأسواء .

وفي يوم السبت سادس عشر الشهر شرع القضاة المتولين ما عدا الحنفي بجدة

(1) استعمل المؤلف مرارا هذا اللفظ بمعنى الضرر .
(2) بالأصل: أبي .

في تفرقة المبرة الحب الواصلة من القاهرة لجهة الوزير الأعظم إبراهيم باشا على العادة وهو عن سنتين، وغرق بعضه في المسماري، وعدة كيله....[1]وتصدى لكتابة أهل البلد من الخاص والعام على عادته الشيخ ولي أبو زرعة المنوفي وضبط ذلك من مدة نصف شهر. وسمعتُ أنهم زادوا على العادة بأربعة آلاف نفس وجملتهم عشرون [ألف] [2] نفس، فلكل نفس من العامة ربع مُد ومن الفقهاء ربع وشطر. ودخل وبُدئ بالعام من جهة باب السلام ودخل الفقهاء في أثنائهم واستمروا على ذلك إلى نصف شهر جماد الآتي، وهو:

جماد الثاني ٩٣٥ هـ (١٥٢٩م)

وأوله كاملا خامسا[3]. وأشيع أنّ جماعة رأوه بالأربعاء منهم عبد الله الواسطي وعياله ولم يؤدوا عند القضاة فلم يثبتْ ذلك وأرخ بالخميس، جعله الله شهرا مباركا ميمونا .

وفي نصف ليلة السبت ثالث الشهر جاء الخبر لمكة بوفاة الشريف ثقبة ابن السيد بركات بن محمد الحسني [أخي] [4] صاحب مكة أبي نمي وشريكه في البلاد. وضج النساء بالبكاء عليه حتى وصل ضحى تاريخه وهو محمول في شقدف، فجهّزه أخوه من منزله دار السعادة وحضره خلق من الأعيان وغيرهم وصلّى عليه قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة عند باب الكعبة بعد النداء عليه فوق ظلة زمزم، وشيّع إلى المعلاة ومعه أخوه وأعمامه مشاة ودفن بقبة أبيه على يمين الداخل

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) كلمة أضفناها ليستقيم المعنى .
(٣) كذا بالأصل. وقد بدأ الشهر بالخميس كما سيتبيّن بعد .
(٤) إضافة يقتضيها المعنى .

منها، وعُمل له ربعة ثلاث مرار وخُتم له في عصر يوم الأحد ثاني تاريخه بالمسجد الحرام والمعلاة، وعُدّ ذلك من الغرائب وكانت العادة الختم في الصباح .

وجاء النواب من جدة يوم تاريخه وكذا قاضي جدة بديع الزمان ابن الضياء الحنفي وحضر الختم بالمسجد الحرام والمعلاة، وأنشدت مرثية فيه بالمسجد فأمر الشريف أبو[1] نمي بتسكيت القارئ لها وهو الشيخ حسين بن ناصر أحد العدول بباب السلام. ويقال إن الشريف تشوش من الفقهاء لكون بعضهم أظهر الشماتة بموت أخيه، وهو القاضي أبو البقاء بن ظهيرة لسبب منعه له [١١٠ أ] من السفر مع الحاج إلى الروم وشكاه على القضاة في الختم ولم يظهر له ذلك [2] وبعد الختم سافر الشريف أبو[3] نمي إلى فريقه جهة اليمن وعزّاه بقية الناس فيه، فالله تعالى يخلفه عليه بخير .

وخلّف زوجة حسنية يقال إنّها ابنة خاله مريضة. وحزن الناس عليه لشبابه وشجاعته وكرم نفسه، وله من العمر إحدى وعشرون سنة، فإنّ مولده في سنة سبع عشرة وتسعمائة (٩١٧هـ/١٥١١م) عوّضه الله في شبابه الجنة .

شهر رجب الفرد استهل كاملا بالجمعة
من سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٩م)

وفي عشاء ليلة الأحد ثالث الشهر مات الأصيل القاضي أبو المكارم جمال الدين محمد ابن القاضي أبي المكارم ابن شيخنا المعمر القاضي شرف الدين الرافعي

(١) بالأصل: أبي .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) بالأصل: أبي .

الشهير بابن ظهيرة القرشي بعد وصية كتبها في آخر مرضه. وله سنين مريضاً بوجع الدق، ويقال لكثرة استعماله للمغيبات بحيث تغيّر جسده وانقطع بمنزله، وتصرف في جهاته بما لا يُحمَد فيها بحيث لم يمض غالب وصيته مع كثرة ديونه، ويقال نحو ألف.

وجعل وصيه القاضي شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات المالكي. فجهّزه في ليلته وصلّى عليه بعد صلاة الصبح عند الحجر الأسود، كعادة بني ظهيرة، ودفن بتربتهم بالمعلاة عند الحجون على قبر أمه وجده، وعُمل له ختم في صبح يوم الثلاثاء خامس الشهر [١]. وتنازع عم أبيه أبو المكارم بن أبي القاسم الرافعي وهو شاب مع زوج عمته سعد الدين بن ظهيرة في ما أوصى به من النزول لوظائفه وإجازة أوقافهم له ولغيره وساعده صهره القاضي شهاب الدين المالكي الذي جعله الميت وصيا وعزل نفسه منها وقال إنه قصد حرمانه من ميراثه وسأل في ضبط مخلفه من الكتب وغيره، وكان أوصى بوقفها مع ميراث غير ذلك. فقال الوصي: الديْن مقدم وغالب جهاته وقف على عصبته، ووجد بعض المستندات التي بمنزلهم بباب إبراهيم والعصامية بوادي أرض خالد وهي مرهونة في ستمائة أشرفي عند الوزير الجمالي محمد بن أبي علي المكي وغيرها مصلح في أوقافها بالكشط. وأروها للقاضي الشافعي فأمر ببيع أثاث البيع[٢] وضبط الباقي حتى تحرر أمره، فضبط ذلك وكثرت القالات فيه، ولا قوة إلاّ بالله .

وفي ضحى يوم الخميس سابع الشهر وصل لمكة صاحبها الشريف أبو نمي محمد بن بركات الحسني وتوجّه الأعيان للسلام عليه ومقت غالبهم لتحمّله على الفقهاء. ويقال إن سبب وصوله للإشراف على الساباط دهليز دار السعادة مسكنه،

(١) كلمتان تكررتا بالأصل .

(٢) كذا بالأصل، ولعل الصواب" البيت " .

وأخذ وديعة مال كان أخذها الشريف ثقبة من قسمته معه ويقال إنها نحو عشرين ألف دينار .

وفي صبح يوم الجمعة ثاني تاريخه زار قبر أخيه ووالده وصلّى الجمعة وسافر آخر النهار إلى فريقه جهة اليمن، وجّه الله وجهه حيث ما توجّه.

وفي يوم الخميس المذكور نعي على القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن ناصر لموته بالروم وجاءت ورقة من مصر من أخيه عبد الرحمن. وكان الناس تحدثوا بذلك من أول السنة، ولم يصدق أهله ذلك وتبيّنتْ [١] أمه وإخوانه، فالله تعالى يرحمه ويعوّضهم خيرا منه .

وفي هذه الجمعة وصلت لمكة عدة أخبار من البحر على طريق الطور منها أنّ نائب مصر كتب [١١٠ ب] عرضا إلى الروم فطلب ولاية الدفتردار [٢] عبده بمصر لنيابة جدة واسمه داود الرومي. فجاء الخبر بولايته لها وأنه عين نائبه فيها واسمه....[٣] الرومي. فوصل بنفسه لجدة وأن النائب المذكور والسيد علاء الدين ملك التجار أمروا بشحن [٤] حوائجهم من السويس وهم واصلون معها قريبا، وأن النوري علي ابن المهتار مات بالقاهرة ووُجد معه مائة ألف أشرفي ذهبا غوريا، ثمنها لاكيْن ونصف من الأشرفية، وأنه جعل وصيه الأمير جانم الحمزاوي. وادعى عمه ....[٥] المهتار أن المال له فطولب بثبوته فلم [يُثبت] [٦] ذلك. ويقال إنه وديعة للسلطان الغوري عند عمه وأودعه للميت عند سفره للروم، ولما عاد منها طالبه به فأنكره

(١) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة .

(٢) بالأصل: الدفتدار .

(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

(٤) بالأصل: بشحنة .

(٥) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

(٦) إضافة يقتضيها السياق .

عليه. وحرمهم [١] الله التصرف فيه حتى عاد للدولة. ولذلك فليعتبر المُعتبرون. مع أن علياً المهتار استدان بمكة من جماعة نحو عشرة آلاف دينار وتوجّه إلى القاهرة وسعى في عدة وظائف في جدة فوليها ومات [٢] قبل أن يباشرها. وكان طلب بولايتها التستّر بالصرف في المال، فمنعه الله من ذلك، وبهذا يُعرف الله .

وفي يوم الخميس رابع عشر الشهر سافرت بقية القافلة المتوجّهة [٣] للمدينة الشريفة لزيارة النبي ﷺ وكان مقدمها الشريف رميثة ابن السيد محمد بن بركات صاحب مكّة ورفقته القاضي عز الدين الفائز ابن الخطيب فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة وصحبته زوجته أم الحسين ابنة قاضي الشافعية الجمالي أبي السعود بن ظهيرة وولده القاضي شرف الدين محيي بعياله أم الحسين ابنة قاضي الحنفية نور الدين علي ابن الضياء الحنفي وأولاده والعفيف عبد الله بن أحمد الفاكهي والشيخ عزّ الدين عبد العزيز بن علي الزمزمي بعياله والشرفي يحيى ابن الشيخ حاتم المغربي والمحبي محمد ابن الإمام عبد البر الطبري بزوجة والده ابنة الشيخ الأهدل والمعلم حسن بن عمر بن حسين البناء بعياله وأخته، وغيرهم من المعارف، وصار الناس ينجرّون إلى عصر يوم الجمعة ويقال عدة جمالهم نحو ثمانمائة جمل .

شهر شعبان المكرم استهل ناقصا بالسبت
من سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٩م)

وفي ظهر الإثنين ثالث الشهر صلّى بالناس إماماً الزيني عبد الحق ابن الإمام أبي الخير الطبري الشافعي نيابة عن أبيه في مقام الخليل بعد إذن الشافعي المحبي بن ظهيرة

(١) بالأصل: وأحرمهم .
(٢) كلمة تكررت بالأصل .
(٣) بالأصل: المتوجّه .

ناظر المسجد الحرام، على العادة، وعمره نحو عشرين سنة .

وفي ليلة الجمعة سابع الشهر وصل لمكة نائبها السيد الشريف أبو[١] نمي محمد ابن بركات الحسني وأمر بعمارة صدر حوش دار السعادة مسكنه مع أبيه من قبله مقعدا تركيا بمبيتٍ فيه، سفلُه خمسة مخازن وعلوه مبيت ومرافق متصلة بسكن حرسه على قاعدة أمراء الديار المصرية. وتقدم عليها صهره الشريف عرار بن عجل النموي الحسني يقال بطلب منه في ذلك. وتدرك بفراغه في شهر رمضان. وعاد الشريف أبو[٢] نمي إلى فريقه بعد زيارة أبيه وجدّه بالمعلاة في آخر يوم تاريخه .

وفي صبح يوم السبت ثاني تاريخه شرع العمال في هدم البناء القديم وجمع الشريف عرار ما يمكنه من المعلمين كالبُناة والنجارين والدهانين وأخبرهم بعمارة المحل وصرف[٣] على بعضهم وحضّهم على العمل بهمة وعزم شديد بحيث اهتموا له كعادة عمائره، واستمروا على ذلك حتى [١١١ أ] بُنِيَ غالب المقعد والمبيت في شهر تاريخه وما فتر عمله إلاّ عند وصول الشريف أبي نمي لمكة في شهر رمضان، وأمر المعلمين بشغل نصف نهار، وتأخّر السقف لأجل دهانه إلى شوال .

وفي عصر تاريخه ثامن الشهر المذكور مات فجأة الشيخ المجذوب العالم الأديب جمال الدين محمد ابن شيخنا العلامة مفتي المسلمين مجد الدين إسماعيل بن أبي يزيد المكي الشافعي الشهير والده بابن بنت غناء. وكان في البستان جهة المعلاة المعروف بثاني وهو طيب مع جماعة من التجار وصلّى بهم الظهر ونام فخرجت روحه فجأة. فجهّز في وقته ودفن قبل الغروب على قبر أبيه بالمعلاة بالقرب من الشيخ علي الشولي، رحمه الله تعالى وإيانا. وخلّف ولده إبراهيم، واختلف الناس في صلاحه ومنهم مَن يذكر له كرامات.

(١) بالأصل: أبي .
(٢) بالأصل: أبي .
(٣) بالأصل: وأصرف .

وفي عصر يوم الإثنين عاشر الشهر ماتت .... [١] زوجة الشيخ محمد بن عطية ابن ظهيرة المعروف بالتركماني أم ولده .... [٢] فجهّزت في يومها وصلّي عليها بعد العصر عند باب الكعبة ودفنت عند الغروب بالمعلاة. رحمها [٣] الله وأمواتنا وجميع المسلمين .

وفي ظهر يوم الجمعة رابع الشهر وصلت لمكة قافلة المدينة الشريفة وفيها غالب مَن توجّه فيها من مكّة ما عدا القاضي عز الدين فائز بن ظهيرة وعياله فإنهم نووا المجاورة، وتأخرت القافلة لحر الوقت وكثرتهم، تقبّل الله زيارتهم .

وفي عشاء ليلة الأربعاء ثاني عشر الشهر ماتت السيدة الكبرى أم الحسين ابنة قاضي القضاة المحبي أحمد ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات محمد بن ظهيرة القرشي الشافعي وعمرها نحو ثمانين سنة، فجهّزت في ليلتها وصُلّي عليها صبح تاريخه عند الحجر الأسود، كعادة بني ظهيرة سلفها، ودفنت بالمعلاة على أبيها، رحمها الله تعالى وإيانا .

وخلّفت ابنتها سعادة وأوصت لها ولزوجها القاضي سعد الدين ابن الشيخ خير الدين بن أبي الخير بن ظهيرة قريبها بجميع مخلفها بل أجرته الأوقاف التي تتعلق بها من غير أحد، غرض حرمان لابن عمها زكي الدين محمد ابن القاضي شرف الدين أبي القاسم الرافعي الشهير بابن ظهيرة. وعمل لها ربعة بالمعلاة وختم يوم ثالثها، رحمها الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين .

واتفق في جمعة تاريخه أنّ ابن عمها زكي الدين بن ظهيرة طلق زوجته فاطمة ابنة العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٣) بالأصل: رحمه .

المالكي الأنصاري المكي بعد مقابحة لأبيها وعمها سفهًا، لكونهما يحجرانه عن... [١] فإنه لا يرتضى، وانحصر لذلك وأراد أن يملك نفسه ويفعله، فأبرئ من مهرها وكُتب عليه دين بما استدانه من أبيها وعمّها وكانت خيرة الله في ذلك. فإنه بعد هذا الفعل عاشر الأحداث وساء في جميع التصرفات، وآجر وقف نخيل بوادي أرض خالد العصامية بألف دينار منها ستمائة أشرفي حاسب بها من ديْن أبي المكارم بن محمد ابن المكارم أخيه وكان أعطيَ فيها نحو ألفين، فلما سُمع وعُلم سفهه انحبس، ولله الأمر .

شهر رمضان المعظم استهل كاملا بالإثنين
من سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٩م)

وفي عشاء ليلة الثلاثاء ولدت الطفلة شمامة المدعوة فاطمة ابنة صاحبنا العلامة قاضي المسلمين [١١١ ب] قوام الدين عبد الله بن أبي الليث محمد ابن الضياء العمري وأمها.... [٢] ابنة .... [٣] خالته كمالية ابنة الشيخ عبد القادر ابن زبرق الشيباني .

وفي صبح يوم الجمعة خامس الشهر وصلت لمكة قافلة المدينة الشريفة فيها الملك إقليم خان أمين المبرة الهندية البهادرية، وكان فرقها على أربابها فيها تفرقة حسنة أعطى أهل الصرر أزيَد من أهل مكّة بقليل وفرق على العامة فحصل لكل نفر من الأحرار والأرقاء الكبار والصغار مبلغ ثلاثة عشر أشرفيا وابتهجوا بها وانتفع الأكابر بمعظمها وانكسر خاطر عوام مكّة لكونهم في أشرف الأماكن الثلاثة ولم

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

يفرق عليهم حصتهم من المبرة الهندية وذلك لسوء تدبير أمينها وخلطوها.

وأقام الناظر بمكة نحو ثلاثة أيام ثم توجّه لجدة وكان أمينها الخواجا خليل توجّه من عسفان إليها وصحبته الشيخ أبو زرعة شاهدها. وتحدث الناس أنه ما توجّه إليها إلاّ بضبط استحقاق أهل مكّة ويأتيهم به على خاتمة شهر رمضان. فلم يصح ذلك، وانطلقت ألسنة الناس فيه بالسب والدعاء عليه. فقدّر الله تعالى أنّ بعض عبيده خالفه في أمره فأراد يضربه فسطا فيه، قتله [1] بخنجر في وسطه وجرحه أربع جراحات مثخنة يقال إنها في رأسه ويده وجانبه وعالج فيها شدة حتى خيف عليه الفوات.

ثم إنه تنبّه لنفسه وأفرد من ماله مبلغ ثلاثمائة أشرفي وقيل خمسمائة، وعيّنها بأسماء جماعة من أرباب الوظائف والفقراء كل شخص خمسة أشرفية إلى اثنين وواحد، وأرسل بقائمه لمكة مع صرّ في المبرة الهندية وفرقها على من عُيّنتْ له في آخر شهر رمضان ووقع لها موقع [2]، وكنتُ ممن عيّن له ثلاثة أشرفية. ولو كان قبض العامة في هذا الوقت كان حصل منها نفع كبير، لكن الأمر لله .

وفي مغرب ليلة السبت سادس الشهر ماتت سُتيتة ابنة السراجي عمر بن أحمد الريمي المكي زوجة المحيوي عبد القادر بن عبد الله وكيل الشرع الغائب في عام تاريخه في جهة الروم، وترك عندها ولدين وولداً من غيرها مع عبد وجارية، فأوصت ضحوة يوم الجمعة أمس تاريخه بجميع ما في منزلها لزوجها ما عدا بعض حلية لها. وكان ذلك بحضرتي مع شقيقي محيي الدين عبد القادر ووالدها لكوننا من أقاربها. فجهّزها وكيل زوجها بأمر مخدومه قاضي القضاة المالكي الشرفي أبي القاسم الأنصاري في ليلة تاريخه، وصلّي عليها بعد صلاة الصبح، ودفنت بالمعلاة على أمها

(١) كذا وردت الجملة بالأصل .

(٢) بالأصل: موقعا .

عند الدرب، رحمها الله وإيانا .

وفي ضحى يوم الأحد تاريخه وصل لمكة الخواجا أبو البقاء السكري من جدة وتوجّه للشريف في ساعته من أجل شكوى جاره الخواجا ناصر الدين الخانكي بسبب الفتنة التي أثارها بجدة من جهة هدم المسجد الحادث بجانب منزله، التي كانت لقاضي القضاة الكمالي أبي البركات بن ظهيرة، وله فيها طهارات وسط المسجد وأراد السكري إزالتها لكونه مشتري الدار، منع الخانكي منه وشكاه للشريف فمنعه من التعرض فتعصب له جماعة من الأروام وأرادوا وقوع فتنة مع جماعة الشريف فاغتاظ لذلك وتهدده لما قدم عليه وكذا خصمه، وهما ألد الخصام، مع معاندة الحكام، لكن الخانكي يضعف عنه في المكر والخداع. ثم عُملتْ مصلحتهما [١١٢ أ] وأصلح الشريف بينهما، وفّق الله الأحوال وسددها .

وفي آخر يوم الأحد سابع عشر الشهر وُلد إسماعيل ابن المعلم حسن بن عمر البناء الشهير بابن بنت الجبرتيه، وأمه خديجة ابنة شيخنا العلامة إسماعيل بن أبي يزيد الشهير بابن بنت غناء. وكان تزوجها سرا عن امرأته أم أولاده فعلمتْ به فناكدته مدة ثم سكنت وصار يتوجّه إليها جهارا وهي أحسن من الأولى لأصلها من جهة أبيها، وسَمّى باسم جده منها .

وفي نصف الشهر تمت عمارة المقعد والمبيت الذي أحدثه أمير مكّة السيد الشريف أبو [1] نمي الحسني بمنزله المعروف بدار السعادة ما عدا سقفها تأخر لدهانه، واستمر الشريف ومعه غالب جماعته وهو ملازم على صلاة الصبح والمغرب والعشاء جماعة في المسجد الحرام، وأفطر عنده قاضي القضاة الشافعي ليلتي العشر الأول والثاني، وبلغني أنه عمل له سحوراً في بعض الليالي .

(١) بالأصل: أبي .

وفي العشر الأخير من الشهر تزوج الشريف أبو[1] نمي بامرأة .... [2] اسمها قمر دخل بها وكان معه الشريفة فاطمة ابنة بساط بن عنقا و....[3] ابنة عمه قايتباي بن محمد الحسنيان و.... [4] ابنة خاله الحسنية عقد بها و لم يدخل عليها وهي .... [5] ابنة عرار بن عجل الحسني. ويقال إن ابنة عمه قايتباي فارقها لخصامها له مع أخوالها .

وفي يوم وصولها إليه من البر في شهر تاريخه جاءه الخبر بمكة أنّ الأمير خير الدين الرومي قتل الأمير سلمان القبطان في البحر كان وأمير زبيد الآن في جزيرة [المحاملة] [6] باليمن، يقال بمرسوم خنكاري في خامس عشريْ شعبان، وأن جماعة سلمان تعصبوا لأجله وحاربوا خير الدين بعد دخوله لزبيد فقتلوه خارجها في خامس رمضان. ثم اختلف العسكر وقاتلوا بعضهم بعضا منهم ابن أخت سلمان مصطفى بن بيرم ومملوكه صفر [7] وغيرهم من الأعيان ونهبوا مال الخنكار الذي عندهم، ويقال نحو سبعة لكوك ذهباً مما لا أتحققه فإنه وصل إلينا خبره مفرقا. وسُر الشريف بقتل سلمان لكونه أراد خراب بلاده، وحماها الله تعالى منه .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشريْ الشهر توجّه الشريف أبو نمي لجهة وادي مَر لأجل العيد في وادي الدكناء فإن فريقه نزل فيه، ورافقه غالب جماعته من الشرفاء .

---

(١) بالأصل: أبي .
(٢) سقطت أسماء النسوة من الأصل وبقي مكانها بياضا .
(٣) سقطت أسماء النسوة من الأصل وبقي مكانها بياضا .
(٤) سقطت أسماء النسوة من الأصل وبقي مكانها بياضا .
(٥) سقطت أسماء النسوة من الأصل وبقي مكانها بياضا .
(٦) لم يذكر المؤلف اسم الجزيرة، وقد ذكرها النهروالي في البرق اليماني ص ٥٣ قائلا: " في موضع اسمه جزيرة المحاملة " .
(٧) وردت بالأصل: " سفر " والإصلاح من البرق اليماني وهو صفر الخوجة مملوك مصطفى بيرم، انظر أخباره المتفرقة التي أوردها النهروالي في البرق اليماني ص٥٣-٨٤ .

وفي ضحى ثاني تاريخه ولد محمد بن عبد الباسط بن المحبي محمد ابن شيخنا العلامة زين الدين أيوب الأزهري الشافعي وأمه ابنة العلامة مفتي مكّة شهاب الدين أحمد بن محمد النشيلي وهنيء به لكونه لم يظهر له ذكر غيره، فالله يُحييه له وينفع به.... [1] .

وفي يوم تاريخه ماتت أبرك السنين عتيقة أم الخير زوج الشيخ شمس الدين السخاوي وجهّزت في يومها ودفنتْ في المعلاة عند سيدتها بتربة سلفنا بفم شعب النور وهي آخر جواريها[2]، وكانت أوقفت عليها حاصلا في البرحة المجاورة لحمام النبي ﷺ بسوق الليل مدة حياتها وبعدها يعود لجهة الوقف فصار إليه بشرطها. كما فعلت ذلك في جاريتها زيلعة المفقودة في جهة مصر من مدة ست سنين .

وفي أواخر الشهر تجرأ بعض الحرامية على فتح باب خان عرار بن عجل الصائر لأولاده منهم الشريف من جهة السويقة وأخذ منه عدة رزق من دكاكين الحطابين المقيمين فيه وسط السنة [١١٢ ب] فاتهموا جماعة من سكان الخان، ورفعوا أمرهم للحاكم القائد مرشد بن مفتاح الحريري الحسني، فعارضهم الشريف عرار وسبّهم وانصرفوا من عنده وهم كاظمون ودعوا الله بفتك غريمهم فاستجاب الله دعاءهم في خواتيم شهر الصوم حتى ظهرت في الشهر الآتي .

وفي ليلة الجمعة سابع عشريْ الشهر مات الشيخ المبارك المعتقد زين الدين خضر ابن الشيخ سعيد بن صالح اليمني الأصل نزيل مكّة وصلّي عليه صبح تاريخه عند باب الكعبة ودفن بالشبيكة على قبر أبيه. وكان عارفا بالأسماء السيمياوية[3] وينتفع الناس به في كل قضية، رحمه الله تعالى ونفع ....[4].

---

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بالأصل: جوارها .
(٣) انظر عن هذا العلم ما كتبه حاجي خليفة في كشف الظنون ١ : ٦٥٠ – ٦٥١ .
(٤) سقط الجار والمجرور من الأصل .

وفي عصر يوم الإثنين تاسع عشريْ الشهر تحدث الناس برؤية هلال شوال فطلع لرؤيته على جبل أبي قبيس كعادته قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة القرشي ومعه جماعة من الأعيان الفقهاء والشهود وغيرهم. فصلّى بهم صلاة المغرب علوه فرأوا الهلال حينئذ فأعلنوا بالتكبير ونزلوا أمام القاضي على هيئة جميلة مبهجة ولاقاه بقية القضاة والأعيان من جهة الصفا وتوجّهوا معه إلى منزله وأفطروا عنده من سماط حسن عمله على عادة سلفه .

شهر شوال المبارك استهل ناقصا بالثلاثاء

من سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٩م)

وفي صبحه صلّى أهل مكّة العيد بالمسجد الحرام كعادتهم وخطب بهم المحيوي العراقي خطبة طويلة تأنّق فيها و لم يرتضها كثير من الناس لطولها وعدم أنسه، [فإنه مسلوب الأنس متكلف] (١).

وفي ليلة تاريخها مات الخواجا محب الله العجمي أخو (٢) الخواجا زين الدين الناظر بجدة كان، فجهّز في ليلته وصلّي عليه بعد صلاة العيد عند باب الكعبة قبل الخطبة وشيّعه جماعة من الأعيان لباب السلام وعادوا، وتوجّه معه خلق من الأعاجم [ثم بُنيت (٣) عليه قبة، وهي تحت قُبب أمراء جدة] (٤) .

وفي مغرب ليلة الثلاثاء ثامن الشهر ماتت المرأة الجليلة المعمّرة كمالية ابنة الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد الحرازي المكي الحنفي والدة إماميْ الشافعية الزيني عبد المعطي والشرفي يحيى الطبريان. وكانت مريضة نحو سنتين، فجهّزت في ليلتها

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٢) بالأصل: أخي .
(٣) بالأصل: بني .
(٤) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

وصلّي عليها عقب صلاة الصبح وشيّعها خلق من الفقهاء وغيرهم ودفنت في المعلاة في تربة سلفها عند بني ظهيرة وبيت النويري .

وخلّفت لولديها أثاث بيتها من نحاس وصيني وغير ذلك وبعض نقد. وكانت على طريقة السلف الماضي في طرح الكلفة والحرص على حفظ متاعها، وعمرها نحو سبعين سنة. وعمل لها ربعة وختم في صبح يوم الجمعة بواسطة أخواتها وأولادها، رحمها الله تعالى وعوضهم خيراً .

وفي يوم تاريخه وصل لمكة الخبر بوصول جلبة لجدة من الطور فيها الخواجا أحمد بن أبي بكر السكندراني وأخبر بوصول قاصد صاحب مكّة من الروم القائد شهاب الدين أحمد بن نصر الحسني إلى بندر الطور لأجل شحنة جلبتهم (١) فيها على عادة القصاد في مسامحة عشورها له ومعه مراسيم خنكارية وبلغة لمرسله السيد الشريف أبي نمي واستمراره على وظيفته وقبول هديته. وأن معه عدة مراسيم بتولية قاضي الحنفية أبي السرور ابن الضياء عوض بديع الزمان في قضاء مكّة وتولية قاضي المالكية بها الشرفي أبي القاسم الأنصاري عوض التاجي تاج الدين بن يعقوب وتولية الخطيب عبد الرحمن النويري لثلثي الخطابة بالمسجد [١١٣ أ] الحرام عوض المحيوي العراقي وكان بيده الثلث منها فتم له جميعها، وتواتر الخبر بذلك.

وفي ليلة الإثنين رابع عشر توجّه قاضي القضاة أبو (٢) القاسم المالكي بعياله لوادي هدة بني جابر مع سماعه بخبر ولايته ولكنه لم يحققها .

وفي صبح يوم الخميس سابع عشر الشهر وصل لمكة قاصد من ينبع وأخبر أنه فارق القاصد أحمد بن نصر منها ومعه أوراق فيها خبر ولاية القضاة والخطيب عبد الرحمن، فتجرّأ خصمه العراقي على الخطبة يوم الجمعة ثاني تاريخه مع أن القاصد

(١) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة .
(٢) بالأصل: أبي .

وقف على أرباب الوظائف وأخبرهم بذلك وأخذ منهم بشارته، وأنكر الناس مباشرته الخطبة خفية و لم يواجهوه، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله .

وفي صبح يوم الخميس المذكور مات الشيخ الأصيل شرف الدين إسماعيل ابن محمد بن إبراهيم العراقي المكي بعد توعكه مدة بحصر البول، فجهّز في يومه وصلّي عليه عصر تاريخه وشيّعه جماعة ودفن بالمعلاة عند تربة سلفه قريب الدرب، وحزن الناس عليه لضعفه خصوصا بعد إخراج نظر البيمارستان المكي عنه في العام الخالي. وبه انقرض بيت العراقي نُظّار البيمارستان من الرجال، وكان عمره نحو سبعين سنة.

وخلف زوجته .... [1] ابنة السيرجي لأنه تزوج بها في عام تاريخه ويقال إنها حاملة منه و لم يصح. ونزل بالتحدث على رباط البانياسي في الصفا للقاضي أبي البقاء بن ظهيرة القرشي وغير ذلك من جهاته، وجعله وصيّه، و لم يخلّفْ كبير أمر بل بلغني أنّ تركته بيعتْ بنحو عشرين دينارا وأنّ دينه نحو خمسين أشرفيا، سامحه الله تعالى وعفا عنه .

وفي ليلة الأحد عشريْ الشهر وصلت لمكة قافلة المدينة الشريفة وفيها القاضي عز الدين الفائز بن ظهيرة بعياله والشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار والعفيف الفاكهي وجماعة، وهنّأهم الناس بها .

وفي يوم تاريخه مات السيد المعمّر عفيف الدين عبد الله بن عبد اللطيف بن أبي السرور الحسني الفاسي، فجهّز في يومه وصلّي عليه ضحى عند باب الكعبة، ودفن بالمعلاة في تربة سلفه بشعب النور، و لم يخلف ذرية بل انقرض به أهل بيته من الرجال ما عدا النساء. وكان عمره نحو سبعين سنة وهو ممتع بحواسه مع ضعف بدنه وقلة ما بيده، رحمه الله تعالى وإيانا .

وفي يوم الإثنين حادي عشريْ الشهر ظهرت السرقة التي أخِذتْ من خان

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

عجل بالمسعى في أواخر شهر رمضان مع شخص مغربي كان باع بعض الرزق بجدة وجاء بأحدها شخص ليبيعها بمكة فعرفه فدلّه على المغربي الذي اشتراه منه، فمسكه وتوجّه به للحاكم فقرره فأقر بجميعها وأحضرها، ولله الحمد .

وفي يوم تاريخه وصل لمكة الوجيهي عبد الرحمن ابن الشيخ العلامة نور الدين علي بن ناصر المكي وكان توجّه إلى الروم صحبة القائد أحمد بن نصر وعاد معه إلى وادي مر وفارقه فيها، فهنأه الناس بسلامته وأخبر أنه تولى نظر أوقاف المدرسة الأشرفية القايتبائية مع مشدّيتها بمكة. ويقال إن النظر لأخيه العفيف عبد الله وإنه تقرر في صرة أخيه قاضي جدة كان شهاب الدين أحمد المتوفى بالروم في العام الخالي وقدرها أربعون دينارا ذهبا وأخبر أنّ المحيوي عبد القادر بن علي المزين تولى مشيخة رباط الأشرف قايتباي بمكة ونظر أوقاف [١١٣ ب] المقرّ الزيني ابن مزهر بالمروة وتوجّه هو للشام برًّا ليعود مع الحجاج. وأن قاضي الحنفية بالمدينة الشريفة خضر الرومي أعيد إليها لقضائها عوض القاضي أبي الفوز الخُجُنْدي وأن القاضي أبا[1] الفتح بن صلاح الدين ابن صالح تولى الإمامة والخطابة بالمدينة الشريفة عوض الخطيب زين الدين عبد الحق بن القطان لموته في الروم سنة تاريخه عقب ولايتها عن قاضيها الشافعي السيد عبد الله السمهودي مع أن أخاه السيد جمال الدين محمد مقيم بالروم ليتعقّبه في عود الوظائف لأخيه، وقد وُعِد بها بعد خروج خصمه .

وتعجّب الناس من ولاية الأروام لهذه الوظائف وعزل أربابها بسرعة مع أنّ صاحب مكّة السيد أبا [2] نمي أمر قاصده بالسعي لقاضي مكّة الشافعي المحبي بن ظهيرة في قضاء جدة وعودها له وعزل المتولّي عوضه فيها [قاضي][3] الحنفية بمكة بديع الزمان ابن الضياء فلم يُجَب لذلك. ويقال إن المتولي لها أرسل لقاضي العسكر

(١) بالأصل: أبي .
(٢) بالأصل: أبي .
(٣) كلمة سقطت من الأصل، أضفناها لأن المعنى يتم بها .

الناظوي [1] بهدية في عام تاريخه ووعده بإرسال مبلغ في كل عام يقال قدره ألف دينار. والله أعلم بحقيقة ذلك . والغالب على أهل الروم الطمع في أرباب الوظائف لما رأوه من تكالبهم [2] على السعي فيها. فالله تعالى يلطف بالمسلمين ويولي عليهم خيارهم .

وفي ضحى يوم الثلاثاء ثاني تاريخه وصل لمكة قاضي القضاة المالكي الشرفي أبو القاسم الأنصاري ومعه مرسومان بولايته للقضاء، أحدهما من القائد أحمد بن نصر من الوادي وأخذ عليهما خط السيد الشريف أبي نمي بإجابته على استمراره فيها. وهنأه أهل مكّة بالولاية وتغمّموا للمعزول القاضي تاج الدين بن يعقوب وكذا قاضي الحنفية أبو السرور ابن الضياء والخطيب عبد الرحمن النويري وباشر الخطبة في الجمعة الآتية وصحبته ستة أعلام، أربعة جاء بها [3] من منزله واثنان موضوعان في قبة الفراشين بالمسجد الحرام. وكان أخذ اثنين من خصمه المحيوي العراقي. وبلغني أنه أرسل بهما له إخسارا.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر الشهر وصل لمكة القائد أحمد بن نصر وتوجّه الأعيان للسلام عليه. وعمل له أهله مَدّة في منزله. ونادى الحاكم بزينة أسواق مكّة سبعة أيام، فزُينت زينة خفيفة لم يعْتن الناس بها لاشتغالهم عنها بأحوالهم. فالله تعالى يلطف بالمسلمين .

وفي عصر يوم السبت سادس عشريْ الشهر وصل الخبر لمكة بوصول مراكب لجدة من الطور فيها نائب جدة داود الرومي، أحد الدفاترة بالقاهرة، وكان وصوله لها في آخر يوم الخميس .

وفي عصر يوم الجمعة حلّها ملك التجار السيد علاء الدين الحسيني

(١) كذا بالأصل .
(٢) بالأصل: تكلّبهم .
(٣) بالأصل: بهم .

وصحبتهما جماعة من الحجاج، وتحدث الناس بوصولهما لمكة مع صاحبها الشريف أبي نمي لقراءة المراسيم الخنكارية ولبس الخلع الشريفة في ثاني الشهر. وكانت [1] نية الشريف الوصول إليها قبلهم عند وصول قاصده فتأخر في الوادي لفراغ تسقيف المقعد الجديد بمنزله دار السعادة مع رفرفه وتبييضه، فبُيض وصار نزهة للناظرين، ولله الحمد والمنة .

وفي عصر يوم الثلاثاء تاسع عشريْ الشهر طلع قاضي القضاة الشافعي وناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة على جبل أبي قبيس لرؤية الهلال، على العادة، وصحبته جماعة من الأعيان والفقهاء والشهود والقضاة فصلّى المغرب هناك ولم يره. فكان هذا الشهر تاما، ولله الحمد .

[١١٤ أ] شهر ذي القعدة الحرام استهل كاملا بالخميس من سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٩م)

وفي أوله أصبح بمكة صاحبها الشريف أبو [2] نمي فتوجّه له الأعيان للسلام عليه بقدومه وبالشهر.

وفي ليلة الجمعة ثانيه دخل مكّة نائب جدة داود الرومي رفقة ملك التجار السيد علاء الدين الحسيني ونزل عنده في داره المجاورة لباب العمرة أحد أبواب المسجد الحرام وقصدهما أرباب الوظائف وغيرهم للسلام عليهما. ثم ركبا هما وتوجّها لمنزل السيد الشريف أبي نمي وسلّما عليه وعادا إلى المسجد وجلسا في الحطيم حتى جاءهما الشريف بجماعته والقضاة الأربعة والخلق. وقرئ فيه ثلاثة مراسيم للشريف جاءت مع قاصده القائد أحمد بن نصر الحسني اثنان من الروم

(١) بالأصل: وكان .
(٢) بالأصل: أبي .

خنكاريان وثالث بمضمونهما من نائب القاهرة. وفيها [١] إخبار الشريف بوصول قاصده إلى الأبواب الخنكارية مطالعتهم [٢] وهداياه فقُبلتْ وقوبلتْ بالتعظيم والإكرام، وإخباره أنّ العادة القديمة ضبط التركات ويأخذ الشريف منها ما كان دون ألف دينار وما كان فوقها فهو للسلطنة، وإننا أرسلنا جماعتنا يضبطون ذلك. فيفهم من هذا الطمع في أموال الأموات. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

وبعد فراغ قراءة المراسيم لبس الشريف أبو[٣] نمي خلعة عظيمة على عادته وطاف بها أسبوعا ودعا له الرئيس فوق ظلة زمزم كعادته فتكدر الناس[٤] بما وقع من أساطين المطاف النحاس الموالية لمقام الحنابلة جهة زمزم عند وصول الشريف لتحت الحطيم لأجل سماع المراسيم وازدحام الخلق عند رؤيته. فسقط على جماعة من الرجال والنساء وسلمهم الله ما عدا طفل مراهق عُمُره ثلاث عشرة سنة وهو النجل السعيد الشهيد زين الدين عبد الصمد ابن القاضي فخر الدين أبي بكر ابن قاضي المسلمين نور الدين علي المرشدي الأنصاري الحنفي ففاز بالشهادة في وقته أمام الحجر الأسود، وحُمل إلى منزله فنعاه أهله وجهّز في وقته وصلّي عليه عقب صلاة الجمعة وشيّعه خلق إلى المعلاة، ودفن بتربة سلفه بالشعب الأقصى وحزن الناس عليه كثيرا لشبابه وعقله. فالله تعالى يعظّم لوالديه الأجر ويرزقهما العوض فيه.

وفي عصر يوم تاريخه توجّه الشريف أبو[٥] نمي للسلام على نائب جدة في مسكنه بالمدرسة العينية المجاورة للمسجد الحرام وألبسه خلعة خنكارية قال له إنها خرجت معه قبل وصول قاصده للروم، وقرأ له مراسيم عنده، ثم توجّه بعده بعد قلع

(١) بالأصل: وفيهم .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) بالأصل: أبي .
(٤) بالأصل: النار .
(٥) بالأصل: أبي .

خلعته بمنزله لملك التجار. ويقال إنه ألبسه الآخر خلعة قلعها بباب داره وتوجّه لمنزله وأقام به إلى عصر يوم السبت ثاني تاريخه. ثم توجّه إلى فريقه بالوادي وتخلف بعده القائد الأعظم المدبّر للمملكة زين الدين جوهر المغربي الحبشي لمشترى أماكن بوادي الخضراء طلبها السيد الشريف من جماعته، وتوقف بعضهم في بيعها منهم أولاد القاضي عبد الحق النويري المالكي وزوج ابنة عمهم الخواجا شهاب الدين أحمد الحلبي ودفع لكل منهما نحو ثمانمائة أشرفي وأشهد [١] عليهم. وأما بيت ابن زائد فتوقف كبيرهم الشيخ أبو سعد حتى توجّه له القائد جوهر المغربي إلى منزله فطلب منه أن يشتري له حصة من شريكه الشيخ نور الدين علي بن جوشن في مكان بوادي الخضراء فأجابه إلى ذلك و لم يفصل أمر الباقين من أولاد أخيه [١١٤ ب] لتوقفهم واحتياجهم إلى أماكنهم لأجل غلال الحب فيما يتقوتون به وهم أيتام. وقصد الشريف عمل أصيلة كبيرة لولده الطفل شهاب الدين أحمد، وحظر نقيبه فيها عينها على عرب الأودية، ولله الأمر .

وفي جمعة تاريخه عُمّرت حاشية المطاف بردّ الأساطين النحاس الواقعة على حالها وغيّر منها الطارفة بأسطوانة من حجر أسود، وكذا في الجهة المقابلة لها أمام باب السلام. وكانت الأسطوانتان[٢] فيه قديما وأخرجتا منه في عمارة الأروام عام اثنين وثلاثين وتسعمائة (٩٣٢هـ/١٥٢٦م). وكان المباشر لعمارة ذلك الزيني مصطفى الرومي مشدّ العين والعمائر الخنكارية بمكة المشرفة، أثابه الله تعالى .

وفي ليلة الأربعاء سابع الشهر سافر من مكّة السيد علاء الدين ملك التجار ورفقته نائب جدة الزيني داود الرومي ولاَقاهم بوادي جدة ناظر المعبرة الهندية الملك إقليم خان، وكان قصده التوجّه لمكة لتفرقة أسماء العامة، فتخلف عنه وكيلها

(١) بالأصل: أرشهد .
(٢) بالأصل: الإسطوانتين .

الخواجا خليل القيلاني لفتنة بينهما، فاجتمع الأمين بنائب جدة وملكُ التجار وذكر لهما حاله، فأشارا عليه بالعود صحبتهما لجدة حتى يصلحا بينهما فقدّر الله تعالى ملاقاة الخواجا خليل لهم عند الغار وهو راكب في شقدف فنزل لمواجهتهم فأصلح نائب جدة بينه وبين إقليم خان وعادا جميعا لمكة بعد أن أشيع عودهما لجدة وتضرر أهل مكّة لذلك لتفرقة المبرة عليهم .

وكان وصولهم في ليلة الجمعة تاسع الشهر وسكن كل منهما في منزله وتوجّه الأعيان وأرباب الوظائف للسلام عليهما. ثم إنهم اجتمعوا بعد صلاة الجمعة في منزل الشريف فارس بن شامان الذي هو في رحبة أجياد الكبرى أمام منزل (١) دار السعادة مسكن صاحب مكّة الموضوع فيه قماش الصدقة التي تحت أيديهم لأجل التفرقة على الأسماء العامة .

فشرعوا في تفرقتهم من وقتهم إلى آخر النهار وبدؤوا بالقضاة والفقهاء وجعلوا لكل نفر من الأحرار والأرقاء الكبار والصغار أشرفيين فضة نصفها نقد ونصفها قماش من الكندكي (٢) الأحمر والأسود والتفاصيل للقطن وغير ذلك من المحارم من التفاريق الكاسدة. واستمروا على ذلك عشرة أيام متوالية جميع النهار حتى عموا الفقهاء وأتباعهم وغالب العامة. وجعل لكل نفر من العامة أشرفي واحد والأتباع الفقهاء أشرفي ونصف ولكل قاض - عدد ثلاثين نفراً - ستّون أشرفيا، ويقال: أزيَد من ذلك.

وكان جملة الفقهاء وأتباعهم نحو ثلاثة آلاف نفر، وأربعة على ما يقال. وجملة العامة نحو عشرين ألف نفر، تُرك نصفهم أو أقل من ذلك. وأخذ الشريف أبو نمي صاحب مكّة ثلث المسمى لهم من المال وهو أربعة وعشرون ألف أشرفي قدر ثمانية

(١) بالأصل: منزله .

(٢) الكندكي: ثياب من الصوف المتين، كلمة فارسية، انظر دوزي DOZY : ملحق المعاجم العربية٢: ٤٩٢ .

آلاف. وأخذ القائد جوهر المغربي وغيره من أتباع الشريف، جملة أسماء بمبلغ كبير. واحتمى الوكيل بهم على الضعفاء .

وفي يوم الأحد ثالث يوم التفرقة وهو حادي عشر الشهر شرع الملك إقليم خان في تفرقة مَبَرّة تحت يده ذكر أنها للوزير تاج خان الهندي، يقال إنها ألفا أشرفي كتِبتْ بأسماء القضاة والفقهاء. أخذ الشريف أبو نمي ثلثها وأعطى لكل قاض أربعة وعشرين أشرفيا، ولكل نائب نصفها ولكل خطيب ثلثها ولكل إمام ثلثها، وأعطى لبعض الناس أقل من ذلك بحسب حالهم .

وفي يوم الأحد ثامن عشريْ الشهر تمت تفرقة عامة مكّة على ترتيب حالاتهم. وكانت البدأة بباب السلام مع السويقة والشبيكة والمسفلة وأجياد وجبل أبي قبيس والجزيرة وسوق [١١٥ أ] الليل والمعلاة وشعب عامر والنقعة والقرارة والفلق، وخُتِم به.

ثم إن الأمين والوكيل جمعا الفقراء المجرّدين في منزل بالسويقة ليلة الإثنين ثاني تاريخه وأُعْطِيَ لكل نفر محلق كبير خمسه، وكندكية سوداء أو فنقة (١) مقدار كل واحد أشرفي .

وبعد ذلك سافروا لجدة لإدراك سفر المراكب للهند. وكتب لهم القضاة وأرباب الوظائف محضرا بتفرقتها على أربابها وجُعِل لهم مبلغ على ذلك. وعند الله يجتمع الخصوم. فإن حقيقة الحال نال فيها الغني أكثر من الفقير لقوة الغني وضعف الفقير. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

وفي ليلة الثلاثاء عشريْ الشهر وصل لمكة صاحبها أبو نمي الحسني من الوادي وهو مريض بالحمى، فتوجّه الأعيان للسلام عليه وتحجّب عن كثير منهم. فالله تعالى يعافيه، ومن الأسواء يقيه، فإن الناس آمنون بوجوده مطمئنون في بلاده .

(١) كذا بالأصل .

وفي يوم الخميس ثاني عشريْ الشهر فرّق قاضي القضاة الشافعيّ ناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة مَبَرّة ثانية لصاحب دِلّي بأمر [ملك] (١) الهند التي أرسل بها الشيخ بيسق بن عبد الله بن عمر بن بيسق شيخ الفراشين بالحرم الشريف المكي من الهند، وأنه توجّه لبلاده ودفعها له نقدا، اشترى له قماشا، يقال إنه بيع بجدة على يد قريبه الشيخ نور الدين علي بن أبي الفتح بن بيسق بأمر قاضي القضاة الشافعي، ما جمْلتُه عشرة آلاف، نصفها لأهل مكّة ونصفها لأهل المدينة الشريفة. أخذ الشريف النصف من تعلّق أهل مكّة، وهو ألفان وخمسمائة، زائد عن عادته القديمة وهو الثلث. وفرّق الشافعي النصف الثاني نقدا أو قماشا من البيت (٢) والكندكي المندلي(٣) وغير ذلك. فأعْطِيَ لكل قاض أربعون أشرفيا وللنواب نصفها، وللخطباء وفاتح الكعبة قريب من ثلثيها ولغالب الأئمة أزْيَد من ثلثها ولي تسعة أشرفية وللأخ ستة وباقي الناس دون ذلك على مراتبهم. وسخط غالب الناس فيها لاختلاف القواعد في النسمة، واعتذر القاضي بكثرة الناس وتطلع كل واحد إليها. والله أعلم بحقيقتها .

وفي ليلة السبت رابع عشريْ الشهر وصل لمكة علاء الدين ملك التجار من جدة وتوجّه الأعيان للسلام عليه. كتب الله سلامته وجميع المسلمين .

وفي صبح يوم الأحد خامس عشريْ الشهر شُمّرتْ ثياب الكعبة الشريفة على عادتها القديمة، ويُقال إحرامها .

وفي يرم تاريخه فرق القاضي الشافعي مبرّتين على الفقهاء إحداهما (٤) وصية المرحوم الخواجا محب الدين العجمي أخي الخواجا زين الدين الناظر بجدة كان.

(١) كلمة سقطت من الأصل، أضفناها لتمام المعنى .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) المندلي: نسبة إلى مندل: من بلاد الهند اشتهرت بالعطر النفيس. ياقوت: معجم البلدان٥: ٢٠٩.
(٤) بالأصل: أحدهما .

قُبِضتْ من أخيه خمسمائة أشرفي، وثانيتهما(١) قدم بها بحرا شخص رومي يقال له يونس السنابيكي الرومي وقدرها خمسمائة أشرفي، فُرّقتْ بمنزل الشافعي. فأعطى لكل قاض سبعة أشرفية والنّواب نصفها وللأئمة ثُلثُها، ولي من الجهتين ثلاثة أشرفية ولأخي اثنان. وسخط الناس في تفرقتها، فإن القاعدة لكل قاض من الألف عشرين وللنواب نصفها. واعتذر المفرّق، قاضي الشافعية، بكثرة الناس وسؤالهم في كتابته وهو معذور فيهم .

وفي ليلة تاريخه وصل لمكة ملك التجار السيد علاء الدين الحسني فذهب الأعيان للسلام عليه(٢).

[١١٥ ب] وفي ليلة الإثنين سادس عشريْ الشهر وصل لمكة من البحر أمير الصعيد داود بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يوسف بن عمر الهواري وصحْبته جماعة من أقاربه وزوجتان له إحداهما(٣) ابنة عمه الأمير علي بن منصور بن يونس ابن عمر وأخوها منصور وهم في محمل زائد. وسكن بالسويقة الشامية وأخذ زوجته في بيت الشيبي وتوجّه القضاة للسلام عليه في منزله وبالمسجد الحرام فلم يروا منه القيام والإكرام، فتوقف كثير من الناس من التوجّه إليه. وأراد هو التوجّه لصاحب مكّة الشريف أبي نمي لتوعّكه وأرسل إليه يخبره بذلك. ثم طرأ له عدم التوجّه إليه أخْذًا من جماعته [لإطلاق] (٤) لسانهم في صاحب مكّة لعدم التفاته إليهم. فبلغ جماعة الشريف ذلك فأرسل له هدية من الكباش خمسين وقماشا وغير ذلك. فأرسل له عوضها خيولاً وتُحَفا كان أعدّها لهم .

وكتب أسماء أرباب الوظائف وغيرهم من الفقهاء والمستحقّين في قائمة على

(١) بالأصل: ثانيهما .
(٢) قارن هذا الخبر بالذي ورد قبل هذا بفقرتين، فهو تكرار لنفس الخبر .
(٣) بالأصل: أحدهما .
(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل، لعل صوابها ما وضعناه بين عاقفتين .

أن يعطي كل واحد ويْبة قمح، ووصل معه عدّة جلاب فيها قمح وغيره، بل فرّق دراهم (١) على أرباب الوظائف من القضاة والأئمة والخطباء وأرباب الشعائر بالمسجد الحرام – يقال نحو ألف دينار – وعلى الفقراء المجرّدين مثلها. وما وَجَد مَن يشير عليه بتفرقتها، فإنها كانت تعمّ غالب أهل مكّة. وكان ملازما له المحيوي عبد القادر بن عمر الحضرمي الخراز لكونه رافَقَه من مدة. وتوجّه صحبة ولده بهديته إلى الروم. ونال الخير بسببه، ثم أنه سافر لبلده صحبة الركب المصري .

وفي ليلة تاريخ وصول صاحب الصعيد دخل مكّة الأمير شرف الدين يحيى الحمزاوي، أخو(٢) أمين الديار المصرية الأمير جانم الحمزاوي، وصحبته جماعة من أتباعه، فارقوا الحاج من وادي ينبع وأخبروا بتأخّرهم عن وقتهم في دخولهم إليه، وكان في عشريْ الشهر. وأن الحاج حصلت (٣) له مشقة في الطريق من الحر والعطش ورجع بعضهم من عجرود. وبيعت قربة الماء في تيه بني إسرائيل بدينار ذهب سلطاني، مع وجود الرخاء في القوت وعليف الدواب.

وفي ليلة الخميس سادس عشريْ الشهر وصل لمكة ابن أخت الباشا سليمان الخصي نائب الديار المصرية واسمه الكيواد(٤)– يعني النجم – وطاف وسعى وسكن في القصر علو باب إبراهيم – أحد أبواب المسجد الحرام – وقصده الأعيان في صباحها للسلام عليه .

وفي ظهر تاريخه دفع الحاج وخرج الناس: الشريف أبو القاسم ابن السيد بركات الحسني شقيق صاحب مكّة السيد أبي نمي والقاضي الشافعي المحبي بن ظهيرة وجماعة من الأعيان لملاقاة أمير الحاج من العمرة، فلاقوه بها وفات القاضي الشافعي

(١) بالأصل: دراهما .
(٢) بالأصل: أخي .
(٣) بالأصل: حصل .
(٤) لم نجد ترجمة لهذه الشخصية المذكورة .

طلوع جبل أبي قبيس لرؤية الهلال وأمر الشهود بالطلوع إليه، فطلعوا ولم يروا الهلال. وتحدث الناس ولم يثبت ذلك، بل شائع يتفوهون به على الألسنة .

وفي عشاء ليلة الجمعة سلخ الشهر دخل مكّة أمير المحمل المصري مِشَدّ الشون تنم الجاركسي الأشرفي وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر.

وفي صباح تاريخه عرض له السيد أبو القاسم أخو(١) صاحب مكّة السيد أبي نمي – لتوعّك أخيه – بعسكر كبير من الخيل والرجل وصحبته القاضي الشافعي ونائب جدة داود الرومي والسيد [١١٦ أ] علاء الدين ملك التجار وأمير الصعيد داود بن عمر الهواري. وألبس الشريف أبا (٢) القاسم خلعة أخيه بلا طبق على رأسه، ووصلوا معه إلى درب المعلاة، ونزل أمير الحاج هناك كالسنة التي قبلها. ودخل الحاج جميعه إلى البلد ولم يمنعوا من ذلك. ويُقال إن أمير الحاج هو السبب فيه، وما عُلِم حقيقة حاله والله أعلم بها .

شهر ذي الحجة الحرام استهل كاملا بالسبت
من سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٩م)

وفي صباحها فرّق أمير الحاج المصري مال الذخيرة الشريفة على المستحقين بمنزله عند درب المعلاة بمباشرة ولده ومباشرة القاضي بدر الدين الجزيلي (٣) الحنبلي والقاضي كريم الدين بن إسرائيل. وكان القبض هنيًّا، ثم بعده فُرّقتْ أوقاف مصر من القضاة الحنفي والمالكي والحنبلي وأرسل وقف الشافعي من الحكمي والمستجد

(١) بالأصل: أخي .
(٢) بالأصل: أبي .
(٣) كذا بالأصل، ولعله خطأ من الناسخ صوابه: الجزيري، وهو والد المؤرخ عبد القادر الجزيري الحنبلي صاحب كتاب الدرر الفرائد المنظمة، وقد كان محمد الجزيري والده من كبار موظفي ركب الحاج المصري. انظر مقدمة كتاب الدرر الفرائد .

على عادته إلى قبض البرج والغازية من جهة الشام. فلا قوة إلاّ بالله. وأما بقية الأوقاف فضعُفتْ وآلت إلى الانقراض من مصر. فالله تعالى ينتقم من نظارها .

ووصل وقف حويداج [١] الناظر من جهة الأشرف قايتباي كاملا من الوظائف والمبرة مع .... [٢] أمير الحاج الشيخ شمس الدين السمديسي الحنفي [٣]، وهو جاري وساكن في منزلي. وهو شاهد عند قاضي المحمل كعادته .

وطلع في هذه السنة قاضي المحمل القاضي الأصيل زين الدين زكريا بن محمد ابن شيخنا زكريا الأنصاري الشافعي وهو ساكن لطيف، ويُقال إن حوائجه سُرقت في الطريق مع خلعته فلذلك لم يختلع عند دخول مكّة أمام المحمل كعادته. وتوجّه الأعيان للسلام عليه .

وفي يوم الأحد ثاني الشهر شرع أمين جدة الزيني داود الرومي واليازجي عيدي جلبي في تفرقة المبَرة الرومية الخنذكارية العثمانية أمام منزل نائب جدة المذكور بالمدرسة في منزل الشيخ عبد الله الشيبي علو رباط أم هاني ابنة أبي طالب المطلّ على المسجد الحرام في الجهة اليمانية. وأعطى أهل الصُرَر من مال الخزانة. وحضر ذلك القضاة الأربعة وبعض الأعيان وغيرهم من الأتباع. وجلس نائب جدة واليازجي على دكة مرتفعة عنهم في شبّاك مُطِلّ على المسجد الحرام وبقية الناس فيه، وكان في المجلس عدة صيارف يعدّون ويزنون الدراهم الفضة عن كل أشرفي سلطاني خمسة وثلاثون، ويضعون كل عشرة وحدها فمن طلع اسمه في الدفتر يطلبونه بالنداء له فإن كان في المسجد طلع لهم فيسألونه عن عدة صرته فإن وافق ما عندهم أعطوها

(١) كذا ورد الاسم بالأصل، ولم نقف له على تعريف .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) هو محمد بن النقيب السمديسي، تولى قضاء الحنفية بمصر، ثم تولى قضاء المحمل المصري. انظر أخباره في الجزأين الرابع والخامس من كتاب بدائع الزهور لابن إياس (الفهارس) وخاصة الجزء الخامس صفحة ٤٧٧ .

له وإن تكررتْ منعوه منها. واتفق ذلك لبعض أهل [البلد] [١] وأما الأروام فتتكرر صُرَرهم كثيرا فلا يمنعونهم لشفقتهم عليهم. والمستعان بالله تعالى .

واستمرت التفرقة ثلاثة أيام متوالية فقُسِّم في اليوم الأول مال الخزانة، وفي ثانيه الأوقاف، وفي ثالثه معلوم الربعات والمرتبات. ثم تُركت تفرقة البيوت وأهل الأربطة والعامة، وقال لهم نائب جدة: إلى بعد الحج حتى يحرّر ما تكرر منها. فلازمه العوام واشتكوا حاجتهم لفَلسهم وعدم مدخولهم. ففرّق عليهم بعض الأسماء في يوم الخميس سادس الشهر، ومن بعد عصر الجمعة إلى المغرب مع يُبْسِه عليهم، فالتجؤوا إلى الله بالدعاء عليه. فقدّر الله تعالى أن ابتلاه بوجع عينه في بداية التفرقة، ثم ماتت موطوءة له تركية في يوم الثلاثاء رابع الشهر [١١٦ب]، ثم تحركت عليه دموية في ليلة السبت ثامن الشهر، وكان شيّع عياله لأرض عرفة للحج واغتسل هو من بئر زمزم بعد العشاء وتوجّه لمنزله على نية التوجّه لعياله فحصل له صداع في رأسه ولزم الوسادة، فطلب مَن يفصده وأرسل إليه فلم يَجِئْه الرسول إلاّ وطلعت روحه من ساعته .

فجهّز في ليلته وصلّي عليه صبح يومه عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من أرباب الوظائف وغيرهم من الأروام. وضجّ الناس بالتهليل والتكبير، واعتبَر لموته الكبير والصغير. فكانت رؤية جنازته عِبْرة لمن اعتبر. وانجبَر بها خاطر كل من انكسر. فسبحان الله الفعّال لما يشاء ويريد من العِبر .

ووقع من العِبَر أيضا في يوم الإثنين ثالث الشهر المذكور موت الخواجا ناصر الدين محمد بن عبيد الخانكي نزيل مكّة وهو ممن حصّل الأموال واشترى الدور بمكة وجدة بيُبْس الطبع وسوء الخصال مع تقتيره على أولاده وعياله، بل سَفّرَ ولدا ذكرا له في المراكب الهندية من مدة نصف شهر ليُغيّبه عنه. وخلّف غيره ولدين بالغا

(١) كلمة سقطت من الأصل، أضفناها لأن معنى الجملة يدل عليها .

ومراهقا وابنة طفلة، و لم يُوص بجهازه ولا شيئا من مخلفاته. وكان توعكه مدة نحو ثلاثة أيام. بل جاءه الشهود وأراد الوصية فطمس الله على قلبه ومات. فختمتْ (١) الدولة على مُخلفِه وتكلم القاضي الشافعي على جهات الغائب والأولاد الصغار، وضاعتْ جهاته من النقد والديون، و لم يظهر له شيء إلاّ اليسير. وجهّز في يومه وصلّي عليه ضحى عند باب الكعبة وشيّعه جماعة قليلون لشغل الناس بالموسم وعدم خيْره مع كثرة كلامه. ودُفن بتربة الحوراني بالمعلاة بقرب .... (٢) الحبشية التي ماتت قبْله بنحو شهر. عفا الله عنه ورحمه، فإنه كان جارنا و لم يقْض شيئا من حوائجنا.

وفي ليلة الثلاثاء رابع الشهر وصل لمكة جماعة (٣) من سَبْق الحاج الشامي منهم الخواجا محمد ابن الخواجا عبد القادر القاري جارنا. وفرح الناس بوصوله لأنهم تحدثوا بتعطيله، ثم تتابع الحاج ونزلوا بالأبطح كعادتهم .

وفي عشاء ليلة الأربعاء ثاني تاريخه دخل أمير الشامي واسمه بالي بك الرومي نائب طرسوس أو البيرة فطاف وسعى وعاد إلى الزاهر وبات به إلى الصباح. فطلع له الشريف أبو القاسم شقيق صاحب مكّة الشريف أبي نمي الحسني فخلع عليه وعرض له من الزاهر إلى المعلاة، ثم فارقه وتوجّه أمير الحاج لمنزله بالأبطح وعاد الشريف لمنزله بأجياد من مكّة .

وفي عصر يوم الخميس سادس الشهر وصل لمكة حاج أهل المدينة الشريفة....(٤) في يوم الجمعة ووصل فيها قضاتهم الأربعة الشافعي السيد عبد الله السمْهودي والحنفي القاضي أبو النور الخُجَنْدي وهو مفصول بالقاضي خضر

(١) بالأصل: ختم .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) كلمتان مكررتان بالأصل .
(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل .

الرومي الواصل صحبة الحاج المصري والمالكي شمس الدين السخاوي والحنبلي برهان الدين السكندراني وغيرهم من فقهائهم وأعيانهم .

وفي يوم تاريخه وصل حجّاج اليمن من البَر صحبة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله بن مرزوق المتوفى والده عام تاريخه. وخلف والده في ذلك، نفع الله بهما .

وفي عصر تاريخه فُرقت صُرَر الشامية على أربابها بزيادة دار الندوة من المسجد الحرام، وهي صرر مربوطة وذلك بحضرة قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة ناظر المسجد الحرام والأمين [١١٧ أ] عليها القاضي عبد الحي بن الرومي المؤيد، وهو شيبة فاخرة وعليه الأبهة والدفتر وكان وصل صحبة الشامي.

وفي يوم الجمعة سابع الشهر خطب الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري العقيلي خطبة الجمعة قبل الصلاة، ثم بعدها خطب خطبة السابع بعد أنْ جَرّد ثيابه في قبّة الفراشين وأحرَم منها. وكان له موكب عظيم على العادة .

وفي يوم السبت ثاني تاريخه طلع جميع الحاج لأرض الموقف بعرفة .

وكانت الوقفة بالأحد تاسع الشهر، والحج هنيء والأسعار رخيّة مع كثرة الخلق والأمن، وأقاموا بمنى ثلاثة أيام. وماتت بها زوجة أمير الصعيد داود بن أحمد ابن يونس بن عمر الهواري ابنة عمه علي بن منصور بن يونس، ونزل بها إلى مكّة ودُفِنتْ بالمعلاة .

ونزل أمير الحاج المصري تنم الجاركسي يوم الأضحى بمكة وكسا الكعبة الشريفة مع بني شيبة كعادته. وجعل طرازَهَا غالِبه حرير أصفر دون عادتها الأولى .

ونَفَرَ غالب الحاج في النّفر الأول يوم الأربعاء ثاني عشر الشهر وباقيه في النفر الثاني .

وفي أيام منى فَرّق يازجي الرومية عيدي جلبي على أهل المدينة الشريفة صرّهم

للحاضر منهم وهو مُعْتَبِر ساكن .

وفي يوم السبت خامس عشر الشهر سافر أهل المدينة لبلادهم .

وفي يوم تاريخه سافر أمير الصعيد داود بن عمر بجماعته من البر وأمر بتفرقة ألف ومائتي إردب قمح بجدة على أهل مكّة، وكتب له قائمة بأسمائهم الولوي أبو زرعة، فعيّنَ لكل واحد إردبا[١] وأنقص منه، واستمر الحاج المصري بمكة ثمانية عشر يوما، وتكلم المستحقون من أهل المدرسة الأشرفية القايتبائية مع الناظر عليها مملوك الواقف أمير الحاج تنم الجاركسي في صرفه لهم عن سنتيْن ماضيتيْن، كان أمر بصرف متحصّلها على عمارة الوقف وأكلها الجابي محمد بن رجب ونائب الناظر الخواجا أبو البقاء السكري و لم يعمّرا إلاّ القليل .

وتصدى للكلام الشيخ العدل المرتضى ولي الدين أبو زرعة المنوفي، وكان بينه وبين نائب الناظر كلام كثير، وحمي لنائبه كثير وحميَ لنائبه الناظر[٢] ولولا تحوّه [٣] المتكلم بالقاضي الشافعي في إصلاح الأمر والفحص على الجابي وإنْ ظهر[٤] على خيانته يُعزَل من الجباية ويُعطَي للمستحقين ما يخصّهم. فالله يلطف بالمسلمين ويولي عليهم خيارهم .

وفي يوم الأحد سادس عشر الشهر سافر حاج مصر من مكّة وتأخّر أميرهم إلى صبح يوم الإثنين ثانيه ولحقهم بوادي مر. وحصل لمكة مطر غزير وهواء كثير عند سفرهم. فالله تعالى يكتب سلامتهم وسلامة جميع المسافرين في البر والبحر من المسلمين أجمعين .

وفي ظهر يوم الإثنين المذكور فرّق القاضي عبد الحي القيوم المؤيد الرومية

(١) بالأصل: أرب .
(٢) كذا وردت الجملة بالأصل .
(٣) لعلها من ألفاظ العامة الدالة على معنى " استجاه " .
(٤) بالأصل: وال ظهر .

بالزيادة أيضا بحضرة الشافعي بقية أوقاف الشام، كوقف سيدي والمال المستجد في وقفها عام تاريخه من قاضي الشام الولوي بن الفرفور والناظر على أوقافها المحيوي عبد القادر، والبرج والغازية وبقية أسماء الأربطة .

وكانت أوقاف الشام هذه كبيرة نافعة أحسن الله إلى ناظريها خيرا[١] وانتقم من نُظار أوقاف مصر، فإنهم ضيعوها خصوصاً معظمها وقف الشافعي الحكمي والمستجد فإنهم يتحيّلون [٢] [١١٧ ب] بها على البرج والغازية الواصلة من الشام وذلك من مدة أعوام. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وفي ظهر يوم الإثنين المذكور أيضا فرّق يازجي المَبَرّة الرومية عيدي جلبي أسماء البيوت على أهل مكّة بالمدرسة الأشرفية القايتبائية بحضرة الناظر قاضي القضاة وكان توعك من منى وخاف على نفسه من دعاء الناس .

وفي ثانيه فرّق على أهل الأربطة أسماءهم بدفْعها لمشائخهم بعد جهد وتوقّف معهم، وقال: يحضر أهل الأربطة إلى عندي، وأحضر مرسوماً بتحرير من يأخذ ذلك من أولاد العرب، وتكرير أسمائهم فيها. فقال الحاضرون منهم: حضورهم هنا متعذر، وإنْ أردتَ ذلك توجّه إلى محلهم. وصاحوا جميعهم بالدعاء للسلطان. فتأمل[٣] كلامهم وقال لهم: أنتم عصاة تخالفون مرسوم السلطان، فقالوا له: نحن طائعون للسلطان وهو- نصره الله تعالى - أرسل إلَيْنا رزقَنا وأنت تريد قطعه. فأحالهم حينئذ بالموافقة وإعطاء مشائخهم ما يخصّهم. ومشى الحال ولله الحمد .

واستمر على ذلك إلى ثالث يوم وهو يوم الأربعاء تاسع عشر الشهر حتى فرق بقية الأسماء على أهلها، ومطل كثيرا منهم، ومنع أهل الأحكام المستجدين والقدماء مع انحلال كثير من الأسماء بل أخذ بعض المراسيم ووعد أهلها بالإعطاء

(١) بالأصل: خير .
(٢) وردت الكلمة غير معجمة بالأصل .
(٣) كذا وردت الكلمة بالأصل .

وسافر ولم يعطهم شيئا. فالله تعالى يقابله على فعله .

وفي ظهر يوم الأربعاء المذكور فرق القاضي عبد الحي بن المؤيد المال الفائض من الشامية بالمدرسة الأشرفية بقائمة بخط الشيخ أبي زرعة، ولم يحضره القاضي الشافعي، وأصلها ثمانمائة أشرفي.

وفي يوم الخميس ثانيه فرق أيضا أوقاف الحلبية وأصلها ستمائة أشرفي. وكانت تفرقتُها على القضاة وأرباب الوظائف والفقهاء وأتباعهم وبعض الملل من الأروام والأعاجم، فحصل لي من كل جهة أشرفيان، ولكل قاض عشرة أشرفية وللنواب نصفها ولبقية الناس دون ذلك إلى أشرفي وأقل منه .

وفي يوم السبت ثاني عشريْ الشهر سافر الحاج الشامي من مكّة بعد إقامته كالمصري ثمانية عشر يوما. وسافر صحبته يازجي الرومية والقاضي عبد الحي بن [المؤيد] [١] وعبد الواحد ابن شيخ السدنة جمال الدين محمد بن عمر الشيبي المكي. وكُتِبَ له محضر بالثناء عليه وأنه مستحق للإنعام والمرتبات .

وتوجّه إلى وادي أبي عروة وردّهُ [٢] منه جماعة الشريف بعد قصدهم له إلى وادي أبي عروة، ومنعوه من السفر لتخيّل الشريف من الفقهاء وتكلمهم في البلاد الرومية بما يحصل به ضرر عليه وتعديهم على الوظائف لغير أهلية لها. ويقال إن الأروام من الدولة سألوه مع قاصده في ذلك. والله أعلم بحقيقة الحال .

وكان قاضي جدة المفصول من مكّة بديع الزمان ابن قاضي القضاة النوري علي ابن الضياء الحنفي تحدث بالسفر مع الحاج المصري فطلبه الشريف أبو نمي إلى منزله ورسّم عليه فيه حتى سافر الحاج الشامي. وخاط الناس في ذلك وماطوا، ثم صفي الحال على إطلاقه في صبح يوم الأحد ثالث عشريْ الشهر بعد أن توجّه

(١) بيّض الناسخ لهذا الاسم، وقد أكملناه من نص الفقرة السابقة .

(٢) بالأصل: ردوه .

الشريف أبو [١] نمي إلى فريقه جهة اليمن بوادي الآبار، وهو متوعّك في محَفّة .

وفي صبح يوم الأحد المذكور مات بمكة القائد الكبير الأجل المحترم زين الدين مبارك بن بدر السحرتي الحسني. وكان مرضه طويلا نحو سنة، فجهّز في يومه وصلّي عليه عصر تاريخه عند [١١٨ أ] باب الكعبة وشيّعه خلق من الأعيان وغيرهم إلى المعلاة، ودفن أمام تربة ساداته الأشراف أمراء مكّة، وعُملتْ له ربعة بالمعلاة ثلاثة أيام وختم له في ثالثها. رحمه الله تعالى وإيانا. وكان محمود السيرة كثير العبادة والتلاوة وقد ترك الحكم لابن أخته القائد مرشد بن مفتاح الحريري من مدة خمس سنين أو أكثر، عفا الله عنه .

وفي هذا النصف الأخير من الشهر بعد الحج حصلت [٢] تحريكة دموية بمكة وما حولها مات فيها جماعة من الحاج الشامي والمصري منهم الخواجا إسماعيل بن الدهشة الحلبي بخَبْت البزواء [٣]. وبمكة توفي جماعة فجأة أو بمرض يسير، منهم العلامة الأصيل القاضي برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الأبناسي القاهري الشافعي نزيل مكّة وأحد نواب قضائها بجدة في ليلة الأحد سادس عشر الشهر وصلّي عليه صبح تاريخه عند باب الكعبة ودُفن بالمعلاة، وخلف زوجة ومبلغا صار لبيت المال، رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين .

وفي جمعة تاريخه مات الجمال محمد بن غانم العطار أخو [٤] المعلم محمود البناء من أمّه، ودفن بالمعلاة. وخلف ولديْن رجلين وغيرهما، وذكر بخير من الصدقة

(١) بالأصل: أبا .

(٢) بالأصل: حصل .

(٣) بالأصل: البزوي، والصواب البزواء. وهي أرض سهلة تُعرف اليوم بخبت الفريش. البلادي: معجم معالم الحجاز ١: ٢٠٧، ٣: ١٠١-١٠٢ .

(٤) بالأصل: أخي .

والعبادة. والجمال محمد بن .... [1] المعروف بالفخر ودفن بالمعلاة. وشيخ أهل فوق[2] الزيني عبد الكريم بن .... [3] الشهير بابن دردبة وقريبه.... [4] الشهير بابن عصون المكي، ووصل الخبر.

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) أهل فوق: هم أهل المعلاة بمكة .
(٣) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٤) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

سنة ٩٣٦هـ (١٥٢٩ - ١٥٣٠م)

شهر عاشوراء المحرم الحرام، استهل ناقصاً بالأحد من سنة ٩٣٦هـ (١٥٢٩م)

وفي أوله فُرّقتْ صدقة أمير الصعيد الأمير داود بن أحمد بن يونس بن عمر الهواري من الحب المصرية على يد مباشره بجدة والمحيوي عبد القادر الحضرمي الخراز وذلك بأوصال يكتبها الشيخ ولي الدين أبو زرعة وعليها خاتم قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة. فكتب لكل نفر من الفقهاء وأتباعهم وأهل الأربطة فقط، لكل نفر ويّبة حَب، وأصلها ألْف وأربعمائة ويْبة، خرّج منها مائة لجماعته بنفسه والباقي كتب بها قائمة وضع عليها ختمه وتركها عند مباشِرِه الزيني موسى والمحيوي الحضرمي، وتوجّها بها لجدة في محل الحب، وكل من جاءهم بوصل أعطوه ثلاثة أرباع ويْبة، وترك الربع لأجْل المعشّر وغيره. فالله تعالى يجْزيه خيرا ويكتب سلامته وجميع المسافرين.

وفي ضحى يوم الأحد ثاني الشهر وصل لمكة أميرها السيد أبو[1] نمي الحسني- وهو صحيح من ألمِهِ – للطواف والسعي، فذهب الأعيان للسلام عليه فطاف وسعى بالليل وعاد لفريقه في ثاني تاريخه.

وفي يوم تاريخه اجتمع بعض أهل المدرسة الأشرفية ومعهم الجابي لوقفها الشهابي أحمد بن رجب المزين النائب عن الجمالي محمد بن مدهش كاتب صاحب مكة بالمسجد الحرام في مجلس قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة، فحاسبه الشيخ أبو زرعة وكتب القوائم التي معه لسنتين قبل تاريخه، فوجد

(١) بالأصل: أبي.

فيها التصرف في العمارة وإعطاء بعض المستحقين وطرح الشراب[1] وثمن بهائم وعلفها بما لا يسوغ له شرعاً بخلاف شرط الواقف. وفضُل عليه بعد ذلك نحو ستمائة أشرفي من السنة التي قبل تاريخه، وقبض بعض الأجرة من السكان في عام تاريخه فمُنِع من ذلك لخيانته. وتسلم متحصل هذه السنة شخص جاركسي من جهة أمير الحاج تَنَم الجاركسي، ووعد المستحقين بالصرف لهم عن الماضي. وأمرَهُم بملازمة الحضور فحضروا في يوم الأربعاء حادي عشر الشهر وكانت البدْأة من أوله.

[١١٨ ب] وفي عصر يوم الخميس تاسع عشر الشهر مات الشيخ الأوحد الأصيل ذو الهمة العلية شهاب الدين أحمد ابن الشيخ العلامة نور الدين علي محمد ابن علي الفاكهي المكي بعد توعّكه نحو جمعة بالإسهال، وأوصى لأولاده الأربعة؛ الفاضل عفيف الدين عبد الله والسراجي عمر والطفلين الشقيقين المحيوي عبد القادر وأبو السعادات وابنة من موطوءة له اسمها زينب. وجهّز في ليلة الجمعة وصلّي عليه عقب صبْحِها عند باب الكعبة، ودفن بالمعلاة على والده بجانب الفضيل بن عياض وبني شيبة في الشعب الأقصى.

وفي ليلة موته عمل نجم الدين محمد بن الكمالي أبي البركات بن أبي الفضل الزين زفة من المروة لطهار ولده أبي القاسم من سعادة ابنة قاضي الحنفية كان. الشرفي أبي القاسم ابن الضياء العمري وحضرها القضاة وبعض الفقهاء والعامة، وعِيبَ ذلك على أهله لقرابتهم بالفاكهي المتوفى.

وفي يوم الأحد ثاني عشريْ الشهر ختم الولد وعملتُ له وليمة حضرها القضاة وغيرهم.

وفي يوم تاريخه ادّعى بعض التجار عند قاضي القضاة المالكي الشرفي أبي القاسم الأنصاري على شخص مغربي قال له عند خصامه له: أنتَ أمّيٌّ، فقال:

(١) بالأصل: وترح السراب.

النبي محمد ﷺ أمّيّ، وجاء بشهود عليه بذلك. فأغلظ له القاضي في القول وقال: ذكرك لهذا غير لائق، وأمر بوضعه في السجن ثلاثة أيام، ثم في اليوم الرابع وهو يوم الأربعاء خامس عشريْ الشهر أحْضره القاضي إلى مجلسه بحضرة جماعة من علماء المالكية وأمر بكشف رأسه وضربه خمسين سوطا وتجريسه وعودِهِ إلى السجن. وحصل للقاضي عبرة في المجلس وكذا جميع من حضره. ولما خرج به من المجلس جاء الوزير كمال الدين أبو الفضل بن أبي علي ليشفع فيه فرده القاضي وقال: هذا وقع في حق الرسول ولا يمكن التكلم في أمره حتى استوفي عليه الوجه الشرعي. وأمر بوضعه في السجن نصف شهر. ثم بعد تمامه طلبه إلى مجلسه فاستتابه وأفرج عنه. وعُدَّ ذلك من محاسنه لنُصرته للرسول وإحياء شرعه المنقول. كثّر الله من أمثاله، وزاده من خيره وأفضاله.

وفي ليلة الجمعة سابع عشريْ الشهر عمل بالمسجد الحرام أمام الرواق الشرقي عقد حافل للشاب الأصيل المحيوي عبد القادر ابن الشيخ نور الدين علي بن محمد الشيبي العبدري على لطيفة ابنة المرحوم قاضي الحنابلة المحيوي عبد القادر ابن الشيخ نجم الدين محمد بن ظهيرة القرشي حضره القضاة الأربعة والأعيان وغيرهم، واعتنى به الناظر قريب الزوجين ببذل شمع الحرم وغيره. وكان بهجا مع كثرة السكر والطيب وهنّأهم الناس في صباحها، وأخّروا الدخول إلى شهر ربيع الأول.

شهر صفر الخير استهلّ كاملا بالثلاثاء من سنة ٩٣٦هـ (١٥٢٩م)

وفي نصف أول ليلة منه وُلد وَلَدِي المُبارك السعيد - إن شاء الله تعالى - تقي الدين أبو الحسن علي، أنشأه الله تعالى وجعله ولد الحياة وأقرّ عيني به ببركة من وُلد في أول شهر تاريخه وتسمى باسمه الشيخ تقي الدين علي السبكي جعله [الله][1] مثله

(١) كلمة تقتضيها الجملة .

عالمًا متقيا [١] وكذا لُقّبَ بلقب جد والـدي واسـم جـده لأمـه و.... [٢] الشيخ أبي الحسن البكري، نفع الله بهم وأعاد عليّ وعليه من بركتهم بجاه سيدنا محمـد، واتفق أن والدته تعوّق عليها الخلاص فاستمرت به ليلة ويوما، ثم فرّج الله عنها.

وفي يوم سابعه عملتُ له وليمة عقيقة حضرها جماعة من الفقـراء والأصحـاب ودعوا لنا وانصرفوا [١١٩ أ] تقبّل الله ذلك منهم بمنّه وكرمه، وهـو حسبنا ونعـم الوكيل .

وفي ليلة الأحد سادس الشهر عمل الشيخ القدوة نور الدين علي ابـن شيخنا قطب الآفاق الشيخ محمد بن عـراق نزيـل الحرمـين الشـريفين، نفعـني الله بـه وبجميـع الرفاق، مولدا.... [٣] على قـبر والـده بالشعب الأقصى بـالمعلاة حضـره خلـق مـن القضاة والأعيان والفقراء، ومـدّ لهـم فَتُوتـاً وعنبـا وحلـوى. وكـانت ليلـة مشـهورة بالخيرات والبركة والمسرّات، ختـم فيـها ختمـة علـى قـبر الشـيخ بقـراءة جماعـة مـن تلامذته. واستمر الذكر إلى الصباح، حتى نادى الحاضرون بحي على الفلاح.

وفي صبحها ختم على قبر الشيخ محمد المدني ابن شيخنا القطب الـولي الجنيـد محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بن علي المشرع العجيلي اليمني. وكانت وفاته في يوم الخميس ثالث الشهر، ودفن في عصر يومه علـى تربـة والـده قـرب الشـيخ علـي الشولي. وخلف والدته وأخاه محمد المكي وغيره باليمن، وعمره نحو خمس وعشـرين سنة، وأثنى الناس عليه خيرا، رحمه الله تعالى ونفع به كما نفع بوالده وسلفه.

وفي صبح يوم الجمعة رابع الشهر شرع قاضي القضـاة الحنفـي شـهاب الديـن أحمد أبو السرور ابن قاضي القضاة النوري علي ابن الضياء الحنفي العمـري في عمـل فازة لطهار ولديْه المحبي أحمد والجمالي محمد أمام منزل جد والدتـهما الخطيـب محيـي

(١) بالأصل: متقي.
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل.
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل.

الدين النويري، جهة الشبيكة أسفل مكة. ولعب العيري بالنقارة عندهـا بعـد العصر أربعة أيام. وكان أخوه [١] قاضي جدة بديع الزمان محمد بمكة وهو مـهاجِرُهُ فـأُصلِح بينهما وجاء في عصر يوم الثلاثاء ثامن الشهر وحضر لعب العيري.

وفي صبح يوم الأربعاء ثاني تاريخه حضر خروج المؤذنة بزفة الحناء مـع جماعـة من الأعيان كالقضاة والتجار وغيرهم، منهم ملك التجار السيد علاء الدين، وألصـق كـل [٢] منـهم ذهبـا وفضـة، يقـال بمجموعـه نحـو أربعـين أشـرفيا وقـدم لهـم حلـوى وانصرفوا.

وفي ليلة الخميس عاشر الشهر عُملتْ زفة الحناء من الصفـا وحضرهـا القضـاة الأربعة والفقهاء والتجـار وغيرهـم مـن العامـة، وأوقـد فيـها المفرّعـات وشمـع الحـرم وغيره. وكانت بهجة لكنها غير مرتبة. وركب الأولاد على خيل إلى الفازة واجتمـع فيها النساء على العادة وألصق فيها على مغاني النساء لأجل جدتهما وأمهما، أخلف الله عليهما.

وفي ليلة السبت ثاني عشر الشهر عمل مولـد في الفـازة حضـره الخـواص مـن القضاة والتجار وألصق منهم؛ فقاضي القضاة الشـافعي عشـرة أشـرفية وكـذا أخـوه قاضي جدة، ويُقال عشرون، وملك التجار أرسل له ثلاثين، والقاضيـان كـل واحـد ستة أشرفية وبقية التجار خمسة وأربعة وثلاثة واثنين، فمجموعها نحو مائـة وخمسـين أشرفيا، ويقال تكملة المائتين.

وفي فجر تاريخه خُتن الولدان وثالث معهما بعد زفتهم مـن بـاب حـزورة زفـة مختصرة.

(١) بالأصل: أخاه.
(٢) بالأصل: كلاً.

وفي صبحها عُمل سماط حسن حضره من حضر المولد ولم يأته كثير[1] من الفقهاء وغيرهم لعدم طلبهم في المولد – منهم كاتبه –وذلك لقلة موافاته وعدم مداراته. فالله تعالى يجعله مباركا على أهله.

وفي صبح يوم الأربعاء سادس عشر الشهر ماتت حلوة الحبشية أم أولاد فاتح الكعبة الشيخ إبراهيم [١١٩ ب] بن أحمد بن عبد الله بن علي بن أبي راجح الشيبي، وصلّي عليها عند باب الكعبة وشيّعها جماعة من القضاة والأعيان ودُفنتْ بالمعلاة بتربة بني شيبة.

وخلّفت ولديها أبا السعود وأحمد وبنتيْن، ولم يُعمل لها ربعة لعدم موافاة سيّدها وأولادها.

وفي ضحى يوم الأربعاء المذكور عمل الشيخ العلامة بدر الدين حسن ابن شيخنا العلامة الزاهد عفيف الدين عبد الله باكثير الحضرمي الأصل المكي سماطا لزواج ابنته على ابن عمها الزيني عبد الرزاق ابن العلامة وجيه الدين عبد الرحمن في حارة القرارة بمنزل الشيخ ابن مطير الصوفي. كان فيه المأمونيتان الحموي والسكب وهريسة الفستق والرغيف السيوطي والرزان والمشورات وغيرها من الأطعمة المفتخرة، لكنها مَدّة لطيفة حضرها القضاة والفقهاء وغيرهم.

وفي ليلة الخميس ثاني تاريخه دخل الزوجان وفي صباحها هنّأ الناس الزوج، وعُمل له معمولا على العادة، فالله تعالى يجعله مباركا على أهلهما.

وفي يوم الإثنين سابع الشهر كانت عقيقة الولد تقي الدين علي حضرها جماعة من الأصحاب والفقراء العرابية.

وفي يوم الجمعة فُرّقَ صَرّ بيت الشافعي من الحكمي والمستجد من مال البرج والغازية الواصل مع حاج الشامي على حكم السنتين في منزل قاضي القضاة

(١) كلمة تكررت بالأصل.

الشافعي ناظر المسجد الحرام على يد الشيخ ولي الدين أبي زرعة المنوفي متولي تفرقة الأوقاف في زمن تاريخه، نفع الله به.

وفي ليلة الإثنين حادي عشر الشهر وصل لمكة المشرفة أمير المدينة الشريفة باز ابن أميرها الشريف فارس بن شامان الحسيني لأجل الزواج بابنة ابن خاله الشريف محرم[1] ابن صاحب مكة السيد هزاع بن محمد بن بركات الحسني، وأمها أخت صاحب مكة الآن السيد أبي نمي محمد بن بركات، وأذن له والدها بالعقد بها لغيبته بالقاهرة .

وأخبر أن الحاج الشامي بلغه في العلا أنّ نائب الشام الرومي أرسل عسكرا للقبض على الشيخ جغيمان – شيخ بني لام – في فريقه فأنذرتهم [2] فهرب عنهم، فجاء للعسكر غرّة فنهبَهم. فلما سمع ولده وهو مع الحاج هرب وأخذ بعض جمال الشعارة بحمولها ففطن له شيخ العرب....طقطباي [3] فأخذ معه جماعة من العرب وتبعه، وتخوّف الحاج من ذلك. فالله تعالى يسلمهم ويبلغهم أوطانهم ويُسمعنا عنهم ما يسرّ، ويدفع ما يضرّ، بمحمد وآله أمين.

وفي صبح يوم الإثنين المذكور ماتت زبيدة ابنة إمام الحنفية شهاب الدين أحمد ابن محمد البخاري بعد توعكها مدة طويلة، ويقال إنها مسمومة، وكان والدها مهاجرا لها وكذا جميع أهلها لسوء طريقتها. وكانت لما اشتد بها المرض طلبت أخاها وأباها للاجتماع فتوجّه لها الأخ وامتنع الأب حتى ماتت، فتوجّه لجهازها في يوم تاريخه وصلّي عليها بعد صلاة العصر، وشيّعها جماعة من الأعيان وغيرهم.

(١) ذُكرتْ أخبار محرم بن هزاع مفرقة في كتاب غاية المرام للعز بن فهد، الجزء الثالث ص ١٢٢، ١٤٨، ٢٠١، ٢١٤، ٢٨٢.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) وردت الجملة بالأصل مضطربة الكتابة فجاء نصّها: « وفي ابن طراباي ». وطقطباي الذي اقترحنا إبداله بما ورد في النص هو طقطباي الأشرفي الذي كان أميرًا للحج وذُكرتْ أخباره في كتاب غاية المرام للعز بن فهد، الجزء الثالث ص ٢٩٩، ٣٠٣، ٣١١.

ودفنت بتربة الخواجا ابن الزمن على قبور سلفها. وعزّيْتُ والدها فيها بعد مهاجرته نحو ثلاث سنين لخُبْثه وعدم قبوله النصيحة. فلما تعدى فيه (١) وأظهر لي الغبطة بذلك، فالله تعالى يصلحها وإياه ويوفقنا للخير. وعمل لها ربعة صباحاً ومساء وختم لها [١٢٠ أ] في صبح يوم الجمعة خامس عشر الشهر. رحمها الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين. وخلّفتْ تركة لها صورة من المصاغ وغيره، يُقال نحو خمسمائة أشرفي وأكثر، وحصل لأبيها المسرّة بموتها والنفع بمخلفها. ويقال إنها مزوّجة من رجل ريفي غائب في بلده بغير رضا والدها. فالله تعالى يعفو عنها وعن جميع المسلمين والمسلمات.

شهر ربيع الأول استهل ناقصا بالأربعاء جعله الله مباركا ببركة مَن ولد فيه ﷺ من سنة ٩٣٦ هـ (١٥٢٩م)

في يوم الخميس ثانيه ابتدأ قاضي القضاة المالكي الشرفي أبو القاسم الأنصاري في عمل فازة لختان أخيه الزيني عبد اللطيف، وعمُره نحو عشر سنين، وحضره القضاة والأعيان.

وفي ليلة السبت رابع الشهر دخل الخطيب الأصيل الجليل وجيه الدين عبد الرحمن ابن الخطيب فخر الدين أبي بكر ابن الخطيب أبي الفضل جمال الدين بن أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري على ابنة عمه.... (٢) ابنة قاضي القضاة الزيني عبد الحق ابن قاضي القضاة نور الدين علي ابن قاضي القضاة أبي اليمن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري المالكي في بيت خالات أبيها بنات الشيخ عمر الشيبي فاتح الكعبة الشريفة،

(١) كذا بالأصل.

(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

وذلك لمخالفة أخيها الكبير لها في زواجها على ابن عمها لقلّة عقله ووجد الناس لفعله. وهنّأ الأعيان الزوج وأقام عندها (١) سبعة أيام ثم نقلها لمنزله. جعله الله مباركا عليهما.

وفي يوم الإثنين سادسه (٢) خرجتْ مؤذنة قاضي القضاة المالكي بدعوة زفة الحناء وحضرها الأعيان من القضاة والفقهاء والتجار، منهم علاء الدين ملك التجار في الفازة، وألصق كل منهم ذهبا وفضة، بمجموعه نحو خمسين أشرفيا، ثم قدّم لهم حلوى وانصرفوا .

وفي ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه كانت الزفة من الصفا تمرّ على المسعى إلى سوق الليل والمسفلة وهي رائقة بالمفرعات والشموع وكثرة الخلق من الأعيان وغيرهم، ثم حصل مطر عند وصولهم لمنزلهم واستمر ليلة ويوما، وسقط فيه دور عديدة منها منزل الأخوات المعروف بدار الحنفية، ومات فيه طفل عمره أربع عشرة سنة اسمه محمد بن إسكندر الجاركسي العادلي الصوفي وسَلِم والده وأخته وجيرانه، ولله الحمد. ونُبِشَ له في صباحه وجهّز في ظهر تاريخه ودفن بالمعلاة في شعب النور. فالله تعالى يضاعف لوالديه الثواب والأجور.

وفي ليلة الخميس تاسع الشهر عمل قاضي القضاة الشرفي المالكي مولدا في الفازة حضره الأعيان من القضاة والفقهاء والتجار وغيرهم وألصقوا له نحو مائتي أشرفي بعد توقّفه في أخْذ ذلك. لكنه غلب عليه أصحابه لطلب العوض في مصرفه.

وفي فجر تاريخه زف الولد الطهير من باب حزورة، وهو رابع أربعة، وكسر مشط عقب تطهيرهم لأجل العدو به (٣) على قاعدة البلد. وحَضر ذلك الأهل

(١) بالأصل: عنده.

(٢) بالأصل: سادس.

(٣) وردت الكلمة بالأصل مبهمة وغير معجمة، حيث يمكن أن تقرأ بالقراءات الثلاث التالية: العدو به – العروبة – العزوبة، ولم نجد ما يرجح إحداها على الأخرى.

والأصحاب الملازمون لأخيه. وفي صباحها عُمل سماط له وكان كبيرا حسنا فيه المأمونيتان[١] والرزان والمشورات والدجاج وجملة من الأطعمة المفتخرة.

وفي يوم تاريخه خرجت مؤذنة الغمرة لزواج المحيوي عبد القادر ابن النوري علي الشيبي [١٢٠ ب] على ابنة قاضي القضاة المحيوي عبد القادر بن ظهيرة الحنبلي. وكان بَلّ السكر لعقد ابنه قاضي القضاة المالكي المفصول التاجي عبد الوهاب بن يعقوب على شقيقة الخواجا الكبير محيي الدين عبد القادر بن محمد القاري في منزل أبيها، وحضره جماعة من الأعيان، ومُدّت لهم مَدّة فيها أطعمة مفتخرة وانصرفوا.

وفي ليلة الجمعة عاشر الشهر كان العقد المبارك أمام الرواق الشمالي من المسجد الحرام بالشمعيات الجدد وشمع الحرم جميعه من باب السلام إلى باب العمرة. حضره الخلق من الأعيان وغيرهم كالقضاة الأربعة ماعدا المالكي المتولي، فعوّضه المفصول صاحب المهمّ والسيد علاء الدين ملك التجار. وباشر العقد قاضي القضاة الشافعي بخطبة عظيمة بليغة مستقيمة أعجبتْ الحاضرين وفيها التنويه بذكر الزوج، وأنّه على مائتيْ مثقال حالّة. ودُعِيَ فيها للسلطان وصاحب مكة والسيد ملك التجار ثم ناظر المسجد الحرام قاضي القضاة الشافعي. وكان ذلك بالإذن منه في الدعاء لملك التجار قبله. ودار على الحاضرين بشرب السكر المذاب والبخور والماورد، وكان كبيرا حسنا. جعله الله على صاحبه مباركا وهنّأه الناس في صباحه.

وفي ليلة الأحد ثاني عشر الشهر كانت زفة المولد الشريف لقاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام ومعه القضاة الثلاثة والخطيب والفقهاء والتجار والفقراء بالتهليل والأعلام والمفرعات والفوانيس والمشاعل إلى محل المولد الشريف في شعب بني هاشم بسوق الليل، وصلى الناظر به وخطب له على منبر هناك، ودُعِيَ له

(١) بالأصل: المامونيان.

وللسلطان ولصاحب مكة على العادة. وعاد إلى المسجد ودعا لهم رئيس زمزم أمام قبة الفراشين، وتوجّه الشافعي إلى محله عقب صلاة العشاء وسلم عليه الفقهاء وانصرفوا.

وفي ليلة الثلاثاء رابع عشر الشهر عُمل سماط للمحيوي عبد القادر الشيبي لزواجه على لطيفة ابنة قاضي القضاة الحنبلي المحيوي عبد القادر بن ظهيرة في منزل أبيها بسوق الليل. وكان سماطا أنِقًا فيه كثير من الألوان المفتخرة وغيرها.

وفي ليلة الأربعاء ثاني تاريخه دخل بها الزوج، وهنّأه الناس في صباحها.

واتفق في يوم الثلاثاء قبل تاريخه وُلد النجل علي ابن قاضي القضاة الحنفي شهاب الدين أبي السرور ابن الضياء وأمه حبشية موطوءةٌ لأبيه.

وفي ليلة الأربعاء المذكور عُمل عقد احتفل به قاضي القضاة المالكي الشرفي أبو القاسم الأنصاري في محل طهار أخيه بالفازة التي بالقرب من داره بأسفل مكة، للموصّى عليه السراجي عمر ابن المرحوم الخواجا... [١] البصروي الخطيب الدمشقي على زينب ابنة المرحوم كمال الدين الحريري الحلبي، وحضر فيه القضاة والأعيان من الفقهاء والتجار وغيرهم. وكان بهجا مأنوسا باشر فيه العقد قاضي القضاة الشافعي على خمسين مثقالا مقسّطة كل عام ثلاثة مثاقيل.

وفي ليلة تاريخه عقد قاضي القضاة الشرفي المالكي المشار إليه على المعلّم شهاب الدين أحمد بن محمد البنغالي الحكاك على أم الحسين ابنة السراجي عمر ابن الشيخ شهاب الدين أحمد الزيمي المكي على تسعة عشر مثقالا مقسطة كل عام مثقال. وحضرتُ ذلك مع جماعة في منزل العاقد، وأسقى الحاضرين سكرا مذابا. جعله الله مباركا عليهما ورزقهما ذرية صالحة.

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

[١٢١ أ] وفي ليلة تاريخه عملتْ المرأة الجليلة سارة ابنة المرحوم الخواجا شيخ محمد قاوان الكيلاني مولدا مغطى في الحوش الذي هو أمام منزلها. وحضره جماعة من القضاة والفقهاء والتجار والفقراء وغيرهم، ومُدّتْ فيه.... (١) للحاضرين.

وفي ليلة الجمعة سابع عشر الشهر عمل الخواجا خليل الكيلاني وكيل الصدقة الهندية مولدا عظيما في المدرسة الباسطية المطلة على المسجد الحرام بالرواق الشمالي حضر فيه القضاة الأربعة والملك إقليم خان الهندي ناظر المبرّة الهندية وغيرهم من الفقهاء والتجار والفقراء والأعيان وقسم فيه البن المسكر والحلوى الملونة والفتوت، وهو كثير مدّ في صحون مفتخرة، وبيارم عال على قاعدة بلَد الهند مع الماورد والبخور والريحان وغيره، وأُلبس قارئ المولد خلعة وأعطاه أزْيد من عشرين أشرفيا. وتحدث الناس به أنه صرف (٢) على مولده نحو ثلاثمائة أشرفي وأكثر، وأنه طهّر ولده عقب ذلك. فالله تعالى يجعله مباركا له.

وفي عصر يوم الجمعة المذكور سافرت قافلة المدينة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وفيها جماعة من الأعيان، منهم قاضي القضاة الشافعي المحبي ابن ظهيرة بعياله ووالدته وخِيلانه.... (٣) شيخ السدنة الشيخ عمر الشيبي وجماعة من بني عمه كأخي زوجته القاضي إبراهيم ابن القاضي شهاب الدين بن ظهيرة، والقاضي أمين الدين محمد ابن الخطيب فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة الحنفي وزوجته وولده القاضي زين الدين جار الله وزوجته وأولاده والأصيل عفيف الدين عبد الله ابن القاضي أبي البقاء بن ظهيرة بزوجته ابنة القاضي شرف الدين أبي القاسم الرافعي بن ظهيرة وشقيقها الأصيل زكي الدين وغيرهم من الأعيان كالشيخ

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٢) بالأصل: أصرف.
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل.

نور الدين علي بن عراق بمفرده ورأس المباشرين بجدة الشهابي أحمد بن محمد بن ريحان المريسي بعياله وأولاده وجملة من أهل مكة.

وتحدث الناس بزيارة صاحب مكة الشريف أبي نمي الحسني وأنه سبق القافلة من فريقه باليمن على طريق جدة، ولم يصح ذلك بل نزل قرب خليص لحبس المرعى بها وواجهه بعض القافلة فيها منهم قاضي القضاة الشافعي. وخرج من مكة بأبهة عظيمة وودعه الأعيان من المسجد الحرام. وتأخرتْ الشريفة خزيمة ابنة صاحب مكة السيد محمد بن بركات الحسني وابنها باز بن فارس بن شامان أمير المدينة الشريفة، وكان قدم منها للزواج بابنة ابن خاله، فتزوجها في شهر تاريخه بفريق خالها جهة اليمن ثم سافروا بقافلة وحدهم بعد ثلاثة أيام.

وفي يوم السبت ثاني عشر الشهر عمل الخواجا عبد القادر القاري سماطا حسنا في منزله لزواج ابنته ستيتة على قاضي القضاة المالكي المفصول التاجي عبد الوهاب بن يعقوب، حضره جماعة من أعيان الفقهاء والتجار وغيرهم. وكذا عمل سماطا ثانيا قاضي القضاة المالكي المتولي الشرفي أبو القاسم الأنصاري لزواج محجوره السراجي عمر البصروي وحضره جماعة من الأعيان وغيرهم.

[١٢١ ب] وفي يوم تاريخه ولد .... (١) ابن قاضي القضاة الحنبلي أبي حامد محمد ابن الشيخ عطية بن ظهيرة القرشي المكي وهنّأه الناس به. أنشأه الله نشأ صالحا.

وفي ليلة الأحد ثاني تاريخه دخل الزوجان على زوجتيهما وهنأهما الناس في صباحها.

وفي ليلة الأحد سادس عشريْ الشهر دخل المعلّم أحمد البنغالي الحكاك على زوجته أم الحسين ابنة السراجي عمر الزيمي في منزلي لرحامة الزوجة لي. فالله يجعله

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

مباركا عليهما وعلى أهلهما.

وفي يوم تاريخه عمل السيد علاء الدين ملك التجار الحسني سماطا هائلا في منزله بالقاعة المطلّة على المسجد الحرام جوار باب العمرة، التي أنشأها القاضي كاتب السر البدري محمد بن مزهر أول القرن العاشر(١). وانتقلتْ لصاحب المهمّ، وكان زخْرَفَ سقوفها ونوّرَ جدرانها وصرف(٢) على مهمّه مصرفا عظيما، يقال إنه ذبح خمسين كبشا وخمسة رؤوس بقر وجملين، وغير ذلك من الدجاج والأرز والحلويات وغالب الأطعمة طعام العجم مع كثرتها لا يعرف غالب أسمائها ودُعِيَ لها خلق من الأعيان والقضاة والفقهاء.... (٣) والفقراء. وجلس على السماط بنفسه حتى فرغ وقسّم منه جملة.

وفي ليلة الإثنين ثاني تاريخه عمل مولداً معظما في القاعة المذكورة....(٤) من الأعيان وغيرهم وكان فيها قناديل وسُرُج كثيرة مع الشموع الكبار البهجة. وقرأ المولد الجمالي محمد بن خضير والشهابي أحمد القباني وأنشد كل منهما قصيدة فيه، وألبسهما خلعتين معظمتين، ودُعي فيه للسلطان والشريف ولصاحب المولد. ومد فيه الحلوى والفتوت للحاضرين وكان كثيراً في أوان مفتخرة مع البن والبخور والماورد والصندل والقهوة.

وبعد الفراغ من المولد انصرف الأعيان وجلس الفقراء للذكر. وكان بهجاً مأنوساً، جعله الله مباركا على صاحبه وأخلف عليه نفقته بخير، ببركة من وُلد فيه.

(١) ذُكر منزل ابن مزهر في كتاب غاية المرام للعز بن فهد ٣: ١٥٤ .
(٢) بالأصل: وأصرف.
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل.

شهر ربيع الثاني استهل كاملاً بالجمعة من سنة ٩٣٦هـ (١٥٢٩م)

في عصر يوم الأحد ثالث الشهر وصل القاصد مسلّم البدوي من القاهرة لصاحب مكة ومعه البشارة بتحقيق نصرة الخنكار الأعظم سليمان خان ابن عثمان على أهل الأنقرس (١) الكبار الملحدين وفتح عدة حصون منهم، وعاد لتخت ملكه مدينة أدرنه – أدام الله عزه ونصره – معه جملة أوراق لجماعته. وأشاع أن القاهرة زُينت لذلك، وأن الولاق (٢) واصل بعده. وأخّرت زينة مكة لوصوله مع قدوم (٣) صاحب مكة إليها من البر. وأقام القاصد بها يومين وتوجّه للشريف بفريقه جهة اليمن، واطمأن خاطر المسلمين بهذه النصرة، ولله الحمد على هذه النعمة، أدامها الله على المسلمين .

وفي ليلة الجمعة ثامن الشهر عمل الخواجا بركات بن إسكندر الحلبي مولداً عظيماً في حوش الخواجا قاوان بالسويقة حضره جماعة من الأعيان القضاة والفقهاء والتجار والفقراء وغيرهم. وكان فيه وقْدة عظيمة بالقناديل والشموع، ومد فيه للحاضرين حلوى كثيرة في أوان مفتخرة مع الفتوت والبن والبخور والماورد والقهوة.

وبعد الفراغ عمل الفقراء ذكراً ثم ختن ولدين له وثلاثة عبيد غيرهما وزفهم من باب السلام بالفقراء والتجار. ولم يأخذ منهم لصقاً عند القطع ووعد المزين بثلاثين أشرفية، وعُدّ ذلك من سماحته.

وفي يوم الثلاثاء تاسع الشهر وصل لمكة جماعة من قافلة المدينة الشريفة.

وفي مغرب ليلة الأربعاء ثاني تاريخه وصل قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة ودخل باب السلام بجماعته [١٢٢ أ] ولاقاه بعض الفقهاء والقضاة فطاف

(١) الأنقرس: هي بلاد المجر (هنغاريا)، وقد تُسمّى الأنكروس.
(٢) الولاق: الرسل.
(٣) بالأصل: قدم.

وسعى وتوجّه لمنزله ووصل رفقتـه جميع أهلـه وأقاربـه الذيـن توجّـهُوا معـه للزيـارة الشريفة، وهنّأهم الناس في صباحها.

وعمل صهره أخو(١) زوجته القاضي برهان الدين إبراهيم ابـن أقضى القضـاة الشهابي أحمد ابن قاضي القضاة البرهاني القرشي معمولاً وطيباً وبخوراً لمن قصده للسلام عليه. و لم يسبقه أحد لذلك في زمانه. وسمعتُ أن عمل النـاس قديماً عليـه في تهنئة الزيارة.

وعملتْ السيدة سعادة عمة قاضي القضاة الشافعي لـه سفْرة لطيفـة حضرهـا القضاة وبعض الفقهاء وأهل البيت يوم وصوله. وعمل ذلك غيره في منزله.

وفي صبح يوم الجمعة ثاني عشريْ الشهر وصل لمكة عيال القاضي محيي الدين عبد القادر بن رقيط الناظر بجدة وأحد المباشرين فيها لنفـاس زوجـة ولـده الأكـبر في الفريش قرب (٢) المدينة. وانتظرهم القاضي الشافعي في الطريق يومين فلـم يلحقوهـم لتأخرهم لأجل النفساء، وهـم شيخ الدلالين جعفـر الرومـي وغـيره (٣). وكـان لدخولهم رؤية من الحجون وبـاب المعـلاة ابتـهج النـاس بـها، وتوجّـه النـاس للسـلام عليهم. تقبل الله ذلك منهم بمنه وكرمه، آمين.

شهر جماد الأول استهل ناقصاً بالسبت ولم يره أحد من سنة ٩٣٦هـ (١٥٣٠م)

بل شهد العفيف به عبد الله بـن نـاصر الواسـطي وولـده الجمـالي عنـد قـاضي القضاة الشافعي في صلاة العشاء، وأمر التاجي بإخراج الشمع الجديد إلى المطـاف في

(١) بالأصل: أخي.
(٢) كلمة تكررت بالأصل.
(٣) كلمة تكررت بالأصل.

صلاة العشاء والصبح.

وكان اتفق له في العام الماضي شهادته لجماد الثاني برؤيته له من منزله في جبل لعلع فلم يُرَ الشهر إلاّ تاماً مع وفاة الشريف ثقبة ابـن صـاحب مكـة السـيد بركـات الحسني شقيق صاحب مكة السيد أبي نمي.

واتفق مثل ذلك في هذا الشهر لأن في صبح تاريخه مات الشـريف أبـو سـعيد أخو صاحب مكة المشار إليه. وأمه حبشية كان منقطعـاً عندهـا بمكـة أشـهراً بوجـع الشباب وحمى الدق. فجهّز ضحى تاريخه وصلّي عليه عند باب الكعبة وشـيّعه خلـق إلى المعلاة، ودفن خارج قبة أخيه، وعملـت لـه ربعـة بالمسجد والمعـلاة ثلاثـة أيـام، وختم له في صبح الثلاثاء. وعُدّ ذلك من الاتفاقيات وتشاءم الناس بشهادة الواسـطي لموت الأخوين في كل شهر شهد فيه كل سنة.

وفي جمعة تاريخه وصل الخبر لمكة بحراً من اليمـن أن أهـل عـدن انتصـروا علـى الأمير مصطفى بيرم الرومي صاحب زبيد لحصاره لهم، وتوجّه لبلاده بعـد قتـل جملـة من جماعته. ثم وصل منه قاصد لمكة وأخبر أن سبب عوده من عدن لمحـل ولايتـه لمـا بلغه أن العرب اجتمعوا على أخذ زبيد وأن الفرنجة المخذولين قصدهم التوجّـه لعـدن من البحر، وقصد حفظ بلاده وإرسـال مراكـب في البحـر لجهـة عـدن لحفظـها مـن الفرنج، والله أعلم بحقيقـة الحـال. وتشـوش الأروام لهـذا الخـبر وكـانوا أخـروا سـفر القاصد مسلم لأجل الخبر بنصرته لنائب مصر الكـافلي سـليمان باشـا الخصـي. فإنـه كان حريصاً على ذلك ويسأل عنه.

وفيها وصل القاصد البدوي رفيق مسلّم من مصر وأخبر بتحقيـق نصـرة سـلطان الزمان سليـمان خان ابن عثمان على الفرنج المخذولين أهل الأنقرس وبني الأغراض(١)

(١) كثيرا ما يُغيّر مؤرخو العصر أسماء بعض البلاد من بينها « بلغراد » التي يسمّيها بعضهم « بـني الأغـراض » مثل جار الله بن فهد هنا.

[بلغراد] وأنه عاد لبلاده أدرنه. وأن نائب مصر عين لإمرة الحَاج عام تاريخه الجمالي يوسف ابن الأمير جانم الحمزاوي ومعه مرسوم [١٢٢ ب] بالكشف عن أحوال قاضي جدة بديع الزمان ابن الضياء الحنفي للشكوى منه في أخذ أموال الناس على الأحكام وطمعه فيهم.... (١) اليازجي محمود جلبي الرومي نائب جدة بالإرسال له ليحضر بمكة ويكشف عن حاله. فبلغ القاضي ذلك الإرسال إليه خفية فتوجّه لفريق الشريف أبي نمي صاحب مكة واحتمى به فأرسل ورقة لليازجي محمود بالسكوت عنه وعليه مراجعة نائب مصر في أمره. فسكت عنه وعاد القاضي لمحل ولايته بجدة، فلله الأمر في كل شدة.

وفي يوم الإثنين عاشر الشهر بطلت قراءة سورة الأنعام في الحطيم للخنكار - نصره الله - لتحقيق نصرته ولله الحمد، و لم يصرف المعلوم لأهل القراءات مدة قراءتهم لتوقف اليازجي محمود جلبي الرومي النائب بجدة لعدم الإذن له في ذلك. وأحال فيه على السيد ملك التجار علاء الدين (٢) الحسيني ثم صرف بعد شهر.

وفي يوم تاريخه توجّه السيد ملك التجار بجماعة من الأعاجم للتنزه بمنى المعظم وعزم على القضاة الأربعة وغيرهم من المشائخ وبعض طلبة العلم، وأقام بمنى ثلاثة أيام بلياليها ومعه القضاة يوماً واحداً من وسطها وعادوا في آخره لأن زوجة قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة ولدت ابنة اسمها.... (٣) في ظهر يوم الثلاثاء ثاني تاريخه. جعلها الله مباركة على أهلها.

وفي ليلة الأربعاء سادس عشري الشهر ماتت عائشة ابنة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد النشيلي ودفنت صبح يومها بالمعلاة وحزن عليها والدها وزوجها الجمالي ابن الشيخ أيوب وولدها الزيني عبد السلام.

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل.
(٢) كلمتان تكررتا بالأصل.
(٣) بياض بمقدار كلمة بالأصل.

وفي صبح يوم الأحد سلخ الشهر مات السيد أبو بكر بن حسين بن إبراهيم الحسيني القبيباتي بعد توعكه جمعة وأوصى لصهره قاضي القضاة التاجي عبد الوهاب ابن القاضي تاج الدين محمد بن يعقوب المالكي أخي زوجته وجعله وصياً على تركته وجهازه وأولاده وعياله. وترك أزيد من عشرين ألف دينار منها أربعون سندة نيل بستة آلاف دينار وصندوق برماوي.... (١) بنحو أربعة آلاف دينار وسفره بثمانية آلاف في الهند وسواريج (٢) فضة وبيوت بمكة وجدة والوادي بنحو الخمسة.

وسمعت أنه أوصى لصاحب مكة وقاضيها الشافعي وغيرهم بمبلغ لا أعلمه(٣) حماية لتركته. وتشوش الوزير الكمالي أبو (٤) الفضل بن أبي علي لعدم وصيته له. وجهّزه وصيه في يوم تاريخه وصلّي عليه بعد صلاة العصر ودفن في الشعب الأقصى بجانب الشيخ محمد بن عراق في تربة الشيخ أبي كثير عقب الإذن من أولاده. وخلّف زوجة وصبيين وبنتين، ثلاثة أشقاء وواحدة في الشام. وكان ساكناً منجمعاً عن الناس مع.... (٥) وملازمة الجماعة. رحمه الله تعالى وإيانا.

شهر جماد الثاني استهل كاملاً بالإثنين من سنة ٩٣٦هـ (١٥٣٠م)

وفي ظهر يوم الجمعة خامس الشهر اجتمع القضاة الأربعة وملك التجار وبعض المشائخ وغيرهم من الأروام وطلعوا إلى الكعبة الشريفة للكشف على سطحها لكونها ينزف الماء وقت المطر فرأوا بلاط أسطحها من الحجارة قد ارتخى

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٢) كذا بالأصل، ولعله جمع سراج.
(٣) بالأصل: لا علمه.
(٤) بالأصل: أبي.
(٥) كلمة غير مقروءة بالأصل.

بعضه. فتشاوروا في إصلاحه فقال لهم قاضي القضاة الشافعي: يحتاج إلى مشاورة أمير مكة السيد أبي نمي. واتفقوا على الإرسال إليه واستئذانه في ذلك فأرسلوا إليه فرد لهم الجواب بسؤال نائب الديار المصرية أو الخنكار في ذلك، وهو الصواب .

وفي يوم تاريخه أرسل اليازجي محمود جلبي الرومي ساعياً بطلب قاضي جدة بديع الزمان ابن الضياء [١٢٣ أ] للبحث عن أحواله بمكة فسمع بعض أخصائه بذلك فأرسل له يخبره بذلك فتوجّه من فوره قبل وصول الساعي لجدة لفريق الشريف أبي نمي صاحب مكة فوجده في العزيب لصيد القنص، فأقام بفريقه حتى عاد فشكا عليه حاله واحتمى به فلاحظه بنظره. وأرسل أوراقا لمكة لليازجي محمود بأن القاضي بديع الزمان (١) وعليه المراجعة في أمره فسكتوا عنه، فالله تعالى يوفّقه ويهديه للطريق المستقيم. فإنه عارف بالقضاء طامع في تحصيل المال، وقد كثّر الشكوى منه، أصلحه الله وإيانا.

وفي ضحى يوم الإثنين ثامن الشهر مات الولد الأصيل محيي الدين عبد القادر ابن قاضي القضاة الجمالي محمد بن يعقوب المالكي وكان جُذِب وأصابه مرض اختل عقله فيه حتى حُبس في بيت عمه عند جدّته. فجهّز في يومه وصلّي عليه بعد صلاة العصر عقب النداء له على زمزم – كعادة أولاد القضاة– وشيّعه خلق كثير ودفن في المعلاة في تربة جده لأمه السيد أصيل الدين. وعملت له ربعة فيها صباحاً ومساء وختم له في يوم الجمعة. وانتقد ذلك على عمّه لاختلال عقل الميت وكان ستْره أولى.

وفي شهر تاريخه وصل لمكة بحراً من الديار المصرية درويش محمود العجمي المجذوب ومعه عشرة عبيد لكناسة المسعى، ويقال إن الخنكار – نصره الله – أمر مشترى عشرة عبيد سود وعشرة جوار لزواجهن عليهم ويقيمون جميعاً عند ناظر

(١) كذا وردت الجملة بالأصل.

العمارة في العين الشيخ مصطفى الرومي. فاشتري ذلك من مال الخنكار بجدة وأرسلوا إلى جهة عين حُنين للشغل فيها. وهذا الفعل جميل ما اتُفق(١) فيه لأحد من الملوك المتقدمين. جازى الله الملك على ذلك خيراً وأثابه أجراً.

ويقال إن درويش محمود هو السائل في ذلك لكنه كدر باستنجاز عدة مراسيم أبي نمي ونائب جدة فيها: سؤال الشريف أبي نمي في إبطال معشر الفرق(٢) بجدة، وأن السلطان يعوض له الجامكية من خزانته وأنه يتوصى بحاملها غاية الوصية والمساعدة في النظر على الأوقاف من الرُّبط والسُّبل والمياضي وغير ذلك بعمارتها والفحص عن متحصلها. فدار على بعض الأماكن وكتبها مع جهاتها وما فيها من الخراب والإصلاح. ولازم البيمارستان بمكة. وكان الشريف أبو نمي أعطى ولايته للشيخ جمال الدين محمد ابن شيخنا عبد الله باكثير وله معلوم في أوقافه بمكة والشام، ويُقال إنه لا يصرف غالبه فيه، ووجده معطلاً من المرضى، وأدخل فيه جماعة وقال: أنا أصرف عليهم، وباشر بعض ذلك بنفسه. وأرسل للشريف أبي نمي صاحب مكة مراسيمه الخنكارية، ويقال بوصية من أمر الخنكار في ذلك، وفي حَبّ أرسله معه لعمل دشيشة للفقراء بمكة والمدينة الشريفة بنحو خمسمائة إردب، نصفين بينهما. فتأثر الشريف من فعله خصوصاً والتمّ عليه جماعة من الأروام وبعض مماليك الشريف أبي نمي فأرسل لمن صحبه من مماليكه وتهدده وقال له في جوابه: أنت حداد وظيفتك كنس المسعى ولا تكمل (٣) في نظر شيء من الأوقاف وغيرها. وهو الحقيق في أمره لأنه إلى الجنون أقرب. فخاف من ذلك وتوجّه إلى جدة مع اليازجي محمود الرومي. فالله يقدر للمسلمين خيراً.

وفي هذا الشهر كانت الأسعار بمكة رخية كل رطل لحم بكبير وكذا اللبن

(١) بالأصل: ما يتفق.
(٢) كذا بالأصل، ولعله معشر القوت الذي سيذكر في الورقة الموالية من النص.
(٣) كذا وردت الكلمة بالأصل، ولعل صوابها: تدخل.

وغيرهما، ولله الحمد والمنة.

شهر رجب الفرد استهل كاملاً بالأربعاء من سنة ٩٣٦هـ (١٥٣٠م)

في أوله جاء الخبر بمكة من صاحبها السيد الشريف أبي نمي أن المراكب الهندية وصل منها [١٢٣ ب] لكمران، وأن أمير زبيد مصطفى الرومي....[١] بكمران وأخذ معشرها. فتشوش الناس لهذه الأخبار.

ثم في ثانيه أو ثالثه بطل هذا الخبر وجاء جماعة من البر وأخبروا أنهم نزلوا من مركب هندي جاء من الديو يقال له الفايشي [٢] وأنه خرج وراءه ثمانية مراكب من الهند فتباشر الناس بذلك، ولله الحمد.

وفي يوم الجمعة ثالث الشهر وصل لمكة الشيخ أبو بكر الكرماني الشهير بابن رابعة تلميذ الشيخ محمد بن عراق من الحجاز ومعه قافلة من الحب اللقيمة، فبيعت الغرارة بثمانية عشر أشرفياً، حساب كل ربعية وربع بكبير، وقال: إنه تجدد في طريقهم جملة حب لجماعة صاحب مكة، فتضرر العرب منها وقالوا إن لم يُرفع عنهم وإلا أجاروا [٣] على رفقتهم من المبرّة لمكة. فالله تعالى يوفق ولي الأمر لإزالة ذلك قريباً. وكان قصده التوجّه إليه، ثم طرأ له زيارة النبي ﷺ . فالله تعالى يقدر خيراً.

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر ماتت الطفلة أم هاني ابنة قاضي القضاة شرف الدين يحيى ابن القاضي عز الدين الفائز بن ظهيرة القرشي الشافعي وعمرها نحو ثلاث سنين، فجهّزت [٤] في يومها وصلّي عليها عقب صلاة الجمعة عند الحجر

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٢) كذا وردت الكلمة بالأصل.
(٣) كذا وردت الكلمة بالأصل، ولعل صوابها: أغاروا.
(٤) بالأصل: فجهّز.

الأسود كعادة بني ظهيرة، وشيّعها خلق من الأعيان وغيرهم ودفنت بالمعلاة بتربة سلفها.

وفي هذه الجمعة أشيع بمكة أن الآغا قجماس [١] مملوك الأمير جانم الحمزاوي وصل إلى فريق الشريف أبي نمي صاحب مكة ومعه مراسيم له من ملك الأمراء بالديار المصرية سليمان الرومي.

ثم في عصر يوم السبت ثاني تاريخه وصل هو لمكة ونزل في بيت ملك التجار السيد علاء الدين ومعه نجابة من العرب صحبتهم أوراق للناس مؤرخة بأول جماد الثاني وخفي خبرهم. ويقال إن في مراسيم الشريف التأكيد عليه بامتثال المراسيم الواصلة إليه من الروم مع درويش محمود العجمي في إبطال معشر القوت[٢] وضبط متحصله فيها حتى يعوّض عنها. وأن الشريف أبا نمي ما هان عليه ذلك ولا وافق على ضبطه خوفاً من نفور عسكره ومخالفتهم عليه، فإن ذلك هو قوتهم. ويقال في المثال السائر عند بني حسن « قطع الخشوم، ولا قطع الرسوم » خصوصاً وقد ألفوا ذلك وتوارثوه عن آبائهم وأجدادهم. ونسأل الله السلامة من فتنة ذلك، وإن كان ظاهره خيرا للمسلمين.

واستمر قجماس بمكة إلى آخر الجمعة وسافر فيها لجدة وصحبته الخواجا أبو البقاء السكري، فإنه كان وصل لمكة في شهر تاريخه من جدة بسبب خَصامة بعض الأروام له في إجارة بيت للخواجا ابن الزمن بالسويقة كان واضعاً [٣] يده عليه وباعه لابن الخواجا محمد سلطان. وتواصل مع الأروام للقاضي أبي السرور ابن الضياء الحنفي في أول السنة، وألزم الخصمَ بإظهار مستنده فأحال على السكري

(١) ورد هذا العلم بالأصل « قشماش » ولانعرف اسما بهذا الشكل استُعْمل في هذا العصر، ولعل صوابه « قجماس »، وهو اسم متداول آنذاك. انظر فهارس الأعلام لكتاب بدائع الزهور لابن إياس.
(٢) وهو الموظف الذي ذُكر في الورقة ١٢٣أ، انظر أعلاه.
(٣) بالأصل: واضع.

وتوجّه له بجدة ولم يظهر مستنداً إلاّ في شهر تاريخه بعد أن وضع الأروام يدهم على المنزل وحكم لهم الحنفي بذلك، فطعنوا في مستنده وتوقف الحنفي في الحكم عليهم وأشاع أنه متوجّه للقاهرة مع قجماس والنجابة، والله أعلم بحقيقة الحال.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر سافرت قافلة المدينة الشريفة وفيها خلق من الأعيان وغيرهم منهم أبو الغيث ابن صاحب مكة السيد محمد بن بركات الحسني، عم صاحبها الآن السيد أبي نمي، بأولاده ورفيقه أبو البقاء بن ظهيرة القرشي وولداه الكبيران القاضي عبد الوهاب والقاضي عمر والقاضي سعد الدين ابن القاضي خير الدين بن ظهيرة وزوجته سعادة ابنة القاضي أبي المكارم الرافعي وابن عمه فتح الدين أبو الفتح ابن الشيخ عمر بن ظهيرة وأولاده وأمه، والشيخ[1] فخر الدين أبو بكر ابن شيخ السدنة [١٢٤ أ] جمال الدين بن عمر الشيبي بعياله وأولاده وعمته السيدة صفية والشيخ أبو بكر بن الكرماني الشهير بابن رابعة ومعه جماعة من الفقراء وغيرهم. تقبّل الله ذلك منهم.

وفي يوم الأربعاء ثاني تاريخه تحرك للزيارة جماعة آخرون فاكترَوْا في يومهم لرخص الكراء كل جمل بعشرة أشرفية ذهاباً وإياباً. وتوجّهوا بالسلامة؛ منهم الإمام أبو الخير الطبري والسيد زين العابدين المالكي وشيخ الفراشين الشهابي أحمد بن بيسق بعياله وعيال أخيه وجماعة في نحو أربعين جملاً. كتب الله سلامتهم.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشري الشهر مات ولد طفل لقاضي القضاة الحنفي أبي السرور ابن قاضي القضاة النور علي بن أبي الليث ابن الضياء القرشي من موطوءة حبشية له ظهر في عام تاريخه لغيْظ أمّه من مناكدة أبيه وبضربها عليها وهجرها.

(١) كلمة تكررت بالأصل.

وفي ثاني تاريخه كُوِّنَ[1] الشاب عبد المعطي الوكيل ابن الجمالي محمد ابن الفقيه العلامة زين الدين عبد المعطي بن حسان اليمني الأصل المكي، لدخوله على امرأة مولدة لبيت ابن جوشن جارة له في غيبة زوجها ليلاً وكان يتهمه فجاء زوجها واسمه محمد بن إبراهيم الخضري فوجده عندها – ويقال نائماً على سريرها – فضربه بجنبية نفسه عدة ضربات حتى عطله فهربت الزوجة. وتوجّه الزوج إلى الوزير كمال الدين أبي الفضل بن أبي علي وأخبره بقصته فتدرك له سلامته[2] ومراجعة الشريف في أمره فظهر بين أظهر الناس واستمرت الزوجة عند قبة السيد بركات والد السيد أبي نمي صاحب مكة أياماً ثم رجعت إلى منزلها واستمر المكوّن مريضاً مرضاً مؤلما وازداد به ذلك عند غسل الجراحة لطلبه الغسل[3] وخوفه من الموت حتفاً. واعترف بالزنا وهو غير محصن، وكان ملازماً للأذكار والإنشاد في الزوايا كعادة الشباب في العمل بذلك للوصول لغرضهم من الاجتماع بالنساء والمخلّعة. فالله تعالى يلطف بالمسلمين ويسترهم ويختم بخير.

وتوجّه والده مع القافلة لزيارة النبي ﷺ فصار الولد متعللاً حتى قدم والده ومات في تاسع عشر شعبان كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي عصر يوم الثلاثاء ثامن عشري الشهر وصل لمكة من فريق صاحبها السيد أبي نمي الحسيني قريبه السيد عرار بن عجل النموي ورفقته درويش محمود العجمي الواصل صحبته المراسيم الخنكارية في الكشف على الأوقاف وغيرها وهو راكب بغلة ولابس كبراً وديساً[4] دقيقاً حكمياً، أولهما من ملبوس الشريف أبي نمي

(١) كذا وردت الكلمة بالأصل، وتكررت في هذه الرواية. وهي حسبما يظهر تدل على معنى « ضُرب بالسلاح و طُعن ».
(٢) كذا وردت الجملة بالأصل.
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل.
(٤) كذا وردت الجملة بالأصل غير واضحة المعنى.

وثانيهما من القائد جوهر المغربي. ودار البلد بذلك فصار ضحكة للناس فإنه كان يلبس مرقّعة تحته ويكشف رأسه فأثار فِتنًا كثيرة بالتعلق على الناس وأظهر عجائب بالغوا.... (١) على الفقراء أهل الأربطة والأوقاف والسُبل. وحصل الضرر بذلك فدعوا عليه وسبّوه وهو لا يلتفت، وعنده أن فعله كريم. فلا قوة إلا بالله.

شهر شعبان المكرم استهل ناقصاً بالخميس من سنة ٩٣٦هـ (١٥٣٠م)

وفي أول يوم منه ظهرت العجائب وشاهدنا الغرائب بإظهار درويش محمود بالنداء في الشوارع والأسواق بمكة حسبما أمر به الخنكار والشريف أبي نمي ودرويش محمود بحضور مشائخ الأربطة وكتابة أهلها السكان بها بعد صلاة العصر بالمدرسة الأشرفية ليتحرر المتكرر منهم في تقرير الخلاوي من الأربطة المتفرقة. وتحدث الناس والغرباء بإخراجها عن أهلها لهم. فأنكر المستحقون ذلك وامتنع المشائخ من الحضور له، فتوجّه للشريف عرار بن عجل وأخبره بامتناعهم، فقال له: أنا لا أتعرض للفقراء وأخشى من دعائهم، وإن كان بيدك وجه شرعي اطلبهم إلى قضاة الشرع. فتوجّه لقاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة [١٢٤ ب] فذكر له ذلك وأراه مرسومه وليس له ذكر فيه بالتكلم على الأوقاف وغيرها، بل هو مكتوب لصاحب مكة ونائب جدة داود المتوفى. فتعجب القاضي والخلق من جرأته والافتيات بالنداء من غير تصريح له بذلك من ولاة الأمور، فصار يقول: الشريف أقامني في ذلك، فسكت الناس عنه ولم يأمره القاضي بشيء فصار ملازماً له في كل وقت يراه في المسجد أو في مجلس حكمه.

وتعلق على بعض الأوقاف منها أوقاف الجمالي ناظر الخاص في باب حزورة ومنع المتكلم عليها بطريق النيابة عن المستأجر لها قاضي القضاة الكمالي التادفي

(١) كذا وردت الجملة غير مستقيمة بالأصل، والكلمة الأخيرة غير مقروءة.

والحلبي على عمارة لها في أيام ولايته لقضاء مكة وهو الخواجا جمال الدين الصيرفي الدمشقي. وتوجّه به لقاضي (١) القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة وطالبه بأجرتها وتجاهى عليه بالأروام وأخذ منه مبلغاً نحو مائة دينار وعاوده مرة أخرى ورفع يده عن الوقف بغير مستند شرعي بالجاه، وطلب منه كتابة إشهاد بما قبضه منه فلم يكتب له وقال: قبضتُ منك بالمرسوم الخنكاري، فلله الأمر.

وفي ثاني الشهر أشيع بمكة أن المراكب الهندية الواصلة منها لمكة خرج عليهم الفرنج المخذولون (٢) عند باب المندب وضاربوهم ظلام الليل وهربت طليعة مركب يوسف التركي ولم يُعلم خبرهم. فحصل بمكة وجدة رجفة وطلع سعر الحب والقوت والقماش وتشوّش لذلك جميع الناس. ثم فرّج الله عنهم في أثناء الجمعة بحصول.... (٣) توالاها أياماً حتى دخل لبندر جدة مركب يوسف التركي وطليعته ومركب ثالث للفايشي. وحققوا كذب ظهور الفرنج المخذولين لهم. فابتهج الناس بذلك ورخصت الأسعار ولله الحمد.

وفي صبح يوم الجمعة تاسع الشهر عمل الوزير كمال الدين أبو الفضل بن أبي علي سماطاً حافلاً لزواج ابنته على ابن عمها السراجي عمر ابن الشيخ جمال الدين محمد بن أبي علي. حضره الأعيان من القضاة والسيد علاء الدين ملك التجار والسيد عرار بن عجل والفقهاء والتجار وغيرهم. فكان فيه أطعمة كثيرة مفتخرة من الحلويات وغيرها من الدجاج والكباش والرغيف الأسيوطي والمأمونيتان الحموي والسكب وهريسة الفستق والمشورات والزيرباج وغيرها(٤) وقسم منها على بعض الأعيان.

(١) كلمة تكررت بالأصل.
(٢) بالأصل: المخذولين.
(٣) كلمة غير واضحة بالأصل.
(٤) بالأصل: غيرهم.

وعمل الزوج في ليلة السبت ثانيه وهنأ الناس الزوج ووالده وعمه. وكان زواجاً بهجاً، جعله الله مباركاً.

وفي ليلة السبت عاشر الشهر وصل لمكة القاضي الجليل أبو البقاء محمد ابن القاضي عفيف الدين بن ظهيرة القرشي المكي وصُحبته ولداه النجيبان الرئيسان التاجي عبد الوهاب والسراجي عمر من الزيارة النبوية متقدمين عن القافلة رفقة السيد الشريف أبي الغيث ابن صاحب مكة السيد محمد بن بركات الحسني وعم صاحبها السيد أبي نمي، وتوجّهوا معهم لوادي الدكناء لضيافته بها.

وفي صباحها هنأهم الناس وعمل لهم عيالهم سماطاً لطيفاً حضره الأعيان والقضاة الثلاثة ما عدا قريبهم الشافعي لمهاجرة كل منهما للآخر. وكان توجّه هو للزيارة في أول السنة و لم يهنؤوه عند قدومه فعاملهم كفعلهم. وجميع ذلك غير مرضي لقطع الرحم.

وفي يوم الأربعاء رابع عشر الشهر وصل لمكة جميع القافلة من الزيارة النبوية وتوجّه الناس لتهنئة القادمين فيها.

وفي يوم الخميس نصف الشهر تحرك العواني درويش محمود بالنداء مرة ثانية في الشوارع والأسواق بمكة بحضور مشائخ الأربطة وكتابة سكانها في قوائم له وحضورهم بها عند قاضي [١٢٥ أ] القضاة الشافعي. ويقال فعل ذلك بمراجعة صاحب البلاد الشريف أبي نمي الحسني وأمر بعض الأتراك بملازمته وتأييد أمره. فلا حول ولا قوة إلا بالله. فحضر غالب المشائخ بعد صلاة العصر فصلى قاضي القضاة الشافعي بزيادة دار الندوة وكان حاضراً فدفعوا له قوائم بأسماء المستحقين وأخذها، وتكلم أهلها معه وجاهروه بالدعاء على من يظلمهم، فقال: ليس قصدي ظلم أحد، وقام من المجلس و لم يُبْد أمراً، ولله الحمد على ما تفضل.

وفي يوم الإثنين تاسع عشر الشهر مات عبد المعطي ابن الجمالي محمد بن

حسان المكوّن في ثالث عشري شعبان (١) بعد مرضه ستة وعشرين يوماً، فجهّز في يومه وصلّي عليه بعد صلاة العصر ودفن بالمعلاة واختفى خصمه. وتوجّه والده لفريق صاحب مكة السيد أبي نمي وشكا قصة ولده ورمى عمامته وأعطاه ورقة من قاضي القضاة الشافعي بالوصية عليه. فقدر الله تعالى أنه كان وصل للشريف وقت اجتماعه به شاووشان من الأروام جاءا بخبر نصرة السلطان سليمان خان ابن عثمان على الفرنج المخذولين من أهل الأنقرس. فتشوش الشريف من فعله وتكلم عليه وفتح سيرة ولده.

ثم إنه أمر بخروج أهل المسفلة الذين القاتل منهم من مكة إن لم يحضروا بالقاتل وقد هرب فالتمّ مشائخ أهل المسفلة فتوجّهوا للشريف فلم يجبهم وتهددهم بالقتل فتوجّهوا لوادي صروعه للدخالة على مشائخها، فدخلوا معهم لمكة ودخلوا لقاضي القضاة الشافعي ووالد المقتول لإعطاء الدية ومايهتمون في حضور القاتل فمال والده (٢) لذلك طمعاً في المال ورضى به. فراسل قاضي القضاة الشافعي السيد الشريف أبا نمي بذلك فسكتت القضية.

وأشيع أن القاتل مات عطشاً وجوعاً في طريق الحجاز. والله أعلم بذلك.

وفي ضحى يوم الخميس ثاني عشري الشهر وصل الشاووشان الأروام لمكة ونزلوا بالمدرسة العينية وتوجّه أرباب الوظائف للسلام عليهما. ثم نودي بزينة أسواق مكة سبعة، فشرعوا في ذلك يوم تاريخه واستمرت سبعة أيام بلياليها وفرح الناس بذلك ولله الحمد.

وفي تاسع عشري الشهر حصل بمكة غَيم مطبق ومطر كثير منَع قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام من طلوع أبي قبيس لرؤية هلال رمضان على العادة.

(١) كذا بالأصل، والصواب « ٢٣ رجب »، وهذا خطأ من الناسخ، وقد وردت أخبار هذه الحادثة في الورقة ١٢٤أ، انظر أعلاه.

(٢) وردت الجملة بالأصل كما يلي « ويهتمون في حضور القاتل فما والده »، والإصلاح مقترح.

فقدر الله تعالى أنه كشف الغيم عند غروب الشمس ورؤي الهلال ظاهراً لكل أحد بعد إخفائه، ولله الحمد.

شهر رمضان المعظم قدره استهل ناقصاً ليلة الجمعة من سنة ٩٣٦هـ (١٥٣٠م)

وفيها سقط منزل صهر الشريف منصور العجمي بالسويقة من مكة المشرفة على الساكنين فيه جماعة من الحلبيين قرابة الخواجا قاسم الجمال، هم امرأة وأولادها وعيالها، فسلم الجميع ما عدا المرأة وعبد ماتا وأخرجا من تحت الردم. وجهّزت المرأة في صبح تاريخه ودفنت بالمعلاة وكان زوجها غائباً بجدة وحضر الكشف عليها بعض أقاربها وأصحابه منهم الخواجا برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ علي الدمشقي. وكان وضع شمعة في قاعة سكنه نسياناً فلما فرغت أكلت ما حولها وأحرقت جميع حوائجه التي بالقاعة وهي تحف كثيرة من الفرش والأثاث والملبوس وغيره، يقال نحو ألفي دينار، وتشوش الناس له، فالله تعالى يجبره ويعوضه خيراً.

[١٢٥ ب] وفي مغرب ليلة السبت ثاني الشهر ماتت أم الحسين ابنة السراجي عمر ابن الشيخ أحمد الزبعي بعد توعكها أشهراً بالحمى الدق والسعلة كوجع أختها. وكانت تزوجت في آخر شهر ربيع الأول عام تاريخه وأقامت مع الزوج خمسة أشهر غالبها مريضة فيها. وتخاصم زوجها وإياها بسببها وأدّى الأمر إلى طلاقها في عصر تاريخه وهي غائبة الذهن. وطلعت روحها بعد خروجهم عنها وكان ذلك غرض كل من أبيها والزوج لعدم المطالبة بإرثها ومهرها. وقد أخطأ كل منهما في فعله، فلا حول ولا قوة إلا بالله. فجهّزها والدها في ليلة تاريخه وصلّي عليها بعد صلاة الصبح ودفنت بالمعلاة على أمها بتربة بيت الشطي عند الدرب. رحمها الله تعالى.

وفي العشر الأول من شهر تاريخه وصل الخبر لمكة بأن صاحب عدن من بلاد اليمن صالح الفرنج المخذولين على إقامة ثلاثين نفساً منهم في بلده لأجل البيع والشراء لهم وأنهم يُطلقون الأسرى الذين معهم ولا يتعرضون لمن يسافر من عدن بالمراكب الهندية. فأنكر المسلمون ذلك وتشوشوا من فعله، فالأمر لله.

وفي يوم السبت سادس عشر الشهر وصل لمكة الشيخ مسلّم البدوي من مصر ومعه مراسيم من نائبها ملك الأمراء سليمان باشا الخصي الرومي لصاحب مكة السيد أبي نمي الحسني وصحبته عدة أوراق للناس. وفيها أن الأمير جانم الحمزاوي نوى التوجّه للروم من البر لتهنئة الخنكار بنصرته على الفرنج المخذولين وأن الخواجا أبا البقاء السكري واجه القاصد في البويب (1) قريب مصر ومعه قجماس (2) مملوك الحمزاوي، ولم يظهر خبر المراسيم.

وأشيع بمكة أن جماعة من بني إبراهيم أهل ينبع خرجوا من مصر هاربين لبلدهم ووصلوها فصار الناس في هرج ومرج بسببهم. فالله تعالى يخذلهم.

وفي يوم الجمعة ثاني عشري الشهر أشيع بمكة أن قاصداً ثانياً وصل لجدة من مصر أرسله (3) الخواجا أبو البقاء السكري بولاية صهره قاضي القضاة التاجي عبد الوهاب بن يعقوب المالكي وأنه توجّه لفريق صاحب مكة الشريف أبي نمي.

ثم في ليلة السبت ثاني تاريخه وصل القاصد وهو.... (4) البدوي ومعه مراسيم من نائب مصر بولاية القاضي تاج الدين المالكي لقضاء المالكية بمكة ونصف الإمامة بالمسجد الحرام على ما أنعمت به الحضرة الخنكارية السليمانية من الروم. وصحبته

---

(١) البويب: قال عنه ياقوت: هو مدخل أهل الحجاز إلى مصر. معجم البلدان ١: ٥١٢.

(٢) ورد بالأصل « قحماش » انظر صفحة ٥٠٩ الهامش رقم ١.

(٣) كلمة تكررت بالأصل .

(٤) بياض بمقدار كلمة بالأصل.

عدة أوراق من صهره وغيره والإخبار فيها بوصول قاصد السكري من الروم قبل دخول السكري لمصر بيوم واحد، وعُدّ ذلك من الاتفاقية الغريبة، وسر صاحب الوظيفة بذلك وكذا أصحابه واهتم لذلك خصمه قاضي القضاة الشرفي الأنصاري وتوجّه الناس للسلام عليه وعلى المعزول كما جرت به عادة البلد. وتحقق من القاصد وصول بني إبراهيم لينبع وخيبر في جمع كبير، يقال معهم نحو ثمانين فرساً وثلاثمائة راجل على نية الصلح مع صاحب[1] والإقامة ببلدهم ينبع. فتشوش أهل مكة وصاحبها من هذا الخبر لكونهم مفسدين، خذلهم الله.

وأمر السيد أبو نمي صاحب مكة بجمع خيل من الحجاز لموت بعض خيله أول السنة على نية يرسلها مع عسكر صحبة الشريف عرار بن عجل الحسني واستخدم جماعة من الأروام بالنفط نحو العشرين ومن الترك مثلهم وخلق من جماعته بني حسن. فقدم الشريف عرار بمكة وأقام بها أياماً وعاد للفريق ليعتمد به وتوجّه لينبع بعد الفطر.

[١٢٦ أ] وفي عصر يوم الأربعاء سابع عشري الشهر ختمتُ **صحيح البخاري** خلف مقام الحنفية - على العادة - وحضره جماعة من الأعيان كناظر الصدقة الهندية إقليم خان البكري وسمعه من حضر وأجزتُ لهم. وعملت بخوراً وطيباً ودعوتُ لسلطان الروم والهند والخواجا عبد الله.

وفي يوم تاريخه ختم عليّ الولد تقي الدين محمد بن فهد **مسند الإمام الشافعي** وأجزتُ له روايته.

وفي عصر يوم الجمعة تاسع عشري الشهر طلع قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام إلى علو جبل أبي قبيس لرؤية هلال العيد و لم يره مع الصحو. وصام الناس تاماً جميع الشهر، ولله الحمد.

(١) كلمة سقطت من الأصل، ولعلها « البلد ».

شهر شوال المبارك استهل كاملاً بالأحد من سنة ٩٣٦هـ (١٥٣٠م)

في أوله عيّد الناس وصلّى بهم وخطب الخطيب الأصيل وجيه الدين عبد الرحمن ابن الخطيب فخر الدين العقيلي النويري، وأدى الخطبة المعتادة تأدية حسنة من غير توقف بالنسبة لعادته، ولله الحمد.

وفي يوم الخميس خامس الشهر وصل لمكة صاحبها السيد الشريف أبو[1] نمي الحسني وتوجّه الأعيان للسلام عليه. واهتم في جهاز عسكره لينبع وعين أربعين فرساً وأربعين مملوكاً، صرف لكل واحد عشرين أشرفياً في الشهر وأربعين رومياً بالبندق لكل واحد اثني عشر أشرفياً، وقيل دونها، وجماعة من بني حسن لكل واحد تسعة أشرفية ومقدمهم الشريف عرار بن عجل النموي الحسني. ورحلوا في يوم تاريخه والذي يليه بعضهم من مكة والباقي من فريق صاحبها بالبحرة- قريب جدة- ثم إن السيد أبا نمي صلّى الجمعة وعاد لفريقه. فالله تعالى ينصره ويؤيد عسكره بجاه جده المصطفى.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر شرع القضاة الأربعة وغيرهم من الكتبة والمشدين الأروام في تفرقة حب الصدقة الخنكارية على أهل مكة المشرفة بعد مشاورة ملك التجار السيد علاء الدين الحسني واليازجي محمود الرومي النائب بجدة وهما بها.

وكان الحب وصل من أول السنة وتوقفوا في تفرقته لكلام بعض العوانية[2] بالروم على أنه يفرق على الأغنياء والمتسببين، فجاء مرسوم بمنعهم، وغالب أهل البلد من العامة حاله مستور ويتعانى البيع والشراء في الأسواق. فقال القضاة: نحن لا

(١) بالأصل: أبي.

(٢) العوانية: هم نَقَلة الأخبار، المخبرون. انظر ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ٢٣٩؛ ٤: ١٨٥.

نقدر على منعهم ولا نخالف مرسوم الخنكار، فتوقفوا في ذلك وكاتبوا ملك الأمراء نائب الديار المصرية فأحال الأمر عليهم.

وضبط أهلَ البلد الشيخُ ولي الدين أبو زرعة المنوفي الشافعي على عادته -نفع الله به- فبلغ عدتهم أربعة وعشرين ألفاً زيادة على العادة بنحو سبعة آلاف لكثرة الغرباء المقيمين بمكة الواصلين إليها براً وبحراً.

فتلف الحب لخزنه وخرج منه للدشيشة....(١) وجميعه.... (٢) إردب وأعطي لكل نفر نقصاً عن عادته. فلكل واحد من الفقهاء ربع مُدّ ينقص نصف كيلة. ولكل عامي كيلتان ونصف بحسب عدد عيالهم. واستمروا على ذلك نحو عشرين يوماً. فالله تعالى يجزي المتصدقين خيرا وينتقم من المؤذين، بمحمد وآله آمين.

وفي يوم الخميس تاسع عشر الشهر وصلت قافلة المدينة الشريفة وفيها فخر الدين ابن شيخ السدنة جمال الدين محمد بن عمر الشيبي بعياله وأولاده والقاضي سعد الدين ابن العلامة القاضي خير الدين أبي الخير بن ظهيرة القرشي بعياله وغيرهم ممن جاور بها، وقاضي المدينة كان وخطيبها وإمامها الآن القاضي فتح الدين أبو الفتح ابن قاضي القضاة صلاح الدين محمد بن أبي الفتح [١٢٦ ب] ابن صالح الشافعي وبعض أقاربه، والقاضي خضر الرومي الحنفي والشيخ جمال الدين عبد الله بن عمر كاتب الحرم الشريف بعياله وخلق منهم. وكُتبوا في صدقة الحب وأعْطوا منه كالفقهاء وهو قليل بالنسبة لما يحصل في بلدهم، فإن حبهم كثير وعددهم قليل.

وفي يوم الجمعة ثامن عشر الشهر ختم علي **صحيح البخاري** بالمسجد الحرام الفاضل المقرئ شهاب الدين أحمد بن.... (٣) الأندلسي المغربي المالكي وسمعه جماعة

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل.
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

وأجزت لهم روايته وكتب القارئ إجازة به ولله الحمد على بلوغ ذلك.

شهر ذي القعدة الحرام استهل ناقصاً بالإثنين
من سنة ٩٣٦هـ (١٥٣٠م)

في أوله جاء الخبر للسيد الشريف أبي نمي بأن بني إبراهيم أهل ينبع كثر جمعهم من القادمين والمقيمين والتجؤوا إلى بلدهم الشريف(١) وطلب الشريف عرار ابن عجل منه تكثير العسكر وإرسالهم له لمقابلتهم للحرب، فاهتم الشريف أبو نمي لذلك وبلغ اليازجي محمود النائب بجدة ذلك فبرز من جدة ليقدم مكة ويعين منها عسكراً من الأروام. فلما وصل لوادي جدة جاءه الخبر بأن النائب الجديد بجدة والي جلبي الرومي وصل إليها في غراب تقدم من المراكب المسمارية، فعاد لمواجهته واجتمع به.

وكان قدومه لها في يوم الثلاثاء تاسع الشهر. ونزل إليها ليلاً ودخل الفرضة السلطانية وخرج الناس في صباحها للقائه من البحر ليعرضوا له فبلغهم دخوله للبلد ليلاً، فتوجّهوا إليه وسلموا عليه وأخبروه بقضية بني إبراهيم فأمر الزيني مصطفى مشدّ العين والعمائر السلطانية ليجمع عسكراً من الأروام وينفق عليهم للتوجّه صحبة عسكر صاحب مكة السيد أبي نمي الحسني.

فيقال إنه عيّن ثلاثين رومياً يرمون بالبندق وجماعة الشريف أربعين تركياً صرف لكل واحد منهم أربعة وعشرين أشرفياً في كل شهر وللأروام كل واحد اثني عشر. ومن الخيل أربعين وجماعة من أكابر بني حسن مقدمهم السيّد أبو القاسم ابن السيد بركات شقيق السيد أبي نمي صاحب مكة وصحبته القائد ياقوت بن عجلان إلى عسفان وعاد منها. وتوجّه غالبهم من فريق الشريف والأروام من مكة

(١) كذا وردت الجملة بالأصل.

مصحوبين بالسلامة. وأمرهم الشريف بمقاتلتهم في سابع عشر تاريخه إن أمكنهم ذلك وإلا يؤخرون إلى بعد سفر الحج من مكة. فالله تعالى يقدر لهم وللمسلمين خيراً ويكفيهم شر المؤذين.

وفي أول جمعة تاريخه تمت[1] تفرقة حب الصدقة الخنكارية، على أهل مكة العلية، وكانت مدة فعلهم لذلك نحو عشرين يوماً بمباشرة القضاة الأربعة. فأخذ كل واحد ثلاثة أرادب وللمعزول إردبين والشافعي ضعفهم لوظيفة القضاء ومتولي نظر المسجد الحرام، ولكل واحد من الفقهاء بحسب عياله لكل نفر ربع إلى نصف كيلة، ولكل من العامة كيلتين ونصف، ومجموع الأنفار أربعة وعشرون[2] ألفاً.

وفي ليلة الإثنين ثالث عشر الشهر مات الشيخ المعمر الأصيل نور الدين علي ابن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم المرشدي المكي الحنفي عن نحو ثمانين سنة وكان منقطعاً في منزله عدة سنين بوجع الحرقة. وكان ولده الزيني عبد الأول توجّه إلى وادي أرض خالد للنزهة فطلب [١٢٧ أ] وأدرك والده قد قُبِر بمدفنه، وأمر قاضي القضاة الشافعي المحبي ابن ظهيرة بالصلاة عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة وشيّعه خلق من الأعيان وغيرهم، ودفن بالمعلاة على والده بالشعب الأقصى جوار السيدة خديجة الكبرى زوج النبي ﷺ ورضي عنها. وهو آخر الأكابر بمكة الآن، رحمه الله تعالى وإيانا.

وفي ليلة الأربعاء سابع عشر الشهر توجّه جماعة لوادي الجعرانة. وهو المكان الذي اعتمر منه النبي ﷺ لما رجع من الطائف بعد فتح مكة وقسم بها غنائم حنين. وقال الفاكهي[3] إنها على بريد من مكة، وقال الفاسي: هذا مخالف للباجي فإنه

(١) بالأصل: تمّ.
(٢) بالأصل: عشرين.
(٣) من هنا بدأ النقل بتصرف عن الفاسي من كتابه شفاء الغرام الجزء الأول من صفحة ٤٦٧ إلى ٤٧٠، مع انتقاء للنصوص.

قال: بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلاً، وحَدّ الحرم من جهتها على تسعة أميال – بتقديم المثناة – وقيل بريد، وهو اثنا عشر ميلاً.

وذكر السهيلي أنه سُمي بامرأة تلقب بالجِعرانة واسمها ريطة بنت سعد بن زيد ابن تميم وقيل من قريش، وهي التي نقضت غزلها، وقال الله تعالى فيها: ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة ﴾ الآية[1] كما بينه الفاكهي وقال: لقبها جعرانة[2] وكانت حمقاء.

وذكر الواقدي أن النبي ﷺ أحرم من هذا المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى من الجعرانة. وأما المسجد الأدنى فبناه رجل من قريش واتخذ حائطا عنده ولم يَجُزْ رسول الله ﷺ الوادي إلاّ محرماً. وكان إحرامه ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة. نقل ذلك عن الواقدي المحب الطبري قال: ومنها يحرم أهل مكة كل عام ليلة سبع عشرة من القعدة، وذلك خلاف ما ذكره الواقدي انتهى.

وما ذكره المحبي الطبري يخالف ما أدركنا[3] عليه أهل مكة فإنهم يخرجون من مكة في اليوم السادس عشر من ذي القعدة ويقيمون اليوم السابع عشر بالجعرانة ويصلّون المغرب بها ليلة الثامن عشر ويحرمون ويتوجّهون إلى مكة، وهو يلائم ما ذكره الواقدي. إلا أن في بعض السنين يحصل للناس تخوف فيخرجون من الجعرانة محرمين من اليوم السابع عشر، وربما خرجوا منها قبل صلاة العصر. وما ذكره الواقدي في تاريخه عمرة النبي ﷺ هو المعروف. كما نقل ذلك القاضي تقي الدين

(١) سورة النحل، الآية ٩٢.
(٢) بالأصل: جعر، والإصلاح مقترح.
(٣) الكلام هنا للفاسي.

الفاسي المالكي في تاريخه **شفاء الغرام**. ثم نقل جواب الحافظ ابن سيد الناس[١] المذكور عن محمد بن سعد كاتب الواقدي عن عقبة مولى ابن عباس أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة يقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال. ثم قال: هذا ضعيف.

والمعروف عند أهل السير أن النبي ﷺ انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة وأقام بها ثلاث عشرة ليلة فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة ليلاً، فأحرم بعمرة ودخل مكة انتهى.

قال: والجعرانة هو أفضل مواقيت العمرة من مكة لإحرام النبي ﷺ على مذهب مالك والشافعي وابن حنبل وغيرهم من العلماء ﵃.

واختلف في ضبطها، فقال النووي في **تهذيب الأسماء واللغات**: الجِعرانة بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء، هكذا صوابها عند إمامنا الشافعي والأصمعي وأهل اللغة ومحققي المحدثين وغيرهم ومنهم من يكسر العين ويشدد الراء وهو قول عبد الله بن وهب وأكثر المحدثين. قال صاحب **الأنوار**: أصحاب الحديث يشددونها وأهل الإتقان والأدب يخطئونهم ويخففون وكلاهما صواب [٢].

ومن فضلها ما ذكره الجَنَدي[٣] في **فضل مكة** له[٤] بسنده عن يوسف بن

(١) هو الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري الأندلسي المصري المعروف بابن سيد الناس. حافظ من كبار محدثي عصره، له مؤلفات شهيرة في السيرة. توفي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م. انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ١١: ٢٩٦.

(٢) النووي: تهذيب الأسماء واللغات ٢: ٥٨ – ٥٩.

(٣) هو المفضل بن محمد الجندي المكي، توفي ٣٠٨ هـ / ٩٢٠م. محدّث له كتاب في العقيدة وآخر في فضائل المدينة وثالث في فضائل مكة. انظر عنه الفاسي: العقد الثمين ١: ١٠؛ ٧: ٢٦٦– ٢٦٧.

(٤) نُقلتْ عنه نقول كثيرة في كتب الفاسي وغيره، ولا نعرف نسخة كاملة من الكتاب وإنما توجد منه قطعة في ٨ ورقات بدار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن المجموع رقم ١١٢١ (٣٣٠ حديث).

ماهك قال: اعتمر من الجعرانة [١٢٧ ب] ثلاثمائة نبي، وصلّى في مسجد الخيف سبعون نبياً.

وبالجعرانة ماء شديد العذوبة يقال إن النبي ﷺ فحص موضع الماء بيده المباركة فانبجس فشرب منه ﷺ وسقى الناس. ويقال: إنه غرز فيه رمحه فنبع الماء موضعه وهذان الخبران [١] في كتاب الفاكهي [٢]. انتهى كلام الفاسي ملخصاً.

ونقل جد والدي الحافظ الرحلة تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي – رحمه الله – في كتابه **الإبانة في فضل الجعرانة**[٣] فضائل كثيرة اقتصرتُ منها على ما ذكرته.

وقد قرأتُ هذا المؤلف من لفظي في الجعرانة بحضرة جماعة من الفضلاء منهم: أئمة الشافعية المحمدون عبد البر وأبو الخير وأبو اليمن، والبرهاني إبراهيم أولاد الإمام أبي السعادات الطبري وغيرهم. وأجزت أنا والأئمة لمن حضرنا روايته، وزرنا في المكان المسجدين المأثورين وشربنا من البئر الكبيرة العذبة الماء المشهورة على الألسنة أنها البئر المباركة النبوية. وهي مدورة وبقربها بئر مربعة وعدة أشجار جميز عظيمة في الكبر يقال بعضها قديم وبعضها محدث، ورأينا بقرب المسجد الأقصى عدة قبور للعرب النازلين بجعرانة وبالبعد منه عند الصخار الشرقية محل [٤] يقال له الصحيفة حجارة مُلْس يَعْجن فيها الزوار عجينهم ويقرصونه صغاراً ويخبزونه على النار ويتهادون به لأهل مكة عند عودهم. و لم أرَ له ذكراً في التاريخ ولا نبّه عليه جدي، لكن يفعله السلف عن الخلف.

وأقمنا بالجعرانة من بعد صلاة العصرِ وأحرمنا منها وعُدْنَا إلى مكة المشرفة

(١) بالأصل: الجعرانة، والإصلاح من شفاء الغرام للفاسي.

(٢) الفاكهي: أخبار مكة ٥: ٦١.

(٣) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ١: ٨ .

(٤) بالأصل: محال، والإصلاح مقترح.

واجتمع معنا خلق نحو عشرين شقدفاً ومشاة وركبانا على بهائم نحو الثلاثين. ووصلنا إلى مكة نصف ليلة الخميس ثامن عشر الشهر وطفنا [١] وسعينا وفكّينا [٢] الإحرام، ولله الحمد والمنة.

وسمعتُ أنه في كل عام يخرجون إليها ويقيمون بها في بعض الأحيان كثيراً وبعض الأحيان قليلاً. وكان جد والدي ممن يلازم الاعتمار منها كل سنة كما شاهدته في مؤلفه الماضي ويقرؤه هناك. وأرجو الله تعالى أن ييسر لي ذلك بقية عمري اقتداء بالنبي ﷺ.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر الشهر مات الكيخيا.... [٣] الرومي الواصل لمكة بحراً مع نائب جدة عام تاريخه. وكان وصل من الروم ببشارة نصرة الخنكار على أهل الأنقرس، وحصل له من نواب المملكة الشامية والمصرية يقال نحو ثلاثين ألف دينار ومعه مثلها. وخلف ذلك للسلطان غنيمة، وجهّز في يومه ودفن بالمعلاة وشيّعه الأعيان. عفا الله عنه وإيانا. وبُنِيَ له على قبره قبة على أربعة أعمدة.

وفي يوم الإثنين ثاني عشريْ الشهر قدم مكة صاحبها السيد الشريف أبو نمي فتوجّه له الأعيان للسلام عليه، جعله الله قدوماً مباركاً عليه وعلينا وعلى جميع المسلمين.

وفي ثاني تاريخه قدمها نائب جدة والي جلبي الجاركسي، وقيل الرومي الحلبي، والسيد علاء الدين ملك التجار وكان توجّه لجدة وسط السنة، فقصدهما الأعيان للسلام عليهما. وكثر الواصلون من البحر من الأروام وغيرهم، وخلع النائب على صاحب مكة خلعة وأعطاه مرسومه وقت السلام وأظهر له توددا، وشكر الناس منه ذلك.

---

(١) كلمة تكررت بالأصل.
(٢) كذا وردت الكلمة بالأصل.
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

وفي ليلة الخميس خامس عشري الشهر مات الشيخ المعمر الصوفي عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن عبد الله الحفاشي اليمني الشافعي نزيل مكة المشرفة بعد توعكه أشهراً، فجهّز في ليلته وصُلّي عليه [١٢٨ أ] صبح تاريخه عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من الفقراء وغيرهم في مشهد حافل، ودفن بتربة الشيخ الجنيد المشرع عند الشيخ علي الشولي بسفح الجبل بالمعلاة.

وخلف زوجة وأولاد أخويه و لم يعقب وترك كتباً كثيرة وكان حريصاً على تحصيلها ضنيناً بعاريتها مع كثرة فوائده وتودده. وأثنى الناس عليه خيراً، رحمه الله تعالى وإيانا ونفع به.

وفي ضحى تاريخه ماتت الطفلة سيدة الجميع ابنة قاضي القضاة الشافعي المحبي ابن ظهيرة القرشي وصلّي عليها عند الحجر الأسود كعادة سلفه وشيّعها خلق من الأعيان، ودفنت بالمعلاة بتربة أهلها بالحجون وعمرها سبعة أشهر، عوض الله والديها فيها خيراً وأخلفهما ذكراً صالحاً.

وفي صبح تاريخه شُمرت ثياب الكعبة ويقال إحرامها على العادة. ووصلت راحلة لصاحب مكة السيد الشريف أبي نمي من ينبع أخبر صاحبها بوصول الحاج سالمين إليها في تاسع عشر الشهر. وأن جماعة بني إبراهيم العاصين طلبوا الصلح مع الشريف عرار أمير عسكر صاحب مكة ويعطونه الفرس والدرع والرهائن على عادتهم القديمة. ويقال إن الشريف أبا نمي توقف في ذلك ونيته التوجّه إليهم بنفسه بعد الحج وأمر عسكره بالإقامة بينبع. فالله يقدر له وللمسلمين خيراً.

وفي عشاء ليلة الجمعة ثاني تاريخه وصل لمكة متقدما عن الحجاج من ينبع عم أميرهم الشيخ شرف الدين بن يحيى الحمزاوي أخو مدبّر المملكة الأمير جانم كعادته في التقدمة للتملي بالعبادة في الخلو وإدراك صلاة الجمعة وصحبته جماعة، وأخبروا بسلامة الحجاج وكثرتهم وأن الحاج الشامي توجّه على دربه المعتاد، فالله يكتب

سلامته (١) ويكتب سلامة المسافرين في البر والبحر من المسلمين.

وفي يوم السبت سابع عشري الشهر أضاف نائب جدة قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة فخلع عليه خلعة ومشى الفقهاء أمامه لمنزله وهنؤوه بها.

وفي عصر تاريخه سافر لجدة الملك إقليم خان أمين الصدقة الهندية وناظرها خليل بن.... (٢) الكيلاني وكانا قدما مكة للوداع فتحدث الناس بتفرقتهم صدقة على أهل مكة ثم تحقق بعد سفرهم كتابة قائمة بخط الهنود جملتها ألف دينار سمي فيها لقاضي القضاة الشافعي ثمانون أشرفياً ولكل من القضاة المتولين والمفصولين أربعين وكذا الخطيب وشيخ (٣) ولأئمة الشافعية خمسة وثلاثون ولأئمة الحنفية خمسة وعشرون ولخدام الدرجة مثلها وللفراشين مثلها وللمشائخ المدرسين من الأكابر عشرة والأصاغر خمسة ولي باسم شيخ الحديث ستة وغير ذلك من أرباب الوظائف كالمؤذنين والوقادين. وتشوّش غالب أهل الحرم لعدم ذكرهم فيها ونُسب فعل ذلك للناظر أو المباشر الشيخ أبو زرعة المنوفي والخرمت (٤) في تفرقتها العادة في إعطاء القضاة في الألف عشرين. فالله تعالى يعوّض المستحقين خيراً ويكتب سلامة المسافرين براً وبحراً.

وذُكر أن المراكب الهندية تسافر للهند في رابع ذي الحجة وفي ذلك حسرة وندامة لفوات الحج، لكن الضرورات تُبيح المحظورات.

وفي ليلة الإثنين تاسع عشري الشهر دخل لمكة أمير الحاج قرب نصف الليل المقر الجمالي يوسف ابن المقر الأشرف الأمير جانم الحمزاوي، وطاف وسعى ماشياً وعاد للزاهر بعد أن لاقاه صاحب مكة السيد أبو نمي الحسني وقاضي القضاة

(١) بالأصل: سلامة.

(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

(٣) كذا بالأصل، وهو كلام غير تام.

(٤) بالأصل: الخرم.

الشافعي المحبي بن ظهيرة من خارج مكة .

[١٢٨ ب] وفي صباحها خرج لملاقاته من الزاهر على العادة بعسكره صاحب مكة وقاضيها الشافعي والسيد ملك التجار ونائب جدة وغيرهم. فخلع على الشريف والقاضي والسيد ملك التجار ومحمد ابن السيد عرار بن عجل زوج حماطة أخت السيد أبي نمي عوض والده لغيبته في ينبع على العسكر المقيمين بها، ودخل الجميع لمكة ما عدا أمير الحاج الجمالي يوسف الحمزاوي فنزل في محطته أمام درب المعلاة بالقرب من بركة الشامي على عادة أمير الحاج المصري قبله. ونزل جميع الحاج في بيوت مكة وتردد أمير الحاج لسكن عمه الشرفي يحيى الحمزاوي في بيت الشريفة خزيمة المجاور لمدرسة طاب الزمان في الرواق الغربي من المسجد الحرام قرب باب العمرة لقضاء مأربه وحضور بعض الصلاة في المسجد.

وفي آخر يوم تاريخه طلع لجبل أبي قبيس قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة ناظر المسجد الحرام لرؤية الهلال مع جماعة من الفقهاء على العادة فلم يروه لخفائه.

شهر ذي الحجة الحرام استهل كاملاً بالأربعاء
من سنة٩٣٦ هـ (١٥٣٠م)

وفي صباحها قرئت المراسيم في الحطيم بحضرة السيد أبي نمي وأمير الحاج ونائب جدة وملك التجار والقضاة الأربعة وغيرهم، ولبس الشريف أبو نمي خلعته وطاف بها ودعا له الرئيس على عادته من زمزم.

وفي يوم الخميس ثاني تاريخه فُرقت المبرّة الرومية بمنزل اليازجي عليها في مدرسة الشيبي في الجهة اليمانية من المسجد الحرام بحضرة نائب جدة والقضاة الأربعة وكانت القوائم بيد نائب جدة والي جلبي واليازجي لها يكتب أسماء القابضين

مع الجمالي محمد بن مدهش كاتب الشريف أمير مكة وجماعة من الصيارف يعدون الفضة عن كل أشرفي دينار خمسة وثلاثين كبيراً بنقص الثمن فيه عن صرف الناس. وكل من طلع اسمه ينادى له والناس مجتمعون في المسجد الحرام فيطلع إليهم صاحب الاسم بمفرده ويقبض ما يخصه ويجمع جميع ما لكل شخص في الخزانة الشريفة والأوقاف القديمة وغيرها، وأفرز لكل من العرب قائمة تخصهم وللعجم والأروام قائمة تخصهم ليعلم النائب بجدة كثرة المقررين من العرب أو العجم. وفيها مصلحة كبيرة (١) للعرب لأن غالب التفريق للعجم والأروام(٢).

وكانت التفرقة أربعة أيام متوالية استوفوا فيها جميع المرتبات من الصر والبيوت والأسماء المتفرقة ثم في يوم الإثنين سادس الشهر أخروا تفرقة الأربطة لتحرير سكانها إلى بعد الحج وتضرر أهلها من فعل ذلك.

وكان في يوم الجمعة ثالث الشهر فُرّقت الذخيرة الشريفة الواصلة من نائب الديار المصرية على العادة تفرقة هنية بحضرة مباشريها وخازندار أمير الحاج وشهود قاض بكتابة أشاهيد منهم. وذلك بالرواق الغربي من المسجد الحرام أمام منزل عم أمير الحاج الشيخ شرف الدين يحيى الحمزاوي. واستمروا على ذلك أياماً مع تفرقة الصرر الواصلة من القاهرة كأوقاف القضاة وغيرها ما عدا الحكمي والمستجد فوصلت قوائمها محالة على البرج والغازية الواصلة من الشام على العادة في السنتين المتقدمتين قبل هذه السنة.

وفي يوم الأحد خامس الشهر وصل لمكة جماعة من سَبْق الحاج الشامي وتباشر الناس بها لخوفهم من تخلفه.

وفي ثاني تاريخه كانت فرضة أمير الحاج من الزاهر واسمه [حاجي بك] (٣)

(١) بالأصل: كبير.

(٢) كذا وردت الجملة بالأصل، وبها لا يستقيم المعنى. فلعل كلمة « مصلحة » جاءت عوض كلمة «ضرر».

(٣) كُتِب هذا الاسم بالهامش وبخط قطب الدين النهروالي.

ولاقاه صاحب مكة السيد أبو نمي الحسني بعسكره وأمير الحاج المصري ونائب جدة فخلع على الشريف خلعة على عادته وأوصله إلى محطته بالأبطح. وعاد الشريف إلى منزله بمكة وفارقه أمير المصري من المعلاة [١٢٩ أ].

وكانت الوقفة المباركة بالخميس (١).

شهر رمضان المعظم استهل كاملاً بالأحد من سنة ٩٣٨هـ (١٥٣٢م)

في أوله كان بمكة صاحبها السيد أبو نمي الحسني، وصلها في آخر الشهر قبله على نية التوجّه لجهة الشرق يقاتل جماعة من العرب ممن عصى عليه. فنزل فريقه بالمنحنى عند بستان جان بك، وكان عمه الشريف سيسد بن محمد مريضا (٢) فتربّص لأجله نحو جمعة حتى غلب عليه ومات في ليلة الأربعاء رابع الشهر، فجهّز في وقته وصلّي عليه ضحى تاريخه وشيّعه جماعة من الأشراف وأرباب الوظائف وغيرهم، ودفن بقبة أبيه على أخيه السيد هزّاع .

وخلّف أولاداً صغاراً ذكرين وبنتين من أمهات شتى وعُملت له ربعة بالمسجد والمعلاة وخُتم له في يوم الجمعة ثالث تاريخه.

ثم بعد صلاة الجمعة توجّه السيد أبو نمي بفريقه إلى جهة اليمن ونأى عن جهة الشرق لمراسلة العرب له في الصلح ونزل بوادي الآبار.

وكانت بقدومه الأسعار رخية في الحب والسمن واللحم وغير ذلك مع كثرة الخضر والماء.

وفي ضحى يوم الثلاثاء عاشر الشهر مات القاضي الأصيل خيرُ الدين أبو الخير ابن الشيخ العلامة الصوفي محيي الدين عبد القادر بن عمر بن أبي السعود بن ظهيرة

(١) إلى هنا وقفت الأخبار التي خصصها المؤلف لشهر ذي الحجة سنة ٩٣٦هـ. وينتقل بعد ذلك مباشرة إلى أخبار شهر رمضان سنة ٩٣٨ هـ. وبهامش الورقة: بخط الناسخ ما نصه « هنا نقص من أصل المصنّف ».

(٢) بالأصل: مريض.

القرشي الشافعي بعد توعكه مدة من حين قدم من المدينة الشريفة في نصف شعبان. وكان واعياً وينطق بالشهادة إلى أن حلقت روحه وهو ببيت والديه مع صغر سنه، فإن عمره نحو الثلاثين فجهّز في يومه وصلّي عليه [١] بعد صلاة العصر عند الحجر الأسود كعادة سلفه، وشيّعه خلق من الناس ودفن بالمعلاة عند تربة بني ظهيرة القديمة، وعُملت له ربعة بالمعلاة وخُتم بها، وذُكر بخير، وخلّف ولديه وزوجة، رحمه الله تعالى وعوضهم خيراً.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشر الشهر وصل لمكة شاووش رومي صحبته شيخ الدلالين بجدة جعفر الرومي، وكان وصولهم من القاهرة بحراً ودخلوا لجدة وتوجّهوا لفريق الشريف وأعطوه مراسيم بالقبض على نائبها والي جلبي الرومي ووضعه في الحديد وضبط مخلّفه والإرسال [٢] به بحراً بعد الاحتفاظ عليه مع القبض على جماعته وأركان دولته.

فتوجّه لجدة الشريف عرار بن عجل بجماعته من القواد عبيد الشريف أبي نمي في يوم تاريخه أو قبله بيوم، وأروه المرسوم بعزله والقبض عليه فقال له: معي مرسوم أني إذا عُزلت أكون ناظراً على العمائر الخنكارية بمكة المشرفة. وكان قلبه حاساً [٣] بالشر فما أمْهل وجاؤوه بزنجير وباشة [٤] ووضعوها في رقبته فضاقت عليه لغلظها فوُسعت له وأرادوا النزول به من منزله إلى فرضة الشريف فسألهم في المكث به في محله إلى الليل حتى لا يراه أهل البلد فترك في محله، وقبض على خمسة أنفس من جماعته كمباشريه محمد بن يونس المصري والجمالي محمد ابن الشيخ محيي الدين

(١) سقط الجار والمجرور من الأصل.
(٢) بالأصل: والإرساله.
(٣) بالأصل: حاس.
(٤) كذا بالأصل « باشة » ولعلها نوع من آلات الحبس والتعذيب، والزنجير: الجنزير وهو السلسلة من المعدن.

الناظر وشيخ الدلالين المفصول محمد بن الخبازة والترجمان.... [١] الرومي ومقدم البحر. ووُضع الجميع في الحديد وتسلمهم جماعة الشريف وخُتم على منزليه بجدة ومكة.

فأظهر الناس الشماتة بنائب جدة لتجبّره وظلمه وإظهار العظمة والجبروت لأنه كان توعك في أول شهر شعبان فلاطفه الحكيم محمود العجمي حتى فُصد، فلما دخل الحمام دق الطبول والدفوف وخلق الناس بالزعفران وقسم مالاً على ذلك وألبس حكيمه خلعة وأظهر السرور بعافيته خوفاً من الشماتة به من أهل مكة وغيرهم. والقدرة تقول إن الله يذله بأعظم من ذلك [١٢٩ ب] فسبحان المعزّ المذل الفعال لما يشاء ويريد، لا إله إلا هو الحي القيوم الدائم الباقي.

وفي عصر يوم الأربعاء ثامن الشهر مات الأصيل كمال الدين محمد ابن الشيخ برهان الدين بن أبي بكر المرشدي وعمره ستّ عشرة سنة، فجهّز في ليلته وصلّي عليه صبح ثاني تاريخه وشيّعه جماعة ودفن في الشعب الأقصى بالمعلاة عند جده لأبيه بالقرب من السيدة خديجة الكبرى - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ. وحزن عليه والداه [٢] وأظهر والده الصبر والاحتساب، عوضه الله خيراً.

وفي ليلة الثلاثاء رابع عشريْ الشهر مات الشيخ الصالح المعتقد عفيف الدين عبد الله بن موسى اليمني شيخ الخلف والخليف [٣] المجاور بمكة في سنة تاريخه والتي قبلها بعد زيارته للنبي ﷺ في السنتين المذكورتين، وملازمته قراءة **الإحياء للغزالي** على الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكي، نفع الله بهما. فجهّز صبح يومه وصلّي عليه في الضحى وشيّعه خلق من الناس ودفن عند درب المعلاة عند فقير له

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل.
(٢) بالأصل: والديه.
(٣) كذا بالأصل. ولعلهما قبيلتان، أو موضعان.

مات قبله بوصية منه، وكان وعكه نحو جمعة، وذكر لجماعة من أصحابه أن قصده التوجّه لزيارة والديه وفهم الناس منه العودة لبلده وما كان إلا وفاته، رحمه الله تعالى ونفع به.

وفي ليلة الخميس سادس عشري الشهر مات قاضي القضاة الورع الزاهد رضي الدين أبو حامد ابن الشيخ زين الدين عطية بن عبد الحي بن ظهيرة القرشي الحنبلي بعد توعكه نحو شهرين بالحمى والسعال كوجع أخيه الشيخ ظهيرة المتوفى أول سنة تاريخه. فجهّز في ليلته وصُلّي عليه صبح تاريخه عند باب الكعبة ولم يوضع له فوانيس عند جنازته لوصيته بذلك مع ترك النداء له على زمزم والصلاة عند الحجر الأسود كعادة بني ظهيرة. وشيّعه خلق إلى المعلاة ودفن على أخيه الشيخ شهاب الدين أحمد بتربة الشيخ الجنيد بن موسى المشرع، وحزن الناس عليه كثيراً لزهده وضعفه وفضله.

وخلّف ولداً صغيراً من مستولدة قريبه قاضي جدة المرحوم الجمالي محمد بن ظهيرة وأختين وشقيقه الشيخ أبا عبد الله محمد المالكي وهو وصيّه وعليه دين يقال نحو سبعمائة دينار تكفل بها أخوه [1] عند وفاته، رحمه الله تعالى. ولم يخلف بمكة مثله في مذهبه واستُدل بذلك على بركته بالوحدة في ليلة الجمعة وليلة القدر على قاعدة مذهبه وحصلت له فضيلة بذلك، رحمه الله تعالى وإيانا.

وفي ليلة السبت ثالث تاريخه وصل لمكة نائب جدة والي جلبي الرومي وهو في الحديد وسكن في منزله والترسيم عليه من جماعة الشريف والشاووش الذي وصل لأجله.

وفي صباح تاريخه حضر القضاة الثلاثة خلا الحنبلي والسيد عرار بن عجل والحاكم وجماعة صاحب مكة والشاووش الرومي لضبط أموال الخنكار ونائب جدة

(١) هذه الجملة بالأصل: .... الجمالي محمد بن ظهيرة وأختان .... أبو عبد الله ....تكفل بها أخاه .

والي جلبي فوُجد من مال الخنكار أربعة وثلاثون ألف أشرفي فضة وأربعة آلاف عند الشريف أبي نمي، وصرف في العمارة بمكة وجدة وغير ذلك نحو ستين ألف أشرفي. ووجد من مال والي جلبي اثنان وعشرون ألف دينار فضة غير العروض من القماش وغيره. وتعجب الناس من قلّة ذلك فإنه يتهم بأكثر من مائة ألف، والله أعلم بحقيقة حاله.

وفي يوم الإثنين تاسع عشريْ الشهر فرّق الشيخ العلامة المحقق تاج العارفين أبو الحسن محمد ابن الشيخ جلال الدين محمد البكري القاهري الشافعي حلوى كثيرة في معاشر من السكرية والمسك على قاضي القضاة وأعيان الفقهاء ومعارفه ودعاهم للصلاة خلف ولده المراهق محمد وحضور ختمه في مقام [١٣٠ أ] المالكية في الليلة الآنفة، وكان سنه ثمان سنين، فإن مولده في ليلة الجمعة عاشر ذي الحجة عام ثلاثين وتسعمائة. فحضر ذلك خلق من الأعيان وغيرهم وأوقدت الشموع والمفرعات في المقام. فصلى صلاة حسنة وخطب عقبها على منبر الوعاظ خطبة مطولة أداها تأدية لطيفة استكثر ذلك عليه لصغر سنه، لكن الولد سرّ أبيه. فالله تعالى يبارك فيه وينفع به كما نفع بأبيه. والذي فعل من تقسمة الحلوى لم يفعله إلاّ صاحب مكة السيد محمد بن بركات لولده هيزع والمقر الزيني ابن مزهر لولده البدري محمد وقاضي المالكية النوري ابن أبي اليمن لولده.

وفي يوم الإثنين المذكور وصل شاووش ثان من مصر في البحر وكان خرج من جهة الصعيد وتعوّق في الطريق ومعه مراسيم مقدمٌ تاريخها على مراسيم الشاووش الأول، وهي في الحقيقة ثانية [1] مضمونها القبض على نائب جدة والي جلبي وقتله وضبط ماله فوجد تقدمَهُ الشاووش الذي خرج بعده بإبقائه ووضعه في الحديد وضبط ماله ومال الخنكار وإرساله بحراً. ويقال إن ذلك بمراجعة الأمير جانم

(١) بالأصل: ثاني.

الحمزاوي في الروم بباب الخنكار، وقال لهم: إن قُتل يضيع المال الذي تحته (١) وفاوض نائب مصر في ذلك فتركه لهذا المعنى. فحضر الشاووش ضبط المخلف ثلاثة أيام وأخذ ترسيمه، وكذا الأول، واختلفا في التمييز فقال لهم النائب المرسم عليه: يسَق الأروام أن الترسيم لمن حضر أولاً وقصد حرمان الثاني، فلم يسمع له وأغلظ في الكلام عليه فاشترك هو والأول وأخذ جماعة الشريف ترسيمهم، ويقال إنه أعطي الشريف أبا (٢) نمي صاحب مكة أربعة آلاف أشرفي وللشريف عرار ألف وخمسمائة ولباقي الجماعة خمسمائة. فخففوا عنه من التضييق عليه بل أطلق من الحديد يوم العيد وصلى الصلاة بالمسجد الحرام وكذا مباشروه (٣).

وفي ليلة الإثنين المذكور طلع قاضي القضاة الشافعي وناظر المسجد الحرام المحبي بن ظهيرة علو جبل أبي قبيس لرؤية الهلال على عادته ومعه جماعة من الفقهاء والعدول فلم يروه، وتوجّهوا معه لمنزله ومَدّ لهم سماطا حسنا فأفطروا.

وتنازع الخطيبان الوجيهي عبد الرحمن النويري والمحيوي العراقي في مباشرة خطبة العيد لأنها موالية لجمعة أولهما - وهو يستحقها على القاعدة القديمة - وأن كل ما حدث بعدها يكون لمباشرها فاتفقا عند قاضي القضاة الشافعي على أنها تكون له مع خطبة يوم عرفة وتكون خطبة السابع للمحيوي العراقي في سنة تاريخه وفي السنة الآتية للثاني ما للأول. ولام العراقي قاضي القضاة الشافعي في كتابة إشهاد بذلك ودسّ فيه دسيسة ثم تفطن بها المحب عبد الرحمن، كما يأتي ذكرها مبيناً بعد خطبة عرفة، والله أعلم بحقيقة حالهما ومن يبلغ ذلك منهما.

(١) بالأصل: تحت.
(٢) بالأصل: أبي.
(٣) بالأصل: مباشريه.

شهر شوال المبارك استهل كاملا بالثلاثاء من سنة ٩٣٨هـ (١٥٣٢م)

في صبْحه صلى بالعيد الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري الخطبة المعتادة وترك الناس اللعب على رؤوس الجبال بالنقارة وكذا بالمعلاة لحزنهم على وفاة السيد سيسد بن محمد بن بركات الحسني عم صاحب مكة وابن صاحبها - كان - رحمه الله تعالى وإيانا.

وفي مغرب ليلة السبت خامس الشهر سافر والي جلبي النائب المعزول لجدة بعد أخذ بعض حوائجه وبيع بعضها في السوق وشد محفة على جمليْن وتقدمت مع حموله وترك زوجة له بمكة [١٣٠ ب] وسافر بثانية. ودخل هو للمطاف وفي رقبته الزنجير من تحت الثياب فطاف وركب بغلته و لم يتصدق بشيء على خدام الدرجة فصار الدعاء عليه من العامة وغيرهم (١). وأقام بجدة إلى ثلث الشهر ثم جهّز في ثلثه وسافر بحراً فلاقاه بقرب جدة النائب الجديد محمد جلبي الرومي فرده معه ليكشف على عمله كما رسم به. وكان قدم إليه في العام الماضي بمرسوم ليكون عنده بجدة فمنعه وردّ مرسومه فتوجّه للروم وشكاه في باب الخنكار فوافق كثرة الشكوى فيه فولوه عوضه وأرسلوه لمحاسبته والنداء عليه للاطلاع على ظلمه.... (٢) لجدة وتوجّه لصاحب مكة السيد أبي نمي بفريقه بجهة اليمن فاجتمع به [وقدم] (٣) مرسومه فأضافه الشريف وأكرمه وعادا لمكة فدخلاها في ليلة الجمعة ثامن عشر الشهر.

وسكن النائب الجديد محمد جلبي عند عياله في قاعة قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة في السويقة ثم توجّه في صباحها لمنزل السيد أبي نمي

(١) نلاحظ أنّ هذا الذي تدعو عليه العامة لأنه لم يتصدق بمال على الفقراء هو رجل معزول عن وظيفته وقع الاستيلاء على أملاكه وفي رقبته الزنجير .
(٢) كلمة غير واضحة بالأصل.
(٣) إضافة يقتضيها المعنى.

فاجتمع معه القضاة الثلاثة وأعطى كلاً (١) منهم مرسوماً من نائب مصر وورقة من الأمير جانم الحمزاوي مضمونها الكشف عن أحوال والي جلبي بعد النداء عليه بمكة وجدة ومكاتبتهم بذلك للأبواب الشريفة وتحذير كل أحد من الانتصار له أو التهاود في أمره. فأجابوا بالطاعة ثم توجّه الشريف لفريقه في آخر يوم تاريخه بجدة ونائبها محمد جلبي في يوم السبت ثالثه.

ثم في يوم الأحد عشري الشهر تبعه القضاة الثلاثة للنزول لجدة فأقاموا بها جمعة للتفتيش [على] (٢) والي جلبي وأحضر في الفرضة السلطانية بحضرة القضاة وأركان الدولة وهو في الحديد بعد إجهار النداء عليه لمن كان له عليه مظلمة فليأت إلى الفرضة. فجاء جماعة من التجار وغيرهم لطلب حقوقهم من الأمتعة والنقد فصادق بعضهم وأنكر بعضهم ودفع لبعضهم حقه في المجلس يقال أكثر من ألف دينار. فصالح البعض في حقه وردّ على البعض حقه، واستمر التفتيش ثلاثة أيام وحصل له غاية الذل والإهانة وظهرت (٣) منه الخيانة بحيث اطلع على دفتره وفيه الخصم للخنكار بمبلغ زائد عما فيه. واعترف بافتياته في التصرف على صرّ الرومية من غير أمرٍ خنكاري بل أكل حق بعض من قرّره ولم يدفعه له، وشهد عليه في بعضها مباشرُه بحضرته ومع ذلك هو يظهر التجلد ويكثر الكلام، بحيث نازع قاضي جدة بديع الزمان ابن الضياء عند.... (٤) لما دفعه لأخيه قاضي مكة أبي السرور من معلوم التدريس وغيره. وتفاحش الأمر في ذلك بين الأخوين ولهذا سافر القاضي أبو السرور لمكة صحبة القاضي الشافعي ولم يحضر ختان ولد أخيه. وكان شرع في ذلك في جمعة تاريخه وأرسل لمكة طلب إخوانه وأقاربه وجلس عنده قاضي المالكية

(١) بالأصل: كل.
(٢) إضافة تقتضيها الجملة.
(٣) بالأصل: ظهر.
(٤) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

التاجي عبد الوهاب وسافر الشافعي والحنفي من جدة في يوم الأحد سابع عشريْ الشهر، وذهب الناس للسلام عليهما بمكة.

وفي ضحى يوم الأربعاء وصلت (١) لمكة القائدة شافة ابنة عبد الله بن شكر الحسنية زوجة الخواجا عبد القادر القاري أم ابنته ستيتة وهي ميتة من وادي الدكناء من نصف الليل. فجهّزت في يوم تاريخه وصلّي عليها عصر يومها وشيّعها جماعة إلى المعلاة ودُفنت في تربة بني السنيكي أجدادها لأمها قبالة تربة الشيخ عمر العرابي. وحزن عليها زوجها وعمل لها ربعة بالمعلاة [١٣١ أ] وختماً وسبحة بالفقراء وخلفت بنْتها قندولة زوجة ابن زوجها وستيتة زوجة قاضي المالكية الذي توجّه وزوّجها. وأشهدت له بما أشهد به لها في وجعه قبلها من سنين عديدة، فسبحان المحيي المميت. ثم ذُكِر لي أنها أوقفت جميع ما اشترته عنده من الأصائل والأملاك بمكة والأودية على أولادها وباعته الباقي (٢) بستمائة أشرفي، ووصّت بجهازها بمائة واحدة وذلك احترازاً من عصَبتها بني عمها، فإن زوجها وابنتيْها لا يستغرقان ميراثها. وطالب الزوجَ العصبةُ طمعاً فيه مع علمهم أنّ جميع ما حصّلته منه أوقفته.

وفي ليلة السبت سادس عشريْ الشهر مات الخواجا الأصيل المعمّر شرف الدين يحيى بن علي بن أحمد بن حسن الرحبي ويعرف بالمغربي نسبة لجده الشيخ يحيى بن محمد بن يحيى المالكي وعمره ثلاثة وسبعين سنة. فجهّز في ليلته وصلّي عليه في صباحها وشيّعه جماعة إلى المعلاة ودفن بتربة جده بين قبره وقبر أخيه. وخلّف ابنته ملّكها جميع مخلفه وأثبتَ ذلك في حياته وهي بكر، وعمرها نحو أربعين سنة فقامت بواجبه، جبرها الله تعالى ورحمه وإيانا وجميع المسلمين.

وفي ليلة الأربعاء تاسع عشري الشهر طلع قاضي القضاة الشافعي بالفقهاء

(١) بالأصل: وصل.
(٢) بالأصل: باقي.

والعدول لرؤية الهلال على العادة، فلم يروه لانطباق الغيم. ثم في صباحها جاء جماعة من العامة فشهدوا عنده برؤيته فأثبته، فالله تعالى يحقق ذلك مع الشهر بعده، فإنه إن كان ناقصاً تكون الوقفة بالجمعة.

شهر ذي القعدة الحرام ثبتت رؤيته في صبح الأربعاء من سنة ٩٣٨هـ (١٥٣٢م)

وفي أوله ظهرت الفاكهة بمكة من الرطب والتفاح والتوت والتين وغير ذلك.

وفي ضحى يوم الخميس ثانيه ماتت.... [١] التركية أم بركات ابن الخواجا علي الدمشقي نزيل مكة. وجهّزها أخو ولدها الخواجا البرهاني إبراهيم في يومه وصلّي عليها في عصره وشيّعها جماعة لأجله ودفنت بالمعلاة، رحمها الله تعالى وإيانا.

وفي ضحى يوم الجمعة ثالث الشهر مات الشيخ المعمر المقرئ الصالح شهاب الدين أحمد بن محمد الكيلاني العجمي في خلوته برباط الأشرف قايتباي بعد توعكه نحو جمعة، وأوصى تلميذه الشيخ المقرئ يوسف العجمي، وذكر أن له ابنة وأخاً في بلاده.

وهو مقيم بمكة نحو أربعين سنة ملازم الإقراء وصلاة الجماعة في الصف الأول من المسجد الحرام مع كثرة الطواف والتهجّد والانجماع عن الناس، ورتّب له صرة في الرومية يستعين بها على القيام بأوده مع التقلل على طريقة السلف الصالح. فجهّز في يومه وصلّي عليه عقب صلاة ظهر يوم الجمعة في مشهد حافل وشيّعه خلق كثيرون ودفن بالمعلاة في الشعب الأقصى. فأثنى الناس عليه خيراً رحمه الله تعالى.

وفي أول الجمعة بعد هذه كان مهمّ قاضي جدة بديع الزمان محمد بن الضياء الحنفي لختان ولده المراهق ضياء الدين محمد، وكان حافلاً عمل له فازة أمام منزله

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

عظيمة وزفة هائلة بشموع كثيرة ومفرعات عديدة ودعي فيها جماعة من الأعيان فحضرها وكانت زفة الحناء في ليلة السبت [١٣١ ب] رابع الشهر من فرضة الشريف صاحب مكة جهة الساحل مرّ بها على مسجد الأبنوس وبيوت قاضي القضاة الجمالي أبي السعود بن ظهيرة إلى المكان المشهور بالنداء في جهة اليمن بالقرب من منزل والده. وعمل هناك حراقة نفط عظيمة وجعل بعده مولدا حضره نائب جدة الجديد [١] محمد جلبي والسيد عرار بن عجل الحسني ونواب جدة وتجارها وأكابرها على دكاك وسط الفازة وبعد الفراغ من المولد قام جماعة من جهة القاضي معهم صيرفي وشمعة وداروا على الجماعة الحاضرين فأخذوا منهم لصقا. فأعطى نائب جدة ذهب سليمي سبعة - عنها أشرفية عشرين - والسيد عرار والشهابي الطهاري والخواجا أبو البقاء السكري نحو العشرين، وجماعة سبعة وجماعة دونهم حتى استوفي جميع من حضر المجلس ومن غاب كتبه شيخ الدلالين في قائمة فطالبه. ويقال إنه اجتمع له نحو ألفيْ أشرفي فضة، وكان مصروفه على المهمّ نحو نصفها. وختن الولد في صباحها وعمل سماطاً هائلاً شكر الناس منه. فالله تعالى يعطيه خير ذلك ويجعله مباركاً عليه.

وفي هذا الشهر غرق جماعة في عدة جلاب في مرسى أم المسك قرب جدة فيها جماعة من التجار منهم: بعض أولاد الخواجا قاسم ابن الجمال الحلبي وغيره، وبجلبة لأمير الصعيد لابن عمر جاءت من القصير وكورت[٢] الباحة فيها الخواجا مصطفى مِشَدّ العين والعمائر بمكة المشرفة وخلق، وكثُر القال فيها وفي ركَبَتِها: الغرق أو السلامة، والله أعلم بما أراده.

وفيها جاء جماعة من الشحر وأخبروا أن الفرنج المخذولين دخلوها وأخذوا

(١) بالأصل: والمربد، والإصلاح مقترح.
(٢) كذا بالأصل.

المراكب التي فيها وهي مشحونة مع خلوها من ركابها في البندر. وتشوش الناس لهذا الخبر. فالله تعالى يخذلهم وينصر المسلمين عليهم.

وفي نصف شهر تاريخه وصل لمكة المشرفة جماعة من قوافل المدينة الشريفة فيها خلق من أهلها وغيرهم منهم قاضيها الشمسي المالكي محمد ابن القاضي محب الدين السخاوي بعياله، ويقال إنه مفصول بخصمه أحمد المغربي. وأخبر الواصلون برخائها وأمنها، ولله الحمد.

وأشيع معهم أن القاضي الحنفي المفصول أبا النور ابن.... [1] الخُجَنْدي وهو في بلاد الروم من السنة التي قبل تاريخها أرسل بورقة لأخيه يحيى مضمونها أنه سعى في قضاء المدينة فعارضه خصمه خضر الرومي. فعرضوا عليه قضاء مكة عوضها وهي أزمك منها، فبلغ ذلك المتولي القاضي أبا السرور ابن الضياء الحنفي فصار يباشر الحكم قليلاً. وأن السيد عبد الرحمن السمهودي وُلي نصف الخطابة والإمامة في المدينة عوض القاضي أبي الفتح المدني.

وفي جمعة تاريخه وقع بين أهل منى محاربة لأخذ ثأر تقدم فجرح فيه جماعة من الطرفين، ومات بينهم رجل من بني ريشة صهر لبعضهم طلب أن يفرع بينهم فقُتِل غلطاً بين الفريقين. وطلب الحاكم بمكة تقدير جراحاتهم ليأخذ راتبه فيها، فدخل بعضهم على السيد حميضة بن محمد بن بركات الحسني وبعض أولاده للتوقف بينهم لسنة كاملة، فأجار عليهم فيها فمسك كل من الفريقين نفسه، والله يقدر خيراً.

وفي صبح يوم السبت سابع عشر الشهر وصل لمكة صاحبها السيد الشريف أبو نمي محمد بن بركات الحسني ومعه عسكره وجماعته. فتوجّه الأعيان للسلام عليه فبلغه تولية [١٣٢ أ] قاضي المدينة لقضاء مكة فقال: لا نمكّنه من ذلك خوفاً من

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل.

التفات الغرباء في الولايات بها، فجزاه الله خيراً إن تمّ هذا.

واتفقت[1] وفاة قاضي القضاة الحنبلي في شهر رمضان سنة تاريخه تحدث جماعة بالسعي في وظيفته لقاضي الحنابلة بالمدينة - كان - الشمسي محمد ابن القاضي أبي الفتح الريس. وهو مجاور بمكة في سنته بعياله .

وتحركت الأسعار في جميع الأقوات خصوصاً الحب بعد رخائه وكثرة وصوله من بجيلة واليمن وذلك لقلة وجود الحب المصرية وعدم وصوله من مصر، بحيث بيعت الربعية اللقيمية بثلاث محلقة صغار ونصف وكذا الدخن والذرة، والمنّ السمن بخمسين كبيراً، والرطل اللحم بمحلق ونصف صغير، والتمر رطلان ونصف بكبير، والراوية الماء بصغير، وذلك لكثرة الخلق وصب العين في بركة الشامي، فإنها عُمرت في شهر تاريخه وشرع في ملئها للحاج. فالله تعالى يُرَخِّص[2] أسعار المسلمين .

وفي يوم الجمعة رابع عشري الشهر وصل لمكة قاصد صاحبها الشيخ مسلم البدوي وكان رافق الحاج المصري من القاهرة وأخبر بمرافقته من الأزلم وهو كبير وأسعاره رخية، وصحبته السيد علاء الدين ملك التجار وجعفر جلبي صهر الدفتردار الأعظم إسكندر جلبي وأمين الغلطة [3] أمين الدين الروميان على نية الحج [4] وأن أمير الحاج رومي ومعه زوجتان له. وأخبر أن ملك التجار قال: له مرسوم لقاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة بولاية قضاء جدة عوض القاضي بديع الزمان ابن الضياء. وأشيع ذلك عنه ولم يظهره المتولي لتثبّته وعقله.

وفي صبح يوم السبت ثاني تاريخه سُمّرت ثياب الكعبة - ويقال إحرامها - على العادة.

(١) بالأصل: واتفق.
(٢) سقط من الكلمة بالأصل حرفا الخاء والصاد.
(٣) أمين الغلطة، كذا بالأصل، وقد تكرر هذا الاستعمال في الفقرات الموالية.
(٤) بالأصل: نية الحاج.

وفي أول الجمعة.تتابع الصريخ من أودية مكة وأهل جدة فعمل لكل منهم عرضة صبح كل يوم وختم بأهل جدة وفيها الحاكم بها عند صاحب مكة والنقارة تدق ثم أهل مكة ومعهم حاكمها مرشد الحريري والوالي النوري علي المشهور بجنيدب والنقارة خلفهما. واجتمع لذلك خلق من أهل البلد وغيرهم.

وفي ليلة الأربعاء تاسع عشري الشهر وصل لمكة السيد عرار بن عجل الحسني وفارق الحاج من ينبع في حادي عشري الشهر وصحبته أوراق لجماعة منها ورقة لقاضي القضاة الشافعي من مكبر الحنفية الزيني سليمان من الشيخ أبي السعود المغربي، مضمونها بولاية قضاء جدة وأنه سمع ذلك من السيد ملك التجار وقال له: معه مرسومه من الروم وأرسل له نظيره بالعربي حتى.... [1] خليفة من البحر، وأن صحبة الحاج جعفر جلبي وعلي أمين الغلطة وشيخ الحرم النبوي السيد الرفاعي. وأن جميع الحجازيين الذين كانوا بالروم توجّهوا إلى الشام وهم واصلون صحبة حاجه. وأن الشيخ عبد المعطي الفوي حصل له اعتقاد في الروم وتقرر في مائة أشرفي ذهب، وللقاضي عبد الله ابن القاضي أبي البقاء بن ظهيرة ثلاثين أشرفيا وتقرّر في نظر البيمارستان المكي والشيخ عبد العزيز الزمزمي خمسة وعشرين. وأن الرومية [2] ذهباً مصروراً في صرر على العادة القديمة. وغير ذلك مما سُرَّ الناس به.

وفي عصر تاريخه طلع قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة إلى علو جبل أبي قبيس لرؤية الهلال ورفقته جماعة من الفقهاء والعدول فلم يره أحد لانطباق الغيم إلاّ شخصاً رومياً ادعى رؤيته، فلما طالبه الحاضرون برؤية مكانه قال لهم: حال عليه السحاب فلما وصل [١٣٢ ب] الجماعة للمسجد الحرام اجتمع خلق من العوام وادعوا رؤيته. فصلى القاضي تحية المسجد خلف منبر الخطيب ونادى بعض جماعته:

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.

(٢) الرومية: يقصد بها المبرّة الرومية العثمانية.

من رأى الهلال فليتقدم، فتقدم له جماعة نحو سبعة أنفس من المصريين واليمنة، فاتفق بعضهم في رؤيته واختلف البعض فطلب القاضي الشيخ إسماعيل الزمزمي المؤقت وسأله عن محله وإمكان رؤيته فقال: رؤيته عسرة لحديد النظر، فقبل القاضي شهادة الجماعة وأثبت رؤيته في ليلة الخميس. فالله تعالى يحقق ذلك فإن صحة وقفة الجمعة مبنية على رؤيته. والعامة يلهجون بذلك من أول السنة لكون السنة التي قبلها بالإثنين ويذكرون حديثاً: من بشّرني بحجة الإثنين بشرتُه بحجة الجمعة. وهو باطل لا أصل له، فالله تعالى يصلح أحوال المسلمين، ويرد العاقبة إلى خير.

شهر ذي الحجة الحرام استهل ناقصاً بالخميس
من سنة ٩٣٨هـ (١٥٣٢م)

في ليلة تاريخه وصل جماعة من المغاربة فارقوا الحاج من خليص.

وفي ضحى تاريخه وصل لمكة جماعة من الحاج منهم السيد علاء الدين ملك التجار والأمير علي أمين الغلطة وتوجّه الأعيان للسلام عليهما ومع ثانيهما محفة فيها عياله، ويقال إن الخنكار عيّنه مقدماً على العمارة المجهّزة من السويس للفرنج في جهة الهند، وأنه استأذنه في الحج ثم يعود لها ووصل إلى باب المعلاة أمين إسطنبول جعفر جلبي صهر الدفتردار الأعظم إسكندر جلبي. ونزل في سبيل الخنكار هناك حتى يتوجّه إليه الأعيان، وعيّن لطوافه قاضي الحنفية المفصول أبو[1] السرور ابن الضياء. فتوجّه له قاضي القضاة الشافعي والسيد عرار بن عجل وغيرهم من الأعيان وقدم له تقدمة طعام القاضي الشافعي ونزل من عنده واستمرّ إلى قُرب المغرب ثم نزل وطاف وتوجّه لمنزله في القصر علو باب إبراهيم وهو يعيب على صاحب مكة لعدم ملاقاته له وتقدمة طعام له قبل قدومه، فتوجّه له بعد ذلك وسلّم عليه.

(١) بالأصل: أبي.

وفي بقية النهار تتابع الحاج وكانت العرضة في صبح يوم الجمعة ثاني الشهر وأمير الحاج والمحمل الزيني مصطفى الرومي كاشف الغربية. فواجهه صاحب مكة السيد أبو نمي بعسكره من المختلع، فأخلع عليه وعلى ولده المراهق السيد أحمد وقاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة وقاضي المحمل الشيخ شمس الدين الرشيدي. وكانت ولايته من الروم، ونزل أمير الحاج بمكة في المدرسة الأشرفية ووطاقه بالمعلاة عند الدرب ورافقه المحمل إلى المدرسة بالمسعى ثم توجّه من سوق الليل إلى المعلاة مع بقية يَرَقِه من الخيل الملبّسة وغير ذلك. وابتهج الناس برؤيتها لحسنها وكثرة الخلق فيها.

وفي يوم السبت ثالث الشهر اجتمع القضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي وأمين المبرّة الرومية واسمه مصطفى واليازجي مصطفى وهما ساكنان في المدرسة الكلبرجية جوار باب الصفا، وشرعوا في تفْرقتها بعد إذن صاحب مكة فيها، ففُرقت ذهباً خالصاً كاملاً في الوزن سكة الباشا إبراهيم على قائمة نائب جدة والي جلبي. وأعطِي لكل شخص جميع مقبوضه وتضاعف دعاؤهم لمرسلها هناك. فالله تعالى ينصره ويديم أيامه السارة، ويجعل النفوس في دولته قارّة. واستمرت تفرقتها ثلاثة أيام وأخّر سكان الأربطة إلى بعد الحج.

وفي يوم الأحد ثاني تاريخه اجتمع في الحطيم صاحب مكة وأمير الحاج ونائب جدة والقاضيان الشافعي والمالكي وخلق من العسكر والعامة، وقُرئت عدة مراسيم نحو العشرة قرأ غالبها في [١٣٣ أ] الأرض مباشر أمير الحاج بدر الدين الجزيري[١] الحنبلي وبعضها على كرسي قرأ الشرفي قاسم بن محمد ابن العدل المكي على عادته، منها مراسيم لصاحب [مكة][٢] مضمونها الوصية بالحاج وأميره وغير ذلك

(١) ورد العلم بالأصل « الجزيلي » وقد أصلحه أحد قراء المخطوط بالهامش بما نصه «صوابه الجزيري ».
(٢) كلمة سقطت من الأصل.

كالرومية [١] وتفرقتها على مستحقها، ومن مات وله ولد يُعْطى لولده. ثم ذكر في آخر المرسوم أنّ ذلك لمن خلّفه من الذكور والإناث، وثلاثة [٢] للقاضي محب الدين الشافعي لولايته لقضاء جدة ووصيته بضبط المتحصل فيها والقبض على مال الأموات والكتابة بها إلى الأبواب الخنكارية حتى يُثبت الورثة استحقاقهم. وفي ذلك ضياع ومشقّة على أهلها. فلا قوة إلاّ بالله.

ومرسوم للسيد عرار بتعظيمه والوصية به. ومرسوم خاص بإبطال المظالم من المعشرات بجدة والعوائد المحدثة لاشتكاء التجار. وطلب الأمير قراءته بحضرة التجار وطلبهم في المسجد وأشير عليه بقراءته مرتين في هذا المجلس وبعده عند اجتماعهم، فأظهر انزعاجاً عند ذلك وصار يؤكد في طلب التجار والشريف يضحك منه. ففهم بعض الحاضرين قصده في طلب مصلحة منهم فأرسل إليهم جماعة فحضر منهم الخواجا زين الدين الناظر وشاه بندر - كان - أبو البقاء السكري المصري والخواجا محمد بدر الدين الحلبي والخواجا محمد ابن النميرة الشامي وغيرهم من الشاميين والمصريين والأعاجم نحو العشرين فعرضت قراءته على قارئ مراسيم الشريف فامتنع فقرأه حينئذ مباشر أمير الحاج البدري الجزيري [٣] قراءة خفية توقف في كثيرها، فأعطي لمباشر غيره فقرأه على الكرسي مرة ثانية فأعجب التجار، وتضاعف دعاؤهم للخنكار.

ثم بعد ذلك لبس الشريف خلعة عظيمة وكذا قاضي القضاة الشافعي المحبي ابن ظهيرة وانفض المجلس مع الشريف إلى جابِ أجياد من المسجد الحرام. ثم عاد الفقهاء والخلق مع الشافعي إلى جهة جلوسه في زيادة باب السويقة وهنّأه الناس

(١) أي المبرّة الرومية العثمانية.
(٢) أي ثلاثة مراسيم.
(٣) بالأصل: الجزيلي.

بولاية قضاء جدة. وكان خصمه القاضي بديع الزمان جالساً (١) عند مقام الحنفية يشاهدهم وهم مارون عليه، وخطّأه جميع من شاهده.

وفي يوم تاريخه أمر أمير الحاج المصري بتفرقة الذخيرة الشريفة في المدرسة الأشرفية ففرقها مباشرها القاضي بدر الدين الجزيري (٢) وسار معه ولده (٣) وخازندار أمير الحاج ويكتب كل من قبض اشهادا عند قاضي المحمل ويضع ختمه عليه. وتوحد لذلك كثير (٤) ثلاثة من الشهود والختم والخازندار على كل أشرفي عثماني وهو عشرة كبار صرف مصر. ومشى حال الناس لكونها فضة. والرومية ذهباً وهو ماش أيضاً في البيع والشراء، لكنه يتوقف في الصرف.

وفي ضحى تاريخه وصل جماعة من الحاج الشامي تقدموا من الوادي وتقدم معهم قاضي الحنفية الجديد أبو النور محمد الخُجُندي المدني وغيرهم من الحاج ثم تتابعوا في بقية النهار ولله الحمد.

وفي صبح يوم الإثنين خامس الشهر خرج لملاقاة أميرهم صاحب مكة السيد أبو نمي الحسني وولده السيد أحمد وعسكرهم فلاقوه بالزاهر واسمه حاجي بك الرومي نائب صفد ونابلس الذي وصل أميرهم سنة ست وثلاثين. فعرض لها هناك وألبسه خلعته وطلب أيضاً إلباس قاضي الحنفية الجديد أبي النور المدني خلعة فقام الشريف أبو نمي من المجلس ومنعه من اللبس وقال: أنت متعدّ على قضاة بلدي وما استأذنتني في ذلك، فتبعه وقد ركب فرسه فأكبّ على رجله ليسلم عليها فرفعها عنه فصدمت عمامته فوقعت فقرب منه الشريف عرار بن عجل وسأله في الشفاعة له.

(١) بالأصل: جالس.
(٢) بالأصل: الجزيلي.
(٣) ولد بدر الدين الجزيري هو المؤرخ عبد القادر الجزيري صاحب كتاب الدرر الفرائد المنظمة، في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة. انظر مصادر ترجمته في كتابنا التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٢٢٨ – ٢٣٣.
(٤) كذا وردت الجملة بالأصل.

فأمره [١٣٣ ب] بلبس الخلعة فلبسها ومشى بجانب الشريف حتى وصل إلى المعلاة. فتوجّه أمير الحاج الشامي لمنزله في الأبطح وصحبته أمير الحاج المصري وعسكره.

وعاد الشريف بعسكره ومعه القاضي أبو النور بجانبه فدخل مكة في أبّهة انشرح برؤيتها أهل بلده. وكان كثير منهم وصلها معه وقبله من جملتهم زوجتان له كانتا مجاورتين بمكة، وكان كثير منهم وصلها. فلما وصل مع الشريف أبي نمي إلى أجياد أمر بمؤانسته بالمشي أمامه إلى منزله جبراً لخاطره فأوصلوه لمنزله في باب إبراهيم عند زوجته ابنة عمه، وهنّأه الناس بولايته. وتوالى التشويش على الأخويْن من بني الضياء لعزلهما من قضاء مكة وجدة، ولله الأمر.

وفي ضحى يوم الثلاثاء ثاني تاريخه اجتمع القضاة الشافعي والحنفي والمالكي في مجلس القاضي الشافعي بالزيادة وحضر معهم الشريف عرار بن عجل ونائبا (١) جدة المتولي محمد جلبي والمعزول والي حلبي بالتفتيش. فحضر خلق من الناس وادعوا عليه بجملة دعاوى من المظالم التي أخذها منهم من القماش والنقد وقطع الصُرَر في الميرّة الرومية، واستطالوا عليه بالكلام، ولم يفدهم غير الملام، وهو ثابت لأخصامه يردّ عن نفسه بحجج داحضة، وإذا أُلْزِم بشيء يقول: نتوجّه إلى الأبواب الخنكارية. وكتب جميع ما ادُّعِيَ عليه وطال المجلس في ذلك إلى بعد الظهر وأحضر مباشره المصري وحقّق عليه بعض كشف دفتره وهو في يد خصمه المتولي الجديد. وعند انتهاء المجلس خاصمه وقال: لا أختم الدفاتر لأنك خُنْت الخنكار في فك ختمي، وقد أظهرتَ الظلم أكثر مني في مدة يسيرة وقد أخربْتَ جهة مصير وتريد تخرب مكة، وهي لا تطيقك. فوقع بين الأميرين الخصام وانفض المجلس على غير شيء. ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

(١) بالأصل: ونائبي.

وفي يوم الأربعاء سابع الشهر خطب خطبة السابع المحيوي العراقي، كما وقع الاتفاق عليه بينه وبين شريكه. وتوجّه الناس لعرفة وخطب بها في مسجد نمرة الخطيب عبد الرحمن النويري.

وكانت الوقفة بالجمعة – ولله الحمد – والخلق كثير والحج هنيء والأسعار رخية في جميع الأقوات خصوصاً الفاكهة من العنب والخوخ والرمان والرطب والبطيخ الأخضر، وكثرة الكباش بحيث بيع الضخم بأشرفيين وزيادة يسيرة ودون ذلك، والبِرَك ملآنه من الماء الحلو الطيب لجرْي عين عرفة وانبسط الناس بها كثيراً وكثر دعاؤهم لمعمّرها الخنكار، نصره الله تعالى وأدام أيامه. وأقام الناس بمنى ثلاثة أيام وهم آمنون مطمئنون. ولم يصل أحد من الشرق إلاّ القليل ومعهم قليل من القماش. وكسد كثيره لجلب تجار الهند قماشهم لمنى وبيعهم له بأنفسهم بسوء تدبيرهم لأنه حسُن في آخر الموسم عند السفر. وأقام الحاج المصري بمكة تسعة عشر يوماً ثم في ليلة الإثنين تاسع عشر الشهر سافر الحاج المصري وأقام الشامي بعده جمعة ثم سافر يوم الإثنين سادس عشريْ الشهر.

وكان وقع في يوم الجمعة سادس عشر نزاع بين الخطيبين وجيه الدين عبد الرحمن ابن الخطيب فخر الدين أبي بكر العقيلي النويري في الخطابة بينه وبين خصمه الحديث فيها محيي الدين بن عبد الرحمن الحمصاني الشهير بالعراقي لأجل مباشرة الخطيب عبد الرحمن النويري للخطبة يوم الجمعة. وأرسل إليه جماعة يمنعونه من الخطبة لدعواه أنها له فمسك أعلامه قريباً من باب المنبر، فكثر الإشلاء عليهم لظلمهم. وكان حاضرا أمير الحاج الشامي فسأل عن [١٣٤ أ] القضية فذكروا له أن خطيباً ثانياً ينازعه في الخطبة فقال: أين هو ؟ فقالوا: باقي، فقال: الحاضر يقدّم، فقدم الخطيب عبد الرحمن فخطب وصلّى بالناس الجمعة. ثم بعد فراغه طلبه العراقي إلى قاضي الشافعية المحبي بن ظهيرة في مصلاه بزيادة دار الندوة، وادعى عليه أنه وقع

الاتفاق بينهما أن خطبة يوم السابع للعراقي ويوم عرفة للخطيب عبد الرحمن وهو يوم جمعته، وكانت عادة[١] الخطباء المتقدمون تسقط عن صاحبها لكونها لا تصلى فيها جمعة وهي تابعة لصاحبها. وجهل العراقي بمواكب لأعياد مستقلة غير الجمعة وأظهر بذلك مستنداً بخط الولوي أبي زرعة المنوفي وعليه خط القاضي محيي الدين ابن ظهيرة الشافعي، وأظهروا الإنكار على الخطيب عبد الرحمن في تقدمه لخطبة هذه الجمعة، وصار هو يحلف ويبكي ويقول: إن بيدي كُتُباً لم يقع فيها اتفاق، والله أعلم بحقيقة الحال. ثم قام من المجلس وهو مقهور مكسور الخاطر وهو يدعو إلى الله تعالى بإراحته من هذه الدنيا والانتقام من أخصامه. فقدّر الله تعالى أنه أقام جمعة ثم تحرك ريح القولنج عليه في أول الجمعة الثانية وانقطع بمنزله يوماً واحداً ثم قضى نحبه في آخر اليوم الثاني يوم الأحد خامس عشري الشهر. فجهّز في ليلته وصلّي عليه في صبحه عند باب الكعبة بعد النداء له على زمزم كعادة الأكابر. وشيّعه خلق من الأعيان وغيرهم منهم السيد أبو نمي وركب في أثناء الطريق وجلس عند قبره حتى دفن على قبر أجداده بتربة سلفه. وحزن الناس عليه كثيراً.

وخلّف بنتاً وذكرين أكبرهما عمره تسع عشرة سنة ومنع من مباشرة الخطابة لمعارضة قاضي الشافعية له، وكاتَبَ فيها لنفسه ولم تحصل له، وعيّن صاحب مكة إمام الشافعية خير الدين أبا الخير محمد ابن الإمام أبي السعادات الطبري فيها حتى يأتي جوابه من الأبواب الخنكارية. فكان من قدرة الله تعالى أنه كان في بلاد الروم الزيني عبد الحق ابن الإمام أبي الخير الطبري فسعى فيها لوالده فجاءته المراسيم باسمه في آخر السنة التي بعدها ومات ولده [٢] فيها وباشرها سنة بالنيابة وسنة بالأصالة ولم تحصل لقاضي الشافعية لكونه سعى في إخراجها من بيت النويري[٣].

(١) بالأصل: العادة.
(٢) كذا بالأصل، ولعل صوابها: والده.
(٣) بهذا ينتهي القسم الأول من الكتاب. ويبدأ القسم الثاني منه بأخبار مكّة من بداية سنة ٩٣٦ هـ .

إصدارات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

١ - التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر

تصنيف : د. محمد الحبيب الهيلة

الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

٢ - كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى

تأليف : جار الله بن العز بن النجم بن فهد

تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة

الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م

٣ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى

تأليف : نور الدين علي بن أحمد السمهودي

تحقيق : د. قاسم السامرائي

الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م

٤ - البيئة الطبيعية لمكة المكرمة

رقية حسين سعد نجيم

بعة الأولى - ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م

كتاب نيل المنى
بذيل بلوغ القرى
لتكملة إتحاف الورى

(تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٢هـ إلى ٩٤٦هـ)

تأليف
جار الله بن العز بن النجم بن فهد المكي

تحقيق
محمد الحبيب الهيلة
أستاذ الدراسات العليا
التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى
بمكة المكرمة

القسم الثاني
والفهارس

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

الطبعة الأولى
(١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ٩٣٩هـ (١٥٣٢ - ١٥٣٣م)

فيها: كان أربعون نفساً من كل من أهل الحرمين الشريفين وسكان المحلين المنيفين يلازمون قراءة سورة الأنعام كل يوم بعد صلاة الصبح، فأهل مكة بالحطيم وأهل المدينة تجاه حجرة النبي العظيم، وعقب ختمها يتوسلون بالدعاء لنصرة مولانا سلطان الزمان سليمان خان ابن عثمان لكونه توجّه لغزو الفرنج المخذولين في جهة بني الأغراض [بلغراد] حتى وصل خبر نصرته في أحد الجمادين. وزينت أسواق مكة لذلك، وترك أهل المدينة قراءتها من أول شهر رجب بأمر ناظر المسجد النبوي السيد محمد الرفاعي وأهل مكة في أوسط شعبان بأمر نائب جدة الأمير محمد جلبي وصرف لكل شخص منهم كل يوم محلقاً كبيراً. وكان اليازجي على الرومية في السنة قبلها مصطفى الرومي يتفوه بتقرير الجماعة مرتباً في المبرّة الرومية كل عام.

وتواترت الأخبار بنصرة الخنكار على المخذولين من الكفار ولم يتحقق ذلك مع الإشاعة بمكة المشرفة وأعمالها بوصول غراب إلى جزيرة كمران باليمن فيه جماعة من الفرنج المخذولين للكشف عن أحوال المسلمين. وارتجت مكة بذلك وغَلَت (١) أسعار القوت من الحب [١٣٤ ب] وغيره. ثم تحقق الخبر بتوجّه الغراب لجهة الشحر وجاءتني منها ورقة أرسلها لي صاحبنا الأوحد الأصيل الشهابي أحمد بن محمد الحروي المكّي - كتب الله سلامته - تاريخها في ثاني جماد الثاني مضمونها: « إن في ثالث جماد الأول نزل غراب إفرنجي على الشحر وكانت سافرت منه جلبة

(١) بالأصل: غلي.

إلى العامرة والعميرة فعند سماعهم نزل منها أصحابها شاردين منها، فطلع إليها الخواجا عبد الله العجمي الأقطع وأخذ منها ما أعجبه وبعض زواده وقطع حبالها وخلاّها راحت إلى البر فكسرها، ونهب أهل العميرة ما كان فيها، وهم متفقون مع الفرنج وكل يوم ينزلون إليهم ويعطونهم الأغنام وغيرها.

ويقال: إن جملة مراكب متوجّهة إلى جدة من جهتهم ونحن خائفون منهم، ومعهم القبطان الذي جاء في العام الماضي إلى الشحر ونهب بعض مراكب وأخذ مركب التركي المسافر من جدة للهند كما جاء الخبر به إلينا.

وفي أواخر جماد الأول وصل مركب صغير وفيه ثلاثة مغاربة وولد يوسف الخاتوني وذكروا أنهم سافروا من الديو وقد أحاط عليهم ثمانية وثلاثون[1] مركباً للفرنج المخذولين غير الأغربة وأنه واصل بعدهم إليها مائة وخمسون [2] مركباً للمخذولين لأجل حصار الديو وأنهم أخذوا في هذه السنة من مراكب السفارة من المسلمين عشرين مركباً لأهل اليمن وعدن والمهرة ومن مراكب جدة اثنين هما محترم خان الذي صار لمحمد علي وطليعة المريسي، أخذوهما بعد قتال وطردوا....[3] محمد مالو فحاربهم وغُلب وأُرْميَ الغراب على البر ونزل الناس بأنفسهم خوفاً من المخذولين فبقي الموج يحملهم ويرميهم على الشعب ومات منهم خلق كثير يقال مائتي آدمي، وصار الأموات كالضحايا يرميهم ومنهم ولد الخواجا قادر الدين زوج ابنة الخواجا بركات الحلبي وولد الخواجا زين الدين العجمي الناظر بجدة كان وجملة أعجام وغيرهم. وشق ذلك على السلطان بهادر شاه.

وأما غراب سنجقدار الرومي فسلم ودخل إلى فتّن ونجل حمله [4] ودخل الديو

(١) بالأصل: وثلاثين.
(٢) بالأصل: خمسين.
(٣) بياض بمقدار كلمة بالأصل. ولعلها « قبودان » بقيت منها الألف والنون.
(٤) تنجيل السفن: إنزال البضائع والتجارات منها. انظر الهامش رقم ١ ص ١٣٤ من هذا النص.

فارغاً فطرده الفرنج وأرماه على البر ورمى فيه النار وبقية المراكب دخلت[1] إلى سومنات بالسلامة. ثم جاءهم الفرنجي وأحرقهم فارغين أيضاً والناس محصورون....[2] في الهند والبلاد معتلة جداً. الأرز ما يُلْقَى فيه، والذي كان بتَنْكة صار بأربعة، وغالب قوتهم الذرة والدخن، والبضائع الشامية نافقة [3] جداً والهندية الذي بعشرة صار بسبعة ولا له مشتر، كذا أخبر الواصلون. والسلطان بهادر شاه يتوجّه إلى جهة شتور [4] يقاتل الكفرة وإنه أمر جميع أهل بنادره لا يسافر منها أحد خصوصاً الديو لأجل تكثير الخلق بها لخذلان العدو. والناس منتظرون [5] وصول العمارة الخنكارية من الديار المصرية، وإذا لم تصل هذه السنة وإلاّ راحت الهند وغيرها. فالله تعالى يغيث المسلمين بوصولها آمين ». انتهت الرسالة. وإن صحّت هذه الأخبار لم يصل لجدة شيء من المراكب الهندية. وأيس التجار منها.

وكان الخواجا نصير الدين عبد الغني بن عبد اللطيف الكازروني نزيل مكة المشرفة توفي بها في خامس عشريْ جمادى الآخرة عام تاريخه وأوصى بخمسة آلاف أشرفي لأهل مكة ومثلها لأهل المدينة وأسند أمرهما لزوجته وابن أخيها الناظر معها السيد علاء الدين ملك التجار، فقوّم قماشه بأحسن الأثمان وأخذه ملك التجار وأعطى المستحقين ثمنه، وأعطى أهل مكة حقهم في نصف شوال.

وفي آخره وصل من....[6] مركبان كبيران فيهما بهار وعود [١٣٥ أ] وصيني ومن دابول مركب صغير فيه قماش قليل وابتهج التجار بذلك لأنهم أيسوا

(١) بالأصل: دخل.
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٣) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة.
(٤) شتور: من بلاد الهند.
(٥) بالأصل: منتظرين.
(٦) ورد اسم البلد غير مقروء بالأصل.

من وصول هندي عام تاريخه وتحركوا في البيع والشراء ونزلوا لجدة وكذا قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة والسيد ملك التجار وأقام بها الشافعي عشرين يوماً وولدت زوجته في غيبته بعد سفره بجمعة ضحى يوم الجمعة ثامن عشري شوال ولداً ذكراً سمّاه محمداً جمال الدين وهنّأه الناس به لكونه محتاج له، وبعده عدة ذكور ووجود الإناث .

وفي نصف شهر تاريخه وصل لمكة صاحبها السيد أبو نمي الحسني من جهة اليمن وتردد للوادي وجاءه فيه هدية من صاحب الحبشة فيها جارية حسنة ابنة أخي الحطي سلطان الكفرة، وكان هاداه في عام تاريخه، فأرسل معها عدة طواشية وتحفاً وعنبراً وغير ذلك عوض هدية أرسلها. فابتهج الشريف بها. ويقال إن صاحب الهدية أرسل بمبرّة لأهل الحرمين الشريفين مع شخص مغربي يقال عند السيد ثم أظهر لأهل المدينة ألف أشرفي توجّه بها إليهم وفرقها عليهم على قائمة الحب لأهل السنّة وأعطى لشافعيها ثلاثة آلاف أشرفي لشراء نخل يوقف على قراءة وسبيل عن صاحب الهدية، ولم يَظهر لأهل مكة شيء والله يخلف بخير.

وفي شهر تاريخه شرع الشريف أبو نمي في عمارة دار بجانب منزله دار السعادة لولده الشريف أحمد وبذل همته في عمارتها مع العدل والإنصاف لجيرانه وعماله.

وفي صبح يوم الخميس خامس عشري ذي القعدة شمرت ثياب الكعبة ويقال إحرامها على عادتها.

وفي ظهر يوم السبت سابع عشريْ الشهر وصل مرسل من صاحب ينبع لصاحب مكة وأخبار الحاج وهو قليل وصحبته الإمام إسماعيل ابن الإمام أبي السعادات الطبري المكي وعدة أوراق له فيها الأخبار مفصّلة: منها أن أمير الحاج المصري هو الذي كان في العام الماضي مصطفى الرومي النشار كاشف الغربية من المحلة، وأن المبرّة الرومية وصلت ذهبا صحبة أمين رفقتهم. وأن درويش العجمي

المفتش على الأوقاف وصل للقاهرة بعد خروج الحاج بثلاثة أيام ومعه النوري علي ابن الحكيم محمد القزويني من السروم والزيني سليمان ابن الشيخ جمال الدين أبي السعود المغربي المعروف بالبيدق. وتوجّه الأخيران للقصير ليركبا[١] في المسماري لجدة، وهو خرج من البر ومعه قواسه فلحق الحاج في العقبة. وأخبر بولاية قاضي الحنفية أبي السرور أحمد ابن قاضي القضاة النوري علي ابن الضياء عوض القاضي أبي الفوز الخُجُنْدي المدني في قضاء مكة. وأن الإمام أبا الخير الطبري ولي نصف خطابة المسجد الحرام عوض الخطيب عبد الرحمن النويري المتوفى عام تاريخه، ومعه مرسومان لهما من الروم، وأن ولد ثانيهما الإمام عبد الحق الطبري كان صحبته إلى الحالية[٢] فأقام بها لوجعه. وتوجّه إمام الحنفية الجمالي محمد بن الشهابي البخاري على درب الحاج الشامي وقد ولي نصف الإمامة عوض والده وتقرر في صُرَر وحصل له حجة بمائة سلطاني ذهب. وتقرر لكل واحد من الحجازيين بالروم خمسة عشر أشرفيا. وأن....[٣] بالشام وحلب وكاتبها تقرر في الجوالي بالقاهرة وغيرها بعناية كبيرها الإمام جانم الحمزاوي.

وابتهج الناس بأخبار الحاج ثم أنه وصل جماعة منهم في يوم الإثنين تاسع عشري الشهر وتتابعوا في آخره. وتوجّه لملاقاة أمير الحاج صاحب مكة وقاضيها الشافعي [١٣٥ ب] المحبي بن ظهيرة، وطلع الشهود لرؤية الهلال على جبل أبي قبيس، فرآه بعضهم خفيا وثبت ذلك عند قاضي القضاة الشافعي في ليلة الثلاثاء.

(١) بالأصل: ليركبان.
(٢) كذا وردت الكلمة بالأصل.
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل.

شهر ذي الحجة الحرام استهل ناقصاً بالثلاثاء

من سنة ٩٣٩هـ (١٥٣٣م)

في صباحها كانت عرضة أمير الحاج المصري وخرج للقائه من الزاهر صاحب مكة وولده أحمد وقاضيها الشافعي وملك التجار السيد علاء الدين ودخلوا معه في عرضة حافلة. ونزل أمير الحاج بوطاقه عند باب المعلاة وتوجّه إلى العرضة إلى مدرسة الأشرف قايتباي بالمسعى، فلما وصل إليها رمى بعض الأروام مكحلة فأحرقته مع جماعة بجانبه فارتج الناس لذلك، وظن الشريف أبو نمي وجماعته طلب الشر معهم فسلوا سيوفهم والتجؤوا لسيدهم، فلم يُظهر لهم شيئا. وتوجّه الشريف لمنزله بعد أن أشِيع مسكه، وخاف أهل مكة من الفتنة فأطفأها الله تعالى وأمّن خوفهم.

وفي صبح يوم الأربعاء ثاني تاريخه فُرقت المبرّة الرومية على أهل الصرر وبعض البيوت تفرقة هنية في المدرسة العينية سكن الأمين عليها. واستمر ذلك ثلاثة، وفيها أعطى أسماء الأربطة لمشائخها وهم فرقوها على أربابها.

وفي يوم تاريخه قُرئت المراسيم بحضرة صاحب مكة وأمير الحاج المصري والقضاة والأكابر. وفيها الوصية بأمير الحاج. وتفرقة المبرّة الرومية على أربابها. وأن من مات من أهلها وله ولد يرصد اسمه عند ثقة ويكتب إلى الأبواب الخنكارية بمعرفة ذلك حتى يقرر فيها مستحقها.

وخلع على الشريف أبي نمي والقاضي الشافعي ولم يقرأ مرسوم الحنفي ولا الخطيب الجديد وهنأهما[1] الناس بولايتهما.

وفي يوم تاريخه أيضاً وصلت مع قاضي المحمل المصري - وهو الشيخ زكريا ابن الجمالي محمد ابن شيخنا زكريا الشافعي وهو مريض - بعض الأوقاف المصرية

(١) بالأصل: وهنأهم.

وفرقها بالمسجد الحرام على أربابها وهو متألم لوجعه.

وفي صبح يوم الخميس ثالث الشهر وصل جماعة من الحاج الشامي.

وفي عشاء ليلة الجمعة ثاني تاريخه وصل أميرهم لمكة وهو الأمير حسين بك الرومي نائب البيرة وطاف وسعى وتوجّه للزاهر.

وفي صباحها توجّه للقائه صاحب مكة بعسكره وعرض إلى بين الحجونين فواجهه أمير الحاج المصري من هناك وفارقه صاحب مكة وتوجّه من أسفلها إلى درب الشبيكة لمنزله وهو غير... [1] خوفاً من فتنة تقع بين عسكره وعسكر أمير الحاج المصري، وكثر كلام الناس في ذلك.

وفي يوم الأحد سادس الشهر وصلت قافلة المدينة الشريفة وفيها جماعة من أهلها منهم قضاتها الشافعي السيد عبد الله السمهودي، والحنفي خضر الرومي، والمالكي الشيخ أحمد المغربي، والحنبلي إبراهيم الإسكندراني، والخطيبان القاضي أبو الفتح بن صالح والسيد عبد الرحمن السمهودي، وغيرهم من علمائها وأفاضلها. وأخبروا أن شيخ الحرم النبوي السيد محمد الرفاعي انتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى في صبح يوم سفرهم من المدينة الشريفة يوم الأحد ثامن عشري ذي القعدة من غير وجع طويل لكنه سبعة [١٣٦ أ] أيام. وكان عرض لأمير الحاج الشامي في ثاني عشري الشهر ولم يلبسه خلعة لغضبه [2] عليه من جهة ما أشيع عنه أنه سمّ المباشر على عمارة سور المدينة الشريفة في عام تاريخه وهو محمود جلبي اليازجي الرومي. ووصل صحبته أخوه [3] وأراد قتله فمنعه أمير الحاج وتخيل شيخ الحرم الرفاعي منهما ومن عزله بالأمير صندل السليمي الذي عزل به لكونه لبس خلعة إنعام من الخنكار بالروم وتوهم أنها لولايته وسبق عزله بوالي جلبي نائب جدة كان وهو

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٢) بالأصل: لقبضه.
(٣) بالأصل: أخاه.

بالقاهرة لإشاعة أهل المدينة ذلك. فلزم منزله حتى مات، وكفى الله همه لأنه كان له ميل على الشيعة [١] ورمي الفتن بينهم وبين أهل السنة من القضاة والفقهاء والمعمارية.

وفي يوم الأحد المذكور فرقت الذخيرة الشريفة بسكن أمير الحج المصري بالمدرسة الأشرفية القايتبائية بعد منعه لها.... [٢] لمستحقيها أنه يصرف في دارها وإذا باع معلقه [٣] يصرفها لهم بمنى. فكثر الإشلاء عليه فأمر بقبضها ذهباً وبعض فضة غالبها مغشوش عليه مع وكسه في الصرف بنقص ثلاثة كبار، وهو ماش في البيع والشراء كاملا. وخير [٤] أمير الحاج بقية أوقاف القضاة الأربعة إلى بعد الحج وضاق أهل البلد لذلك ولتأخر صر الشام وحلب كذلك.

وفي يوم الإثنين سابع الشهر خطب خطبة السابع الخطيب الجديد الإمام أبو الخير محمد ابن أبي السعادات الطبري، وهو أول خطبه مستقلاً، وهي لطيفة حسنة.

وفي ثاني تاريخه توجّه الحاج لأرض الموقف بعرفة.

وكانت الوقفة المباركة في يوم الأربعاء تاسع الشهر. والحج هنيء والأسعار رخية والماء كثير في البرك بها. وبيع الكبش المليح بأشرفي ونصف ودون ذلك، وكذا جميع الفاكهة من الرطب والعنب والخوخ والبطيخ الأخضر والخربز الأصفر والقثاء وغير ذلك، والسمن كل مَنّ بنحو ثلاث أشرفية وزيادة . والحاج نظيف لطيف.

ووقف أميرا [٥] الحاج المصري والشامي بمحمليهما في موقف النبي ﷺ وصاحب مكة السيد أبو نمي محمد معتزل عنهم بجماعته قريبا منهم. وكان قدوتهم

(١) لعل صوابها إلى الشيعة .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل.
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل.
(٤) كذا بالأصل.
(٥) بالأصل: أميري.

في الموقف ناظر المسجد الحرام قاضي القضاة الشافعي المحيي بن ظهيرة. ونفر الناس وهم آمنون فرحون مستبشرون بالرحمة والغفران والعود إلى الأوطان. وتوجّهوا لمزدلفة وباتوا بها ثم دفعوا لمنى وأقاموا بها ثلاثة أيام. ونزل أمراء الحاج للبس ثوب الكعبة الشريفة مع بني شيبة. وسمعت أن بعض جماعتهم اختلس كثيراً من ثوبها وتشوش شيخهم لذلك.

وفي ليلة السبت ثاني عشر الشهر مسك أمير الحاج المصري بعض العبيد الحرامية وظن أنهما عبيد صاحب مكة وأرسلهما إليه للإشلاء عليه، فقال له الشريف: ليس هما من عبيدي وافعل فيهما ما شئت. ثم أنه أرسل بهما مع جماعته إلى تحت جمرة العقبة وأمر بجزّ [١] رقبتيهما هناك على عوديْن يتقرب بهما إلى الله تعالى في هذا اليوم المبارك. وتشوش الخلق لذلك، وعند الله تجتمع الخصوم.

ثم إن الشريف أبا نمي فهم منه الشر فنادى لجماعته بعدم السفر يوم تاريخه لمكة صحبة الحاج، فتأخر هو وإياهم بمنى إلى ثالث أيام التشريق حتى خليت منى من الحاج. ونزل أمير المصري علو المعلاة قرب الأبطح وأمير الشامي في محل المصري قبل الحج عند درب المعلاة ونصبوا خيامهم في وسط الطريق فتخيل الشريف أبو [٢] نمي منهم وأقام بمنى إلى وقت العصر [١٣٦ ب] من يوم الأحد ثالث أيام التشريق ثم نزل بجماعته بني حسن على خيل وركاب كثيرة وشقادف النساء من خلفهم جميعاً في موكب حفل وشقّ المسعى حتى وصل إلى منزله بأجياد.

وخاف الناس وقوع فتنة بينه وبين أمير الحاج لكن الله درأها. وسببها عدم رضاء أمير الحاج المصري من أخذ عادته على صاحب مكة الشريف أبي نمي في العام الماضي وهذه السنة لكل سنة ثلاثة آلاف. وجاء معه بمرسوم من نائب مصر ليعطي

(١) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة.
(٢) بالأصل: أبا.

له أربعة آلاف، فقال الشريف: ما هي عادة، وكان الشريف عرار بن عجل متوسطا[1] بينهما في الصلح.

وفي يوم الإثنين رابع عشر الشهر فُرّق صَرّ الشام في مجلس قاضي مكة الشافعي.

وفي هذه السنة وصل شخص مصري زوج ابنة الخواجا شمس الدين محمد الحنائي المصري ومعه مرسوم بخلاص دراهمه التي عمّر بها [بيت] [2] الخواجا محمد بن شمس ووضع يده عليها قاضي الحنفية - كان - بديع الزمان محمد ابن الضياء العمري. وادعى عليه عند قاضي المحمل المصري القاضي زكريا بن الشمسي محمد ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري. وتواصلا لأمير الحاج كاشف الغربية الزيني مصطفى الرومي وصمم عليه في وضع يده على البيت وأهانه مرة بعد أخرى بمكة ومنى. فخدم القاضي بمبلغ ووعد الأمير والوكيل بنحو مائتي أشرفية فطمعوا فيه ولازموه في نقل أمتعته من البيت وانتقاله منه لبطلان ما بيده بعد ضمان عمه القاضي قوام الدين وأخيه المتولي لقضاء الحنفية عام تاريخه الشهابي أبي[3] السرور أحمد في الحضور والإجارة للمنزل مدة سنة حتى يُحَرر أمر البيت. فخرج على نقل أمتعته من البيت فحوّل بعضها واختفى مع عمه حتى سافر أمير الحاج ثم ظهر ونوى السفر مع الحاج الشامي إلى الروم.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر الشهر سافر أهل المدينة الشريفة من مكة وتقدمهم خطيبهم أبو الفتح بن صالح إلى الوادي بيوم فسمع به ديّانه محمد الصيرفي فشكاه عند أمير الحاج المصري وصاحب مكة وأرسلوا خلفه ركائب لرده، فردوه شنيعاً شمتَ به أهل بلاده. فتوجّه لأمير الحاج وتكلم عليه وحط على أهل مكة

(١) بالأصل: متوسط.

(٢) إضافة يقتضيها المعنى المستفاد من الخبر.

(٣) بالأصل: أبو.

والمدينة حطاً فاحشاً خصوصاً القضاة بواسطته وواسطة القاضي بديع. ثم إنه دخل على الوزير أبي الفضل بن أبي على في جمع المبلغ لخصمه وقدره ثمانية آلاف دينار، فدفعه على أنه يقبض صَرّهُ في الرومية العام الآتي. وقد تصرف فيه سنة تاريخه لمصالحه. ولم يلتفت لدينه كما هو طبعه. فالله تعالى يوفقه وإيانا ويقضي عنا ديْن الدنيا والآخرة.

ثم في ليلة الجمعة ثامن عشر الشهر سافر ركب المصري بالسلامة من مكة وتأخر أميرهم وقاضي المحمل.

في صبح يوم الأحد عشري الشهر فُرقت أوقاف حلب وأعمالها وجملتها ستة وأربعون ألف عثماني عنها أشرفية ألفان وثلاثمائة على القوائم القديمة، وهي بخط الشيخ أبي زرعة المنوفي بحضرة قاضي القضاة شيخ الإسلام ناظر المسجد الحرام المحبي ابن ظهيرة الشافعي وأخي الناظر بأوقافها، وكان مجاوراً بمكة عام تاريخه القاضي بدر الدين حسين ابن القاضي ضياء الدين عمر ابن قاضي القضاة الجلالي محمد النصيبي الحلبي، وذلك في مجلس قاضي القضاة الشافعي بزيادة دار الندوة من المسجد الحرام.

وفي عصر تاريخه سمع من لفظي القاضي بدر الدين النصيبي مع جماعة منهم ولدي أبو الحسن علي وهو الحديث المسلسل بالأولية وبعض حديث شريف، وكتبت له إجازة حسنة اغتبط بها ولله الحمد.

ثم لما فرغتْ القوائم فضَل كثير من المال لزيادته من الأوقاف فحمله معه أخو الناظر لمنزله ولازمه [١٣٧ أ] الناس في تقريرهم فيه وصار كل واحد يكتب له اسمه وجماعته فجمع جملة من ذلك وكتبها في قائمة جديدة أبو زرعة بإذن من قاضي القضاة الشافعي. فجعل لكل واحد من أصحابه وغيرهم من المتقدم أسمائهم مائة عثماني وبعضهم دونها حتى استكمل جميع المبلغ، ثم فرّقه في مجلس ظهر يوم الثلاثاء ثاني عشري الشهر بالزيادة المذكورة. فلما اطلع بقية أهل مكة على ذلك

تشوش كثير منهم وسألوا أخا [١] الناظر في تقريرهم فصار يعدهم ويطوّل باله عليهم، فبعضهم يقنع بذلك وبعضهم يطلق لسانه فيه حتى حماه الله منهم وسافر رفقة الحاج الشامي.

وفي صبح يوم الجمعة خامس عشري الشهر [خرج] [٢] بعياله ورافقه قريبه الفاضل تقي الدين محمد بن أبي الخير بن حسن بن فهد وعديله الفاضل جمال الدين محمد بن إسحاق الأحوري اليمني وغيرهما من أهل مكة رفقة الحاج الشامي كقاضي القضاة بديع الزمان محمد ابن الضياء الحنفي، وكان اختفى عند سفر الحاج المصري واستمر حتى سافر خوفاً من منع صاحب مكة له مع إذنه له في السفر، والشهابي أحمد ابن الجمال المصري، وعديله عبد العزيز الحميدي وولديْ الشيخ إبراهيم الزمزمي وجماعة من الأحداث لأجل التقرير في المبرّة الرومية وطلب الرزق. والله تعالى يفتح على الجميع ويكتب سلامة المسافرين في البر والبحر من المسلمين أجمعين آمين.

سنة أربعين وتسعمائة ٩٤٠هـ (١٥٣٣ - ١٥٣٤م)

في أولها توجّه صاحب مكة الشريف أبو نمي الحسني لجهة الشرق وأقام بها لرعي مواشيه فيها وذلك لقلة الأمطار بمكة وأعمالها مع رخص أسعارها وكثرة مياهها.... [٣] والموت فيها. ثم جاء قاصد من القاهرة في سادس عشري صفر لجدة وأخبر بموت نائبها والي جلبي الجاركسي الرومي في رابع شهر تاريخه بعد توعكه أربعة أيام بالقاهرة، ودخل الحاج المصري إليها في ثالث الشهر وصحبته مراسيم من

(١) بالأصل: أخو.
(٢) إضافة يقتضيها معنى الجملة.
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

نائبها بضبط مخلفه بمكة.

ثم في ظهر ثاني تاريخه وصل قاصد ثان بترك ضبطها وإعطائها لورثته وهم زوجته المقيمة بمكة وابنته التي بالقاهرة حصتهما وتسلّم لوكيلها الشيخ بهادر الرومي الذي عمر [من] [١] المآثر بركة الماجن في السنة التي قبل تاريخه.

ثم تتابعت القصّاد لصاحب مكة السيد أبي نمي محمد ابن السيد بركات الحسني من ملك الأمراء نائب الديار المصرية جانم الحمزاوي بطلب المال الذي جعل عليه في أول ولايته لمكة عقب موت والده من نحو عشر سنين وهو ألفا[٢] لأجل مساعدة ملك الروم سلطان الزمان سليمان خان لكونه نوى التوجّه لجهة العجم ومحاربة ملكها ابن الخارجي شاه إسماعيل الصوفي.

وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم إبراهيم باشا إلى جهة حلب وأنّ الأمير جانم الحمزاوي يُوَجّه إليه بيرقا كبيرا[٣] من التحف والسلاح والخيول والجمال والأمتعة وغير ذلك، وأنه استدان من التجار المقيمين بالقاهرة وكذا نائبها ونائب الشام وحلب، فاقتدى بهم صاحب مكة السيد أبو[٤] نمي فوزع المال الذي جُعل عليه على أركان دولته من المباشرين بمكة وجدة، ولم يستكمل المبلغ حتى قدم مكة في رابع شهر رمضان وأقام بها نحو جمعة وطلب [١٣٧ ب] التجار المقيمين بها، وطلب منهم على طريق القرض - كعادة من تقدمه من سلفه - يقال نحو عشرة آلاف أو خمسة آلاف.

فجعل كل تاجر بقدر حاله من خمسمائة أشرفي ودونها، وبعضهم دفعها عن طيبة نفس وبعضهم اختفى فلم يفده ذلك حتى فتّش عليه وأخذ ما جعل عليه.

(١) إضافة يقتضيها معنى الجملة.
(٢) كذا بالأصل.
(٣) بالأصل: بيرق كبير.
(٤) بالأصل: أبي.

وكان فعل الشريف لذلك انتقاماً من الله تعالى على التجار لأنـهم قـلّ نفعهم وكثر ضررهم لخزنهم الأقوات، وإظهار الضرورات، ويحتجون بعدم وصول المراكب الهندية لبندر جدة، ثم منّ الله بوصول عدة منها بعد الإياس من وصولها.

وتحدث الشريف عرار بن عجل الحسني قاصد صاحب مكة بالسفر من البر للقاهرة في أول شهر رمضان وفضله بالمال ثم نأى عن ذلك فتشوش منهم الحمزاوي لذلك. ويقال إنه أرسل بمرسوم عند سفره من القاهرة لنائب جدة محمد بك الرومي بمطالبة صاحب مكة بمال له عنده، وأمره بالاحتفاظ من مال السلطان في بندر جدة. فوقع بينه وبين الشريف عرار كلام كثير [١] واستطال كل منهما على صاحبه وتشوّش صاحب [مكة] [٢] من ذلك ولأجله قدم لجدة و لم يجتمع به نائبها لتوجّهه لمكة. ثم إن السيد أبا نمي قدمها بعده على نية التوجّه لجهة الشرق خوفاً من وقوع الفتنة معه أو في أيام الحج في سابع ذي الحجة [٣]. فالله تعالى يلطف بالمسلمين ويلهم ولاة الأمر العدل المبين.

وتواترت الأخبار بهجوم الطاعون في القاهرة وأنه يموت في كل يوم أكثر من ألف، وهرب جماعة منها إلى جبل الطور وبعضهم سافر بحراً على نية الحج فوصل لمكة بعضهم في أواخر شهر رمضان مع قاصد من البر ومعه عدة أوراق بذلك. وأن إبراهيم باشا وصل لحلب مع أوائل العسكر المنصور. وأن الأمير جانم الحمزاوي توجّه لملاقاته.

ووصل في أوراقه من كُتُب وغيرها أرسلها لجماعة منهم قريبي الفاضل الأصيل تقي الدين محمد بن أبي الخير بن محمد بن فهد، كتب الله سلامته وجميع المسلمين.

(١) بالأصل: كلاما كثيرا.
(٢) كلمة سقطت من الأصل.
(٣) بالأصل: شوال.

ومضمونها وصوله لحلب سابع عشر ربيع الأول و لم يحصل لأحد من الحجازيين قدوم بها واجتمعوا فيها نحو العشرين نفساً ثم ارتحلوا منها: أولاد الزمزمي عبد السلام وعبد المعطي وعبد الله الواسطي ومصطفى السيوفي ومحمد الطاهري وعلي بن عبد الباقي. وصرّح باقي الحجازيين بالإقامة لعدم الدراهم، فدخلنا على القاضي حسين النصيبي في أخذ شيء من القدوم فأخذ لكل واحد خمسة وعشرين أشرفياً، وأخذ عني وعن رفيقي تكملة الأربعين من الكراء خفية.

ثم ارتحلنا من حلب سلخ ربيع الأول صحبة قُفْل فيه الخواجا أقدر الدين العجمي وبتْنا خارج حلب وارتحلنا نصف الليل وخرج الحرامية على أقدر الدين فهاش عليهم بالسيف فأثخنوه جراحاً بالنشاب فهرب لحلب على بغله وترك حمله فأخذه أهل القفل معهم ثم أرسلوه مع عبده لحلب. فلحقنا أربعة من الولاق فردونا إلى حلب بعد التهديد لنا[١] فوجدنا أقدر الدين على الهلاك.

وارتحلنا من حلب يوم الإثنين أول ربيع الآخر ووصلنا إلى أدرنة سابع الشهر وأقمنا بها جمعة لسماعنا بقدوم [٢] الباشا إبراهيم. ثم قال بعض الأروام: مجيئُهُ محال وذلك لدخول الشتاء وكثرة الأمطار. فارتحلنا إلى قونيا فأقمنا بها خمسة عشر يوماً حتى قدم الباشا.

وقدم من الحجازيين ثمانية أنفس عبد المعطي الزمزمي ومحمد الطاهري وعلي ابن زائد وثلاثة من أهل [١٣٨ أ] المدينة واثنان حرب [٣] وهم ملازمون في طلب الصرة وكان.... [٤] واجههم في الطريق فأرسل إسكندر إلى إسطنبول فوقف

(١) هنا وردت كلمة « حلب » بالأصل مرة ثانية وهي زائدة ولا معنى لها.
(٢) بالأصل: بعدم.
(٣) أي من قبيلة حرب.
(٤) بياض بمقدار كلمة بالأصل، ولعلها: الباشا.

الحجازيون.... (١) فأرسل له ولاقاه في قونيا فوقفنا نحن وهم وإسكندر فيها فقال: المحلول مائة وعشرون.... (٢) أربعين. وأحالنا على عبد جلبي، فما زلنا نتردد إليه وإلى مصطفى بن جلال وهم يعِدون من مرة إلى أخرى، ثم واجهنا الباشا في بعض الطريق فقال: ....(٣) فقلنا: لا، فوعدنا إلى أده، فوصلنا إليها، فكتب لمصطفى بن جلال وقرر لكل واحد خمسة عشر أشرفياً بالسوية ومن الجماعة ستة من أهل المدينة واثنان حرب والباقي من أهل مكة مسافرين ومقيمين عمر الفاكهي ويحيى الذروي و لم يخبرونا.

ثم إن الحجازيين الذين بحلب وهم الجمالي المصري وأبو القاسم المرشدي ومحمد الحلفاوي وغيرهم نحو الخمسة عشر دخلوا إلى الباشا في طلب الصر فقال لهم: فرغ المحلول وقسمناه، وطلبوا كتابة مراسيم لهم، فقال: لا يمكن.

وقد رجعنا إلى حلب وعلينا الديْن وقاسينا من التعب والنصب وشدة البرد وجمود الماء وزحمة العسكر ما لا يعلمه إلاّ الله ودخلنا إلى الباشا وشكونا عليه حالنا فأنعم لكل شخص بثلاثمائة عثماني للذين كانوا يرحلون معه.

وإن القاضي بديع ابن الضياء والخطيب أبا الفتح ابن صالح طيبين، والظاهر من حالهم عدم قضاء حاجتهم من عند الباشا. فالله تعالى يقضي الحوائج.

وفي هذا العام توالى التفات الباشا لنا وما وعد به و لم يقرر أحداً (٤) من الحجازيين لأن إسكندر قال لهم: التقرير إلى إسطنبول، وقوَّمَ بهم فأرسل للدفتر حتى رده الباشا جزاه الله تعالى خيراً. وأن محمد ابن الخطيب عبد الرحمن النويري

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل.
(٢) كلمتان غير مقروءتين بالأصل.
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل، ولعلها كلمة تركية غير معجمة.
(٤) بالأصل: أحد.

وصل معنا لحلب وذكر أنه أخذ الوظيفة بأجمعها وهو واصل مع المصري. والسلام وطلب الدعاء. كتب الله سلامته وجمع الشمل به في عامه.

واستقر خاطر أهل المسافرين بهذه الورقة مع أوراق غيرها وصلت مع قاصد وصل من القاهرة. وانحلتْ أسعار مكة في القوت من الحب وغيره.... (١) قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة أنه طلع بجبل أبي قبيس أواخر شعبان لرؤية هلال رمضان فلم يره، ولما نزل جاءه رجلان وشهدا برؤيته فأثبته وأمر بإسراج المنائر والنداء بالصوم في غد فصام الناس.

وعمل في آخره ختمين له على العادة في المسجد الحرام أولهما في صبح حادي عشري رمضان لقراءة **الشفاء** للقاضي عياض، وثانيهما في ظهر يوم الجمعة سادس عشري الشهر. وامتُدح فيهما بنحو عشرين قصيدة وبالغوا في مدحه طلباً لنائله وهو يُظهر الانشراح والسرور. وكان ختماً مشهوداً، والناس فيه شهود.

واتفق بعده في آخر شهر تاريخه طلوعه بجبل أبي قبيس لرؤية هلال شوال فلم تتفق رؤيته وظهر عليه التشويش حين جلس على سماط الفطور في منزله على عادته وسلفه، فقدر الله أن في تكملة الثلاثين لم يُر الهلال في المسجد فكبّر رئيس المؤذنين على ظلة زمزم بعد دعاء صلاة المغرب وافترق الناس فرقتين الشافعية والحنفية يقولون بتكملة العدة كما ورد في الحديث الشريف. وقال المالكية: لا بد من رؤية الهلال وإلاّ يصومون [١٣٨ ب] في عدة ويؤدب الشاهدان لرمضان فإنهما شاهدا سوء كما قاله إمامهم. وطلع بعض الفضلاء من أهل البلد والمعارفة لطلب رؤيته فرُئي الهلال بعد جهد وزمن طويل فأقر الله الخوّاطر.

ثم صلّى العيد في صبح يوم الأربعاء الإمام خير الدين أبو الخير محمد الطبري الشافعي الخطيب الجديد في سنة تاريخه وطول في صلاته حتى نَسي تكبير الركعة

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

الثانية. واختلف أهل المذاهب في صحتها أيضاً وطوّل الخطبة وهي حسنة مع تغييره لمعناها و لم يستنكره الناس في تأديتها. وموجب ذلك عدم ممالاته لمن[1] سمعها. فالله تعالى يلطف بالمسلمين.

وفي العشر الأول من شوال توعك قاضي القضاة الشافعي وانقطع بمنزله فهرع الناس للسلام عليه أفواجاً من الكبار والصغار وهم مبالغون في ذلك. فقدر الله تعالى أنه حصل له الشفاء وتوجّه لجدة في نصف الشهر وكتب للناس أوصالاً بتفرقة الحب الواصل من أمير الصعيد الأمير داود بن عمر في أول السنة وقد تلف بالخزن وأخذ صاحب مكة جملة منه، لكل نفر ربع ويبة وأخِذتْ من جدة، وتلقى الناس في أخذها شدة، خصوصاً من هو فقير وليس له قدرة فكثر الكلام من الخاص والعام.

وكان نزوله لجدة لأجل موسم الهندي فإنه وصل لجدة سبعة بعد الإياس منها وأربعة من كاليكوت وثلاثة من غيرها وقبض معلوما [2] من نائب نائبه القاضي شرف الدين يحيى بن الفائز.

ثم إن القاضي أقام بجدة نحو جمعتين فتحرك عليه وجعه وهو ريح القولنج والإسهال فعاد لمكة وهرع الناس للسلام عليه فانقطع بمنزله تكملة الجمعة ومنع الناس في يوم الأحد من الدخول عليه. وتحركت عليه حرارة ويقال إنه شرب شربة وانحبس الريح في.... [3] وعجز الحكيم من ملاطفته فأيقن بالموت وكتب وصية بيده وعبّأ جهازه بنفسه، وعُدّ ذلك من تمام سعده ففجع الخلق وجميع أهله له. ومات في فجر يوم السبت تاسع ذي القعدة فجهّز في يومه وصلى عليه قريبه القاضي عز الدين الفائز بن ظهيرة بعد صلاة العصر عند الحجر الأسود كعادة سلفه بعد نداء الرئيس له فوق ظلة زمزم كالأكابر بألقاب كثيرة هيجت الناس لفقده، وكثر البكاء عليه

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب: لعدم مبالاة من سمعها.
(٢) بالأصل: معلوم.
(٣) كلمة غير معجمة ولا مقروءة بالأصل.

والأسف ممن يعرفه ومن لم يعرفه، وشيّعه خلق من الخواص والعوام في مجمع حفل لم تر العيون نظيره. ودفن بالمعلاة في تربة سلفه على أبيه، وعُمل له ختم بالمسجد الحرام والمعلاة ثلاثة أيام وختم له في رابعها. وأنشدت فيه ثلاث مراث[1] كان لكل منها وافي[2] وكثر الثناء عليه وعلى حشمته وعقله وتودده مع صغر سنه. فالله تعالى يعوّضه في شبابه الجنة ويرزق والدته وأقاربه بل أهل بلده الصبر.... [3].

وفي يوم ختمه توجّه أقاربه لصاحب مكة الشريف أبي نمي في جهة الشرق لأجل عزائه وطلبها التقدمة في منصبه فواجههم بالإكرام وإظهار الحزن العام ووعدهم بكل خير فالله يكون لكل منهم وكيل وكفيل. فعادوا جميعاً بعد جمعة ودخلوا مكة في يوم الإثنين تاسع عشر الشهر.

وفي ثاني تاريخه دخل لمكة صاحبها السيد الشريف أبو نمي وعزى جماعة القاضي محب الدين رحمه الله.

وفي الجمعة التي بعد وفاته ذكر أهل مكة حسن تصرفاته لأنه وصل لهم من الهند مبرّة من القماش نحو الألف دينار فوضع نائب جدة يده على ثلثها و.... [4] الهندي خادم صاحب الروم [١٣٩ أ] على ثلثها الثاني وأرسلوا بثلثها الثالث لبيت قاضي جدة، وتصرف الأولان فيها بالشدة والقوة. قيل طلب نائب جدة قاضي المالكية التاجي ابن يعقوب وأخذ من وصية الحاج فحيمة [5] المغربي لأهل الحرم - يقال مائة دينار - وأمر بتفرقة باقيها على جماعة من الخواص والعوام لكل نفر عشرة كبار. فسخط كثير من الأكابر ورد ما عين له، منهم كاتبه، وصار المالكي يتبرأ من

(١) بالأصل: وأنشد فيه ثلاثة مراثي.
(٢) كذا بالأصل.
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.
(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل، لعلها: استولى .
(٥) كذا ورد العلم بالأصل، وهو متداول بالمغرب الأقصى .

فعل ذلك وينسبه للنائب هنالك. والله أعلم بحقيقة الحال، وقادر على الانتقام في الحال والمآل.

وفي هذا الشهر وصل لمكة شيخ الحرم الشريف النبوي محمود اليازجي الرومي متولياً لذلك من الروم وواجه صاحب مكة وذكر أن الخنكار أمره بقراءة سورة الأنعام بالحرمين الشريفين لأجل توجّهه لمحاربته الخارجي في بلاد العجم. فالله تعالى ينصره ويؤيده. وشرع [1] أهل مكة بقراءتها سادس عشري الشهر بالحطيم على العادة وعددهم أربعون نفراً من القضاة والأكابر والمشايخ وغيرهم.

وفي يوم الإثنين خامس عشري ذي القعدة شُمرت ثياب الكعبة كعادتها، ويسمونه الإحرام.

وفي ثاني تاريخه وصل قاصد من ينبع وأخبر بوصول الحاج تاسع عشر الشهر كعادته، وأنه كبير وفيه قاضي مصر المفصول بير أحمد جلبي الرومي والشيخ القدوة أبو الحسن البكري بوالدته وزوجته بنت الشيخ شمس الدين الحلبي كمالية في محفّة مع موت ابنة لهم في عجرود [2].

وقد انتشر[3] في إقليم مصر في هذا العام انتشاراً عجيباً و لم يبق بلدٌ إلاّ دخلها من العريش إلى سواب[4] فعمّ الإقليم عموماً وفني عالم كبير، ووُجد الطاعون في كثير من الحيوانات حتى السمك، وبلغ عدد الموتى في كل يوم نحواً من سبعمائة إلى غير ذلك.

وكذا قاضي مصر وكذا أمير الحاج اثنتان من المحفّات ومع غيرهم ثلاث

(١) بالأصل: شر، وقد سقط حرف العين من الكلمة.

(٢) عجرود: من منازل الحج في طريق الحاج المصري يقع بين القاهرة والسويس. ذُكر مرارا في كتاب بدائع الزهور لابن إياس، انظر فهارس الكتاب.

(٣) سقط فاعل الفعل « انتشر »، ولعله مرض الطاعون الذي انتشر بين الناس، وهو ما يدلّ عليه سياق الجملة.

(٤) سواب: من منازل الحج .

محفات.

واسم أمير الحاج سليمان بك [لنائب مصر سليمان باشا ووصل في ركبه الشيخ نور الدين علي بن إبراهيم العسيلي المنزلاوي] [1].

وفي صبح يوم الخميس ثامن عشري الشهر دخل أمير الحاج المصري لمكة في عشاء ليلة الجمعة وصلى في المطاف وتوجّه عقبها للسعي وعلى يمينه قاضي المحمل زين الدين زكريا ابن المرحوم الجمالي محمد ابن شيخ الإسلام قاضي القضاة زكريا الأنصاري الشافعي وعلى ميْسرته المباشر لسعيه المحيوي عبد القادر ابن علي المزين المكي. وعاد إلى الزاهر وبات به إلى الصباح.

وفي صبح ثاني تاريخه توجّه له صاحب مكة السيد الشريف نجم الدين أبو[2] نمي محمد بن بركات الحسني وصحبته نجله السيد شهاب الدين أحمد – وهو مراهق– فخلع [3] عليهما أمير الحاج خلعتين عظيمتين، ودخلا معه بعسكرهما من الخيل والرجل، ومع أمير الحاج كثير من الخيل النجائب [4] نحو سبعين ومن الركائب المزيّنة بالحرير والزركش نحو الخمسين والخيول الملبسة بالحديد مع ركابها نحو أربعة. ومن الانكشارية أصحاب الاسكفاب الذهب[5]

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

(٢) بالأصل: أبي.

(٣) بالأصل: أخلع.

(٤) بالأصل: الجنائب، والإصلاح مقترح.

(٥) الإسكفاب: نوع من القلنسوات أو الطرابيش التي يلبسها الإنكشارية، ولها أسماء عديدة أخرى. انظر التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية ص ٦٩.

والحياصة [1] المموهة نحو أربعين وغيرهم من عَجَل النفط المركبة على الخيل نحو أربعة، بحيث كانت لرؤيتهم أبهة عظيمة.

ونزل أمير الحاج بوطاقه عند درب المعلاة وفارقه صاحب مكة حتى دخل إلى المسعى وشقّها إلى منزله بعسكره ويَرَق أمير الحاج صحبته إلى أن وصل إلى الميل الملاصق لمنارة باب علي وفارقوه من هناك إلى جهة سوق الليل وعادوا لمنزل أمير الحاج بالمعلاة.

ووصل مع الركب كسوة الكعبة من داخلها وهي حسنة كعادتها [١٣٩ب] ووُضعت محلّ الكسوة الأولى في ثاني الشهر مدة ثلاثة أيام.

شهر ذي الحجة الحرام استهل كاملاً في ليلة الأحد من سنة ٩٤٠هـ (١٥٣٤م)

وكان شهود باب السلام طلعوا لرؤيته علو جبل أبي قبيس بأمر صاحب مكة للقاضي برهان الدين إبراهيم بن أحمد ابن قاضي القضاة البرهاني بن ظهيرة الشافعي له في ذلك وأمره بفتح ختم حاصل زيت المسجد الحرام وإخراج الزيت والشمع لأجل وَقِيد المسجد والمنائر على العادة.

وفي صبح أول الشهر حضر في الحطيم صاحب مكة السيد أبو [2] نمي وولده وأمير الحاج سليمان بك الرومي وعسكرهما وخلق من الخاصة والعامة، منهم

(١) الحياصة: حزام يصنع من المعدن ويكون أحيانا من الذهب أو الفضة يلبسه العسكريون للدلالة على رتباتهم الشرفية، كما يلبسها غيرهم، وربما تلبسها النساء وتكون مرصّعة بأنواع من الجواهر. وقد استعملت في العصر المملوكي للدلالة على حزام الدابة. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ص٦٥؛ ماير: الملابس المملوكية ص ٢٧ - ٥٠ ؛ دوزي: معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب ص ١٤٥ - ١٤٧.

(٢) بالأصل: أبي .

القاضيان الشهابي أبو السرور أحمد ابن الضياء الحنفي والتاجي عبد الوهاب بن يعقوب المالكي والسيد ملك التجار. وكان الشريف أرسل للقاضي برهان الدين إبراهيم بن ظهيرة محتسب مكة ليحضر قراءة المراسيم، وتفوّه [1] بأنه يريد له لبس خلعة من أمير الحاج لأجل النيابة فلم يتفق ذلك لعدم موافقة أمير الحاج في المجلس. وتشوش الشريف من ذلك وقام من المجلس وطاف وصحبته الشريف عرار بن عجل لابساً خلعة معظمة، ودعا له الرئيس علو زمزم.

وغالب المراسيم فيها الوصية بأمير الحاج وأنه يُصَلّى على أم الخنكار المتوفاة عام تاريخه بالمسجد الحرام ومسجدي نمرة ومنى ويدعى لها بأرض عرفات. وصلّي عليها بعد صلاة الجمعة سادس الشهر بالمسجد الحرام بعد نداء الرئيس لها علو زمزم بألقاب كثيرة من التعظيم لها ولولدها سلطان زماننا بما لم يُعهد قبْل وقتنا. ثم بعد الصلاة قُرئت لها ربعة أمام مدرسة الأشرف قايتباي حضرها أمير الحاج وصاحب مكة والفقهاء وخلق لا يحصيهم إلاّ الله. ضاعف [الله] [2] لها الثواب ورحمها وإيانا وجميع المسلمين، آمين.

وفي أول الشهر فُرقت المبرّة الرومية في المدرسة الكَلَبَرقية بباب الصفا وحضرها القاضيان الحنفي والمالكي وغيرهما من جماعة صاحب مكة. وكانت تفرقتها سهلة في أربعة أيام متوالية وأعطيت أسماء أهل الأربطة لمشائخها وتضاعف الدعاء لمرسلها.

وفي ضحوة يوم ثالث الشهر وصل لمكة سبق الحاج الشامي وتتابعوا بعده حتى دخل أمير الحاج في ليلة الأربعاء ثانيّ تاريخه وطاف وسعى ونزل مع غالب حاجه بالأبطح ثم توجّه للزاهر ولاقاه فيه صاحب مكة بعسكره فخلع عليه ومشى

(١) بالأصل: وفوه.

(٢) كلمة سقطت من الأصل.

معه وصحبتهم أمير الحاج المصري إلى بين الحجونين، وفارقهم صاحب مكة من ذي طوى وتوجّه لمنزله من باب الشبيكة أسفل مكة كما فعله في السنة قبلها حسما لمادة الشر من وجوده بين العسكر النازل في البر من المصري وأهل مكة.

ووصل مع الحاج الشامي الشيخ السالك (١) المربي العارف بالله تعالى علي بن أحمد بن محمد الصوفي الحلبي الشهير بالكيزواني. واجتمعتُ به وسمعتُ من فوائده.

ووصل مع الحاج الشامي عدة مطالعات من قاضي القضاة بديع الزمان ابن الضياء الحنفي لصهره قاضي المالكية التاجي عبد الوهاب وعمه قاضي المسلمين قوام الدين ابن الضياء الحنفي وغيرهما لإخبارهم أن الباشا أنعم عليه بجميع وظائفه من قضاء مكة وجدة ونظر المسجد الحرام وأنه فوّض قضاء مكة لأخيه وقضاء جدة لابن عمته الشرفي يحيى ابن الشيخ جمال الدين محمد الرضي الحنفي الصوفي [١٤٠ أ] ونظر المسجد للقاضي أبي البقاء بن ظهيرة الشافعي وإن لم يرض يكون عوضه الشيخ أبو الحسن علي ابن شيخ الشيوخ سيدي محمد بن عراق.

فتوجّه صهره لصاحب مكة السيد أبي نمي ومعه ورقة من الأمير جانم الحمزاوي له بمضمون ما أنعم به عليه من وظائفه وهي قضاء مكة عوض أخيه وجدة والنظر عوض المرحوم قاضي الشافعية المحبي بن ظهيرة. ولم يقبل صاحب مكة ذلك بل تفوّه (٢) باستنابة القاضي برهان الدين إبراهيم ابن قاضي المسلمين شهاب الدين ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام البرهاني الشافعي في الحكم بمكة والتكلم على نظر المسجد الحرام، وأراد لبس خلعة من أمير الحاج لذلك فلم يوافقه. وأظهر صاحب مكة الشريف أبو نمي التعصب له وألبسه خلعة من عنده في مغرب ليلة السبت سابع الشهر، ومشى معه بعض الفقهاء إلى منزله وهنؤوه بها، وفي الظهر (٣) خطب

(١) بالأصل: المسلك .
(٢) بالأصل: فوه .
(٣) بالأصل: ظهر .

المحيوي العراقي خطبة السابع.

وفي صبحها وصل لمكة (١) حاج كبير من الشرق فيهم الشيخ مبارك محمد ابن سلطانها الشيخ مبارك راشد المسعفي، ويقال عدد من معه فوق عشرة آلاف نفس، ورخص القماش الهندي بوصوله صحبتهم وموافقة وصول مراكب الهند(٢) بجدة. وكثر الجلب من الجهات مع رخص الأسعار في القوت من الحب والدقيق والسمن والعسل واللحم والماء بحيث بيعت الربعية القمح بثلاثة صغار والرطل الدقيق بكبير والسمن بكبيرين والراوية الماء بكبير وزيادة، ولاطف الله الحاج برخاء الأسعار.

وكانت الوقفة المباركة في يوم الإثنين، وكانت هنية والماء كثير في بِرَك الحاج بعرفة ووجوده بمنى ورخص الغنم والسمن، وعمل كل من أمير الحاج المصري والشامي حراقة نفط في محطتهم أمام مسجد الخيف في ليلة ثاني التشريق بمنى. وكان الإمام في الموقف بجبل عرفة القاضي إبراهيم بن أحمد نيابة.

واتفق فيها لصاحب مكة الشريف أبي نمي أنه ظفر بتسعة أنفس من عرب بني شعبة أرادوا تبييت حاج أهل الشرق النازلين أمام منزله بمنى لكونه يمشي حولهم وأمر بشنقهم على جمرة العقبة فشُنِقوا جميعهم ورفقتهم وكفوا عن إذاية الحاج. وتضاعف الدعاء له وإن كان فيه تسامح بوضعهم في موضع مشاعر الحج، وذلك بعد أن رضوا بدفع مبلغ عظيم فلم يوافقوا عليه.

وفي ثالث أيام منى سافر جميع الحاج على عادتهم ونزل أمير الشامي في محطة المصري أسفل درب المعلاة عند البِرَك، وطلع أمير الحاج المصري إلى علو الدرب لقربه من الحجون لسفره. وأقام الحاج المصري عشرين يوماً، وسافر منها في ليلة

(١) كلمتان تكررتا بالأصل .
(٢) بالأصل: المراكب الهند .

الثلاثاء سابع عشر الشهر وأنجز جميع الحاج.... (١).

وفي مغرب تاريخه مات الخواجا أحمد بن الحسين بن إبراهيم القاري بعد وصيته لقاضي المالكية التاجي ابن يعقوب فجهّز في ليلته ودفن صبح تاريخه بالمعلاة .

وكانت الصرر المجهّزة من مصر صحبته رفقة أمير الحاج المصري من أوقاف القضاة الأربعة وكذا الذخيرة الشريفة ما عدا غيرها من الأوقاف مع جماعة فرقت قبل الحج مع الذخيرة وتأخر الباقي صحبته إلى بعد الحج وفرقها قاضي المحمل الزيني زكريا بحضرة سليمان بك أمير الحاج وقاضي القضاة المالكي التاجي عبد الوهاب ابن يعقوب وغيره من الفقهاء المستحقين.

وكان ذلك في ليلتين متواليتين قبل سفرهما. كان في أولهما تفرقة أوقاف الحنفي والمالكي والحنبلي، وفي ثانيهما الحكمي والمستجد أوقاف الشافعي. ولم يكمل المال المجهّز من القاهرة للمستحقين وبقي الباقي منهم مع التكملة [١٤٠ ب] محالاً به على البرج والغازية المجهز من الشام ولم يقبض من أميرها إلا بعد سفر الحاج المصري.

وكان أمير الحاج الشامي محمد بك دالي الرومي جلس في مقام الحنفية عقب صلاة الجمعة ثالث عشر الشهر وطلب المستحقين من أهل الصرّ محضر القاضيين (٢) الحنفي أبي السرور ابن الضياء والمالكي التاجي عبد الوهاب بن يعقوب وغيرهما من الفقهاء وأرباب الوظائف ومعه شيخ الحرم النبوي محمود جلبي الرومي المتولي في عام تاريخه والواصل بحرا. وأحضروا دفاتر الشامية ومالها ومال وقف حلب وغيرهما كمبرّة أم الخنكار المتوفية في عام تاريخه وصار أنه مبلغ خمسمائة ذهب، فرضي ووضع المال في تفرقتها بأمر الأمير بقيام من حضر في المجلس ما عدا أرباب

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بالأصل: القاضيان .

الوظائف. فأقامهم الأروام. فكثر الإشلاء عليه والكلام، ولم يفده إلاّ الملام.

ثم في صبح ثاني تاريخه جلس في زيادة دار الندوة وطلب أرباب الوظائف والفقهاء وفرق عليهم صر الصندوق الشامي وغالب الأوقاف الواصلة صحبته من الشام وطلب في أثناء المجلس كرسياً لطيفاً علوه دون ذراع فجلس عليه محاذياً للقضاة. وأنكر عليه الخلق ذلك لجبروته وعظمته. فألقى الله عليه النوم بل يقال إنه حُمّ في المجلس فقام منه إلى آخر الزيادة ونام هناك حتى فُرقت القسمة بحضرة بعض جماعته وقاضي محمله، وعدّ ذلك من لطف الله تعالى بجيرانه وقمْع المتجبّر على أهله.

وفي يوم الأحد خامس عشر جلس أمير الحاج الشامي بالزيادة على الكرسي وفرش تحته القضاة والفقهاء فأرسل إليهم فتعذر حضورهم لشغلهم عند أمير الحاج المصري فقام من المجلس وهو حقير ظاهر عليه الذل والمسكنة.

ثم إنه بعد سفر الحاج المصري يوم الأربعاء ثامن عشر الشهر سكن أمير الشامي في المدرسة الأشرفية القايتبائية عوض أمير الحاج المصري وطلب القضاة والفقهاء بها لأجل تفرقة الصر الحلبي والباقي من الشامية، وجلس هو في الإيوان الكبير القبلي وأمر جلوس قاضي محمله وخازنداره ومدبره الأمير علي بن طولون الدمشقي في الإيوان الصغير الموالي للمسعى فحصل منه الرفق وعدم إهانة المستحقين في دخولهم وصرفهم وخصامهم بعضا لبعض. وعدّ ذلك من اللطف بهم ولله الحمد.
ولم يظهر قائمة صر أوقاف حلب لإخفائها في آخر هميان المال.

وفرقت على المستحقين بالقائمة القديمة التي كتبها الشيخ أبو زرعة في العام الماضي وبعض المال عما فيها مع أن الناظر-والأمير أرادا التقرير لجماعة منهم كاتبه وغيره كما وصلني ذلك في ورقة أخي الواقف القاضي بدر الدين حسين النصيبي فالله تعالى يعوضني فيها خيراً. وقال أمير الحاج للمستحقين إن المال الذي حمله من حلب جملته أربعة وثلاثون ألف درهم شامية، والمكتوب في القائمة تسعة وثلاثون

ألفا بزيادة خمسة آلاف وإنه كان ينتظر وصول باقيها إليه فلم يصل له، والله أعلم بحقيقة حاله.

وكتب له القضاة محضراً بتفرقتها والخلاص من عهدتها على ما جرت به العادة. ثم سافر أمير الحاج الشامي بركبه بعد إقامة جمعة عقب الحاج المصري وذلك في يوم الأربعاء [١٤١ أ] خامس عشري الشهر. وتضرر أهل مكة من إقامته لغلو الأسعار في القوت والماء قليل (١) ثم فرَّج الله عنهم بسفرهم. فالله تعالى يكتب سلامتهم وسلامة جميع الحاج والمسافرين في البر والبحر أجمعين.

وسافر رفقتهم جماعة من أهل مكة نيتُهم التوجّه للروم، منهم رئيس زمزم أبو عبد الله والشيخ زين الدين عبد اللطيف ابن شيخنا باكثير والمحيوي عبد القادر (٢) المزين وابن الشيخ حسين بن ناصر ومحمد الطباطبي .

وعزم قاصد صاحب مكة الشريف عرار بن عجل رفقتهم لمواجهة الحاج المصري في ينبع وصحبته مال للخنكار من السيد أبي نمي صاحب مكة مما طلب منه(٣)، وقدره تسعون ألف أشرفي، غير هدايا لنائب مصر وأمينها الأمير جانم الحمزاوي وأركان الدولة. ومعه عرض للقاضي برهان الدين بن ظهيرة القرشي الشافعي في استمراره عوض قريبه المتوفى في قضاء الشافعية بمكة وجدة ونظر المسجد. فالله تعالى يقبله ويقضي حوائجه ويرده إلى وطنه سالماً غانماً، بمحمد وآله آمين.

(١) بالأصل: قليلا .
(٢) كلمتان تكررتا بالأصل .
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل .

سنة إحدى وأربعين وتسعمائة ٩٤١ هـ (١٥٣٤ - ١٥٣٥م)

فيها حدثت (١) جملة حوادث منها مباشرة قاضي المسلمين برهان الدين إبراهيم الشافعي ابن أقضى القضاة الشهابي أحمد ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام البرهاني إبراهيم بن ظهيرة في الحكم بمكة والتحدث على نظر المسجد الحرام وجهاته بأمر صاحب مكة، كما كتب به خطة، وتوجّه قريبه أقضى القضاة الشرفي محيي ابن القاضي عز الدين الفائز ابن قاضي القضاة بجدة وخطيب المسجد الحرام الفخري أبي بكر بن ظهيرة الشافعي لقضاء جدة بأمر صاحب مكة ومباشرة الحكم بها.

وفي شهر ربيع الأول بعث صاحبها لحاكمها بمكة بأن يهتم مع القاضي برهان الدين بن ظهيرة في زفة المولد الشريف ويأمر القضاة والفقهاء بالمشي معه على عادة سلفه ومن وافاه كان واصلاً بالشريف أبي نمي صاحب مكة ومن تخلف عنه كان انفصاله في الزمان الباقي.

وأشيع هذا في البلد ووقف الحاكم القائد مرشد الحريري على ورقة الشريف فما تخلف أحد عن موافاته، وعُدّ ذلك من سعده. وكانت الزفة عظيمة بوقدان كثير من القناديل والشمع والمفرعات في ليلة الإثنين ثاني عشر ربيع الأول. وهنّأه الناس بها على العادة قبل توجّهه إلى المولد النبوي بسوق الليل وبعده القاضيان الحنفي والمالكي يحجبان(٢) المشار إليه ميمنة وميسرة والخطيب المحيوي العراقي على يمين المالكي. واتفق ذلك للشافعي المحيي بن ظهيرة في أول ولايته، كما اتفق لابن عمه هذا من مشي القضاة معه كما شاهدناه. والدنيا حظوظ ولكل زمان رجال.

ثم وافق سعده وصول القاصد مسلّم البدوي من القاهرة في عشري شهر ربيع الأول مع عدة مراسيم من نائب الديار المصرية باستمرار قاضي الشافعية على الحكم

(١) بالأصل: حدث .
(٢) بالأصل: يحجبا .

فيما فَوّض إليه الشريف صاحب مكة حتى تصل المراسيم الخنكارية. وأن الشريف عرار حصل له الإجلال والإكرام، ونيته التوجّه لجهة حلب في ملاقاة الخنكار بها لقدومه إليها. وتاريخ مرسومه في سادس شهر صفر ثالث يوم دخل الحاج المصري إلى القاهرة.

وكان سبب تأخير القاصد خروج العرب عليه [١٤١ ب] وأخذ المراسيم منه. ثم توجّه إليهم بجماعته فأخذها منهم ولم يفعل شيئاً. وعُدّ ذلك من سعد القاضي إبراهيم وصاحب مكة، أيدهما الله تعالى.

ثم في عصر يوم الخميس ثامن جماد الأول وصل قاصد بدوي من القاهرة صحبته عدة مراسيم لصاحب مكة السيد الشريف أبي نمي محمد بن بركات الحسني وكان توجّه إلى جهة اليمن لغزو بعض العرب فنزل القاصد في بيت الشريف عرار ابن عجل النموي قاصد صاحب مكة المقيم بالقاهرة وقت تاريخه فأرسل له قاضي الشافعية الجديد البرهاني بن ظهيرة وطلبه وأخذ منه أوراقاً [١] له من الشريف عرار وأمين القاهرة الأمير جانم الحمزاوي وفيها تطييب خاطره وإيعاده بوصول مراسيم خنكارية إليه باستمرار وظائفه كما سأله له فيها صاحب مكة.

ووصلت [٢] مع القاصد عدة أوراق ومرسوم من قاضي الحنفية بديع الزمان محمد ابن الضياء الحنفي ومضمونها ولايته لقضاء مكة وبندر جدة وأنه استناب عمه قاضي المسلمين قوام الدين ابن الضياء في قضاء مكة وإمام الحنفية الجمالي محمد بن أحمد البخاري بجدة. وتوجّه بها إلى صهره قاضي المالكية التاجي عبد الوهاب بن يعقوب وأخته زوجة المتولي، فخلعت على القاصد خلعة وأقام بمكة يوماً وليلة حتى كتب له قاضي الشافعية أجوبة للشريف صاحب مكة وكذا قاضي المالكية وعم

(١) بالأصل: أوراق .

(٢) بالأصل: ووصل .

القاضي بديع الزمان مع إرسال مرسومه لاطلاع الشريف عليه، وكتب عمه للشريف باستكراهه لدخوله بين الأخوين أولاد أخيه المتولي والمفصول، فصادف غرض الشريف خصوصاً وأرسل قاضي الشافعية قاصداً من جماعته لإخبار الشريف بإظهار مرسومٍ ضِدّه القاضي بديع الزمان قبل أن يطلع عليه صاحب مكة. فتشوّش من ذلك وتكلم على القاصد بسبب إظهار الخبر قبل وصوله إليه. وأقام القاصد عنده نحو عشرة أيام ثم عاد إلى مكة بأجوبة للقضاة الثلاثة، أسَرُّها موافقة الشافعي على غرضه لكونه من جهته والمالكي أخفى جوابه، وأما القاضي قوام الدين فاطلعتُ على كتاب الشريف له ومضمونه: وصول كتابه إليه وأنه فهم مضمونه وأوصل المرسوم وأنه من أهله في محله وإذا وصل صاحب الوظيفة قريباً يباشر وظيفته.... [١] أحد من ذلك، وفهمتُ من كتابك عدم دخولك بين الأخوين وهذا من نور باطنك.

ففرح العم بذلك وكان سبباً في توقفه لمباشرة الأحكام وكذا نائبه بجدة، وترك أخوه القاضي أبو السرور الحكم واستمر قاضي جدة الشرفي يحيى ابن القاضي فائز بن ظهيرة يحكم فيها على نيابة الشريف له، فلم يلتفت لوصول المرسوم بولاية القاضي بديع. والله تعالى يلطف بالجميع.

وأمر صاحب مكة بزينة أسواقها سبعة أيام لنصرة الوزير الأعظم إبراهيم باشا على أهل العجم وأخذ مدينة تبريز وغيرها. وأن مصر زُينت كذلك. ونوى الخنكار العود لبلاده بعد وصوله إلى بلاد قراحصار المتوسطة بين بلاد العجم وحلب نحو عشرة أيام. وأنه أرسل ولاقًا [٢] للقاهرة بذلك. فتوقف الشريف عرار عن السفر منها حتى يأتيه جواب صاحب مكة بالتوجّه للروم أو العود إليه.

فزُينت أسواق مكة سبعة أيام أولها يوم الخميس ثامن عشر جماد الأول وألزم

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٢) الولاق: الرسل. وأخبار انتصار العثمانيين وأخذهم لمدينة تبريز ملخصة في كتاب تاريخ الدولة العلية لمحمد فريد بك المحامي ص٢٢٢ .

الحاكم التجار بتحسين الزينة والاعتناء بها خصوصاً الأعاجم فاهتموا بها في المسعى والخانات وباب السلام. وكتب قاضي الشافعية أجوبة للقاصد بمضمون ما جاء بسببه من جهة صاحب مكة [١٤٢ أ] وجهته ويقال إن جماعته سعوا في مناصبه كقضاء جدة ومكة ونظر المسجد الحرام وبذلوا مبلغاً لصاحب مصر نحو خمسة عشر ألفًا، فلم يقبلها منهم لمعارضتهم لصاحب مكة وزجرَهم بالكلام فلم يفدهم غير الملام. فالله تعالى يقدر للمسلمين خيراً.

ثم إن القاصد توجّه لجدة وأقام بها مدة حتى كتب له ملك التجار أجوبته وسافر منها ثم أعقبه قاصد ثان في أول شهر جماد الثاني بمضمون النصرة وأن الخنكار توجّه بنفسه لجهة العجم وأن القبطان خير الدين الرومي ملك مدينة طرابلس الغرب وجربة وأعمالها.

وتوجّه لصاحب مكة من جدة ودخلها نائبها الجديد سليمان الرومي في العشر الثاني من جماد الآخر. وفيه توجّه للزيارة قاضي المالكية تاج الدين بن يعقوب بعياله وبعض أصحابه والشيخ أبو الحسن البكري ومعه زوجة له وأمه وأخته، وأقاموا بالمدينة أزْيَد من شهر وعادوا مع قافلة رجب. واستمر نائب جدة بها وأرسل لقاضي الشافعية بمكة البرهاني بن ظهيرة يطلبه لجدة ويحضر تسليمه للأموال السلطانية وتعلق الفرضة من النائب المفصول محمد جلبي وتوجّه إليه وأقام بها نحو جمعة وقبض بحضرته ما طلبه بصدده، وكتب عليه إشهاداً كما كتب على الذي قبله.

ثم عاد إلى مكة القاضي الشافعي ثم نائب جدة الجديد في العشر الأوسط من شعبان وسكن في المدرسة العينية، كعادة نواب جدة، وأضافه الأكابر. ثم إنه خلع على القاضي الشافعي خلعة قفطان في يوم الثلاثاء عشري شعبان وهنّأه الناس وأظهر حزناً عند لبسها لتذكره وفاة ابن عمه الذي أخذ القضاء عنه. وحمده العقلاء على

ذلك، [والله أعلم ببواطن الأمور] (١).

ثم في ليلة الجمعة سلخ شعبان اتفق بمكة اتفاقية عجيبة وواقعة غريبة ينبغي تسطيرها، هي أنه في وقت التخفيف وهو الأذان الثاني عند طلوع الفجر سمع السيد الشريف علاء الدين الملقب ملك التجار الحسيني السراري - أعزّه الله وكفاه شر الأعادي - وهو في الطواف على عادته في ذلك الوقت حسَّ صياحٍ في منزله المجاور لباب العمرة، أحد أبواب المسجد الحرام في الجهة الشمالية، المعروف قديماً بالمدرسة المنصورية وحديثاً بإنشاء المقر البدري محمد بن مزهر كاتب الأسرار الشريفة بالقاهرة كان. فتوجّه إلى جهته ولاقاه بعض خدمه وأخبره أن زوجته.... (٢) حليمة الهندية، انتقلت بالوفاة إلى رب البرية، من غير مرض سابق.

فعجب من ذلك وتوجّه مسرعاً إلى منزله هنا فهاله الأمر وسأل خدمه عن خبرها فأنكروا عليها الحال وأغلظ عليهم في المقال، ثم ألان لهم الكلام، ووعد قاتلها بالعتق والإكرام، حتى قال له ثلاث جوارٍ من الزنوج، خدام المطبخ العلوج: نحن قتلناها لشدتها علينا، وأمرتنا بقتلك وإلاّ قتلتنا. فطيب خاطرهم وحسّن فعلهم. ثم إنه شرع في جهازها وأظهر الجزع والحزن عليها، والندم على ما فُعِل فيها، وصار يقول إنه فتن في دينه ودنياه، ولم يصرح لأحد بما قدّره الله تعالى عليه وقضاه.

وهرع الناس للسلام عليه وهم متعجبون من حرقته وما نُسب من القول إليه ثم إنه باشر غسلها بنفسه مع أخته وولده ومن يثق به خوفاً من ظهور أمرها وكتمان حاله وحالها. وعمل لها ستارة من الثياب البيض على جنازتها وصلّى هو عليها قبل ظهر الجمعة بساعة وشيّعها خلق مّن الأعيان ودفنت في تربته المستجدة التي بالشعب الأقصى من المعلاة عند قبر السيدة الكبرى خديجة [١٤٢ ب] بنت

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .

خويلد بن عبد العزى – رضي الله عنها – زوجة النبي ﷺ في تربة مبنية هناك وعمل لها ربعة صباحاً ومساء ثلاثة أيام بالمعلاة والمسجد الحرام.

شهر رمضان استهل كاملاً بالسبت من سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٥م)

ثم في ظهر يوم السبت غرة شهر رمضان المعظم ثاني وفاتها طلب القضاة الثلاثة ما عدا الحنبلي لعدمه وحاكم مكة القائد مرشد الحريري الحسني وأطلعهم على خبر قتلها وطلب الثلاثة الجواري بحضرتهم فأخبروه بفعلهن وسلّمهن(١) للحاكم فبتن(٢) به إلى صباح ثاني تاريخه وثالث قَتْلها. فضربهنّ ضرباً شديداً وأركبهن على ثلاثة جمال وسمّر أيديهن بالخشب وهي ممدودة وأركب كل واحدة رحْلاً وشق بهن(٣) المسعى والمشاعلي ينادى عليهن: هذا جزاء من يتجسرأ على قتل سيدتهم. واستمروا كذلك إلى سوق المعلاة ثم خنق الثلاثة وكسر أسنان إحداهن كما فعلوه بسيدتهن. فكان الجزاء من جنس عملهن ثم شُنِقْن (٤) بالحبال على سبيل البستان الذي بجانب بركتي المصري في قارعة الطريق واستمررن (٥) كذلك إلى آخر النهار ثم نزّلوهن، وكثر الكلام فيهن وفي سيدتهن.

ويقال: إن سبب قتلها غضبها على زوجها المشار إليه لما تزوج عليها في العام الماضي بابنة عمته من الخواجا نصير الدين الشيرازي المتوفاة في آخر شهر صفر أول سنة تاريخه وهي حامل منه. لما اطلعت على زواجه بها وأظهرت هجرانه وتعب في رضائها حتى حلف لها أيماناً مغلّظة في عدم الزواج والتسرّي عليها، وترك عمته

(١) بالأصل: بفعلهم وسلمهم .
(٢) بالأصل: فباتوا .
(٣) بالأصل: بهم .
(٤) بالأصل: شَنقوا .
(٥) بالأصل: استمروا .

لأجلها. فلما طالت المدة طلب زيارة عمته فعادت لغضبها عليه وأتلفت كثيراً من ملكها الثمين في النار وغيرها ويقال إنها سبب غِنى زوجها ولهذا كان صابراً عليها فعوضه في صبره بالانتقام منها وإن كان مُصيراً بحاله. والله أعلم بحقيقة ماله. [نسأل الله تعالى السلامة وكفاية الشر] (١).

وقد اتفق مثل هذه القضية في سنة أربع وسبعين وثمانمائة كما ذكره جدي الحافظ نجم الدين بن فهد المكي في حوادثها من تاريخه **إتحاف الورى، بأخبار أم القرى**، وهي مع أم الهدى سعادة أخت قاضي الشافعية البرهاني بن ظهيرة قتلتها جاريتان لها إحداهما زنجية والثانية تكرورية، ومثّل بهما وسمّرهما على الجمال وشنقهما على باب المعلاة في تاريخه (٢).

وفي أول شهر رمضان وصلت لجدة مراكب الهندية وتباشر الناس بها والتجار بعد إياسهم منها وأخبروا أن وراءهم ثلاثة أو سبعة مراكب، [وأخبروا ببعض فتن بين بهادر وهمايون](٣).

وفي أذان ظهر يوم الأربعاء خامس شهر رمضان المعظم ولد ولدي المبارك السعيد – إن شاء الله – عز الدين أبو الخير محمد المدعو عبد العزيز، كاسم والدي تبركاً به وإحياءً لاسمه، وأمه أم المعالي خاتون ابنة المرحوم قاضي المسلمين علي بن أبي بكر المرشدي الحنفي الأنصاري، وسهّل الله عليها وضعه وخلاصها. جعله الله ولد الحياة مباركاً ميموناً، وأقر عيْننا به وبأخيه وأخواته ووفق بينهم بجاه سيدنا محمد ﷺ.

وفي العشر الأخير تعين الباشا بها خصروه الرومي وأمينُها الأمير جانم

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٢) وردت القصة في الجزء الرابع من كتاب إتحاف الورى للنجم بن فهد ٤ : ٥٠٥ .
(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

الحمزاوي المال من محصول القاهرة وأمين ويازجي روميان وتأخّر لهما الحاج لأجل ذلك [1].

وأشيع أن جماعة الباشا القديم سليمان الخصي ومعهم بعض العرب تعرضوا لنهب [١٤٣ أ] الحاج بعد سفرهم من البركة وأخذوا منه نحو ثلاثمائة حمل. فسمع الباشا الجديد بخبرهم فتبعهم بعسكره ومسك بعضهم. والله أعلم بحقيقة الحال وغير ذلك من الأخبار الآتية.

وفي عشاء ليلة الإثنين ثاني تاريخه وصل لمكة المقرّ الشرفي يحيى الحمزاوي أخو[2] الأمير جانم وعم ولده أمير الحاج الجمالي يوسف، وطاف وسعى ونزل في بيت ملك التجار السيد علاء الدين الحسني في قاعة كاتب السر المقر البدري بن مزهر المشرفة على الرواق الشرقي من المسجد الحرام. وعين لعياله الواصلين مع الحاج البيت الذي اشتراه في عام تاريخه من ابن الخانكي جوار باب العجلة. وتوجّه الأعيان للسلام عليه وأخبر بعضهم أنه وصلت للقاهرة مكاتبات من الشيخ زين الدين عبد اللطيف ابن شيخنا المرحوم الزاهد عفيف الدين عبد الله باكثير الحضرمي المكي الشافعي من الأبواب الخنكارية، وتولى منها قضاء الشافعية بمكة وجدة ونظر المسجد الحرام عوض القاضي بديع الزمان. وصحبتها عدة وصايا لأركان الدولة المصرية وإخبارهم بولايته لهذه المناصب وأن يُكتب له مرسوم من الباشا الجديد. فكتب له عدة مراسيم بذلك وهو واصل صحبة أمير الحاج المصري.

فأشيع ذلك وتشوش له صاحبها ومن ولاه بها، وفرح به إخوان المتولي وأصحابه، وصار الناس في هرج ومرج وهم متعجبون لولايته. فقدر الله تعالى أن القاضي برهان الدين بن ظهيرة طلع إلى جبل أبي قبيس لرؤية الهلال ومعه الأعيان

(١) كذا وردت الفقرة بالأصل.
(٢) بالأصل: أخي.

على العادة فلم يروه في ليلة الأربعاء لوجود الغيم المطبق، ثم وصل ثاني تاريخه سلخ الشهر طلع صاحب مكة الشريف أبو نمي لملاقاة أمير الحاج من العمرة وكذا القاضي برهان الدين بن ظهيرة وقاضي القضاة التاجي المالكي وسلموا عليه وعادوا. ودخل هو بعد العشاء وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر وبات به على عادته.

وفي صبح يوم الخميس أول الشهر توجّه إليه صاحب مكة الشريف أبو نمي وولده السيد أحمد وهو مراهق وصحبتهما عسكرهم من الخيل والرجل من أهل البدو والحضر فخلع [1] أمير الحاج على الشريف وولده خلعتين على عادتهما ودخلا صحبته إلى مكة وهما آمنان مطمئنان مع أن أمير الحاج ألبس عسكره من الجراكسة الحديد مع خيولهم، وكانت لهم بهجة. ونزل أمير الحاج[2] عند درب المعلاة في خيامه. وتوجّه الشريف إلى منزله وهو مقبوض لمعارضته في قضاء الشافعية لمن قدمه، وتواترت الأخبار بذلك ووصلت من المتولي الجديد عدة أوراق لإخوانه من المدينة الشريفة وفيها التعريف بحقيقة حاله فتحرك جماعته لها مع قبضهم خوفاً من صاحب مكة. ثم توقف أخوه الكبير الشيخ جمال الدين محمد إلى صاحبها فلم يُرِهِ [3] وجهاً على عادة مألوفة منه فزاد خوفهم.... [4] إلاّ عبد اللطيف.

ثم أشيع أن الشريف أرسل إليه في الليل وأغلظ له في المقال، وتهدده في الحال والمآل، بكلمات اختلفت الأقوال فيها، مضمونها التهديد بولاية أخيهم له فيما أمره به. فصار يسأله العفو حتى برز من عنده. لطف الله بالمسلمين في جميع أحوالهم.

[١٤٣ ب] وفي يوم الجمعة ثاني الشهر فرغ الشغل من المنبر الجديد الواصل من القاهرة بحراً من الخنكار سليمان بن عثمان وخطب عليه الإمام أبو الخير، وأخذ

(١) بالأصل: فأخلع.
(٢) كلمة سقطت من الأصل.
(٣) بالأصل: يوريه.
(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل.

المنبر العتيق واقتسمه الخطباء كعادتهم.

وفي يوم تاريخه فتح أمين الرومية.... (١) الرومي ختم القوائم واشترى هدية الشريف صاحب مكة وتوجّه بها إليه واستأذنه فأذن له. فشرع في تفرقتها صبح يوم السبت ثالث الشهر في المدرسة الكلبرجية على باب الصفا – أحد أبواب المسجد الحرام – وحضر معه قاضيا القضاة أبو السرور ابن الضياء الحنفي وتاج الدين بن يعقوب المالكي وكاتبٌ من جهة الشريف والشيخ أبو زرعة المنوفي وبعض إخوان القاضي الجديد ورأوا بحضرتهم قبض الناس. واستمروا على ذلك جميع النهار حتى فرق غالب الصر، وكان القبض هنياً من غير نكد لأحدهم. ثم في ثاني يوم فرق باقي الصر على العرب والعجم، وفي ثالث يوم البيوت وبقية الصرر في رابع يوم أعطي مشائخ الأربطة ليفرقوها (٢) على سكانها على عادتهم.

واتفق في يوم السبت أول يوم فُرقت الرومية دخول الحاج الشامي.

وفي ليلة الأحد رابع الشهر دخل لمكة المتولي لقضاء الشافعية بها ونظر المسجد الحرام الزيني عبد اللطيف ابن شيخنا الإمام الزاهد عفيف الدين عبد الله باكثير الحضرمي الأصل ثم المكي ولاقاه إخوانه وأقاربه وهم ساكنون لخوفهم من صاحب مكة فسكن أخوهم عند زوجته ابنة أخي شيخ الحجبة الشرفي أبي القاسم الشيبي بأجياد الصغرى. وبرز للناس في المسجد الحرام، وكنتُ أنا ممن سلّم عليه واقفاً لحق مشْيخة والده. وكثرت القالات فيه بسببه، وكان في غاية الرزانة (٣) ولم يركبه المنصب .

وفي صبح تاريخه مات إمام الحنفية السيد العلامة عفيف الدين عبد الله بن محمد البخاري الحسني وجُهّز في يومه وصلّي عليه بعد صلاة العصر وشيّعه خلق من

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) بالأصل: يفرقوها .
(٣) بالأصل: الرزا .

الأعيان. وكان له مجمع حافل وأثني عليه خيراً لخيره وديانته، وكان عمره نحو سبعين سنة ومرض بالفالج نحو الشهرين وحُقن وكُوي (١) بالنار فلم يُجْده شيئاً مع تألمه وعدم ميله لذلك لكنه غلب عليه ابن أخيه الجمالي محمد زوج ابنته الكبرى وأم أولاده موطوءته الحبشية سعاد. وخلفهما مع بنتين منها وواحدة من غيرها. فالله تعالى يجبرهن ويرحمه. واشتغل بإمامة الحنفية بعده ابن أخيه المشار إليه بكتابة صاحب مكة له. ونادى الرئيس أبو عبد الله بالصلاة عليه من فوق ظلة زمزم بأمر من القاضي برهان الدين بن ظهيرة الشافعي.

وتشوش المتولي الجديد من فعله وعاتبه(٢) على ذلك. ثم إنه رجع من باب السلام عن الجنازة وتوجّه لصاحب مكة الشريف أبي نمي للسلام عليه مع أكبر إخوانه فلم يأذن لهم في الدخول عليه من ساعة وصولهم فجلسوا في المنزل حتى قدم عليه المفصول فنزل إليه وعظمه بحضرتهم فسلموا وانصرفوا من غير كلام منه ومنهم. ثم تكرر ترددهم إلى الشريف ولأمير الحاج المصري الجمالي يوسف ابن الأمير جانم الحمزاوي والسيد علاء الدين ملك التجار وهم يسألون في التمكين من الوظائف لعبد اللطيف والشريف يصدّهم ويقول: عليّ مراجعة الخنكار وأنا معتمد مرسومي في إمضاء مَن يصلح للولاية ومنع من لا يصلح. فأشار عليه أمير الحاج بتمكينهم من الوظائف وهو ووالده يساعد(٣) [١٤٤ أ] الشريف في المراجعة فيه بعد ذلك، وإلاّ تحدث فتنة من المنع فإن الدفتردار الجديد النوري النقاش مساعد له في الولاية وكذا قاضي العسكر قادري جلبي فإنه خدمه في بابه كثيراً قبل ذلك.

فأذن له في يوم الأربعاء سابع الشهر بعد قراءة مرسومه في منزل الشريف ولبس عقبها خلعة جاء بها معه ومشى أمامه إخوانه حتى وصل إلى محل جلوسهم

(١) بالأصل: أكوى .
(٢) بالأصل: عتبه .
(٣) كذا بالأصل، ولعل الصواب: يساعدان .

عند منارة باب علي، فصلى هناك ركعتين وتوجّه بها إلى منزله وهنّأه القليل من الناس لانشغالهم وبعضهم مراعاة واستحقارا، وباشر الحكم حينئذ. فالله يعطي الناس خيره ويصرف عنهم شره. والناس نافرون عنه.

وفي ظهر تاريخه خطب خطبة السابع الخطيب أبو الخير الشافعي وطلع الحاج إلى عرفة. وكانت الوقفة بالجمعة ولله الحمد. وأرسل صاحب مكة للقاضي المفصول البرهاني بن ظهيرة بأن يقف بالناس وللقاضي المتولي بالمنع، فتوقف المفصول عن ذلك وتوجّه المتولي لأمير الحاج وللقائد جوهر المغربي وزير صاحب مكة وتكلم معه في مباشرة وظيفته وهو الموقف، فتكلم مع الشريف فمكنه منها.

فوقف بالناس في أول الوقت واستمر إلى تمكينه بدخول الليل وأنشأ خطبة لّمح فيها.... [1] حاله ضمّنها قوله تعالى: ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ [2] وأردفها بقوله: ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ [3] إلى غير ذلك مما نقل عنه، وبكى واشتكى.

واتفق له في الموقف أنه جاءه مبلغ من بعض سلاطين العجم بسبب الدعاء له ويقال قدره سبعة عشر مثقالاً ذهباً، و لم يتفق ذلك لمن قبله، ووقع ذلك موقعاً عنده لشدة فقره وجوعه.

ووقع للخطيب بمسجد نمرة المحيوي العراقي أنه باشر الخطبة بنفسه وهو مريض، فلما نزل استناب في الصلاة أخا [4] شريكه في الخطابة الإمام إبراهيم الطبري فصلّى بالناس الظهر جمعاً واضطرب الحاج فيها وكان قاضي المحمل المصري حاضراً مع أمير الحاج وقام على رجله وأمر الرئيس أن يقيم صلاة العصر عقبها فقام

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) سورة القصص، آية ٥ .
(٣) سورة الزمر، آية ٧٤ .
(٤) بالأصل: أخي .

إليه الشيخ نجم الدين ابن المعيطي أحد جماعة الشيخ أبي الحسن الشافعي وقال: لا يصح ذلك كما هو المفتى به. وصار كل منهما يؤيد قوله حتى جلس قاضي المحمل وسكت. وكثرت القالات من العامة وقال الخطيب محيي الدين: إن أمير الحاج وقاضي المحمل أمراه بفعل [ذلك] [1] لكونهم نووا الإقامة بمكة مدة لا يقصر فيها، وهي نحو عشرين يوماً كما سيأتي ذكره.

ثم اتفق للقاضي أنه باشر وظائفه وفرّق صر أهل مكة حين نزل من منى، بدأ بالمرتبات الشاميات وتكرر جلوسه لها مع محاسبته للناس، ثم الحلبية ليلة واحدة، وجلس بعده قاضي محمل الشامي القاضي معروف الدمشقي وتكرر له ذلك فلم يُنْتِجْ خيرا لقطع أسماء كثير من الناس، وكثر الكلام فيه وفي القاضي الجديد وتأسف الناس على فقْد أرباب المناصب المتقدمين واعتبارهم في التفرقة وجلوسهم لذلك في يوم أو ليلة وإيصال المستحقين لاستحقاقهم.

وفُرقت الذخيرة في المدرسة الأشرفية محل جلوس قاضي المحمل قبل الحج، وحرر أسماء الأحياء والأموات، وألحق أسماء الأولاد عوض سلفهم، وما أحسن ذلك إن صح فعله لمستحقيه، وضاعف الثواب لفاعله، لأن فيه نفعا كبيرا [2] وحسم مادة الظالم والحقير ولمن يطمع في حق الأيتام.

وفُرّقت بقية الأوقاف على يد جماعة منهم قاضي المحمل المصري القاضي زكريا بن محمد بن زكريا [١٤٤ ب] الأنصاري الشافعي، منها أوقاف الحنفي والمالكي والحنبلي، وأرصد وقف الشافعي الحكمي المستجد حتى يقبض باقيه من البرج والغازية الواصلة مع ركب الشام. فقبض ذلك بعد الحج وسلم الجميع أمير الحاج المصري عند سفره للقاضي الشافعي الجديد.

(١) إضافة تقتضيها الجملة .
(٢) بالأصل: نفع كبير .

وأقام الركب المصري بمكة عشرين يوماً وسافر في يوم الثلاثاء عشري الشهر، وأقام الشامي بعده حتى صلى الجمعة ثلاثة أيام وسافر في ليلة السبت رابع عشري الشهر، وكانت إقامته بمكة عشرين يوماً .

ورخصت الأسعار في الحب والسمن والماء وغير ذلك بحيث بيعت الربعية المصرية بثلاثة صغار والمن السمن بأربعين كبيرا والراوية الماء بعثماني وذلك لكثرة الماء في بِرَك الحاج بمكة وعرفة ووصول الحاج براً وبحراً ولله الحمد.

ومنع صاحب مكة الشريف أبو نمي أهل مكة من الفقهاء السفر مع الحاج المصري. [لما كثُر من الأراذل كعبد اللطيف وأمثاله للسعي في المناصب] (١).

واتفق أن القاضي سعد الدين محمد ابن القاضي خير الدين أبا الخير بن ظهيرة وابن أخيه الخيْري أبا الخير ابن الشيخ أبي البركات أرادا السفر صحبة شيخهما العلامة المحقق أبي الحسن البكري فتعرض لهما عبيد الشريف ومنعوهما فبطّلا السفر وتوجّه شيخهما من باب الشبيكة أسفل مكة فقدر الله تعالى أنه واجه صاحبها الشريف أبو نمي الممنوعين فأذن لهما وسافرا صحبته لأمر يريده الله تعالى. وقال لهما الشريف: لا تتعرضان لوظيفة القضاء في مكة وجدة ونظر المسجد الحرام، فقالا له: إنما قصدنا طلب الرزق. [فكان ذلك لمنية أحدهما في الغربة] (٢).

وأرسل الشريف قاصدين من جهة القاضي برهان الدين الذي قدمه في الولاية هما الشيخ محمد ابن الشيخ علم الدين العباسي والعز بن محمد ابن الخواجا شهاب الدين الهنيدي. ولم يُعلم حقيقة خبرهما هل توجّها(٣) إلى القاهرة أو الروم. فالله تعالى يلطف بالمسلمين ويُبلغهم كل خير.

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٣) بالأصل: توجّهان .

شهر محرم الحرام استهل ناقصاً بالجمعة من سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥م)

بشهادة الشيخ العدل الولوي أبي زرعة أحمد بن علي المنوفي الشافعي وغيره، وثبت عند قاضي القضاة المالكي التاجي عبد الوهاب بن يعقوب ولم يوافق الشافعي الجديد قاضي القضاة الزيني عبد اللطيف باكثير على ثبوته وخالف في تاريخه لِحض نفسه مع الشاهد، ووافقه على ذلك حجاب الكعبة الشريفة من بني شيبة في فتحها يوم السبت، ومنع فتح البيمارستان بمكة للفقراء في يوم عاشوراء، وفتح الكعبة في ثاني تاريخه، وحصل الألم في منعه.

ثم توجّه القاضي الشافعي الجديد لجدة في ليلة الأربعاء ثالث عشر الشهر على الرؤية الأولى وتخاصم مع زوجته ابنة الشيخ أبي القاسم الشيبي لأجل جارية حبشية اشتراها وطلبت تمليكها لها، فلم يوافقها على ذلك فامتنعت من السفر معه فسافر عنها وتركها وأخذ أجوارها (١) الذين مِلْكها، وعُدّ ذلك من طيشه. ولم يوادعه أحد من الأعيان بل جماعته عند وداعه بعد العشاء.

وكان استناب أخاه الأول الخطيب الجديد الشيخ جمال الدين في الحكم بمكة وأخاه الثاني الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بجدة وتوجّه لها قبل أول الشهر. وباشر كل منهما الأحكام بمكة وجدة وصار لهما حركة وكثرت القالات خصوصاً عند تفرقة [١٤٥ أ] قاضيهم الكبير قبل سفره لزوائد الحكمي والمستجد على.... (٢) المعرضين مع تأخير أصله يبقى من أيام الموسم(٣). وجعل لكل قاض ستين كبيراً ولغائب الأعيان من الفقهاء سلطانياً بأربعين كبيراً، وبعضهم دونها، وأرسل لي بسلطاني.

(١) هو استعمال مكي للدلالة على الجواري. انظر الهامش الثالث الذي وضعه محقق الجزء الرابع من كتاب إتحاف الورى للنجم بن فهد ٤ : ٥٠٥ .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) كذا وردت الجملة بالأصل .

ولما وصل لجدة، أظهر فيها الأحكام بقوة وشـدة، ولم يباشر الخطبة بجميعها واستتاب فيها بعض الغرباء وابن أخيه الكبير عبد المعطي ابن الشيخ بدر الدين حسن باكثير وهو حركته في التصرفات. [وثم أحوال غير محمودة وطغيان وتجبّر][1].

وأشيع أنه ضرب الخواجا الكبير مسعود الخلادي المغربي لشكوى بعض دَيّانَتِه عنده وأمره بالصبر عليه فلازمه في حبسه، فلم يوافقه وطالبه بحكم الله فأغلظ له في المقال فأمر بضربه، ويقال إنه باشر ذلك بنفسه. ولازم الدولة في قبض الصدقة الواصلة من الهند للخواجا بخشي الرومي، وأشيع أنها نصف مركب أرسله من الخشب والشحنة، ويقال إنِ مجموعها نحو ثلاثين ألف دينار واشتملت على خواتم بفصوص وجواهر وأرز وفلفل وبهار وصيني. وأن جماعة الشريف صرحوا له بأخذ ثلثها ومعشرها ومصرفها فيخرج منها أكثر من ثلثها. [وكان ذلك أول غنى عبد اللطيف][2].

ثم اتفق الحال بين القاضي الجديد والشريف عرار بن عجل الحسني الناظر بجدة على خدمة له بألفي دينار وللقائد جوهر المغربي مثلها ولنائب جدة الرومي مثلها ولغيرهم من أركان الدولة بغيرها. فما صار بجدة للأقوياء وجود من المستحقرين فيها.

ثم تحرر لي أن الصائر لأهل مكة عشرة آلاف أشرفي ولأهل المدينة خمسة وقبض صاحب مكة ثلث أهلها على عادته مع مصرف عليها. وتسلّم الشافعي الجديد يقال ستة آلاف وقيل أربعة آلاف أشرفي والمستعان بالله.

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

وفي أول الشهر قدم القائد جوهر المغربي بنفسه من جهة الشرق لمكة وتوجّه في ليلته لجدة وعمل فيها مصلحته وأخذ مائة إردب حب بثمنها لصاحب مكة لكونه نوى التوجّه إلى جهة اليمن، يقال من الشرق. وغليت الأسعار بمكة بسبب ذلك. ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبيعت الكيلة المصرية بثلاثة محلقة وربع. وأمر الأمير شرف الدين يحيى الحمزاوي أخو [1] أمين الديار المصرية الأمير جانم – وهو مجاور بمكة عام تاريخه – أن يُباع قمْحه بها كل كيلة بثلاثة صغار إلا ربعاً بنقص ربع ثم نصف على بيع أهل السوق، ونفع الناس بذلك وكثر الثناء عليه بسببه جزاه الله خيراً. وإن كان أمَر ببيعه على الضعفاء بالكيلة الصغيرة ومنَع الأقوياء ففيه إعانة في رخص السعر. ولقد أخذتُ من جماعة بالمد مراعاة لي فالله يجزيه خيراً.

وطلب القائد جوهر المغربي قماشاً خرْج العرب من السواد الكندكي والفُوَط بألفي دينار فمشى له الشافعي الجديد في أخذها من تركة الخواجا محمد جان العجمي. وكان توفي نصف المحرم أول سنة تاريخه بمكة وترك ولدين ذكرا وبنتا وزوجة، يقال إن الذكر بالغ وهو رشيد والبنت أصغر منه.

فوضع القاضي هو وأخوه الشيخ جمال الدين محمد باكثير يده على مخلفه وختم عليه، وجهّزه بمبلغ تكلم الناس فيه بسببه. ثم إن أخاه أرسل له بفتح الختم وإعطاء القائد ما طلبه من القماش وتوجّه به إلى جهة الشرق، ثم رده ورماه على أهل الخان من المتسببين كل كورجه بخمسة وعشرين أشرفيا. وتظلّم بعضهم عليهم فلم يُفده [١٤٥ ب] وذلك لّما طرأ لصاحب مكة العود إليها والإقامة بها في الوادي مدة ثم يتوجّه إلى اليمن، فعاد بجماعته إلى وادي مر في سابع عشر صفر

(١) بالأصل: أخي.

وأقام بوادي الدكناء...[1] وكان قاضي الشافعية المفصول البرهاني بن ظهيرة مقيما بوادي أرض خالد بعياله وعزم على جماعة من أصحابه وعمل للشريف صاحب مكة ضيافة حسنة كعادته. ثم إن القاضي المتولي الزيني عبد اللطيف باكثير أرسل قاصداً من جدة للشريف يستأذنه في القدوم عليه للسلام عليه فلم يلتفت لقاصده وأقام في الوادي أياماً ثم إنه اجتمع به وقال له: ما يحتاج لمجيئه، واعتذر له بعدم الكتابة لوجع عينيه، وأن القائد المغربي يكتب جوابه. فلما بلغه ذلك قدم إليه آخر شهر تاريخه فلم يأذن له في الدخول عليه حتى وصل له القاضي المفصول البرهاني بن ظهيرة ودخل عليه قبله إظهارا لإكرامه على المتولي. [وأشيع أكله لمال الخواجا محمد جان هو وأخوه وجماعته][2].

شهر ربيع الأول استهل ناقصاً بالأحد، جعله الله مباركا ببركة من ولد فيه ﷺ سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥م)

وفي ثانيه وصل لمكة قاضي الشافعية الجديد الزيني عبد اللطيف[3] باكثير وهرع الناس للسلام عليه وكثرت القالات في أمر الصدقة البخشية وصرفها. ثم إن القاضي الشافعي المفصول استفتى على المتولي بأنه عين له صاحبها من الهند خمسمائة أشرفي وقبضها في جملة المال لنظره عليها وهو متولٍ ووضعها في حواصلها. فأفتاه جماعة من الشافعية وغيرهم من علماء الوقت باستحقاقه لها وأرسل صاحب مكة بعض خدامه لمطالبة القاضي الجديد بردّها له فردها عليه راغماً. ويقال إنه أخذ لنفسه مثلها وقسم على القضاة الثلاثة من الحنفي والمالكي والحنبلي الواصل من الروم بحراً.

وأمر بإبطال ما شرع فيه أخوه نائبه من عمل المفرعات وتنظيف طريق المولد

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٣) بالأصل: عبد المعطي. وهو خطأ صوبناه اعتماداً على ورود اسمه عبد اللطيف مرات كثيرة في النص .

النبوي لإبطال[1] الزفة في ليلة المولد. وأرسل إلى مشائخ الصوفية من القادرية والأحمدية بترك المشي في تلك الليلة. ووعدهم بمبلغ من الصدقة التي تحت يده، فمالوا إليه لطمعهم في الدنيا ما عدا الشيخ إسماعيل الهندي أحد القادرية فدخل على بعض جماعة صاحب مكة في حمايته من القاضي المتولي. وصلّى المغرب وتوجّه بأعلامه وجماعة من أصحابه إلى المولد الشريف بالتهليل....[2] للنبي العظيم عليه الصلاة والتسليم. [وإنما ترك الزفة لعلمه أنّ أحداً لا يمشي معه][3].

وكنتُ ممن توجّه[4] لزيارة المولد الشريف قاصداً تعظيم المحلّ المنيف فرأيتُ فيه بعض العامة وغيرهم من المباركين فلاحظتهم بركة صاحب المولد الأمين. [وتكلم الناس في عبد اللطيف بسبب ذلك][5].

واتفق في عشاء ليلتها وصول صاحب مكة الشريف أبي[6] نمي إلى المسجد الحرام وصلّى فيه العشاء مع الجماعة، وتوجّه فيه الشافعي الجديد الزيني عبد اللطيف باكثير والقاضي تاج الدين المالكي للسلام عليه في المسجد فمرّ عليهم الشيخ إسماعيل الهندي وتوجّه إلى جهة باب إبراهيم، فقال الشافعي الجديد: هذا مهراق الدم لمخالفته لما أمرتُ به من [عدم][7] التوجّه إلى المولد النبوي فإنه بدعة. فسأل صاحب مكة القاضي المالكي عن قوله فقال: إن ثبَت أنه حرام وخالف ولي الأمر أدّبَ. فأعجب الشريف ذلك. فقام القاضيان من عند الشريف وطلب الشافعي بقية

(١) بالأصل: لعدم إبطال. ولعل الصواب حذف الكلمة الأولى كما يدل عليه باقي النص .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٤) بالأصل: وجه .
(٥) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٦) بالأصل: أبو .
(٧) إضافة يتطلبها معنى الجملة .

القضاة بالحضور خلف مقام الحنفي وأمر بإحضار المنجمعات من [١٤٦ أ] الفوانيس الكبار هنالك فاجتمع العامة عندها فقال له القاضي المالكي: ترك الجمعية أولى، فإنا نخشى من العامة الرمي لإبطال ما ألفوه من عمل الزّفة، فوافقه على ذلك.

ويقال إن بعض العامة والصغار رجموا الشافعي الجديد لما قام من عند الشريف ودخل إلى المطاف فتأثر من ذلك وتحقق ما قاله له القاضي المالكي فجاء إلى مجلسه وأمر برد المنجمعات إلى القبة، وانفض الجميع عند قيام صلاة العشاء. وخمدت الفتنة بوصول الشريف أبي نمي صاحب مكة لأن القاضي الجديد يظن البطش على من خالفه وسطا برجمه. وسمّاه الناس قاضي بدعة. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وسأل بعض الناس الشيخ العلامة مفتي المسلمين أحمد ابن قاضي القضاة الجلالي أبي السعادات الأنصاري عن عمل زفة المولد المعتادة هل يجوز فعلها أو تركها ؟ فكتب فيها كراساً في إباحتها لكونها من الأفعال الحسنة لتعظيم مولد نبي هذه الأمة. وقرأه لي فسررتُ به بل رأيتُ مناماً في ثاني الشهر ربيع الثاني بحضور والدي ووالده وأخويه قاضي القضاة الشرفي أبي القاسم والمرحوم القاضي محيي الدين عبد القادر وشيخ الصوفية الجنيد أبي القاسم المشرعي وغيرهم من العلماء وهو يقرأ عليهم الكراس الذي أجاب به، فسُرّ والده ومن حضر معه، فقال له والدي: ينبغي أن تسمي هذا الجواب « الأقوال المهمة » وقال عقبه شقيقه المرحوم « في تعظيم مولد نبي هذه الأمة »، وقال بعدهما الشيخ الجنيد: الأولى أن تسميه « سرور المسلمين بتعظيم ليلة مولد نبينا المصطفى الأمين ». فعلمت بهذا المنام أنّ قصده التعظيم والإكرام. فالله تعالى يلهمنا للصواب، ويجنبنا كل عمل يُعاب، بنعمة الله الكريم الوهاب.

وفي آخر هذا الشهر عمل قاضي القضاة التاجي المالكي وليمة في بركة الماجن أسفل مكة عزم فيها على القاضي الشافعي الجديد الزيني عبد اللطيف باكثير وإخوانه

وجماعتهما، وتهوّر الشافعي بالألفاظ على قاضي القضاة الحنفي أبي السرور ابن الضياء وغيره وقالوا من جملة كلامه: أنت اليوم غاوي رئاسة جديدة لحضورك المدرسة الأشرفية في غيبتي، فقال له: كان القاضي الشافعي قبلك يُعرَف حضوره بلبس الطيلسان من صلاة العصر فنعزم قِبَلَه [١] وأنت لا تُعرف لك قاعدة. وهذا جواب منه غير قانع له، بل الأولى في جوابه: إن الأمر لا يتوقف على حضورك فإن كل من حضر من أصحاب الوظائف برئت ذمته لحضور وظيفته، وهو المعروف لأربابها في زمن الواقف إلى الآن. وكان إذا غاب الشافعي.... [٢] كل من حضر من بقية القضاة والشهود والمترددين إليه.

وكثر الكلام من المنسوبين إليه وأكثروا الكلام بما لا فائدة فيه إلاّ الملام، وصفا الأمر على إقامة يوم واحد بمنى في بيت المالكي الذي عمره جديداً. وعمل لهم من الأطعمة الملونة الحلوى والسكرية والمربيات والدجاج وغيره ممن كثر.... [٣] وكان في حقيقة الحال مقدمة لأكل الحرام من الصدقة البخشية التي كانت تفرقتها غير مرضية. فإن القاضي الشافعي الجديد كان يعد المستحقين ويمّنيهم حتى فرقها عليهم بعد أن قدم الشريف أبو[٤] نمي في آخر الشهر وتوجّه إلى جهة اليمن. وغنم الفرصة في غيبته فأعطى لكل من القاضيين الحنفي والمالكي مائة وعشرين أشرفياً [١٤٦ ب] ويقال إنه زاد المالكي على الحنفي ثلاثين وأعطى القاضي المفصول الشرفي أبا القاسم المالكي - يقال - خمسين أشرفيا، وشيخ الحجبة والخطيب محيي الدين العراقي كل واحد عشرين، ولكل إمام سبعة ولعياله اثنين ولكل من بني ظهيرة عشرة وعياله اثنين ولغالب الفقهاء والمدرسين خمسة أشرفية ولعياله اثنين ولمن دونهم

(١) كلمة تكررت بالأصل .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٤) بالأصل: أبا .

أربعة وثلاثة واثنين ولعيالهم واحداً ودون ذلك. ويقال مجموع ما فُرق على الفقهاء نحو ألفين وعلى العامة كل كبيرين يقال نحو ألفي أشرفي على عشرة آلاف نفس كما أخبر به جماعة من أخصائه. ولم يرض به غالب الناس.

وأشيع أنه ميّز جماعة بمبلغ كبير – الله أعلم بحقيقته – وأنشد بعضهم في الحال قول من قال:

مستحدَث النعمة لا يُرتجى ... فكفّه مملـــوءة فقر

جُنّ له الدهر فنال الغنـى ... يا ويحه إن عقل الدهر

ولله در الإمام أحد الأعلام زين الدين عمر بن الوردي البكري المغربي حيث قال في القرن الثامن عن أهل زمانه العلماء الأعلام في التحذير من ولاية الأحكام:

لا تلي الحكم وإن هم سألوا ... رغبة فيـك وخالف من سأل

إن نصف الدهـر أعداء لمن ... وليَ الأحكام، هذا إن عـدل

فهو كالمحبـوس عن لذاته ... وعلى كفيْه في الحشر ثـقل

لا تـواري لذة الحكم لما ... ذاقه الشخص إذا الشخص انعزل

فالولايـات وإن طالت لمن ... ذاقـها فالسم فـي ذاك العسل

غيـر أني في زمان أهله ... صاحب المال هو المـولى الأجلّ

واتفق في هذا الشهر غلو الأسعار في الأقوات فبلغ الحب المصرية الكيلة نحو أربعة صغار وثلاثة عثامنة والدخن والذرة والرطل السمن بأربعة كبار والجبن واللبن واللحم فعزيز جداً لقلة الأمطار وقلة الواصل من البحر المالح جهة القصير واليمن. فألهم الله تعالى إمام مقام الشافعية العلامة المدرس خير الدين أبا الخير محمد ابن الإمام أبي السعادات الطبرى المكي في جمع جماعة من الرجال والصغار أولاد الكتاب ودخل بهم المطاف الشريف ضحوة نهار الأحد رابع عشر شهر ربيع الثاني ووقف بهم أمام الباب الشريف والتجؤوا إلى الله تعالى والمصاحف الشريفة على رؤوس

أولاد الكتاب بالدعاء والبكاء والنحيب. وكانت ساعة مقبولة بحمد الله لأنه ظهرت[1] نتيجتها قريباً وتفرقوا، واستمر الإمام خير الدين المشار إليه يقنتُ بالناس في الصلوات الخمس، وغلط بعض الناس في صلاته لعدم شعوره بفعله وكثرت القالات في ذلك، وربما تكلم القاضي الشافعي الجديد مع بعض إخوان الإمام في رده فلم يوافق واستمر على ذلك بقية جمعته.

ثم في أثناء الجمعة الثانية منّ الله تعالى على العباد والبلاد بالمطر القوي بمكة وغالب نواحيها ورخصت الأسعار قليلاً فوُجد اللحم واللبن وغيرهما وجاءت الأخبار بوصول المسماري والجلاب من القصير فيها الحب. وتباشر الناس بالخيرات.

شهر جماد الأول استهل كاملاً بالأربعاء من سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥م)

[١٤٧ أ] وفي يوم الجمعة عاشره وصل لجدة ستة مراكب من بلاد الهند في غير أوان السفر منها، يقال في العشرين من النيروز وعادة السفر في السبعين. وعجب التجار من ذلك وتيسير الطريق والمسالك وسببه لطف الله تعالى وسلامة أهلها وذلك أن سلطان كنبايه وابن سلاطينها بهادر شاه ابن مظفر شاه ابن محمود شاه أخِذتْ غالب مملكته على يد سلطان المغل محمد همايون بن بابر صاحب دلي[2] ويقال هو من ذرية تمرلنك الطاغية، وهرب السلطان بهادر منه إلى الديو بعد دخوله إلى تخت مملكته ستايير[3] وأخذ غالب تُحفه منها من الجواهر والنقود وأتلف ما فيها وشحن[4] ما أخذه في هذه المراكب وغيرها وأركب فيها زوجته وأخاه[5] وجماعته

(١) بالأصل: ظهر .
(٢) وهي مدينة دلهي .
(٣) ستايير: كذا ورد هذا الاسم بالأصل .
(٤) بالأصل: أشحن .
(٥) بالأصل: وأخيه .

من أهله وخواصه نحو ألفي نفس من الفضلاء المعتبرين وعين المقدّمين الملقب آصف خان واسمه عبد العزيز بن حميد الملك.

فتُحلّتْ المراكب في الفرضة السلطانية. ويقال منها مركبان خاصان بالخنكار الأعظم سلطان العرب والعجم سليمان بن عثمان، فيهما أسباب أحد المقدمين من الأروام في الهند مصطفى الرومي، وكان أحد المقربين للسلطان بهادر شاه فخانَهُ وتوجّه لعدوه سلطان المغل مع جماعة من وزرائه والباقي من المراكب فيها أمتعة عياله وعسكره .

وأشيع أن فيها ثلاثمائة وخمسين (١) صندوقا من التحف والنقد الذهب المضروب وغيره وفُتح بعضها (٢) فوجد فيه سبعة آلاف دينار وفي بعضها عشرة آلاف، وعيّن فيها مبَرة لأهل المساجد الثلاثة وغيرهم، فوضعها نائب جدة الرومي في حواصل الفرضة ومنعهم من الوصول إليها حتى يأتيه جواب من الخنكار أو ملك الأمراء بالديار المصرية. وذلك أنه رأى ما هاله من النقود لكثرتها، وعادته لا يُعشّره.

ومن جملته حياصة مكللة بالجواهر الثمينة عُيّنَتْ لسلطان الروم، وسيف مثمن لنائب الديار المصرية وغير ذلك لوزيره وأركان دولته وصاحب مكة وأتباعه. و لم يمكّنهم نائب جدة من تعلقهم إلاّ الدبْش(٣) والفرش. وعملوا فيه ما أمكنهم من الفرضة لمعرفتهم بعملهم في بلادهم من أركان دولتهم فكان الجزاء من جنس العمل. ومصداق ذلك أنهم لم يبيّنوا إلاّ ما خُبّر عليه ولا أظهروا الحاجة إليه لكن نائب جدة أعطاهم بعض المصروف على العسكر وهاداهم أركان الدولة بجدة وجازاهم الوزير بما عنده.

---

(١) بالأصل: خمسون .

(٢) بالأصل: بعضهم .

(٣) الدبش: أثاث البيت، انظر Dozy : Suppléments ... 1 : 423

وفي الجمعة التي وصلوا فيها سافر من مكة يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر تاريخه للزيارة النبوية السيد علاء الدين ملك التجار ومعه جماعة من الأعاجم عزم عليهم بعيالهم منهم الشيخ المدرس أبو بكر العمري والشيخ سلام الله وصحبه والدة قاضي القضاة المحبي بن ظهيرة وأخواتها وغيرهم على نية الزيارة والمجاورة إلى آخر شهر رجب. تقبل الله ذلك.

وفي يوم الأحد سادس عشر الشهر دخل مكة بعض الهنود منهم عماد الملك ودادة عيال السلطان بهادر شاه ومعهما جماعة من العسكر والنساء، وسكنوا في مدرسة سلطانهم مظفرشاه بباب الصفا المجاور للمسجد الحرام وقصد عمادَ الملك أربابُ الوظائف وغيرهم للسلام عليه.

وفي يوم وصوله تحرك غلو الأقوات من الحب والسمن واللحم ونزل سعر الذهب المضروب كل أشرفي أربعة كبار بعد أن كان كبيرين والكيلة الحب بكبير وعثماني والرطل السمن بأربعة كبار [١٤٧ ب] واللحم بكبير، فالله يرخص أسعار المسلمين خصوصاً جيران بيت الله الأمين.

ثم في يوم السبت خامس عشر الشهر دخل مكة عبيد سلطان الهند وبقية عسكره مع وزيره آصف خان واسمه عبد العزيز ونزلوا في قاعة قاضي الشافعية الجمالي أبي السعود بن ظهيرة التي صارت لهم وضاقت عليهم لكثرتهم وطلبوا إجارة البيوت المجاورة لهم، وسألوا قاضي الشافعية المفصول البرهاني في بيت ابن عمه قاضي القضاة المحبي بن ظهيرة واعتذر لهم بكون حوائج المتوفى فيها وأمرها إلى زوجته وأمه، وثانيتهما غائبة بالمدينة الشريفة.

فسمع القاضي الشافعي المتولي عام تاريخه بسؤال الوزير في ذلك، فتوجّه إليه وعرض سكن نفسه وهو مستأجر معه لسنة تاريخه وذهب معه إليه وأراه له وحلف عليه بأنه يسكن فيه على أمتعته من الفرش وغيرها وأنه لا ينقل منها إلاّ كتبه وثياب

بدنه. فقبل منه السكن وردّ عليه جميع ما فيه، فحينئذ نقـل إليه عيـال سـلطان الهنـد مظفرشاه. وطلب إجارة المنازل التي حوله بأغلى الإيجارات، منها ما هو بثلاثمائة وما هو بمائتين وما هو بمائة، فكان ذلك رزقاً لأهلها.

وسكن الوزير في أحدها المقابل لسكن عيال سلطانه وهرع الأعيان من أرباب الوظائف للسلام عليه وأرسلوا هداياهم إليه، وفيـها السكر والعسـل والأغنـام وغير ذلك، وجازاهم عليها بالقماش والنقد لكل واحد بقدر ما أرسل إليه نحو أربـع مـرار ودونها. وصارت في البلد حركات وكثرة تصرفـات وزاد غلـو الأسعار في الذهب وجميع الأقوات حتى نـزل الأشـرفي السـلطلاني والقبرصي بأربعة وثلاثين وخمسة وثلاثين كل واحد نقص سبعة وثمانية كبار والسليمي والغوري بنقـص أربعـة كبـار. والكيلة القمح المصرية بكبير وعثماني والرطل السـمن بأربعة كبـار وأكـثر واللحم رطل بكبير. فـالله تعـالى يرخـص أسـعار المسـلمين ويجعـل الخـير في القـرار. [وكـثر الذهب في أيدي الناس من خزانة بهادر][1].

ثم في أواخر العشر التالي من جماد الثاني فرق عماد الملك الهنـدي مـبرّة علـى جماعة من المدرسين والفقراء المباركين جزاه الله تعالى خيرا. [وكان رجلا دينـاً خـيراً حسن الصورة لطيف المعاشرة من أهل الفضل][2].

ثم فرّق الوزيرآصف خـان على أربـاب الوظـائف مـن القضـاة والأئمـة والشيبيين والمؤذنين والفراشين مـن الذهـب والشاشـات، ولم يعـمّ النـاس بالمبرات، ونُسب التقصير لإمام الحنفية محمد البخاري لكونها على يده وهو من المقربـين عنـده والمطوف له لما قدم. وتشوش منه القاضي الشافعي الجديد ونافر الوزير لعـدم انقيـاده له. [وحصل له منه ذهب بكثرة سبائك وغيرها بنى بها البيوت][3].

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

وفي يوم السبت رابع عشرى جمادى الثاني سافر من مكة شـيخ الحـرم النبـوي محمود الرومي وصحبه عمدة الملك [1] الهندي والنوري علي ابـن الشـيخ بـدر الديـن حسن باكثير ابن أخي القاضي الشافعي الجديـد. فسـمع حـاكم مكـة القـائد مبـارك الدهلكي بسفره وكان مات له ولد صغير في صبح تاريخه فشيعه إلى المعـلاة وتوجّـه ثاني تاريخه إلى جهة القافلة المتوجّهة[2] للمدينة الشريفة، فلحقهم في خليص واجتمـع بشيخ الحرم وعنده النوري علي باكثير فأخبره بطلب الشريف لرده إلى مكة. فحمـي له شيخ الحرم ومنعه من ذلك، فقال له القائد: إن كنتَ [3] فلا تعصنا وإلاّ ما نمكّنك من السفر بنفسك. فلما رأى منهم الجد نام في خيمته وقـال لهـم: افعلـوا مـا أمركـم الشريف به. فردوا معهم النوري علي باكثير إلى مكـة، ولم يظفـروا بالمكاتبـات الـتي معه من عند عمه على ما يقال بأخبار الدولة والهنود بمكة وجدة .

[١٤٨ أ] وتشوش عمّه من ردّه فلم يفده مع الدولـة إلاّ الـذل والطمـع فيـه، ولله الأمر بما يظهره ويخفيه.

شهر رجب الفرد استهل ناقصاً بالإثنين

من سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥ - ١٥٣٦م)

في أوله وصل قاصد من القاهرة وتوجّه لجهة اليمـن للسيد أبـي نمـي صـاحب مكة ومعه مراسيم وأخبار بنصرة الخنكار سليمان خان ابن عثمان سلطان الروم على أهل العجم، وأنه ولّى فيها النواب وأقام فيها عسكراً وعـاد إلى تخت ملكـه مظفراً منصوراً ولله الحمد. وقد زُينت القاهرة له وكذا جدة.

(١) نلاحظ أن المؤلف يسميه أحيانا باسم عماد الملك و أحيانا أخرى عمدة الملك .
(٢) بالأصل: المتوجه .
(٣) كذا بالأصل .

ووصل مع القاصد عدة مطالعات للناس فيها جملة أخبار، منها أن قاضيَ مكة الحنفي بديع الزمان محمد ابن الضياء العمري انتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى ببلد يقال لها تبليس – على وزن إبليس – في جهة العجم بينها وبين تبريز سبعة أيام، وكذلك بين قرى آمد أول مملكة العرب. وكان توجّه إلى الخنكار لأجل طلب وظائفه والسعي في مقاصده منها قضاء مكة وجدة ونظر المسجد الحرام وغير ذلك بل أشيع فيها أنه ولي قضاء العسكر في جميع وظائف مكة، ولم يتحقق من ذلك إلاّ موته في صفر فنعي عليه أهله وحزنت عليه أمه وأولاده، وعُملت له ربعة بالمسجد الحرام صباحا ومساء وخُتم له يوم ثالث الشهر وصلّي عليه في ظهر الجمعة خامس الشهر، رحمه الله تعالى وإيانا.

وفي ثاني شهر رجب المذكور شرع الوزير آصف خان الهندي في قراءة **صحيح البخاري** في منزله وحضره جماعة من المِلل وبعض فضلاء أهل مكة من الأصاغر ممن يترجى بره. وطلب مني عارية بعض الشروح على صحيح البخاري منها **فتح الباري** وأرسلتها له مع أخي فلازم حضوره.

وفي ثاني الشهر أمر بقراءة سورة الأنعام والدعاء لسلطانه بهادر شاه بالمسجد الحرام في كل صباح خلف مقام الحنفية. وقرر في ذلك نحو خمسين نفراً من العرب والعجم – وأنا منهم – وشيخهم السيد محمد بن أحمد البخاري. فما هان ذلك على قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف باكثير لكون الوزير ما استنابه ولا شاركه في فعل ذلك وهو ناظر المسجد الحرام. فكاتب نائب جدة في إبطالها ويقال إن قرابة المغْل ضدّ سلطان الهند أرضوه بمال في منعهم.

فباشر الجماعة القراءة نحو جمعة حتى وصل الخبر لنائب جدة على ما يُقال بالصرف على المستحقين لقراءة سورة الأنعام للسلطان سليمان خان صاحب الروم عن شهر الجمادين وأنهم يبطلون القراءة للخنكار لتحقيق نصرته على العجم

ورجوعه إلى تخت ملكه. ونودي بالزينة في مكة سبعة أيام فزينت الخانات والأسواق وبعض بيوت التجار من الأعاجم وسُرّ الناس بذلك ولله الحمد.

واتفق في تاسع شهر رجب أن القاضي الشافعي الزيني عبد اللطيف باكثير أرسل جماعة من الأروام المشدّين في المسجد الحرام لطلب السيد نور الدين أحمد بن عفيف الدين الإيجي لمواجهتهم، فوافقهم على التوجّه معهم إلى المسجد الحرام، وأرسل بعض جماعته كالشيخ حامد بن محمود الجبرتي أحد أصحابه والمقربين لصاحب مكة السيد أبي نمي يخبره بما اتفق له. فتوجّه [1] الفقيه حامد إلى القائد مرشد الحاكم بمكة فطلب منه النجدة للسيد نور الدين الإيجي فأرسل بعض جماعته إليه فلاقوه في المسجد ومنعوه من التوجّه إلى منزل القاضي وتوجّهوا إليه بأنفسهم فقال لهم: هو السبب في قراءة سورة الأنعام لسلطان الهند، [١٤٨ ب] وفيها ضرر على سلطان الروم وأمرني نائب جدة بمنعها، فقالوا له: أمر راجع إلى صاحب مكة. فكف عنهم ولم يبلغ غرضه من البهدلة، ثم إنه أرسل المشدين إلى شيخ الحضور إمام الحنفية السيد محمد البخاري فتوقف من التوجّه معهم ولازموه في ذلك، فتوجّه معهم حتى حاذى منزل قاضي المالكية التاجي بن يعقوب فدخل إليه وعرّفه بطلبه، فتوجّه معه إلى قاضي الشافعية. وذمّ الناس فعل الشافعي ونسبوه إلى الظلم والتعدي. ثم بعد هذا كاتب وزير الهند والسيد نور الدين الإيجي صاحب مكة السيد أبا[2] نمي في جهة اليمن بإخباره بما وقع من القاضي الشافعي وقد طلب قراءة سورة الأنعام، وكان السبب في منع الخير والرزق. وعند الله تجتمع الخصوم.

وفي مغرب يوم الثلاثاء سابع عشر رجّب وصل لمكة الشريف عرار بن عجل الحسني أحد وزراء صاحب مكة والناظر بجدة واجتمع به الأكابر ولازمه قاضي

(١) تكررت الكلمة بالأصل .

(٢) بالأصل: أبي .

الشافعية بمكة الجديد الزيني عبد اللطيف بن أبي كثير بواسطة أنه وصلت معه مراسيم جاء بها من نائبها بالتفتيش في ما فرقه من الصدقة البخشية الواصلة من الهند عام تاريخه، ويقال إنه أرضاه حتى ترك قراءة المرسوم المتعلق بالتفتيش عليه، وقرأ في صبحها أمام باب حزورة عند مُصلّى صاحب مكة مرسوما خندكارياً (١) فيه الإخبار بنصرة الخنكار على أهل العجم وأنه أخذ كثيراً منهم وعاد إلى تخت مملكته. فسُر الخلق بنصرته. ونادى الشريف عرار بزينة أسواق مكة سبعة أيام فزُينت مع بيوت جماعة من تجار العجم مراعاة في الظاهر للدولة خوفاً من التهمة لهم في محبّة الخارجي ولد الصوفي إسماعيل الخارجي.

وفي ليلة تاريخه دخل زين الدين ابن الخواجا شهاب الدين أحمد بن العنبري الدمشقي على ابنة الخواجا عبد الكريم بن بدر الدين الحلبي في منزل والدة الزوجة بيت الخواجا محمد الطاهر على باب الزيادة، أحد أبواب المسجد الحرام.

وعمل فيه السماط والعقد، حضره القضاة الثلاثة ما عدا المالكي وبعض الفقهاء وكثير من التجار الغرباء. وتكلف والد الزوج لضعف حال والد الزوجة. فالله تعالى يوفق بينهما.

وفي يوم الخميس تاسع عشر رجب فتحت الكعبة الشريفة لوزير الهند آصف خان واسمه عبد العزيز ابن حميد الملك محمد بن ركن الدين بواسطة قاضي المالكية التاجي عبد الوهاب بن يعقوب لأن شيخ الحجبة برهان الدين إبراهيم الشيبي توقف في فتحها له لما طلب ذلك في أول شهر رجب لكونه لم يرضه وجماعته فيما فرّقه من مبرّته معهم، ثم عمل الوزير مصلحتهم ودخل جماعته من غير وضع الدرجة لهم فانتهك (٢) البيت .

(١) بالأصل: مرسوم خندكاري .
(٢) بالأصل: امتهك .

وفي يوم الجمعة سابع عشري الشهر فتحت الكعبة فتحاً عاماً للناس مطلقاً وكان شيخ الحجبة منع ذلك حتى عملت مصلحته مع الوزير. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وفي ظهر تاريخه صلّي صلاة الغائب على صاحبنا وصديقنا العلامة الأديب كمال الدين أبي الفضل ابن الشيخ أبي الطيب أحمد بن الحسين بن العليف المدني الشافعي – رحمه الله تعالى – من الغرباء هو بالمدينة الشريفة والشيخ أبو الفضل بن وفاء الصوفي بالقاهرة وثالث باليمن رحمهم الله [١٤٩ أ] وكانت وفاة صاحبنا العليف في ثالث جماد الثاني كما كتب لي به ولده الكبير الولوي أبو(١) زرعة محمد وتركه مع أخيه الجمالي محمد وأختهما عائشة وأمهم ابنة عم أبيهم، جبرهم الله تعالى.

شهر شعبان المكرم استهل بالثلاثاء من سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٦م)

وفي ثالثه نَعت ابنة الخواجا الكبير حاجي بدر الدين محمد ابن عبّاد الله الرومي بموته بالقرب من بلاد رشيد وحمل للقاهرة ودفن بها في تربته التي بناها هناك. وأمرت بالصلاة عليه في ظهر يوم الجمعة رابع الشهر وعملت له ختما بالمسجد الحرام حضره القضاة الأربعة وغيرهم من الفقهاء والتجار والعامة، وقرئت له ربعة وبعدها قُسم البخور والريحان والماورد على عادة الأكابر. وأثنى الناس عليه خيراً لفعله (٢) المآثر الحسنة بالمساجد الثلاثة من قراءة عشرة أنفس، وأوقف لذلك أوقافاً جزاه الله خيراً. وأنا ووالدي أحد القراء البّخارية بالمسجد الحرام كل عام .

وفي ليلة الثلاثاء ثامن شعبان مات فجأة السيد الشريف قاضي المسلمين جمال

(١) بالأصل: أبي .
(٢) بالأصل: لفضله والإصلاح مقترح .

الدين محمد بن عبد الكريم السمهودي الشافعي المدني شقيق قاضيها الشافعي لأنه صلّى العشاء في منزله وسقط بطوله وسكت من وقته وأقام على ذلك يوماً وليلة ثم مات في عشاء تاريخه. وجهّزه صهره الشيخ محمد ابن الشيخ الجنيد المشرعي وصلّى عليه صبح تاريخه ودفن في تربة صهره. وحزن الناس على فقده لحشمته وحسن عشرته. وعُملت له ربعة بالمعلاة ثلاثة أيام صباحا ومساء وختم له في ثالثها. وخلف بمكة ولدا صغيراً وبنتا شقيقته بالمدينة كبيرة وزوجة، فالله تعالى يرحمه ويجبرهم وإيانا.

وفي العشر الأول من شعبان فُرقت مبرة أمير الصعيد داود بن عمر على يد عبده وجماعة من شهود قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف باكثير وقاضي المالكية التاجي عبد الوهاب بن يعقوب لكون الشريف عرار بن عجل فوض أمر ذلك إليهما، وأن يكتب الشيخ أبو زرعة رأس العدول فيها ورفيقه الشيخ علم الدين العباسي المجاور بمكة. فامتنع أولهما لكونه من جهة الشافعي وأحسن في فعله وأعز نفسه، وأعطي لكل نفر محلقة كبار أربعة وعثماني. وذكر عيال الفقهاء مع بعضهم وبعض العامة والأربطة. ونقص المال عن التفرقة المعتادة للتصرف فيه بالزيادة لأهل الجاه. وتشوّش عبد صاحبها من مباشرتها وكثر الإشلاء عليهم والكلام، ولم يُفد الناس غير الملام. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وفي يوم الإثنين رابع عشر الشهر شرع القاضي الجديد في تفرقة حب الخنكار المعتاد حمله كل عام في وكالة الأشرف قايتباي وحضر معه القضاة الثلاثة وبعض المباشرين على العادة. وقدم الشافعي الجديد المحبي محمد ابن الشيخ رضي الدين الحناوي وهو ضعيف الحركة مع إظهار المعرفة وأعطى لكل نفر من العلماء وعائلته كيلتين وللعامة دون ذلك وحصل الاقتصار في كثير من الناس لتصرف القاضي الشافعي الجديد فيه لجماعته وأركان الدولة. وفعل كذلك في تفرقة حب دشيشة

الأشرف قايتباي على أهل رباطه وأرباب وظائفه. وقرر جماعة زيادة من عنده لما لم يوافق عليه الآغا تنم الجاركسي [١٤٩ب] وأرسل عرّفه بما فعله كما سيأتي خبره.

وفي ليلة الثلاثاء نصف شعبان وصلت قافلة من الشرق فيها سمن وكانوا في شعب أذاخر فقتل عليه اثنان منهم ولم يعلم قاتلهما، فخرج الفزع لهما ووقعت ضجة في سوق المعلاة وتوجّه القائد مبارك الدهلكي في طلب القاتل حتى عرف جماعته وقبض على أخي القاتل مع علمه ودخل به مقطوع.... [١] وأنكر ذلك جمع من الناس، ولله الأمر في إزالة الباس.

وفي ليلة نصف شعبان ماتت المعمّرة الأصيلة فاطمة ابنة عبد الله وعبد السلام وجهّزاها[٢] في ليلتها وصلّي عليها في صبحها عند باب الكعبة ودفنت بالمعلاة في تربة الزمازمة بالمعلاة بالقرب من الشيخ علي الشولي، وعمرها نحو سبعين سنة، رحمها الله وإيانا.

وفي ضحى يوم الأربعاء سادس عشر شعبان مات الولد الأصيل زين الدين بن الحسن ابن الشيخ فتح الله بن أبي الفتح ابن الشيخ سراج الدين عمر بن أبي السعود ابن ظهيرة القرشي المخزومي وهو في العشرين من عمره، فجهّز في يومه وصلّي عليه بعد صلاة العصر عند الحجر الأسود كعادة بني ظهيرة، وشيعه خلق من الفقهاء وغيرهم [ودفن] [٣] على جدته لأمه ابنة أبي الفتح بن حمام بالقرب من الشعب الأقصى من المعلاة عند السيدة خديجة الكبرى زوجة النبي ﷺ. وأخذ العزاء فيه والده وعمه وحزنوا عليه كثيراً لشبابه.

وكان الأولى لهم سترته لأنه أول ما ولد كان بنتاً بفرج وسمي زينب، فلما

---

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

(٢) كذا وردت الجملة بالأصل، ولا شك أن بعض الكلمات قد سقطت منها .

(٣) إضافة تقتضيها الجملة .

كبر مُحي الفرج وطلع في محله ذكر صغير(١) فسمي زين الدين، فصار يظهر للناس ويعمم ودخل المكتب وقد رآه جماعة في بدايته ونهايته. و لم يقدر لي مشاهدة أمره مع حرصي على ذلك.

ورأيت في تذكرة جدي الحافظ العمدة نجم الدين عمر بن فهد المسماة **نزهة العيون فيما تفرق من الفنون** أنه اتفق في.... (٢).

وفي صبح يوم الخميس سابع عشر شعبان وصلت لمكة أول قافلة المدينة الشريفة وفيها والدة المرحوم قاضي القضاة الشافعي المحبي بن ظهيرة وأخواتها بنات الشيخ عمر الشيبي والإمام أبو الخير الطبري وغيرهم، تقبل الله منهم وأخلف عليهم.

وفي ثاني تاريخه وصل شيخ القافلة السيد علاء الدين ملك التجار بجماعته من العرب والعجم، وذكروا عنه أفعالاً سارة من الإطعام والمبرّات وغيرها، وأنه وقع في المدينة هجّة لا أصل لها بحيث اضطرب أهل المدينة فخرجوا متسلحين لملاقاة العرب فلم يجدوا أحداً. وكان ذلك سبب تأخير القافلة عن إدراك النصف من شعبان على العادة. وأن أهل المدينة برزوا بأمر خطيبهم القاضي فتح الدين أبي الفتح ابن القاضي صلاح الدين محمد بن صالح الشافعي. وفتح لهم باب الحجرة الشريفة في رابع شعبان المسمى بالنوبة، فلم يُسْقوا.

وأما مكة فهي بحمد الله تعالى من اعتدال الأسعار في الأقوات وكثرة الحبوب ونزول سعر الحب والسمن واللحم لوجود المرعى في الشرق واليمن.

وفي نصف هذا الشهر فرق الوزير آصف خان – عظم الله له الشان – ثاني تفرقة بعد [١٥٠ أ] الأولى عند وصوله لمكة على أرباب الشعائر والقضاة والأئمة والمؤذنين والفراشين وغيرهم. وكانت التفرقة هذه على جماعة من المشائخ المدرسين

(١) بالأصل: ذكرا صغيرا .
(٢) لم ينقل المؤلف النص من تذكرة جدّه بعد أن أحال عليها .

ومن يُعتقد فيهم الخير. وهي أكبر من الأولى لأنه أعطى جماعة لكل نفر عشرة أشرفية كل أشرفي أربعة وشاشين قندهاري عال، وأنا منهم – جزاه الله خيراً – ولبعضهم سبعة ذهب ودونها، ولبعض من مشائخ العجم كالشيخ إسماعيل الشرواني نحو مائة أشرفي ذهباً. فالله يعوضه خيراً.

شهر رمضان المعظم استهل ناقصاً في ليلة الأربعاء من سنة ٩٤٢ هـ (١٥٣٦م)

وفي صبح تاريخه أمر قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف بن أبي كثير لحسن الآغا تنم الجاركسي النائب على الناظر على أوقاف أستاذه الأشرف قايتباي بمكة لكون الشهابي أحمد بن فخر الدين الشطرنجي ادعى عليه عنده أنه تصرف في معلومه العام الماضي عن المشدّية وأعطاه لخصمه الرومي لغيبة المدعي وقت ولايته في البلاد الشامية ومنع وكيله من القبض لها فقال الآغا تنم: أمرني القاضي تاج الدين المالكي بالدفع له.... (١) حتى يحضر خصمه، فلم يلتفت القاضي لكلامه فتوجّه به بعض الوكلاء إلى وكالة الأشرف قايتباي ووُضع فيها. فأرسل الخصم إلى القائد مرشد الحاكم بمكة وأخبره بقصته. وكان جاءه بورقة من سيده صاحب مكة السيد أبي نمي بمطالبة القاضي الشافعي بما قبضه من حب الدشيشة وإعطاؤه لجماعة المستجدين في تقرير لهم.

فاغتاظ الحاكم من فعل القاضي وأمر بإخراج الخصم من الوكالة وضرب الوكيل الذي حبسه بل مسك بعض جماعة القاضي وحبسه في حبس نفسه حتى شفع فيه، وأمر بمطالبة القاضي وجماعته من أخذ الحب الذي قبضوه وقدره نحو خمسين إردباً. وتفصيل غالبه: للقاضي الشافعي ثلاثة عشر إردباً وللمالكي سبعة

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل، ثم كلمة غير مقروءة .

ولابن أخي الشافعي ثلاثة وثلث ولشيخ الفراشين ثلاثة وثلث وللمحبي ابن الشيخ أيوب ثلاثة وثلث وللمحبي الحناوي ثلاثة وثلث وللشيخ حسين بن ناصر ثلاثة وثلث وغير ذلك مما فيه.

وألزم الحاكم الجماعة بإعطاء الحب أو ثمنه. ويقال إن بعضهم سلم دراهم وبعضهم عقد بعضا [١]. وتشوش القاضي من هذا الفعل وعزم للتوجّه لصاحب مكة في جهة اليمن. وكثر من الناس الكلام، بما لم يفدهم غير الملام.

وفي عشاء أول الشهر عمل زفة بالمفرعات والشموع ومشى فيها القضاة الأربعة من بيت قاضي المالكية التاجي بن يعقوب لأجل صلاة التراويح لولدي اختيْه أولهما السيد حسين ابن الخواجا أبي بكر القبيباتي ومات والده وصلّى في مقام المالكية، و ثانيهما ابن الخواجا المسعودي المغربي، وهو ساكن في باب العمرة وصلّى في مقام الحنابلة. وأنكر الناس فعل هذه البدعة لكون قاضي الشافعية الجديد الزيني عبد اللطيف بن أبي كثير أبطل الزفة في ليلة المولد الشريف إلى محله بسوق الليل، وسمّوْه لأجل قوله فيها بدعة « قاضي بدعة ».

وفي ثالثه وصل لمكة من جدة بحراً شاووش رومي بأخبار نصرة الخنكار على أهل العجم وصحبه شيخ الدلالين جعفر الرومي وأشيعت [٢] عدة أخبار لم تتحقق.

وفي عصر يوم السبت رابع شهر رمضان عزم القاضي الجديد الزيني عبد اللطيف أبو كثير [١٥٠ ب] على السفر لجهة صاحب مكة السيد أبي نمي الحسني في جهة اليمن ودخل الطواف صحبة أخيه الكبير الخطيب جمال الدين محمد بعد صلاة العصر وطلع من باب العجلة جهة منزله و لم يوادعه أحد من الفقهاء وهم بعضهم جالس في المسجد ينظره وبعض قرابته وأتباعه. وكثر كلام الناس في سفره

(١) كذا بالأصل .
(٢) بالأصل: أشيع .

في هذا الشهر وقت الصوم من غير ضرورة ملحة لذلك إلاّ حظ النفس، نعوذ بالله منها. [فإنه مكابر كثير التجرّؤ][١].

وأشيع أن خرشخانته [٢] انكسرت في أول مرحلة وأنه سُرق وأخذت فرسه التي يركبها وصحبه الشاووش الرومي وجعفر شيخ الدلالين لملاقاة صاحب مكة. [مع علمه بأن صاحب مكة لا يريد وجهه][٣].

وفي صبح ثاني تاريخه تبعهم خصمه الآغا تنم الجاركسي ومعه بعض أصحابه على ركاب أعطاهم القائد مرشد صاحب مكة مع مطالعات لسيده السيد أبي نمي يخبره بقصتهم وما جرى بينهم. والله يصلح الأحوال.

ثم اتفق في يوم السبت حادي عشر الشهر أن قاضي المالكية التاجي عبد الوهاب بن يعقوب ضرب الشيخ العدل صلاح الدين محمد بن أحمد بن.... [٤] المعناوي المالكي ضرباً مبرحاً على رجله بالعصا والفلقة وجسده وبعضها بيده، وتكرر فعله لذلك في المجلس وذلك لواقعة حال وقعت له معه. وموجبها مراجعة القاضي في مذهبه بخلاف مقصده في قضية مبيع شهد فيه على شيخ ثقيف العفيف عبد الله بن محمد النغر في أرض بالطائف، ورفيقه فيها العدل الزيني عباس ابن القاضي أبي المحاسن ابن الضياء الحنفي اشتراه الشيخ مصطفى الرومي الشهير بالمنتشوي وأرادوا ثبوته عنده لجميع الأرض التي.... [٥] مشترك مع الخواجا نعمة الله العجمي صهر السيد محمد الحكيم. وكان صهره اشترى نصف الأرض في شهر رجب ومات ولده قبل إقباض الثمن فتشاءم بها وطلب الإقالة من صاحبها العفيف

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٢) خرشخانة : كلمة للبحث ؟
(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٤) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٥) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

النغر فقابله وباعها للشيخ مصطفى وشهد الشهود ببيع جميع الأرض مع نصف غراس الشجر والثمر. وقال الشيخ صلاح الدين المعناوي للمتبايعين الغراس باطل على مذهبي وعندي النقل بذلك فكذبه القاضي تاج الدين ويقال صدرت[1] منه كلمات في علماء مذهبه أنكرها من سمعها عنه ولأجلها ضرب الشاهد ولمخالفته في الشهادة لجميع المبيع وثبوته عند قاضي الحنفية أبي السرور ابن الضياء بعد أن كانت الدعوى عنده من شهر شعبان. واختفى الشاهد الثاني وتشفع بالقاضي الشافعي المفصول البرهاني بن ظهيرة فحماه لكن المالكي منعهما من الشهادة مطلقاً. وكثر كلام المغرضين في هذه القضية، والله أعلم بحقيقتها.

واتفق في ليلة الجمعة سابع عشر الشهر وصول الخبر لمكة بواقعة عظيمة وقعت لصاحبها السيد الشريف أبي نمي محمد بن بركات مع وزيره القائد الكبير جوهر المغربي السحرتي [2] وكان عبد والده فأعتقه هو لتربيته له وقيامه بولايته عقب وفاة والده فكان يتصرف عليه. فزاد القائد في تصرفاته وأمعن في مخالفته وتجرأ عليه بزواجه لأخته من أبيه الشريفة مصباح. وكان يظهر لسيده خدمتها وبالدخول عليها لتعظيمها مع انقياده لها وميله إليها. واستمر على ذلك نحو عشر سنين فاطلع على خبرهما أخوها الشريف ثقبة فسمّه القائد حتى مات في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة [١٥٢٩م] وشاع هذا في الآفاق بين الناس وكثر فيه الكلام بين الأكابر والأوباش ولم يطلع شقيقه السيد أبو نمي على حقيقة ذلك إلاّ في أول العشر الثاني [١٥١ أ] من شهر تاريخه هنالك. ففاوض شقيقه أبا القاسم ومقدمه القائد ياقوت ابن عجلان الجبرتي الحبشي في قتل القائد وأخته وقال لهما: اخترتكما لذلك، فقالا له: لو طلبت أنفسنا لبلغناك، واهنأ لك. فوافقاه على طلب القائد جوهر إليه وأن

(١) بالأصل: صدر .
(٢) وردت الكلمة مكررة بالأصل .

يقضوا[1] حاجته قبل وصوله إليه. فأمر بعض عبيده الوصفان من جزل لكونهم ضد سحرت بطلبه والبطش فيه، فطلبوه إلى سيده في ليلة الأربعاء نصف شهر تاريخه فبطشوا به عند خروجه من منزله وخنقوه خنقاً بالحبل وضرب الجنبية في بطنه. وأمر سيده بدفنه في موضعه بثيابه.

ثم إن الشريف أبا القاسم توجّه لأخته الشريفة مصباح فخنقها في مضربها وضيق عليها المهالك ثم جهّزها إلى الواديين ودفنها على أختها شامة هنالك. وأمر السيد أبو نمي بعدم النعي عليهما ووضع يده على مخلف أولهما ونقل خزانته إلى محله وكذا خيوله، ويقال عدتها في الفريق نحو الخمسين، ومفرق عند العرب مثلاها [2] ومن الإبل نحو ثمانية آلاف وغير ذلك من الدروع والرايات والأصائل والبيوت والأملاك.

وأرسل الشريف جماعة لمكة وجدة والوادي بالختم على بيوته وحواصله وطلب المباشرين له وجميع أتباعه لسؤالهم [3] عن جهاته مع كونه مزوج بشريفة من أهل اليمن وله منها ولدان صغيران. لكن العبد وما ملك لسيده، وهو غرس نعمته.

وكان هذا من الذل بعد العز فسبحان المعز المذل. وعجب الناس من جرأة المنتقم ممن عصاه وخالف أمره واتبع هواه.

وهذه القصة موافقة لفعل جد صاحب هذه القضية السيد محمد بن بركات صاحب مكة.... [4] وزيره القائد محمد بن بديد في سنة ٨٧٣ هـ [١٤٦٨م] كما ذكره جدي الحافظ نجم الدين عمر بن فهد المكي وكان قبله مع خاله أحمد بن قفيف بحضرته بين وادي أبي عروة والجموم وادي مر وحملا إلى مكة ودفنا بالمعلاة

(١) بالأصل: يقضون .
(٢) بالأصل: مثليها .
(٣) بالأصل: لسؤاله .
(٤) كلمتان غير مقروءتين بالأصل .

ونادى أن لا يناح عليهما [١].

وأعظم من هذه القضية في المواقف الموافقة فعل الخليفة الرشيد مع وزرائه البرامكة، وذلك أن الإمام أبا مروان عبد الملك بن بدرون الحضرمي [٢] قال في شرح قصيدة **طوق الحمامة** للأديب عبد الحميد بن عبدون [٣] التي رثى بها بني الأفطس وأولها:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصور

عند قوله:

وأشرقت جعفراً والفضل يرمقه ... والشيخ يحيى بريق [٤] الصارم الذكر

وملخص كلامه: قتل هارون الرشيد جعفر البرمكي سنة تسع وثمانين ومائة [١٨٩هـ/ ٨٠٥ م] وكان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لم يبلغ وزير خليفة، حتى كان يدخل معه في حلة واحدة ويحكم فيما شاء من أمر ماله وولده [٥]. وكان الرشيد يحبه حباً شديداً حتى كان لا يفارقه. وكانت العباسة أخته عنده من أحب

(١) النجم بن فهد: إتحاف الورى ٤ : ٤٩١ .

(٢) ابن بدرون: هو عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي السبتي، فقيه أديب له كتاب كمامة الزهر شرح به قصيدة ابن عبدون التي تذكر في الهامش الموالي. كان ابن بدرون حياً سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١م. انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٦ : ١٨٤ .

(٣) ابن عبدون: هو عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري الأندلسي، أديب شاعر مؤرخ وكاتب إنشاء. توفي سنة ٥٢٧ هـ/ ١٢٣٣م. ألّف قصيدة رائية في رثاء بني الأفطس (من ملوك الأندلس) ذكر فيها تقلبات الزمان على أصحاب الملك. شرحها ابن المذكور أعلاه في كتابه كمامة الزهر وفريدة الدهر. ذكر حاجي خليفة القصيدة وشرحها في كشف الظنون ص ١٣٢٩. وقد طبع الكتاب طبعة أوربية قديمة سنة ١٨٤٦ م بتحقيق المستشرق دوزي. ثم طبعت بالقاهرة سنة ١٣٤٠ هـ .
وبما أني لم أتمكن من العثور على نسخة من إحدى هاتين الطبعتين – عند تحقيق هذا – لجأت إلى مقابلة النص بنسخة مخطوطة من كتاب كمامة الزهر محفوظة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٨٥٣ أدب، وهي نسخة كتبت سنة ١٠١٢ هـ .

(٤) بالأصل: يرمقه، والإصلاح من كمامة الزهر ورقة ٩٢ب .

(٥) النقل بتلخيص من كمامة الزهر الورقة ٩٢ ب .

الناس إليه، وكان لا يريد أن يفارقها [١] وكان متى غاب عنه جعفر وعباسة لا يتم سروره، فقال: يا جعفر لا يتم سروري إلا بك وبالعباسة ولكني أزوجها منك ليحل لك الاجتماع معها وإياكما أن تجتمعا وأنا دونكما. فتزوجها على هذا الشرط فبقي على هذه الحالة ما شاء الله تعالى، حتى احتالت العباسة بالخديعة لأمه فجعلت نفسها جارية فدخلت على جعفر وهو ثمل في السكر فوطئها وحملت منه وظهر منها ولد. فولدت [٢] له غلاما وسمّته رياش وحاضنته تسمى برة [٣]. فلما خافت ظهور الأمر غيّبتهم إلى مكة. فقدر الله تعالى أن زبيدة أم الأمين [١٥١ ب] تشوشت من يحيى بن خالد البرمكي وشكته إلى الرشيد فلم يقبل كلامها فيه وقال: يحيى عندي حرمتهم في حرمي، قالت: لو كان ذلك كذلك لحفظ ابنه جعفر عما ارتكبه ! فقال لها: وماذا ارتكب ؟ فخبرته بخبر العباسة، فطلب الدليل على ذلك فقالت: وأي دليل أدل من الولد ؟ قال: وأين هو ؟ قالت: لما خافت أمه وجهت به إلى مكة، قال: وعلم بهذا أحد سواك ؟ قالت: ما في القصر جارية إلاّ وقد عرفت به. فسكت عنها وأظهر أنه يريد الحج فخرج ومعه جعفر، فكتبت العباسة إلى الداية والخادم أن يخرجا بالصبي نحو اليمن. فلما وصل الرشيد لمكة بحث عن هذه القصة فوجدها صحيحة فأضمر في البرامكة لأجل ذلك إزالة نعمتهم [٤]. ولأبي نواس أبيات تدل على طرف هذه الواقعة، وهي:

ألا قل لأمين الله ... وابن القادة السادة
إذا ما ثالث سر ... كان يقعد ....

(١) بالأصل: كلام مضطرب أصلحناه من مخطوطة كتاب كمامة الزهر ورقة ٩٣ب .

(٢) وردت الجملة بالأصل مضطربة جدًا والأصل من المخطوط السابق الذكر ورقة ٩٤ أ .

(٣) وردت الجملة بالأصل مضطربة جدًا والأصل من المخطوط السابق الذكر ورقة ٩٤ أ .

(٤) كامل النص السابق منقول بتصرف من كتاب كمامة الزهر المخطوط السابق الذكر ورقة ٩٤ أ–ب .

فلا تقتله بالسيف   فروحه بعباسة(1)

قال ابن بدرون (2) ثم دعا الرشيد المهدي بن شاهك(3) وهو أحد قواده فأمره بالمضي إلى بغداد دار السلام وأن يتوكل بالبرامكة ودورهم وأتباعهم (4) وأن يجعل ذلك سراً من حيث لا يعلم به أحد حتى يصل إلى بغداد. ففعل المهدي. وكان الرشيد بالأبيار بموضع يقال له الغمر ومعه جعفر فمضى إلى موضعه فدعا الرشيد بأبي ريحان الأعمى الطنبوري (5) ومدت الستارة وجلس جواريه خلفها يضربن ويسقين وأبو الريحان يغنيه:

ما يريد الناس منّا   ما ينام الناس عنّا

فدعا الرشيد من ساعته بياسر – غلام من غلمانه ويدعى مرحلاً – فقال: يا ياسر، إني دعوتك لأمر لم أر له أولادي محمداً ولا عبد الله ولا القاسم أهلاً ورأيتك ناهضاً به، فحقق ظني واحذر أن تخالفه فيكون سبب سقوط نعمتك عندي. قال: يا أمير المؤمنين، لو أمرتني بقتل نفسي لفعلت، قال: اذهب إلى جعفر بن يحيى وجئني برأسه الساعة على أي حال تجده. فوقف ياسر حائراً (6) لا يجد جواباً. فقال: ألم أتقدم إليك إن خالفت أمري ؟ قال: بلى، ولكن الأمر عظيم ووددت أني قد متّ قبل هذا. قال: امض لما أمرتك. فمضى حتى دخل على جعفر ومغنيه يقول هذه الأبيات:

(1) وردت الأبيات الثلاثة مضطربة بالأصل .
(2) بالأصل: ابن زيدون .
(3) ورد الاسم في كمامة الزهر: السندي بن ماهر .
(4) بالأصل: وقرباهم .
(5) ورد الاسم في كمامة الزهر: أبو زكار .
(6) بالأصل: حائر .

فلا تبعد فكل(1) فتى سيأتي   عليه الموت يطرق أو يغادي
ولو أفْديتُ من حدث الليالي   فديتك بالطريف وبالتلاد
وكل ذخيرة لا بد يوما   وإن بقيَتْ تصير إلى نفاد

فقال : يا ياسر سُررت بإقبالك وشوقتني بدخولك بغير إذن. فقال: الأمر أكبر من هذا وأعظم. إن أمير المؤمنين أمرني بكذا وكذا، فأقبل جعفر يقبل قدم ياسر ويقول: دعني أدخل، قال: لا سبيل إلى ذلك ولكن أوص بما شئت، قال: إن لي عليك حقا ولن تجد مكافأتي إلاّ في هذه الساعة، قال: تجدني سريعا إلاّ فيما خالف أمير المؤمنين. قال: فارجع إليه فأعلمه أنك قد نفذتَ ما أمرك به، فإن أصبح نادماً كانت حياتي على يديك وكانت لك عندي نعمة، وأن أصبح على مثل مذهبه نفذت ما أمرك به، قال: وهذا لست أفعل، قال: فأسير معك إلى مضرب أمير المؤمنين بحيث أسمع كلامه ومراجعتك إياه، فإذا أبليت عذرا ولم يقنع إلا....(2) برأسي إليه فعلت، قال: أما هذا فنعم.

فسارا جميعاً إلى مضرب الرشيد فلما سمع حسه قال: يا ياسر، قال: ما وراءك؟ فعرّفه ما قال جعفر، فقال: يا عاض هن أمه، والله لئن راجعتني [١٥٢ أ] لأقدّمنّك قبله، فرجع وقتله وجاءه برأسه، فلما وضعه بين يديه أقبل عليه ثم قال: يا ياسر جئني بفلان وفلان، فلما أتاه بهما قال لهما: اضربا عنق ياسر، فإني لا أقدر أن أرى قاتل جعفر (3).

ثم نقل ابن بدرون عدة روايات في سبب قتل البرامكة وكلها موافقة لقصة أخته العباسة ثم قتلها خفية.

وهذه سمة الأكابر في الزمن الخالي والغابر، وفيه عبرة للمعتبر، ومَن خالف أمر

(1) بالأصل: فلا تقعد لكل .
(2) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(3) نقل المؤلف النص بتصرف من كتاب كمامة الزهر ورقة ٩٤ ب – ٩٥ أ، من المخطوط السابق الذكر .

الله وما انزجر[1]، خصوصاً فعل الأطراف مع السادة الأشراف الذين أصلهم من نبعة الرسول، وأمهم فاطمة الزهراء البتول، وأقامهم في حرمه الأمين، لحماية المسلمين.

وكان من الاتفاق تشاؤم القائد بتوجّه القاضي إليه لسيده ونزوله في الفريق عليه لأنه السبب في ولايته ومعارضه في أمره، وأقام عندهم ثلاثة أيام وأصلح الشريف بين القاضي وخصمه حتى يراجع الناظر في القاهرة بأمره فإما يسمح له بما قبضه أو يرده إلى أربابه. وخرج من الفريق ليلة الإثنين قبل قتل القائد بيومين. ووصل الخبر لمكة في ليلة وصوله فكان ذلك من أغرب الغرائب، وأعجب العجائب.

ووافق حدوث هذه الأخبار، من الصغار والكبار، أن الشريف أبا نمي أمر بزينة أسواق مكة ثانياً لوصول الشاووش يخبره بنصرة الخنكار سليمان خان ابن عثمان على أهل العجم. وابتدئ بفعل ذلك يوم الأحد تاسع عشر رمضان المعظم.

وفي حادي عشري الشهر ختم في مقام الشافعي صلاة التراويح وصلّى فيه الزيني عياض ابن الإمام محمد بن عبد البر بن أبي السعادات الطبري وقام به عمومته وأقاربه.

وفي ليلة خامس عشري الشهر ختم في مقام الحنفي الجمالي أبو حامد ابن الإمام شهاب الدين أحمد البخاري بعناية أخيه الجمالي محمد. وصلّى معه وزير الهند آصف خان، وغيره من الأعيان، وأنعم عليه بعد الختم آصف خان، تقبل الله ذلك منه.

وفي ليلة الإثنين سابع عشري الشهر ختم في مقام المالكي وعمل قاضي القضاة التاجي عبد الوهاب المالكي لابن أخته كمالية والسيد حسين بن أبي بكر بن إبراهيم القبيباتي الدمشقي زفة من منزله بالقضاة والفقهاء والمفرعات والشموع إلى المقام

(١) ذكر المؤلف أن هذا الزواج مخالف لأمر الله، فإذا اعتبر الشريف أنه زنى فلِمَ أقام الحد على الرجل ولم يُقِمه على المرأة ؟

وأوقدت فيه الثريات والمسرجة النحاس بكثير من الزيت وخطب الولد عقب الصلاة خطبة بليغة دعا فيها لسلطان الروم سليمان خان ابن عثمان وصاحب مكة السيد أبي نمي وناظر المسجد الحرام قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف باكثير الحضرمي الأصل الكندي وخاله قاضي المالكية. وشكره الناس في تأدية الخطبة لبلاغته وقوة جنانه. وخلع [1] عليه الشافعي قفطاناً مدنراً، ويقال إنه من خاله. وأنكر الخاصة والعامة فعل هذه البدعة لمنع الناظر من عمل زفة المولد النبوي في وقتها المعتاد.

وكان في بعض الليالي قبل تاريخه عُمل ختم لبعض الصغار في صلاة التراويح فحضره القضاة الأربعة ورجمهم بعض العامة ونسب الناظر المفصول فعل ذلك لبعض أولاد الزيني من الفقهاء فشكاه على قريبه قاضي القضاة الشرفي المالكي المتكلم عليه. وتعصب له بعض قرابته الحرازيين وأكثر على الناظر الكلام بما لم [2] يفده غير الملام. فحضه القاضي شرف الدين وألزم .... [3] [١٥٢ ب] والحرازيين بالحضور عنده في ليلة ختم مقام المالكي المذكور فلازموه عند ذلك فسكنت الفتنة.

ثم في ليلة الأربعاء تاسع عشري الشهر عمل القاضي تاج الدين المالكي أيضاً زفة ثانية من باب العمرة إلى مقام الحنبلي لأجل الختم فيه لابن أخته ست الجميع هو.... [4] ابن الخواجا عبد الرحمن المسعودي المغربي بالقضاة والفقهاء والمفرعات والثريات. وكانت أخف من الأولى والجمع فيها، ولم يخطب الولد.

ثم أمر القاضي الشافعي بعض الشهود بباب السلام بطلوع جبل أبي قبيس لرؤية هلال عيد شوال فلم يروه وتم صيام لأهل مكة ثلاثين يوماً [5] ولله الحمد وترك

(١) بالأصل: أخلع .
(٢) سقط حرف الجزم من الأصل .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٤) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٥) تكررت الكلمة بالأصل .

الطلوع بنفسه. ثم رؤي الهلال كاملاً ليلة الجمعة وجمع فيه عيدان للجمعة وللفطر.

وفي صباحها خطب للعيد الخطيب الجديد القاضي جمال الدين محمد ابن شيخنا عبد الله باكثير أخو[1] القاضي الشافعي الجديد خطبة لطيفة. وبعد فراغها مشى بأعلامه إلى منزل أخيه القاضي الشافعي وأفطر عنده ضخامة له وتوفرة على نفسه من الكلفة. وبعض الناس ذمه على فعله لكونه أكبر سناً من القاضي. وخطب في ظهر الجمعة الخطيب محيي الدين العراقي.

ووصل في العشر الأول من شوال شهر تاريخه نحو عشرين مركباً من الهند يُقال خمسة من تحت الريح وخمسة من كاليكوط والباقي من غيرها وبعضها من كنباية والديو. وفيها عمة السلطان بهادر شاه ابن مظفر شاه الأحمد آبادي ووزيران له هما حميد الملك أخو وزيره المتقدم آصف خان، وهو أكبر منه، وشمس خان وغيرهم من الأتباع، والخواجا خليل بن.... [2] الكيلاني أمين المبرة البهادرية كان، ومعهم جملة من الأموال والتحف. وخفي على دولة الأروام أمرها لكونها نُسبت للتجار من أربابها.

ورخصت البضائع الهندية ونزل سعر الذهب بمكة وجدة كل أشرفي سبعة وثمانية كبار. وتعطل كثير من المتسببين بل انكسر، وعلى الله الجبر.

ووصلت الأخبار معهم بانتصار سلطان المغل محمد همايون وتولية أخيه عوضه وتفرق العسكر عنه. وأن السلطان بهادر متطمّع بعود بلده إليه، والله أعلم.

وفي ليلة السبت تاسع شوال سافر القاضي الشافعي الزيني باكثير لبندر جدة ودخل مكة الوزيران القادمان حميد الملك وشمس خان وغيرهم من عسكر الوزير وأتباعه وأنزل أخاه بجانب سكنه الجديد الذي انتقل إليه من أول شهر تاريخه وهو

(١) بالأصل:أخي .

(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

بيت السيد علاء الدين ملك التجار عمارة الخواجا عبد الرحمن بن علي الدمشقي بالقرب من باب العجلة أحد أبواب المسجد الحرام. واغتبط به لسعته وتحصيل البيوت الموافقة له ولجماعته، كبيوت الشيخ حاتم المغربي وحوش الشيخ عمر الشيبي لخيله وحوش دار العجلة لمطبخه. وكان قبل ذلك محصوراً في سكنه مع عيال سلطانه فسكن هو وإياهم في البيت المذكور، وانشرحت منه الخواطر والصدور.

واتفق في نصف شوال المذكور وصول الخواجا خليل الكيلاني واجتمع بوالده وهو مريض ففرح بجمع الشمل به وأقام عنده أياماً يسيرة ثم توجّه لجدة لمهمات الوزير فمات والده في ثالث يوم عزمه وهو يوم الإثنين ثامن عشر الشهر، وجهّزه وكيله الشيخ أبو زرعة المنوفي [١٥٣ أ] العدل، ودفنه بالمعلاة وطلع معه الأعيان، وتشوش لغيبة ولده عنه كل إنسان.

وفي عشاء ليلة الجمعة ثامن عشري الشهر وصل لمكة صاحبها السيد أبو نمي الحسني وهرع الأعيان وأرباب الوظائف للسلام عليه فوجدوه منشرحاً لتمكنه، فقد قتل وزيره.

وفي عصر تاريخه توجّه له وزير سلطان الهند آصف خان وصحبته شمس خان وعمدة الملك وغيرهم من أتباعهم ركبانا على الخيل وبعضهم مشاة فسلموا على الشريف أبي نمي في مقعده وسقاهم سكراً مذاباً. وكان قاضي المالكية التاجي عبد الوهاب بن يعقوب توجّه للشريف قبلهم وأخبره بقدومهم إليه فتهيأ لهم ثم بعد بروزهم من عند الشريف أرسلوا لصهريه من القماش بَقْجتين ومَرْطَبَاناً [1] صينياً لا يُعلم ما فيه ونقداً من الذهب يُقال خمسمائة سلطاني.

(١) المرطبان: إناء فخاري توضع فيه المآكل الجافة والأموال أحيانا. Dozy: Supplément... 1: 591

شهر ذي القعدة الحرام استهل ناقصاً بالأحد

من سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٦م)

وفي صبح ثانيه توجّه صاحب مكة السيد أبـو نمـي للسـلام على وزيـر الهنـد آصف خان في منزله بيت ابن الشيخ علي عند بـاب العجلـة فسـقاه سـكراً مذابـاً وطباقية وتنبلا وكافور الحي [١] مع الطيب بالزياد وغيره على قاعدة بلـد الهنـد. ولما توجّه لمنزله أرسل له نقداً مع السيد نور الدين أحمد الإيجي أحد المقربين عنـده، يقـال ألف سلطاني بأربعة آلاف أشـرفي لسـلام الوزيـر أولاً ونصفهـا لسـلام الشـريف لـه فأخذ نصفها الأول ورد الثاني، وقال: ما توجّهت إليـه إلاّ لإكرامـه لا لطلـب شـيء من نقده. فتشوش من مواجهته لها من غير واسطة من جهته.

وفي ظهر تاريخه فتح السيد أبو نمي بيت وزيره المقتـول القـائد جوهـر المغربـي ووجد فيه كثيراً من السلاح والدروع والزانة وبعض نقد استعمله وفاء الرحمـة عليـه وقال: ضيّع مالي.

ثم إن الشريف أبـا نمـي توجّـه إلى جـدة في عصـر يـوم الخميـس رابـع الشـهر وصحبه بعض عياله من النساء، وخرج لوداعـه الوزيـر آصـف خـان ورفقتـه قـاضي القضاة التاجي المالكي على خيول ولحقوه عنـد درب الشـبيكة أسـفل مكـة المعروفـة بكُدَى – بالضم والقصر –. وكان النبي ﷺ يخرج منها عند سفره من مكة. ورجـع الوزيـر وهـو راكـب على فـالكي عُمِـلَ لـه في مكـة وهـو عجـل يسـوقها فَرَسـان. واستخف الناس بعقله، والله تعالى يلطف به وينظر إليه بعدله.

وتوجّه الشريف أبو نمي إلى الوادي وأقـام بـه يومـاً ثـم توجّـه إلى بنـدر جـدة فدخلها صبح يوم الأحد ثاني الشهر وسكن في بيت الخواجـا الزرقـاني قـرب حـارة

(١) كذا وردت الكلمات الثلاثة بالأصل .

الشيخ عبد الله المظلوم، وأزال عنها جملة من الظلوم وولّى وعزَل وخدم فيها بالبذل.

منها أن في عاشر الشهر ولى الوزير بها الجمالي محمد بـن أحمـد المريسـي رأس الكتاب بها يقال بنحو أربعين ألف أشـرفي وألبسـه خلعـة لذلـك. وولى حكـم جـدة للقاضي ريحان الحبشي عتيق والده السيد بركات الحسني عـوض الجمـالي محمـد ابـن القائد جوهر المغربي، يقال بمبلغ يسير.

واتفق في مجلس السيد أبي نمي صاحب مكة خصام بين قاضي الشافعية الزيـني عبد اللطيف باكثير والسيد علاء الدين ملـك التجـار بسـبب مطالبتـه بتركـة زوجتـه بوصول مرسوم له يقال من نائب مصر خسروه الرومـي [١] أو الأبـواب الخنـدكارية بواسطة مكاتبتـهم [١٥٣ ب] مـن قـاضي الشـافعية المذكـور. وتجـرأ علـى السـيد بلسـانه وتكلـم في نسـبه وصـار يتـهدده بشـكواه، ويظـهر ذلـك في سـره ونجـواه، فخصص[٢] السيد أبو نمي عليهما ونصر جانب ثانيهما، والله تعالى ينظر إليهما.

واستمر السيد أبو نمي بجدة حتى عاد لمكة في سادس عشر الشهر بعـد دخولـه للوادي ذهاباً وإياباً وهرع الأعيان للسلام عليـه ثـم عـاد لـوادي الدكنـاء مـرة ثانيـة لأجل بيع ثمر النخيل قبل احمراره واصفراره خوفاً من إتلاف الحاج له. وذلـك جـائز على قاعدة مذهب الحنفية في بيع الثمر الأخضر.... [٣]. وأقام به يوماً ثم عاد لمكة.

وكانت الكعبة الشريفة شُمّر ثوبها على العادة في يوم الثلاثاء خـامس عشـري الشهر.

وفي عصر يوم الأربعاء ثـاني تاريخـه وصلـت لمكـة راحلـة مـن ينبـع لصاحبـها

(١) ورد الاسم بالأصل « قصروه » وصوابه « خسرو » بناء على ما ذكره الإسـحاقي. وقـد وردت اختلافـات أخرى في هذا العلـم، فمنـهم مـن أورده « خسـرق » ومنـهم مـن جعلـه «خرف ». انظـر كتـاب أوضـح الإشارات لأحمد جلبي عبد الغني ص ١٤٦، ١٤٧ ، ٧٦٦ .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل .

السيد الشريف أبي نمي بأخبار الحاج المصري وأنه كبير وغالبه عفش وصحبته قاصد وزير الهند آصف خان ورفقته كيخيا نائب الديار المصرية الرومي، ومكاتبات منهما للوزير بتطمين خاطره، وأن الخنكار أنعم عليه بما يرومه وزيادة مع إكرام قاصده واحترامه سفراً وحضراً. فسُر الوزير بذلك، وأظهر الفرح هنالك، ووعد أهل مكة بتفرقة مبرّتهم قبل طلوعهم عرفة.

ثم في عصر يوم الجمعة ثامن عشري الشهر دخل مكة الكيخيا الرومي وقاصد وزير الهند وهو يافعي، وتوجّها للوزير إلى منزله ودفعا له مراسيم بإطلاق الخنكار لأموالهم ويسمح لهم بمعشرها وأنعم على الوزير بمبلغ عشرة آلاف أشرفي وثلاثمائة حمل من الأرز والقمح والسكر والقطر (١) وغير ذلك للمنفعة فزاد سروره وعظمته، ونزل الكيخيا في مدرسة الأشرف قايتباي ثم تحول إلى قصر الغوري على علو باب إبراهيم بأمر صاحب مكة.

وفي ظهر يوم السبت هجم الحاج المصري بدخول مكة المشرفة، زادها الله تشريفاً وتعظيماً.

ووصل أميرهم الكاشف مصطفى الجاركسي، وكان وصل قبل ذلك في سنين ثلاث إلى الزاهر ودخل مكة في عشاء ليلة الأحد ثاني تاريخه وطاف وسعى [وعاد] (٢) للزاهر وبات فيه إلى صباحه.

وفي صباحه خرج للقائه به صاحب مكة السيد أبو نمي الحسني بعسكره فخلع عليه وعلى ولده السيد أحمد وهو مراهق وقاضي الشافعية الجديد الزيني عبد اللطيف باكثير والسيد عرار بن عجل الحسني الناظر بجدة وقاضي المحمل المصري القاضي محيي الدين عبد القادر بن محمد القاهري الحنفي ويعرف كجده بابن

(١) كلمة تكررت بالأصل .
(٢) كلمة تقتضيها الجملة .

الدهانة – جدته – وهو فاضل متحرك متودد. ونزل أمير الحاج عند البركة بالمعلاة في خيامه وتوجّه الشريف إلى منزله وسكن أمين المبرّة الرومية وهو شيخ في المدرسة الباسطية.

شهر ذي الحجة الحرام استهل كاملاً بالإثنين
من سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٦م)

وفي ضحى تاريخه حضر في الحطيم تحت زمزم ابن صاحب مكة السيد أحمد ابن أبي نمي الحسني لتوعك والده ومعه بعض جماعة أبيه وأمير المصري الزيني مصطفى الجاركسي والقضاة الأربعة وغيرهم من الخاصة والعامة.

وقرئت سبعة مراسيم: أولها لصاحب مكة، وثانيها لأمير الحاج بالوصية ، وثالثها للشريف عرار بن عجل الناظر بجدة، ورابعها للقاضي الشافعي الزيني عبد اللطيف باكثير، وخامسها لقاضي المالكية التاجي عبد الوهاب بن يعقوب، وسادسها [١٥٤ أ] لقاضي المحمل وأنه من أهل العلم، وسابعها الكشف عن تركة قاضي الحنفية بديع الزمان ابن الضياء المتوفى عام تاريخه لأجل أخصامه ورثة الحنائي، ووصل زوج ابنته مع الحاج فلم ينتج شيئاً، والله قبيله. وترك أمير الحاج قراءة مرسوم ثامن حضر في المجلس كان السبب في كتابته القاضي فضيل بن ظهيرة من مصر في التفتيش على القاضي الشافعي الزيني عبد اللطيف باكثير من جهة الصدقة البخشية وغيرها من التركات التي وضع يده عليها. فتركه أمير الحاج لعمل مصلحته وكون الناس كانوا يلهجون بذكره. ثم خلع أمير الحاج على الشريف أحمد خلعة أبيه وعلى القاضيين الشافعي والمالكي من عنده لطلب خدمتهما له. وهنأهما الفقهاء بذلك.

ثم في ضحى يوم تاريخه شرع أمين الرومية في تفرقتها في محل سكنه

بالباسطية، وأقام ثلاثة أيام متوالية وفي آخرها أعطى تعلق الأربطة لمشائخها. وكان قبضها هنياً لكنه أحدث مضرة على الغيّاب من أهل الصر لقطع تعلقهم لغيبتهم، وقال ذلك بمرسوم معه مع قطع أسماء بعض جماعة ممن له صر كبير من الأروام. وكثر الكلام بما لم يفدهم غير الملام. وغالبها ذهب قبرصي [1].

وفُرقت الذخيرة في المدرسة الأشرفية على يد خازندار أمير الحاج وقاضي المحمل وشهوده وكانت سهلة لكونها ذهباً. وفُرق جميع صر أهل مصر على يد أخي قاضيها الرومي، وكان محرماً بالحج متجرداً على ثيابه مدة مقامه بمكة قبل الحج وهو شرح [2] لطيف، وحضر معه قاضي المحمل وشهوده وقاضيا مكة الشافعي والمالكي عدة ليال لغالب الليل ثم تعبوا وتركوه لكون التفرقة ذهباً وأشرك المستحقين فيها مع قلة استحقاقهم في المخلفات وحصل الضرر لهم وله ووعد بإرسالها فضة في السنة الآتية إن شاء الله تعالى. وكان حريصاً على تكميلها قبل توجّهه لعرفة فما أمكن لكون بقية بيت الشافعي من الحكمي والمستجد حوالة على البرج والغازية الواصلة مع الحاج الشامي.

وتكلم قاضي الشام الواصل صحبة الركب عام تاريخه وهو فخر الدين بن إسرافيل الآتي ذكره فلم يتهيّأ فعل ذلك قبل الحج لضيق الوقت ثم تركهم عند قاضي مكة الشافعي على عادته في السنين المتأخرة بعد إقباضه لبعض المستحقين وتضرر باقيهم من تخلفه. وإثم ذلك على من سبّب تأخره في بدايته. والمستعان بالله.

وفي ليلة الجمعة رابع الشهر وصل جماعة من الحاج الشامي وأخبروا بوصوله، وكان سبب تأخيرهم سوء تدبير أميرهم وهو قاسم بك الرومي نائب البيرة. ووصل قبل تاريخه أميراً على الحاج الشامي مع قوة سيره في بعض المناهل. ثم إنه وصل لمكة

(١) بالأصل: ذهباً قبرصياً.

(٢) كذا بالأصل، ولعل صوابها « شيخ ».

قبل حاجه في ليلة الجمعة ثاني تاريخه فطاف وسعى وعاد إلى الزاهر وأقام به يوماً وليلة ثانية حتى وصل حاجه.

وفي صباح يوم السبت سادس الشهر لاقاه صاحب مكة السيد أبو نمي من الزاهر وعرض بعسكره وخلع عليه خلعة بمفرده ومشى أمامه من الزاهر إلى المعلاة قبالة تربة أبيه، وسلم عليه وعاد لمنزله. وترك غالب الحاج الشامي بالأبطح على عادتهم وسكن بيوت مكة التجار وقاضي الشام فخر الدين بن إسرافيل في حارة قريش قرب سويقة الشامي في بيت الخواجا أبي بكر بن خربان الجديد. وهرع أرباب الوظائف للسلام عليه وتهور في الألفاظ وقال لهم: أعدُّ من بَرَكَة سفري هذه تركي لاستعمال الأفيون قليلاً وذلك لحر البلاد. وهو كاذب [١٥٤ ب] في قوله لما ظهر منه من الفساد في الأقوال والأفعال.

فإنه وصل صحبته جميع صر أوقاف الشام وحلب ولم يفد المستحقين لها وفرقها في مجالس عديدة ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً، ولازمه قاضي مكة الشافعي لسابق صحبته له، ويقال إنه.... [1] ثم تركه في آخر أمره لكثرة ضرره في صرفه وتوقفه في منع بعض المستحقين وإشراك بعضهم بعضا في الذهب مع نقصه في الوزن والصرف. وتصرف بتصرفات غير محمودة فتحيّل عليه رب الكعبة المعبود [2] بأن ينتقم منه في فعله.

ومن ذلك ما شاهدتُه في خلطه أنه صرف وقف سيدي من رسالته على المستحقين في مبراتهم.... [3] باشا ففرقتِ قبل فراغ الرسالة، فأنكر عليه المستحقون لها فراغها فتأمل في المجلس صُرَر الأوقاف الواصلة معه فوجد مبرة وقف سيدي لم

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل ولعلها « صحبه ».

(٢) بالأصل: المعبودة وهو خطأ فالمسلم لا يعبد الكعبة.

(٣) كلمتان غير مقروءتين بالأصل.

تُمْسَك، وأنه قسم غيرها فأعاد (١) حساب ما صرفه ورده لأصحابه.

أما صرة الأربطة في الصندوق الشامي وعدتها أربعة آلاف وخمسمائة درهم فوضعها عنده وكتبها المباشرون(٢) عليه فأنكر قبضها وتصرّف فيها. وقرر جماعة ممن سأله في عدة صرر غاب أهلها وشغر بعضها ودفعها لمن قرره لـه، وكثر السؤال لـه فأرضاهم بكتابة أسمائهم عنده حتى يوم سفره فكان ضرره أكثر من نفعه. فالله تعالى يقابله بعدله. وهاداه صاحب مكة وأرباب الوظائف خوفاً من شره ولراحة (٣) الحاج الشامي.

ووصل لمكة حاج كبير من البحر شاماً ويَمَناً وكذا من الشرق ومنهم سلطان البصرة راشد بن مغامس المنتفعي بجمع كبير يقال نحو عشرين ألف نفس، وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة ونزلوا عند جبل حراء.

وخطب خطبة السابع الشيخ محيي الدين العراقي في ظهر يوم الأحد وتوجّه الحاج لعرفة في ثاني تاريخه.

وكانت الوقفة يوم الثلاثاء والحج هنيا والأسعار رخية والماء كثير في البرك والناس آمنون مطمئنون بحمد الله تعالى. أدام الله عليهم ذلك، وتقبل منهم وتجاوز عن خطاياهم.

ووقف في الموقف قاضي الشافعية وناظر المسجد الحرام الزيني عبد اللطيف ابن شيخنا عبد الله باكثير الكندي الحضرمي ومعه إخوانه وأقاربه وأسرع في النفر قبل عامه الماضي.

وفي أيام منى وقعت عدة هوشات بين العرب أهل الشرق وبين الأروام وبني

(١) بالأصل: فعاد .
(٢) بالأصل: المباشرين .
(٣) بالأصل: راحة .

حسن أطفأها الله تعالى بركوب الشيخ راشد ورد جماعته عن أخصامهم (١).

وكثر نهب الحاج من بني حسن المولدين ولم يلتفت السيد أبو(٢) نمي.... (٣) إما لعدم اطلاعه عليهم أو تغافلاً عنهم لجوعهم. فحصل الإشلاء عليه من الحاج.

وعمل أمير الحاج المصري والشامي حراقة نفط في ليلة الجمعة ثاني التشريق ورحل الجميع في ظهر تاريخه إلى مكة ونزل الحاج الشامي في محطة المصري أول قدومه لأجل إقامته.... (٤) وطلع الحاج المصري فوقه قريب الأبطح. ووصل لأميره قاصد عربي من مصر في يوم سفره من مكة يوم الأربعاء سابع عشر الشهر من جهة ما فعله الخنكار من قتل وزيره الأعظم وتغيير الدول، وإن الأمير جانم الحمزاوي أمين مصر مقيم بالروم لاختياره في ملازمة الأبواب الشريفة، وأنه عُين للقاهرة أمين غيره رومي. ونسأل من الله تعالى حمايته لأن وجوده فيه نفع على العرب بالحجاز ومصر لمداراته ودربته. ولم يظهر من خبر القاصد غير ذلك.

وسافر أمير الحاج المصري ولم [١٥٥ أ] يُحدث شيئا من المظالم بمكة وكان ظاهر عليه قلة الحركة لضعف بدنه واختلال أمره. فالله تعالى ينظر إليه وإلى المسلمين، ويكتب سلامة المسافرين.

وأرسل مع الحاج وزير سلطان الهند آصف خان هدية سلطانه بهادر شاه لسلطان الروم والعرب والعجم إسكندر الزمان، صفوة الصفوة من بني عثمان، أبي المظفر سليمان خان، ثبت الله له الأركان، من النطاق المكلل بالجواهر المثمنة وغيره

(١) بالأصل: أخصاكلهم .
(٢) بالأصل: أبي .
(٣) كلمتان غير مقروءتين بالأصل .
(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل.

من الذهب والتحف.... [1] في عدة حمول رفقة قاصدهم ومرسومهم، فأعطى من النقد خمسة آلاف أشرفي ذهباً بنحو عشرين ألفاً.

وكان خلاص أموالهم على يده في الثمان قبل التوجّه لعرفه ونقل إلى مكة ووضع في بيت الوزير وابتهج بها وتضاعف دعاؤه للخنكار بسببها. [فتصدق الوزير بمبالغ كبيرة من الخزانة][2].

ورافق الهدية مع الحجاج عمدة الملك البناني وهو شَيْبة نيّرة ظاهر عليه الرئاسة، وصحبه العالم المفتي قطب الدين محمد ابن الشيخ المعتقد علاء الدين النهروالي المفتي الحنفي نزيل مكة والأصيل الجمالي أبو السعود ابن الشيخ عبد الباقي ابن عبد الله بن جار الله بن زائد لطلب عمدة الملك لهما.

وشفع عند صاحب مكة السيد أبو نمي في سفرهما معه بعد توقفه.

وكان منع غيرهم من المكيين عن السفر صحبة الحاج في عام تاريخه وتضرر الناس من ذلك بقطع أرزاقهم من تحصيل مرتباتهم. والله يقدر خيراً لهم. [والمانع لهم تعدي عبد اللطيف باكثير][3].

وفي عصر يوم الخميس ثاني تاريخ سفر الحاج المصري عمل صاحب مكة السيد أبو نمي الحسني لعب حمام على الخيل بالأبطح قريب المعلاة بعسكره والطبلخانة تدق لهم لأجل زواج شقيقه السيد أبي القاسم على أخت زوجته ابنة السيد بساط بن عنقا الحسني. واستمر على ذلك ثلاثة أيام متوالية من بعد العصر إلى المغرب، [والخيل تمرح وتتسابق مع الانشراح][4].

وفي مغرب ليلة الثالث آخر يوم السبت أوقدت شموع المسجد الحرام جميعها

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .
(٤) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

وأربع مفرعات كبار ونحو ثلاثين مشعلاً للشريف وأمير الحاج الشامي من المعلاة صحبة العريس السيد أبي[1] القاسم وهو راكب فرسه والنساء حوله يروحن [2] عليه بالمراوح - كعادة العرسان - وبعض عياله أمامه منهم شقيقه صاحب مكة.

وكانت زفة بهجة لم يعمل لأحد مثلها وانتقد فعلها بعض العقلاء لكبر مقام العريس عليها فإنها لا تُعمل إلاّ للأطفال. ثم لما نزل إلى منزله دخل على عروسته [3] وجُلِيَتْ له في بشخانة من الحرير مكللة بالذهب.

وعمل له سماط في صباحها دُعي فيه الأعيان من القضاة والفقهاء والتجار وغيرهم وأخذ الشريف لصقاً من التجار على العرس بطلب ذلك من كل واحد على قدره. [فألصق الناس مبالغ كثيرة][4].

وكان فعل جميع هذا من الحوادث المستجدة من الدولة بمكة. [ولم يُعهد ذلك فيما سلف][5].

واتفق من الحوادث لأمير الحاج الشامي وهو قاسم بك الرومي أنه نزل في محل أمير الحاج المصري بمدرسة الأشرف قايتباي في المسعى الشريف وطلب قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف باكثير وشقيقه نائبه الخطيب جمال الدين محمد فطالبهما بتركة آغا جان العجمي الذي مات سنة تاريخه، وأن تُدفع لولده المراهق وعمره ثلاث عشرة سنة ، لكون بعض عبيد أبيه [١٥٥ ب] وصل بمرسوم خندكاري من الروم لأمير الحاج الشامي بالتفتيش على تركته لإشاعة أن القاضي تصرف فيها. فقال له القاضي: لا أسلم له المال حتى يثبت رشده عند حاكم شرعي. فقال له

(١) بالأصل: أبو .
(٢) بالأصل: يروحون .
(٣) كذا بالأصل .
(٤) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٥) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

الأمير: جماعة يشهدون برشده وأنه بالغ. فوقع الكلام بينهما وتعصب للقاضي أحد المُلْتمّين عليه، وهو الزيني ابن الشيخ أبي السعود المغربي مكبّر مقام الحنفية وهو يرطن بالرومية. فأمر أمير الحاج الشامي بضربه على مقعدته ضرباً مبرحاً حتى سكت أنينه ولم ينفعه قاضيه مع قدرة قاضي الأقضية، ووضع في الحديد وأرسل إلى محطة الأمير في باب المعلاة، وكذا القاضي المشار إليه وتوجّه إليهما مع جماعة من أعوان الأمير وجلس في خيمة السقائين حتى يحضر المال أخوه فبات عنده ليلة وتكلم أخوه القاضي الشافعي مع قاضي الشام فخر الدين بن إسرافيل فأرسل لأمير الحاج وأطلقه حتى وصل لمنزل القاضي ثم أرسل له جماعة بإحضاره فوضعه في الحديد ليلته إلى الصباح ثم فك عنه وصارت الرسل بين أخيه وقاضي الشام وأمير الحاج يتردد في أمره.

وبلغ صاحب مكة ذلك فلم يتعرض له مع ميله للممسوك أكثر من أخيه لكنه نقم عليهما بسبب أخذ القائد جوهر المغربي المقتول من سيده لبعض التركة له يقال ستة آلاف أشرفي قماشاً. فقال الشريف: لم يبلغني إلا أخذ ألفين ثنْتين وأعطي فيها ألف وأربعمائة يبقى عنده ستمائة أشرفي. وعد ذلك من الفتن. وبمقدار جرأة عبد اللطيف وإقدامه حصلت له البهدلة.

وأشْيَعُ القضايا في هذا الزمن لأكل مال الأيتام وظهور ذلك على رؤوس الأنام، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم إن القاضي الشافعي خدم أمير الحاج بمبلغ وخلص أخاه في ثاني يوم تاريخه.

وأصيب فيها بمصيبة ثانية بإخراج نصف وظيفة الخطابة منه لشخص مغربي يقال له الشيخ أحمد البجائي المالكي ثم الحنفي المجاور بمكة. فإنه كان وصل له مرسومان خندكاريان من الروم بولاية نصف الخطابة عن قاضي الحنفية بديع الزمان

عوض محمد باكثير الشافعي لموت القاضي بديع الزمان في أول السنة، وجاء خبر موته لمكة في أول شهر رمضان. [وهو أول خطيب حنفي وتبعه البخاريان][1].

وأشيعت ولايته لخطابة المسجد الحرام ونظره وقضاء مكة وجدة ولم يمتنع أحد من أخصامه من مباشرة وظائفه لحرصهم على الولاية والمستعان بالله. [وبالجملة فكان من أضاحيك الزمان][2].

وطلب أمير الحاج الشامي شريكه الشيخ محيي الدين العراقي لكون جمعة تاريخه له وأنه يقدم فيها المتولي الجديد حتى يباشرها بحضرته. وكان القاضي الشافعي منعه من المباشرة لأجل أخيه فتوجّه بعض الأروام لصاحب مكة السيد أبي[3] نمي وأطلعوه على مراسيم الخطيب الجديد فقال لهم: البلاد للخنكار ومهما أمر به يُفعل. فصمم أمير الحاج الشامي في مباشرة الشيخ أحمد البجائي للخطابة يوم تاريخه، فوافق شريكه رغبة ورهبة، وعُد ذلك من الانتقام المعجل عليه، لأنه كان خاصم شريكه الخطيب عبد الرحمن النويري في الجمعة التي بعد عرفة وأنها تبطل حصته فيها ونازعه في مباشرتها فمكنه أمير الحاج الشامي منها لغيبة العراقي واستطال على خصمه بعد صلاة الجمعة بعقد مجلس عند قاضي الشافعية المحبي بن ظهيرة. وقام الخطيب عبد الرحمن من المجلس مقهوراً فمات في الجمعة [١٥٦ أ] التي تليها سنة أربعين وتسعمائة.

ومباشرة الشيخ أحمد البجائي الحنفي للخطابة في المسجد الحرام من النقم على الشافعية. فإنه أول حنفي خطب به وليس في البلد جمعة غيرها ووزرها على أول من سنّها وترك أركان الخطبة. وأعاد كثيرٌ من الشافعية الجمعة، وسمعت منه أن سبب

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٣) بالأصل: أبو .

تركه لها هيبته من هيبة المكان، وبالله المستعان. [وخلفه بعد موته أبو حامد][1].

ثم إن أمير الحاج الشامي أقام بمكة بعد الحاج المصري بسبعة عشر يوماً. [وضجر الناس من إقامته][2].

وفي فجر يوم الثلاثاء ثالث عشري الشهر سافر أمير الحاج الشامي وتبعه بقية حاجه في صبح تاريخه وأقام في وادي أبي عروة يوم تاريخه وسافر منه في ثانيه، وأخذ من الوادي صحبته جماعة من أهل الوادي لكونهم عبثوا بالحاج سرقة وجراحاً، [فعبث أمير الحاج بهم][3].

وكان من جملة الممسوكين عم زوجة صاحب مكة الشريف محمد بن عنقا ابن وبير النموي الحسني وكان مريضاً في منزله مع ولدين له دون البلوغ وولدين لأخيه الشريف هجار، فبذل لأمير الحاج الشريف محمد بن عنقا مالا لخلاص نفسه وأولاده ولم يسلمه له فتركه لمرضه في الوادي وسافر جميع الحاج ومعهم الأولاد في صبح تاريخه.

فجاء الخبر لمكة في ظهر اليوم المذكور وهو يوم الأربعاء رابع عشري ذي الحجة، يوم نحس مستمر لكونها أربعة لا تدور في الشهر وقد بينتُ ذلك في مؤلفي **الخبر المرفوع، في أيام الأسبوع**، ولما بلغ صاحب مكة خبر أمير الحاج ومسكه لأولاد أخيه من عم زوجته أظهر التشويش مع عياله، فأمر عسكره من الخيالة بالتوجّه صحبته لملاقاة أمير الحاج في الوادي أو غيره، فتوجّه مُخفاً بالخيل والرجل حتى وصل لوادي أبي عروة بعد صلاة العصر وانقطع كثير من المشاة وبعض الخيالة فأمر بردّ غالبهم، وبلغه ترك الشريف محمد بن عنقا في الوادي، وأنه أرسل بمصاغ

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

زوجته أم الأولاد لفكاك أولاده، فلحق قاصده وبعض الحاج ورافقهم إلى طرف البرقاء [1].

ثم اجتمع بساقة الحاج و هم سائرون وأراد أن يهجم عليهم بخيله ورجله في الليل فأشار عليه الشريف عرار بن عجل الحسني وبعض القواد بالتربص إلى الصباح حتى يراسل أمير الحاج ويخبره بوصوله لأجل فكاك من عنده من الأشراف أولاد أخيه وغيرهم ويكفي الله شره، فما وافق على ذلك إلا بعد جهد ولبس[2] درعه وكذا جميع قواده، فسمع أمير الحاج بوصوله وأوقد المشاعل والأشجار التي في طريقه وتوقف ساعة في سيره حتى لمّ الحاج على بعضهم بعضا، ورمى [3] مدافع النفط وأظهر الخوف والاحتراز من الشريف وعسكره.

ثم إنه ترك الحاج قريب عسفان، وبات الشريف خلفهم وفي الصباح وجد جماعة من الحاج نائمين في الطريق نحو خمسة أنفس من جملتهم دوادار أمير الحاج ومدبرهم الأمير علي بن طالوا الدمشقي وغيرهما وهرب منهم واحد وقبض الشريف على الباقين. فقال له الأمير علي بن طالوا: يا مولانا أترك منا واحداً حتى يواجه أمير الحاج ويخبره بخبر وصولك إليه ونمشي في القضية، فمال الشريف إلى قوله لحسن مشورته. وعُدّ ذلك من مَنّ الله وسعده. فأطلق الشريف علي بن طالوا فتوجّه لأمير الحاج [١٥٦ ب] وأخبره بوصول الشريف بنفسه وعسكره لأجل إطلاق أولاد أخيه وأشار عليه بإطلاقهم، فأطلقهم وأرسلهم راكبين على بغال بعد أن كانوا مشاة طول الطريق. فكفى الله الحاج الفتن والتعويق.

(١) البرقاء: لعلها برقاء الغميم التي تقع في الطريق بين مكة والمدينة على مقربة من عسفان. البلادي: معجم معالم الحجاز ٦: ٢٦٥ .
(٢) بالأصل: وألبس .
(٣) بالأصل: وأرمى .

فلما وصلوا إلى الشريف [أمر] (١) بعض جماعته بالتوجّه إلى وادي خليص لردّ من توجّه إليها من عسكره، وكفى الله المؤمنين القتال. وسلم الحاج والأنقال وعاد الشريف أبو نمي لمكة مظفرا في هذه الحركة، وعد ذلك من سعده ونصيحة الشريف عرار في توقفه لمحاربة الحاج ورفقه به. فالله تعالى يصلح الأحوال، ويبلغنا جميع الآمال، ويكتب سلامة المسافرين، في البر والبحر أجمعين، بجاه سيد المرسلين، ﷺ وشرف وكرّم.

شهر عاشوراء المحرم الحرام استهل كاملاً ليلة الأربعاء من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٦م)

وهو موافق ليوم النحر وأول الصوم من السنة الماضية كما هو على الألسنة « يوم صومكم كيوم نحركم وأول سَنَتكم ». فالله تعالى يجعلها مباركة على المسلمين، ويمد فيها الخيرات على جيران بلد الله الأمين.

واتفق في العشر الأول من شهر تاريخه أن الوزير الأعظم المسند العالي آصف خان الكجراتي الهندي فاوض صاحب مكة السيد الشريف، ذا القدر المنيف نجم الدين أبا نمي بن بركات الحسني - أعزهما الله تعالى وبلغهما جميع الأماني - في تفرقة المبرّة السلطانية المظفرية البهادرشاهية الملكية الخاقانية الواردة صحبته إلى مكة المشرفة، خلّد الله ملك المنعم بها.

فطلب الشريف منها عادته كأسلافه الماضين في أخذ ثلثها وغيره من مصارفها وما وُعد به من الإنعام والهدية والتحف المرضية، وصالحه الوزير عن المبرّة بأخذ ثلث أهل مكة من أصل خمسة وثلاثين ألف أشرفي ذهباً كل أشرفي.... (٢) فمجموعها

(١) إضافة تقتضيها الجملة و لم ترد في النص .

(٢) كذا بالأصل، والجملة غير تامة المعنى .

بمائة ألف وستين ألف وزيادة. وعوّض عنها سبائك ذهباً مختوماً غير مسكوك بالوزن، كل قفلة (١) بأشرفي ذهباً. ثم أذن الشريف له في تفرقتها على أربابها فكتب قوائمها من الشيخ العدل المرتضى ولي الدين أبو زرعة أحمد ابن الشيخ العلامة نور الدين علي المنوفي ثم المكي الشافعي بمباشرة أمينها الآن على ما كان الخواجا خليل ابن زين الدين الكيلاني العجمي.

وحُررت بحضرة الوزير المشار إليه وأمر بصرفها على حكم النصف عن سبع سنين مضاعفة أول استقبال سنة ٩٣٤هـ [١٥٢٨م] كما هو مكتوب في أوصال التفرقة. وتصرف الوزير في التفرقة من الأسماء المحلولة على من أحب من العجم، وصرف لأرباب الوظائف في الربعة المظفرية ودرس الحنفية كاملاً عن سبع سنين وأعطى قليلاً من العرب بالجاه. وجعل لكل واحد من قاضي الشافعية المتولي الزيني عبد اللطيف باكثير والمفصول البرهاني إبراهيم بن ظهيرة مائة وخمسين (٢) أشرفيا ذهبا زنتها قفالاً من الذهب السبائك، ومنع المتولي من التكلم عليها ففاته كثير من التصرفات فيها، وكفى أهل البلد همّ مؤونته لسوء تصرفه. لأنه في العام الماضي قسم المبرة البخشية فلم يرض عنه أحد من البرية مع أن الوزير أيضاً مال إلى العجم، وقررهم في كثير من النعم، وصار العرب محرومين من الزيادة وهم قانعون بما كان لهم من العادة.

وكان أول الشروع في تفرقة [١٥٧ أ] الخيرات وإيصال المقررين في مرتباتهم يوم الإثنين ثالث عشر شهر المحرم خفيةً لأناس مخصوصين.

ثم في يوم الأربعاء تاليه سافر من مكة صاحبها السيد أبو نمي إلى جهة وادي مر بعياله. فحينئذ ظهرت التفرقة وكُتبتْ الأوصال لجماعة وتتابع القبض من يوم

(١) القفلة: عملة .

(٢) بالأصل: خمسون .

الخميس سادس عشر الشهر في المدرسة الباسطية بحضرة الخواجا خليل الكيلاني و ميا عمر – أحد خواص الوزير – والصيرفي الشرفي يحيى بن كحليها [1] المكي بعد ختم الوزير على كل وصل ويكتب خليل تاريخه ويُنزله الصيرفي عنده ويقبضه ميا عمر.

وصورة الوصل الذي كُتب باسمي هو « الحمد لله. المتعين من مال الخيرات المبرورة المقبولة السلطانية المظفرية البهادرشاهية الملكية الخاقانية الواردة إلى مكة المشرفة – خلد الله ملك المنعم بها، ونصره نصراً عزيزاً – صحبة نائبه القائم مقامه في جميع أموره، لسان سلطنته المعظمة مولانا المسند العالي الوزير الأعظم الأعلم، والخاقان الأكرم الأفخم، والمشير الصاحب الأكرم، عضد الدولة مدبر المملكة الإسلامية – أدام الله تعالى عزه وجلاله وعظمته – عن مدة سبعة أعوام متوالية أولها استقبال سنة أربع وثلاثين وتسعمائة [٩٣٤هـ/١٥٢٨م] باسم الشيخ جار الله ابن الشيخ عز الدين بن فهد الهاشمي مبلغ أشرفية: أربعمائة وعشرون، نصف ذلك مائتان وعشرة، في كل سنة ستين أشرفيا. صُرف له النصف المذكور عما خصّه بحكم المحاصّة من المبلغ الأصلي المذكور، بسبب صرف الإخراجات الجاري بها العادة في مثل ذلك. والحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ».

ثم كتب عليه الخواجا خليل اسمه وتاريخه ووضع عند ميا عمر الهندي أحد خواص الوزير. وكذا جميع الأوصال .

وقبضتُ مع جميع المستحقين ذهباً مسكوكاً من غير سكة كل أشرفي ذهباً بقفلة وقيراط. فجملة ما في وصلي قِفَال خمس وخمسون ونصف وربع، عنها مثاقيل سبعة وثلاثون. الثمن لكل مثقال وقت تاريخه بالذهب الأشرفية أربعة، وبالفضة ثلاثة وثلث. فتحصل القبض في كل اسم من ثمن المثقال نحو الربع في الذهب والثلث

(١) كذا ورد العلَم بالأصل .

في الفضة، وإذا أضيف إلى أصل النقص يكون المقبوض لكل اسم ثلثه، وعند الله تجتمع الخصوم، وينصف الله المظلوم. ولا يقدر أحد من المستحقين أن يبثّ بشكواه، إلاّ لعالم سرّه ونجواه، وفي الله خلفٌ [1] في كل فائت وعوضٌ [2] عن كل هالك. [وذهب جميع الذهب في بطون السّباع ونال الضعيف بعضه][3].

وفي العشر الأول من المحرم وصل لمكة قاصد لصاحبها الشريف أبي نمي من وادي بدر ومعه أوراق فيها الإخبار عن الحاج الشامي، وأنه جاءه قُصّاد من دمشق الشام، فيهم عرب وأروام، يذكرون لأمير الحاج بأنه يرجع من درب الحاج المصري لأن العرب قاعدون له في الطريق من جملتهم شيخهم جغيمان وملحم، وأن أمير الحاج امتنع من التوجّه إلاّ على دربه لأجل ودائعه التي تركها في طريقه من الزاد والأمتعة. فخالفه بعض حاجه، ثم انهم اتفقوا على التوجّه إلى المدينة الشريفة ثم يفعل الله ما أراده [4]. فالله يقدر للمسلمين خيراً.

ثم في نصف شهر تاريخه وصل جماعة من المدينة الشريفة ومعهم أوراق فيها الإخبار بأنّ الحاج الشامي جاءهم قاصد ثان فيها: بأنهم يتوجّهون من طريقهم المعتاد لكون العرب اختلفوا فيما بينهم وتحاربوا وتفرقوا. وأن نائب الشام أرسل تجريدة لملاقاة الحاج ففرحوا بذلك [١٥٧ ب] وتوجّهوا حينئذ في سابع شهر تاريخه فوقاهم الله المهالك. ومن جملة الأخبار أن قاضي الشافعية بالمدينة الشريفة السيد عفيف الدين السمهودي أرسل ورقة للأمير شرف الدين الحمزاوي يبشّره بوصول أخيه الأمير جانم إلى القاهرة، وأن الأعين الشريفة إليه ناظرة. ففرح بذلك كل قاطن وسالك، لأن في إقامته بها نفعاً للخاصة والعامة. جزاه الله خيراً وكثّر من

(١) بالأصل: خلفاً .

(٢) بالأصل: عوضاً .

(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

(٤) بالأصل: ما راده .

أمثاله.

وفي ليلة السبت ثامن عشر الشهر توجّه لجدة قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف ابن أبي كثير الكندي لأجل موسم الهندي. وكان أخوه (١) القاضي وجيه الدين عبد الرحمن سبقه إليها وتخلف عنه لأجل تفرقة المبرّة الهندية ولكونه انتقل من سكَنِه الأول إلى بيت المرحوم قاضي الحنابلة الشريف محيي الدين عبد القادر بن عبد اللطيف الفاسي، وهو وقف على ذوي رحِمه. وأخّر الشافعي تفرقة الحكمي والمستجد. فالله تعالى يفرج عن أهل مكة هذه الشدة وينظر إليهم بمن يلهمه الشفقة عليهم ويدفع لهم استحقاقهم في وقته، ولا يماطلهم في دفعه. واستمرت تفرقته إلى آخر السنة وبعض الناس لم يستكمل حقّه.

وفي العشر الأخير من المحرم توجّه صاحب مكة الشريف أبو نمي الحسني إلى جهة وادي مرّ بفريقه وأهله وشرع في عمارة أصيلة بوادي فراس بالقرب من محلة أرض حساد، واستعمل فيها أهل الفريق من الكبير والصغير على جاري عادة سلفه.

ووصلت قافلة المدينة الشريفة لمكة وفيها حميد الملك أخو الوزير آصف خان وأخبَر أنّ العرب خرجوا عليه قريب المدينة الشريفة وقُتل بعض جماعته مع فرسه وأخذ له بعض الأمتعة ولم يعلم خصمه وأنه في عوده خرج منها معه صاحبها الأمير باز بن فارس بن شامان الحسيني بجماعة من عسكره حتى بلّغوه المأمن جهة شعب الروحاء وأعطاه مبلغاً وكذا أهل المدينة ولم يفرق شيئاً بمكة. وعمل أخوه الوزير آصف خان في عصر يوم الخميس مستهل شهر صفر وليمة كبيرة طلب فيها القضاة والمشائخ وأهل الفضل من العرب والعجم في المدرسة الباسطية. طُبخ فيها كثيرٌ من الأرز والأطعمة بلحم الضأن والدجاج والحلوى. يُقال لأجل موافقة اليوم الذي مات

(١) بالأصل: أخاه .

فيه والده كعادته في بلدهم لفعله ذلك كل عام، وكذا فعل أخوه (١) حميد الملك وليمة ثانية بعد الظهر في منزله وحضرها خدام الدرجة وغيرهم من الضعفاء وتصدّق عليهم بمبلغ من الذهب لا أعلم عدّته. وبعد ذلك توجّه إلى جدة للسفر في المراكب الهندية وصحبته كثير من القماش والخيل والمماليك والسمن.(٢) وغير ذلك، أرسلها معه أخوه (٣) الوزير آصف خان لسلطانهم بهادر شاه، نصره الله وبلّغه مُناه.

ثم سافرتْ المراكب الهندية وهي أزْيد من عشرين مركباً أولها في ليلة السبت رابع عشر الشهر.

وكان السيد نور الدين أحمد ابن السيد عفيف الدين بن عبد الرحمن بن نور الدين عبيد الله بن علاء الدين محمد ابن السيد عفيف الدين محمد بن نور الدين محمد الحسني الإيجي الشافعي توجّه لجدة للسفر لجهة الهند ساخطاً على وزير الهند باطناً مع اجتماعه به وسؤاله عن كتابة ورقة لسلطانه بالوصية عليه، فكتبها له وهو يظن أنه يتوقف ويتكلم معه في إرضائه ونزوله لبيوت أوقاف سلطانه التي كانت نظره بمكة المشرفة، فلم يلتفت لذلك وقصد صاحب مكة الشريف أبا(٤) نمي في الوادي وتوجّه من هناك لجدة وأقام بها مدة واكترى على حوائجه في المركب وطلعها. [١٥٨ أ] ثم إن المراكب تأخرت عن رفقته أياماً فطلع إليه لأجل السفر فيه، ثم إنه نأى عن ذلك ونزّل منه حوائجه بعد ترك نَوْله للناخوذة على العادة لأهل المراكب، ويقال نحو مائة وخمسين أشرفيا. وأُنكِر عليه فعله ولم يدبر نفسه فعاد لمكة في آخر الشهر. [وعمل ذلك صنعة فلم يتمشَّ له تدبيره](٥).

(١) بالأصل: أخاه .
(٢) كلمة وردت بالأصل غير واضحة القراءة وهي أقرب ما تكون إلى ما أثبتناه .
(٣) بالأصل: أخاه .
(٤) بالأصل: أبو .
(٥) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

وفي هذا الشهر فرغ الرطب ولم يمكث شهرين كاملين، وكان غاليَ الثمن لم يزد على رطلين ونصف، وظهر العنب والخوخ والرمان، واغتبط به الغرباء أهل الدراهم، وغليت الأسعار بمكة في جميع المأكولات وطلع المنّ السمن إلى ثمانين كبيراً والعسل كل عشرة أرطال بثلاثين والجبن واللبن قليلا (١) الوجود وكذا اللحم وبيع كل رطل وربع بكبير، فالله تعالى يرخص أسعار المسلمين، ويلهم الحكام العدل في جيران بلده الأمين، بجاه سيدنا ونبينا محمد سيد المرسلين ﷺ .

وفي نصف ليلة الأربعاء رابع عشر صفر ولد ولدي جمال الدين أبو محمد أنشأه الله تعالى وأخاه وأختيه وأقر عيني بهم، وأمه خاتون ابنة قاضي المسلمين نور الدين علي بن أبي بكر المرشدي الأنصاري الحنفي. وعملتُ له عقيقة في يوم سابعه بلحم وثريد للفقراء وغيرهم. جعله الله مباركاً بمحمد وآله آمين .

وفي صبح يوم الأربعاء المذكور انتهت كتابتي في **نخبة قرة العين، بمبرة وفاء الدين** للحافظ الكبير زين الدين عبد الرحيم بن الحسن العراقي الشافعي. رحمه الله تعالى .

وألفتُ بعده في شهر تاريخه **نزهة الأبصار، بأخبار الأعمار** ولله الحمد.

وفي ليلة السبت رابع عشر الشهر سافرتْ المراكب الهندية وفيها حميد الملك أخو الوزير آصف خان كان كما تقدم ذكره.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشريْ الشهر سافرتْ قافلة المدينة الشريفة من مكة وصحبتها ناضي المسلمين كريم الدين عبد الكريم بن علي المحولي ثم القاهري الشافعي بعياله، كتب الله سلامتهم وتقبل زيارتهم.

وفي عصر يوم الجمعة سلخ الشهر مات الخواجا الأصيل أحمد بن محمد الحلبي ثم القاهري المكي بعد وجعه بالحمى الحادة نحو الشهرين وتوجّه إلى منى وأقام نحو

(١) بالأصل: قليلن .

الشهر، فلما زاد ضعفه عاد إلى مكة وكتب وصيته وأقر لبناته الخمسة الكبار الأشقاء من خاتون ابنة المحيوي عبد القادر بن علي بن أبي اليمن النويري المكي من مخلف أمهم الذي وضع يده عليه وهو ثمن أملاك باعها للدولة بألف دينار وغلال وصُرر بألفين، جملتها ثلاثة آلاف، ومصاغ أمهم لهن ولبناته الأربعة الباقيات من تسعة بألف وخمسمائة أشرفي والجاريتيْ أمهما وثلاث بنات بثلاثمائة أشرفي. وعتق عبده الحبشي وأقرّ له بمائة أشرفي. جملة الجميع خمسة آلاف أشرفي. وجعل الخمسة البنات الكبار رُشّداً والناظر عليهن قاضي القضاة التاجي المالكي، وزوّج الأربع البنات الصغار على أربعة من أولاد خاله شقيق أمه الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أبي بكر المرشدي الحنفي وجعله وصياً عليهن ما عدا واحدة منهن فجعل أمرها لأمها ابنة الخواجا أحمد بن أبي بكر الطهطاوي.

واتفق عند موته أن الدولة من الأروام وجماعة الشريف ختموا على حواصله في بيته ودكانه في الخان ولم يلتفتوا إلى وصيته لأجل غيبة أخيه المستوفي لمخلّفه بالقاهرة. وجهّز في ليلته وصلّي عليه عقب صلاة الصبح ودفن بالمعلاة على قبر أمه بالشعب الأقصى، رحمه الله تعالى وعفا عنه وجبر بناته وأثابهن وعوّضه الجنة بمنّه وكرمه. [١٥٨ ب]

شهر ربيع الأول استهل كاملاً بالسبت من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٦م)

وفي صبح يوم دفْن الخواجا الحلبي وهو أول شهر ربيع الأول شرع وزير الهند المسند العالي آصف خان في تقرير جماعة من العرب والعجم في قراءة ربْعتيْن أول النهار في الصباح وفي ظهره بالمدرسة المظفرشاهية – والد سلطانه بهادر شاه – عند باب الصفا أحد أبواب المسجد الحرام في كل واحدة خمسة عشر نفراً، ووقعت الزيادة على العشرين في كل منهما، وشيخ الحضور في الصبح هو شيخ الحضور

القديم في العصر إمام الحنفية السيد محمد بن أحمد البخاري الحسني وشيخ الحضور في الظهر الخطيب جعفر بن عصفور الكازروني الشافعي وتسبب في التقرير لشقيقي المحيوي عبد القادر بن فهد وصهري السراج عمر الرضي وصاحبنا الشيخ جمال الدين الشلح وغيرهم.

وفي صبح أول الشهر حضر القراء المذكورون وطلبني الوزير إلى المدرسة الباسطية فوجدتُ عنده جماعة من العرب والعجم فأمرني بقراءة **شمائل النبي ﷺ** للحافظ أبي عيسى الترمذي فقرأتُ منها الباب الأول بحضرتهم، ثم أمر لهم طعاماً وحلوى فأكلوا وانصرفوا، وأمر بالحضور في كل يوم لتمام القراءة في يوم المولد الشريف. فلازمنا عنده الحضور ليقوم جميعا [1] بالصلة والأجور. لكنه اعتراني قبض في أول القراءة فاستخرت الله تعالى في الترك أو الملازمة فأراد الله تعالى بما أراد. وهو أنّ بعض الأكابر أشار عليّ بعمل **مولد** شريف مختصر معظّم منيف ليُقرأ في هذا المجلس، ويكون خدمة لسيد المرسلين وتذكرة للوزير لحلوله في بلد الله الأمين. فاختصرت مولد شيخ شيوخنا الحافظ قاضي القضاة شمس الدين محمد ابن الجزري المسمّى **التعريف بالمولد الشريف**، وأضفتُ إليه فوائد في آخره وأوصافاً لحال الوزير في أوله. فخرّف فيها بطانة السوء في الأقوال، ولم ينتج شيئاً في الحال والمآل، فتركتُه وعددتُ ذلك من لطف الله بي لتحقيق معتقدي، لأنني ما ظننتُ بأهل الدنيا خيرا إلا صرفه الله من قلبي، وأقبل عليّ الخير من سعة ربي، كما جربتُ ذلك مِراراً، ورأيت فيه حلاوة ومَرارا، لأنه ورد في الحديث الشريف كما رواه البيهقي في **الشُعَب**[2] عن ابن مسعود موقوفاً { من خضع لغني ووضع له نفسه إعظامًا له

(١) كذا بالأصل .

(٢) هو كتاب شعب الإيمان تأليف الإمام أبي بكر الحسين البيهقي (ت ٣٨٤هـ)، طبع الكتاب محققا في عشرة مجلدات بفهارسه .

وطمعاً فيما قِبَله ذهب ثلثا مروءته وشطر دينه} [1]. ورواه ابن مسعود مرفوعاً { من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبته ونَصبه فإنما يشكو الله، ومن تضعضع لغَني لينال مما في يده أسخط الله تعالى } [2] الحديث إلى غير ذلك في معناه. بل أخرج ابن ماجة عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: { إن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء } [3]، وفي رواية لابن أبي شيبة والبيهقي عن حذيفة قال: { إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن ؟ قال: أبواب الأمراء }[4].

فها أنا استغفر الله تعالى مما وقع لي وجرى لأنه حصل لي في مدة ملازمتي له كثير[5] من القبض لصدري مع الشرور واستباحة عرضي وسلفي من الحساد وفجّار العباد، وقد ألّفتُ في ذلك مؤلفين أولهما **القول المعظم المنيف، في الموعظة وتعظيم أهل الحديث**، وثانيهما **حفظ المساق والعهد، في مدائح بني فهد**.

[١٥٩ أ] واتفق في يوم الثلاثاء حادي عشر الشهر، أن وصل لمكة صاحبها السيد الشريف أبو نمي الحسني لبركة المولد الشريف فأقام بمكة حتى صلّى الجمعة وزار السيد نور الدين أحمد بن العفيف عبد الرحمن بن نور الدين عبيد الله ابن السيد علاء الدين محمد الحسني الإيجي الذي كان نيتُه السفر إلى الهند. وعاد لمكة فشكا عليه الوزير آصف خان وأنه وضع يده على أوقاف سلطان الهند مظفر شاه والد سلطانه، فوعده الشريف أبو نمي بنصرته. فأرسل السيد نور الدين الإيجي

(١) البيهقي: شعب الإيمان، الحديث رقم ٨٢٣٢ .

(٢) البيهقي: شعب الإيمان، الحديث رقم ١٠٠٤٤ .

(٣) بالأصل: أبغض الفقراء، الغزالي: الإحياء، المجلد الثاني، كتاب الحلال والحرام، الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم.

(٤) البيهقي: شعب الإيمان، الحديث رقم ٩٤١٣ .

(٥) بالأصل: كثيراً .

لقريب السلطان قيصرخان أحد السكان في الوقف فطالبه في أجرة المكان وإلاّ الانتقال منه. فحضر إلى الوزير وعرفه بكلامه، فراسل الشريف في أمره بل خدمه من عنده حتى أرضاه وأرصد أمر البيوت حتى يحضر جواب سلطان الهند، والله يصلح الأحوال، في الحال والمآل.

وفي ليلة الأربعاء ثاني عشر الشهر توجّه الفقراء القادرية والأحمدية وغيرهم من طوائف الصوفية بأعلامهم وفوانيسهم وهم يهللون ويذكرون الله تعالى ويصلون على النبي محمد ﷺ إلى محل مولده ومسقط رأسه الشريف في شعب بني هاشم بسوق الليل علو مكة المشرفة ووقفوا عنده ساعة وصلّى بعض مشائخهم وسط محل المولد الشريف وتُركت الخطبة منه والدعاء للسلطان وولاة الأمر بأمر قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف باكثير لكونه ناظر المسجد الحرام. ويقال إن الفقراء استأذنوه في التوجّه إلى المولد الشريف أو صاحب مكة أبا نمي فأذن لهم. وكان في فعلهم تعظيم لليلة المولد الشريف.

واتفق في صباح تاريخه أن الوزير الأعظم آصف خان - عظم الله شأنه - ختم بحضرته قراءة شمائل النبي ﷺ ومد للحاضرين سماطاً من الأطعمة والحلوى - على جاري عادته - من أول شهر تاريخه، وبعد ذلك قسم على بعض الأكابر ممن حضر مجلسه من الملل وأولاد العرب بعض قماش ونقد وأرسل إليّ ببقْجة [1] فيها ثوب صوف وشاشان وبيْرمان[2] مقدار ثمنها نحو أربعين أشرفيا. فشكر الله سعيه.

وحدث في هذا الشهر وبعده عدة زواجات لجماعة من الأكابر والأشراف: أولهم الشريف وبير بن محمد بن عنقا على الشريفة.... [3] ابنة السيد عرار بن عجل

(١) البقجة: أنظر صفحة ٣٠٥ الهامش ٣ من هذا الكتاب .

(٢) البيرم: قماش من القطن كثيرًا ما يستورد من الهند، Dozy : Suppléments ... I : 133

(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

النموي بجدة. وثانيهم الشريف عبد الله ابن السيد شولق عم صاحب مكة السيد أبي نمي محمد بن بركات الحسني على ابنة صالحة بوادي الدكناء. وثالثهم الشريف محمد ابن عزيز على راية ابنة السيد رميثة بن محمد بن بركات الحسني. ورابعهم نقل دفع الشريف محمد بن سيسد على شقراء ابنة عمه السيد أبي الغيث بن محمد بن بركات. وخامسهم الشريف ناهض ابن السيد أبي الغيث المشار إليه على شمسية ابنة الشريف أبي القاسم بن محمد. وسادسهم الشريف جازان بن حميضة على ابنة الشيخ عبد الله بن موسى الزهراني، وغيرهم من القواد. ومن الأكابر الوزير الأعظم آصف خان - عظم الله شأنه - على ابنة الخواجا جلال الدين ابن خطيب الباب الحلبي وأمها ابنة جمال الدين بن شهاب الدين وزير هرموز المكية ودخل بها وفارقها في جمعته وكاتِبُه ميا عمر الهندي وغيرهم من الفقهاء والمتسببين أكثر من خمسين نفساً، وسيأتي بعضهم مفرقاً إن شاء الله تعالى.

شهر ربيع الثاني استهل ناقصاً بالأحد من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٦م)[1]

حدثت فيه عدة زواجات على الأبكار والثّيبات: منها في ليلة الثلاثاء عاشر الشهر [١٥٩ ب] عقد قاضي القضاة الشافعي المفصول البرهاني إبراهيم ابن أقضى القضاة الشهابي أحمد ابن قاضي القضاة البرهاني بن ظهيرة القرشي المخزومي على....[2] ابنة الخواجا....[3] الرومي سبطة الخواجا الكبير محمد خجا الفومي في منزل أمها وجدّها وحضره القضاة الثلاثة ما عدا خصمه الشافعي المتولي، وباشر العقد الحنفي وذلك بحضرة جماعة من الفقهاء والتجار. وكان عقداً حافلاً وشُرب فيه السكر المذاب - على العادة - مع البخور والماورد الكثير الطيب.

(١) سقط تعيين السنة بالأصل .

(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

وعمل لها سماطاً كبيراً في منزله بجوار الزوجة في حارة قريش في السويقة، ودخل بها في منزلها في ليلة الثلاثاء سابع عشر الشهر، وهنّأه الناس فيه وصلّى الجمعة في رابع يوم قبل كمال أسبوعه وحمده الناس على ذلك، جعله الله مباركاً هنالك.

وفي ليلة السبت رابع عشر الشهر عقدتُ بربيبتي أخت أولادي البكر البالغ سعادة ابنة الخواجا عبد الرحمن بن يعقوب الحصين على بعلها الشيخ العلامة المدرس جمال الدين محمد بن محمد الطرابلسي المالكي الشهير بالحطاب (١) - أعزه الله تعالى وأدام النفع للطلاب - وذلك في وسط حجر الكعبة الشريفة بين العشاءين بحضرة أخوالها وجماعة من أصحابنا.

وباشر عقدها قاضي القضاة التاجي عبد الوهاب بن يعقوب المالكي على مائة - عنها ثلاثمائة أشرفي - في الظاهر، وتركت نصفها باطناً ودخل بها في عشاء تاريخه.

وعملتُ لها وليمتها في صباحها، وهنّأه الناس سبعة أيام ثم برز بعد الأسبوع - على العادة في البكر - جعله الله مباركاً ميموناً عليهما وعلى أقاربهما ومحبيهما وكمد عداهما، بمحمد وآله آمين.

وفي عشاء ليلة السبت المذكور عقد السيد ملك التجار علاء الدين الحسني على ابنة عمه السيد قطب الدين العجمي في منزله وحضره القضاة والأكابر ما عدا الشافعي المتولي، وباشر عقده الشافعي المفصول من أوله وختم العقد المالكي. وسقى الحاضرين سكراً مذابا وانفصلوا، ثم دخل بها في منزله في ليلته.

وفي يوم الإثنين ثالث تاريخه سافرت قافلة المدينة الشريفة من مكة وفيها الخواجا خليل القيلاني وصحبته الشيخ أبو زرعة المنوفي ورفقتهما المبرة البهادرشاهية

(١) هو محمد بن محمد الطرابلسي الرعيني الحطاب المالكي، من عائلة علمية انتقلت إلى مكة حيث ولد بها، له مؤلفات كثيرة في الفقه المالكي وغيره. توفي بمكة سنة ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧م. انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ١١: ٢٣٠ - ٢٣١ .

الهندية بأمر الوزير الأعظم آصف خان - عظم الله له الشان - وصحبتهم بعض جماعته وغيرهم، وكانت ذهباً سبائك(١) لأصحاب الصرر والأربطة، كما فُرقت على حكم أهل مكة بزيادة.

وفي صبح يوم الخميس تاسع عشر الشهر مات جارنا الحاج خليل ابن الصالحي الشهير بالجمالي لكونها حِرفته في بداية أمره ثم صار تاجراً.

وكان (٢) سبب موته أنه نزل من على سطح منزله بالعجلة لإدراك صلاة الصبح مع الجماعة فسقط على دماغه فخرج دماغه وقضى من ساعته. فجهّز من يومه وصلّي عليه في عصر تاريخه ودفن بالمعلاة في الشعب الأقصى.

وخلّف زوجة وذكرين وثلاث بنات، منهم ثلاثة أشقاء ما عدا ذكرا وأنثى. ووجد له وصية أسندها لقاضي القضاة التاجي، ومنع الأروام من التكلّم على تركته [١٦٠ أ] وسمعتُ أنه وجد له من النقد نحو سبعة آلاف أشرفي غير البضائع بنحو مثلها. وقسم النقد: لزوجته ألف دين ومثلها ثمنها، ولكل ذكر ألف ومائتان، ولكل بنت ستمائة أشرفي. وبعض الناس استقلّ ذلك عليه، وأنا أستكثره لرثاثة حاله، والله أعلم بحقيقته.

و ممّن تزوج، مع حذف غيرهم، منهم:

١ - القاضي الأصيل فخر الدين أبو بكر ابن الشيخ عبد الكبير الحرازي العمري الحنفي على ابنة خاله الشيخ بركات أبي الفضل الزين، وهي بكر.

٢ - الجمالي محمد بن عبد الله بن ناصر التين الواسطي على ابنة عمه عبد الرزاق، وهي بكر أيضاً.

٣ - عبد الله بن علي الكشميري على ابنة تقي الشامي البزاز(٣)، وهي بكر.

(١) بالأصل: سبائكا .

(٢) بالأصل: وكانت .

(٣) وردت الكلمة غير معجمة، والإعجام مقترح .

٤ – الزيني بركات العمادي على ابنة خاله محمد بن إبراهيم البصري، وهي بكر.

٥ – عبد المعطي بن علي سكيكر على ابنة محمد بن موسى الصيرفي .

٦ – محمد بن أبي الغيث المغربي على.... (١) مغربية.

٧ – الجمالي محمد بن راحات على ابنة يحيى بن عبد الرؤوف الشاهد.

٨ – قريبه الوجيه عبد الرحمن بن سكيكر على ابنة الرخامي.

٩ – عبد الرحمن بن الطاهر على ابنة علي الجيار.

١٠ – الشيخ محمد ابن الشيخ ملا حاجي على ابنة محمد الحريري، وغيرهم.

شهر جماد الأول استهل كاملا بالثلاثاء من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٦م)

وفي عشاء ليلة السبت ثاني عشر الشهر عقد السيد عبد الرحيم بن محمد الحسني الشافعي ابن أخي قاضي البصرة السيد عبد الله في منزله، وهو قاعة الشريفة خزيمة بنت (٢) صاحب مكة السيد محمد بن بركات الحسني المطلة على الرواق الغربي من المسجد الحرام. وحضرها السيد ملك التجار وقاضي القضاة الحنفي والمالكي وجماعة من الفقهاء والملل العرب والعجم. وباشر ذلك قاضي القضاة الحنبلي عفيف(٣) الدين عبد الله بن عطية بن ظهيرة لكونها صغيرة، بكثير من الذهب والحرير الإبريسم(٤) على قاعدة بلادهم. وحضرت ذلك، ثم شرب الحاضرون سكراً مذاباً وطيبوا بالماورد والبخور، ودُعي في المجلس الشهابي أحمد الأحمدي المؤذن وقارئ المواليد ودعا للسيد ملك التجار لكونه كبير المجلس. وبعد الفراغ انفض الحاضرون.

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

(٢) بالأصل: بن .

(٣) كلمة تكررت بالأصل .

(٤) الإبريسم: نوع من أجود الحرير .

وفي صبح تاريخه [دعا] (١) قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف باكثير الشهابي الأحمدي فضربه على رجليه تأديباً له لدعائه للسيد ملك التجار وترك الدعاء له لكونه ناظر المسجد الحرام، وذلك ظلماً منه. فإن القاعدة حكم الناظر على من قرأ في المسجد الحرام أو دعا فيه لغيره من غير ذكره. فاحتسب عليه بالله تعالى، فبلغ السيد ملك التجار فطلبه إليه وأعطاه جوخة (٢) حمراء وشاشا وذهباً وأرسله لوزير الهند فأعطاه الآخر قماشا وذهبا وكذلك قاضي البصرة أحسن إليه. فكان ظاهرها نقمة وباطنها نعمة عليه، فإنه حصل له قريب مائة أشرفي فوقع لها موقعاً عنده لفقره، وانجبر خاطره بعد كسره. وأنكر الناس على القاضي فعله، وبالله المستعان. [وهذا من تهوراته](٣).

ثم إن العريس دخل على زوجته في جمعة تاريخه وعمل سماطا هائلاً جمع فيه بين أطعمة العرب والعجم وكثيراً من الحلويات وحضرها جماعة من الأعيان وغيرهم وأهل العريس وعمه كذلك، كان الله في عونه وأخلف عليه وجعله مباركاً ميموناً عليهما ووفق بينهما.

وفي ليلة الجمعة رابع عشر الشهر حصل لمكة مطر غزير عم جميع النواحي وتتابع غالب الجمعة وطاح فيه بعض بيوتها ومنها صفّة مجلس بيتنا وذلك في ليلة الأحد خامس عشريْ الشهر.

[١٦٠ ب] وكان في هذه الجمعة طلب الوزير آصف مني استبدال **جامع الأصول** للحافظ أبي السعادات ابن الأثير بمبلغ مائة أشرفي ذهباً عنها أربعمائة أشرفي

(١) كلمة يقتضيها معنى الجملة .

(٢) بالأصل: خوخة، وهو خطأ صوابه جوخة. والجوخ: نوع من القماش كان يستورد من بلاد الإفرنج اشتهر أمره في بلاد المشرق خلال القرن الثامن الهجري وبعده. ذكره المقريزي في كتابه الخطط. وقطعة القماش من الجوخ تسمى الجوخة. أنظرْ دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب ص ١٢٧ – ١٣١،
Dozy : Supplément ... I : 230

(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

على قاعدة مذهب الحنفية في عدم صحة وقف المنقول. فامتنعتُ منه وكتبتُ فتوى لأجل ذلك وأريتُها له. بل عملت مؤلفا لطيفاً سميّته **الإسعاف، في حماية كتب الأوقاف** أطلعته عليه فترك ذلك. فوقاني الله وأولادي الحماية في سقوط المنزل هنالك. ثم إنه أحسن إليّ وإلى أخي في زواج أولادنا، جزاه الله خيراً وكثّر من أمثاله.

وفي يوم الأربعاء سلخ الشهر وصل قاصد من مصر وصحبته أوراق من أمينها جانم الحمزاوي لأخيه الأمير شرف الدين يحيى بمكة، وفيها الإخبار بوصوله من الروم صحبة نائبها سليمان باشا الخصي الرومي، وفرح الناس بذلك.

شهر جماد الثاني استهل كاملاً بالخميس من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٦م)

وفيه أوصى السيد علاء الدين ملك التجار بوصية حافلة حضرها وزير الهند آصف خان والأمير شرف الدين يحيى الحمزاوي أخي أمين القاهرة الأمير جانم والسيد محمد الحكيم صهر الشريف منصور العجمي. وأخبر الموصي السيد تاج الدين والشيخ ولي الدين أبا (١) زرعة بن علي المنوفي أحد العدول والشيخ علم الدين العباسي المؤرخ وغيرهم من جماعته.

فكان مما أوصى به لتجهيز نفسه بعشرة آلاف أشرفي ولعمته مثلها ولعبده خليفة مثلها ولخسروه (٢) مثلها، ولأهل الحرمين عشرون ألف أشرفي ولصاحب مكة السيد أبي نمي عشرة آلاف ولأخيه السيد أبي القاسم وولده أحمد عشرة آلاف، وأعتق جملة من عبيده وكمّل لهم تكملة مائة أشرفي. وأوقف كتبه وجعلها تحت نظر

(١) بالأصل: أبو .
(٢) بالأصل: لقصروه .

الشيخ محمد الحطاب. [و لم يصح شيء من ذلك فيما بعد](١).

وأشيع أنّ باقي ماله نصفه للخنكار ونصفه لولده السيد محمود وجعل صاحب مكة وصياً عليه، ثم إنه غلب عليه، ومات في مغرب الجمعة ثاني الشهر. فسمع الأروام بموته فاهتموا بختم منزله وتسمير أبوابه، فبكوا عليه وقام النكير عليهم في ذلك. فسمع جماعة الشريف أبي نمي بذلك وهو غائب عن مكة ففتحوا لهم باباً واحداً حتى جهّز في ليلته وصلّي عليه صبح تاريخه عند باب الكعبة و لم يناد له الريّس فوق ظلة زمزم خبثاً وحسداً لقلة إحسانه إليه. ويقال بمباطنة قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف باكثير وأنه هو الذي حضّ الأروام على ختم منزله مع وصيته واستيفاء ورثته. ثم دفن بالمعلاة بالشعب الأقصى عند زوجته.... (٢) خديجة جوار السيدة خديجة الكبرى زوجة النبي ﷺ .

وفي عصر يوم الجمعة سادس عشر الشهر عقدت بابنتي البكر سيدة الكل أم محمد آسية على ابن عمها الفقيه الفاضل الأصيل وجيه الدين عبد الرحمن ابن شقيقي المقرئ الصوفي محيي الدين عبد القادر بن فهد الهاشمي المكي الشافعي – أعزهما الله تعالى وجبرهما – وسط الحِجْر الشريف. وحضره جماعة من الفقهاء أهل القدر المنيف منهم: شيخ الحجبة الشرفي أبو القاسم الشافعي ومفتي المالكية الشيخ محمد الحطاب وأولاده وقاضي المسلمين قوام الدين ابن الضياء الحنفي [١٦١ أ] والمفتي برهان الدين إبراهيم القدسي وإمام الشافعية نور الدين أبو اليمن الطبري وجماعة من أقاربنا وأخوالها المراشدة وأصحابنا. وكنت المباشر لعقدها بنفسي في خطبة جمعتها ضمّنتها خطبة النبي ﷺ لابنته السيدة فاطمة الزهراء على ابن عمها الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وجعلت عقدهما على مائة مثقال ذهبا حالة لها. يسّرها

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .

الله على بعلها. وكان بهجا مأنوساً وفيه البخور والماورد. وهنأني الناس به. جعله الله مباركاً.

وفي ليلة السبت كانت الغمرة واجتمع فيها النساء بالفازة التي جعلتها نحو بئر منزلنا وحصل اللصق على مغاني النساء .

وفي سابع عشر الشهر نصّتْ العروس على بعلها بالمغاني والنقارة، وكانت ساعة بهجة جعلها الله مقرونة بالسعد والبركة بجاه سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين.

وفي يوم الإثنين تاسع عشر الشهر عملتُ لها وليمتها في منزل سلفي حضرها الأعيان من قضاة البلد وأرباب الوظائف من الفضلاء والفقهاء وبعض العوام والفقراء. واشتملت على أطعمة مفتخرة نحو العشرة فيها الرزان والمأمونية والمشورات والرومية، وقدمتُ منها مائدة لوزير الهند تعظيما له، فأعجبه.

وفي ليلة الثلاثاء عشري الشهر دخلتْ البنت على ابن عمها وهنأنا الناس في صباحها وقدم لهم المعمول والطيب كعادة أهل البلد سبعة أيام. وفي يوم سابعها عمل الأخ وليمة لولده تجمّل فيها للرجال والنساء. فالله تعالى يخلف عليه وعلينا ويجعله مباركاً ميموناً لكل منّا، إن شاء الله تعالى.

وفي صباح دخولها عشريْ الشهر وصل قاصد من مصر للأمير يحيى الحمزاوي بأوراق من أخيه الأمين جانم الحمزاوي وإخباره بوصوله إلى القاهرة صحبة نائبها الباشا سليمان الخصي الرومي في.... [1] وفرح الناس بذلك وكذا صاحب مكة.

شهر رجب الفرد استهل ناقصا بالجمعة من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٦م)

وفي ليلة الجمعة ثامن الشهر انتقلت ابنتي سيدة الكل إلى بيت عمّها مع

(١) بياض بمقدار ثلاثة كلمات .

زوجها وعمل لها حلوى للنساء تجمّل فيها. جمّله الله تعالى وأعانه.

وفي صباحها مات الشهابي ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد المرشدي الحنفي.

وفي ليلة السبت تاسع الشهر مات الشيخ عبد المعطي بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الصوفي المنوفي الأصل نزيل مكة بعد وجعه مدة طويلة وكان قلقا ولم يُوصِ، وجهّز في ليلته وصلّي عليه صبح تاريخه ودفن بالمعلاة في الشعب الأقصى بتربة شيخنا عبد الله باكثير وجُعل عليه تابوت [1] كصاحب التربة والشيخ محمد بن عراق مجاورها.

وخلف ثلاثة ذكور وثلاث صبيات، أربعة أمهم ابنة عبد الكبير الحضرمي وصبي وبنت من مصرية وجارية حبشية حاملة منه. وله عدة أملاك بمكة والأودية ومرتبات كثيرة في الجوالي والرومية جعلها باسم أولاده وديون عند جماعة من الأشراف بني حسن وغيرهم من الأقوياء ولم يظهر له نقد واستولى على تركته ولده الكبير.

[١٦١ ب] وفي ليلة الأحد عاشر الشهر وصل لمكة صاحبها السيد أبو نمي ونوى الجهاز إلى اليمن لمحاربة صاحب جازان وجمع آلات الحرب له.

وتخاصم الشيبيون سدنة البيت الشريف مع قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف باكثير من جهة صدقة قماش وصلت لمكة، قال: هو لأهل الحرم وادعوا أنها لبني شيبة، فساعدهم الشريف في أخذها بعد أن أسمعوه المكروه وأخذوها على رغمه. [لعدم اعتبار الشريف له][2].

وفي ليلة الجمعة خامس عشر الشهر سافرت قافلة المدينة الشريفة وفيها جماعة

(١) بالأصل: تابوتا .

(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

من الأعيان وغيرهم.

وفي صبح يوم الجمعة خامس عشر الشهر مات الإمام الأصيل زين الدين عبد المعطي بن مكرم ابن قاضي القضاة المحبي محمد الطبري المكي الشافعي. وكان وجعه نحو جمعة من سقطة برجله وأوصى لأولاده الستة بنقد أطلعهم عليه ولم يضن به، بعضه ورثه من أمه والباقي حصله بجهده. وجهّز في يومه وصلّى عليه في ظهر يوم الجمعة في مقام الخليل - كعادة أئمة الشافعية - أخوه شرف الدين يحيى ودفن على أبيه بتربة سلفه، وذُكر بخير لتقشفه وانجماعه. وخلّف أربعة ذكور وابنتين جبرهم الله تعالى.

شهر شعبان المبارك استهل ناقصاً أيضاً بالسبت
من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٧م)

وفي ظهر يوم الجمعة سابع الشهر ختن الوزير الأعظم عز الدين عبد العزيز آصف خان - شيّد الله له الأركان - ولده المراهق محمد واسمه قطب خان وولده الثاني عمره سنة، وحضره قاضيا القضاة البرهاني بن ظهيرة الشافعي المفصول والمالكي التاجي عبد الوهاب بن يعقوب وجماعتهما، ولم يسمع غيرهما لخفية ذلك في منزل الوزير والدهما.

وفي يوم الخميس ثالث عشر الشهر عمل الوزير وليمة حسنة دعا فيها قضاة مكة من المتولين والمفصولين وأرباب الوظائف والمشائخ والعلماء والفضلاء من العرب والعجم، وباشر فيها أكابر جماعته لخدمته وهو حاضر. وعمل فيها أطعمة كثيرة وغيرها من الحلوى والسكر المذاب والماورد والبخور مما ابتهج به الحاضرون وصاحب الوليمة .

وفي يوم الجمعة رابع عشر الشهر وصلتْ قافلة المدينة الشريفة [1].

وفي يوم الأحد سادس عشر الشهر وصل قاصد من جدة بأوراق وصلت من جهة اليمن فيها الإخبار بعوْد سلطان الهند بهادر شاه إلى تخت ملكه وأن المغل تركها وعاد لبلده. فانشرح الوزير بذلك، ثم تتابع الخبر هنالك، كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وفي مغرب ليلة الجمعة خامس عشر الشهر.... [2] رؤساء لزمزم.... [3] علو قبّة زمزم وجمعوا قضاة مكة الأربعة وبعض الفقهاء لعمل عقد أصغرهما المسمى عبد السلام بن أبي بكر بن عبد الله رئيس المؤذنين بالمسجد الحرام على ابنة الشيخ أيوب عبد السلام الأزهري القاهري الشافعي بحضرة أخيها المحبي محمد ولم يحضر أخوها الثاني لعدم رضاه به. وباشر العقد بها الشافعي أولاً وأوجب القبول أخوها وثبت ذلك عند الحنفي لعدم رضى أخيها[4] الثاني، وذلك لجرأة الزوج وأخيها الثاني في أفعالهما وكثرة شرورهما. حمانا الله منهما.

وكان اتفق في ليلة الأحد تاسع الشهر أنه مات الوزير بمكة الكمالي أبو الفضل محمد بن أبي علي المكي بعد وجعه مدة طويلة برياح وفتق كان به طال ألمُه به، وأراد الوصية ببعض الخيرات بترك بعض ديونه فما مكنه أخوه الجمالي محمد وولده الزيني عبيد، ومنعوا كثيراً من الناس لزيارته [١٦٢ أ] وصار يُغْفي ساعة ويفيق أخرى حتى قُبض، وجهّز في ليلته وصلّي عليه صبح تاريخه وشيعه جماعة من الأعيان وغيرهم ودفن بالمعلاة قريب الشيخ علي الشولي والجنيد وغيرهما.

وفي يوم الجمعة رابع عشر الشهر عملّ له ولده ختما بالمعلاة وبنى عليه تربة دائرة.

(١) ورد هذا الخبر متأخرًا عن محله في المخطوط وعليه علامة « م » وهي للدلالة على وجوب تقديمه على الخبر السابق له، ولذلك قدمناه .

(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل، تليه كلمة غير واضحة .

(٤) بالأصل: أخوها .

شهر رمضان المعظم استهل كاملاً بالإثنين من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٧م)

في أوله اهتم صاحب مكة السيد أبو نمي بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني في جمع العساكر من أهل ينبع والصفراوات والأودية والطائف وغيرهم وعرض لهم في فريقه قريب ساحل جدة في جهة اليمن. ويقال بلغ عدة خيلهم سبعمائة فرس منها ثلاثمائة للأشراف وبني حسن جماعته، ومن الرجل نحو ثلاثة آلاف غير الخيل والرجل في جهة اليمن على نية غزو أهل جازان وأميرها الشريف عامر بن العزيز يوسف ابن أبي الغوائر أحمد بن حريب بن خالد بن قطب الدين الحسني السليماني لما وقع بينهما من الكلام، وكثرة الملام. فالله تعالى يصلح أحوالهما.

وفي صبح يوم الأحد سابع الشهر وصل لمكة صاحبها السيد أبو نمي الحسني – أيده الله تعالى – فهرع الناس من الأعيان وأرباب الوظائف للسلام عليه، منهم وزير الهند آصف خان، وأقام بمكة يومين.

وفي مغرب ليلة الثلاثاء ثالث وصوله دخل إلى المطاف الشريف وطاف به طواف الوداع ونادى له الرئيس أبو عبد الله فوق ظلة زمزم بالدعاء في كل شوط بالنصر والظفر والتمكين، وعوده إلى بلد الله الأمين. وضجّ الطائفون له بالدعاء أيضاً. فالله يجعلها ساعة إجابة لهم.

ثم إنه صلّى خلف المقام ووسط الحجر الشريف ودعا الله تعالى وخرج من باب حزورة إلى جهة درب اليمن مقتدياً في ذلك بجده المصطفى ﷺ، وخرج معه القاضيان الشافعي المفصول البرهاني إبراهيم بن ظهيرة والمالكي المتولي التاجي بن يعقوب وعادا من جهة بركة الماجن. كتب الله سلامته وبلّغه مقصده.

وفي عصر يوم الجمعة خامس الشهر وصل لمكة الزيني محمود ابن الأمير شرف الدين الحمزاوي وصحبته جارنا الشيخ برهان الدين إبراهيم بن علي بن إبراهيم القدسي الحنفي والشيخ علم الدين.... [١] العباسي الشافعي نزيلا مكة على هُجنٍ من المدينة الشريفة ولهم عنها عشرة وتركوا والد أولهم بها لعمارة منزل له فيها ويعود لمكة بعد الفطر لكون عياله بمكة.

وفي ظهر يوم الجمعة ثاني عشر الشهر شرع الشيخ العلامة مفتي المسلمين شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد [٢] الهيتمي الشافعي الشهير بابن حجر نزيل مكة في قراءة كتاب **الشفاء** للقاضي عياض في حضرة وزير الهند الأعظم آصف خان، عظم الله له الشان، وذلك بمنزل سكنه بسؤاله له عقب سؤال صاحبنا العلامة الزاهد مفتي المالكية جمال الدين محمد الحطاب الطرابلسي المغربي – نفع الله به – ووافقه.... [٣] فقدّر الله تعالى حصول الفرج في رابع يوم قراءته يوم الإثنين خامس عشر الشهر بوصول قاصد من الهند في غراب لشخص يقال له رومي خان ونزل من جهة اليمن واسمه خوجكي محمد الشرواني وذلك وقت الضحى بغتة فوقعت[٤] له فرحة عند الوزير وجماعته الهنود ودقت الطبول والنفوط والطبلخانة والمغاني وهرع الأعيان [١٦٢ ب] وغيرهم لتهنئته، فأظهر الفرح والسرور وخلع على الواصل خلعة قفطان أخضر مدنّر وأعطاه قرْصا من الذهب يُقال زنته مائتين وخمسين مثقالاً بألف دينار وعشر شاشات ومثلها بيارم ثمنها مع ثمن الخلعة نحو خمسمائة دينار.

ووصل مع القاصد عدة مطالعات من التجار الواصلين من الهند والمقيمين بها فيها أخبار السلطان مفصلة، منها أن سلطان المغل محمد همايون ترك الهند وتوجّه

(١) بياض بمقدار ثلاث كلمات بالأصل .
(٢) بياض بمقدار ثلاث كلمات أكملناها اعتمادًا على مصادر ترجمته، كما كان يُعرف باسم ابن حجر المكي .
(٣) كلمتان غير مقروءتين بالأصل .
(٤) بالأصل: فوقع .

إلى جهة مملكته لشدة الغلاء بها، وأن السلطان بهادر شاه حادت بعض جماعته الذين تركهم في مملكته مرة بعد أخرى وأنه ظفر ببعض خزانته من المال والأنقال.

ووصلتني ورقة من صاحبنا الأصيل الجليل الشهابي أحمد بن محمد الجزولي المكي وهو ببلاد الديو مؤرخة بنصف رجب ومضمونها أن الهند حصل فيها غلاء ما شوهد أصلا، وصلت المائة البر والأرز عشر تنكات و لم تُلق – يعني الكيلة – بثمانية محلقة كبار، والذرة بثماني تنكات والكسري كذلك، لكن الآن نزل النصف وأزيد شوية والسمن السير[1] عن ثمانية أواق بخمسة تنكات، والسليط السير بأربع تنكات والقماش الذي كان.... [2] بتنكة صار بأربعة والقماش السواد كذلك وكل شيء تغير، فسبحان من يغيّر ولا يتغيّر. والمعاملة الذهب والفضة زاد سعرها عن العام الثلث والسلطان بهادر ماله مستقر في مكان، عزم إلى جهة الرابوت – يعني الكفار من رعيته – لكونهم خذلوه في حرب عدوه، وأن الظلم زاد في المعشرات وغيره، ولا عند السلطان وزير فيه الخير والمعروف ولا يقدر أحد يشير على السلطان بشَوْر، والفرنج المخذولون [3] تمكنوا من البلاد وبنوا لهم فيها حصاراً كبيراً على رأس الخور، ولا يقدر أحد أن يدخل ولا يخرج ولا يسافر إلى مكان إلاّ برضاهم وبخطهم، فالله تعالى يخرجنا منها سالمين.

وقد مات تاجر كبير رومي اسمه بخشي وخلّف مالاً كبيراً أوصى به للحرمين الشريفين وعمل عليه وكيلاً، وماله محبّر في الديوان والوكيل عزم وراء السلطان ولا ثم وكيل لأهل الحرمين، وصار المال مأكلة للظلّمة وغيرهم.

والذي واصل إلى جدة من المراكب خمسة: محمود شاه للسلطان، ومركب

(١) كذا بالأصل، وقد تكررت الكلمة ولعلها وحدة من المكاييل والموازين بالهند تساوي ثمانية أواق .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) بالأصل: المخذولين .

الخواجا محمد علي شاه بندر البلاد وكلمته مسموعة عند الديوان، وغراب وصل فيه وزير تركي من أهل الدكن اسمه حرسة خان، وبابه[1] مصطفى الرومي، وغراب رومي خان الذي وصلت فيه هذه الأوراق إليكم.

والقماش قليل ولا هو مليح. وتعيّن إلى المخا نحو عشرين مركباً غالب شحنتها قطن و.... [2] أبيض كاسر خفيف خرج الحبشة وتقرب إلى زيلع خمسة مراكب وإلى دهلك مركبان وإلى جازان مركبان [3] أحدهما لطيف لرجل شامي اسمه محمد بن الحلواني، وقال صاحبه: نصف المركب نذر لأهل الحرمين، والواصلون يعرفونكم [4] بالأمور مفصّلة. انتهى ملخصا.

وقال الواصلون: إنّ المغل توجّهوا من كنباية وأعمالها في شهر المحرم أول السنة وأن السلطان بهادر قاتل بعض نوابه المقيمين في بلاده واستولى عليها وظفر ببعض أمواله. فالله تعالى ينصره.

واتفق لوزيره آصف خان – عُظّم له الشان – أنه لما بلغه خبر ظفر سلطانه وعوده إلى بعض بلدانه أظهر الفرح والسرور وأمر بشراء جميع ما في الأسواق والمسعى من المأكولات [١٦٣ أ] والحلوى بمبلغ كبير – يقال نحو سبعمائة أشرفي– وتوجّه بعد صلاة العصر إلى التنعيم في.... [5] مع جماعة من أتباعه واعتمر منها وعاد بعد المغرب وطاف وسعى وفرّق جميع المأكولات على من حضر بمجلسه من أتباعه بكامل الجمال حتى أذهبها شذر مذر، ولم يأخذها الفقراء بل الأغنياء. وذكر أن فعل ذلك عادة لأهل الهند عند نصرة السلطان على عدوه.

(١) وردت الكلمة غير معجمة بالأصل .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) بالأصل: مركبين .
(٤) بالأصل: يعرفوكم .
(٥) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

في ضحى يوم الثلاثاء سابع عشر الشهر ثاني التاريخ الماضي وصل لمكة قُصّاد من القاهرة فيهم القائد صبح الحبشي فتى السيد عرار بن عجل الحسني صهر صاحب مكة الشريف أبي نمي، وفرحات الرومي مملوك نائب مصر الجديد سليمان باشا الخصي الرومي، وقحماش مملوك الأمير جانم الحمزاوي وغيرهم، وصحبتهم عدة مراسيم ويقال عشر خلَع منها ستة لمكة وأربعة في غيرها من البلدان.

فالذي لمكة لصاحبها وولده ونائب جدة ولوزير الهند آصف خان ولابن ملك التجار والسيد محمود ابن أخي[1] الحمزاوي. والباقي لصاحب زبيد وجازان والشحر وعدن. فتوجّه القُصّاد إلى منزل صاحب مكة لمواجهة ولده السيد أحمد فسلموا عليه، ثم بعده قصدوا وزير الهند ثم ولد ملك التجار ثم الزيني محمود ابن الأمير جانم الحمزاوي لغيبة أبيه بالمدينة. ثم توجّهوا لسكنهم في مدرسة الأشرف قايتباي المجاورة لباب السلام والمسجد الحرام.

ثم أعطوا الناس عدة أوراق وفيها الإخبار بوصول نائب مصر الباشا سليمان إليها وصحبته الأمير جانم الحمزاوي في سابع عشر شهر رجب وأنهم مقيمون بها نحو الشهرين على نية جهاز المراكب والعسكر إلى الهند لنصرة السلطان بهادر شاه كما رسم به الخنكار سليمان خان ابن عثمان، أدام الله نصره وعزه، ونية الأمير جانم الحمزاوي يتوجّه فيها مع العساكر المنصورة. وأن السلطان أمر بولاية قاضي عسكر رومي اسمه مصطفى قاضي حلب كان لبلاد مكة وأن قاضي مصر أحمد جلبي عُين للمدينة الشريفة وعزل قضاة الحرمين من العرب.

فكثرتْ القالات من المغرضين، ولم يتأمّلوا عاقبة الضررين. ولم يمتنع الحكام من مباشرة الأحكام لعدم صحة هذه الأخبار وأضرابها عند إشاعتها. والله أعلم

(١) بالأصل: ولابن ملك التجار السيد محمود ولأخي الحمزاوي. وتمّ التصويب اعتمادا على ما سيرد في نفس الفقرة .

بحقيقتها.

وأخبر القُصّاد بوصول عمدة الملك الهندي إلى بلاد إسطنبول قبل خروج سليمان باشا منها بيوم واحد وأنه واجهَ الخنكار وأنعم عليه بالإنعام، وهو يصل مع الحاج المصري، إن شاء الله.

وأعطى القصّاد الوزير آصف خان مرسومه وخلْعته الواصلتين صحبتهما، وأرسلوا لصاحب مكة الشريف أبو نمي يخبرونه[1] بوصولهم ليعود إليهم حتى يسمع المراسيم ويلبس خلعته فوجدوه أبعد عن مكة إلى جهة حلي فما أمكنهم إلاّ التوجّه إليه في أواخر شهر رمضان.

وفي العشرين منه وصلت الوزير آصف خان عدة مطالعات من إخوانه وأهله يخبرونه بحالهم وما جرى لهم بعده، ومنها وفاة أخيه الصغير من أبيه واسمه عبد الحي، فتشوّش لذلك وظهر عليه الحزن واستشار بعض الخواص في إظهار ذلك أو كتمانه وإظهار السرور بخبر نصرة سلطانه. ثم جاءته[2] ورقة منه وعليها خطه ويقال له ....[3] وعرفه فيها بخبره[4] وما اتفق له [١٦٣ ب] فأظهر السرور وهنّأه الأكابر بذلك، فالله تعالى يبلغه كل خير هنالك بمحمد وآله أمين.

واتفق في آخر الشهر انقطاع الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر المصري الشافعي بالحمّى الباطنية وتحريك دموية ترك من أجلها قراءة **الشفاء** في بيت الوزير بعد قراء ته لنحو ثلاثة أرباعه ثم إنه أرسل له بكسوة صوف وشاشين وبيرم وقطعة ذهب يُقال وزنها خمسة وعشرون مثقالاً ونصف من عود وصفريتين[5] ماء ورد

(١) بالأصل: يخبروه .
(٢) بالأصل: جاءه .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٤) بالأصل: بخبر .
(٥) الصفرية: وعاء .

وأمر بختم **الشفاء** في منزله، فقرأ ورقة من آخره وختمه.

وسبب وجعه كثرة اجتهاده في إلقاء الدروس ليلاً ونهاراً في المسجد الحرام واجتماع العامة عليه، وصار له شهرة أدى ضررها إليه.

واتفق لي أنني ختمت قبله قراءة **صحيح البخاري** لسلطان الهند بهادر شاه – بلغه الله مناه – وذلك بالمسجد الحرام (1) حضره جماعة من المشائخ والفضلاء الأعلام وجعلتُ فيه البخور والماورد والريحان، وأرسلتُ ببعض الطيب للوزير، فأثابني على ذلك بمبلغ يسير أشرك معي أخي في خمسة وعشرين مثقالاً ذهباً، وذلك بواسطة محاضر السوء جازاهم الله تعالى على فعلهم. مع أن الوزير المشار إليه قسم على خاتمة رمضان مبرة على جماعة مخصوصين من خمسة وعشرين مثقالاً إلى خمسة مثاقيل، وكان عيّن كثيراً من الناس كالقضاة المتولين والمفصولين وغيرهم من أرباب الوظائف ثم تركهم لأجل كثرة الخلاف من محاضر السوء. لا كثّر الله منهم ولا طرح في حياتهم البركة.

وفي العشر الأخير من رمضان سافر من مكة نائب جدة المفصول سليمان الرومي إلى جهة مصر لطلب نائبها له وأمر نائب جدة الجديد مصطفى بإبطال دق الطبول على جبل أبي قبيس لدفع الضرر على الطائفين فسمع ذلك السيد أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي فقال: هذه عادة لصاحب مكة خدمة له وللعيد ولا يمكن إبطالها في [غياب] (2) والدي، وفيها فأل عليه، فشُكر على قوله، وفيها إحياء لشعار عيد المسلمين على عادة الأقدمين. بل هي سنة كما ورد في الأحاديث بلعب الحبشة في المسجد النبوي، وكانت زوجته السيدة عائشة ابنة الصديق تنظرهم من شق الباب وخدها على خد النبي ﷺ وبقوله ﷺ

(1) لم يذكر المؤلف، هل قرأ صحيح البخاري بطلب من سلطان الهند أو وزيره، أو قام بذلك من تلقاء نفسه .

(2) بياض بمقدار كلمة بالأصل، وما بين عاقفتين مقترح .

للصديق لما نهى الجواري عن لعبهن بالدفوف في منزله : دعهن هذا عيدنا أهل الإسلام(1) ، إلى غير ذلك من الأحاديث .

شهر شوال المبارك استهل ناقصاً بالثلاثاء، رُئي قبل أذان المغرب من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٧م)

وكان الجو صاحياً وكبّر العدول الذين أرسلهم قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف باكثير من علو جبل أبي قبيس قبل صلاة المغرب، ثم كبّر الريس علو زمزم بعد صلاتها وضج الناس بالتكبير والتهليل وكانت ساعة بهجة وليلة نيّرة.

وفي صباحها صلّى بالناس صلاة العيد الخطيب عبد القادر العراقي المدعو محيي الدين الحمصاني وخطب خطبة طويلة شحنها بكثير من الأحاديث والمواعظ التي لم يقع لها موقع في القلوب، وطوّل فيها حتى آذى الناس بحر الشمس و شكوه إلى علام الغيوب. و لم يلتفت لملل الناس وضررهم ولقوله ﷺ لمعاذ ﵁ : { أفتّان أنتَ يا معاذ [١٦٤ أ] تجاوز بالناس فإن فيهم الضعيف والمسكين وذا الحاجة } (2).

وكنتُ أنا وكثير من الناس ممن ناله الضرر بحصر البول ونويت القيام في أثناء الخطبة، وأقول ما وقع لي مسلسلاً في حديث يوم العيد { من أراد أن يسمع الخطبة فليسمع، ومن أراد أن ينصرف فلينصرف }. فإن هذه الخطبة بدعة لطولها، وتركتُ ذلك خوفاً من السمعة أو لبلاغ النفس حظها لما بيني وبينه من الفتنة. فالله تعالى ينظر إلى جيران بيت الله الأمين، ويُرحّل عنهم المفسدين، بمحمد وآله آمين.

وفي ضحى يوم الخميس ثالث الشهر وَلد الولد شرف الدين يحيى بن أبي بكر

(1) رواه بالمعنى الغزالي في الإحياء، المجلد الثاني، كتاب آداب السماع والوجد، الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه.

(2) المصدر السابق ١: ١٧٦ .

ابن الجمالي يوسف بن يحيى ابن.... [1] الشهير بابن المكي رأس المباشرين بالقاهرة كان والمقيم بمكة الآن، وأمه المرأة الجليلة فاطمة ابنة الخواجا شرف الدين يحيى بن علي المصري الأصل المكي ويعرف بالمغربي – ولم تلد غيره – وفرح لها أصحابها، وعملت لها سابعاً بجمع النساء والولدان. فالله يحييه لها ويقرّ عينها وأبيه به.

وفي ليلة الأربعاء تاسع الشهر نُعي على إمام الشافعية لمقام الخليل بمكة البهية العلامة الجليل أبي الفداء إسماعيل ابن الإمام أبي السعادات الطبري المكي بها، وأخذ العزاء فيه. وكان في أول السنة توجّه إلى صنعاء اليمن لمواجهة إمام الزيدية بها سلطانها فخر الدين بن شرف الدين بن يحيى الحسني فواجهه فيها مرة واحدة وأهدى له هدية فاخرة مع قصيدة مدحه بها في الثلث الأول من شهر رجب، ونزل من عنده وانقطع بمنزله نحو جمعة ومات في ثامن عشر رجب المذكور – يقال مسموماً – وهذا معتقد الزيدية في إباحة دم الشافعية، ولو سلِم منه وعاد إلى وطنه كان خلاف معتقده، لكن الأعمار مساق إلى التربة والأقدار، وصار بعض الناس ينكر حدوث وفاته، وتحدثوا بحياته، حتى جاءت الأوراق بصحتها وأن جماعة إمام الزيدية أخذوا بعض مخلفه وتركوا نصفه عند وصيّه الشرفي يحيى الصنعاني سبط جوهر عتيق ابن الزمن المكي.

وخلف الإمام الطبري بمكة زوجة وذكراً وثلاث بنات صغار، جبرهم الله تعالى ورحمه وإيانا.

وفي ضحى يوم الأحد عشريْ الشهر شرع قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف ابن أبي كثير الكندي في تفرقة حب الصدقة الخنكارية العثمانية، على أهل مكة البهية، وحضر معه القضاة الثلاثة في وكالة الأشرف قايتباي جهة المدعى على عادتها. وكثُر فيها من الأسماء والمباشرين زيادة على مألوفها. وسمعت أنه بلغ عدد

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

الأسماء ستة وثلاثين [1] ألف نفس بزيادة نحو العشرة. وإذا حقّقتَ وجدتَ مأكلة للمتقدمين، فالله تعالى لا يصلح عمل المفسدين، وجعل لكل نفر كيلة ونصف بل أقل ويأخذ القضاة وأهل الجاه بالأرادب.

واتفق لي أني طلبتُ ما يخصني وبعض جيراني وأقاربي فدخل إلى منزلي ثلاث حصص ظهر لي فيها غرض أهل القسمة في الرياء، فإنه لي اثنا عشر قسماً جعلتُ عشرة على قدر عيالي بلا زيادة، ولوالدة الشيخ – شيخ الشافعية – أبي الحسن البكري ستة أسماء وهي بمفردها، وللشيخ إبراهيم الحنفي عشرة أسماء وهو في نصفها. فعلمتُ الخيانة وغرض المقدمين في القسمة. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

واستمرت القسمة إلى نحو ثلاث جُمَع إلى وقت سفر قاضي الشافعية لجدة وحدثت [2] فيها حوادث من الشرور، وبهدلة أهل الظهور. كفانا الله وجميع المسلمين شر المؤذين.

[١٦٤ ب] وفي آخر شهر تاريخه وصل قاصد من جهة اليمن أرسله صاحب مكة السيد أبو [3] نمي محمد بن بركات الحسني ومعه عدة أوراق لقاضي الشافعية المفصول البرهاني بن ظهيرة وقاضي المالكية القاضي ابن يعقوب ووزير الهند آصف خان وغيرهم من الأعيان: فيها إخبار الشريف بأنه دخل إلى حلي في رابع عشر تاريخه وعرض فيها بعسكره عرضة حسنة، بلغتْ عدة خيْله ستمائة ورجله سبعة آلاف وأنه أرسل قصاد الخنكار إلى جهة اليمن من البحر لما أُمِروا به، وقصد الشريف التوجّه لمحاربة خصمه صاحب جازان. فالله تعالى يشيد أركانه ويصلح أحوال المسلمين، ويرده إلى بلد الله الأمين.

(١) بالأصل: ثلاثون.
(٢) بالأصل: وحدث.
(٣) بالأصل: أبي.

شهر ذي القعدة الحرام استهل كاملا بالخميس
من سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٧م)

في عصر يوم السبت عاشر الشهر سافر لجدة قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف بن أبي كثير.

وفي هذه الجمعة أشيعت (١) وفاة سلطان الهند بهادر شاه ابن مظفر شاه ابن محمود شاه الملك الكجراتي، فتشوش وزيره آصف خان وتنبّه لنفسه بردّ الكتب التي استعارها من الناس أو ساوم في بيعها وبعضها مني. وأن السلطان أذن له في ذلك مع التصرف في النفقات وإيصال المبرّات لمستحقيها وذلك بشهادة شيخه ميا عمر والخواجا خليل القيلاني أمين المبرة الهندية وغيرهما.

واستبطأ التجار وصول المراكب من الديو فقدر (٢) الله تعالى أن في يوم الإثنين ثاني عشر الشهر وصل بعض الهنود من البر من جهة اليمن وأخبر أنه نزل من مركب شاه بندر محمد علي وهو قريب جدة وواجه الوزير آصف خان وحقّق له قتل سلطانه في ثالث شهر رمضان وذلك من الفرنج المخذولين في الديو. وكان توجّه إليهم في غراب وصحبته نحو عشرة أنفس من جماعته مستهوناً بأمره، فطلع إلى مركب قبطانهم فسلم عليه ونزل من عنده ليتوجّه إلى محله فطلبه قبطان ثان ليطلع إلى كوتهم (٣) محل حصنهم فامتنع من ذلك فرطنوا لجماعتهم بالقبض عليه ففطن لهم فسلّ سيفه وقتل كبيرهم فسطا عليه باقيهم مع كثرتهم وقلة مَن معه فقُتل

(١) بالأصل: أشيع .
(٢) بالأصل: فقد .
(٣) كذا بالأصل .

بارداً(١) ورفقائه من المسلمين، وصار ذلك ثلمة في الدين.

فأمره الوزير بكتم ذلك فلم يكتم وصار أهل مكة في هرج ومرج وبعضهم يصدق ذلك وبعضهم يكذبه حتى وصل سليمان الرومي نائب جدة في ليلة الثلاثاء ثالث عشر الشهر وذهبوا في صباحه لتعزية الوزير، فانتشر الخبر وأشيع أن النائب قصْده الختم على تعلّق السلطان بهادر شاه في حواصلها، فامتنع وزيره من فعل ذلك.

وفي ضحى يوم الأربعاء رابع عشر الشهر طلب نائب جدة القضاة الأربعة الحنفي والمالكي والحنبلي وأخو القاضي الشافعي لغيبته بجدة وتوجّه إلى منزل الوزير آصف خان وتكلم معه في الختم على حواصل مال السلطان بهادر شاه، ويترك جماعة من الأروام يحرسونها حتى يصل خبر الخنكار سليمان خان ابن عثمان إليهم فيها.

فامتنع من ذلك ويقال إنه أغلظ له في المقال فقال له الوزير: خذ المال عندك ولا يجلس أحد من الأروام عند عيال السلطان بهادر شاه. ففرح بذلك النائب وأتى بجمال لحمله إلى سكنه في القصر علو باب إبراهيم. وعدة الصناديق مائتان وخمسون وهي في الأصل [١٦٥ أ] أزيَد. وقال الوزير إنه تصرف فيها بإذن السلطان من النفقة على عياله وعسكره والمرتبات لأهل الحرمين والهدايا للخنكار ونائب الديار المصرية من الصناديق مائة، وفي كل واحد منها ضبط ما فيه من النقد وغيره في ورقة. وكتب بذلك محضراً كتب القضاة خطوطهم فيه وأخذه الوزير عنده.

ونعى عيال السلطان بهادر عليه حينئذٍ وصار خبر موته عبرة، وعلى المساكين حسرة. ويقال إن نائب جدة لما نقل المال إلى منزله قبض الصناديق جميعها فجاء وزنها مائة وخمسة وعشرين قنطاراً، وأنه فتح بعضها فوجد فيها بعض سكة قديمة

(١) كذا بالأصل .

من زمن محمد بن قلاوون وغيره وبعضها مصاغ وبعضها سبائك من الذهب الخالص، ويقال في كل صندوق سبعة آلاف من الأشرفية كل ألف بأربعة آلاف فيكون جملة ذلك سبعة لكوك، فسبحان مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وفي عصر يوم السبت رابع عشري الشهر وصل لمكة قاصد من الديار المصرية وقصد منزل الأمير شرف الدين يحيى الحمزاوي أخي أمينها الأمير جانم ومعه مكاتبات له ولغيره. وذكر القاصد أنه فارق الحاج المصري من ينبع ودخل في عشريْ الشهر. وكان تأخر عن خروجهم منها بنصف شهر، وأخبر أن عمدة الملك الهندي قاصد وزير الروم توجّه لزيارة القدس وأن نيته العود مع الحاج الشامي، وأن الخنكار سليمان خان ابن عثمان أنعم عليه بعدة إنعامات ورسم بجملة من التحف والهدايا لمرسله الوزير آصف خان وسلطانهم بهادر شاه، ومن جملة ذلك من النقد والمماليك والقماش والعنبر ومن المأكولات، وأنه يصلهم ذلك في بحر الطور.

وفي الأوراق من الأمير جانم الحمزاوي لقاضي الشافعية المفصول البرهاني بن ظهيرة أنه لم يتحقق خبرها أشيع من جهة الروم إلى وقت تاريخه وهو سادس ذي القعدة وإن وصل شيء فيكون مع الحاج الشامي، وتعرفونا بذلك حتى نمشي لكم فيما يعود نفعه عليكم. فكثرت القالات فيما أشيع من جهة ولاية قاض رومي لمكة وعزل قضاتها الأربعة، وهو يولي من شاء على عادة المملكة الرومية بها وفي الديار الشامية والمصرية. والمستعان بالله تعالى.

وفي يوم الإثنين خامس عشري الشهر أحرمت الكعبة الشريفة على عادتها القديمة.

وفي صبح يوم الثلاثاء ثاني تاريخه وصل لمكة من الفريق ابن صاحبها السيد أحمد ابن السيد أبي نمي بن بركات الحسني وهو خليفة أبيه في إمرة مكة لغيبته عنها

في محاربته صاحب جازان. فتوجّه الأعيان للسلام عليه. ووصل يوم تاريخه خيل كثيرة من جهة الشرق مقدم عليها الشريف....[1] ابن شامان الحسيني خال السيد أبي نمي صاحب مكة، وعدّتها نحو مائة وسبعين فرساً.

وفي ضحى يوم الأربعاء سابع عشري الشهر عرض أهل مكة بالسلاح ثم بعدهم أهل جدة والحبوش وتوجّهوا إلى منزل صاحب مكة بأجياد على العادة.

وفي ظهر تاريخه وصل لمكة بعض الحاج ومعه جملة أوراق منها ورقة من شيخ الشافعية أبي الحسن ابن محمد ابن الشيخ جلال الدين محمد البكري – نفع الله به – لوالدته وفيها الإخبار [١٦٥ ب] بوصوله رفقة الحاج مع زوجتين له وولده وأخته وأولادها وجماعة من تلامذته ثم تتابع الحاج في تلك الليلة واليوم الموالي لها، قبلهم الله تعالى.

وفي صبح تاريخه دخل الشيخ أبو الحسن البكري وطاف وسعى و....[2] له منزلاً في مدرسة صاحب مكة السيد محمد بن بركات الحسني جد صاحبها الآن في الرواق اليماني من المسجد الحرام بين بابي أم هاني وحزورة، وفرحتْ به أمه وكانت مجاورة بمكة بمنزلي وهنّأني الناس بقدومه. فأظهر من العظمة أزيد مما كان قبل تاريخه وذكره أهل البلدين ونما أمره وبعُد صيته عند الأكابر.

وفي عصر تاريخه توجّه صاحب مكة السيد أحمد بن أبي نمي الحسني لملاقاة أمير الحاج المصري الزيني مصطفى الجاركسي كاشف الشرقية – وكان أمير الحاج بالسنة الماضية – وصحبته قاضي المحمل أيضاً في السنة قبلها العلامة رضي الدين بن محمد ابن الشيخ محب الدين ابن القاضي محيي الدين بن عبد القادر بن محمد الشهير بابن الدهانة القاهري الحنفي[3]. [ويدّعي أنه من ذرية الصديق وليس

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل.
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٣) ذكره ابن إياس في بدائع الزهور ٥: ٤١٢ ، ٤٧٤ .

لدعـواه أصل][1].

ورافق السيد أحمد قاضيا مكة الشافعي الزيني باكثـير وقـاضي المالكيـة التـاجي عبد الوهاب بن يعقـوب فواجـهـهما أمـير الحـاج وقـاضي المحمـل بعزلهمـا مـع بقيـة رفقتهما بمكة بقاض رومي وصل من الأبواب الخنكارية مـع الحـاج الشـامي. فأشـيع ذلك في البلاد، وتشوّش بسماعه كثير من العباد، والمستعان بالله تعالى.

شهر ذي الحجة الحرام استهل ناقصاً بالجمعة
من سنة ٩٤٣ هـ (١٥٣٧م)

وأوقِـدت الشـموع والشّعَل في المسـجد الحـرام ودخـل أمـير الحـاج الشـامي فطاف وسعى وعاد إلى الزاهر وبات بـه إلى الصبـاح وتوجّـه لـه علـى العـادة كأبيـه السيد أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي وعرض لـه بعسـكر أبيـه عرضـة حسـنة فخلع فيها عليه وعلى الشريف عجل بن عرار النموي كعادة ولد كل واحـد منـهما ونزلـوا معـه لمكـة. ونـزل وطـاق الحـاج في بـاب المعـلاة ودخـل الأمـير إلى مدرسـة الأشرف قايتباي الجاركسي و لم يخرج لملاقاته قاضي الشافعية كعادته لإخباره بعزله. وتحقق الناس خبر قاضي العسكر حينئذ وأكد ذلك عدم تفرقة المـبرة الروميـة في أول وصول الأمناء لانتظاره مع الحاج الشامي. وتضرر أربابـها مـن تأخيرهـا، والمسـتعان بالله تعالى.

ووصـل مع الركب المصري ثلاثـة أنفـس مـن أهـل مكـة هـم صاحبنـا الشـيخ الأصيل شهاب الدين أحمد بن الجمال المصري وعديله المحيوي عبد القـادر الحضرمـي والجمالي محمد بن عمر الـدلال وأخبروا أنـهم كـانوا في بـلاد الـروم وحضـروا بـها الفصل .

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

ومـات مـن أهـل الحرمين والمـترددين إليـه أزيـد مـن ثلاثـين نفسـاً، منـهـم في إسطنبـول في ربيـع الأول قريبي عطية بن أبي الخير بـن فـهد وفي رجـب محمـد بـن عبد الله الحريري الشهير بالدميري ومحمد بن محمود الفومي ومحمد الأحـوري اليمـني وعبد ربه بن محمد بن حميد المدني، وفي أدرنة العفيف عبد الله بن ناصر وعبد العزيـز الحجازي ومحمد بن علي بن جغبوب وأحمد بن يوسف الحلوانـي وولـده المكتـوب، ومن المدينة قاضيها خضـر الرومـي والشـريف إبراهيـم بـن عـادل وزيـن الديـن ابـن القاضي صلاح الدين القطان. وفي.... [1] الجمالي محمد الهنيدي والأصيل خير الديـن أبو الخير بن أبي البركات بن ظهيرة القرشي وأبو بكر بن إبراهيـم المزيـن ومحمـد بـن عبد المعطي بن محب المدني.

وأشيع أن صر أهل الحرمين وصـل إليـهم كـاملاً بواسـطة أن قـاضي العسـكر بمصر نوى الحج عام تاريخه [١٦٦ أ] وأنه بطّـل لأجـل طلبـه إلى الأبـواب الشـريفة الخنكارية. ويقال إنه وصل قاصد لمكة لأمير الحاج بتأكيد أخبار ذلك مع غيره مما لا أتحقق سماعه، ثم إن بعض الصر من الأوقاف فُرقت فرصة كعادتها: وقف أم النـاصر ويلبغا العمري وشيخون ومنكلي بُغا والزمام وغير ذلك.

وفي صبح يوم السبت ثاني الشهر اجتمع أمير الحاج وابن صاحب مكة السيد أحمد بن أبي نمي في الحطيم الشريف وقُرئـت مراسـيم لأمـير الحـاج بالوصيـة عليـه وعلى الحجاج وغير ذلك. فخلع أمير الحاج على السيد أحمد خلعة أبيـه وطـاف بـها وكان فيها بهجا وعمره نحو ثلاث عشرة سنة، فالله تعالى يحفظه ويجمع شمله بأبيه.

وتوقف حال أهل مكة والغرباء القاطنين بها بعـدم تفرقـة المـبرة الروميـة فإنـها عمدة أهل الحرمين في مدخول الموسم. فالله تعالى يديـم أيـام مرسـلها، ويخـذل مـن كان السبب في تأخيرها.

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

ثم في ظهر يوم الإثنين رابع الشهر وصل جماعة من الشاميين وأخبروا بمفارقتهم من خليص.

ثم في ليلة الثلاثاء ثاني تاريخه تتابع الحاج الشامي بدخول مكة ووصل مكة وهو رومي اسمه محمد بك ابن مصطفى باشا الرومي أمير الحاج المصري كان في عام اثنين وثلاثين، فطاف وسعى وعاد إلى الزاهر فبات به إلى الصباح. فخرج لملاقاته السيد أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي بعسكره فخلع عليه خلعة أبيه وعرض له إلى وطاقه بالأبطح مع أمير الحاج المصري. وعاد كل منهما إلى منزله.

ووصل صحبة الشامي قاضي مكة الجديد وهو شيخ واسمه مصدر مصلح الدين مصطفى بن إدريس الرومي الحلبي قاضي حلب كان. ونزل في المدرسة الجمالية بجوار باب حزورة عند صهره مولانا أبي (١) القاسم بن الغباري الرومي الحنفي وهرع الفقهاء للسلام عليه ما عدا القضاة المفصولين فإنهم لما احتاجوا إليه ترددوا عليه. ولم يقم لأحد من أولاد العرب إلاّ قليلاً. واهتم في يومه بتفرقة المبرّة الرومية بعد صلاة الظهر يوم وصوله لمكة علو الدكّة التي هي في ركن المسجد الحرام عند باب حزورة. وحضر عنده أمين الرومية وكاتبها والشيخ العدل الولوي أبوزرعة المنوفي والشيخ محيي الدين عبد القادر بن علي المزين أحد العارفين باللسان الرومي، وصار كل منهم يعرّف بالمستحقين فبدؤوا بصرف صرّ أولاد العرب واستمروا بقية النهار إلى آخره ثم انصرفوا. ووعدوا العجم في الليل فتوجّهوا للأمين في منزله بالمدرسة الكلبرجية عند باب الصفا فصرف لهم [المبرة] (٢) الرومية من بعد صلاة العشاء إلى نصف الليل ثم تفرقوا من عنده.

وفي صباح ثاني تاريخه سابع ذي الحجة استمرت تفرقة الرومية لبقية أهل مكة

(١) بالأصل: أبو .

(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل، والإكمال مقترح .

والعجم في المدرسة الكلبرجية بمحضر القاضي أبي (١) القاسم بن أبي السعادات الأنصاري المالكي بإذن من القاضي الرومي. وكذا في اليوم الأول وتوسع الناس في قبض الرومية إلاّ أهل البيوت والأربطة والأسماء المتفرقة. ثم تُركت التفرقة في آخر النهار .

وفي يوم الجمعة ثاني تاريخه كان يوم التروية فاشتغل أهل مكة بالتوجّه إلى عرفة، فعزم أهل المدينة لقبض صررهم في الرومية فدفع لأكابرهم بحضرة شيخ الحرم النبوي محمود الرومي وقضاتها الأربعة، ولم يتغيّر أحد منهم وذلك لاتفاقهم وعدم دخول الغريب فيهم ، وكملوا قبض صررهم في منى لرجّالتهم ومعرفتهم بمنفعتهم.

وكان وقع نزاع بين خطيبيْ مكة المحيوي العراقي [١٦٦ ب] والجمالي محمد ابن أبي كثير في نصف الخطابة بالمسجد لأجل وصول مرسوم من الأبواب الخنكارية مضمونه أن الخطيب أحمد البخاري الحنفي كان ولي الخطابة في العام الماضي عن قاضي الحنفية بديع الزمان المرحوم ابن الضياء، وهو وليها عن محيي الدين العراقي كما يشهد به الرزنعمة (٢) يعني دفتر قاضي العسكر الناظرلي المفوض إليه ولاية العرب في الأقطار الحجازية. وأن محمد بن أبي كثير باق على ولايته، فدخل جماعة بينهما وأنه يباشر الخطبة العراقي يوم عرفة. ثم بعد الفراغ في الحج ينظرون في الحكم الواصل بعزل العراقي عند قاضي البلد الجديد الرومي. وسكت الشيخ محمد ابن أبي كثير عن ذلك لعزل أخيه قاضي الشافعية الزيني عبد اللطيف هنالك. وباشر أحمد البخاري خطبة السابع والعراقي خطبة يوم الجمعة وكان يوم التروية مع جمعة يوم عرفه وهما من الأيام المعلومات المشهورات بالخير وذلك يوم السابع، وذلك

(١) بالأصل: أبو .

(٢) كذا وردت الكلمة بالأصل. وهي الرزنامة .

على قاعدة العراقي في التعدي وأعاد بعض الفضلاء الجمعة يوم التروية ظهراً. والمستعان بالله.

وتأخر الحاج عن التوجّه إلى عرفة في صبح تاريخه لأجل صلاة الجمعة ونداء أمير الحاج لهم بذلك ووافق السنة فيها وإن كان حصل الضرر في زحام الناس في ذلك الوقت فلطف الله بهم وفرّج عنهم. ولله الحمد والمنة.

وفي يوم الخميس سابع الشهر طلب القاضي مصطفى الرومي قراءة مراسيمه للإعلام بولايته في الحطيم وطلب الشريف أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي الحسني فحضر بنفسه مع جماعة من أقاربه فقرب مرسوم القاضي وقرأه الشيخ أبو زرعة المنوفي على منبر خشب وأمير الحاج المصري ونائب جدة.

فسمعت في المرسوم تعظيماً زائداً للقاضي وأنه من أهل العلم والصلاح فقد اخترناه لبلد الله ورتّبنا له في كل عام ألفاً (١) وخمسمائة أشرفي ذهباً يأخذها من جدة، وستين (٢) إردبا من الحب الواصل من القاهرة. وأنه يكون مقدّماً على كل شريف وقاض وعالم، وأن يولّي من شاء من القضاة الأربعة، ولا يفعلون شيئا إلاّ بأمره ولا يخالفونه في مرامه.

ثم بعد قراءة مرسومه لبس خلعة قفطان وطاف به أسبوعاً وأذن المغرب في طوافه، ولم يحضره أحد من الفقهاء إلاّ القليل، وليس عنده التفات لمن حضر أو غاب عنه. وبعد صلاة المغرب توجّه إلى منزله، فالله تعالى يلطف بنا وبه.

وكانت الوقفة المباركة يوم السبت والحج هنيئاً والأسعار رخية في جميع المأكولات مع كثرة الماء في البرك. وبيعت الكباش الشرقية رخيصة وكذلك السمن المن بثلاثين كبير وحصل الأمن ووقف بالناس بإذن القاضي الجديد الرومي قاضي

(١) بالأصل: الف .

(٢) بالأصل: وستون .

المالكية شرف الدين أبو القاسم ابن القاضي أبي السعادات محمد بن أحمد ابن القاضي عبد القادر بن أبي القاسم بن أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصاري الخزرجي المكي، أعزه الله تعالى وكان له ولي.

فوافق هذا التفويض لبعض سلفه الماضيين وذكره القاضي تقي الدين الفاسي في تاريخه **العقد الثمين، في أخبار بلد الله الأمين**، وهو أن: عبد الرحمن بن عبد المعطي فوض إليه وإلى ابن أخيه الشرف عبد المعطي بن أحمد بن عبد المعطي الخليفية المستعينية بالله أحمد بن الطاهر محمد بن الناصر العباسي في سنة تسع وخمسين وستمائة (٦٥٩هـ/١٢٦١م) النظر في مصالح المسجد الحرام وحضوره الخطبة والسكة باسمنا والمحمل وصعود الأعلام العباسية إلى جبل عرفات وغير ذلك من الجهات (١).

[١٦٧ أ] واتفق في أيام منى أن أمين الرومية فرق بمنزله في شعبة المصري على غالب أهل المدينة الذين حجوا وبعض الأسماء المتفرقة لأهل مكة ثم بعد نزوله إليها من منى يوم الأربعاء ثالث عشر الشهر فرق باقي الرومية والأربطة لمشائخها على العادة. وشرع حامل أوقاف مصر وهو ناظرها الجناب العالي الزيني عبدالوهاب في الدكة التي عند حزورة بالمسجد الحرام. وكان المعلوم لأوقاف القضاة الأربعة بالقاهرة مَصْرُورًا لكل واحد صرة من خرق كعادة أهل الشام، وهو فضة بالكامل لكنها مقطوعة من خيطها فعسرتْ تفرقتها في اليومَيْن الأولَيْن .

ثم في اليوم الثالث وهو يوم الخميس سادس عشر الشهر حُلت الصرر وأضيف بعضها إلى بعض فسهلت تفرقتها على أربابها ووصلت إلى مستحقيها بالتمام والكمال. وكان يصل ناقصا من زمن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي منذ خمسين سنة، ثم من أول الدولة الرومية في سنة ثلاث وعشرين

(١) الفاسي: العقد الثمين٥: ٣٨٣، ٤٩٦؛ وردت تفاصيل ذلك في إتحاف الورى للنجم بن فهد ٣: ٨٥ -٨٦.

وتسعمائة (٩٢٣هـ/١٥١٦م) وصل نقصها إلى ثلثها أو نصفها، بل في العام الماضي صُرفت على أربعة أخماس نصفها لأجل أفراد وقف البرج والغازية في الشام عن إيصالها القاهرة وتحمل إلى مكة. ومهما زاد بالقاهرة جعل زوائد على الصرر ويقسم على غير أهله وهو في الحقيقة نواقص على المقررين فيها.

فكتبتُ في العام الماضي لجماعة من أصحابنا العلماء والفضلاء النبهاء بشكوى أهل الحرمين لفعل ذلك وبضررهم به وبالذهب، فأرسل لي أحد من أرسلت له من الأعيان، وهو عين الشافعية الآن، العلامة الإمام، القدوة الهمام، مفتي المسلمين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين السنباطي (١) متّع الله بحياته وأدام النفع به. وصورة كتابه:

« ومما نخبركم به أنه قد وصل إلينا مشرفكم في العام الماضي مع الحاج وذكرتم فيه ما حصل من المشقة في صرّ الحرمين من أمر الذهب ونقصه وما حصل من الضرر في أمر الزوائد وغير ذلك فاجتمعتُ بقاضي مصر الأفندي وذكرتُ له ذلك وما يحصل من جماعته من تأخير الصرف أو نقصهم أو قطعهم أو غير ذلك وهو رجل يحب الخير ونعم الرجل. وكررت معه القول في ذلك مرارا فنحمد الله تعالى حصل له من الهمة والنخوة في تحرير ذلك والنظر في حال أهل الحرمين بنفسه وبيمينه. حتى آل الأمر في هذا العام بحمد الله تعالى إلى أنه يُصرف الصر كاملاً لكل مستحق، وصرف غالب ذلك فضة بعد أن استشارني في أنه هل يكمل للمستحقين صرهم أم يكتب (٢) لجماعات أخر من المنقطعين بمكة ؟ فأجبت بالجمع بين المصلحتين، فنحمد الله تعالى كتب في الرسائل الصرف للمستحقين كاملاً وتقرير جماعات والزيادة لآخرين. ثم إني ذكرتُ له حالكم وعيالكم وما يحصل من النفع

(١) توفي سنة ٩٥٠/١٥٤٣م. ترجمه الغزي في الكواكب السائرة ٢ : ١١١ – ١١٢

(٢) بالأصل: كذب، والإصلاح مقترح .

بكم وأنكم تستحقون أن يُزاد لكم وما زلتُ به حتى كتب لكم الصرف ولبيتكم كاملاً ثم الزيادة لكم من وقف الشافعي مائة، نصف في كل عام. وكتبنا بذلك قصة وأخذنا خطه عليها، وجعلت تحت يد المباشرين حجة لمن يأتي بعده فيكون ذلك على علمكم ». انتهى بحروفه.

فشكر الله سعي فاعل ذلك والساعي فيه وجزاهما أفضل الجزاء فإنهما سعيا في خير كبير لأهل الحرمين الشريفين المنقطعين في المحلين المنيفين وكتب ذلك في صحائفهما وله أجر هذه السنة الحسنة ومن عمل بها إلى يوم القيامة كما ورد في الحديث الشريف. [١٦٧ ب] وقد وصلتُ وجميع المستحقين لما هو مرتب لنا بالكامل، وكذا ما قُرّر لي جديدا. فالله تعالى يجعل للساعي في ذلك خيرا مزيداً. ثم بعد الفراغ من قسمة الأوقاف قبض مال البرج والغازية من حامل أوقاف الشام وكمل به لبقية المقررين من الزوائد.

وأحدث القاضي الجديد الرومي عدة أسماء فيها لنفسه وجماعته من الطاشماه(١) الأروام لكل واحد نحو مائة وستين وخمسين وغير ذلك. [وهذا من مزاحمة الأروام في رزق أهل مكة](٢).

وفي يوم الإثنين ثامن عشر الشهر سافر الحاج كتب الله سلامته.

واتفق في ليلة الجمعة خامس عشر الشهر بعد العشاء بساعة كسف القمر(٣) كسوفاً كاملاً.

وكانت إقامة الحاج بمكة نحو عشرين يوماً. وسافر مع الركب المصري وزير الهند آصف خان – واسمه عبد العزيز– وصحبته جماعة من أصحابه وأتباعه منهم

(١) الطاشماه: الجماعة من الجند الأتراك .

(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي .

(٣) استعمل المؤلف الفعل (كسف) للقمر، وهو ليس بخطإ، ولكن أجود الكلام أن يقال: (كسفت الشمس وخسف القمر). الجوهري: الصحاح، مادة (خ س ف) .

إمام الحنفية السيد جمال الدين محمد بن أحمد البخاري الحنفي. واكترىٰ مائة جمل لحمله وزاده والماء كل جمل بأحد عشر سلطانيا عن أربعة وأربعين أشرفيا جملتها ألف وأربعمائة أشرفي. وتوجّه صحبة الوزير إلى الوادي لوداعه جماعة منهم قاضيا القضاة البرهاني بن ظهيرة والمالكي التاجي بن يعقوب وغيرهم .

وسمعتُ أنه أنعم لبعضهم بقماش ونقد وفرّق على غيرهم جملة منهم شيخ الشافعية أبو الحسن البكري نحو مائة أشرفي فضة وكذلك الشيخ أبو زرعة لملازمته له. كتب الله سلامته ووجّه وجهه وردّه سالما غانما بمحمد وآله آمين.

وفي ضحى يوم الخميس رابع عشر الشهر حضر مكة المفصول الزيني عبد اللطيف باكثير ابن شيخنا عبد الله باكثير الشافعي إلى القاضي المتولي عوضه في موسم تاريخه الواصل صحبة الركب الشامي واسمه مصلح الدين مصطفى بن إدريس الرومي الحنفي بسبب الدعوى عليه من جهة تركة الخواجا آغا جان العجمي الذي مات في العام، وتوجّه ولده للأبواب الخنكارية للشكوى في القاضي. فحين حضور القاضي عبد اللطيف إلى القاضي الجديد قام له وأجلسه إلى جانبه، وادعى عليه الولد من جهة تركة أبيه فقال خصمه: هل ثبت رشده ؟ فأجابه القاضي بالمحاسبة عن التركة وتحريرها في منزله حتى ينظر في أمرها، فقال له القاضي عبد اللطيف : أحاسب على ذلك ويكون أخي ونائبي بجدة القاضي عبد الرحمن وكيلي في سماع الدعوى عليه، فقام من المجلس وتوجّه إلى منزله. وجاءه أمير الحاج الشامي وحضر محاسبة.... (١) وأن له في التركة عمولة نحو ألفي أشرفي وخمسمائة وعند صاحب مكة أبي (٢) نمي نحو أربعة آلاف أشرفي، فعرّف القاضي الرومي بذلك فأرسل إلى الشريف أحمد ابن السيد أبي نمي يسأله عن المبلغ الذي عند والده فقال: لا أعرفه،

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بالأصل: أبو .

وأرسل إليه أسئلة، فقال: يحتاج القاضي إلى ضامن، فقال الشريف أحمد: أنا أضمنه، فطلب القاضي عبد اللطيف إلى منزله في يوم السبت سادس عشر الشهر وأجلسه عنده حتى يأتي جواب والده من بلاد جازان جهة اليمن. فكان في فعل ذلك تحيير عليه في سفره مع الحاج المصري والشامي، فإنه أظهر مرسوماً أنه إذا أراد السفر مع الحاج يسافر معهم ولا يمنع [١٦٨ أ] من ذلك. فكان منعه بوجه شرعي في دفع مال اليتيم وضمانه فيه. ومنع معه الخواجا مسعود الخلادي لكونه صرح بطلب الشكوى في أولاد المريسي نواب صاحب مكة.

وسافر عياله مع الحاج المصري وتخلف هو في منزل الشريف أحمد في جدة حتى سافر الحاج ثم أطلق وأقسم (١) برأس السلطان والشريف أنه لا يسافر عام تاريخه مع الحاج إلى مصر أو الشام وغيرهما، فكان ذلك إدراء للفتنة فإنه احتمى بنائب جدة الرومي ووقع منه كلام في حق صاحب مكة. والله تعالى يصلح أحوالهم ويلطف بالمسلمين ويكفينا شر المؤذين.

وكان في ليلة الجمعة خامس عشر الشهر بعد العشاء بساعة أنه انكسف القمر كسوفا كاملا بجميعه حتى أظلم الجو، وخطب الخطيب العراقي خطبة طويلة كعادته لم يقع لها موقع في موعظته لظلمه وتعدّيه في خطبته لكونه معزولاً من وظيفته.

وكان أيضاً في هذه الجمعة أن القاضي الرومي استناب الفقيه الأصيل نجم الدين محمد ابن الشيخ كمال الدين أبي البركات ابن الزين الحنبلي في الحكم على مذهبه بمكة، وأن لا يحكم إلاّ في محله بعد عرض كل قضية عليه. وسأل قاضي القضاة الشرفي أبا(٢) القاسم المالكي الأنصاري في قبول النيابة عنه والحكم على مذهبه، فتوقف في ذلك للاستخارة والاستشارة. ثم بلغني أنه سألهم في أربعة أشياء:

(١) بالأصل: قسم .
(٢) بالأصل: أبو .

أن يكتب له قاضي القضاة، وأن يحكم في منزله من غير مشورة، وأن يأخذ معلوم القضاء، وأن يتدرك[1] له بجهة صاحب مكة، و[قبل] [2] منه ذلك وهو لم يقبل، وعدّ الناس ذلك من عقله ورئاسته.

وفي يوم السبت ثاني تاريخه فرقت أوقاف الشام في مجلس قاضي مكة الجديد مصطفى الرومي عند باب حزورة بحضرة حاملها قاضي المحمل الشامي واسمه تاج الدين إبراهيم بن محمد الرومي، وكلها مصرورة على عادتها ومكتوبة جميعها في دفتر مجلد. وتعدى كثير من الناس على أسماء الغياب عن مكة والأموات مع وجود الأولاد، وذلك لكثرة الغرباء والمحدثين من الأحداث. وفي هذا ضرر على أهل الحرمين في خرم قواعدهم، وتعب الحُرَم والصغار لعدم قدرتهم في السفر لطلب رزقهم. ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي يوم الإثنين ثامن عشر الشهر سافر الحاج المصري من مكة فكانت إقامتهم بها نحو عشرين يوماً. وسافر مع الحاج المصري وزير الهند آصف خان واسمه عبد العزيز.

وفي فجر يوم الثلاثاء ثاني تاريخه انتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى الشيخ الجليل نور الدين أبو الحسن علي بن الجمال محمد بن أبي القاسم ابن محمد بن علي بن حسين بن جوشن المكي أحد الأعيان من أصحاب الأموال والبيوت بمكة والوادي، [وكان كثير الوسواس في تكبيرة الافتتاح في الصلاة][3] .

وخلّف ولدا صغيراً عمره خمس سنين من جارية زنجية سماه عبد الملك

(1) كذا وردت الجملة بالأصل .

(2) بياض بمقدار كلمة بالأصل، وما بين عاقفتين مقترح .

(3) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

وزوجتين إحداهما[1] ابنة عمه ابن جوشن وثانيتهما [2] أم الحسن ابنة الشيخ فخر الدين أبي بكر الشلح فتوجّه أخو الثانية الشيخ جمال الدين محمد إلى قاضي مكة الجديد مصطفى الرومي [وطلب] [3] منه الإذن في جهازه والدين عليه حتى يظهر مخلفه. فأمر القاضي من يختم على حواصله [١٦٨ ب] حتى ينظر في حال ولده الصغير، وأذن له في جهازه فخُتم له حاصلان في منزله عند بيت عمه، وجهّز في يومه بحضرة وكيل ابن عمه الجمالي محمد بن أبي بكر بن حسن بن علي بن جوشن المكي لغيبته في الوادي. وصلّي عليه بعد صلاة عصر تاريخه وشيّعه جماعة من الأعيان ودفن على أبيه بالمعلاة بفم شعب النور، وذُكر بخير لزهده وورعه وكثرة عبادته، رحمه الله تعالى.

وفي ضحى يوم تاريخه فُرقتْ الصرر الحلبية في مجلس الرومي قاضي مكة البهية عند باب حزورة، وكان غالبها ذهباً، واستمروا فيها أياماً لاشتراك الناس فيه مع بعضهم. وبلغنا أن النظار عليها رؤساء حلب أولاد القاضي جلال الدين النفيسي[4] عزلوا عن التكلم على جهاتها وهم السبب في تقريرها وتأسيس خيرها لأهل الحرمين الشريفين. فالله تعالى يجازيهما بكل خير، ويدفع عنهما الشر والضيْر.

وفي جمعة تاريخه اجتمع خطباء مكة عند قاضي مكة الرومي لسبب وصول مرسوم من الأبواب الخنكارية مضمونه أن الخطيب بديع الزمان المكي عقب وفاته في العام الماضي وهو عن الخطيب [5] محيي الدين العراقي كما هو مذكور في

(1) بالأصل: أحدهما .

(2) بالأصل: ثانيهما .

(3) إضافة تقتضيها الجملة .

(4) ورد العلم في الأصل غير معجم، وما أثبتناه مقترح .

(5) كذا وردت الجملة بالأصل .

الرزنعمة يعني دفتر [١] قاضي العسكر الناظرلي المفوض إليه الولاية لوظائف العرب، ولذلك يكون الخطيب محمد بن أبي كثير باقياً على ولايته من نصف الخطابة بالمسجد الحرام، فنازع العراقي في ذكر هذا الكلام، فقال له القاضي الرومي: هذا المرسوم فيه التصريح بعزلك وولاية خصمك. وأمر ابن أبي كثير بالمباشرة في يوم الجمعة. فكانت مباشرة العراقي الخطبتين باطلتين في بلد الله الحرام التي فيه غير [٢] خطبة واحدة لأهل الإسلام. خصوصاً في أيام العشر المعلومات وهما جمعة في يوم التروية وظهر يوم عرفة. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله ونستعين عليه بالانتقام من الله في ظلمه وتعديه وكثرة مكره.

ثم في يوم الجمعة ثاني عشري الشهر باشر الخطبة بمكة الشيخ محمد بن أبي كثير الشافعي فحصل له ولجماعته الجبْر بها لعزلهم عام تاريخه عن قضائها، وحصل الانتقام من العراقي عند سفر الشامي في هذا العام والذي قبله بتقدمة البجائي في جمعته، كما نازع الخطيب عبد الرحمن النويري في جمعته ومنعه من مباشرتها، وكان السبب في وفاته. فأرجو من الله تعالى أن يكون ذلك آخر مدته.

وفي يوم الأحد رابع عشري الشهر اتفق أن عبداً هنديا من المغل كان في بيت سيده الشيخ.... [٣] ابن عبد الحق شيخ همايون سلطان المغل فقتل مملوكا له ثانيا عُنُقَه وأراد قتل سيده في سكنه وأرسله إلى قاضي مكة الرومي مصلح الدين مصطفى الحنفي واعترف بحضرته ثم أشهد باعترافه وكتب أسماء الشهود في دفتره وأمر جماعة صاحب مكة بقتله وصلبه في الطرقات حتى ينظر إليه ويعتبر بذلك من مرّ عليه. فعُلّق على شجرة نخيل في بستان ثاني [٤] في طريق المعلاة وجلس يومه ثم

(١) بالأصل: دوتر .
(٢) كذا وردت الجملة بالأصل .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٤) كذا بالأصل .

نُزّل ودفن في مقابر أهل مكة.

وفي ظهر يوم الثلاثاء سادس عشري الشهر سافر الحاج الشامي من مكة، وكانت إقامته بها كإقامة الحاج المصري عشرين يوماً وحصل الضرر لأهل البلد من طول إقامتهم وغلت [١] الأسعار في الأقوات والماء قليل وكثرة الخلق. فالله تعالى يكثر من أمة محمد ﷺ.

[١٦٩ أ] واتفق في هذا اليوم محاربة صاحب مكة السيد أبي نمي الحسني لصاحب جازان الشريف عامر بن عبد العزيز بن أحمد بن ذويب الحسني ونُصْرته عليه كنصرة محمد بن بركات بن محمد جده على جده وأخذ بلاد جازان. وأرسل مبشراً بأخذها ونُصرته على صاحبها – كما سيأتي – في سادس المحرم أول العام.

وفي هذه السنة وقع من الاتفاقات الغريبة وجود الطاعون في بلاد بجيلة ووصل إلى العقيق وما حولها من بلاد الطائف حتى خلت بعض القرى وصارت مواشيهم.... [٢] للورى، من أخذها للبيع والشراء. كما اتفق ذلك في تمام مائة سنة هنالك، وهذا من الاتفاق الغريب. وخشي أهل مكة من دخول الطاعون، وهي والمدينة – إن شاء الله تعالى – آمنتان من وصوله لهما كما ورد في الحديث الشريف.

وقد سُئلتُ عن صحة الحديث فجمعته في مؤلف فوجدت صاحبنا العلامة الأوحد [٣] مفتي المسلمين جمال الدين محمد بن الخطاب المبين، **بأن الطاعون لا يدخل البلد الأمين، والقول الصادق المأمون، في أن مكة والمدينة لا يدخلهما الطاعون**. وأجاد في وقعه وحصّلتُ نسخة من خطه ولله الحمد ثم اختصره في

(١) بالأصل: غليت .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) بالأصل: الأحد .

مؤلف سمّاه البشارة المبينة، أن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة.

شهر محرم الحرام استهل كاملاً من سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧م)

وأهل مكة يلتجئون إلى الله الفرد الصمد حول بيته الشريف، أن ينظر إليهم بلطفه المعظم المنيف، فيما حدث عندهم من الحوادث العظام، وأن يكفيهم شر المؤذين من الأنام، وأن يؤمنهم في أوطانهم، وينصر سلطانهم، بمقر أعينهم فإنه محاصر لصاحب جيزان من اليمن، وكبر في غيبته البلاء والمحن.

وفي أوله استقر سكن قاضي مكة الجديد مصلح الدين مصطفى بن إدريس الرومي في المدرسة العينية، وكانت تُعرف أولاً بالمجاهدية. وقاضي العسكر المفصول عبد الواسع المدعو واسع جلبي الرومي الحنفي المجاور بمكة عام تاريخه في المدرسة المظفرشاهيه الهندية كلاهما مجاوران للرواق اليماني من المسجد الحرام، وهرع الناس إلى القاضيين بالسلام، وكلاهما يصعب عليه من العرب الكلام.

واستناب القاضي مصطفى الرومي الحنفي نائباً على مذهبه رومياً اسمه علاء الدين علي بن موسى وصار يكتب بخطه في السجلات « المولى بمكة خلافة »، وجلس في الدكة التي عند منارة باب السلام للأحكام. ومنع شهود العرب من كتابة الأوراق إلاّ بإذنه، وأن لا يفعل الأوراق القديمة المثبوتة على قضاة العرب. وأن لا يعقد الأنكحة إلاّ نائبه بإذنه أو الإمام الشافعي خير الدين أبو الخير محمد بن أبي السعادات الطبري بعد الكتابة إليه مع ختمه وأخذ مصلحته. وجعل على البكر عشرين كبيراً عن أشرفيين والثيب عشرا كبارا (١) نصفها، وتضرر غالب الناس منها لفقرهم وعدم إلْفهم.

وشرط على نائبه الثاني الحنبلي – وهو أول من استنابه بمكة – النجمي محمد

(١) بالأصل: عشر كبار .

ابن الشيخ كمال الدين أبي البركات محمد بن أبي الفضل الزين أن لا يحكم إلاّ عند مُستنيبه في منزله، ويشاوره في كل قضية من الأحكام والعقود، فانحصر الناس من ذلك.

ثم إنّ (١) القاضي مصطفى الرومي لازم قاضي القضاة الشرفي أبا القاسم بن أبي السعادات الأنصاري [١٦٩ ب] المالكي في قبول النيابة عنه والحكم على مذهبه، فتوقف كثيراً للاستخارة والاستشارة ثم إنه شرط شروطاً على القبول خاصة لنفسه وعامة لغيره، منها: أن يكتب له في السجلات قاضي القضاة كعادته، وأن يأخذ معلوم قضاء المالكية، وأن يحكم في منزله ولا يشاور مُستنيبه في الأحكام وعقود الأنكحة، وأن يقبل أحكام القضاة من العرب وغير ذلك مما حصّل الحرج والكرب. فرضي المستنيب منه بهذه الشروط وفوّض إليه الحكم مطلقاً في ضحى يوم الجمعة سادس الشهر في منزله.

فسمع أهل البلد به ففرحوا بولايته وذهبوا إلى منزله لتهنئته فكان ثالث النواب بمكة.

وتحدث جماعة من الشافعية في الاستنابة عنه منهم الطالب لها بالبَذْل ومنهم من سُئل فيها. فمن الأولين القاضي سعد الدين محمد ابن الشيخ خير الدين أبي الخير ابن ظهيرة، وقريبه قاضي جدة الشرفي يحيى ابن القاضي عز الدين الفائز بن ظهيرة، والخطيبان الجمالي محمد بن أبي كثير أخو القاضي المفصول، والمحيوي عبد القادر العراقي. ومن المسؤولين إمام الشافعية أمين الدين أبو اليمن الطبري، والفقيه حامد ابن محمود الجبرتي فقيه الشريف هزاع صاحب مكة كان، والشيخ محيي الدين عبد القادر بن عمر بن ظهيرة. ثم استقر الحال على التربص حتى يقدم صاحب مكة ويُستشار في تقدمة من أراد حفظه الله تعالى .

(١) بالأصل: ثمّ في .

وفي ظهر يوم الإثنين سادس الشهر وصل لمكة شخص عربي من رعاة صاحبها السيد الشريف أبي نمي الحسني أرسله من بلاد جازان مبشراً بأخذها ونصْرته على صاحبها الشريف عامر بن عبد العزيز ابن الأمير أبي الغوائر أحمد بن دُرَيْب بن خالد بن قطب الدين الحسني. وكان جده أحمد ممن عصا صاحب مكة السيد محمد بن بركات الحسني جد السيد أبي نمي في سنة ٧٨٢ هـ/١٣٨٠م (١) .

وكان في يوم الثلاثاء سادس عشريْ ذي الحجة من سنة ثلاثة وأربعين وتسعمائة (١٥٣٧م) التي قبلها نحو ثلاثة أشهر وهدم أماكن من سورها وهجم عسكره وحارب أهلها في وسطها وقتل منهم أزيد من ثلاثمائة نفس فيهم أربعة عشر نفساً من أشرافها القطبة (٢) ومن جماعة صاحب مكة أربعة وعشرون نفساً ممن لا يؤبَهُ به. كما كتبه الشريف أبو نمي بخطه (٣). وأنه ظفر بنُخَبه وخيله نحو المائة وبخزانته وجميع بلده. وهرب صاحبها منها في أربعين فرساً إلى محل يقال له الحُمرة وفيه قبور جماعة من المشائخ الصوفية ممن يستجار به في الشدة (٤). ثم تحقق أنه توجّه إلى بلاد حرض(٥) ونوى ملاقاة صاحب زبيد وكتب لصاحب مكة بإبلاغه فيه ما يريد ثم رجع عسكره عنهم وعفا عن الضعفاء والحرُم .

وبلّغ بذلك جيران الله والحرم فسُروا بنُصرته وظفره في محاربته. فأمر ولده وخلع على بعض من الخاص والعام عدة خلع على القاصد لإبلاغه السرور والمقاصد وكتب به مطالعات لأمير الحاج المصري ليأخذوا حظهم من البشرى، ولله الحمد.

وفي ليلة الأحد عاشر الشهر عقد إمام الشافعية شرف الدين يحيى ابن الإمام

(١) وردت أخبار هذه الحرب في كتاب غاية المرام للعز بن فهد ٢: ٥٢٤ وما بعدها .
(٢) وهم المنسوبون إلى الشريف قطب الدين الحسني .
(٣) كأنّ المؤلف أو الشريف نسي أنّ المسلمين تتكافأ دماؤهم .
(٤) الاستجارة لا تكون بالمشائخ .
(٥) حرض: بلد في أوائل اليمن من جهة مكة. قاله ياقوت في معجم البلدان ٢: ٢٤٣ .

زين الدين مكرم ابن الإمام قاضي القضاة محب الدين الطبري الشافعي بزواج ابنته أم كمال كمالية على ابن خاله الفاضل الأصيل زين الدين أبي السرور أحمد ابن الشيخ العلامة أحمد الحرازي الأنصاري الحنفي .

وكان المباشر للعقد قاضي القضاة الشرفي أبو القاسم المالكي في حوش السيد رميثة ابن [١٧٠ أ] السيد محمد بن بركات الحسني بالقرب من منزل الزوجين عند باب حزورة، واجتمع فيه الأعيان من الفقهاء وشربوا سكراً مذاباً - على العادة- وكان بهجاً مأنوساً .

وفي عصر تاريخه شرع السيد أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي في عمل الحمام على الخيل بالمعلاة واجتمع فيها نحو ثلاثين فرساً وسُر الناس به .

وماتت الشريفة جميلة ابنة السيد زين الدين معين الدين محمد بن صفي الدين ابن نور الدين بن محمد بن عبد الله الحسني الأيجي وعمرها نحو سبعين سنة وجهّزت في ليلتها وصلّي عليها بعد صلاة صبح يوم الأربعاء حادي عشر الشهر. وخلفت زوجاً ابن عمها وابن ولدها بمكة وهو السيد أصيل الدين عبد الله بن قطب الدين عيسى بن رفيع الدين محمد بن مرشد الدين محمد بن قطب الدين عيسى بن عفيف الدين محمد بن نور الدين محمد المجتمع فيه معها في نسبها. وخلفت نقداً نحو ألف أشرفي وسبائك ذهب حصلت لها في العام الماضي من المبرة البهادرية الهندية. وأوصت جهازها ببيع ثلاثة خواتم ذهباً بفصوص ورثتها حلالاً من سلفها، نفع الله بها.

وفي ظهر تاريخه يوم الأربعاء ماتت البنت البكر المراهق شمامة ابنة صاحبنا العلامة مفتي الحنفية قوام الدين عبد الله ابن القاضي غياث الدين أبي الليث بن الضياء العمري المكي، وجهّزت في يومها وصلّي عليها بعد صلاة العصر ودفنت في المعلاة في تربة سلفها. وحزن والدها عليها لذكائها وفطنتها. عوضه الله خيراً في

إخوانها ورزقه الثواب والصبر عليها.

وفي عصر يوم ثاني عشر الشهر ركض الشريف عجل بن عرار الحسني في الحمام مهر القاضي إبراهيم بن ظهيرة فقوي عليه وفي يده رمح فطعن به – من غير قصد – كتف القائد ريحان الحبشي مقدم خرج السيد أحمد ابن السيد أبي نمي صاحب مكة حتى نفذ من ظهره وسقط هو وفرسه إلى الأرض، فأخرج الرمح مكسوراً من نصله الحديد ثم أخرجتْ وحُشي جرحه باروداً وربط له وعولج حتى شفي ولله الحمد. واستمر لعب الحمام خمسة أيام.

وفي ليلة يوم خامس عشر الشهر عمل السيد أحمد شراعاً أمام منزل أبيه دار السعادة حضر فيه التجار وعوام مكة وألصقوا على المغاني لصقاً يسيراً .

ثم في صباح تاريخه توجّه السيد أحمد إلى وادي مر وتُركت....[1] في أسواق مكة بعد تكملة الأسبوع .

وفي يوم الثلاثاء سابع[2] عشر الشهر وصل لمكة قاصد من العرب من جهة القاهرة وأخبر أنه لاقى الحاج المصري في الحوراء وهم سالمون – بحمد الله تعالى – وأنّ نائب الديار المصرية الباشا سليمان الخصي أرسل معه مراسيم[3] لصاحب مكة السيد أبي[4] نمي الحسني يخبره بأنّ شخصاً يُقال له قشعم وصل من الأبواب الخنكارية من الروم ومعه خلعة لنفسه لأجل ولاية المدينة الشريفة وينبع، وأنه بذل....[5] عنه مائة ألف أشرفي، ويطلب مائة إنقشاري للتوجّه معه إلى محل ولايته فقبض عليه وسجنه في القلعة وأخذ خلعته وأرسل يكاتب الخنكار في أمره، وأنه

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل، ولعلها: الزينة .
(٢) كلمة تكررت بالأصل .
(٣) بالأصل: مراسيما .
(٤) بالأصل: أبو .
(٥) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

يتولد من فعله خراب الحجاز. فشكر الله سعي الساعي في ذلك، وبلغه أحسن المسالك .

ووصل معه عدة من الأمير جانم[1] الحمزاوي أمين القاهرة المحروسة لأخيه الأمير شرف الدين [١٧٠ ب] يحيى الحمزاوي وغير ذلك من المطالعات للناس.

وفيها أنّ نائب مصر خاطره ملتفت إلى صاحب مكة السيد أبي نمي لتوجّهه في حرب أهل جازان وعرض عليه المساعدة من العسكر والمقيمين بجدة فقال: لو وصل من جهتنا قاضي مكة الرومي ما مكنّاه من التوجّه إلى مكة. وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وتوجّه القاصد بالمراسيم إلى السيد أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي الحسني جهة وادي....[2] وأنه فتحها ونوى ردّ أجوبتها عن والده مع الإخبار بنُصرته ويرسلها مع القاصد. فالله تعالى يؤمّننا في أوطاننا ويخذل المفسدين عنا .

وفي ثاني تاريخه سافر قاضي مكة الرومي مصلح الدين مصطفى الحنفي وصحبته الزيني مصطفى المنتشوي وأحمد بن رجب المزين ترجمانه وتحدث الناس بوصول مروس[3] للأمير يحيى الحمزاوي لجدة وفيه حب مصرية وأخبر بمروسه الثاني الكثير واصلٌ بعده وفيه قاض رومي للمدينة الشريفة وخطيب ثان لمكة المشرفة. واضطرب الناس في ذلك، فالله تعالى يبلغ من كان السبب في المهالك .

ثم في يوم الجمعة عشريْ الشهر وصل لمكة إمام للحنفية رومي اسمه محمد [كذا إمام في أدرنه كان][4] وباشر نصف الإمامة عوض السيد عبد الله البخاري المتوفى من سنتين وتولى عنه ابن أخيه السيد محمد بن أحمد البخاري وتوجّه مع الحاج إلى الأبواب الشريفة واستناب عنه جارنا الشيخ إبراهيم بن علي بن إبراهيم

(١) بالأصل: يحيى الحمزاوي، وهو خطأ أصلحناه .
(٢) كلمة سقطت من الأصل .
(٣) مروس: مركب بحري .
(٤) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

القدسي الحنفي وبعض الأعاجم وباشر عنه في غيبته وشكر الناس منهما، ووقع الإنكار (١) على المتعدي في المباشرة وتغييره لأحرف القراءة. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان أول من تعدى بالإلحاد في تقرير الوظائف من غير شغور في بلد الله الحرام .

وفي الجمعة الموالية لمباشرته وصل قاصد من القاهرة إلى نائب جدة الرومي يرد جوابه في القبض على مال سلطان الهند بهادر شاه لموته من تحت وزيره وأنّ نائب مصر أمره بمحاسبته فيما يصرف فيه منها وشكروه على فعله. وأنه.... (٢) على جماعة ملك التجار ويختم على أموال سيده لكونه أوصى بوصايا كثيرة لجماعته وغيرهم من أهل الحرمين مقدار مائة ألف أشرفي وجعل وصيه صاحب مكة السيد أبا(٣) نمي الحسني مع وجود ولد له كبير عمره نحو ثلاثين سنة. فأنكر ذلك الخاصة والعامة .

وفي ضحى يوم الجمعة سادس عشر الشهر ماتت الشريفة أم هاني ابنة السيد أبي الخير محمد بن عبد اللطيف الحسني الفاسي وهي عقيم خالية من الأزواج .

وخلفت أختها فاطمة زوجة إمام الشافعية أبي اليمن الطبري وابن أختها أحد العدول الزيني أبا السرور بن يحيى بن إدريس بن عبد القوي، وجهّزها في ظهر تاريخه وصلّي عليها عقب صلاة العصر وشيّعها جماعة من الأعيان ودُفنت في تربة سلفها بالشعب الأقصى. وكان عمرها نحو خمسين سنة .

وفي ليلة الثلاثاء سلخ الشهر ماتت أم الخير ابنة الخواجا جمال الدين محمد

(١) بالأصل: الإنكاري .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) بالأصل: أبو .

ابن.... (١) الفومني أم الوجيه عبد الرحمن الصنعاني وعمرها نحو ثمانين سنة .

[١٧١ أ] وخلفت أخواتها الثلاثة، وصلّي عليها صبح تاريخه ودفنت بالمعلاة في تربة جماعتها .

شهر صفر الخير أستهل كاملاً بالثلاثاء من سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٧م)

في أوله وصل لمكة قاضيها الرومي الجديد الزيني مصطفى الحنفي وصحبته نائب جدة الرومي وقصد القاضي الفقهاءُ بالسلام عليه .

وفي ظهر تاريخه توجّه القاضي والنائب لجهة بيت ملك التجار السيد علاء الدين وضبطوا مخلفه وخُتِم عليه ويقال (٢) نقل بعض التحف في صندوق لبيت نائب جدة مع وجود ولده المستقرّ ولمبرّاته. فلا قوة إلا بالله .

وفي عشاء ليلة الأربعاء ثاني الشهر وقع بمكة مطر قوي ورياح شديدة فرقت المطر. وحصل في وقته وضع ربيبتي سعادة ابنة الخواجا عبد الرحمن الحصين ولداً ذكرا سمي عبد الرحمن باسم أبيها وجدّ زوجها الشيخ العلامة جمال الدين محمد ابن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المالكي الشهير بالحطاب وفرحنا به لكونه بكرها، وهنأ الناس والده وعمل له عقيقة في يوم سابعه أطعم فيها الفقراء والقرابة من النساء.

وفي ظهر يوم الجمعة رابع الشهر طلب نائب جدة الرومي قاضي مكة الجديد الحنفي وبقية القضاة المفصولين من المذاهب الأربعة وجلسوا في مقام الحنفية، ثم سأل نائب جدة القضاة الأربعة عن قبضه لمال السلطان بهادر في كم صندوق ؟ فقالوا له: مائتان وخمسون صندوقاً، و لم يظهر لهم خلاف السؤال عن ذلك. وطيب

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) كلمة مكررة بالأصل .

القاضي المتولي خواطرهم (١) بالسؤال عن مسائل علمية أجابوه عنها وعن غيرها وغير ذلك مما وعدهم به من مساعدتهم وإكرامهم، والله أعلم بحقيقتها.

وفي صبح يوم الجمعة رابع الشهر صُلّي على زين الكمال الحبشية أم أولاد الشيخ أبي سعد محمد بن زائد المكي وشيّعها جماعة من الأعيان وغيرهم ودفنت بالمعلاة في تربة بني زائد (٢) .

وخلفت من سيدها ولدين وهما النوري علي والشهابي أحمد وأم المسعود البكر. وحزنوا عليها لكونها جامعة شمله. وكان وجعها أشهرا وهي عاقلة مدبرة، رحمها الله تعالى .

وفي عشاء ليلة الأحد سادس الشهر سافر السيد محمود ابن السيد علاء الدين ملك التجار على رواحل وصحبته مماليك أبيه خسروه وخليفة إلى ينبع خفية، فأقام في الوادي عند القاضي برهان الدين بن ظهيرة فأشار عليه بالركوب في شقدف لطيف وأعطاه من عنده فسافر فيه. كتب الله سلامته وقضى مأربه وكفاه مهماته .

وفي ضحى يوم الثلاثاء تاسع عشريْ الشهر مات الولد المراهق أبو الحسن محمد ابن الشيخ ولي الدين محمد بن.... (٣) الضرير نزيل مكة وجهّزه في يومه وصلّى عليه شيخ الشافعية أبو الحسن البكري عند باب الكعبة وشيّعه جماعة ودُفن بتربة سلفنا على بعض أجدادنا القدماء لغلط الحفار في حفرة قبره. وكانت أمه مريضة بالإسهال فحزنت عليه لكونها مع أبيه ليس لها ولد غيره فلحقته بالوفاة بعد أربعة أيام، وماتت [١٧١ ب] في ضحى يوم السبت سادس عشريْ الشهر واسمها زينب [بنت] (٤) علي الطراوي، فجهّزها زوجها، وصلّي عليها في عصر تاريخه

(١) بالأصل: خواطركم .
(٢) بالأصل: بني زائدا .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٤) كلمة سقطت من الأصل .

وشيّعها الشيخ أبو الحسن البكري وجماعة، ودُفنت في تربة سلفها بالقرب من والدها. رحمها الله تعالى وإيانا .

وفي ظهر يوم تاريخه ماتت الشريفة فاطمة ابنة شيخنا السيد أصيل الدين عبد الله بن محمد الحسني الأيجي الشافعي وتأخر دفنها إلى صبح ثاني تاريخه لأجل ضبط الدولة لمخلفها. وهي زوجة الشيخ المدرس فخر الدين أبو بكر الشيرازي العمري الشافعي. وليس لها أولاد ولها أختان إحداهما(١) بمكة واسمها أمة العزيز وثانية بالهند اسمها ست الشرف. وماتت لها أخت قبلها كانت زوجة زوجها قبلها.

وخلفت له مصاغاً ونقداً يقال مجموعه أكثر من ألفي أشرفي وختم على منزلها وجهّزت في ليلتها وصلّي عليها صبح ثاني تاريخه ودفنت بالمعلاة في تربة سلفها بشعب النور، وعمل لها ربعة وختم في يوم الجمعة الأخيرة، رحمها الله تعالى وإيانا.

ووصل لمكة في هذه الجمعة جماعة من الأشراف بني حسن منهم السيد حميضة عم صاحب مكة السيد أبي نمي الحسني وغيرهم من أهل الشام وثقيف أهل الطائف.... (٢) من جازان باليمن، فقد نصرهم الله على صاحبها وأذن لهم السيد أبو نمي إلى بلدانهم وهو مقيم بها لهدم سورها.... (٣) أهلها. فالله تعالى يؤيده ويعينه .

وفرغ الرطب من مكة ووصل بيع البرد إلى ثلاثة ورطلين ونصف واللون إلى أربعة، وأقام بها نحو الشهرين .

ووصل في هذا الشهر من الحجاز العنب والخوخ والتوت والتين والرمان، وقَلّ البطيخ والخيار والقثّاء، واشتدّ الحر لقلة وجود المطر. فالله تعالى يعيننا وينظر إلينا برحمته .

وفي أواخر هذا الشهر سافرت المراكب الهندية بعد منع نائب جدة لمراكب

(١) بالأصل: أحدهما .
(٢) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .

كنبايه والديو وسافر قبلها مراكب كاليكوط، ثم إن الباقين خدموا النائب بمبلغ حتى سمح لهم، وكان أولاً يحتج عليهم بعدم سفرهم لكون الفرنج المخذولين ملكوا الديو وقتلوا سلطانها بهادر شاه ويتقوون بالتوجّه إليهم (١) ففاتهم وقت سفرهم أيام النيروز، فكابروا بالسفر فغرق مركب واحد في شعب المحرم قريب جده فيه خلق من التجار والأموال لم يسلم منهم إلاّ القليل، ويقال رُبعهم، ورجع بعض الركبة من المراكب منهم عارف العجمي ثم الشيخ عبد الحق شيخ سلطان المغل وترك نوله، وامتنع بقية الركبة من ذلك. فالله تعالى يقدر لهم خيراً ويكتب سلامتهم.

شهر ربيع الأول استهل ناقصاً بالأربعاء
من سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٧م)

في أوله وصل لمكة السيد أبو القاسم بن بركات الحسني شقيق صاحبها السيد أبي نمي ووصل له ابن أخيه السيد أحمد من الوادي وعمل له ضيافة عند الزيني عبيد ناظر المواريث وابن ناظرها الخواجا الكمالي أبو الفضل بن أبي علي المكي وحملها إلى منزله في أوانيها مع الحُمَّال .

وفي أول الشهر نادى قاضي القضاة الزيني مصطفى الرومي في الأسواق بأنه نائب الحسبة وسعّر على أهل السوق في بيع الفاكهة واللحم، وكان يباع كل رطل ونصف بكبير والعنب رطلين ونصف [١٧٢ أ] وزاد كل منهم نصف رطل فعُدم اللحم من السوق وقلّتْ الفاكهة لعِناد السوقة، فلله الأمر .

وفي يوم الجمعة ثالث الشهر عمل الإمام شرف الدين يحيى ابن الإمام مكرم ابن القاضي محب الدين محمد الطبري الشافعي إمام مقام الخليل كسلفه وليمة حسنة لزواج ابنته كمالية التي عقد لها في أول هذه السنة على ابن خاله الزيني أبي السرور

(١) كذا وردت الجملة بالأصل .

ابن شهاب الدين أحمد بن محمد الحرازي الحنفي حضره القضاة وأعيان مكة وغيرهم من الغرباء. ودخلت في ليلة السبت ثاني تاريخه وهنّأه الناس بها .

وكان في ليلة الجمعة قبلها دخل الشرفي يحيى بن الشهابي أحمد الخبزي المدني على زوجته ابنة.... (١) وعمل لها وليمة حضرها قليل من الناس لضعف حاله. وهنأه جماعة من أصحابه، جعلها الله مباركة عليه .

وفي ليلة الأحد ثاني عشر الشهر عمل الفقراء من الطوائف كالقادرية والأحمدية والمشرعية تهليلة من باب المسجد الحرام المعروف بباب (٢) علي إلى مولد النبي ﷺ ومشى معهم خلق من المعتقدين رجالاً ونساء وعليهم السكينة والوقار فزاروا المولد الشريف وعادوا قبل صلاة العشاء وأدركوها جماعة في المسجد الحرام .

وزالت البدعة من إيقاد الشموع والمفرعات مع ناظر المسجد الحرام، وهذه ثالث سنة تُعمل على وجه الإكرام للنبي ﷺ .... (٣) لهذه الليلة من يعظمها ببركة من وُلد فيها. فعمل شيخ الشافعية مفتي الفرقة الإسلامية أوحد الأماثل المعتبرين تاج العارفين أبو الحسن محمد ابن الشيخ جلال الدين البكري القاهري نزيل مكة المشرفة عام تاريخه مولداً عظيماً حضره قضاة مكة الأربعة المعزولون وغيرهم من الأفاضل المعتبَرين ومَدّ لهم سِماطيْن أحدهما بعد المغرب: أطعمة مفتخرة، وثانيهما بعد فراغ المولد: فَتوت وحلوى كثيرة. وحضرتُ ذلك مع الذكر فحصل لي فيه خشوع وفكر ببركة صاحب المولد ومَن عمله، فالله تعالى ينفع به ويجعل البركة في حياته .

وفي صبح تاريخه وصل لمكة السيد عرار بن عجل الحسني من جهة جازان لأجل إرسال قاصد للقاهرة من البحر لإخبّار نائبها بنصرة السيد أبي نمي على أهل

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) بالأصل: باب .
(٣) كلمتان غير معجمتين وغير مقروءتين بالأصل .

جازان. ووصل القاضي إبراهيم بن ظهيرة الشافعي من الوادي لأجله وكتب الأوراق وتوجّه القاصد، ولله الحمد .

وفي ليلة المولد الشريف فقدت ابنة خماسية السن لشخص مصري نَحّاس محالف.... [١] وفي يدها حدائد فضة فسأل عنها ثلاثة أيام ولم يظهر أمرها حتى خرجت جارية زنجية للقائدة سبيكة بنت بدر الحسنية ومعها حدائدها الفضة وعرضتها للبيع على الصوغ، فعرفها صائغها فأخبر بها أهلها فتوجّه والد البنت إلى الحاكم القائد مبارك الدهلكي في عشاء ليلة الأربعاء خامس عشر الشهر فأمره بالصبر إلى الصباح، فلم يصبر والدها وتوجّه لقاضي القضاة الزيني مصطفى الرومي ومعه جماعة إلى منزله - وهم يصيحون - فنزل إليهم القاضي وطلب الحاكم فتعذر حضوره فأخرهم إلى الصباح، فحضر الأخصام والحاكم وأمر القاضي بحضور الجارية فتوجّهوا لمنزل سيدتها فأظهرت الكلام الكثير على الحاكم، فأمر القاضي جماعة من الأروام على هجم منزلها فهاجموه ومسكوا الجارية وتوجّهوا بها إلى القاضي فاعترفت بقتل البنت المذكورة مع بنت ثانية [١٧٢ ب] لشخص من العرب ضاعت يوم القضية لم يشتهر أمرها ويقال ثالثة قبلها. وموجب ذلك أنّ سيدتها ألزمتها بدراهم وحَبّ في كل يوم وقد تعبت في تحصيل ذلك. فأمر القاضي بإحضار سيدتها فاختفت وهي من.... [٢] القواد لبني حسن وولدها شيخ النوبة وهو خيّال شجاع. فتوقف الحاكم من طلبها وصمّم القاضي في حضورها وأرسل للشريف أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي ونائب جدة الرومي يخبرهما بالقضية وشنّع الأروام فيها وكثُرت القالات في الجارية وسيدتها، ثم صفّى الأمر على قطع أيدي الجارية ورجلها وعلقوها في رقبتها وسُمّرتْ على جمل وطيف بها في المسعى

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

ثم شُنقتْ .

واتفق في ليلة الأربعاء المذكورة عمل زفة من الصفا لطهار ولد الخواجا أبي بكر الرخامي من ابنة الخواجا بركات المسعودي، تصدى لجمع الناس القاضي تاج الدين المالكي فحضرها هو والحنفي والخطيب العراقي المفصولان وبعض الفقهاء والتجار.

وفي ظهر يوم الجمعة سابع عشر الشهر وصل لمكة قاصد من القاهرة صحبته عدة أوراق للناس منها أوراق لوزير الهند آصف خان لجماعته يخبرهم بأنه حصل له إكرام زائد من نائب الديار المصرية وخلع عليه وعلى جماعته خلعاً [١] سَنية وأنه جهّز له مركباً في إسكندرية وتوجّه للسفر فيه لمواجهة الخنكار في بلاد الروم، بلّغه الله ما يروم. وأرسل بمرسوم لجماعته لإعزازهم وإكرامهم .

وفي ليلة السبت ثاني تاريخه وصل لمكة نائب جدة الرومي .

وفي صباحها توجّه لقاضي البلد الزيني مصطفى الرومي الحنفي وأظهر مرسوماً وصل إليه من القاهرة بحراً فيه الشكر منه في قبض مال سلطان الهند مظفر شاه من وزيره آصف خان المقيم بمكة وتوجّه في.... [٢] لقبضه عن صاحب السنجق الشريف أبي نمي وجماعته. ويؤكدون عليه في الفحص عن بقية المال من جماعة الوزير والترسيم عليهم في ذلك فأرسل إلى جماعة منهم وكيل الوزير على عياله ميا عمر وشمس خان وبعض كتّابهم وقاضي المالكية التاجي عبد الوهاب بن يعقوب والشيخ عبد الفتاح الشيرازي وغيرهم ممن كان الوزير يميل إليه، فاضطربوا لذلك وأخرجوا المرسوم الواصل إليهم مع القاصد أمس تاريخه فوجدوا تاريخه متأخراً [٣] عن مرسوم نائب جدة بأيام قليلة. وكان كُتب قبل دخول الحاج للقاهرة وكُتب

(١) بالأصل: خلع .
(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٣) بالأصل: متأخر .

الثاني بعد دخولهم، وحصل به الفرج لجماعته وتركهم نائب جدة والقاضي. وتوجّهوا إلى بيوتهم وصار العقلاء يضحكون من أفعالهم .

وكان الخواجا أبو بكر بن.... [1] الرخامي صهر الخواجا بركات المسعودي المغربي عمل في ليلة السبت [2] المذكورة مولداً في منزله حضره القضاة والتجار وبعض الفقهاء لطلب القاضي المالكي التاجي لهم لكونه صهرهم .

وفي صباحها خُتن الولد وعبْدان له وتأخر السماط لأجل القاضي حتى.... [3] مع جماعة الوزير إلى الظهر. وكان سماطاً هائلاً فيه ألوان مفتخرة وحلويات كثيرة ولم يحضره كثير من الناس لتأخره عن وقته وسلمهم الله تعالى من تقريبه [4] لأفراح صهرهم القاضي مع زوجته، ولله الحمد .

وفي ليلة الثلاثاء حادي عشريْ الشهر وصل لمكة الإيجي أمين التِرَك.... [5] الرومي وسكن في بيت الخواجا أبي الفضل بن أبي علي بإشارة ولد الزيني عبيد خليفته في التكلم على التركات من جهة [١٧٣ أ] صاحب مكة ولم يُحْمَد على فعله لكونه مشاركاً له في وظيفته من جهة الأروام واستولى على بعض التركات، وأنكر عليه في التصرفات كما سيأتي ذكره.

وفي هذه الجمعة شرع القاضي بجدة - كان - القاضي شرف الدين يحيى ابن الشيخ العلامة عز الدين الفائز ابن قاضي جدة والخطيب بمكة فخر الدين بن علي بن ظهيرة القرشي في عمل فازة أمام منزله بحوش ابن عمران لأجل زواج ولده الأصغر جمال الدين محمد على البنت البالغ زينب ابنة المرحوم القاضي بدر الدين محمد ابن

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) بالأصل: ليلة الأربعاء ليلة السبت .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٤) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة، والإعجام مقترح .
(٥) بياض بمقدار ثلاث كلمات بالأصل .

قاضي القضاة شيخ الإسلام الجمالي أبي السعود إبراهيم بن علي بن ظهيرة القرشي الشافعي واجتمع عندهم جماعة من أقاربهم وغيرهم من أصحابهم.

ثم في يوم الأربعاء تاسع عشريْ [1] الشهر وصل لمكة من وادي مر ولي الزوجة ابن عم أبيها أقضى القضاة البرهاني إبراهيم ابن القاضي شهاب الدين أحمد ابن قاضي القضاة بن ظهيرة الشافعي وعم والد الزوج القاضي أمين الدين محمد ابن الخطيب فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة وأولاده وعياله.

وفي صبح يوم الخميس سلخ الشهر خرجت المؤذنة لطلب النساء في العقد وبل السكر المذاب لأجله وحصل لصق على المؤذنتين من أقارب الزوجين وأصحابهم، فكان المحصول لجهة الزوج أكثر من مؤذنة العروس لأجل اللصق على وجهها.

شهر ربيع الثاني استهل كاملاً بالجمعة لخفائه في الليلة قبلها من سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧م)

وربما تحدث الناس بالوادي برؤية الهلال بالخميس ولم يثبت.

وفي ثالث الشهر كان العقد بين الزوجين في الفازه وحضره جماعة من الأشراف والقضاة والفقهاء منهم عَمًّا صاحب مكة السيد أبو الغيث ورميثة وبعض أولادهما والسيد عرار بن عجل النموي وقاضي القضاة الشرفي المالكي المتولي وقت تاريخه وقاضي الحنفية وقاضي الحنابلة المفصولان مع ابن عم الزوجة قاضي المسلمين البرهاني بن ظهيرة وجلس وسطهم وباشر العقد بنفسه وبالغ في الخطبة لتضمينها فضل قريش وجماعة الزوجين من الآباء والأجداد وحُمِد في تأديتها وبلاغتها وظهرت رئاسته فيها. كان الله في عونه وزاده فضلاً وإحساناً.

وفي صبح يوم الأربعاء سادس الشهر عمل السماط في الفازة وكان هائلاً فيه

(١) بالأصل: تاسع عشر، وهو خطأ يتّضح أمره بعد قراءة الفقرة الموالية .

الألوان المفتخرة من الحلويات وغيرها وهي أنيقة حسنة، وحضر فيه القضاة والأعيان والفقهاء والتجار وغيرهم.

وفي ليلة الخميس ثاني تاريخه دخل الزوج في بيت جده لكونه مزوّج على عمة الزوجة - وهي القائمة بجهازها - وكملت في فعلها لكونها خاتمة الرؤساء وعمدة النساء. فالله يجعل ذلك مباركاً ميموناً عليهما.

واتفق في ضحى يوم الجمعة أول الشهر وفاة الخواجا زين الدين عبد الكريم ابن حمام سكر المصري المكي، رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

وخلّف دوراً بمكة وجدة وديوناً وذرية هم ثلاثة صبيان وابنتين أكبرهم غائب بالشام وجعل وصيهما خالهما الوجيه عبد الرحمن البحيري ابن أخت الشيخ أبي زرعة أحد العدول بمكة، فجهّزه يوم تاريخه وصلّي عليه بعد صلاة الجمعة، وشيّعه جماعة من الأعيان وغيرهم إلى المعلاة. ودفن على قبر أبيه في الشعب الأقصى.

وكان وصل من المدينة الشريفة شهر تاريخه وترك [١٧٣ ب] بها فراشه ونخيلاً (١).

وتكلم الرومي على تركته وضبطها (٢)....(٣) والقماش وغير ذلك من المنقولات لأجل حصة ولده الغائب. وأنكر الناس ذلك، ولله الأمر.

وفي ليلة الثلاثاء خامس الشهر وصل من جدة قاضي مكة الرومي، وكان توجّه إليها وأقام بها نحو جمعتين فشُكِيَ إليه أمين التركات في تصرفاته وترك جماعة الشريف من مخالطاته فتكلم عليه ومال لما لديْه .

وفي ليلة الخميس سابع عشر الشهر كان العقد على ابنة قاضي الحنفية- كان- أبي السرور أحمد ابن قاضي القضاة النوري علي بن أبي الليث ابن الضياء العمري المكي على قريبه الأصيل الزيني أبي البقاء محمد ابن المرحوم

(١) كذا بالأصل .
(٢) كلمة مكررة بالأصل .
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .

الشيخ كمال الدين أبي الفضائل محمد بن أحمد ابن قاضي القضاة أبي البقاء بن الضياء القرشي الحنفي، وباشر ذلك قاضي القضاة الشرفي أبو القاسم الأنصاري وعمل خطبة طويلة في فضل النكاح وتعظيم الزوجين وأهلهما، شكره الحاضرون في تأديتها.

وكان فعل ذلك أمام منزل جدّ الزوجة لأمها الخطيب محب الدين النويري قريب سوق الشبيكة وشرب الحاضرون سكرا مذابا وقدّم لهم البخور والماورد على العادة وانصرفوا.

ودخل الزوج على أهله في ليلة السبت تاسع عشر الشهر، وهنأه الناس بها، جعله الله مباركاً ميموناً (١) عليهما.

وفي آخر يوم الجمعة أمس تاريخه سافرت قافلة كبيرة إلى المدينة الشريفة فيها الأمير صندل السليمي شيخ الحرم النبوي - كان - والشيخ عبد الفتاح وغيرهم. كتب الله سلامتهم وتقبل زيارتهم.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر الشهر جاء الخبر من ينبع بأن الأمير جانم الحمزاوي أمين الديار المصرية وصل إليها بعسكره نحو خمسمائة نفس وخيل أزيد من مائة وجمال نحو الألفين مع حجاج رافقوه من القاهرة. وكان خروجهم منها في ثاني عشريْ الشهر قبله وتوجّه للزيارة النبوية. وقصْده بمكة تسلم الأموال الهندية كما رسم به الخنكار سليمان سلطان الأقطار الرومية وبلاد العجم والديار المصرية، والشامية. فارتج العباد، واهتم لقدومه أولاد البلاد، وتأهبوا لملاقاته بالفواكه وغيرها من الأطعمة.

ووصلت مكاتبته لأخيه الأمير شرف الدين يحيى الحمزاوي وغير ذلك من التقدمة ثم توالت رسله حتى وصل بنفسه إلى ظاهر مكة في الزاهر عصر يوم الثلاثاء

(١) بالأصل: مباركة ميمونة .

تاسع عشر الشهر فخرج لملاقاته جماعة وبعض الأكابر ولاقاه السيد أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي من وادي مر، وأراد أن يعمل له سماطاً فمنعه من ذلك رفقاً به، فقدم له الحلويات وغيرها من الفواكه وعاد معه لمكة فدخلها بعد صلاة العشاء ثاني تاريخه فطوفه وسعاه من تقدم بأيام وهو الإمام محيي الدين محمد ابن الإمام جمال الدين عبد البر الطبري الشافعي ورفقته ابن عمه المتوفى الإمام إسماعيل وكان عادته يطوفه فشاركه بالفجور والجرأة رئيس المؤذنين بزمزم أبو عبد الله محمد ابن الفخري أبي بكر بن أبي عبد الله الكازروني الأصل المكي لكونه تقدم قبله، ففصل بينهم الأمير بمباشرة كل واحد لمرة من الطواف والسعي، فأنكر العقال من الأئمة لابن أخيهم بمساواة رئيس المؤذنين، لكونهم أرأس منه بيقين. دينا وعلما وأصالة ووظيفة. لكن طمع الدنيا يُعمي الأبصار [١٧٤ أ] ويسلب الأنفس من الاستبصار، فلا قوة إلاّ بالله العلي القدير.

وكان صبح يوم الأربعاء المذكور توجّه السيد أحمد ابن صاحب مكة الحسني لمواجهة الأمير جانم الحمزاوي في الزاهر وعرض له بعسكره من الخيل والرجل ورافقه قاضي مكة الزيني مصطفى الرومي ونائب جدة وغيرهم من أركان الدولة، ولبس الشريف خلعة على عادته ومشى معه إلى محلّه عند درب المعلاة ونصب خيامه هنالك ووضع جماله وبغاله فيها.

وعمل له الشريف سماطا في منزله وهرع الأعيان للسلام عليه وقدم له هدية ونقدا يقال عشرة آلاف أشرفي ونحو أربعين جملاً واشترى مثلها بأزيد من ثمنها وشكره أهلها وتردد بعد ذلك لمنزل أخيه الأمير شرف الدين يحيى الحمزاوي في حارة الشاميين بقعيقعان. وكانت غالب إقامته عنده في النهار ويصلّي الصلوات الخمس مع الجماعة بالمسجد الحرام ويتوجّه بعد العشاء إلى محطته بالمعلاة في خيامه.

ونادى في يوم وصوله بالأمان والاطمئنان، ومن عبث عليه أحد من عسكره

فعليه ببابه، ولم يحدث منه ومن عسكره ضرر لأحد من أهل البلد، ولم يُدخل نفسه في قضية من القضايا مع تنصّله من ذلك وإظهار البشاشة وإكرام مَن يقصده من الخاصة والعامة. وتردد لجماعة من العلماء والصلحاء وعُدّ ذلك من محاسنه في جميع أفعاله، كثر الله من أمثاله.

واتفق في يوم الخميس تاسع عشريْ الشهر يوم وصول أمر الأمير جانم الحمزاوي بقراءة سورة الأنعام للخنكار الأعظم، بالحطيم المعظم، رفقة قاضي البلد مصلح الدين الرومي والفقهاء من العرب والعجم وكان شروعهم فيها في جمعة تاريخه بأمر قاضي البلد الرومي. وبعد فراغ قراءتها حضر إليه نائب جدة الزيني مصطفى الرومي وسأله في تسليم مال الهنود في الصناديق التي تسلّمها من الوزير آصف خان في العام الخالي، وكان توجّه بها إلى جدة ثم ردها إلى مكة عند سماع وصول (١) الأمير جانم الحمزاوي لأجلها وتركها بالمدرسة الأشرفية القايتبائية حتى يحضر ابن صاحب السنجق السيد أحمد ابن السيد أبي نمي الحسني وتُقرأ المراسيم الواصلة صحبته بسببها. فأرسلوا له فجاء إليه وتوجّهوا إلى المدرسة وتركوا قراءة المراسيم في الحطيم، وأعطي الشريف أحمد مرسوم أبيه ولم يُعلم ما فيه، ثم إنهم قبّنوا(٢) بعض الصناديق من المال فوجدوها مختلة الوزن فقال الأمير جانم الحمزاوي لنائب جدة: هي في تسليمك حتى تصل بها إلى الديار المصرية ثم الأبواب الخنكارية وأعزم بالعسكر صحبتك. وأمر بالجهاز في جمعة تاريخه فاهتموا لذلك وتكلم الناس في أمره من فتح بعض الصناديق وخيانته فيها. ثم إنه باع جميع مخلفه من الأثاث والعبيد والجواري(٣) وغير ذلك وكثرت الشكوى فيه عند الحمزاوي فلم يُبْدِ له شيئاً.

(١) بالأصل: عند سماع وصول عند وصول.
(٢) القبان: الميزان ذو الذراع.
(٣) بالأصل: الجوار.

شهر جماد الأول استهل ناقصاً بالسبت

من سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧م)

واتفق في ظهر يوم الثلاثاء رابع الشهر أنّ نائب جدة فتح حاصل المسجد الحرام جهة باب إبراهيم تحت سكنِه بالقصر وادعى أنه فقد بعض العود الهندي من البخور واتهم به بعض خدمه من الأروام فمسكه وتوجّه به إلى قاضي مكة الرومي وعرض عليه أمره فأمره بضربه حتى يُقرّ فتوجّه به إلى بيت القائد الزيني مبارك الدهلكي حاكم الشريف فضربه ضرباً مبرحاً وعاقبه بأنواع من العذاب [١٧٤ ب] وأسقاه الجير وكسر بعض أسنانه وأراد تلَفهُ، فلما شاهد جماعة الحاكم فحش فعله توجّهوا إلى القاضي الرومي وأخبروه بخبره فأمر بإحضاره إليه فرآه في حالة التلف وتكلم على نائب جدة وقال له: لم آمرك بقتله وإذا مات تُقتل به، وأمر بإطلاقه. ثم إنه.... (١).

وفي صبح ثاني تاريخه توجّه القاضي والأمير جانم الحمزاوي إلى جهة الحاصل وأحضروا المضروب وهو مملوك لمشد العين الرومي الغائب عن مكة في جهة الروم وسألوه عن قصته فقال لهم: كان المفتاح معي وجاءني بعض جماعة نائب [جدة](٢) وأخذه مني على لسانه. ثم إني تبعته فوجدتُ الأمير بنفسه في الحاصل و لم أعلم ما فعل فيه. فصار نائب جدة يحلف ببراءته من هذا الفعل. فقال له الأمير جانم الحمزاوي: أنت المفرّط في مال الخنكار وهذا الحاصل غير مأمون في تخلية المال فيه وقَبّنَ الباقي من العود فجاء حملاً ونصفا (٣) وفضل فيه ثلاث قطع وزنها نحو ألف مَنّ بنحو سبعة آلاف دينار. وحُمل إلى المدرسة الأشرفية عند الصناديق وعدتها

(١) كذا انقطعت الجملة بالأصل .

(٢) إضافة يقتضيها سياق الجملة .

(٣) بالأصل: حمل ونصف .

مائتان وخمسون كل اثنين منها حمل.... (١) عليها نائب جدة وجعلها في صناديق وخيّش عليها.

ثم في يوم الجمعة سابع الشهر برزت الصناديق من المال والعود على أربعة وستين حملاً وقاد كل حمل إنقشاري من العسكر وتوجّهوا به صحبة نائب جدة والأمير جانم الحمزاوي إلى محطة العسكر بالمعلاة ووضع هناك في خيمة. ونوى الأمير الرحيل في ليلة السبت ثاني تاريخه.

وكان فرق مبرّةً على أرباب الشعائر من أهل الوظائف بالمسجد الحرام جعل لكل إمام من الشافعية وهم سبعة والحنفية والمالكية ثلاثة والحنابلة اثنان، عشر أشرفية سليمية، ولكل واحد من الخطباء الثلاثة سبعة أشرفية سليمية ولكل فرّاش سليمي، ولكل بوّاب نصف سليمي، وكل مؤذن سليميان.

وفرقتْ بيده على جماعة من.... (٢) من الرجال والنساء على (٣) وأخذ رزقه من واحد واثنين وثلاثة وأكثر وبعضهم محلقة، والتمّ عليه الفقراء في ذهابه وإيابه حتى نزق منهم وتوجّه إلى محطته وأقام بها من بعد صلاة الجمعة. وتأخر بعده أخوه (٤) الأمير شرف الدين الحمزاوي حتى أعطى جماعة من الفقهاء كبني ظهيرة وغيرهم كل واحد خمسة أشرفية سليمية، منهم كاتبه وأخيه. أثابه الله تعالى وكتب سلامته.

وفي ضحى يوم السبت ثاني تاريخه رحل وودعه صاحب مكة وغيره من الأكابر من خارج البلد وكثر الثناء عليه في أفعاله في تعبّده وفضله، فالله تعالى يقابله بالخير ويكتب له السلامة، في السفر والإقامة.

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٢) كلمتان غير مقروءتين بالأصل، لعلهما: الفقراء الفرادية .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) بالأصل: أخاه .

وفي ليلة الأحد تاسع الشهر توجّه بعده أخوه وولده الزيني محمود للسفر صحبته إلى الديار المصرية وترك عياله بمكة على نية العود لهم مع الحاج واستيطانها. بلغه الله مرامه وكتب له السلامة في السفر والإقامة، بمحمد وآله آمين.

وفي يوم السبت خامس عشر الشهر اتفقت (١) لي المخاصمة مع أخي لتعديه عليّ، ونسبته الظلم لديّ، من كوني ساكن في وقف والدي وعمرتُه بنحو ثلاثمائة أشرفي من مالي على نية الرجوع بها على جهة الوقف.

واتفقتُ معه والأخت العزبة في السكنى فيه بقية عمري وهما يسكنان في دار غالبها ملكي [١٧٥ أ] بقية عمرها بأجرة معينة على كل منا ولا يزاد فيها علينا. وثبت ذلك محرراً، وحكم به القاضي المالكي مقرراً، وإلى أحد من أخوتي حصتهما منجّما حتى أستوفيها. وخاصم الأخ في بدلها مع الظلم في جهات غيرها. فاجتمعت أنا وإياه مع جماعة من العلماء الأخيار عند العلامة الحجة قاضي المالكية الشرفي أبي القاسم عين الأعيان من الأنصار فوقع بيننا من الخصام، ما حصل فيه الملام، وعند الله يجتمع الأخصام. فأشار مولانا القاضي المشار إليه، والجماعة الحاضرون لديه، في كتابة فتوى جامعة لواقعتنا كما اتفق لنا لعلماء الشافعية، المقيمين بمكة البهية، لكون وقف والدي حكم بموجبه القاضي الشافعي، فكتبت الفتوى المذكورة، بإملاء القاضي المالكي على الصفة المشهورة. فأجاب عليها من الشافعية مفتي الفرقة الإسلامية مفتي الزمان، ونادرة الأوان، تاج العارفين أبو الحسن محمد البكري الصديقي والعلامة الحجة قاضي القضاة بمكة وجدة ناظر المسجد الحرام، أوحد علماء الأنام، القدوة اللطيف زين الدين عبد اللطيف ابن كثير - متّع الله بحياتهما وأدام النفع بهما - بأن شرط الواقف من السكنى بشرط العمارة الماضية يكون تبرعاً ممن فعله ويلزم الأخوان أجرة المثل في سكنهم لكون الالتزام غير لازم وهو

(١) بالأصل: اتفق .

مخالف لشرط الواقف.

ووافق على ذلك بقية أهل المذاهب الثلاثة كما بينتُه مفصلاً في مؤلفي الذي عملتُه في الواقعة في شهر تاريخه واسمه **حفظ العهود، على حكم وقف دار الفهود** فظهر بذلك بطلان أخي وعدم انقياده للوجه الشرعي كما سيأتي ذكره مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وفي ضحى يوم الإثنين سابع عشر الشهر مات إمام مقام الشافعية بمكة برهان الدين إبراهيم ابن الإمام أبي السعادات محمد الطبري المكي، وكان توعك طويلاً أزيد من نصف سنة بالحدور (١) ورمى الدم، وكُوي مراراً فطاب وعاد لمرضه حتى قضى نحبه. فجهّز في ظهر تاريخه وصلّي عليه بعد صلاة العصر في ساباط مقام الخليل كعادة سلفه الأئمة ودفن في تربتهم في شعب النور، رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

وخلّف شقيقيه أبا الخير وأبا (٢) اليمن، وحزنا عليه مع جميع معارفه لحسن عشرته وكرم نفسه وصونه. وعمره خمسة وخمسون سنة و لم يعقب ذرية، رحمه الله وإيانا.

وفي ظهر يوم الجمعة حادي عشريْ الشهر حصل بمكة مطر قوي وتوالي في نواحيها جهة عرفة وسالت الأودية واستبشر الناس بالخير والمرعى.

وفي ليلة السبت ثاني تاريخه كان عقد الأصيل نور الدين علي ابن شيخنا العلامة المحدث شهاب الدين أحمد بن صحصاح محمد الشهير بالحرفوش الخانكي الأصل المكي الشافعي على خطيبته ابنة المرحوم قاضي القضاة بمكة وجدة الجمالي محمد بديع الزمان ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام النوري علي ابن الضياء القرشي

(١) الحدور: الأورام. الجوهري: الصحاح ، مادة (ح د ر) .
(٢) بالأصل: أبو الخير وأبو .

العمري الحنفي. وعقد بها عمها العلامة قاضي القضاة الشهابي أحمد أبو السرور أمام رحبة منزلهم بباب العمرة. وحضر ذلك جماعة من الأعيان منهم عم صاحب مكة وابن صاحبها السيد حميضة ابن السيد محمد بن بركات الحسني وبعض أولاده والشيخ المعتقد علي بن عمر الطواشي وقاضي القضاة المالكي التاجي عبد الوهاب ابن يعقوب [١٧٥ ب] وغيرهم من الفقهاء والتجار. وكان العقد على مائتي مثقال حالة، وعظّم عمها والدها. وشرب الحاضرون سكراً مذابا مع البخور والماورد وانصرفوا.

وفي صبح العقد هنّأ الناس الزوج وعم الزوجة كعادة البلد.

وفي عصر يوم الإثنين رابع عشريْ الشهر ماتت المرأة عين الأهل ابنة صاحبنا العدل المرتضى الشهابي أحمد بن علي الحناوي المكي المالكي. وكان زوّجها على زوج طلقها من سنتين ثم ثانياً قبل الموسم مع زوجة غارت منه فمرضت وطلبت من الزوج الثاني طلاقها طلقة تملك بها نفسها على براءتها له من مهرها وحقوقها عليه، فوكلت الزوج وكالة دورية في طلاقها بعد براءتها قبل جمعة من موتها. حضرتُ ذلك، فطلقها كما ذكر في يوم وكالته. وجهّزت في ليلة ودفنها بعد صلاة صبح تاريخه ودفنت بالمعلاة في الشعب الأقصى عند جدها. وليس مع أبيها ذرية غيرها، رحمها الله تعالى.

شهر جماد الثاني استهل كاملاً بالإثنين
من سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٧م)

وفي ليلة الأحد سابع الشهر دخل النوري علي الحرفوش على زوجته كمالية ابنة قاضي القضاة بديع الزمان ابن الضياء الحنفي وهنأه الناس في صباحها، ولم يعمل لها وليمة إلاّ في صباحيتها لعدم من يعتني بها، وبعد جمعة نقلها إلى منزله وعمل لها

سابعا عند أهلها وحلوى في منزله وقت نُقلتها إليه. وفق الله بينهما ورحم والديهما.

وفي الثلث الأخير من ليلة السبت ثالث عشر الشهر كسف القمر كسوفاً كاملاً لجميعه. وصلّى الخطيب جمال الدين محمد ابن شيخنا العلامة الزاهد عفيف الدين عبد الله باكثير الكندي صلاةِ لطيفة ختمها عند قيام صلاة الصبح، ولم ينجل القمر جميعه ثم صلّيت صلاة الصبح وبعدها خطب الخطيب المشار إليه خطبة بليغة وجيزة شكره الحاضرون لها.

وفي يوم الإثنين خامس عشر الشهر ظهرت بمكة سكة جديدة في الفلوس عملها نواب صاحب مكة السيد أبي نمي محمد الحسني وهو غائب في جهة اليمن ببلاد جازان، ودُقتْ في المسعى وفُرقتْ على المتسببين والصيارف وأهل الخان من البزازين كل أربعين فلساً صغيراً بمحلق كبير وكل عشرين فلسا كبيرا [١] بمحلق كبير على نصف المعاملة الأولى. وتضرر العامة من ذلك لنقصها.

وكان السبب في فعلها رأس المباشرين بجدة الجمالي محمد بن أحمد المريسي. وكثرت الشكوى فيه لأجل ذلك وغيره. فالله ينتقم منه بعدله. وأما أهل جدة فتحاملها السوقة وأعادوا صرفها الأول على حاله ثمانين فلساً بكبير وخسروا في الأشرفي نحو نصفه وحُمدوا على فعلهم، ثم تبعهم سوقة أهل مكة بعد التشكي بما لا يفيدهم. والله تعالى يخلف عليهم جميعهم ويعينهم.

شهر رجب الفرد استهل كاملاً بالأربعاء
من سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧م)

في أول ليلة منه عقد شيخ الشافعية وقدوة البرية العلامة الحجة تاج الدين أبو الحسن محمد ابن الشيخ جلال الدين محمد البكري القاهري نزيل مكة الآن - نفع الله

(١) بالأصل: فلس كبير.

به – على.... (١) ابنة الخواجا الأجل شهاب الدين أحمد بن محمد العنبري الدمشقي المكي في منزل أبيها عمارة الخواجا محمد الطاهر على باب السويقة جوار المسجد الحرام. وباشر لعقده [١٧٦ أ] قاضي القضاة الشرفي أبو القاسم الأنصاري المالكي وخطب خطبة حسنة عظّم (٢) فيها الزوج بما يليق به من عظمته وجلالته. و لم يحضر بنفسه بل وكّل في القبول عنه تلميذه الشيخ المدرس شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي. وحضرتُ ذلك مع جماعة من الفضلاء التجار الأجلاء. وكان مأنوساً مبجلاً وشرب الحاضرون فيه سكراً مع البخور والماورد على العادة. وهنأ الناس الزوج في صبح تاريخه، وابتهج بفعله مع كونه صحبته بمكة زوجتان أولاهما أم ولده وثانيتهما(٣) ابنة القاضي شمس الدين الحلبي وثالثة قريبة له تركها بالقاهرة، وقال لي إنه قصد بالرابعة أن تكون مقيمة بمكة حتى إذا قدمها جاء بمفرده من غير زوجاته. ودخل بها في ثاني عقده وأقام عندها ثلاثة أيام لكونها ثيّب. وهنأه الناس في منزل أبيها، وعمل لها وليمة مختصرة لم يشكرها مَن حضرها مِن جماعة الزوج.

وفي فجر يوم الإثنين سادس الشهر مات الأصيل الزيني أبو(٤) الفضل ابن الشيخ كمال الدين محمد بن أبي البركات القسطلاني المكي الشهير كسلفه بابن الزيني المالكي. وجهّز في ليلته وصلّي عليه صبح تاريخه عند باب الكعبة، ودفن على عمه بتربة جد أبيه الوجيه النحاس في الشعب الأقصى من المعلاة. وعمره نحو الخمسين سنة. رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

وخلّف أباه وزوجته فاطمة ابنة القاضي نسيم الدين المرشدي الحنفي وابناً سُمّيَ كجدّه وبنته زينب مراهقة، ويقال دين نحو خمسمائة أشرفي بل أكثر، قضاه

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) بالأصل: عظم الله .
(٣) بالأصل: أولهما وثانيهما .
(٤) بالأصل: أبي .

الله عنه وجبر أولاده.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر فرق قاضي القضاة بمكة الأفندي مصلح الدين ناظر المسجد الحرام مبَرّة وصلت من بعض الأعاجم أصلها يقال مائة سلطاني أكبر من الأولى بمرتين. وأعْطِيَ لكل قاض عشرون كبيراً وللنواب نصفها وللأئمة ثلثها ولغيرهم دونها، وحصل لي منها ستة كبار.

وفي يوم تاريخه سافرت قافلة المدينة الشريفة إليها وتتابع الناس في اليوم الذي بعد تاريخه وكانوا خلقاً كثيراً. كتب الله سلامتهم وتقبّل زيارتهم.

وفي جمعة تاريخه وقع بيني وبين أخي خصام من جهة استئجاري لمنزلي فمنعها لنائبي وقصد إخفاء حاله لمصاررة (١) فوصلت إليّ كرهاً عليه واستمرت عندي، وتجرّأ على كتابته وخاله الدب، وسلم له خاله قصيدة عدتها خمسة وثمانون قال إنها موعظة لي وهي كالعربة منغمسة في حرمه (٢). وصار الأخ وابنه يعرضانها على الناس، وينسبانها(٣) للولد حتى ظهرت (٤) قلة عقلهما للعلماء الأكياس، واستكثروها على الولد ثم أقرّ بها على الخال التالي، الذي هو عن الخيرات خالي. فأهملتُهم نحو شهرين حتى علم الناس و لم ينتج مكرهم، فالله تعالى يخذلهم وحزبهم، ويُحْسن الخلاص منهم – كما سيأتي – فعلي وفعلهم.

شهر شعبان المبارك استهل ناقصاً بالخميس

من سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٨م)

في أوله أمر قاضي القضاة مصطفى الرومي الحنفي نائبه قاضي القضاة الشرفي

(١) كذا بالأصل .
(٢) كذا وردت الفقرة مضطربة .
(٣) بالأصل: ويعرضاها على الناس وينسباها .
(٤) بالأصل: ظهر .

المالكي بطلوع جبل أبي قبيس لرؤية الهلال على عـادة مـن تقدمـه. وتوقّـف النـائب حتى أُلْزِمه، وطلب بعض الفقهاء وكنْتُ منهم، فطلعتُ معهم ورأينا الهلال ناقصاً.

وفي أول جمعة فيه زوّجَ قاضي القضاة مصطفى الرومي المشار إليه ابنته على شخص رومي [١٧٦ ب] يقال إنه تاجر(١) كان بالهند أبوه (٢) مفتيا في بلاد الروم. [اسمه عبد الرحمن المدرس له.... كبيرة](٣). وعمل له سماطاً حافلاً في يوم الأحد حادي عشر الشهر في سكَنه في القاعة العينية المعروفة قديماً بالمدرسة الأفضلية وحضر فيه قضاة البلد وأهلها والغرباء واهتمّ به كثيراً فجعل فيه الألوان المفتخرة كالرّزّيْن والمأمونيتيْن وهريسة الفستق ورغيف السيوطي والدجاج وغير ذلك من الخضر كعادة أهل البلد. وشكر الناس منه، وكنتُ ممن حضره ورأيت جهاز العروس من الملبوس والفرش في جانب البيت ظاهراً على حِدَة ليراه الناس على قاعدة مِلَل الروم. ثم أدخِل العروسة على زوجها في ليلة الجمعة حادي عشر الشهر في بيت زوجها في بيت ابن شمس عند باب العمرة كقاعدة بلدهم.

وحصل في تلك الليلة مطر غزير بمكة وأعمالها حصل فيه النفع وتتابع بعد ذلك فلله الحمد.

وفي ليلة الأربعاء سابع الشهر كانت (٤) وفاة أم ولد القاضي جلال الدين بن ظهيرة المدعوة جوهرة الحبشية فجهّزت في ليلتها وصلّي عليها صبح تاريخه عند باب الكعبة وشيّعها خلق من أهل البلد لأجل سيّدها ودُفنت بتربة سلفه بالحجون، وأخذ العزاء فيها وحزن عليها، فالله يعوّضه خيراً.

(١) بالأصل: تاجرا .
(٢) بالأصل: أباه .
(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي. والكلمة قبل الأخيرة منها غير مقروءة .
(٤) بالأصل: كان .

وفي يوم تاريخه ماتت.... (١) ابنة الشيخ ولي الدين أبي زرعة المنوفي العدل، وجهّزها في يومها وصلّي عليها عصر تاريخه ودفنتْ بالمعلاة وهي مراهقة، عوضها الله وأهلها الجنة.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر وصل من المدينة الشريفة أوائل القافلة وقالوا إنها افترقت فرقاً متعددة في مكة وجدة لقدم كثير متعادون (٢) إليه ثم تتابعوا بعد ذلك ثلاثة أيام.

ولم يذكر بعضٌ ليلة النصف من مكة لكثرة الأمطار بها وحواليها .

وبيعت الحلوى كل رطل بكبيرين وعثماني لغلو العسل بمكة.

وفي ليلة الإثنين تاسع عشر الشهر ولد لصاحبنا الشيخ المفيد جمال الدين محمد ابن الشيخ فخر الدين أبي بكر الشلح السلمي المكي ولد ذكر من موطوء ته الحبشية سمّاه أبا محمد عبد العظيم جار الله، جعله الله ولد الحياة، وحفظه وأخته وأخاه، لأنّ والده احترق قلبه كثيراً من تكرار موت الأولاد، رحمه الله.

وفي صبح يوم تاريخه أشيع أنه وصل لمكة قاصد من القاهرة يخبر بنصرة الخنكار سليمان خان ابن(٣) عثمان على الفرنج المخذولين، وعاد إلى تخت مملكته. وأنّ القاصد توجّه لملاقاة السيد أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي إلى جهة اليمن لكونه انتقل بفريقه إليها من عرفة، وعاد القاصد إلى البلد في عصر يوم الثلاثاء عشريْ الشهر واجتمع بقاضي البلد أفندي مصلح الدين مصطفى وأعطاه مراسيمه من الخنكار والباشا نائب مصر.

وفي صبح تاريخه طلب القاضي جماعة الشريف لقراءة المراسيم بالحطيم – على

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) كذا وردت الجملة بالأصل .
(٣) كلمة سقطت من الأصل .

العادة – فقالوا: هذا لا يكون إلاّ بحضرة صاحب السنجق [1] السيد أبي نمي وهو غائب في جازان جهة اليمن. فحينئذ ونصره [2] على قراءة المراسيم أمام منزله والرواق اليماني من المسجد الحرام، وحضره بعض جماعة الشريف كالحاكم الدهلكي وجوهر أحمر وابن المريسي [3]، وغيرهم من الأروام والعامة.

وقُرئ مرسوم خنكاري بالتركي للقاضي قرأه أحد مباشري جدة من الأروام ولم يَعْلم العرب [١٧٧ أ] ما فيه. وكانت قراءته والقاضي والخلق واقفون على أقدامهم، وغُيِّرتْ العادة في قراءته والناس جلوس.

ثم قرأ النجمي محمد ابن الشيخ علم العباسي مرسوماً ثانياً من الباشا نائب مصر مضمونه يُقال كما في مرسوم الخنكار وهو الإخبار بنصرته على الكفار وأخذهم نحو ثلاثين قلعة سُمِّيتْ بأسماء لا نعلمها وإنه عاد إلى تخت ملكه وأمر بزينة البلاد الحجازية. فسُر المسلمون لنصرته وعوده إلى تخت مملكته، وكثر الدعاء له نصره الله تعالى من كل طائف وقاطن وعاكف.

ثم إن القاضي أمر بإجهار النداء في شوارع مكة بالزينة سبعة، فزُيِّنت وبعض بيوت التجار من الروم والعجم في جهة السويقة، وابتهج الناس بها، ولله الحمد.

وتُركتْ في جمعة تاريخه قراءة سورة الأنعام بالحطيم الشريف واستكملتْ مدة أربعة أشهر ولم يُصرف لقراءتها معلوم. ولأهل مكة أسوة بأهل المدينة والقدس وغيرهما من البلدان الذين يقرؤونها للخنكار لطلب النصرة والثواب، من الملك الوهاب.

وفي يوم السبت رابع عشر الشهر فَتَحَ البيت الشريف شيخُ الحجبة القدوة الجليل الشرفي أبو القاسم الشيبي ودخل معه قاضي القضاة الحنفي أفندي مصلح

(١) بالأصل: السنجر .
(٢) كذا بالأصل، وهو كلام غير متناسق مع سياق الجملة .
(٣) جملة تكررت بالأصل .

الدين مصطفى الرومي، وشرع في عمارة الرخام المقلوع من أرض الكعبة وجدرانها مع تسمير الأسطوانة الموالية للجهة الشمالية التي أصلحت في عام.... [1] وأربعين وتسعمائة لتشعُّثها من المطر جهة الميزاب .

وطلب القاضي جماعة من الفقهاء والعلماء والصالحين منهم شيخ الشافعية أبا الحسن البكري وشيخ الصوفية علي الكيزواني [2] الحلبي. وبلغني أنّ الشيخ البكري تعرض لمنع العمارة في المحلّ الشريف، وأنه يضرّ بالبيت المعظم المنيف، فترك القاضي ما شرع في عمله، وذلك لخوفه وديانته. فالله تعالى يصلح الأحوال، في الحال والمآل، بمحمد وآله آمين.

وفي جمعة تاريخه أَلّفتُ مؤلفي: **قمع الشهوات، في رد كذب ناظم القهوات المسماة الجراة بالنظم في الكذب على العم** [3] ما يقمع مدّعيها ومن كان السبب في نظمها، وتركوا روايتها للناس، حين أنكرها العلماء الأكياس. فالله تعالى يخذل المبطلين، ولا يُصلح عمل المفسدين.

وفي عصر يوم الخميس تاسع عشريْ الشهر حصل مطر غزير بمكة وغيم مطبق منع القاضي لطلوع جبل أبي قبيس لرؤية هلال شهر رمضان ثم إنه كابَدَ الأفندي مصلح الدين فطلع بنفسه مع نائبه القاضي شرف الدين أبي القاسم المالكي وبعض جماعة من العرب والأروام وصلّوا علوه صلاة المغرب فحط عليهم المطر بقوة فنزل القاضي الرومي بكلفة وقد اجتهد رأيه ولم ينظر الهلال أحد بمكة فأصبح أهلها مفطرون. بل عمل أحد مفتيي الشافعية الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) هو علي بن أحمد الحموي، شاعر من أهل الدين له مؤلفات. توفي سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م الغزي: الكواكب السائرة ٢: ٢٠١ - ٢٠٣ .
(٣) كذا ورد العنوان بالأصل .

نزيل مكة الآن وليمة لعقيقة ولديه المولودين في الخماسين [1] من سنة تاريخه. ودعا فيها شيخه شيخ الشافعية وعين الأعيان تاج العارفين أبا [2] الحسن محمد البكري وقضاة مكة وفضلاءها ومعتقَديها والفقراء أكثر من مائة نفس فأكلوا من الوليمة بعد صلاة الجمعة.

بل تحدث العامة أنهم رأوا الهلال واضطرب الكلام في القيل والقال فلم يفدهم إلاّ الملام. ثم إن الناس رأوا هلال شهر رمضان كبيراً قبل أذان المغرب.

[١٧٧ ب] شهر رمضان المعظم استهل كاملاً بالسبت من سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٨م)

فصام أهل مكة في صبحها وتحدث الناس أنّ بعض القرى التي حواليها من الأودية وجدة واليمن وعرفة رأوا الهلال ليلة الجمعة، وأنّ بعضهم صامه في يوم رؤيته، فكانت هذه فتنة خفية، لا يعلم حقيقتها إلاّ ربّ البرية.

وفي ليلة الثلاثاء رابع الشهر - على رؤية أهل مكة - وُلد ولَد للإمام أبي اليمن أحمد بن أبي السعادات محمد الطبري إمام مقام الخليل بمكة سمّاه باسم أخيه المتوفى في عام تاريخه البرهاني. وأمه الشريفة سعادة ابنة السيد زين العابدين الحسني.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر الشهر - على رؤية أهل مكة - وُلد لإمام مقام الخليل أيضاً الجمالي محمد الملقب بالغزاوي الطبري ولد ذكر سمّاه باسم أبيه المتوفى في العام الماضي الزيني عبد المعطي وأمه فاطمة ابنة القاضي شهاب الدين أحمد بن أبي السعادات الأنصاري المالكي. فذهبتُ لتهنئته فأخبرني صهره زوج أخته قاضي القضاة الشرفي أبو القاسم المالكي أنّ شهر رمضان ثبت عنده بالجمعة بشهادة بعض

(١) رياح فصلية تظهر في فصل الربيع .
(٢) بالأصل: أبي .

الأشراف وغيرهم المقيمين جهة اليمن [1]- قرب مكة - وكذا جماعة من أهل جدة والأودية، وأنه أرسل بعضهم إلى مستنيبه قاضي القضاة الحنفي مصطفى الرومي فقبله.

وفي يوم الإثنين ثامن عشر الشهر - على الثبوت الجديد - ولد للأصيل السراجي عمر ابن قاضي المسلمين نور الدين علي بن أبي بكر المرشدي المكي الحنفي - شقيق زوجتي أم أولادي - [بنت] [2] وسمّاها باسم أخته المرحومة أم الأولاد زينب. وأمها سيدة الأهل ابنة العدل المرتضى الزيني أبي السرور بن شرف الدين يحيى بن إدريس بن عبد القوي المكي المالكي. وهنّأه الناس بها لكونها بكره، وعمل لها سابعاً موافقة لأمها.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر ماتت سيدة القضاة ابنة الشيخ عبد القادر ابن عبد الحي بن ظهيرة المكية، وجهّزها قريبها الشيخ أبو عبد الله بن عطية بن ظهيرة في يومه وصلّي عليها بعد صلاة العصر وشيّعها جماعة من الفقهاء وغيرهم، ودفنت بتربة سلفها عند الشيخ الشولي، رحمها الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

وفي يوم الجمعة رابع تاريخه وصل أقاربها من جدة الوارثين لها أولاد أخوتها وهم المحيوي عبد القادر بن أبي بكر بن عبد القادر و.... [3] بن عمر بن عبد القادر، وعزاهم الناس فيها، واستولوا على مخلفها وعادوا إلى جدة سكنهم.

وفي ليلة الإثنين خامس عشريْ الشهر كانت العادة يختم فيها إمام الحنفية بالمسجد الحرام من صلاة التراويح فلم يختم نائب إمامهم الشيخ إبراهيم لغيبة مستنيبه في بلاد الروم، لكونه يسلم الشمع والمفرعات والزيت للقناديل وخدمة الفراشين بنحو أشرفيين أو ثلاثة.

(١) بالأصل: اليمين .
(٢) إضافة تقتضيها الجملة .
(٣) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

وفي ضحى يوم الثلاثاء ثاني تاريخه توجّه الأعيان من أرباب الوظائف كالقاضي مصطفى الرومي ونوابه والقضاة المفصولين الشافعيين البرهاني بن ظهيرة والزيني عبد اللطيف باكثير [١٧٨ أ] والمالكي التاجي بن يعقوب لملاقاة صاحب مكة السيد الشريف أبي نمي الحسني بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي لقدومه من بلاد جازان من جهة اليمن. وكان توجّه لمحاربة سلطانها في سابع شهر رمضان من السنة الماضية فظفر به فكملت لغيبته سنة كاملة وعشرون [يوما] (١). فلاقوه على خيلهم من قوز المكاسة (٢) وبعضهم من بركة الماجن. وهو راكب على راحلة محرم بعمرة ومعه قليل من عسكره.

فدخل إلى المسجد وطاف بالكعبة أسبوعاً ودعا له الرئيس أبو عبد الله فوق ظلة زمزم دعاء سلفه المشهور. ثم بعد فراغه من الطواف خرج من باب الصفا لأجل السعي فالتمّ عليه العامة بالدعاء بنصرته وإظهار محبته. فسعى وقضى من شغفته (٣) وتوجّه إلى منزله وقصده الناس والخلق للسلام عليه وتهنئته. وأنشد الشعراء عدة قصائد في مدحه، منهم الشيخ زين الدين عبد اللطيف الديربي والسيد بدر الدين حسين بن ناصر والرئيس أبو عبد الله المكي، وغيرهم مما لا نطوّل بذكرهم.

ثم عمل له ولده السيد أحمد سماطا بعد المغرب عند إفطاره ودعا فيه أرباب الوظائف من القضاة المتولين والمفصولين وغيرهم. وجلس القاضي الرومي على يمينه وولده السيد أحمد وبعض القضاة المفصولين على يساره.

وفي ثاني تاريخه عمل له وليمة ثانية قاضي الشافعية المفصول البرهاني إبراهيم ابن ظهيرة فحضرها بعض الأعيان فقدم القاضي المتولي الأفندي مصلح الدين

(١) إضافة تقتضيها الجملة .
(٢) حيّ بمكة مايزال يحمل اسمه هذا إلى اليوم مع تغيير كلمة « المكاسة » إلى « النكاسة » .
(٣) كذا بالأصل .

الرومي للسيد أبي نمي هدية من القماش السكندراني والسكر يقال بنحو مائتي أشرفي، وكذا قاضي القضاة التاجي المالكي المفصول يقال إنه عمل حلوى عند الإفطار أو السحور. فأعجبه ذلك أكثر من هدية القاضي، ولذلك صلّى في ختم ولده بالمقام كما سيأتي.

وفي ليلة الأربعاء سابع عشريْ الشهر كان ختم مقام الحنبلي وصلّى فيه الإمام الأصيل عفيف الدين عبد الله ابن قاضي القضاة إمام المقام المذكور المحيوي عبد القادر ابن الشيخ نجم الدين محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي، وأمه حبشية، وعمره نحو أربع عشرة سنة وظهر بعد وفاة والده بأشهر.... (١) مع أجله نجم الدين محمد وأمه عربية وبينهما في العمر أشهراً.... (٢) أخوان أكبر منهما. فحضر ختمه بعض القضاة المفصولين وغيرهم من الفقهاء، وكان ختماً مأنوساً لطيفاً.

ثم بعد الفراغ منه ختم صلاة التراويح بجماعة من الأروام الأصيل (٣) الفاضل أبو حامد ابن إمام الحنفية المرحوم السيد أحمد بن محمد البخاري الحسني واحتفل بذلك عوض ختم المقام كما تقدم تركه. وختم الجمالي محمد ابن الشيخ جعفر الرومي في الرواق الشرقي وكانت قراءتهما حسنة.

وفي ليلة الجمعة تاسع عشريْ الشهر احتفل قاضي القضاة التاجي بن يعقوب المالكي المفصول بختم ولده البرهاني إبراهيم المراهق صلاة التراويح في مقام المالكية. وعمل له زفة من منزله بالمفرعات والشموع والمشاعل ودُعي فيها القضاة والفقهاء والتجار وغيرهم، فمشوا أمام الولد من منزله إلى سويقة الشامي ودخل من باب الزيادة حتى وصل إلى المقام، والنساء يزغردن خلفه بأصواتهن (٤) في المسجد الحرام.

(١) كلمتان غير مقروءتين بالأصل .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٣) كلمة مكررة بالأصل .
(٤) بالأصل: يزغرطون خلفه بأصواتهم .

وأنكر ذلك الأروام منهم قاضي مكة الحنفي الأفندي مصلح الدين، وسمعتُه وهو في الطواف يقول: هذا إسراف وهو مخالف للشرع، وأنكره بلسانه [١٧٨ ب] وجبُنَ عن الأمر بتركه خوفاً من المعارضة.... [١] خصوصاً وصاحب السنجق في البلاد.

واتفق أنه حضر الصلاة خلف الولد بالمقام وصحبته ولده السيد أحمد وأخوه السيد أبو القاسم وصهره السيد عرار بن عجل وغيرهم من القضاة والأعيان من الفقهاء والتجار وغيرهم، وكثر فيها السرج من الثريات والمفرعات وغير ذلك. وكان بهجاً مأنوساً وخطب الولد خطبة بعد فراغه على منبر الوُعّاظ - على العادة - ودعا فيه للخنكار وأمير مكة السيد أبي نمي ووالده وجده وناظر المسجد الحرام. فخلع عليه السيد أبو [٢] نمي خلعة قفطان وكذا.... [٣]. ويقال ذلك بسؤال والده للشريف فجازاه بذلك على هديته المتقدمة عند قدومه. وعُدّ حضوره من الغرائب لكونه لم يتفق لغيره وهو من العجائب.

وأصيب الشريف أبو[٤] نمي في المجلس قبل الفراغ من الختم لوصول الخبر له بوفاة ولده الشريف أبي سعد - وهو مراهق - وتركه مريضا بفريقه فوصلوا بجنازته لمكة، فجهّز في ليلته وصلّي عليه ودفن في صبح تاريخه وشيّعه الأعيان للمعلاة.

شهر ذي القعدة الحرام استهل كاملا بالإثنين
من سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٨م)

وفي صباحها سافر صاحب مكة السيد أبو نمي محمد بن بركات الحسني

(١) بياض بمقدار ثلاث كلمات بالأصل.
(٢) بالأصل: أبي.
(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٤) بالأصل: أبي.

إلى جهة الشرق على نية محاربة عرب سبيع وشيخهم الرويبي، وأخفى طلبه لذلك، فأُنذر خصمه به ففرّ منه ولم يلحقه، فقُدر أنه وقع على الشريف في ليلة ثالث الشهر مطر قوي بثلج كبار ففرّ بعض خيله من ذلك حتى وجدهم مفرقين.

واستعمل من الثلج أخوه الشريف أبو القاسم ابن السيد بركات فمرض بالحمى وكُتِم باطنه نحو جمعة ثم قضى نَحْبه في عصر يوم الخميس حادي عشر الشهر. فجهّزه شقيقه على راحلة له وأرسل معه ولده السيد أحمد والشريف عرار ابن عجل وغيره من الأشراف والقواد، فجدّوا به في السير مسافة خمسة أيام في يوم وليلة وصلوا به إلى مكة في عشاء ليلة السبت ثالث عشر الشهر ودخلوا به إلى منزله وجهّز فيه وصلّي عليه عند باب الكعبة في صبح تاريخه، وشيّعه القضاة والأعيان وغيرهم، ودفن في قبة أبيه الجديدة من جهة القبلة ومن الجانب الآخر أخوه ثقبة.

وعُملتْ له ربعة في المسجد الحرام والمعلاة ثلاثة أيام وخُتم له في صبيحة رابعها يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر، وأُنْشِدتْ [١] فيه عدة مراثٍ، ونعى عليه النساء في المعلاة أياما، ووصل الأشراف من البر للعزاء به، رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

وخلف ستة أولاد من الذكور والإناث - رحمه الله وعوضه في شبابه الجنة - وأظهر الحزن عليه أخوه السيد أبو نمي فتوجّه من غيطه بحرا[٢] بخيله ورواحله إلى جهة عرب مطير وبني حرب بن علي وشيخ أولهما جغيمان والثاني سعي [٣] فكبس فريقهم وأخذهم بغتة فكسب مالهم من الخيل والإبل والغنم شيئاً كثيراً. فمن الخيل يقال نحو المائة ومن الإبل والغنم بالآلاف. ثم إن شيخ بني حرب أظهر له الصلح

(١) بالأصل: وأنشد.
(٢) وردت بالأصل: بحرا. وهي قرية « بحرة » التي تقع في واد خصيب بين مكة وجدة، البلادي: معجم معالم الحجاز ٢: ١٨٣ - ١٨٤.
(٣) كذا ورد الاسم بالأصل.

وأنه طائعه فرد عليه تعلّقه وغنم الباقي ودخل به مكة وباعه بها. كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

واتفق في أول الشهر وصول الخواجا محمد علي القيلاني من الديو ونزل من المراكب الهندية على البر من جهة درب اليمن وفرح التجار بوصوله بغتة، وأخبر بوصول خمسة مراكب من الديو [١٧٩ أ] وأقام بمكة أياماً ثم توجّه لجدة. ودخل مركبُه وغيره من المراكب الهندية من جهات متفرقة.

وفي ليلة السبت سادس الشهر سافر لجدة قاضي مكة مصطفى الرومي وباشر المعشر في الفرضة السلطانية، وأنكر الناس عليه هذه القضية لكونه قاضي الشرع ولم يتوقف عن حضور المكس، وذلك لعدم نائب لجدة فيها. ثم إنه فوّض الأمر إلى اليازجي الرومي – أحد الكتاب بجدة – وعاد لمكة بعد نصف شهر وأكثر.

وكان القاضي الرومي الأفندي شرع أول شهر تاريخه في عمارة تربة له بالمعلاة بجانب قبة خوند أم الناصر ولد الأشرف قايتباي في مارة الطريق جوار مسجده وعمل فيه سبيلاً وفتح دبلاً[1] في عين مكة وسافر لجدة ولم يكمل، وجعل عليها قيّماً أحمد بن.... [2] الترجمان عنده فباشر في غيبته إلى حين وصوله من جدة.

وفي يوم السبت المذكور اتفق في بيت الخواجا روح الدين العجمي اللاري بالسويقة أنّ بعض العمال المشهورين نزل في صهريجه لكَنْسِه فمات بوصوله إليه، ويقال ذلك من الجان، فنزل له عبد صاحب البيت فمات أيضاً ثم مات ثالث[3] بجعل عشرة.... [4] كبار له فمات أيضاً، فاضطرب الناس لذلك. [وظهر أنه من

(١) الدبل: الجدول .

(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

(٣) بالأصل: ثالثا .

(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل .

عفونة الأرض وحبس الهواء الحي عنها، ويقع ذلك كثيراً فليُتيقظ لذلك][1] .

ثم إن شخصا يقال له أبو شعرة طلب أشرفيا سلطانيا[2] عن أربعة أشرفية فنزل لهم فأخذ حرزا وفتح للصهريج باباً ثانياً [3] ودخل فيه فأخرج الأموات الثلاثة الذين [4] فيه وسلِم هو، وعُدّ ذلك من الغرائب. وطلب الحاكم صاحب البيت وأراد أخذ مال منه فقال له: لم آمر أحدا بالنزول فيه إلا الأخير وسلّمه الله تعالى، فما رضي الحاكم حتى تركه، فلله الأمر.

وفي فجر يوم السبت رابع الشهر مات الجمالي محمد ابن المرحوم قاضي القضاة أبي حامد بن عطية بن ظهيرة الحنبلي وهو مراهق عمره خمس عشرة سنة، وصلّي عليه عصر تاريخه عند الحجر الأسود ودفن بالمعلاة في تربة سلفه التي جوار الشيخ علي الشولي .

وعُملت له ربعة في المعلاة وخُتم له في رابعه. رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين. وخلّف أمه وعصبته، عوضهم الله فيه خيراً وعوضه في شبابه الجنة.

وفي ظهر يوم الجمعة ثاني تاريخه مات الخواجا خليل بن محمد الكيلاني أمين الصدقة المظفرية الهندية – كان – وتخلف دفنه إلى صبح تاريخه لأجل الختم على بيوته وحواصله. وكان وجعه أياماً وفرّق صدقة في أول وجعه نحو خمسمائة أشرفي وأوصى لابنته الموجودة وأنّ له جاريتين حاملتين وضعت إحداهما[5].... [6] وجعل وصيّه الشيخ أبا زرعة المنوفي أحد العدول وأثبت ذلك عند القاضي الرومي، ويقال

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

(٢) بالأصل: أشرفي سلطاني .

(٣) بالأصل: باب ثاني .

(٤) بالأصل: الذي .

(٥) بالأصل: أحدهما .

(٦) كلمة غير مقروءة بالأصل .

إنه عقد بابنته على ولد الشيخ أبي زرعة وأنه أوصى بصدقة لأهل الحرمين مكة والمدينة و لم تظهر حقيقة ذلك.

وصلّي عليه بعد صلاة الصبح يوم السبت سادس الشهر ودفن بالمعلاة عند قبر أبيه بجوار الشيخ علي الزيلعي – رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين – وعُملت له ربعة في المعلاة وخُتم له في رابعها.

وفي ضحى يوم السبت المذكور ماتت.... (١) الطفلة زينب ابنة المرحوم القاضي بدر الدين ابن قاضي القضاة الجمالي أبي السعود بن ظهيرة. وجهّزت في ساعتها وصلّى عليها(٢) عند الحجر الأسود وليها القاضي برهان الدين إبراهيم ابن القاضي شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن ظهيرة [١٧٩ ب] ودفنت بتربة سلفها بالحجون، وخلفت زوجها الذي تزوجها في سنة تاريخه وعمتها أخت أبيها وعصبَة وعُملت(٣) لها ربعة بالمعلاة وخُتم لها في رابعها.

وفي يوم.... (٤) عشريْ الشهر طلبني قاضي المالكية الشرفي أبو القاسم الأنصاري لدعوى أخي من جهة مبيعِهِ لي لحصة في بيتنا بمنى ودعواه أنه بيع الناس(٥) ويريد إبطاله لقلة عقله وعدم تدبيره. فحضرتُ في مجلسه ورأيتُ فيه جماعة من علماء المالكية وسألوني مع القاضي برده إليه ويعطي لي ما دفعتُه له وعهدة ذلك على القاضي، وطلب مستَنَدي فأعطيتُه له وقال لأخي: مهما جئتَ به أنا أسلم الباقي، فظهر من أخي الجرأة والإقدام كعادته فيّ، وقال في المجلس إنه يتقرّب إلى الله بقطيعتي. فأنكر الحاضرون عليه ذلك. فألنْتُ له الكلام، وبدأته وولده

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٢) بالأصل: عليه .

(٣) بالأصل: عمل .

(٤) بياض بمقدار ثلاث كلمات بالأصل .

(٥) ينظر في كتب الفقه

بالسلام، حتى بكى الحاضرون وصاروا كلهم شاكرين (١) [وصاروا يلومونه ويعتبون](٢).

واتفق الحال على صلح الولد لابني ويسكن هو وولده معي وقف والدي. فقاموا من المجلس و لم يظهر لفعلهم نتيجة إلاّ المكر والخديعة. ثم بعد عدة أيام لما كثر عليهم الإنكار حصلوا من الدراهم خمسة وخمسين، بنقص عن أصلها ثلاثين، وتوجّهوا بها إلى القاضي، وتردّد الولد مدة.... (٣) لها للنفقة و لم يأكل عندها، فظهر لي منهم الخديعة. ثم إن القاضي [دعاني] (٤) لقبض الدراهم ناقصة بأزيد من ثلثها، فوقع بيني وبينه من الكلام ما حصل به الخصام، وناقض قوله فعله، وعند الله تجتمع الأخصام، بل أكد العداوة بيننا فأشكوه إلى الله، فإنه يعلم السر وما أخفاه، وصار القاضي خصمي، وصرّح لي بأنّي إن (٥) لم أقبض الدراهم ناقصة أبطل حكمي، ....(٦) الأخت بينما يمتنع منزلها بمنزلي. وقبضتُ الثمن منه وأوقفتُ نصفه عليها ونصفه على سبيل بمنى. والله يخلف عليّ بخير. فأمرهم بالإتيان إلى منزلي والسلام على ابنتي، فجاء الأخ إليها وولده وسلموا عليها. [وما في القلوب يعلمه علام الغيوب](٧).

وفي ضحى يوم الخميس خامس عشريْ الشهر شُمّرت ثياب الكعبة الشريفة ويسمى إحرامها كعادتها من بني شيبة وخدامها بحضرة شيخهم [وخدام الدرجة

(١) بالأصل: شاكرون .

(٢) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

(٣) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٤) إضافة تقتضيها الجملة .

(٥) بالأصل: بأنّ .

(٦) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٧) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

والعامة][1].

وفي عصر يوم الجمعة ثاني تاريخه وصل قاصد لمكة من القاهرة وكان أرسله الأمير جانم الحمزاوي للقاضي [2] الأفندي مصطفى الرومي الحنفي. ولحق الحاج المصري في الحوراء وأخبر أنهم قليل والأسعار معهم رخية، فاستبشر أهل مكة بذلك لتحرك الغلاء بها في الأقوات. فالله تعالى يرخّصها ويرخّص أسعار المسلمين. [ويولي علينا خيارنا، ويغفر أوزارنا][3] .

وكان القاصد دخل إلى القاهرة بعد بروزهم منها بيومين وأقام بها نحو عشرة أيام، ودخل مكة بعد عشرين يوماً ومعه الأجوبة من نائب القاهرة لقاضي مكة من جهة الترك ومعارضة الأمين عليها ويسمى المالحي لأميرها السيد أبي نمي محمد بن بركات الحسني في أخذ عادته للألف أشرفي من كل تركة، ومهما زاد يكون للخنكار. فأحال نائب القاهرة على.... [4] مراسيم الشريف القديمة من زمن الأشرف قايتباي لسلفه، وأن يترك له ذلك. فتوجّه الأفندي بمراسيمه للسيد الشريف في مغرب تاريخه وفتحها بحضرته وقرأها عليه فسُر بها [١٨٠ أ] واطمأنّ خاطره، وذلك لحسن سياسة القاضي وتدبيره في مصالح أهل مكة، جزاه الله خيراً. ثم بعد وصول القاصد بيومين وصلت راحلة من أمير الينبع لصاحب مكة بخبر الحاج ولم تظهر له نتيجة.

ثم في عشاء ليلة الإثنين تاسع عشريْ الشهر وصل لمكة أول الحاج المصري على بغال وفيهم ابن العظمة المقوم. ثم تتابع الحاج في صبح تاريخه ومعهم جماعة من التكاررة وقاضي العسكر بمدينة تونس العلامة الشيخ مغوش المالكي، وكان قدم من

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٢) بالأصل: لقاضي .
(٣) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل .

الروم إلى دمشق الشام وتوجّه إلى الشام وتوجّه منها إلى القاهرة ثم إلى مكة، كما كتب لي به محدث الشام الشيخ محمد بن طولون الصالحي الحنفي، وقال: إنه من العلماء المحققين في سائر العلوم خلا فن الحديث على طريقة أبناء الغرب. وأقام بدمشق نحو الأربعين يوماً وسافر في سادس عشر جمادى الآخرة سنة تاريخه.

وعبّر عن هذا التاريخ الشيخ شهاب الدين الطيبي فقال: في السدس الرابع من الخمس الثالث من النصف الثاني من السدس الثالث من العشر الرابع من العشر الخامس من العشر العاشر من الهجرة.

وفي صبح تاريخه خرج لملاقاة أمير الحاج الزيني مصطفى كاشف النشار[1] الذي كان أمير الحاج في العام الماضي الشريف ابن صاحب مكة السيد أبي نمي ثاني أولاده ومعه مأكول من الفاكهة وغيرها من عند والده على عادته. ثم لاقاه والده من سبيل الجوخي [2] بالزاهر وعرض له بعسكر في صبح يوم الثلاثاء سلخ الشهر من المختلع، فخلع عليه وعلى السيد أحمد نائبه في سلطنة مكة خلعتين عظيمتين وطرازتين على عمائمهما الطبقين [3]. وخلع على السيد عرار بن عجل وقاضي مكة الرومي الأفندي مصلح الدين الحنفي قفطانين مدنّرين.

ونزل أمير الحاج مع السيد أبي نمي إلى مدرسة الأشرف قايتباي بالمسعى، وفارقه الشريف والقاضي إلى منزلهما، وسُرّ الناس بهم ولله الحمد.

(١) كذا بالأصل .
(٢) سبيل بمكة تمّتْ عمارته في سنة٣٨٢ هـ . الفاسي: شفاء الغرام ١: ٣٣٩ .
(٣) كذا بالأصل .

شهر ذي الحجة الحرام استهل كاملاً بالأربعاء
من سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٨م)

واختلف بعض الناس في رؤيته بالثلاثاء و لم يثبت - كما سيأتي ذكره - ونـزل وطاقه أمير الحاج المصري خارج باب المعلاة عند البِرَكْ وقيّم أمين الصدقة الرومية في محطته.

وأشيع أنه نهب له عدْله فيها بَقْجَة ثيابه ودفتر المبرة الرومية فتشوش الناس لذلك وصار بعضهم يصدق الخبر وبعضهم يكذبه، حتى توجّه الأمين الرومي إلى صاحب مكة السيد أبي نمي وأخبره بخبره وقدم له هديته الواصلة معه من الخنكار مع مراسيمه، فقال له: إن كانت السرقة عند جماعتي يُحضرون[1] وإن كانت عند النفر فهي درك أمير الحاج، وكل منا يفحص عنها. فظهرت عند النفر ورُميَ الدفتر عند خيمة أمير الحاج، و لم تظهر حقيقة لحوائج الأمين. ثم إنه سكن في المدرسة الكلبرجية [2] المجاورة لباب الصفا - أحد أبواب المسجد الحرام - علي عادة الأمناء قبله. وتحرك سكانها في منعه لوصول مرسوم لهم بعدم سكن الأمين عندهم لضررهم من جماعته. فلم يُفدهم ذلك لمصلحة الناس وصيانة المال.

ثم إن الأمين شرع في القسمة يوم الخميس ثاني الشهر وحضر الأفندي القاضي مصطفى الرومي أول مجلس مع كتّاب السيد أبي نمي والشيخ أبي زرعة - أحد العدول - بإشارة من صاحب السنْجق. ثم ترك القاضي الحضور بنفسه وأمر بعض جماعته بملازمتهم. ففُرّقتْ على العرب أولاً ثم العجم والأروام واستمرت

(١) بالأصل: يحضروا .
(٢) ذُكرتْ هذه المدرسة باسم الكلبرقية في كتاب غاية المرام للعز بن فهد ٣: ١٤٧ .

التفرقة خمسة أيام متوالية.

[١٨٠ ب] وفي يوم الإثنين سابع الشهر أعطى الأمناء مشائخ الأربطة ففرقوها على أربابها وانفرجوا فيها وتضاعف الدعاء لمرسلها وأمينها ومن حضر تفرقتها.

وحصل لي في عصر يوم الخميس في أول يوم من تفرقتها محنة وقعت لي مع أخي لعدم توفيقه معي لجرأته وولده عليّ. وذلك أني قررت له في بيتي بالمبرة الرومية عند توجّهي للأبواب الخنكارية في سنة عشرين وتسعمائة أربعة أسماء باثني عشرة أشرفية ولي مثلها ولأختيّ سعادة وسيدة قريش مثلها ولفاطمة ابنة صاحبنا الجمالي الشلح اسم، الجملة ثلاثة. فمات من أصحاب الأسماء اثنان وأسقط الأمناء اسما من نحو عشر سنين، فوزعتْ على كل أربعة أسماء أشرفياً ذهباً واحداً وأعطي الباقي لأربابها وهم شاكرون مني وراضون عني لتوسطي لهم في الخير المرتب في كل عام ولي أسوة بهم.

فأظهر الكمين من باطنه والظلم لي كعادته وطلب مني زيادة للنقصان، وما قضيتُه من دينه بالضمان، وهو ثلاثة أشرفية ذهب، فظهر لمن رآه أنّ عقله ذهب، فأساء هو وولده عليّ فطلبتُ تأديب ولده فمدّ يده إليّ وضربني الآن على رأسي حتى سال دمي. فتوجّهتُ حينئذ إلى الأفندي قاضي الحنفية وهو[1] في مجلس تفرقة الرومية، فأرسل معي شخصاً لإحضاره، فرأيته [2] ذهب في فراره، إلى شيخ الشافعية أبي الحسن البكري ودخل عليه في خلاصه مني، فتكلم عليه بحضرتي بما فيه رفعته لي وسألني في العفو وترك الأجر على الله. فوكلت أمري إلى الله واستعنت، ثم دخلت إلى الطواف الشريف، ودعوتُ الله تعالى في المحل المعظم المنيف، وغيره من المشاعر

(١) بالأصل: وهي .
(٢) بالأصل: فرأيت .

كالصفا والمروة وطلبتُ من الله النصرة عليه في كل مرة. فظهر عليه الخذلان والذل والهوان. ثم إنه جاءني هو وولده إلى محلي وقبّل كل منهما قدمي، فحصل لي عند ذلك عبرة، وسألت الله في وقاية كل عثرة، وأن يرحم شيبي ويقطع من قطعني، ويصل من وصلني، فإنه بالإجابة جدير، وعلى ما يشاء قدير.

وفي ضحى يوم الجمعة ثالث الشهر كانت تفرقة الذخيرة الشريفة في المدرسة الأشرفية بحضرة خازندار أمير الحاج المصري ومباشره وشاهديْ قاضي المحمل. وكانت التفرقة ذهباً، وهي هنيّة، أياماً متوالية.

وفي ليلة الإثنين سادس الشهر وصل جماعة من الحاج الشامي وأميرهم حسين بك الرومي نائب عجلون والعيلب[1] من أعمال دمشق الشام.

وعرض له صاحب مكة السيد أبو نمي بعسكره من الزاهر وخلع على ولده الكبير السيد أحمد وفارقه من الأبطح. ووصل صحبة الحاج الشامي وزير سلطان الهند مظفر شاه المدعو آصف خان، وكان وصل من الروم وزار القدس والخليل ورفقته إمام الحنفية السيد جمال الدين محمد بن أحمد البخاري الحسني وقريبي العلامة تقي الدين محمد ابن العدل خير الدين أبي الخير ابن الشيخ بدر الدين حسن بن النجمي محمد بن فهد الهاشمي الحنفي.

ولاقى الوزير من الحجون جماعة من أصحابه وأرباب الوظائف ببلده وترجل لأجلهم ودخل مكة ماشياً، ولاقيته من المعلاة فأظهر المحبة والمودة على عادته. وطوّفه وسعّاه إمام الشافعية الأميني أبي اليمن ابن الإمام أبي السعادات الطبري المكي بأمره. وركب الوزير في بعض سعيه ومشى الإمام تحته، وأنكر ذلك الفضلاء، وهرع أهل مكة للسلام على الوزير والقادمين من الشام.

---

(١) كذا بالأصل ولعلها عينتاب: من مدن الشام المشهورة .

[١٨١ أ] وأضفْتُ قريبي التقي بن فهد جذابة[1] وعسلاً وسرّني قدومه بعد غيبته خمس سنين، وكنتُ أخشى في سنة تاريخه أن يقطع مرتبه لكونه وصل مرسوم بعدم إعطاء الغياب مرتبهم في المبرة الرومية، فأحمد الله تعالى على وصوله وجمع الشمل به وبولده وأمه.

ووصل مع الحاج الشامي مرسوم للخطيب محيي الدين عبد القادر بن عبد الرحمن العراقي الشافعي بولايته من الروم لنصف الخطابة عوض الشيخ جمال الدين محمد ابن شيخنا عبد الله باكثير الشافعي. وباشر خطبة يوم السابع يوم الثلاثاء ثاني تاريخ وصول الحاج الشامي ومرسومه، وهنّأه أصحابه برد وظيفته إليه. وظهر بعض الأشراف الحسينيين من أهل المدينة وجماعة من حضرموت وأخبروا برؤية هلال[2] ذي الحجة في ليلة الثلاثاء. واختلف الناس ووصل الخبر إلى صاحب البلد ونائبها الرومي فأمر بالنداء: من رأى هلال ذي الحجة بالثلاثاء فليحضر عند الأفندي، فلم يحضر أحد. وتشوشت الخواطر من هذه الرواية. فأمر الأفندي بالتوجّه إلى عرفة في ليلة الأربعاء ويومها لإدراك الوقفة فيها فتوجّه الحاج إليها.

وكانت الوقفة يومين بالأربعاء والخميس وأدرك كثير من الناس غالب الليلة الأولى أو بعضها على قول بعض الشافعية: من أدرك جزءاً من الليل فقد أدرك الوقفة وليلتها تابعة[3] ليومها، خلافاً لبقية أيام السنة فإن النهار تابع لليل وعليه الإجماع.

وبيعت الأسعار في الأقوات[4] رخية وكذا الكباش والسمن. وأقام الناس بمنى ثلاثة أيام وهم آمنون. وشرع قاضي الحنفية الرومي الأفندي مصلح الدين في تفرقة

---

(١) الجوذاب: صنف من الطعام يُتّخذ من اللحم والرز أو الرقائق، ويحلّى أحيانا بسكر، Dozy: Suppléments...1 : 231 .

(٢) بالأصل: الهلال .

(٣) بالأصل: تابع .

(٤) كذا بالأصل .

وقف الحنفية، وكان وصل مع الحاج المصري مع بقية أوقاف القضاة وهم الشافعي والمالكي والحنبلي وحضر ذلك بنفسه في سَكَنه بحوش الخواجا جمال الدين محمد الطاهر الصائر للخواجا كمال الدين أبي الفضل بن أبي علي. وجلس معه وفي يده أسماء المستحقين الشيخ زين الدين مصطفى بن إدريس الرومي الحنفي الشهير بالمنتشوي، وصار القاضي يسأل عن الأسماء المحلولة التي مات أهلها وتركوا أولاداً بعدهم فيوقفها. وكثر كلام الحاضرين في ذلك وقالوا له: عادة أهل الحرمين تقرير النظار لأولادهم عوضهم وإلا يحصل الضرر للأطفال والحرم، فمال إلى إعطاء الأولاد ما لآبائهم.

ففرّقَ صر وقف الحنفي في ثاني أيام منى ثم ترك الحضور بنفسه وأمر الشيخ مصطفى والشيخ أبا زرعة في تفرقة الباقي مع بقية القضاة. ففُرق على أربابه بسهولة ولله الحمد. وعَدّ الفضلاء من أهل مكة فعل القاضي هذا من صلاحه وخيره. جزاه الله خيراً وأدامه عليه.

ثم بعد النزول من منى فرّق مولانا الأفندي ومعه الشيخ مصطفى الرومي والشيخ أبو زرعة المكي في يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة أمام الرواق اليماني من المسجد الحرام في بيت الشيبي المقابل للمدرسة العينية سكَن الأفندي قاضي الحنفية الرومي أول الحكمي.... [1] القاضي الشافعي بالقاهرة غالب النهار ثم في الليل بالمسجد الحرام حتى كمل هو والمستجدّ في خمسة أيام.

ثم سافر الحاج المصري في يوم الأحد تاسع عشر الشهر وشيّعهم أميرهم الزيني مصطفى الكاشف في ليلة الإثنين ثاني تاريخه. ولم يصبح أحد من الحاج بمكة. [١٨١ ب] وكانت إقامتهم بها عشرين [2] يوماً. وأقام بعدهم الحاج الشامي حتى

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل.
(٢) كلمة تكررت بالأصل.

تمت إقامتهم مثل الحاج المصري، ولم تتحرك الأسعار في الأقوات مع خوف أهل البلد من ذلك، وسببه كون الحاجين نظيفين ومعهم أقواتهم وكفايتهم.

وفُرقت الأوقاف الشامية والحلبية في مجلس الأفندي مصطفى الرومي في العشرين من ذي الحجة. واستمر ذلك إلى سفر الحاج الشامي. ووصل المستحقون[1] لتعلّقهم من غير مراصد لهم وذلك لنسابة الأفندي والشيخ مصطفى المنتشوي. جزاهما الله عن أهل الحرمين خيراً.

وفي ضحى يوم السبت ثالث عشري [2] الشهر اتفق للجمالي محمد بن ناصر الدين الواسطي البزاز بالخان أنّ بعض الأعاجم ادعى عليه عند نواب مصلح الدين الحنفي من الأروام بمبلغ نحو ستمائة أشرفي ثمن قماش، فأجاب بأنه وديعة عنده وباع بعضه بخسارة عن رأس ماله والباقي يرده له فأثبت بيعه له وحكم له النائب بتسليم الثمن. ففجر على النائب كفجور أبيه، فأراد تأديبه فهرب منه بالجري من وسط المسجد إلى بيت الأفندي مُستنيبه وخصمه العجمي خلفه. فذكر للقاضي قصته فزجر ابن الواسطي وأمر بالذهاب به إلى منزل الحاج الشامي.... [3] ويُعمل معه اليسَق العثماني لامتناعه من الحكم الشرعي. فضربه أمير الحاج الشامي في مدرسة الأشرف قايتباي بالمسعى ووضعه في الحديد حتى جاء والده وأهل الخان ودخلوا في ضمانة المال.

وفي ليلة الإثنين سابع عشريْ الشهر سافر الحاج الشامي من مكة وهربت [4] مع بعض جماعة الأروام موطوءة قاضي الحنفية - كان - أبو السرور أحمد بن الضياء

(١) بالأصل: المستحقين.
(٢) بالأصل: ثالث عشر، والإصلاح يتطلبه سياق كلام الفقرتين السابقة واللاحقة.
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.
(٤) بالأصل: هرب.

الحبشية المسماة عناية، وكان سيدها أسلم.... (١) لها وادعى أنها أخذت له ثلاثمائة مثقال ذهب بنحو ألف أشرفي ومن الذهب السلطاني أربعمائة بزيادة من الألف وغير ذلك مما يقارب ألفا(٢) وأنكر الناس على سيدها وجود هذا المبلغ عنده وتوجّه في صباح هروبها إلى صاحب مكة السيد أبي نمي وذكر له قصته وقال: إن جارية لجماعة....(٣) أصهار الشريف هي التي أخرجتها، وذُكر لي أنها توجّهت بها إلى محطة الحاج الشامي وتركتها فيه قبل رحيلهم فتحقق سفرها، فأرسل جماعته في طلبها مع ورقة من صاحب مكة السيد أبي نمي فتوجّهوا إليها إلى وادي أبي عروة وفتّشوا و لم يجدوا لها خبراً.

واتفق أنّ مملوكاً لأمير الحاج الشامي هرب على فرس وقت رحيله فافتقده في الوادي وأرسل قاصد الشريف ليحصله فقدّر الله تعالى أنّ المملوك توجّه إلى منى وأقام في بعض بيوتها فرآه بعض أهلها فجاؤوا إلى الشريف وأخبروه بخبره فأرسل إليه جماعة فمسكوه وأرسله إلى سيده أمير الحاج، وكان أقام في وادي أبي عروة يومين لأجله، فلما وصل إليه مملوكه رحل من الوادي وأرسل بجارية القاضي أبي السرور إلى الشريف. وكان سيدها توجّه لطلبها لحقيقة وجودها مع الأروام لوصول ورقة من السيد نور الدين الإيجي لولده بذلك وأنّ سيدها يحضر لأخذها. فوصلت للشريف في غيبة سيدها فأرسلها لقاضي المالكية التاجي بن يعقوب بصهارته لأخي القاضي أبي السرور، فلم يظهر مع الجارية شيء من الذهب وقالت للشريف والناس إنها لم تأخذ شيئاً من السبائك الذهب المثاقيل وأنها باقية في محلها، وأما الذهب [١٨٢ أ] النقد فأخذت منه قليلاً وصرفته على سيّدها لتقلله في نفقته على عياله،

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) بالأصل: ألف .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

فظهر للناس عدم صحة دعواه، وما حمله على ذلك إلاّ كثرة حبه لها. ثم بعد....(١) وسيدها بعد ملاقاة الحاج يجلس ويسمع بإرسالها. فاجتمع بها وحققت له ما أخذته فصار متحيرا في أمره لما أشاعه عن نفسه. وأنكر العقلاء فعله، وعاقبها بالضرب ثم تركها وعاد لجماعها لحبه لها، فالله تعالى يستر الأحوال، في الحال والمآل، بمحمدﷺ.

واتفق في آخر الشهر أنّ صاحب مكة السيد أبا نمي خلع على وزيره الخواجا عبد الرحمن ويدعى عُبيْد ابن المرحوم الخواجا كمال الدين أبي الفضل بن أبي علي المكي خلعة عظيمة وركب فرساً وتوجّه إلى منزله وقدامه جماعة من صاحب مكة. فلما وصل لمنزله ألبس خلعته للجمالي محمد المدعو البقرة لأجل ولاية حسبة مكة. وكان بذل له فيها بزيادة على الذي قبله النوري علي بن المهتار.

شهر عاشوراء المحرم الحرام استهل ناقصاً بالخميس
من سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م)

وفي ليلة السبت سافر لجدة قاضي مكة الأفندي مصلح الدين الرومي لأجل معشر المراكب الهندية وتأخّر منها سبعة في المراسي لعدم وجود الريح الأزيب (٢) منها ثلاثة من الديو وخمسة من كاليكوط، وكون جدة ليس بها نائب لأخذ المعشر، وأمْر الدولة الرومية: قاضي مكة يضبط معشرها حتى يحضر نائبها. فجلس في الفرضة عوضه، وأنكر الناس عليه فعله لِنسبته للشريعة المحمدية وموافقته للدولة في هذه القضية واستمر على ذلك حتى وصل نائبها نحو الشهرين.

وفي يوم الإثنين ثاني عشر الشهر ولد أبو حامد محمد ابن صاحبنا العلامة

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٢) الريح الأزيب: هي التي تجري بين الصبا والجنوب. الجوهري: الصحاح (ز ي ب) .

قاضي المسلمين قوام الدين عبد الله ابن القاضي أبي الليث محمد ابن القاضي[1] أبي حامد محمد بن أحمد بن الضياء القرشي[2] الحنفي. وأمه ابنة بنت خالة أبيه، وكانت جاءت منه بثلاث بنات غير الأسقاط، وله ابن من غيرها وفرح هو وإياها بظهوره. فالله يجعله ولد الحياة ويقرّ عين أبويه به. وعمل له وليمة حسنة.

وفي عصر يوم الثلاثاء ثاني تاريخه ماتت.... [3] ابنة الشيخ نور الدين علي ابن شيخ الحجبة جمال الدين محمد ابن الشيخ عمر الشيبي. وأمها خاتون ابنة عم أبيها الطيب بن عمر الشيبي. وهي ثيب وكانت تتزوج كثيراً بالسر، فجهّزت في ليلة الأربعاء وصلّي عليها عند باب الكعبة في صبح تاريخه ودفنت بالمعلاة بتربة سلفها، عفا الله عنها.

وفي ضحى يوم الأربعاء رابع عشر الشهر اتفق أنّ شخصاً من الهنود خياطا مرّ في المسعى بقرب باب السلام فوجد شخصا يقال له محمد راجا من جماعة وزير الهند آصف خان ماشياً على رجله فضربه بسكين في خاصرته حتى سقط إلى الأرض وهرب وسكينه في يده فرآه الناس فمسكه بعض الأتراك من جماعة الشريف وتوجّهوا به إلى حاكم مكة القائد مرشد وتوجّه جماعة الوزير بحمل المقتول على سرير و ذهبوا به إلى منزله وفيه الروح وهو يتكلم فأوصى بجهازه للوزير وأنّ له في بلاده أخاً وأنّ بعض [جواريه][4] حاملٌ منه، ثم قطب له جراحاته واستمر حياً إلى بعد الظهر ثم قضى نحبه ومات. فجهّز في يومه ودُفن بعد صلاة العصر تحت الحجون جوار القبب، التي هناك، وشيّعه الوزير وجماعته وغيره من الأعيان، وعُملت له ربعة وخُتم له ولابنة الشيبي [١٨٢ ب] الماضية في صبح يوم الجمعة بالمعلاة.

---

(١) تكررت الكلمة بالأصل .
(٢) تكررت الكلمة بالأصل .
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٤) إضافة يقتضيها المعنى .

واستمر قاتله في السجن عند الحاكم جمعة. وبلغني أنهم توجّهوا به إلى قاضي المالكية الشرفي أبي القاسم المالكي ليأمر بقتله. فقال لهم: أطلقوه من الزنجير وادخلوا به إلى مجلسي حتى أسأله عن حاله، ففعلوا ذلك فسأله عن سبب قتله فاعترف له به وقال: إنه كان يحترش بعيالي في الهند وكذا بمكة، فحملتني الغيرة منه حتى قتلته. وكذبه الناس في قوله لكون خصمه عاقلاً ديناً ملازماً للعبادة والتلاوة وظاهر عليه الخير حتى خُتم له بالشهادة. وأمر القاضي بردّه إلى السجن حتى يحضر ولي المقتول وهو غائب بالهند. وكثر كلام الناس في تأخير قتله خوفاً من سطوة بعضهم على بعض بذلك. وعند الحنفية يُقتل لأجل ذلك سياسة. فتوقف الحاكم جمعة ينتظر كلام الوزير معه ليخدمه بمال، فلم يُلْقِ له بالاً وقال: أمره راجع إلى الدولة. بل أفحش الناظر على المواريث من جهة الأروام في بيع مخلّف الميت حتى جاريته وهي حاملة من سيّدها. وأنكر الناس ذلك، ونفرت خواطر الهنود من الإقامة بمكة لأجل هذه القضية.

وفي صبح يوم الخميس ثاني عشريْ الشهر أمر الحاكم بشنق القاتل على شجرة في البستان الذي بسوق المعلاة وأقام يوماً وليلة، ثم نزل ثاني تاريخه ودفن بالمعلاة وسكن الأمر من القال والقيل بين العامة. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وفي ليلة الثلاثاء سابع عشريْ الشهر عقد الشيخ المرتضى الولوي أبو زرعة أحمد بن علي المنوفي شيخ رباط ربيع بزواج ابنته على العدل المرتضى محمد ابن الشيخ علم الدين العباسي الموقع بمصر- كان- بحضرة جماعة من الفقهاء، وباشر ذلك قاضي القضاة الشرفي أبو القاسم المالكي الأنصاري، وعمل خطبة بليغة ترجم فيها والد الزوجة بألقاب حسنة. ثم شرب الحاضرون سكراً مذابا مع البخور والماورد. وحضرتُ ذلك في منزل والد الزوجة. ودخل الزوج في ليلته وهنّأه الناس

في صباحها وعمل لهم معمولاً ووليمة حسنة.

وفي صبح يوم الخميس تاسع عشريْ الشهر عمل وزير الهند آصف لسلطانه الملك بهادر شاه ابن مظفرشاه ابن محمود شاه الكجراتي وليمة في المدرسة الباسطية أول النهار وآخره، طلب في الأولى الأروام والأعاجم، وفي الثانية بعض العرب من أهل مكة وقضاتها الشافعي البرهاني بن ظهيرة والحنفي أبي السرور بن الضياء المفصولين والمالكي الشرفي أبي القاسم والنجمي محمد بن الزين الحنبلي المتوليين وغيرهم من المشائخ والفقهاء فحضروا الطعام وانصرفوا. وحضر هؤلاء في الليل مولدا جعل له أيضاً بالفتوت والحلوى كما سيأتي ذكره مع فعله غيره. جوزي خيرا وعوضه الله الخير وأخلفه خيرا منه.

شهر صفر الخير استهل ناقصاً في ليلة الجمعة
من سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م)

وفي الليلة المذكورة عمل الوزير آصف خان لسلطانه بهادر شاه مولداً في المدرسة الباسطية حضره قضاة مكة وأعيانها من الفقهاء والفقراء وقرأه الشهابي أحمد القبابي بجماعته وخلع عليه الوزير وعمل للحاضرين حلوى كثيرة، ثم بعد انصرافهم حضر الفقراء العرابية وعملوا ذكراً في جميع الليلة المذكورة وحضر معهم الوزير وجماعته، وكان مأنوساً، بالخيرات محروساً.

[١٨٣ أ] وفي ظهر يوم الجمعة المذكور صلّى الخطيب محيي الدين العراقي الشافعي على السلطان بهادر شاه ونادى له الرئيس أبو عبد الله على ظلة زمزم بألقاب كثيرة أنكرها السامع له لمبالغته فيها. ثم بعد الصلاة حضر القضاة والفقهاء وغيرهم أمام المدرسة الباسطية في الرواق الشمالي من المسجد وقُرئت عدة ربعات ودُعيَ للسلطان بهادر شاه وللخنكار وصاحب مكة وناظر المسجد الحرام القاضي

مصلح الدين الرومي وبُخّر الحاضرون بالعود الهندي وقسم عليهم الريحان والماورد - على عادة الختم - وسلم الحاضرون على الوزير وتوجّه ببعض الأعيان، ثم إنه قسم مبلغاً على جماعة من المقربين للمولد نحو ثلاثين أشرفياً وللخطيب أربعين وللرئيس عشرين ولشيخ الفراشين أربعين وللفراشين عشرين وغيرهم مما لا أتحققه.

وبلغني أنّ سبب فعل ذلك طلب زوجة السلطان بهادر له مع أخيه، عوضهم الله خيراً.

وفي ليلة الأربعاء سادس الشهر عقد الشيخ أبو زرعة المنوفي على زوجته ابنة الخواجا شمس الدين محمد العصياتي الدمشقي في منزل أبيها بالقرارة. وحضر ذلك قاضي الشافعية البرهاني إبراهيم بن ظهيرة وقاضي المالكية المتولي الشرفي أبو القاسم الأنصاري، وباشر أولهما أول الخطبة وثانيهما آخرها لوجود ولايته. وحصل من ثانيهما مراعاة لأولهما وللزوج. وشرب الحاضرون سكراً مذاباً مع البخور والماورد. ودخل الزوج في ليلته وهنّأه الناس في صباحها وأقام عند زوجته ثلاثة أيام على عادة الثيّب.

وفي صبح الثالث - وهو يوم الجمعة - مات والد الزوجة [1] وكان مريضا وله قصد في زواج ابنته على المذكور لينتفع به في محله. فإنه ترك ابنته ولها ولدان كبيران[2] وأخ غائب له بالشام، وخشي من الدولة بعد الإيصاء وتمليك ابنته الموجودة وأولاد بَناتِه الموتى جميع أملاكه من مدة في حياته. فجهّزه صهره في يومه وصلّي عليه ظهر تاريخه ودفن بالمعلاة، رحمه الله. وعمل له ربعة وختما [3] حضرها الناس لأجل صهره.

وفي هذا الشهر تواترت الأخبار بوصول المراكب والعسكر المجهّزين من

(١) بالأصل: الزوج وهو خطأ أصلحناه .
(٢) بالأصل: ولدين كبيرين .
(٣) بالأصل: ختم .

الأبواب الخنكارية الرومية إلى البلاد الهندية لغزو الفرنج المخذولين، أعداء الله والمسلمين. ثم وصل لأجل ذلك قاصد لصاحب مكة السيد أبي نمي الحسني من نائب الديار المصرية مقدم العسكر المنصور سليمان باشا الخصي وإعلامه بأنّ المراسيم الخنكارية أمرتْ بسفر المراكب والعسكر في عاشر المحرم وأنهم يتجهّزون إلى جزيرة كمران [1] ويدخل الباشا لمكة للزيارة والوقوف بالمشاعر الشريفة والدعاء بها لطلب النصرة على الأعداء المخذولين .

فاهتم صاحب مكة لملاقاة الباشا وشرع في تحصيل هدية، فجمع كثيراً من العسل والسمن والغنم نحو الألفين وغير ذلك من المأكولات من التحف تنتظره كل وقت وهو مقيم بوادي الدكناء، أحد أودية وادي مر. فجاءه الخبر بغتة وهو بمكة لكونه وصلها لبعض غرضه في ليلة الجمعة خامس عشر الشهر مع رأس المباشرين بجدة الجمالي محمد بن أحمد المريسي وقال له: إن الباشا دخلها في ضحى يوم الخميس أمس تاريخه وصحْبته من المراكب والأغربة نحو ستين قطعة. فاضطربت البلاد، وارتجّ العباد، وكثرت القالات والمقالات [١٨٣ ب] خصوصاً وأشيع أنّ الباشا قتل الأمير جانم الحمزاوي أوحد الخواص، والمقدم على أهل القصاص، والمدبّر للمملكة المصرية، بحسب [2] السياسة المرضية ومعه ولده أمير الحاج - كان - الجمالي يوسف.

فنفر خاطر الشريف، وغيره من كل طريف، فصار بعضهم يصدّق الخبر وبعضهم يكذبه حتى تحقق أمره. ثم إن السيد أبا نمي جزم بإرسال أكبر أولاده السيد أحمد مع بعض جماعته وغيرهم من عوام مكة أهل الحارات والبدن [3] لأجل ملاقاة الباشا بجدة. وتوجّه الشريف أبو نمي إلى الوادي لتجهيز هدية له من الأطعمة

(١) جزيرة كمران: تقع في البحر الأحمر قبالة مدينة زبيد، وهي من الحصون الهامة .
(٢) بالأصل: بحبس .
(٣) كذا بالأصل .

وغيرها. فعُملتْ الحلوى بمكة وجهّزت مع الأغنام والسمن والعسل والفاكهة - يقال على ثلاثين جملاً - في يوم السبت سادس عشر الشهر.

واتفق أنّ السيد أحمد بن أبي نمي واجه الباشا وطلع له إلى مركبه مع السيد عرار بن عجل والجمال محمد المريسي وبعض أكابر القواد نحو العشرة وجلس بقية جماعته في مرسى أبي صريف من جهة الشام. فأكرمه الباشا بالقيام له عند قدومه وذهابه وغيرها، وسأله عن أبيه وطلب الدعاء منه وأخبر أنه لم يقتل الحمزاوي إلاّ بأمر خنكاري. ثم خلع على السيد أحمد والسيد عرار بن عجل والجمال المريسي ونزلوا من عنده وهم مسرورون منجبرون .

و لم ينزل الباشا من مركبه حفظاً لعسكره و لم يُحدثْ شيئاً من الأمور، فحصل للناس بذلك السرور، ولكنه أمر بطلب الماء والحطب، فحصل له من جماعة الشريف ما أحب، ونُحلتْ له الصهاريج التي هي داخل جدة وخارجها. واجتمع به الخواجا الحيجري[1] صهر قبطان الفرنج وسأله عن حالهم وتحت ملكهم فقال له: بلاد قوة - بضم القاف - وسأله عن مصاهرته له. وأشاع الناس قتله له ومسْك بعض التجار، فلم يصح شيء [2] من ذلك بل أطلقه.

وتيسر الطيب فأمر الباشا بسفر المراكب جميعها وهي نحو التسعين - بتقديم المثناة - ويقال زيادة على المائة وفيها من العسكر ما لا[3] يعلمه إلاّ الله. وذلك في ضحى يوم الإثنين ثامن عشر الشهر. وكانت إقامته في بندر جدة خمسة أيام، و لم تصل للباشا هدية الشريف من الأطعمة وغيرها. ويقال إنه رسم له بستمائة ألف أشرفي ذهباً عن أربعة وعشرين ألفاً معاملةَ تاريخِهِ، و لم أتحقق ذلك. وعُدّ

(١) كذا بالأصل .
(٢) بالأصل: شيئاً .
(٣) كلمة سقطت من الأصل .

سرعة سفر الباشا من سعد صاحب مكة. وقد حبسه عن دخولها حابسُ الفيل، ولله الحمد.

ثم أخبرني بعض جماعة الشريف صاحب مكة أنه لم يعط الباشا شيئاً من النقد وأنه باع هديته من الكباش والسمن والعسل والفاكهة في بندر جدة بأحسن الأثمان وربح فيها أكثر من شرائها لغلو الأسعار بها.

وأما مكة فطلع السعر بها أيضاً حتى بيعت الكيلة الحب بكبير وعثماني تستقيم [1] الإردب – وهو نصف غرارة – بخمسة عشر أشرفياً والمنّ السمن بستين كبيراً كل رطل بكبيرين والعسل عشرة أرطال بخمسة وعشرين كبيراً واللحم رطل وربع بكبير، وكثُر بعد سفر الباشا حتى بلغ كل ثلاثة أرطال بكبير، وتواترت الفواكه من الحجاز كالخوخ والعنب والتوت. وابتهج الغرباء بها لكثرة فلوسهم وتضيّق أهل البلد لقلة وجود الدراهم وغلو الأقوات. والأمر لله تعالى.

ثم إن الشريف أبا نمي صاحب مكة دخل لجدة وأقام في الفرضة وهرع الأعيان للسلام عليه. ثم إنه عزل رأس المباشرين بها الجمالي الظفاري وولى عوضه الشرفي يحيى بن سبيع بن راجح الحفيصي [2] لوعده له مشاركة الجمالي محمد بن أحمد المريسي ليطلع[3] على حاله. وكان خدمَهُ في موسم [١٨٤ أ] الحاج بمبلغ خمسة آلاف أشرفي فتركه إلى الآن حسيبها [4]. وكان فعَل ذلك عند توجّهه لجهة الشرق فغاب فيه مدة أيام ثم عاد إلى جدة.

وفي آخر ليلة الخميس ثامن عشر الشهر مات الشيخ العلامة بقية السلف الصالح أبو الحسن علي بن عمر الطواشي فجهّز في يومه وصلّي عليه بعد صلاة

(١) كذا بالأصل .

(٢) كان جدّه راجح مباشر جدة أيضاً. انظر أخباره في إتحاف الورى للنجم بن فهد ٤: ٤٠٣ وما بعدها .

(٣) كلمة تكررت بالأصل .

(٤) كذا بالأصل، ولعل الصواب: على حسبتها .

العصر عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة عند والده بالشعب الأقصى بالمعلاة عند المشائخ الفضيل بن عياض وعبد الله بن أسعد اليافعي وغيرهم. وكان له مشهد عظيم، رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين. وخلّف ولده وأخاه، نفع الله به وبسَلفه.

وفي آخر هذا الشهر عمّرَ الشيخ موسى الرومي دكة لطيفة أمام مسكنه بالمدرسة الشرابية جوار باب السلام، فأنكرها عليه الخاص والعام لكونه تصرف في حدوثها بأمره ولم يشاور الناظر في فعله. ثم توجّه محيي الدين العراقي وإمام الشافعية أبو الخير الطبري لكونهما واجهاه بالإنكار عليه، فصار يحطّ عليهما وعلى العرب بكلام كثير. ثم إن بعض الناس جاء في الليل وهدمها. فكثر منه الكلام، بما لم يفده إلاّ الملام، ثم أعادها، والله أعلم بفعله فيها.

شهر ربيع الأول استهل كاملاً بالأحد

من سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م)

في [1] صباح أوله ابتدأ الأروام في قراءة سورة الأنعام بالحطيم الشريف تجاه الكعبة الشريفة لأجل الدعاء لنصرة عسكر الخنكار والباشا سليمان الخصي نائب الديار المصرية عند توجّهه لغزو الفرنج المخذولين في الهند. وقرر في قراءتها قاضي مكة مصلح الدين الرومي الحنفي كثيراً من الأروام ونحو ثلث الأربعين من العرب وأسقط كثيراً ممن كان مقرراً في قراءتها من مدة خمس عشرة [سنة] [2] منهم كاتِبُه ومَن ليس له وظيفة في الحرم، وأثبت بعض أهل الوظائف من القاضيين المتولّيين المالكي والحنبلي واثنان من أئمة الشافعية وواحد من أئمة الحنفية وغيرهم

(١) وردت كامل هذه الفقرة مؤخّرة عن مكانها في الأصل وعليها علامة التقديم بخط الناسخ .

(٢) إضافة تقتضيها الجملة .

نحو الخمسة عشر والباقي أروام وشيخ حضور قاضي العسكر الرميليّ - كان - واسع جلبي الرومي الحنفي. وانكسر خاطر العرب من ذلك. فالله تعالى يجبر خاطرهم وينظر إليهم برحمته [١٨٤ ب] واستمر قاضي العسكر يحضر حتى وصل قاضي البلد من جدة في آخر الشهر كما سيأتي.

وفي (١) عشاء ليلة الأربعاء رابع الشهر وَلدتْ ابنتي سيدة الكل ابنتها المسماة زينب - كأمها - من ابن عمها الوجيهي عبد الرحمن ابن شقيقي عبد القادر بن فهد وهو مغاضب لها كأبيه لي مدة غالب حملها وهي في منزلي وقْف والدي، وأنا محتسب عليهم بالله في أفعالهم وأطلب من الله الفراق، والخلاص منهم قبل يوم التلاق، لعدم تدبيرهم معي واستباحتهم لعرضي ومالي ودمي. فقمتُ بواجبها وجبرتُ بخاطرها وعملتُ لها زلابية وعسلاً وفرّقتها على الجيران وأهلها ثم عملتُ لها عقيقة في يوم سابعها، وانجبر بذلك خاطرها لفقر زوجها وأبيه وعدم توفيقهما كما يعلمه الله وكل وجيه. فأسأل الله تعالى أن يخلف عليّ بخير، ويدفع عني كل شر وضير، بمحمد وآله أمين.

وفي يوم الخميس خامس الشهر ماتت مستولدة الزيني مكارم ابن الشيخ فضل ابن عبد القوي الحبشية أم ابنته ستيتة وصلّي عليها عصر تاريخه ودفنت بالمعلاة في تربة سلف سيّدها.

وخلفت بنتيها (٢) عند أخت سيدها وزوجها البدري حسن بن موفق عتيق أم سيدها، ونازع في مخلفها.... (٣) سيدها الوجيهي عبد الرحمن بن عمر بن إدريس بن عبد القوي، فأثبت الزوج عتقه بشهادتي والقاضي برهان الدين إبراهيم بن أبي بكر المرشدي عند قاضي المالكية الشرفي أبي القاسم الأنصاري. فللزوج الربع ولبنتيها

(١) هذه الفقرة وردت مقدمة وعليها علامة التأخير .

(٢) بالأصل: بنتاها .

(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

الثلثان والباقي صولح العاصب عنه لكونها أشهدت لبنتيها(١) بما ورثته من سيّدها لكونه أعتقها وتزوج بها.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر عمل الوزير الأعظم آصف خان - عظم الله له الشان - وليمة عظيمة لأصحابه من العرب والعجم في بركة ماجن أسفل مكة عمل فيها أطعمة مفتخرة وفواكه بكثرة وجمع بين الأضداد من أصحاب الوظائف كالخطيبين وإمامي الحنفية العربي والرومي وغيرهم، وأكرم كلاً منهم بما يناسبه مع اللطافة والكياسة والرئاسة. وكنتُ معهم، كثر الله من أمثاله، وأدام عليه جزيل أفضاله.

وفي ليلة الجمعة عشريْ الشهر وصل لمكة من جدة الأفندي قاضي الحنفية مصلح الدين مصطفى الرومي وتوجّه الأعيان للسلام عليه.

وفي ليلة الأحد ثاني عشر الشهر دخل الفاضل الأصيل الزيني أبو البقاء ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن الجمال المصري الأنصاري على زوجته ابنة الشيخ جمال الدين محمد الشاذلي ابن عمة أبيه. وهنأه الناس في صباحها وعمل لهم وليمة حسنة بأطعمة مفتخرة مع المعمول والطيب وغير ذلك. ثم في يوم السابع مولدا. جعله الله مباركاً ووفق بينهما.

وفي يوم الإثنين ثالث عشريْ الشهر فرق الأفندي مصلح الدين قاضي مكة وأمين القبطان خير الدين الرومي المبرّة التي أرسلها القبطان لأهل مكة من النقد، وأعطى لكل قاض....(٢) ولبعض الفقهاء....(٣) وجعل وسط الكعبة الشريفة قنديلاً من ذهب مع سلسلة فضة وأدخله شيخ الحَجبة الشيخ أبو القاسم الشيبي بحضرة الأمين والقاضي. وباشر القاضي مصلح الدين بطْح المسجد الحرام بالبطحاء الحسنة

(١) بالأصل:بنتاها .

(٢) أربع كلمات سقطت من الأصل .

(٣) بياض بمقدار ثماني كلمات بالأصل .

ونظف العتبة المجاورة له لأجل مجرى السيل منها بمبلغ كثير وصل من الروم. جزاهم الله خيراً.

شهر ربيع الثاني استهل ناقصاً بالإثنين

من سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م)

في يوم الثلاثاء ثاني الشهر عمل الوزير العظيم والخان الكريم عز الدين آصف خان – عظّم الله له الشان – ضيافة في بركة الماجن أسفل مكة لبعض الأروام وغيرهم من الفقهاء والعلماء الأعلام بقصد الأولين هما قاضي العسكر الرميلي – كان – واسع جلبي وقاضي مكة الأفندي مصلح الدين ونوابه من الحنفية الأروام وقاضي المالكية الشرفي أبي القاسم الأنصاري وغيره من العرب والعجم. وقدم لهم كثيراً من الأطعمة المفتخرة والحلويات والفاكهة ثم دل على عظمته ورئاسته [١٨٥ أ] وجلالته ويُظهر الكرامة لهم وحضرتُ ذلك، ورأيتُ منه أحسن المسالك، زاده الله من الخيرات.

وفي ليلة الأربعاء ثالث الشهر مات جارنا الخواجا المعمر الأصيل جلال الدين أحمد بن.... (١) القاهري ثم المكي الشهير بالقرشي وعمره نحو تسعين سنة بعد أن قلّت حركته وضعفت بُنْيته وثقل سمعه وكلّ منه أهل مكة، فجهّزه ولده في ليلة تاريخه وصلّي عليه في صباحها وشيّعه جماعة ودفن بالمعلاة بالشعب الأقصى وسط تربة الشيخ شرف الدين المجذوب لكونه أعدّ موضعاً لقبره في فسقية بنى ولده عليها قبّة. وعمل له ربعة بالمعلاة وختماً وتهليلة ومولداً في الليل للفقراء وغيرهم، ومدّ لهم حلوى وقهوة وبُنّاً وطيباً وغير ذلك.

وخلّف ثلاث بنات مزوّجات وذكرا أصغر منهن وُلد في المنزل الذي بجوارنا

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

في سنة عشرين وتسعمائة ونشأ نشأة حسنة مع السكون والبركة.... (١) بأبويه، أحسن الله إليه. وترك والدهم عدة بيوت بمكة وجدة ونقداً يقال أزيد من عشرة آلاف أشرفي اقتسموها بطيبة نفس من غير نزاع. بارك الله فيهم ورحم أموات المسلمين وكثر من الصالحين.

وفي ليلة الخميس رابع الشهر مات الشريف زهير ابن السيد حميضة بن محمد ابن بركات الحسني وهو أكبر أولاد أبيه وأعقلهم (٢) وصلّي عليه ضحى تاريخه عند باب الكعبة وشيّعه خلق من الأعيان وغيرهم ودفن في قبة جده سلطان مكة السيد محمد على قبر عمّه السيد قايتباي رحمة الله عليهم ولم يعمل له والده ربعة إلاّ في عصر ثاني تاريخه في المسجد والمعلاة.

وفي صبح يوم الأحد رابع تاريخه عمل له ذلك للملازمة زوجته الشريفة حماطة ابنة صاحب مكة السيد بركات الحسني، وله منها أولاد ذكور وإناث، رحمه الله تعالى.

وفي عصر يوم الجمعة أسكنت.... (٣) الحبشية موطوءة القاضي جلال الدين محمد ابن الخطيب فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة القرشي أم أولاده (٤) وكانت طيّبة وقت صلاة الجمعة. وجامعها سيّدها فتحركت عليها دموية وجاء الحكيم فوجدها قضت من ساعتها فجأة، فجهّزت في ليلتها ودفنت صبح تاريخه بتربة سلف سيدها بالمعلاة، وحزن سيدها عليها.

وفي يوم الأحد ثاني تاريخه فرق الأفندي مصلح الدين قاضي مكة تفرقة ثانية يقال للباشا سليمان على أهل مكة للفقهاء وغيرهم من أهل البلد والغرباء.

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.
(٢) بالأصل: أعقلهن.
(٣) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.
(٤) بالأصل: أولاد.

وفي يوم الثلاثاء وقع بمكة مطر ببَرَد، به الغيث والنفع، ولله الحمد.

شهر جماد الأول استهل كاملاً بالجمعة
من سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م)

وفي يوم الأربعاء سادس الشهر ادُّعِيَ على شخص شامي يقال له حسن بندره[1] بأنه سب الشيخين أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - عند قاضي مكة الأفندي مصلح الدين مصطفى الرومي الحنفي فأنكر ذلك. وجاء الشهود إلى القاضي واختلفوا في أداء الشهادة من لفظ اللسان، فبعضهم قال عنه إنّ جبريل عليه السلام غلط في إنزال الوحي على النبي محمد ﷺ، وإنما كان الوحي لعلي رضي الله عنه وهو مذهب الغرابية[2] - لعنهم الله تعالى - وطلب النقل [١٨٥ ب] منهم فأروه أنّ سبّ الشيخين يكفّر ولم يروا التصريح بعدم توبته واستتابته. وبلغنا أنّ القاضي قال: يُعزّر ويُستتاب، وأنّ ذلك منقول[3]، فلم يوافقه علماء مذهبه على ذلك، وكثُر كلام الناس في عمل مصلحته. ثم في ضحى يوم الجمعة ثامن الشهر أمر بكشف رأس السّابّ للشيخين والنداء عليه في المسعى « هذا جزاء مَن سبّ الشيخين » وشقّ[4] جماعته به من منزل القاضي إلى المروة وعادوا به إليه وأطلقه. فكثُرتْ القالات في ذلك، والأمر إلى الله تعالى.

وفي صبح يوم الأحد عاشر الشهر وصل لمكة شخص رشيدي أو مغربي كان سرق دراهم قاصد القبطان خير الدين الرومي بصدقته لأهل مكة في عام تاريخه وهو

(١) وردت الكلمة بالأصل غير معجمة، والإعجام مقترح .
(٢) من مذاهب المغالين، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٢٢٥-٢٢٦.
(٣) بالأصل: وأنه ذلك منقولا .
(٤) بالأصل: وشقوا .

نحو عشرة آلاف أشرفي بمعاملة عبيده وتوجّه إلى البر وقسم المبلغ على العبيد وأخذ غالبه، وصار مختفياً في البرية ينتقل من جهة الشرق إلى اليمن والشام. واتهم جماعة مكة الشريف أبا[1] نمي به وبأخذ المال منه حتى يُظهر براءتهم بوجود بعض العبيد في البرية ومعه حصته. ثم هذا الخائن بعد غيبته نحو الشهرين في البرية وهو ينتقل من جهة إلى أخرى حتى ظفر به جماعة الشريف صاحب مكة في عسفان من جهة البحر، وكان اشترى جملاً من بعض العرب ليرحل عليه، فأذله الله تعالى وجبره حتى مسكه حاكم جدة وأرسل به إلى مكة لقاضيها الرومي. فحضر بين يديه مع خصمه صاحب المال فخاصمه وادّعى أنّ الذي أخذه مال نفسه واحتال على أخذه بعبيده لظلمه له وأخذه منه. وفجر على خصمه وقال: أتوجّه أنا وإياه إلى الأبواب الخنكارية وقرابتي القبطان ابن حامد المغربي في أمره، ولم يَظهر شيء من خبره. وعجب العرب من قضيته أشد من الحكومة الماضية. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وفي ضحى يوم الثلاثاء ثاني عشر الشهر ماتت الأصيلة المعمّرة أم فاطمة زينب ابنة شيخنا الخطيب البليغ محب الدين أحمد بن أبي القاسم العقيلي النويري المكية بعد توعّكها مدة أيام بالإسهال بعد خصام ابْنَتِها لها ووُصولها إلى الروم ولم يفصل بينهما لدعوى ابنتها بوضع يدها على مخلف أبيها وادعت.... [2] عليها وأوقف ما يتعلق بها من أملاكها على نفسها وابنتها وأولادها من بعدها. وأرادت ابنتها رفع يدها على وقفها من أملاكها. فتركت الجميع واندرجت إلى رحمة الله.

فجهّزت في يومها وصلّي عليها عصرَ تاريخه عند باب الكعبة ودُفنت بالمعلاة على أمها في تربة سلفها. وأوصت بعدم تخلف شيء لها وأنها فقيرة، حرماناً

(١) بالأصل: أبي .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

لعاصبها. فالله تعالى يعفو عنها ويرحمها وإيانا. وكانت بلغت من العمر نحو ثمانين سنة.

وفي ليلة الخميس رابع عشر الشهر كسف القمر عند أذان العشاء. وأخرت صلاة الفريضة وصلّى النافلة للكسوف الخطيب محيي الدين العراقي.

شهر رمضان المعظم قدره استهل كاملاً بالأربعاء من سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٩م)

واشتد القحط فيه بمكة.

وفي صبح ثانيه قَنَتَ إمام الشافعية الخيري أبو الخير محمد ابن الإمام أبي السعادات الطبري المكي، واختلف العامة في متابعته ومخالفته لعدم الفهم لذلك، واستمر القنوت نحو نصف شهر كما سيأتي.

وبيعت الربعية الحب المصرية بكبيرين وعثماني عنها ربع دينار ولا زال السعر يزيد لقلة الواصل من البحر حتى وصلتْ الكيلة المصرية لثلاثة كبار واللقيمية بأربعة والشعير بكبيرين [١٨٦ أ] والأرز بأربعة كبار والدخن والذرة لم يوجدا وعُدمت الحبوب من الأسواق حتى أكل كثير من الناس الفول وبلغت الكيلة بكبير وزيادة، ولولا وصول الحب من جهة الحجاز وكيله لزادت الأسعار عن ذلك مع كثرة اللحم والسمن والتمر. فسعر اللحم رطل وربع بكبير والسمن الرطل بكبيرين والتمر رطلان(١) بكبير. واستمر الحال كذلك حتى أغاثهم الله تعالى في نصف الشهر بحصول غيث بمكة وأعمالها وسالت السيول بها، ووصل الخبر لمكة بوصول جلاب من القصير والسويس مشحونة بالحب، فانحلت الأسعار في العشر الأخير من شهر رمضان حتى بيعت الكيلة المصرية بكبير وعثماني عنها نحو سدس دينار. فالله

(١) بالأصل: رطلين .

يرخّص أسعار المسلمين بجاه سيد المرسلين.

وفي ضحى يوم الخميس سادس عشر الشهر مات الأصيل الأوحد المحيوي عبدالقادر ابن الشيخ عفيف الدين عبد الله بن محمد الحرازي المكي الحنفي، وجهّز في يومه وصلّي عليه عصر تاريخه عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة في تربة سلفه بفم شعب النور. وبلغ عمره نحو الستين سنة، وخلّف زوجة حبشية أعتقها وتزوج بها وأختاً من أبيه وعصبة بني عمه، رحمه الله وإيانا.

وفي مغرب تاريخه وصل قاصد من جهة اليمن أرسله مقدم العسكر المنصور الباشا سليمان الرومي الخصي يُخبر بخبر وصوله من الهند إلى جزيرة كمران جهة اليمن ويطلب خيلاً من صاحب مكة السيد الشريف أبي نمي محمد بن بركات الحسني يقال نحو المائتين. وكان الشريف أبا نمي وصل لمكة في ثالث الشهر ليلاً فودع الكعبة الشريفة وطاف وتوجّه إلى جهة اليمن فلاقاه القاصد في طريقه ثم توجّه لجدة لنائبها الأمير عبد....(١) العجمي بمكاتبة من الباشا.

واختلفت الأقوال في خبره وتحقيق أمره مع الفرنج المخذولين الذين في الديو من بلاد الهند، هل حاربهم وانتصر عليهم أو هربوا منه ؟ وأنّ الديو دخلها أو بعض البنادر حولها ؟ وجاءه مقدمها الأمير صفر الرومي فخلع عليه عدة خلع وأمره بحفظ بلاده حتى يعود لأخذ بلاد اليمن ويحج عام تاريخه ويرجع إلى الهند لحرب الفرنج المخذولين ويحفظ باب المندب من هجومهم عليه. ويرسل بخبره للخنكار ويطلب المدد منه بالعساكر والقوت. وأنه أرسل لصاحب زبيد الناخوذة أحمد يطلب مواجهته، فأرسل إليه يعرّفه أنّ عسكر الأروّام الذين معه منعوه من ذلك، وهو مهتم بملاقاته من البر بخيل ورجل. فالله تعالى يلطف بالمسلمين ويقدر لهم خيراً بجاه سيد المرسلين.

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

وفي صبح يوم الأربعاء عشري رمضان مات قاضي العسكر الرميلي - كان - المدعو واسع جلبي واسمه عبد الواسع بن.... [1] العجمي الأصل الرومي الحنفي، فجهّزه قاضي البلد في ظهر تاريخه وصلّي عليه عقب صلاة الظهر وشيّعه جماعة من الأرواm وبعض العرب إلى المعلاة ودفن في قارعة الطريق أمام تربة ابن سفيان الشامي في الشعب الأقصى بعد أن أوصى لبعض الأروام. و لم يظهر له نقد، وقال: إنه عمّر بها رباطاً بمكة في جهة زقاق الشرابي بسويقة الشامي و لم يتم تبييضه وأسكن بعضه. وختم أمين الترك الرومي على مخلّفه، بل باع ملكه من الأثاث والملبوس وانفرد بذلك عن جماعة صاحب مكة [١٨٦ ب] وعارضوه في البيع ومنعوه حتى يراجع صاحب السنجق في أمره فلم يترك. وكثرت القالات في الميت وفي عقيدته لإثارة بعض الفتن منها: أمر الخطيب المغربي بتقدمة أهل البيت في الخطبة على العشرة المشهود لهم بالجنة. فعمل ذلك بعض الجُمَع ثم تركها لإنكار الناس عليه. وكذلك تقدمة الخطيب في صلاة العيد على مذهب الإمام أبي حنيفة فحصل الخبط من العامة، كما تقدم في السنة قبلها. ثم منع الخطيب الشافعي المحيوي العراقي من لُبْس السواد في الخطبة على العادة القديمة بمكة. وغير ذلك مما اختصرت ذكره.

وفي شهر تاريخه عُملتْ الختومات بالمسجد الحرام على العادة القديمة للمصلين للتراويح من الأبناء وغيرهم من أصحاب المقامات على المذاهب الأربعة ما عدا مقام الحنفية لترك ذلك إمامهم الرومي المتجدد في العام الماضي لعدم تكليفه بثمن الشمع وخدمة الفراشين، وفُعِل ذلك في العام الماضي لكون إمامهم السيد محمد البخاري كان غائباً في الروم.

وكان ختم مقام الشافعي في ليلة الخميس حادي عشريْ الشهر. وختم الحنبلي في سابع عشريه. وختم المالكي في تاسع عشريه، واحتفل قاضي المالكية المفصول

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

التاجي عبد الوهاب ابن شيخنا قاضي الحرمين النجمي محمد بن يعقوب بختم مقام الحنبلي والمالكي لكونه وصيّ المصلّي في أولهما ابن الخواجا أحمد بن الحسين القاري، والمصلّي في ثانيهما ابن أخته سيدة الكل من القاضي نجم الدين محمد ابن المعلم الشيخ خير الدين أبي الخير بن جبريل العزي، وهو صهر الوزير الأعظم آصف خان الهندي على أخته في عام تاريخه. وعمل لكل منهما زفة من بيته إلى المقام في أول الشهر وليلة الختم بالمفرعات والفوانيس ومشى القضاة المفصولون[1] والفقهاء والتجار وغيرهم معها. وخطب ابن أخته ليلة الختم على منبر الوعاظ خطبة لطيفة، أداها بسكون ومعان ظريفة، جبره الله تعالى وجمع شمله بأبيه وجعل لكل من الولدين في منزلهما حلوى للمتوجّهين معهما لمحلهما. فالله تعالى يجعل ذلك مباركاً على أهلهما وجميع المسلمين آمين.

وفي عصر يوم الأربعاء تاسع عشريْ الشهر طلع إلى جبل أبي قبيس قاضي مكة الحنفي الأفندي مصلح الدين مصطفى بن إدريس الرومي ورافقه بطلبهم نائباه المالكي الشرفي أبو القاسم الأنصاري والحنبلي النجمي محمد بن أبي البركات الزين وجماعة من الفقهاء والشهود وغيرهم لأجل رؤية الهلال فصلّى المغرب علو الجبل وترايا [2] الجماعة للهلال زماناً طويلاً فرآه جماعة نحو خمسة عشر نفساً، فطلب أداؤهم عند القاضي فأدى منهم سبعة هم إمام الشافعية محمد الغزاوي وابن خالته السراجي عمر الحرازي وابن خاله القاضي الحنبلي الشرفي أبو القاسم الزين والعدل الجمالي محمد ابن الشرف قاسم الشاهد ومحمد التكروري وقّاد الحرم الشريف وروميان.

وتوقف جماعة عن الأداء كإمام الحنفية السيد محمد البخاري والشيخان

(١) بالأصل: المفصولين .
(٢) كذا بالأصل .

مصطفى الرومي أحد أخصاء القاضي والولوي أبو زرعة المنوفي والزيني جعفر الخولاني وغيرهم. فلم يقبل القاضي شهود.... [1] مع عدالتهم، لكون مذهبه يشترط في رؤية العيد جمعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب نحو الخمسين ودونها إلى العشرين، إلاّ أن يكون في السماء علة من غيم أو ضباب فكان كذلك. فنزل القاضي من الجبل إلى المسجد الحرام وصلّى فيه ركعتين وقال بعض [١٨٧ أ] جماعته: مَن رأى الهلال فليتقدم للشهادة، فلم يتقدم أحد فصار القاضي المالكي يعرض لمستنيبه بأن مذهبه ومذهب الشافعي يثبت بشاهدين ممن أدى عنده، فلم يصغ لقوله وأراد الانصراف من المجلس بلا ثبوت الشهر. وكاد[2] يقع الاضطراب والقالات في القاضي، فحينئذ قال بعض الحاضرين له: لأي شيء ما تقبلون هؤلاء الشهود السبعة مع وجود العلة في السماء ؟ فقال: مَن يشهد بوجودها ؟ فشهد بها جماعة ممن شاهد وهو الضباب وحمرة الشفق عند مطلعه. فحينئذ أثبته وكبّر الرئيس بزمزم والزمازمة وغيرهم في مجلس القاضي. وحصل بذلك السرور لجيران بلد الله الأمين وسلم الجماعة على القاضي وانصرفوا من المسجد، ولم يجعل لهم القاضي طعاماً للإفطار كعادة من تقدمه، وأنكر عليه فعله.

شهر شوال المبارك استهل ناقصاً بالخميس
من سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٩م)

وفي صبحه صلّى بالناس العيد الخطيب محيي الدين عبد القادر العراقي الشافعي على قاعدة مذهبه وأمن العامة من الخبط في الصلاة لتقدمة التكبير على القراءة كما ألفوه خلاف السنة الماضية، ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة.

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل، ولعل التصويب: شهود باب السلام .
(٢) بالأصل: وكان .

وكان القاضي الرومي طلب الخطابة للخطيب الحنفي فراجعه الخطيب العراقي وقال له: تكون سنة لي وسنة لشريكي، على ما جرت به العادة في ذلك، فوافقه ولله الحمد.

وفي شهر تاريخه حدث بمكة وجدة وبعض أعمالهما قتل جماعة غيلة بغير وجه شرعي لكثرة الفساد، وطغى الجهّال من العباد.

منها في ضحى يوم الخميس ثامن الشهر طالب الشهابي أحمد [بن][1]النوري علي بن فخر الدين المالكي الماهر في لعب الشطرنج على وجهين غيبة وحضورا وانفراده بذلك في زمانه، شخصاً قوّاسا يقال له أبو بكر النابلسي أحد خدام الشريف حميضة ابن السيد محمد بن بركات صاحب مكة -كان - وعم صاحبها الآن في مخلّفه - صار - رفعها له لكراء جمل من جدة لمكة وترك جمله بجدة فمنعه من إعطائه استحقاقه فطلبه [2] بمجلس الشرع الشريف، فامتنع من التوجّه معه على رؤوس الأشهاد بالمسعى الشريف قبالة باب السلام عند الصيارف، فلطمه القواس على وجهه فمسكه ابن فخر الدين من لَبّته فوصل لذقنه، وهي كبيرة، فاستعظم ذلك القواس فسلّ جنبيته وضربه بها على جنبه الأيسر تحت رقبته حتى وصل لمقْتلته، فخرج من ساعته وهرب الضارب له، فصاح المضروب: يا مسلمين قتلني، وسكت من وقته بعد سقوطه إلى الأرض وطلعت روحه. فجيء له بسرير وحُمل عليه إلى منزله ثم توجّهوا به إلى منزل القاضي الرومي وأروه له وجهّز من ساعته في منزله وصلّي [عليه] [3] بعد صلاة عصر تاريخه وشيّعه خلق من الناس وهم يترحمون عليه وينكرون على قاتله، ودفن بتربة أهله قريب درب المعلاة. وخلّف أمه وولداً صغيراً وجارية تركية حاملة منه، رحمه الله تعالى وجبَرهم.

(١) إضافة تقتضيها الجملة .
(٢) بالنص يوجد على كلمة « فطلبه » رقم ١٣، ولم يظهر لي معناه .
(٣) إضافة تقتضيها الجملة .

ثم إن حاكم مكة القائد مرشد الحسني بلغه خبر القواس وأنه توجّه إلى سوق الليل ونزل على الواسعة ثم أجياد وتوجّه إلى بعض أولاد أستاذه الشريف حميضة فأمره بالخروج [١٨٧ ب] من مكة فتوجّه إلى جهة درب اليمن فقصده الحاكم بجماعة حتى لحقوه وقبضوا عليه وكتّفوه وتوجّهوا به إلى القاضي الرومي فسأله عن قتله فقال: لا أعلم، فقال القاضي: توجّهوا به إلى السجن، فقال الحاكم: هذا أمر راجع إلى السياسة وإلاّ قتل الناس بعضهم بعضاً. فتوجّه به إلى جهة المدّعى وشنقه هناك. وما نزل الناس من جنازة المقتول وقت غروب الشمس إلاّ وجدوا القاتل مشنوقاً. فحمد الناس ذلك وشكروا القائد على فعله، وانطفأت الفتنة والقالات بينهم، ولله الحمد والمنّة.

وحدث في جمعة تاريخه بجدة أنّ بعض التجار من الأعاجم يقال له شمس الدين البقال.... (١) بعض العبيد من بني حسن فضربه بجنبيته حتى وقع إلى الأرض وحُمل إلى منزله وهرب ضاربه ولم يعلم خبره لكونه في الليل، وتحدث الناس بتلاف العجمي، ثم طب نفسه وطال مرضه وعاد لمكة وهو مريض وتخلف عن الحج ثم مات بعد ذلك بها ودفن بالمعلاة. وخلّف ولداً صغيراً من جارية بيضاء وغيرها.

وقتل في.... (٢) بعض الأروام شخصاً وقيل أهله قاتله.

وفي مغرب ليلة الأحد ثامن عشر الشهر تحادث جماعة من الأعاجم في المدرسة الكلبرجية المجاورة لباب الصفا - أحد أبواب المسجد الحرام - منهم ملا عارف والشيخ أبو المعين السمرقندي مع شخص يقال له حسين الاسترابادي (٣) في قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾ (٤) فقالوا: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل، لعلها: وكز .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .
(٣) على الطرة اليمنى للورقة ورد بخط قطب الدين النهروالي عنوان جانبي نصه: ملا حسين الرافضي .
(٤) سورة الأنفال: الآية رقم ٥٨ .

وأظهر بُغْضه مع الصديق رضي الله عنه وأنّ الأئمة الأربعة على ضلال لاختلافهم في الفروع، وأنّ مذهب الشيعة وما ورد عنه ﷺ في أنّ أمته تفترق ثلاثاً وسبعين فرقة واحدة منها الناجية وهم الشيعة، قبّحهم الله تعالى وقبّحه.

فأنكر كثير من الأعاجم عليه قوله وتوجّهوا به إلى منزل القاضي الرومي الأفندي مصلح الدين مصطفى الحنفي وادعوا عليه فيما ذكره فأنكر قوله الأول وقال: إنما قلتُ إن قوله تعالى: ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن ﴾ (١) يعني النساء في الصوم نزلت في عمر. فشهد عليه جماعة نحو العشرة بقوله الأول فاعترف به وقال له القاضي: أبك جنون ؟ فقال: لا، هذا مذهبي وهو مذهب الشيعة. فأمر القاضي بسجنه وطلب من القائد محمد بن عقبة نائب الحاكم مرشد بالتوجّه به إلى السجن. فكثر كلام العامة من الأعاجم والأروام وبعض أهل مكة وقالوا للقاضي: تطلب تأخذ الرشوة منه كما أخذتَها من الرافضي الأول وتطلقه. وكثر الصياح والعياط على باب القاضي بالمدرسة العينية المعروفة قديماً بالمجاهدية جوار المسجد وقت صلاة المغرب، فخرج به القائد محمد بن عقبة على باب القاضي فتهدده العامة بالرجم فتركه وفرّ ناجياً بنفسه ودخل المسجد الحرام، فسطا بعض الأروام وضرب العجمي بخنجر على رقبته وآخر بسكين فسقط إلى الأرض فرجمه العامة قريباً من باب القاضي. فأغلق القاضي بابه وحمى نفسه منهم وأطلق العامة النار على المقتول وأحرقوه وصارت النار تشتعل جانباً من الليل. فلمّا تخلى الناس وهدأ الرجل يقال إن قاضي المالكية التاجي بن يعقوب المفصول أمر القائد بحمله وتكفينه ودفنه بالشبيكة، فأطفأ النار وحمله إلى الشبيكة ودفنه بها. فحمد العقلاء هذا الفعل مع الإنكار على العامة فيما تجرؤوا به على قتله على باب قاضي الشرع. فالله تعالى يصلح الأحوال ويجعل العاقبة إلى خير.

(١) سورة البقرة: الآية رقم ١٨٧ .

وترك المقتول [١٨٨ أ] ولداً صغيراً وجارية موطوءة له. ويقال إنه مع جماعة من الشيعة لم يفطروا مع أهل السنة يوم العيد بل أفطروا في ثاني يوم وصلّي بهم صلاة العيد بالمعلاة.

شهر ذي القعدة الحرام استهل كاملاً بالسبت
من سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٩م)

بعد أن طلع قاضي الحنفية مصلح الدين الرومي وجماعة ممن يلوذ به لجبل أبي قبيس لرؤية الهلال في الليلة قبله فلم يظهر. وظهرت فيه حوادث وظهر لنا التأمل فيها. فالله تعالى يستر الحال ويكفينا جميع المآل.

منها أنّ في ضحى يوم السبت ثامن الشهر توفيت ابنتي وهي مراهقة سيدة سداسية السن لها فطنة ونجابة بعد وجعها بالجدري نحو ثلاث جُمَع وهو كبير عليها بحيث تورّم جسدها. وتألمنا لها فجهّزتها في يومها وصلّيتُ عليها بعد صلاة عصر تاريخه عند باب الكعبة، وشيّعها جماعة من الأعيان وغيرهم ودفنتها بتربة سلفنا على جدتي لوالدتي وبعض إخواننا، وحزنتُ عليها مع أمها وجميع من يعرفها فالله يجبر مصائبنا فيها.

وكان في السبت الأول طلع الناس إلى منى لأجل الفرجة للسبت بها على العادة. ثم في السبت الثاني تكرر لكثير من الناس الطلوع بمنى وأقاموا بها الجمعة والسبت – على عادتهم – وصلوا في مسجد الخيف مغرب ليلة السبت.

ونودي بزينة أسواق مكة سبعة أيام لأجل وصول الخبر بنصرة الخنكار على الفرنج المخذولين وعوده إلى تخت ملكه، نصره الله تعالى وأيد المسلمين.

واتفق من المقدّر علينا أنّ جارية حبشية موطوءة للشرفي البحيري الحناط والده، أنها فُقدت عند توجّهها لسبت منى ولم يظهر خبرها إلّا في يوم الثلاثاء

حادي عشر الشهر، فسأل سيدها عنها فأخبر بوجود بعض أعضائها في البرية قريب مضياف منى مع بعض ملبوسها، فاتهم بها قريبنا الصلاحي ابن الشيخ الصالح العدل بدر الدين حسن ابن الشيخ عطية بن فهد الهاشمي لكونها كانت مرافقة له في الأذكار. فطلبه سيدها إلى حاكم مكة القائد مرشد الحسني وسأله عنها فأنكر اجتماعه بها فقسّمه[1] الحاكم برأس الشريف والطلاق من زوجته أنه لم يجتمع بها في ذلك المحل و لم يعرف خبرها ففعل ذلك ثم أطلقه ونفى الريبة عنه، وقال له: لا تغِبْ[2] عن البلد حتى يظهر أمرها.

فبلغني ذلك فاجتمعتُ بالمتهم به وسألته عن خبرها فأظهر لي البراءة منها مع ظهور الربكة[3] عليه وعدم ظن السوء به، لكن قدَّر الله مقدور[4] وأمره نافذ في خلقه مبروم[5]. ثم إن سيد الجارية فحص عن أمرها فأخبره بعض عبيد العرب المقيمين بالبرية في ناحية قتلها أنه وجد امرأة بالحياة ومعها رجل وصفه بلونه وملبوسه وهو ميزر على رأسه، فقوّى تهمته لقريبنا المذكور. فطلبه سيدها في ضحى يوم الخميس ثالث عشر الشهر إلى الحاكم وجاء العبد فرآه وعرفه، فقال له: مررتُ عليك أنت وهي وأعطيتني رغيفاً ولحماً تحت الجبل فكذّبه مع ظهور الريبة فدفعه الحاكم إلى الشرع، فشُكر على فعله.

فطلبني قريبي المذكور مع ابن أخيه الشيخ تقي الدين محمد بن أبي الخير بن فهد وتوجّهنا معه إلى قاضي المالكية الشرفي أبي القاسم الأنصاري فادعى عليه سيّدها [١٨٨ ب] أنه أفسد جاريته وقتلها، فأجابه بأنه لم يعرفها إلّا في الأذكار

(١) أي طلب منه القسم .
(٢) بالأصل: تغيب .
(٣) بالأصل: الركبة .
(٤) بالأصل: مقدورا .
(٥) بالأصل: مبروما .

مع الفقراء الأحمدية وكذبه في قتلها. فساءتْني (١) هذه الدعوى واعترافه بالجمعية بها، ولو علمتُ قبل ذلك اجتماعه بها لم أحضر معه، لكن قدّر الله مقدور (٢) .

فحضر العبد وأخبر القاضي برؤيته معها في البرية فتلجلج في الكلام فأمر القاضي بالتوجّه به إلى الحاكم حتى يظهر أمره. فتوجّهوا به إلى السجن وشاوروا القاضي في وضع الحديد في رقبته. فأمر القاضي بالاحتفاظ عليه في حديد لطيف يوضع الزنجير في رقبته. فقويت الريبة عليه، فأمر الحاكم جماعته بالتوجّه إلى خلوته في رباط العز وتدويرها للحوائج المفقودة وطلب ابن أخيه للتوجّه معهم لذلك.

وكان الحاكم وغالب الناس متعجبون لأمره يُبرّئونه في فعله حتى حقق الله مراده بظهور الحوائج عنده في خلوته و لم يُفقِد منها شيئاً إلاّ دملج فضة (٣) رهنه عند شخص من الصيارفة. فلما جاءت الحوائج إلى الحاكم طلب الخصم إليه وأراها له، فاعترف عند رؤيتها من غير ضرب بأنه تضرر من صحبتها وعمل لها بُنْجاً أو قبيسياً(٤) حتى غيّرها عن نفسها وأخذ حوائجها وتركها في البرية حتى أكلتْها الكلاب، فصار فعله من الأمر المعاب، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم أرسله (٥) الحاكم إلى القاضي المالكي فاعترف بحضرته وأنه خنقها بصالحية زيادة على تغييبها. فأمر القاضي بوضعه في السجن حتى يجتمع بعلماء المالكية وينظر في مسألته. فكثرت القالات وانتشرت المقالات في هذا الفعل.

ثم إن القاضي في يوم السبت ثالث تاريخه جمع علماء المالكية بحضرة صاحب

(١) بالأصل: فساءني .
(٢) بالأصل: مقدورا .
(٣) الدملج: من الحلي، وهو سوار يحيط بالعضد .
(٤) كذا وردت بالأصل .
(٥) بالأصل: أر .

القضية وتكلم معهم في المسألة فاتفقوا على أنّ قتله غيلة لها، وأنه يُقتل بها سواء كانت حرة أو مملوكة، والحق للحاكم لا لوليها. حينئذ أمر القاضي برده إلى السجن حتى يكاتب مستنيبه في جدة .

ثم في ثاني يوم أمر بالتوجّه به مرتين....(١) عنده قبلنا فتوقفت القضية لكون مذهب الحنفية يسلم الدية إن كانت المقتولة حرة وإلاّ قيمتها لسيدها فأرصد أمره .

ثم إن المالكي لِيمَ على تأخير قتله واعتذر بأنه بلغه عزل مستنيبه ومذهبه يعزل بالإشاعة ومستنيبه لا يعزل إلاّ بوصول المنشور في البلد.

ثم اتفق الحاكم عند وصول مستنيبه من جدة أنه فرج هذه الشدة بأخذ الدية فوقع الصلح على مائة أشرفي لسيدها وخمسين للحاكم وأتباعه. فجيئتْ لصاحب القضية وأعطى غالبها وبقي عليه باقيها فالله تعالى يستر الحال، في الحال والمآل بمحمد وآله آمين.

ثم اشتغلت الدولة بوصول خبر الوزير الأعظم الباشا سليمان الرومي من جهة الهند واليمن بعد أخذهم لمدينة زبيد بمباطنة بعض عسكرها ودخوله هجماً لها في خامس شوال عام تاريخه. فأقام بها مدة وقتل أميرها الناخوذة أحمد الرومي مع غيره من أكابرها، واستناب بعض الأروام فيها (٢) .

واهتم صاحب مكة السيد أبو نمي الحسني في ملاقاته وأمر بتحصيل الضيافة له من العسل والسمن والغنم والحلوى وغير ذلك من الفاكهة. فجمع له ألف رأس من الغنم ومائة قنطار عسل وستين مَنّ سمن. وتوجّهوا بها إلى بندر جدة فوصل قبله كيخيته سليمان إليها في نصف الشهر فلاقاه ابن صاحب مكة السيد أحمد في جدة وقدم له حلوى وفاكهة وغير ذلك وأراد الطبخ له بها فقال له: يكون بمكة، ونيته

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل. وقد وردت الجملة هكذا منقوصة المعنى .
(٢) كذا وردت الجملة بالأصل .

العجلة لأجل السفر إلى جهة مصر والروم للأبواب الخنكارية في مهمات الباشا والإخبار بخبره، فركب معه السيد أحمد إلى وادي حدة – بالحاء – [١٨٩ أ] ثم بلغه وصوله بنفسه [١] إلى جدة فأمره الكيخيا بالعود إليه. فواجه الكيخيا بجدة قاضي مكة الشافعي البرهاني بن ظهيرة والمالكي النجمي بن يعقوب ووزير الهند آصف خان وسلموا عليه وركبوا معه إلى مكة فدخلها بعد صلاة العشاء في ليلة الثلاثاء حادي عشريْ الشهر، ونزل في مدرسة الأشرف قايتباي بالمسعى الشريف وأقام بها يومين حتى حصّل له ابن صاحب مكة الركائب وبعض خيل والرجال وما يحتاج إليه. وخرج من مكة في ليلة الخميس ثالث عشريْ الشهر ومعه بعض جماعة صاحب مكة من بني حسن.

وفي ضحى يوم الجمعة ثاني تاريخه جاءت الأخبار بوصول الباشا سليمان لبندر جدة ومعه من المراكب عدة يقال نحو الأربعين، وأنه قصد تجهيزها إلى جهة الطور مع غالب عسكره الذي وصل معه فأقام بجدة حتى جهّز غالبهم ثم قدم إلى مكة المشرفة فخرج الأعيان لملاقاته من وادي حدة.

ووصل إلى الزاهر في ليلة الأربعاء تاسع عشريْ الشهر وبات بها إلى الصباح فدخل من أعلى مكة بعرضة لطيفة ورفقته ابن صاحب مكة السيد أحمد ابن السيد أبي نمي الحسني وألبسه خلعة قفطان مُدَنّر هو وقاضي مكة الأفندي مصلح الدين الرومي الحنفي والشافعي البرهاني بن ظهيرة والمالكي التاجي بن يعقوب ووزير الهند آصف خان راكبين أمام الباشا وهو خلفهم بمفرده وخلفه السنجق والطبل والزمر حتى وصل إلى المدعى، فأمر بسكوت الطبل تأدباً. واستمر كذلك حتى وصل إلى سكنه جهة باب إبراهيم أسفل مكة في منزل ملك التجار السيد علاء الدين – رحمه الله تعالى – وأقام به وهرع الأعيان للسلام عليه فلم يجتمعوا به.

(١) بالأصل: وصل. والإصلاح يتطلبه معنى الجملة .

وعمل له صاحب مكة سماطاً لائقاً به ومدّ بحضرته، ولم يخرج من منزله يوم تاريخه إلاّ في الليل وطاف وسعى راكباً ومعه إمام المالكية الجمالي محمد ابن قاضي المالكية الزيني عبد الحق النويري العقيلي. وكان لاقاه من جدة ومعه محضر بالوصية عليه من الشيخ الصوفي علي الكيزواني الحلبي وغيره من الأروام فأقبل عليه وأحسن إليه بما اختلفت القالات فيه من الأكابر وغيرهم[١]. والله أعلم بحقيقته، وهو مستحق له لأصله وفضله وكونه بقية بيت كبير.

ونادى الباشا في البلد بالأمان والاطمئنان ومن له شكوى يتوجّه إلى منزله، وكان نداء المشاعلي بذلك وسط المسجد الحرام وحول المطاف على رؤوس الأنام.

ثم إن في ظهر يوم الجمعة حادي عشريْ الشهر جلس بعد صلاتها في مقام الحنفية في المسجد الحرام تجاه بيت الله وميزاب سُحُب الإنعام على كرسي من حديد وجلس تحته ابن صاحب مكة السيد أحمد الحسني وقاضي البلد الرومي الأفندي مصلح الدين والقضاة المفصولون [٢] الشافعي البرهاني بن ظهيرة والمالكي التاجي بن يعقوب. وأمر بالنداء في الطواف وأروقة المسجد بأن من له شكوى فليحضر ديوان الباشا. فأنكر الأخيار ذلك بقلوبهم ولم يمكنهم الظهور به. فلا حول ولا قوة إلا بالله. وهذا من ضعف الدين كما ورد عن سيد المرسلين بقوله: { من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان } [٣].

وحصل [٤] بذلك انتهاك حرمة المسجد الحرام بالنداء للمظالم والجلوس على كرسي للحكم والترفع على قضاة الشرع وكل عالم. ولم ينتج من مجلسه إلاّ التعاظم.

ثم قام وتوجّه إلى منزله وصار يبرز لصلاة العصر والمغرب والعشاء والصبح في

(١) بالأصل: وغيره .

(٢) بالأصل: المفصولين .

(٣) الترمذي: السنن ، الحديث رقم ٢١٧٢ .

(٤) بالأصل: وحصلت .

مقام الحنفية ويجلس على الكرسي كل يوم بعد صلاة الصبح ساعة وبعض عسكره واقفون أمامه. و لم يتفق ذلك لمن كان قبله من السلاطين وغيره من الجبابرة المتكبرين.

وصار يظهر إبطال المظالم وإخفاء (١) الصدقات لأهل الربط الفقراء وبعض ذوي [١٨٩ ب] البيوت، فكتب له قوائم بمستحقيها الشيخ أبو زرعة المنوفي على جاري عادته. ففرق على أهل الأربطة لكل نفر ثلاثة عشر كبيراً، واستوعب أهلها. ثم قسم عليهم لحماً لكل رباط خمسة كباش، وأعطى بعض ذوي البيوت من الفقهاء وأتباعهم والفقراء من الغرباء وغيرهم لكل نفر ثلاثة عشر كبيراً. فوقع لصدقته الموقع لحاجة الناس إليها وقت تفرقتها. جزاه الله خيراً وألهمه العدل في الرعية.

ثم عمل ديواناً ثانياً في صبح يوم الثلاثاء خامس عشريْ الشهر.

وفي ليلتها أحرمت ثياب الكعبة فيها خلافاً لعادتها نهاراً، وذلك بأمر شيخ السدنة الحجبة وجماعته بني شيبة خوفاً على ثيابها وكسوتها وتعرّضِ عسكر الباشا لها وحسم المادة اجتماع العامة من الرجال والنساء بحضرته، وشكرَهم العقّال في فعل ذلك وأنكره العامة لعدم الفهم له.

واتفق في يوم تاريخه بدعة منكرة (٢) أشد من إحرام الكعبة وهو عمل ديوان الباشا في المسجد الحرام وادّعِيَ فيه على جماعة بعدة دعاوى، منها على الشيخ مصطفى الرومي الشهير بالمنتشوي أحد المقربين لقاضي البلد الرومي بعد النداء بالتفتيش عليه وعلى صديقه القاضي فرفع الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي قصة بأنه تقرر في خلوة برباط الأشرف قايتباي من صاحب السنجق الزيني الشريف أبي نمي الحسني وأنه منعه منها وأعطاها لفقيه أولاده شخص يماني لتقرير

(١) كذا بالأصل ، ولعل صوابها: إعطاء .
(٢) بالأصل: منكر .

القاضي له. فأمر الباشا بعود الخلوة لابن حجر لسابق تقريره من صاحب السنجق. بل أمر الباشا بضرب بعض الأروام خارج باب المسجد الحرام عند الميل الملاصق لدار العباس بالمسعى لأجل تجرّئه على الباشا بالكلام في المجلس فارتدع الحاضرون حينئذ، وذلك لغرض الباشا في إهانته وقاضيه لكثرة الشكوى عنده فيهما من الأروام والأعاجم عنده.

ثم ادعى الخطيب العراقي على الشيخ موسى الرومي لبنائه في الشرابية علو دار.... (١) الملاصقة لجدار باب الدريبة وباب السلام وإسرافه عليها. فأمر الباشا بالكشف على ذلك بقضاة البلد المفصولين، فتوجّهوا لذلك وعادوا في المجلس، فلم ينتج إلا ذل المدعي والمدعى عليه و لم يغيّر شيئاً.

ثم ادّعى أعجمي على الشيخ أبي زرعة من جهة وصيته على تركة الخواجا خليل الجيلاني وأنه خلّف نقداً وجواهر من غير وارث شرعي. فأجاب الوصي بأنه ثبت عند قاضي البلد الرومي وناظر المواريث، وأمِر بالترسيم على الوصي فتوجّه إلى منزله. ورسم على ناظر المواريث مرة بعد أخرى، لدعوى جماعة عليه في عدة تركات ويخدم فيها، وفهم من الترسيم على الوصي الخدمة فقدّر الله تعالى.... (٢) .

ثم في ظهر تاريخه وصل لمكة السيد محمود ابن السيد ملك التجار ورفقته عبداه (٣) خليفة وقصروه على ركائب متقدمين عن الحاج المصري، وأخبروا أنهم فارقوا الحاج من ينبع ودخلوها في تاسع عشر شهر تاريخه. وهم كثير ونظيف والرخاء معهم، وشيّعوا عزل قاضي مكة الرومي بقاضي العسكر - كان - واسع حلبي المتوفى بمكة في آخر شهر رمضان عام تاريخه. وواجه ابن السيد ملك التجار الباشا في منزله وأخبره بخبر الحاج، وأنّ كيخيته واجهَ أمير الحاج في ينبع وأعطاه

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل .
(٢) كذا وردت الجملة مبتورة .
(٣) بالأصل: عبديه .

بعض الركائب وتوجّه بعدم وصول الحاج لمقصده. وتكلم مع الباشا في إطلاق الشيخ أبي زرعة من الترسيم وعليه ضمانه فأطلق من ساعته، وعُدّ ذلك من لطف الله تعالى به.

ثم عُملتْ مصلحته بما لم أطّلع عليه وكذلك القاضي المفصول حتى فوّض إليه الباشا الحكم على عادته. [١٩٠ أ] واختلفت القالات بسببه.

ثم وصل لمكة في ثاني تاريخه الشرفي ابن الأمير جانم الحمزاوي وسكن عند عيال أبيه وتوجّه في عصر تاريخه للباشا وسلم عليه وسأله عن والده فقال له: في إسطنبول، ثم قام عنه.

وتتابع الحاج بعده ووصل أميرهم كاشف الشرقية الزيني مصطفى الجاركسي على عادته بالسنين قبلها في عصر يوم الخميس سابع عشر الشهر، فطاف وسعى وتوجّه لمنزل الباشا سليمان للسلام عليه وخالف عادته في قدومه ليلاً لأجله، ويقال إنه أرسل طلبه وتهدده من جهات فعلها في غيبته بالقاهرة واستمر عنده إلى وقت المغرب وهو واقف على رجليه بين يديه ويعتذر له ويسلّم على ركبتيه مراراً عديدة حتى عفا عنه، بل أخذ حمولاً له من الدقيق والفول وغير ذلك الواصلة له في البحر من جدة.

ثم إن أمير الحاج عاد لوطاقه وبات به إلى الصباح فخرج للقائه السيد أحمد ابن أبي نمي الحسني صاحب مكة إلى الزاهر بعسكره فخلع عليه خلعته - على العادة - ومشى معه القاضي الرومي المفصول حتى وصل أمير الحاج إلى جهة درب المعلاة ونزل هناك في خيامه ومعه محفتان لزوجتيه وثالثة له. وصار يتردّد للباشا في كل وقت ولا يتصرف في شيء إلاّ بأمره، وانحصر لذلك جميع أرباب الدولة الرومية والمكية.

وتخلفت تفرقة المبرّة الرومية لكون اليازجي عليها واسمه محمد الدوادار تخلف

بالشام لوجعه فيها، ووصل الأمين على الرومية مع حاج مصر ومعه المال ويازجي ثان عيّنه الباشا داود من القاهرة.

ووصل مع الحاج المصري ناظر الأوقاف بها الزيني نصر الله الرومي وصحبته جميع أوقاف القضاة الأربعة وغيرها ما عدا البعض فحيّزها على مستحقيها و لم يصرفها لهم إلاّ بعد ترداده إليه ومطله لهم. ثم صرفها لهم مما ضرّ بحالهم كما سيأتي ذكره. واستأذن أمير الحاج المصري الباشا في صرف الذخيرة لمستحقيها فأذن له في صرفها من غير مقتطع لأهلها، وصُرفت في المدرسة الأشرفية القايتبائية. وكان القبض لها هنيئاً لكنه ذهب[١] وذلك في يوم الإثنين ثاني شهر ذي الحجة.

شهر ذي الحجة استهل ناقصاً بالأحد

من سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٩م)

بعد الطلوع لرؤيته على جبل أبي قبيس قاضي مكة الرومي[٢] الأفندي مصلح الدين الحنفي ومعه جماعة ممن هو منسوب إليه و لم يكلّف الفقهاء للطلوع معه على العادة القديمة. فجزاه الله خيراً وأبقاه لنا زمناً طويلاً، وكونه مباركاً عاقلاً مدبراً متودداً للعرب مع صفاء باطنه ولا يلتفت لكلام الأروام، في أهل بلد الله الحرام، ولذلك كثرت [٣] أذيتهم له. فالله تعالى يحفظه ويسلّمه.

وقد قُسمّت غالب الأوقاف المصرية بحضرته أمام منزله على يد حاملها ناظر النظار لها الزيني نصر الله الرومي وأعظمها وقف الشافعي الحكمي وغالب المستجد وتأخرت تتمته للحوالة بها على وقف البرج والغازية الواصلة صحبة الركب الشامي

---

(١) بالأصل: ذهبا .

(٢) كذا وردت الجملة بالأصل .

(٣) بالأصل: كثر .

منها. ووصلت الأوراق بأنّ ناظر الأوقاف بها قرر فيها جماعة وكتبَ أسماءهم في دفتر أسماء الشام وقبض منها بعض المستحقين تعلّقه.

وكان قبل عام تاريخه يُحمل لمكة ويضاف إلى وقف الشافعي فوصل مرسوم من الأبواب الخنكارية بالتقرير فيها من الشام في هذا العام وعين الناظر بها جماعة من أهل مكة والمجاورين بها، فحلّ أسماءهم نصر الله منها كما سيأتي.

وفي يوم الإثنين ثاني الشهر وصل جماعة من الحاج الشامي لمكة وتتابع الباقون ودخل أميرهم بعد عشاء [١٩٠ ب] ثاني تاريخه وهو نائب عنتاب حسين بك الرومي أخذ الدالية ممن طلع [1] أمير الحاج قبل سنة تاريخه فطاف وسعى وعاد إلى الزاهر وبات به إلى الصباح، ودخل بمحمله إلى الأبطح علو مكة على عادتهم و لم ينتظر وصول صاحب مكة إليه بعرضته. ولبس خلعته وخرج له إلى الزاهر السيد أحمد ابن صاحب مكة السيد أبو نمي من أسفل مكة من جهة ثنية كُدا - بالضم - المعروفة بالشبيكة فوجده دخل من علوها على عادته و لم ينتظره. فعاد السيد أحمد على دربه الذي خرج منه بعسكره ودخل للباشا سليمان وأخبره بخبره، فطيّب خاطره وأنكر على أمير الشامي فعْله.

ووصل مع الحاج الشامي قاضي العسكر الرميلي - كان - أحد العلماء والرؤساء والأعيان محيي الدين جلبي الشهير بابن الغباري الرومي الحنفي، وسكن عند أخيه أبي القاسم في حارة قريش وقصده بعض الناس للسلام عليه فلم يلتفت إليه وأظهر النفرة من الناس والتشكيك في الطهارة واللباس. فكف أهل البلد عن الاجتماع به، لكني واجهته مرة بعد أخرى في المسجد الحرام، ورأيت منه المحبة والإكرام، ورأيته في الطواف حول الكعبة الشريفة وهو معظّم لها ومحترز من مخالطة الناس حواليها. واستمر ساكناً عند أخيه حتى أتم نسكه وجاور بمكة في منزل الطاهر

(١) كذا وردت الجملة بالأصل .

الصائر للخواجا أحمد العنبري الدمشقي جوار باب الزيادة من المسجد الحرام.

ووصل مع الحاج الشامي اليازجي على الرومية محمد الدوادار بالروم، فحصل لجيران الله كل مروم، واجتمع يوم وصوله بالسيد أحمد أمير مكة وأراه المراسيم الخنكارية الواصلة صحبته وقدم هديته واستأذنه مع الباشا سليمان في تفرقة المبرة الرومية فأذن له في ذلك. فشرع في تفرقتها ثاني يوم وصوله يوم الأربعاء رابع شهر تاريخه فدفع للمستحقين أهل الصُرَر من العرب ثم العجم بهنأة وتيسير في نحو ثلاثة أيام متوالية.

ثم وصل أهل المدينة الشريفة مع قاضيهم الرومي المتولي عام تاريخه عوض السيد عبد الله السمهودي الشافعي المتوفى عام تاريخه. و لم يعلم بولايته وعُد ذلك من خيره وسعده واسمه محيي الدين بن حليم أغلي الرومي الحنفي قاضي طرابلس- كان - . وكان وصوله مع الحاج الشامي متولياً لقضاء حكمهم حتى وصل لمكة وجعل عوضه شخصاً رومياً اسمه....[1] واستمر هو على ولايته للمدينة الشريفة وحضر مع شيخ الحرم النبوي الزيني محمود. وكان وصل من القاهرة والأبواب الرومية مع الحاج المصري لغيبته عن المدينة سنتين كاملتين لا....[2] الرومية مع جماعة من أهل المدينة الشريفة وتكلموا معه في قبض صُرَرهم لحاجتهم له مع وقوفهم على الباشا وشكوى حالهم، فرسم بالصرف لهم.

وكان شرع أمين الرومية في إعطاء مشائخ الأربطة تعلقات سكانها من الفقراء فقبض بعضها لهم، ثم حصل من بعض العوانية [3] للباشا أنّ بعض سكان الأربطة غير مستحق لأخذ معلوم الخلوة لعدّم سكنه فيها. فأمر بأخذ المعلوم من المشائخ وردّه إلى الأمين حتى يكشف عن حالهم بعد الحج. فأرسل الأمين لبعض

(١) بياض بمقدار نصف سطر بالأصل .

(٢) بياض بمقدار كلمة بالأصل .

(٣) العواني: الموظف الذي ينقل الأخبار للسلطان. ابن إياس: بدائع الزهور ٤: ١٨٥ .

المشائخ وطلب منه ما قبضه فقال له إنه فرّق غالبه وهو في عُهدته بعد الكَشف عن حالهم، فأخر تكملة الصرف لأهل الأربطة وقدم أهل المدينة الشريفة فقبض الموجود منهم غالب صررهم يوم السابع والثامن من ذي الحجة.

[١٩١ أ] وخطب الخطيب المغربي خطبة السابع بعد صلاة الظهر – على العادة – وهو محرم وتبرّك الحاج به.

واتفق – من لطف الله تعالى وقدرته – أنّ الباشا سليمان في العشاء من ليلة الأحد الثامن من ذي الحجة وهي ليلة التروية إلى عرفة دخل إلى بئر زمزم واغتسل بها وأحرم بالحج من وسط الحجر الشريف فوصل حينئذ لمكة أميرها زعيم الحجاز المنيف السيد الشريف أبو نمي محمد بن بركات، الحسني المسعود الحركات، من جهة اليمن، وكان الباشا حريصاً على الاجتماع به والناس مضطربون في أمره لوصوله وعدمه. فدخل المسجد الحرام فوجد الباشا يصلّي للإحرام، تحت ميزاب سُحُب الإنعام، فاجتمع به هنالك، وحصل الأمان لكل قاطن وسالك. فأقبل الباشا عليه، وأظهر الفرح والسرور لديه، وقال له: أنت والدي وولدك السيد أحمد ولدي، وسلم الباشا على شَعْفَته [١]. ثم إن الشريف من سعده أمره الباشا بإتمام طوافه وسعيه. وتوجّه الباشا لمنزله. وطلع الحاج لعرفة وهم آمنون، وبوصول الشريف مطمئنون، ودخل إلى عرفة ضحوة النهار، بموكب رآه الخلق جهاراً [٢].

ووقف الباشا مع أمير الحاج وإمام الموقف القاضي مصطفى الرومي ونائبه أبي القاسم المالكي وكل ناسك محتاج، والمحامل مجتمعة، وصاحب مكة وعسكره معه.

وكانت الوقفة المباركة بيوم الإثنين والحج هنيئا والأسعار متوسطة في جميع الأقوات بحيث بيعت الكباش كل واحد بأشرفيين وزيادة ودونهما والمن السمن

(١) الشعفة: أعلى الرأس، Dozy: Suppléments... 1 : 765 .
(٢) بالأصل: جهار .

بتسعين كبير، والبطيخ الأخضر كثير، واللبن قليل [١] والمياه متدفقة في جميع البرك، مع حدوث عدة بساتين يملكها الأقوياء كالأمير يحيى الحمزاوي وشيخ الحرم –كان– صندل السليمي والزيني مصطفى المنتشوي الرومي ومشد العين وغيرهم. فحصل الضرر لسد طرقاتها وصار ألم تملكها عليهم لكونها مناخ الحاج. وهم أول من أحدث البساتين فيها وتملك عينها ما عدا بساتين ابن عامر التي ذكرها الفقهاء في مناسكهم. ولم يكن في محطة الحاج ومنازلهم. فلا حول ولا قوة إلا بالله والمستعان عليهم بالله.

وهذه البدعة كمثل أرض منى وكثرة ما حدث من البناء فيها للدور والخانات والبساتين والأحوشات[٢] مع ضيقها ومشاهدة الآية في اتساعها.

وقد نزل الباشا وأمير الحاج المصري قبالة بيت الشريف أمير مكة بالقرب من وادي محسر وجبل ثبير فحصل بذلك السعة لكل كبير وصغير.

وفي أول ليلتها دخل صاحب مكة والباشا إليها وكُسيت الكعبة فيه، على عادتها. ثم إن السيد أبا نمي الحسني تكرر اجتماعه بالباشا في محطته وأكرمه بجلوسه على كرسي بحذائه، وأعطاه مراسيم من الأبواب الخنكارية فيها إكرام الشريف أبي نمي وتعظيمه. ويقال في مراسيم الباشا العتب عليه في قتال المسلمين من أهل اليمن والهند وتركه للفرنج المخذولين فسكن أمره في تجبره وخف في نهيه وأمره. ولذلك صرف في ثاني يوم بوادي منى لسكان الأربطة تعلق المبرة الرومية وأعطى ذلك لمشائخهم من غير تفتيش عليهم. وكفى الله شر العوانية والمؤذين لجيران بلد الله الأمين، بل أعيدت الخلاوي التي رسم الباشا بإخراجها في رباط الأشرف قايتباي لأصحابها بعد سفره. وعُدّ ذلك من عدم نفاذ أمره.

(١) بالأصل: كثيرا واللبن قليلاً .
(٢) يقصد بها جمع الحوش .

ومع ذلك تجرأ جرأة بعد عوده من الحج جرأة كبيرة بالتفويض لقاضي مكة الرومي مصلح الدين لعوده إلى الحكم بها بعد عزله [١٩١ ب] من الأبواب الخنكارية. ويقال إنه خدمَهُ بمال وأراد الإقامة بمكة فأشار عليه صهره قاضي العسكر الرميلي – كان – محيي الدين جلبي الشهير بابن الغباري بصرفه إلى الروم يكون نوابه بمكة، لأنّ مذهب الحنفية لا يعزل النواب بعزل مستْنيبيهم إلاّ إذا نص السلطان على ذلك أو القاضي المتولي عوض المعزول، وهو قد مات قبل وصول الخبر إليه.

وكتب الباشا مراسيماً لنوابه الثلاثة الذين كانوا في ولايته وهم: علاء الدين علي بن سليمان الرومي الحنفي وقاضي المالكية الشرفي أبو القاسم الأنصاري وقاضي الحنابلة النجمي محمد بن بركات الزين، وعمل لهم شافعياً – وكان الحكم على مذهبه سنتين بطالاً – وهو القاضي الرئيس شرف الدين يحيى ابن القاضي عز الدين الفائز بن ظهيرة القرشي المخزومي. وسُرّ أهل البلد بولايته لكونه من بيت القضاء بمكة، ولعله بإشارة من صاحب السنجق السيد أبي نمي.

واختلفت الأقوال في صحة هذه الولايات للنواب من الباشا، هل الخنكار فوّض إليه عموم الولاية والعزل في جميع مملكته أو خاص بالعسكر الذين صحبته وجهة الهند ؟

فسألتُ مولانا قاضي العسكر محيي الدين ابن الغباري (١) عن تحقيق ذلك فقال: لم يفوّض له الخنكار إلا جهة البحر والعسكر، لكن طمعه في جمع الفلوس أوجب فعل ذلك. فالله يلطف بالمسلمين ويهدينا وإياهم لأحسن المسالك.

ولما نزل الباشا من منى نصب خيامه عند درب المعلاة في محل أمير الحاج المصري قرب البِرَك وهو نصب خيامه فوقه قريب الأبطح والحاج الشامي فوقه بالأبطح.

---

(١) ورد الاسم بالأصل: العبري، والإصلاح مما سبق من هذا النص.

واستمر الباشا والحاج المصري بمكة إلى يوم الثلاثاء سابع عشر الشهر حتى كمل للحاج المصري عشرون يوماً. فرحل الباشا في ظهر تاريخه إلى الوادي ثم تبعه أمير الحاج المصري في ليلة الأربعاء ثاني تاريخه، وأقام الأمير بمكة حتى صلّى العصر بها فوادعه والباشا صاحبها السيد أبو نمي الحسني وولده السيد أحمد خارج البلد. وخف الحاج بها مع غلو الأقوات فيها، فالله تعالى يرخيها. وأقام أمير الحاج الشامي بمكة في محل الباشا عند درب المعلاة مدة عشرة أيام بعد المصري فكانت إقامته أزيد منه بجمعة نحو سبعة وعشرين يوماً، وكان يقيم أمير الشامي في النهار بمدرسة الأشرف قايتباي ويبيت في مخيمه.

واتفق لأمير الشامي في صبح يوم الثلاثاء رابع عشريْ الشهر واقعة شنيعة مع صاحب مكة السيد أبي نمي الحسني وهي أنّ أمير الشامي مسك القائد هلمان بن محمد بن علي بن نصر الذي كان والده وجدّه قُصّاد صاحب مكة للديار المصرية بسبب أنه وجد في شعب النور بالمعلاة وفي يده شمعتان لَقَطهما من الأرض، وادعى بعض الأروام عليه أنه سرقهما مع حوائج لهم من الليل. وذهب به إلى أمير الشامي فتهدده بحضرة قاضي حجّهم فقال لهم: لا تحملون هَمّ حوائجكم، وهي في دركي ودرك أستاذي ويحضر إليكم، فقالوا له: اعترفتَ بها. فأمر أمير الحاج بوضع الزنجير في رقبته، فبلغ ذلك الوالي النوري علي الشهير بجنيدب فواجه أمير الشامي، وقال له: هذا من كبار صاحب السنجق، فتهدّده وضربه.

فخرج من عنده وتوجّه إلى سيده السيد أبي نمي وأخبره بخبره. فأرسل لأمير الشامي القاضي تاج الدين بن يعقوب المتالكي فاجتمع به في المدرسة القايتبائية فأغلظ له في القول وتهدده بقتل الممسوك عنده، فلم يمكنه جوابه [١٩٢ أ] فقام من عنده وتوجّه إلى مرسله السيد أبي نمي فسمع عسكره ذلك فاجتمعوا عند بابه

من القواد وغيرهم. وصار الشريف أبو[1] نمي محيّراً في أمره فتوجّه إلى أمير الشامي القاضي إبراهيم بن ظهيرة الشافعي ثم قاضي الحنفية مصلح الدين الرومي وتكلما معه في إطلاق المحبوس عنده ويجتهد الشريف في تحصيل حوائجهم.

فلم يقبل أمير الشامي ذلك فقدّر الله تعالى أنّ بعض حاج الشامي مسكوا عبداً سرق لهم سرقة وأرادوا شكايته إلى حاكم الشريف القائد مرشد الحسني فتوجّهوا به إلى أجياد حارة سيده فضرب الماسكين له عبيد الشريف وخلصوا العبد منهم فهرب أخصامه وتبعهم بعض العسكر إلى جهة المسعى فوجدوا أمير الحاج الشامي في المدرسة الأشرفية فكبروا عليه ورموا الطيقان عليه بالحصى من المسجد والمسعى وبأيديهم الرماح والسيوف مسلولة، وأمير الحاج الشامي يضرب البندق من النفط عليهم فأصاب بعض القواد وقتله، فحينئذٍ سطا عسكر الشريف على قتل من وجدوه من الأروام سواء كان عسكريا أو حاجا، فقُتِل منهم إنقشاريان وتاجر رومي ودلاّل ومجاور وغيرهم نحو السبعة أنفار. ومن بني حسن يقال شريف وقائدان[2] .

فسمع السيد أبو نمي بهذه الواقعة وهو في منزله فأرسل ولده السيد أحمد في رد العسكر وإطفاء الفتنة وصار يضربهم بعصاً بيده وهو راكب على فرسه. وأراد بعض الأروام أن يرميه ببندقية نفط فحذره بعض المجاورين فأحرق [3] فرسه فجاءت البندقية في عبده وسلّمه الله تعالى، وانطفأت برد عسكر أبيه. ثم إن أباه أرسل القاضي تاج الدين المالكي وقاضي الحنفية الرومي للشامي [4] ويحذره من وقوع

---

(١) بالأصل:أبا .
(٢) بالأصل: قائدين .
(٣) كذا بالأصل، ولعل صوابها: فانحرف .
(٤) بالأصل: الشامي، والإصلاح يتطلبه المعنى .

الفتنة فوجداه....[1] وطاقه، فبالغ معه القاضي الرومي وقال له: نيتك تخرب البلد وتهلك الحاج بفعلك هذا، فذلّ بعد ذلك وأمر بإطلاق الممسوك عنده كرهاً. ولولا سياسة صاحب مكة السيد أبي[2] نمي بإطفاء الفتنة وردّ عسكره في النهار، لكان من الفساد ما هلك فيه كثير من العباد. وبعد ذلك أرسل أبو[3] نمي جماعة من الخيول إلى جهة الوادي وجدة، لحفظ الطرقات ورفع هذه الشدة، فالله تعالى يؤيده ويسعد حركته.

وكان شيخ العرب بالشام ناصر الدين محمد بن طراد توجّه بجماعة من الحاج إلى الوادي لضيقهم من طول الإقامة بمكة فسلّمهم الله تعالى واستمر بقية الحاج الشامي إلى صبح يوم الجمعة سابع عشريْ الشهر فرحل أميرهم بهم من المعلاة عند طلوع الشمس ولم يُصلِّ جمعة بمكة. وصحِبَهُ قاضيها مصلح الدين الرومي بعياله لسفره إلى جهة الروم، وفوض أمر نظر المسجد الحرام وغيره من الأمور المتعلقة به لقاضي المالكية الشرفي أبي[4] القاسم المالكي، فزادت عظمته بذلك. فالله تعالى يعين عليه كل قاطن وسالك، ويكتب سلامة المسافرين من الحاج في البر والبحر أجمعين، بجاه سيد المرسلين.

ثم إن صاحب مكة السيد أبا نمي جهّز ولده السيّد أحمد وعمره نحو سبع [عشرة] [5] سنة للسفر إلى جهة القاهرة ثم التوجّه للروم إلى الأبواب به، ليلحق الباشا سليمان في ينبع ويرافقه منها. فطاف للوداع بعد صلاة العصر من يوم السبت ثامن عشريْ الشهر بعد سفر الحاج الشامي بيوم وخرج من باب الشبيكة

---

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل .
(٢) بالأصل: أبا .
(٣) بالأصل: أبا .
(٤) بالأصل: أبو .
(٥) كلمة سقطت من الأصل، أضفناها ليستقيم المعنى .

ورفقته قاضيا القضاة المفصولان [1] البرهاني بن ظهيرة والمالكي التاجي بن يعقوب [١٩٢ ب] ووزير صاحب الهند آصف خان وجماعة من الأشراف وقواد أبيه وغيرهم من عسكره. ونزل بحموله في الزاهر وبات به ثم تبعه القاضيان الشافعي والمالكي [2] إلى مكة بعض جمال ونفقة.

ويقال: إن أباه أسند أمره إلى القاضي تاج الدين المالكي وصهره الشريف عرار بن عجل النموي. وإن القاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة أشار عليه الشريف أبو نمي بعدم سفره لكون خصمه القاضي عبد اللطيف بن أبي كثير تقدم للسفر قبله إلى جهة الروم، خوفاً من وقوع الخصام بينهما في وظيفة قضاء الشافعية. فذكر له أنه لم يطلب الوظيفة وإنما قصده مرتبٌ في الجوالي وغيره لأجل المساعدة في إقامة أوده لكثرة ديونه وقلة محصوله. فالله تعالى يقابله بكل خير ويوجه وجهه وجميع رفقته ويردّهم إلى حرمه، بمَنّه وكرمه.

ثم إن القاضيين حملا حمولهما في عصر يوم الأحد تاسع عشريْ [3] الشهر وتوجّها إلى الوادي في ليلة تاريخه، وتأخر المالكي حتى اجتمع به السيد أبو نمي في منزله لوداعه وعُد ذلك من اعتنائه. ثم رحل الجميع من وادي مر في سلخ الشهر مصحوبين بالسلامة، والأمن والكرامة.

شهر محرم الحرام عاشوراء استهل كاملاً بالثلاثاء
من سنة ٩٤٦هـ (١٥٣٩م)

فكانت الأسعار فيه غالية إلاّ القمح فنزل سعره قليلاً بحيث بيعت الكيلة

(١) بالأصل: المفصولين .

(٢) وردت الكلمات الخمس الأخيرة بخط مغاير لخط الناسخ ولخط قطب الدين النهروالي، وبعدها بياض بمقدار كلمة، فاضطرب لأجل ذلك المعنى .

(٣) بالأصل: تاسع عشر، وهو خطأ أصلحناه بناء على ما ورد في الفقرتين السابقتين .

المصرية بكبير وعثماني وأقل وأكثر.

وأشيع وصول مراكب للباشا فيها حب له ولغيره فنزل السعر بها، ولله الحمد.

وكان الباشا سليمان سأل عن سبب غلو الأقوات بمكة فقيل له: كثرة التجار بها والمجاورين من الغرباء. فأمر بالنداء أن يرجع كل غريب إلى أوطانهم قبل سفره من مكة، و لم يظهر لذلك نتيجة إلاّ مصلحة صاحب البلد في خدمتهم له بالمال.

وكان تكلف لخدمة طائلة للباشا من النقد والجمال والخيل والمأكولات يقال أزيد من خمسين ألف أشرفي – نصف لاك من المال – ووزع بعضها على أركان دولته وأرضوه خفية إلا الشيخ جمال الدين محمد بن أبي علي وزيره بالحجاز فتيبّس [1] عن خدمته كغيره من أرباب دولته. فأشيع أنه جعل عليه خمسين ألف أشرفي ثم نزلت إلى عشرين ألف أشرفي نقداً وعشرين عقاراً بعد أن مسك عبده خازنداره سعد الزنجي وضُرب ضرباً مُتْلفاً ليدلهم على نقد سيده، فلم يقرّ لهم بشيء، ثم خُتم على بيته وشيّع جماعة الشريف في أمره حتى أنكر ذلك الخاص والعام، وتقدم في ذلك الجمالي محمد بن أحمد المريسي الوزير والقائد جوهر أحمر خازندار السيد أبي نمي.

ثم اتفق الحال على تسليم اثني عشر ألف دينار معجلة وثمانية مؤخرة وعزل محتسب مكة محمد البقرة الذي قدمه الخواجا عبيد ابن الوزير كمال الدين محمد بن أبي علي في العام الماضي، وردّ المحتسب الذي كان قبله النوري علي بن المهتار يقال بمبلغ ستة آلاف أشرفي نقداً. وجعل على الدلالين في جميع المبيعات بمكة أربعة آلاف أشرفي بعد حدوثها في العام الماضي بثلاثة آلاف. وجعل على القبانين ألفا وخمسمائة، وعلى دلالي الرقيق خمسمائة. فصارت جميع المكوسات الحادثة في العام

(١) كذا وردت الكلمة بالأصل .

الماضي وهذه السنة اثني عشر ألف أشرفي. وتضرر بذلك القاطن [١٩٣ أ] والسالك في البلد الحرام، ولأجلها غليت الأسعار على الخاص والعام، فالله تعالى يلطف بجيرانه ويلهم وليها العدل في رعيته، ويؤمننا في أوطاننا، ويرخّص أسعارنا.

وقد ظهر في هذا الشهر الفاكهة من البطيخ الأخضر والأصفر والرطب والعنب والتوت والتين مع غلوها كل رطل بكبير وكذلك اللحم وزاد ربع رطل والرطل السمن بأربعة كبار. وقلّتْ الدراهم وكثر حرص أهلها و لم يُخرج أحد من التجار للفقراء زكاة أموالهم، لتوجّههم إلى جدة، فالله تعالى [يخفف] [1] عن الناس هذه الشدّة.

ووصلت مراكب عدة غالبها من كاليكوط وتحت الريح ومن الديو يقال مركبان فيهما هدية للباشا سليمان من الأمير صفر الرومي نائب الديو. وكان ساخطاً عليه لكونه أشار عليه بالسفر إلى جهة أرض العرب وترك بلاد الهند خوفاً من عود الفرنج إليه، ولذلك مسك وكيله بمكة وأخذ منه أمواله التي عنده ثم أطلقه.

ويقال إن صاحب الهند محمود شاه بن إسكندر شاه بن مظفر شاه أمر بخراب بندر الديو وتركها قاعاً صفصفاً لحسم مادة الفرنج المخذولين ولا يعودون إليها. فعادوا لها و لم يجدوا فيها كبير فائدة فراسلوه بالطاعة وعود التجار إليهم من البر والبحر فلم يوافقهم على ذلك. وطلب بعود عيال عمه السلطان بهادر شاه من مكة إلى بلدهم. فتوجّه الوزير آصف خان لبندر جدة ليجهّز لهم مراكب لأجل سفرهم لبلدهم. ويقال إن معهم جواهر بكثرة.

وكان ذلك في عشاء ليلة الإثنين رابع عشر الشهر ورافقه إمام الحنفية السيد محمد البخاري فاشترى بعض المراكب وشحنها لهم ونوى إرسالهم في أول الشهر الآتي بعده بما معهم من الجواهر.

(١) كلمة سقطت من الأصل .

وفي هذا الشهر عزل الشريف أبو نمي وزيره بجدة الشرفي يحيى بن سبيع الحفيصي وأعاد لخائر بك المريسي أخي الجمالي محمد الأكبر وهو السبب في بذل المال للشريف. وأضر ذلك بحال المفصول لكونه يحمل ديوناً على ولايتها و لم يتخلص منها. وزاد تحيّر أولاد المريسي في تحيير الحَب بجدة وغلوه بمكة، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله والأمر لله. [والله يخلص منهم، فإنهم أساس الظلم بهذا القطر][1] .

وفي ليلة الجمعة ثامن عشر الشهر ماتت سيدة الجميع أكبر بنات الخواجا شهاب الدين أحمد بن محمد الحلبي المكي سبط الشيخ فخر الدين أبي بكر بن عبد الغني المرشدي الحنفي زوجة الزيني بركات بن محمد الحطاب المالكي. وكانت أسقطت ذكراً منه في الخامس أول جمعة تاريخه مع تعلّلها من أول زواجها به نحو سبعة أشهر. وتشاءمت به لكونه دفن زوجتيْن قبلها بعد إيلادهما ذكراً وأنثى. فجهّزت في ليلة وفاتها وصلّي عليها صبح تاريخه عند باب الكعبة ودفنت بجانب أمها في تربة أجدادها بيت النويري في الشعب الأقصى بالمعلاة. وأخذ زوجها العزاء فيها وهو مُظهر السرور بموتها لأجل مخلفها. وكانت أكبر أخواتها وتأخر زواجها عن أشقائها الأربعة لاحترازها في زوج يناسبها. فكان ذلك من نصيب مَن أخذها، وعمرها نحو ثلاثين سنة، رحمها الله تعالى.

وفي ثالث عشريْ الشهر مات الخواجا زين العابدين الحلبي صهر الخواجا حسن بن حسين قاوان المكي على ابنته بعد طول وجعه نحو شهرين، فجهّز في ليلته وصلّي عليه صبح تاريخه ودفن بالشعب الأقصى بالمعلاة. وخلف ولداً بالغاً من تركية له، وذكرين وابنتين من ابنة قاوان [١٩٣ ب] مع بيوت حصّلوها [2] بمكة ومتجر ونقد. وجعل وصيته لزوجته، ووالدها ناظرا عليها. وعد ذلك من لطف الله

(١) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.

(٢) بالأصل: حصولها، والإصلاح مقترح .

تعالى لفقره وكرمه. رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

وفي ضحى السبت سادس عشريْ الشهر اتفق للفقيه نور الدين علي بن....(١) الريمي نزيل مكة والمدينة أنه مر بالسويقة لخرْز نعاله فسقط ومات من ساعته فجأة لتحريك ريح القولنج وكان يعتريه. فجهّز في ساعته وصلّي عليه عصر تاريخه ودفن في تربة الخواجا قاوان بالمعلاة. وخلف زوجة وملبوس بدنه فجهّزه بعض أصحابه وترك مخلّفه لزوجته لكونها(٢) فقيرة أصيلة من بيت النويري، رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

وفي ليلة الإثنين ثامن عشريْ الشهر مات الخواجا يوسف العجمي الشهير بكتا زوج صفية ابنة القاضي نجم الدين بن يعقوب وأبو أولادها، فجهّز في ليلته ودفن في صبح تاريخه بالمعلاة تحت الحجون. رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

شهر صفر الخير استهل ناقصاً بالأربعاء
من سنة ٩٤٦هـ (١٥٣٩م)

وحدثت فيه حوادث كثيرة من المظالم والعناء والغلاء بمكة وجدة بندرها:

منها جعل صاحب مكة مكساً على القبّانين ودلالي (٣) الرقيق نحو ألفيْ أشرفي غالبها على القبّانين، وذلك بطلب بعض العوانين كما أحدثه في السنة قبلها على جملة الدلالين، وتضرر به سكان بلد الله الأمين، فالله تعالى يوفقه ويلهمه العدل في المسلمين، ولذلك غليت الأسعار في جميع الأقوات. فالكيلة الحب وصلت بكبيرين ثم نزلت إلى كبير وعثماني وزيادة، والرطل السمن إلى خمسة كبار وزيادة والرطل

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل.

(٢) بالأصل: كونها.

(٣) بالأصل: دلالين.

اللحم بكبير، والرطل والنصف من العنب بكبير في جميع أيام الصيف، واللبانة رطل وربع بكبير، وغير ذلك من الألوان. واشتد الحر مع وجود الغيم وعدم الغيث. فالله تعالى يغيثنا به ويرخّص أسعارنا ويؤمننا في أوطاننا.

وفي ليلة السبت رابع الشهر سافر من مكة إلى بلاد الطائف رئيس الروم وعالمها قاضي العسكر الرميلي – كان – محيي الدين جلبي ابن قاضي العسكر الجمالي يوسف بن علي الشهير بابن الغباري الحنفي، عامله الله بلطفه الخفي. وكان جسده متوعكا لشدة الحرارة بمكة. واكترى ثلاثين جملاً له ولأتباعه لوصف الطائف له بالطراوة وصحة الهواء. فالله تعالى يعافيه ويبلغه ما يهوى. وكنتُ من المترددين إليه وأكثر من الثناء عليه لملاقاته لي بالإكرام والمحبة والاحترام. وكان كثير العبادة مع بُعده عن الناس، وتقشفه في اللباس، واحترازه في الطهارة، أعلى الله مناره. وبعد سفره كثرت الآلام وتعددت الأموات بجدة وبلد الله الحرام.

وبلغني أنّ عدة من يموت بجدة في كل يوم أزيد من عشرين نفساً وبمكة نحو نصفهم، فكان كل من مات بجدة من الضعفاء يدفن بها، ومن الأكابر يحمل إلى مكة على أعناق الرجال ببذل كثير من المال. فكان أول من حُمل منها تاجر رومي يقال له صفر الصباغ، خلّف أولاداً صغاراً جعل جدهم لأمهم وصياً عليهم، وغسل في بيته وصلّي عليه في المسجد الحرام في نصف الشهر ودفن بالمعلاة. ثم رومي ثان بعد يومين اسمه علي الخنجري، وأنْتنَ ريحه وغسل وقت الصلاة [١٩٤ أ] عليه ودفن بالمعلاة في الشعب الأقصى، رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

وفي ضحى يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر ماتت الشابة الأصيلة زينب ابنة العلامة القاضي عز الدين الفائز بن ظهيرة القرشية المخزومية وأم أولاده(١) الأربعة وهم ذكران وبنتان، وعمرها نحو عشرين سنة. فجهّزت في يومها وصلّى عليها في

(١) كذا بالأصل، والظاهر أن اسم الزوج سقط من النص قبل قوله « وأم أولاده ».

عصر تاريخه عند الحجر الأسود - كعادة سلفها - والدُها، ودفنت بتربة جماعة زوجها، ولم يعمل لها ربعة ولا ختمة بل ولا صبحة عزاء، وذلك لورع والدها واقتصاره في الأمور. عوضه الله خيراً وأولادها.

ثم في فجر يوم الثلاثاء حادي عشريْ الشهر وصل [ميّت] (١) ثالث من جدة يقال له سنجق دار من عروبة(٢) وأوصى بمبلغ لأهل الحرمين، فلم تمكّن الدولة الرومية من قبضها حتى يُستأذن الخنكار في أمره، وغسل في ميضاة كاتب السر ابن مزهر جهة المروة. وأنتن جسده بل تضرر بعض لحمه، وصلّي عليه في المسجد الحرام ضحى تاريخه ودفن بالمعلاة، وتضرر أهل مكة من هذه الرائحة والأفعال القبيحة. وكان قديماً تنكر الدولة فعلها ولا يمكنون لكل أحد من دخولها.

وفي يوم تاريخه مات بمكة الشيخ العلامة الجليل الموقع - كان - تقي الدين محمد بن رمضان الشهير بالعزي - نسبة إلى سويقة العزي - القاهري الحنفي. وكان وجعه بريح القولنج وانقطع في منزله نحو الشهرين عند ابنته بديعة وولده الذي رباه يتيماً الشريف شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الحسني القاهري - وكان زوجها في السنة التي قبلها - فجهّزه مع أمه وساعدهم الخواجا بركات الحلبي لصحبته له. وصلّي عليه في عصر تاريخه ودفن بالمعلاة في شعب النور بتربة بركات الحلبي. وكان هو أول من حازها لنفسه. وكثر الثناء عليه لسكونه وفضله ومداراته وحسن خلقه، رحمه الله تعالى.

وفي مغرب ليلة الأربعاء ثاني تاريخه وصل من جدة ميت رابع يقال له شمس خان أحد أركان الدولة الهندية. وكان نزل بعياله ليسافر لبلاده صحبة ابن أخت زوجته الملقب سعيد الملك داود. واشترى مركباً لنفسه وأشهد قبل تاريخه أنّ جميع

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل والإكمال يتطلبه معنى الفقرة .

(٢) وردت الكلمة بالأصل: عرووبة .

ما تحت يده ملك لـ سعيد الملك وأنه ابن أخيه، ويقال ابن زوجته. فنفع ذلك من خلفه بعده، وتوسط في نفقته (١) وجهازه الوزير آصف خان. وكان يظهر له المودة مع اطلاعه على المباطنة في أذيته كابن زوجته سعيد الملك. لكنه والاهما خيراً وساعدهما عند الدولة الرومية وأرسله ليدفن بمكة، فجهّز وغسل عند صاحبه الشيخ علاء الدين النهروالي (٢) الساكن في أحد بيوت سلطان الهند مظفّر شاه. وصلّي عليه بعد المغرب ودفن بالمعلاة في الشعب الأقصى، وأنتن جسده كغيره من شدة الحرّ في طريق جدة. وعمل له ختم في صبح يوم الخميس ثاني يومه لسفر جماعته. وعد دفنه بمكة من بركته، فإنه كان كثير العبادة وتلاوة القرآن والبر لمعارفه، رحمه الله وإيانا .

وفي ظهر يوم الأربعاء المذكور مات جارنا الشيخ الفرضي الحيسوب كريم الدين عبد الكريم ابن الشيخ نور الدين علي الدمنهوري الشهير بابن صقيلة(٣) نزيل مكة المشرفة. وخلف والده وثلاثة ذكور وابنتين صغار من أمهات شتى وأكبر أولاده مسافر جهة الهند بمبلغ له تعب قلبه بسببه وكان مهتماً ولم يوص لكثرة....(٤) وقلة موجوده. وختم الأرواح [١٩٤ ب] على بيته بمكة وجدة حتى تحرر أمره وجهّزه أهله ووالده في عصر تاريخه ودفن بالمعلاة في تربة الزمازمة جوار الشيخ علي الشولي. رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وفي مغرب ليلة السبت ثاني تاريخه وصلت قافلة المدينة الشريفة رفقة الشيخ المقبول بن عبد الله بن مرزوق اليمني. وكان توجّه بعد الحج كعادته وأبيه من قبله.

(١) بالأصل: نفعه .

(٢) هو علاء الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن قاضي خان، عدني الأصل عرف بالنهروالي وهو والد المؤرّخ المكّي الشهير قطب الدين، أنظر أخبار ومصادر ترجمته في المقدمة التي وضعها الشيخ حمد الجاسر على كتاب البرق اليماني لقطب الدين ص ١٥ .

(٣) وردت الكلمة غير معجمة بالأصل .

(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل .

ووصل صحبته الشيخ محمد ابن شيخنا الجنيد المشرعي بأخته عيال المرحوم قاضي المدينة الشافعي السيد عبد الله السمهودي، وصاحبنا الجمالي محمد ابن الشيخ عبد اللطيف بن زائد وغيرهما. وهنأهما معارفهما بالزيارة، وقدم ابن زائد لمن قصده معمولاً جعلته له زوجته أم ابنته، وذُكر به.

وفي وقت التاريخ المذكور سافر من مكة عيال سلطان الهند بهادر شاه ابن مظفر شاه الكجراتي لطلب المتولي عوضه لهم، فجهّزهم الوزير آصف خان من جدة في مركب اشتراه لهم ومركبين آخرين استأجرهما من أهل نير (1) تجار بلدهم ومركب رابع اشتراه سعيد الملك داود ربيب شمس خان المتوفى في شهر تاريخه وكان رفقتها (2) في قدومه ونزل معها خدمة لها قرابة زوجها قيصرخان، [واسمه ملك شيرين جمال](3) وفرقت على الفقراء في درب الشبيكة يقال نحو مائة أشرفي فضة.

ولما دخلت جدة خلعت على نائب جدة خلعتين مع تقدمة هدية له ولصاحب مكة السيد أبي نمي أرسلتها له إلى فريقه جهة اليمن مع إمام الحنفية السيد محمد البخاري بإشارة صاحبه الوزير آصف خان. ويقال إنها نقد وقماش لا أعلم كميتها.

وقد بذل الوزير همته في خدمتها ونصح في أمرها وتعظيمها حتى سافرت المراكب معها في يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول ثم تتابع سفر المراكب بعدها وطاب(4) لهم الريح. وعاد الوزير آصف مع قريب سلطانه قيصر خان في فجر يوم الثلاثاء سادس الشهر مخفّين على خيول. واستراح الوزير من خدمة عيال سلطانه،

(1) كذا وردت الكلمة بالأصل .
(2) وضمير التأنيث هنا يعود إلى زوجة السلطان بهادر شاه والظاهر أن الناسخ أسقط ذكرها في الجملة السابقة.
(3) وردت الجملة الأخيرة بالهامش وهي بخط قطب الدين النهروالي .
(4) بالأصل: وطالب .

وعلة عسكره وأعوانه. [وجهّز معهم باقي الخزينة من الجواهر](1) .

وفي ظهر يوم الجمعة رابع عشر الشهر وصل قاصد إلى مكة من هدة بني جابر إلى قاضي المالكية الشرفي أبي القاسم الأنصاري وأخبره بظهور ولدٍ له في ليلة الجمعة المذكورة من سيدة قريش ابنة الإمام عبد المعطي الطبري وسمّاه باسم أبيه « أبا السعادات ». وهنأه الناس لكونه لم يعش له ذكر (2) مع وجود ابنتين له.

وفي ليلة الثلاثاء سابع عشريْ الشهر ولدت البنت سعادة ابنة صهري أخي زوجتي السراجي عمر ابن القاضي نور الدين علي المرشدي الأنصاري الحنفي، وأمها ست الأهل ابنة العدل أبي السرور ابن المرحوم الشيخ شرف الدين يحيى بن إدريس ابن عبد القوي المالكي بعد ظهور ابنة له قبلها درجت بالوفاة صغيرة، وأعطاه الله عوضها هذه.

شهر ربيع الأول استهل ناقصاً كالذي قبله بالخميس من سنة ٩٤٦ هـ (١٥٣٩م)

واتفق بعد سفر المراكب بجمعة وصول قاصد اسمه تريم(3) من نائب الديار المصرية اسمه داود باشا الخصي وصحبته مراسيم وعدة أوراق من السيد أحمد ابن صاحب مكة السيد أبي نمي الحسني فيها: منع عيال سلطان الهند من السفر إلى بلدهم. فقال الشريف: لا علم لي بسفرهم وأمْرهم كان لوزيرهم ونائب جدة، ويقال إنه باطن في طلب المرسوم، فلم يبلغ ما يروم، ولذلك حصل بجسده المرض وساءه الغرض، فأجاب الوزير بظهور مرسوم خنكاري من باب السلطان لما توجّه

(1) ما بين عاقفتين بخط قطب الدين النهروالي.
(2) بالأصل: ذكراً .
(3) كذا ورد الاسم بالأصل .

بالإذن لهم بالسفر أي وقت [١٩٥ أ] أرادوا، فكان سفرهم من سعده ودرايته. فالله تعالى يسلمه مع جماعته.

ووصل في أوراق ولد الشريف: إخبار أبيه بوصولهم للقاهرة سالمين معززين مكرومين [(١)] من نائبها وأركان دولتها وأنّ الباشا سليمان الذي توجّهوا رفقته وصل إليه كيخيته بأخبار تسرّه واختلفت الأقوال فيها منها أنه أنعم عليه بالوزارة الثانية بعد أن كان ثالثاً، وأنّ قصده يجهّز ما وصل معه من التحف الهندية واليمنية، ويطول إقامته في القاهرة. وطلب من السيد أحمد إرسال هديته وعروضه إلى الأبواب الخنكارية، وهو يقيم بالقاهرة المعزية. فتوقف في ذلك وطلب من أبيه الإذن في السفر إلى الروم أو الإقامة. هذا ما وصل لي خبره، والله أعلم بحقيقته.

وكان اتفق في ليلة الأربعاء سلخ شهر صفر موت الولد الشاب الفاضل إبراهيم ابن صاحبنا العلامة الصوفي المدرس جمال الدين محمد الشهير بالحطاب المالكي بعد وجعه نحو شهرين بالحمى، فجهّزه والده في فجر تاريخه وصلّي عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة وشيّعه جماعة من الفقهاء وغيرهم، ودفن بالمعلاة في تربة جده لأمه الشيخ محمد بن عَزَم [(٢)] تحت الحجون قرب الشيخ سفيان بن عيينة، وحزن والده عليه، فالله تعالى يجبره ويضاعف أجره ويبارك له في الباقي من أولاده ويعوض الميّت الجنة. وقال لي والده: إن عمره تسع عشرة سنة وحفظ القرآن وكتباً في الفقه والنحو مع اشتغاله عليه ويقظته وسكونه، رحمه الله تعالى وإيانا.

وفي ظهر يوم وفاته حصل غيث مدرار بمكة وأعمالها، وتباشر سكانها بوجود الخير فيها وأدى إلى نزول عدة صواعق خارجها. يقال أن منها صاعقة نزلت في فريق صاحب مكة الشريف أبي نمي الحسني من جهة اليمن بل وقعت على بغل له

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) محمد بن عزم التونسي المكي، مؤرخ له مؤلفات، أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا التاريخ و المؤرخون بمكة...ص ١٦٣ – ١٦٥ .

أحرقته [(١)]. ولعل الله تعالى يجعل له الموعظة فيها بإلهامه العدل في رعيته، وانحلال الأسعار في بلدته.

ثم وصل لجدة عدة مراكب ومسماري للسلطان من جهة القصير فيها حب للبيع والصدقة على سكان مكة، فانحل سعر الحب إلى كبير وعثماني. ويقال في المسماري صدقة الخنكار ألف وخمسمائة إردب، ولأم ولده المدعوة خاصكي ثمانمائة إردب منها مائتان معيّنة لجماعة، وباقيها يفرقها شيخ الصوفية أبو الحسن علي الكيزواني الحلبي بمرسوم وصل إليه في ذلك ولسكان رباط الأشرف قايتباي خمسمائة إردب، فمجموع حب الصدقة ألفا إردب. ووصل بعض حب الرباط لأربابه فأعطي لكل واحد إردب.

وكان نائب جدة يرى عمل زفة المولد النبوي إلى محل المولد كعادتها التي قُطعتْ من نحو أربع سنين، وأمر شيخ الفراشين الشهابي أحمد بن عبد الله بن عمر ابن بيسق بعمل الفوانيس وتنظيف الطرقات في سوق الليل. فأنكر عليه فعلها وكاتبَه في إبطالها الشيخ علي الكيزواني وقاضي المالكية الشرفي أبو القاسم المالكي، فيما قيل. فمال إلى ذلك وترك فعلها واشتغل بمرضه عنها، وتحدث بوصوله إلى مكة في محفة فلم يصلها.

وفي ضحى يوم الأربعاء ثالث عشر الشهر شرع الخطيب محيي الدين العراقي في بل السكر لعقد ولده الزيني عبد الرحيم على ستيتة ابنة أخي زوجته المرحوم الجمالي مكارم ابن الشيخ [١٩٥ ب] كمال الدين أبي الفضل بن عبد القوي المالكي في مسكن أبيها كان المجاور لباب الدريبة – أحد أبواب المسجد الحرام – فاجتمع عنده جماعة من أصحابه وغيرهم من أرباب الوظائف لطلب بعضهم. ويقال إنه بَلّ نصف قنطار سكر وعمل لهم مَدّة فأكلوها وانصرفوا.

---

(١) بالأصل: أخرقتها .

وكان عقد بالبنت خفية بعد إرضاء ابن عم أبيها الوجيهي عبد الرحمن ابن الشيخ إدريس بن عبد القوي لدعواه أنه عقد بها لولده المتوفى قبل تاريخه وجعل له مبلغاً رغبة ورهبة، ثم عقد بها عقداً ثانياً ظاهراً للناس ثاني تاريخه عشاء ليلة الأربعاء علو سطح المسجد الحرام جهة باب السلام باشره قاضي المالكية الشرفي أبو القاسم المالكي وبالغ في مدح الزوج بما أنكره العقلاء وحصل بينهما خصام لصداقته لخصمه القاضي تاج الدين المالكي وهو غائب في القاهرة وقصَد مودته ونفاقه كفعل الآخر له، والله أعلم بفعل كل منهما ومناله[1]، ثم شرب الحاضرون سكراً مذاباً بعد البخور بالعود والماورد كالعادة وانصرفوا وهنّأ الناس العريس ووالده في صبح تاريخه في المسجد الحرام.

ثم في ليلة الجمعة توجّه قاضي المالكية الشرفي الأنصاري لعياله بهدّة بني جابر لأجل الصيف وخلاص تعلقاته بها، واستمر بها إلى آخر الشهر ثم عاد لمكة في أول الشهر الذي بعده.

شهر ربيع الثاني استهل كاملاً بالسبت

من سنة ٩٤٦ هـ (١٥٣٩م)

وفي صبح تاريخه توجّه الناس إلى القاضي المالكي وهنؤوه[2] بقدومه وبالشهر.

وفي ظهر يوم الإثنين ثالث الشهر وصل لمكة من الطائف قاضي العسكر الرميلي -كان - محيي الدين جلبي الشهير بابن الغباري بعياله مع شدة الحر إليها وهو

(١) كذا بالأصل .
(٢) بالأصل: وهنئوه الناس .

ملسوس[1] من عرب الحجاز لكونه اتفق له معهم جرأة من بعضهم لكون شخص من بني مطير نهب له بعض حوائجه فأرصد له من يُنَبّه لمجيئه وقت عوده لسرقته، فرماه بنشاب - وقيل ببندق من النفط - فأصابته حتى وقع إلى الأرض ومات، فقطع أطرافه وعلّقه على شجرة ليرتدع بذلك أمثاله. فتشوش منه عرب المقتول وطلبوا الأخذ بثأره، فحمي لنفسه مع عصبة أهل الطائف معه منهم شيخ ثقيف العفيف عبد الله بن محمد النعر[2]. ويقال إن أخاه الذي بمكة مولانا أبا القاسم الغباري طلب من جماعة الشريف بعض القواسة للتوجّه إليه بالحراسة، فعاد معهم لمكة سالماً.

فوجد أحمالاً له وصلت من بحر الطور لجدة فيها أرز ودقيق وقطر وسكر وغير ذلك مما طلبه من نائب مصر داود باشا الرومي لإرساله إليه بدراهم يُقال عدتها سبعمائة ذهب سلطاني عنها نحو ثلاثة آلاف أشرفي. فأرسل له بمائة وعشرين حملاً وردّ بعض النقد إليه فتصدى لخروجها من البحر وإرسالها بمكة من غير عشور نائب جدة عبد الودود الرومي. فابتهج صاحبها بوصول ذلك لشدة الغلاء بمكة في جميع الأقوات. فتفضّل على جماعة ممن يتردد إليه بإنعامه عليه لكل واحد بفردة[3] من الدقيق، فنصر بذلك كل صديق ورفيق، وكنتُ ممن تفضل بذلك عليه، وأسدى الخيرات لديه، جزاه الله عني وعن المسلمين كل خير، ودفع عنه السوء والضير.

وكان تحجّب عند وصوله من الناس وذلك لضعف بدنه وشدة الوسواس في الطهارة، عافاه الله منه.

وفي فجر يوم الجمعة رابع عشر الشهر وصل لمكة نائب جدة عبد المجيد بن

(١) كذا بالأصل، ولعلها كلمة كانت تستعمل للدلالة على أن القاضي كان تحمل إذاية من الأعراب. (لسس = ملسوس) .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) وعاء من الخوص يوضع فيه الأرز وغيره .

حميدي جلبي الرومي وسكن [١٩٦ أ] في بيت القائد جوهر المغربي وزير صاحب مكة الشريف أبي نمي الحسني - كان - بأسفل مكة قصد مواجهة الشريف المشار إليه لأجل أخلافه مع أمين التركة الواصل من البحر جديداً واسمه....(١) ويقال إنه أخذ التكلم على التّرك بالحرمين الشريفين مدة سنة كاملة بنحو ستين ألف أشرفي.

وكان تحصل أول ليلة عند سفر الهنود من ثلاثة أنفس تجار نحو ذلك من متولي التّرك قبله أكثر منها ودفعها للباشا سليمان الخصي بعد عوده من جهة الهند. ويقال إن الشريف طالبه بالثلث مما أوصى به السنجقدار المتوفى عام تاريخه لأهل الحرمين، على عادته وأسلافه من قبله.

وانقطع نائب جدة بمنزله حتى وصل الشريف أبو نمي في ضحى يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر بعده بثلاثة أيام من فريقه جهة اليمن. وذهب الأعيان للسلام عليه، وأرسل له قاضي العسكر الرميلي -كان- محيي الدين جلبي الشهير بابن الغباري الحنفي - عامله الله بلطفه - بالسلام مع مملوك رومي مراهق أهداه له وكتب له ورقة بنصيحته ووصيته برعيته. فيقال إنه أراها للحاضرين عنده فبعضهم نفّره من مرسلها وبعضهم أمره بطاعته وإكرامه بعدها. فقبل إكرامه وأرسل له بجوابها مع كاتب أبيه كان الجمالي محمد بن مدهش وهو يعرف بلغة الأروام، فواجهه بها بعد عصر يوم الجمعة حادي عشريْ الشهر. فأكرم الرسول بالقيام له وبإعطاء (٢) ورقة الشريف. وهو لم يقم لأحد ممن يتردد إليه.

وبلغني أنّ في الورقة قبول نصيحته وإبطال ما أمر به.

ووصلت يوم تاريخه قافلة من المدينة الشريفة فيها أروام وأخبروا أنّ قاضيها الرومي الجديد توفي يوم الجمعة رابع عشر الشهر بعد أن وجع بالفالج وبطل بعض

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.

(٢) كذا بالأصل، ولعل صوابها: بإعظام .

جسده، وكان يميل للرافضة مع توقفه في القضايا واستناب بعض جماعته من الأروام الحنفية، ويقال القاضي شمس الدين محمد السخاوي من المالكية مع توقفه عن الأذمام، وميله إليه في فصل الأخصام. وكان هذا القاضي أول رومي استقل بقضاء المدينة في دولة بني عثمان.

وفي صبح تاريخه ظهر أنّ بعض القواد للشريف أبي(١) نمي مع حاكمه الجمالي محمد بن عقبة ركب صحبته نائب جدة وقصد جهة الفلق وأسفل مكة لأرباب الخمور، فأحرقوا بعضها وكسروا أوانيهم إظهاراً للناس مما أمر به قاضي العسكر المشار إليه. ولم يحدث شيء غير ذلك، وما عُرف سبب مجيء الشريف ونائب جدة، وطالت إقامتهما بمكة، وصار الشريف أبو نمي يتردد إلى البر لأجل الصيد ويعود لمكة.

وشكا عليه الخواجا علي ابن الخواجا شمس الدين الحلبي المخاصمة له في بيوته بجدة وأظهر مستندها بالزور. وكان كتب محضراً بذلك عدّد فيه أشياء مخالفة لتاريخ ما في مكتوبها، منها: الثبوت على قاضي مصر الحنفي في سنة خمس وثمانين، ولم يكن متولياً لها قاضياً مدة شهرين لموت قاضيها. وسنة تحديد فرحة الشريف هزاع له وكان مراهقاً و....(٢) به إلاّ بعد ولايته أول القرن. وتحديد بيت أولاد الخواجا صدقة في سنة تاريخه وكذا والدهم لم يمت إلاّ بعدها بسنة. وغير ذلك من اشتباه خطوط المستند كما عرفه القاضي كريم الدين المحولي وشهد به وكذلك الشيخ أبو زرعة وكاتبه. وكتب منا خطه. وكان مستند الشراء وصّل [قاضي] (٣) المالكية الشرفي أبا (٤) القاسم الأنصاري وتوقف في أمرها عند ظهور الريبة في مستندها

(١) بالأصل: أبا .

(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

(٣) إضافة يقتضيها معنى الجملة .

(٤) بالأصل: أبي .

[١٩٦ ب] فقال له الشريف أبو نمي: ثبت عندك بطلان مستندها؟ فقال له القاضي: أدى عندي الشيخ المحولي، وإذا أدى غيره أبطلته، فوصاه الشريف عليها لكونها دخلت على وزيره بجدة الجمالي محمد المريسي فأعطاها مستندها لتحريره بالقاهرة، ودفع البيوت لابن الحلبي فوضع يده عليها وهان الأمر على الخصمين، ورفع الأمر إلى أحكم الحاكمين.

واتفق للشريف أبي نمي أنه ركب بنفسه لرؤية بيوت وزيره بالحجاز الجمالي محمد بن أبي علي في المدعى وغيره لأجل عمارتها بيوتاً لنفسه، بل أراد أخذ الخرابة التي بباب العمرة المنسوبة لقضاة الحنفية بني الضياء لكونها مبيوعة [(١)] عند الجمالي ابن أبي علي، فلم يكتف بها لكونه أراد بناء رباط له إلاّ بأخذ بيت بجانبها، فلم يرض أهله بإعطائها، فعدل عن أخذها إلى بيت في باب الدريبة بالقرب من سويقة الشامي كان اشتراه شخص أعجمي مع زوج ابنة الخواجا فيرخُجَا القونـي لأولادها الأيتام من أبيهم. فامتنعت من إعطائه له فاشترى حصة شريكها بزيادة على ألف أشرفي وطلب منها قسمته مع أملاك عامرة غيره. فتوقفت حتى ركب إلى منزلها بنفسه فوافقته على أخذها للمنزل التي هي ساكنة فيه وأخذ البيت الثاني ويزيدها مائة سلطاني عن أربعمائة أشرفي. فطاب خاطره ونوى عمارته رباطاً وكان أصله وقفاً.

ثم رجع عن عمارة الرباط في هذا المحل وطلب محلاً خرباً في سوق المسفلة قرب باب إبراهيم يُنسب للزيون والجواشن [(٢)] كما سيأتي ذكره [(٣)] في شهر رجب

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) عائلة الزيني وعائلة ابن جوشن، وهما من عوائل مكة .

(٣) لم يرد بالأصل ذكر شئ من هذا في أخبار شهر رجب سنة ٩٤٦هـ. حيث إنّ هذا المخطوط ينتهي بأخبار شهر رجب سنة ٩٤٦ هـ المذكور، ولكن ليس غير أخبار الأيام الثلاثة الأولى، وبها ينتهي ما وجد من المخطوط الوحيد للكتاب الذي بين أيدينا .

من سنة تاريخه. وأمر بعمارة بيت الرملاوي أحد بيوت ابن أبي علي عزلاً ثلاثة [(١)] فشرع في هدمه وبناه في آخر شهر تاريخه.

شهر جماد الأول استهل ناقصاً في ليلة الأحد من سنة ٩٤٦هـ (١٥٣٩م)

بعد عدم رؤيته في المسجد الحرام من العامة، وقال إنه رآه في الجبل من منزله شخص بطال يقال له عبد الله الواسطي البصري ممن يطلب الظهور. وأدّى عند قاضي المالكية شخص ثان من العوام فقبلهما القاضي وأمر الفراشين بإخراج الشموع الجدد للمطاف على العادة.

وفي ليلة الإثنين ثاني الشهر عمل الوزير الأعظم، المسند العالي المكرم، عز الدين عبد العزيز المدعو آصف خان، عظم الله له الشان، وبلّغه من أعدائه الخذلان، بجاه النبي محمد سيد ولد عدنان، مولداً عظيم الشان، في حوش دار العجلة جوار المدرسة الباسطية ومنزله الجديد عقب سفر عيال سلطان الهند بهادر شاه إلى بلدهم عام تاريخه. حضر فيه القاضيان الشرفيان يحيى بن الفائز بن ظهيرة القرشي الشافعي وأبو القاسم بن أبي السعادات المالكي الأنصاري وغيرهما من الفقهاء والتجار والفقراء فقدم لهم الحلوى والفتّوت والبخور والماورد والعود. وبعد الفراغ من المولد استمر الذكر بالفقراء إلى طلوع الفجر، وامتدح الوزير المشار إليه بثلاث قصائد أحسنها أولها للشيخ شهاب الدين أحمد الجيلي اليمني، وخلع على قارئ المولد الشهابي أحمد بن القبابي خلعة قفطان مدنّر وأنعم عليه وعلى غيره بمبلغ له صورة.

وفي صبح تاريخه عمل الوزير المشهور [(٢)] سماطاً فيه أطعمة مفتخرة ملونة

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) تكررت كلمة « عمل » في الجملة .

حضره القاضيان الماضي ذكرهما والقاضي أبو السرور بن الضيـاء والقـاضي الحنبلي النجمي محمد بن الزين وغيرهم من الفقهاء [١٩٧ أ] والتجار والأولاد الصغار ممن يلتمّ على الوزير من الأصحاب ثم الفقراء عامة فحصل لهم الخير خاصة. ثم بعد فراغهم قرأ الأولاد درجا من النظم لأجل ختم القرآن لولده النجيب اللبيب الملقب قطب خان، أسعده الله تعالى وأقرّ به الأعيان. ....(١) إمام الشافعية الأميني أبي اليمن الطبري لمولانا الوزير المشار إليه، أدام الله نِعَمه عليه، وترك القاري الدرج المعتاد.

وخلع الوزير على الفقيه محمد ابن المقرئ الذي ختم الولد عنده خلعة صوف عودي وأنعم عليه بمبلغ يقال خمسون سلطانياً عنها مائتا أشرفي معاملة تاريخه. ورسم للأولاد الحاضرين لكل واحد بأشرفي فضة ولقارئي الدرج كل واحد سلطاني. جملة ذلك نحو أربعين أشرفياً. وابتهج الحاضرون بذلك والسامعون وعُدّ ذلك من محاسن الوزير وعظم رئاسته ومكارم أخلاقه وجلالته، زاده الله أفضالاً ومهابة وإجلالاً.

وفي جمعة تاريخه وصل قاصد من القاهرة براً يقال إنه عبد القاصد مسلّم البدوي أرسله جماعة الخواجا فحيمة المغربي، ونهب العرب بعض أوراقه ثم ردوها له.

وفي بعضها أوراق لصاحب مكة الشريف أبي(٢) نمي الحسني من عند ولده السيد أحمد والقاضيين اللذين معه بالقاهرة. وأخبروا فيها أنّ قصدهم السفر صحبة الباشا إلى الروم في نصف شهر ربيع الثاني وكان القاصد سافر في عاشره وله نحو شهر.

وذكروا أنه حدث في إسطنبول حريق كبير أحرق فيه أزيد من ألفي بيت من

(١) بياض بمقدار كلمتين بالأصل.
(٢) بالأصل: أبو.

جهة تحت القلعة وأنّ الوزير الأعظم إياس باشا حرق فيه، ويقال مات مطعوناً لحدوث الطعن أيضاً فيها. ويقال حدث فيها الزلزلة أيضاً.

وفي ليلة الثلاثاء عاشر الشهر ماتت الشريفة يمن ابنة السيد حسن العجمي زوجة الشيخ جمال الدين محمد بن عبد اللطيف بن زائد المكي أم ابنته أم هاني ومعها ولد من غيره، بعد إسقاطها منه بيومين، يوم الجمعة قبل تاريخه. فجهّزت في ليلتها وصلّي عليها صبح تاريخه عند باب الكعبة ودفنت بالمعلاة عند أبيها بالقرب من تربة الزمازمة والشيخ علي الشولي. وعمل لها ربعة بالمعلاة. رحمها الله وإيانا وجميع المسلمين. وفي ليلة الجمعة ثالث موتها عمل لها تهليلة بالفقراء العرابية وغيرهم وقسم عليهم القهوة والبن والبخور والريحان والماورد. وذكر الفقراء إلى آخر الليل فحصل لها الشهادة وثواب التهليل والقراءة.

وفي يوم الجمعة المذكور ماتت المرأة الكبيرة أم إبراهيم زينب ابنة الشيخ عبد المحسن بن....(١) بن ظهيرة القرشية المكية وجهّزت في يومها وصلّي عليها عصر تاريخه عند الحجر الأسود- كعادة سلفها- ودفنت بالمعلاة عند جماعتها بالقرب من الشيخ علي الشولي. رحمها الله تعالى وإيانا. وخلّفت ولدها البرهاني إبراهيم ابن الشيخ المجذوب الجمالي محمد ابن شيخنا مفتي الشافعية شرف الدين إسماعيل بن أبي يزيد اليمني المكي. وكانت غالب عمرها عزبة مع فقْرها وخيرها.

وفي ضحى يوم الخميس تاسع عشر الشهر دخل قاضي العسكر محيي الدين جلبي ابن الغباري الكعبة الشريفة بعياله وجماعته من غير مشاركة لهم في ذلك، ثم زار مقام الخليل [١٩٧ ب] وتوجّه لزيارة المواليد ومعه عياله، وكنتُ صحبته، فأظهر الاعتقاد، والبشاشة لبلوغه المراد. وأعطى شيخ الحجبة ثلاثة أشرفية سلطانية وزوجته واحداً جملتها ستة عشر أشرفياً، ووعد خدام المواليد و لم أتحقق ما أعطاهم

(١) بياض بمقدار كلمة بالأصل.

بعد ذلك، تقبل الله منه العبادة هنالك.

وفي ليلة الجمعة عشريْ الشهر وصل لمكة أميرها السيد أبو نمي الحسني وطلب القبانين ودلالي الرقيق وعفا عنهم في إبطال ما أحدثه عليهم من المكس عام تاريخه فكثر الدعاء له والثناء عليه. ألهمه الله العدل والخير، وصرف عنه كل شر وضير. وتوجّه لرؤية عمارة رباطه في باب الدريبة والبيوت التي أحدثها في المدعى علو مكة. ثم عاد إلى فريقه، أزال الله عنه جميع تعويقه، وألهمه العدل في رعيته.

شهر جماد الثاني استهل كاملاً بالثلاثاء
من سنة ٩٤٦هـ (١٥٣٩م)

في أوله شرع خطيب مكة الآن المحيوي العراقي في لعب العيري بالنقارة أمام منزله لعرس ولده الزيني عبد الرحيم على ستيتة بنت أخي زوجته الزيني مكارم بن عبد القوي مع مرض عمتها وإمعانها في مُهمّها واستمر عشرة أيام.

وفي صبح يوم الجمعة خرجت مؤذنة العرس من جهتي العريسين فلِجهة الزوجة جاريتان حبشيتان ومولدة ولجهة العريس واحدة، فحضر عند خروجهن[١] قاضي المالكية الشرفي الأنصاري، لكون أم العريس بنت عم أمه، وألصق على الثلاث مؤذنات ثلاثة أشرفية سليمية كل واحدة واحداً. وبعض أصحاب والد الزوج وبعض أقارب أمه من بني ظهيرة أهل المسفلة، و لم يحضر أحد من أهل سويقة ولا القضاة والفقهاء. وألصق الحاضرون فضة لم يتحصل في مجموعها نحو ثلاثين أشرفياً على ما بلغني. وقدم للحاضرين معمولاً وانصرفوا.

ثم عُملت الغمرة للعروس في ليلة الأربعاء تاسع الشهر وحضر فيها قليل من النساء وألصقوا فضة إلاّ السيدة أم الحسين ابنة قاضي الشافعية الجمالي أبي السعود

(١) بالأصل: خروجهم .

ابن ظهيرة فألصقت على السلاوية أشرفيا سلطانياً، لكون عمة العروس جعلت لها ذلك في عرس ابنة أخيها قبل تاريخه. وكانت قالت للسلاوية إنها تعطيها جارية عوض موجبتها فلم تقبلها. وقالت: تأخذ لصقها من الحاضرين، فلم يتحصل منهم إلاّ نحو ثلاثين أشرفياً. وضاع لعمة العروس مِصَرّ دراهم[١] في وقت لصقها وقالت: فيه عشرة سليمية وعشرة أشرفية فضة وذلك لوجعها وعدم ضبطها لحالها. فالله تعالى يعافيها ويجعل عاقبتها لخير في مهمّها.

وفي صبح الغمرة كان سماط الوليمة في سكن أبي الزوج بوقف رباط العباس في سوق الليل، وكان لطيفاً فيه المأمونيتان والرغيف السيوطي والرزان والمشورات والماوردية والرومية وغيرها من الأطعمة تكملة اثني عشر - ظنا -. وحضره قضاة البلد وفقهاؤها وبعض التجار وغيرهم. ثم مدّ للنساء مَدّة لطيفة بعد الرجال.

ودخل الزوج على زوجته في ليلة الخميس عاشر الشهر. وهنّأه الناس في صباحها وقدم لهم المعمول والطيب على عادة أهل مكة. وأخرج والد العريس الموجبة.

واشتغلت عمة العروس أم الهدى بوجعها، لطف الله بها وأخلفها خيراً في أهلها وجبرها، ثم اشتد بها الألم وانفتح بطنها بالإسهال وحصل لها الغشيان واستمرت على ذلك اثني عشر يوماً بعد دخول ابنة أخيها على زوجها [١٩٨ أ] وأوصت بجهازها، يقال مائة سلطاني، وأعتقت جاريتين تركية وحبشية وعبدين حبشياً وأسود[٢]. وأقرتْ بدين لزوجها ستمائة أشرفي وأوقفتْ حصتها في بيتين لها - أحدهما بسوق الليل من مخلف أبيها وثانيهما بالمسعى من مخلف أمها - على ابنتي أخيها مدة حياتهما ومن بعدهما على ذريتهما، فإذا انقرضوا يكون لذرية

(١) بالأصل: درهما .

(٢) سقط حرف الدال من الكلمة .

عاصبهما ابن عمها الوجيهي عبد الرحمن ابن الشيخ إدريس بن عبد القوي وهو فقير الحال، كثير الأولاد والعيال، وبذلك حُرم كثيراً من مخلفها وهو من مكر زوجها. والله تعالى يعفو عنها لأنها ماتت وعمرها خمس وخمسون سنة في غروب شمس يوم الإثنين حادي الشهر، فجهّزت في ليلتها وصلّي عليها صبح يوم الثلاثاء ثاني تاريخه ودفنت بالمعلاة على قبر أختها سعادة بجانب أبيها وجدّها. رحمها الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين.

وعمل على قبرها خيمة وقارئين ولم يعمل زوجها لها ربعة إلاّ بأصحابه بلا ختم بل عمل تهليلة للفقراء عصر جمعتها. وكانت (١) المرحومة يعجبها التجمّل وفعل الخيرات والصلات مع عُجبها بنفسها وموافقتها لزوجها في قطع رحمها. عفا الله عنها ورحمها.

واتفق في عشاء ليلة الأحد عشريْ الشهر ولد ذكر للشيخ المدرس النحوي عفيف الدين عبد الله ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الفاكهي سمّاه باسم أبيه شهاب الدين أحمد، وأمّه....(٢) وهو بكر لأبويه واقتصرا في فرحتهم لوجع جارتهم أم الهدى ابنة الشيخ فضل بن عبد القوي.

وحصل في ليلة موتها وصباحه هواء وشعث ثم مطر غزير في مكة وأعمالها وتباشر الناس بعموم الرحمة. خصوصاً وقد شرع ولاة الأمر في تفرقة المبرة من الحب الواصل لأهل مكة من الخنكار سليمان خان ابن عثمان وزوجته خاصكي أم ولده مصطفى في صبح يوم الإثنين المذكور وحضره قضاة مكة الأربعة والشيخ الصوفي علي الكيزواني الحلبي لكون نائب مصر جعل له التكلم مع قاضي مكة المفصول مصلح الدين مصطفى الرومي، وقد سافر مع الحاج الشامي ويتحدث الناس بموته

(١) بالأصل: وكان .
(٢) بياض بمقدار ثلاث كلمات بالأصل .

ونوابه على حكمهم، ووقع الخلاف بينهم في فعل الختم على الأوصال التي تفرق على الناس بوضع ذلك لكل منهم. وطلب المالكي الشرفي أبو القاسم التقدم عليهم في الختم لكون مستنيبه جعله عوضه في التحدث على المسجد الحرام وتعلقاته وأنه يأخذ معلوماً زيادة عليهم. ثم اتفقوا على ترك ذلك وأنّ الأوصال يكتبها الشيخ أبو زرعة المنوفي على عادته ورفقته الشيخ علم الدين العباسي المؤرخ.

فكانت القسمة لكل نفر من حب السلطان كيلتين وربعاً، ومن حب أم محمد كيلة وثلثاً، الجملة لكل واحد ثلاث كَيل ونصف، لأنّ جملة الأسماء المكتوبة من سكان مكة غير التجار والمتسببين أربعة وثلاثون(١) ألفا وجعل لأرباب الوظائف وأهل الجاه أسماء كغيره لا وجود لها. وجملة الحب من الأرادب ألفان وثلاثمائة. أخرج لعمل دشيشة للفقراء كل يوم أربعمائة إردب علي يد الشيخ الكيزواني وعلى يد غيره أربعمائة ثانية الجملة ثمانمائة إردب يفضل للقسمة ألف وخمسمائة إردب. واستمرت قسمة الحب من ثاني عشري جماد الثاني إلى عاشر شهر رجب.

شهر رجب الفرد استهل كاملاً بالخميس
من سنة ٩٤٦ هـ (١٥٣٩م)

[١٩٨ ب] وفي ليلة الجمعة ثانيه كان عقد الشهابي أحمد ابن الشيخ أبي سعيد بن عبيد بن زايد المكي على قريبته....(٢) ابنة المرحوم الجمالي أبي السعود بن عبد الباقي بن زائد في حوش والدة الزوج بأجياد الصغير. وباشر العقد قاضي المالكية الشرفي أبو القاسم الأنصاري وحضّره القاضي الشافعي الشرفي يحيي ابن القاضي الفائز بن ظهيرة والقاضي الحنبلي النجمي محمد ابن الشيخ بركات الزين

(١) بالأصل: ثلاثين .
(٢) بياض بمقدار كلمتين بالأصل .

وجماعة من الفقهاء وأصحاب والد الزوج وأهله. وكان عقداً لطيفاً وشرب الحاضرون سكراً مذاباً مع البخور والماورد على العادة. وفي صباحه هنّأ الناس الزوج ووالده، بارك الله عليهما.

وفي ليلة السبت ثالث الشهر عمل الزوج سفرة لطيفة في بيت والد الزوجة ودخل بها في ليلة الأحد رابع الشهر. وهنّأه الناس في صباحها وقدم المعمول والبخور والماورد على العادة. وكان المهم لطيفاً مع السرعة، وفرح الزوج ووالده بذلك، جعله الله مباركاً ميموناً.

هذا آخر ما وُجِد من التاريخ المذكور منقول من خط المؤلف، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير .

كِتَاب نَيْل المُنَى
بذَيْل بلُوغ القِرَى
لِتَكْمِلَة إتْحَاف الوَرَى

(الفهــارس)

الفهارس

فهرس أعلام الأشخاص

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الجماعات والأمم والقبائل

فهرس الألفاظ والمظاهر الحضارية

فهرس الوظائف و الحِرَف

فهرس عناوين الكتب الواردة في النص

ثبت المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطات:

ابن بدرون: عبد الملك بن عبد اله السبتي.
– كمامة الزهر، وفريدة الدهر:
مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٨٥٣ أدب.
السنجاري: علي بن تاج الدين المكي.
– منائح الكرم، بأخبار مكة والحرم:
نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ٣٠ تاريخ دهلوي.
الطبري: محمد بن علي المكي.
– إتحاف فضلاء الزمن، بتاريخ ولاية بني حسن:
نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ١٥٦ و ١٢٦تاريخ دهلوي.
ابن العريف: أحمد بن الحسين المكي.
– الدر المنظوم، في مناقب السلطان بايزيد سلطان الروم:
نسخة مكتبة فاتح بإسطنبول رقم ٤٣٥٧.
ابن فهد: جار الله محمد بن عبد العزيز.
– الجواهر الحسان، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان:
نسخة جامعة إسطنبول (دار مثنوي) رقم ٣٦٠.
– القول المؤتلف، في نسبة الخمسة بيوت إلى الشرف:
نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ١١٨ تراجم دهلوي.
– النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف:
نسخة شستر بيتي رقم ٣٨٣٨.
ابن فهد: العز = عبد العزيز بن عمر المكي الهاشمي.
– بلوغ القرى، في ذيل إتحاف الورى، بأخبار أم القرى:
نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ١ تاريخ دهلوي.
ابن فهد: النجم = عمر بن محمد المكي الهاشمي.
– الدر الكمين، بذيل العقد الثمين، في تاريخ البلد الأمين:
نسخة مكتبة رضا رامبور بالهند رقم ٣٦١٢ تاريخ.

ب ـ المطبوعات:

أوزون : إسماعيل حقي.

ـ أمراء مكة في العهد العثماني:

ترجمة خليل مراد. منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة. العراق ١٩٨٥ م.

ابن إياس: محمد بن أحمد.

ـ بدائع الزهور، في وقائع الدهور:

تحقيق محمد مصطفى. ط. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة، ١٩٦١.

البغدادي: إسماعيل باشا.

ـ إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون:

طبع إسطنبول ١٩٥١ م، مجلدان.

البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد.

ـ الفرق بين الفرق:

عناية وتعليق الشيخ إبراهيم رمضان. الناشر دار المعرفة. بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

البلادي: عاتق بن غيث.

ـ معجم معالم الحجاز:

طبع دار مكة، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م.

البيهقي: أحمد بن الحسين.

ـ شعب الإيمان:

طبع لبنان.

الترمذي: محمد بن عيسى.

ـ السنن:

تحقيق أحمد شاكر وآخرون. طبع مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٥٦ ـ ١٣٨١ هـ / ١٩٣٧ ـ ١٩٦٢ م.

ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف.

ـ الدليل الشافي، على المنهل الصافي:

تحقيق فهيم شلتوت، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٩٨٣ م، جزآن.

الجزيري: عبد القادر بن محمد.

ـ الدرر الفرائد المنظمة، في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة:

تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة الرياض، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

الجوهري: إسماعيل بن حماد.

ـ الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية:

تحقيق أحمد عبد الغفور عطار طبع القاهرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ٦ مجلدات.

ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي.

ـ تقريب التهذيب:

تحقيق محمد عوّامة. ط. دار الرشيد، حلب، سوريا ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

الحربي: إبراهيم بن إسحاق.

ـ كتاب المناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة:

تحقيق حمد الجاسر. دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

الحلبي: رضي الدين.

ـ درر الحبب، في تاريخ أعيان حلب:

طبع الشام.

خليفة : حاجي مصطفى.

ـ كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون:

نشر محمد شرف الدين، ط. إسطنبول ١٩٤١ ـ ١٩٤٣ م، مجلدان.

دهمان : محمد احمد.

ـ معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي:

دار الفكر، دمشق ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

ابن الديبع: عبد الرحمن بن علي.

ـ الفضل المزيد، على بغية المستفيد، في أخبار زبيد:

تحقيق محمد عيسى صالحية. منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

الرشيد: ناصر بن سعد.

ـ بنو فهد مؤرخو مكة:

بحث نشر في مجلة العرب ج١١ و١٢ من سنة ١٣٩٧ هـ.

الرمال : غسان.

ـ صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر:

طبع دار العلم، جدة، المملكة العربية السعودية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.

الزبيدي: محمد مرتضى.

– تاج العروس، من جواهر القاموس:

طبع القاهرة ١٣٠٦ – ١٣٠٧ هـ، ١٠ مجلدات.

الزركلي: خير الدين.

– الأعلام:

طبع دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠ م، ٨ أجزاء.

الزهراني: ضيف الله.

– أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة:

مطبوعات جامعة أم القرى بمكة المكرمة. ١٤١١ هـ / ١٩٩١م.

زيدان: جرجي.

– تاريخ آداب اللغة العربية:

نشر دار مكتبة بيروت ١٩٦٧ م، ٤ أجزاء.

السخاوي : محمد بن عبد الرحمن.

– الضوء اللامع، لاهل القرن التاسع:

مكتبة حسام الدين المقدسي، القاهرة، ١٣٥٣ هـ، ١٢ جزء.

أبو شامة: شهاب الدين.

– الباعث على إنكار البدع والحوادث:

شرح ومراجعة إبراهيم رمضان. دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٢م.

ابن الضياء الحنفي: محمد بن أحمد القرشي الصاغاني المكي.

– البحر العميق، في العمرة والحج إلى بيت الله العتيق:

نشر المكتبة التجارية، مكة المكرمة سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

ابن طولون: محمد بن علي الصالحي.

– إعلام الورى، بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى:

تحقيق محمد أحمد دهمان. دار الفكر. دمشق ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

– مفاكهة الخلان، في حوادث الزمان:

تحقيق محمد مصطفى. المؤسسة المصرية العامة. القاهرة ١٣٨٤ هـ /١٩٦٤م.

عبد الغني: أحمد جلبي.

– كتاب أوضح الإشارات في من ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات.

تحقيق محمد فؤاد الماوي. طبع دار نشر الثقافة، القاهرة ١٩٧٧م.

العصامي: عبد الملك بن حسين.

– سمط النجوم العوالي، في أنباء الأوائل والتوالي:

المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م، ٤ أجزاء.

ابن عماد الحنبلي: عبد الحي بن علي.

– شذرات الذهب، في أخبار من ذهب:

طبع دار الفكر، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٨٩ م (مصورة) ٨ أجزاء.

العيدروسي: محيي الدين عبد القادر بن شيخ.

– النور السافر: عن أخبار القرن العاشر:

بعناية محمد رشيد أفندي الصفار، ط. الفرات، بغداد ١٩٣٤ م.

الغزالي: أبو حامد.

– إحياء علوم الدين:

طبع مصر، ٤ أجزاء. د. ت.

الغزي: نجم الدين محمد بن محمد.

– الكواكب السائرة، بأعيان المائة العاشرة:

تحقيق جبريل جبور. نشر محمد أمين دمج، بيروت، د. ت.

الفاسي : تقي الدين محمد بن أحمد المكي.

– شفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام:

تحقيق عمر عبد السلام تدمري. نشر دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، جزآن.

– العقد الثمين، في تاريخ البلد الأمين:

تحقيق فؤاد سيد ومحمود الطناحي. مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م، ٨ أجزاء.

الفاكهي: محمد بن إسحاق.

– أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه:

تحقيق عبد الملك بن دهيش، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، ٦ أجزاء.

ابن فهد: جار الله محمد بن عبد العزيز المكي الهاشمي.

– حسن القرى في أودية أم القرى.

نشر الكتاب محققا في مجلة العرب سنة ١٤٠٧هـ.

ابن فهد: العز = عبد العزيز بن عمر المكي الهاشمي.

– غاية المرام، بأخبار سلطنة البلد الحرام:

تحقيق فهيم شلتوت. طبع مركز البحث العلمي، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٦ – ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٦ – ١٩٨٩م، ٣ أجزاء.

ابن فهد: النجم: عمر بن محمد المكي الهاشمي.

– إتحاف الورى، بأخبار أم القرى:

الأجزاء الثلاثة الأولى بتحقيق فهيم شلتوت، والجزء الرابع بتحقيق عبد الكريم الباز والجزء الخامس (فهارس) وضعها صادق البيلي ومحمد إسماعيل السيد نشر مركز البحوث العلمية جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٣هـ. خمسة أجزاء.

القرافي: بدر الدين محمد بن يحيى.

– توشيح الديباج، وحلية الإبتهاج:

تحقيق أحمد الشتيوي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

القرماني: أحمد بن يوسف.

– أخبار الدول، وآثار الأول، في التاريخ:

ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير.

– فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات المسلسلات:

طبع باعتناء إحسان عباس. نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٢ – ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٢ – ١٩٨٦ م، ٣ أجزاء.

كحالة: عمر رضا.

– معجم المؤلفين:

مطبعة الترقي. دمشق ١٩٥٧ –١٩٦١ م، ١٥ جزء.

الكوثري: محمد زاهد.

– مقدمة ذيول تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي:

طبع دار إحياء التراث، دمشق، د. ت.

ماهر: سعاد.

– البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية:

دار الكاتب العربي، القاهرة، د. ت.

ماير (ل.م).

– الملابس المملوكية:

ترجمة صالح الشيتي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢ م.

محمد فريد بك المحامي.

– تاريخ الدولة العلية العثمانية:

تحقيق إحسان حقي. دار النفائس، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

محمود شوكت.

– التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية:

ترجمة يوسف نعيسة، محمود عامر، ط. دمشق ١٩٨٨م.

مخلوف : محمد المنستيري.

– شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية:

المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٩ – ١٣٥٢ هـ، جزآن.

مرداد: أبو الخير عبد الله بن أحمد.

– المختصر من كتاب نشر النور والزهر، في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر:

اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي. طبع عالم المعرفة، جدة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

المشيقح: إبراهيم.

– جار الله بن فهد المكي مؤرخا:

رسالة لم تطبع: نوقشت بجامعة الإمام بالرياض سنة ١٤١٢ هـ.

المصري: حسين مجيب.

– معجم الدولة العثمانية:

طبع الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

المقحفي: إبراهيم بن أحمد.

– معجم المدن والقبائل اليمنية:

ط. دار الكلمة. صنعاء ١٩٨٥ م.

النهروالي: قطب الدين محمد بن علاء الدين المكي.

– الإعلام، بأعلام بيت الله الحرام:

ط. مصر ١٩٥٠ م.

– البرق اليماني، في الفتح العثماني:

طبع بإشراف حمد الجاسر. دار اليمامة، الرياض ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م.

النووي: يحيى بن شرف.

– **تهذيب الأسماء واللغات:**

المطبعة المنيرة. القاهرة، ٣ أجزاء، د.ت.

الهيلة: محمد الحبيب.

– **التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر:**

ط. مؤسسة الفرقان، لندن ١٩٩٤ م.

الحموي: ياقوت.

– **معجم البلدان:**

طبع دار صادر، بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٧٧ م. ٥ مجلدات.

ج - المراجع الأجنبية:

Dozy, R. P. A.

- **Dict. détaillé des noms des vêtements chez les Arabes.**
  Amsterdam : J. Müller. 1845.
- **Supplément aux dictionnaires Arabes.**
  Leyde : Brill. 1881.

Kammerer, Albert.

- **La Mer Rouge, l'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Antiquité:**
  Soc. Royale de Géographie d'Egypte, Le Caire, 1937, 3 Volumes.

Serjeant, R. B.

- **The Portuguese off the South Arabian coast.**
  Oxford : Clarendon Press. 1963.

فهرس محتوى الكتاب

٣٥٤ – شهر ربيع الثاني ٩٣١ هـ/١٥٢٥م.

٣٥٧ – شهر رمضان سنة ٩٣٢ هـ/١٥٢٦م.

٣٦٠ – شهر شوال سنة ٩٣٢ هـ/١٥٢٦م.

٣٦٦ – شهر ذي القعدة سنة ٩٣٢ هـ/١٥٢٦م.

٣٧٩ – شهر ذي الحجة سنة ٩٣٢ هـ/١٥٢٦م.

٣٨١ – شهر محرم سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٦م.

٣٨٨ – شهر صفر سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٦م.

٣٩٠ – شهر ربيع الأول سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٦م.

٣٩٧ – شهر جماد الأول سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٧م.

٣٩٨ – شهر جماد الثاني ورجب سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٧م.

٣٩٩ – شهر شعبان سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٧م.

٤٠٨ – شهر رمضان سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٧م.

٤١٣ – شهر شوال سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٧م.

٤١٣ – شهر ذي القعدة سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٧م.

٤١٨ – شهر ذي الحجة سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٧م.

٤٢٤ – سنة ٩٣٤ هـ/١٥٢٧- ١٥٢٨م.

٤٢٤ – شهر ذي القعدة سنة ٩٣٤ هـ/١٥٢٨م.

٤٢٧ – شهر ذي الحجة سنة ٩٣٤ هـ/١٥٢٨م.

٤٣٤ – شهر محرم سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٨م.

٤٤٠ – شهر صفر سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٨م.

٤٤١ – شهر ربيع الأول سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٨م.

٤٤٥ – شهر ربيع الثاني سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٨م.

٤٥٢ – شهر جماد الثاني سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٩م.

٤٥٣ – شهر رجب سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٩م.

٤٥٦ – شهر شعبان سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٩م.

٤٥٩ – شهر رمضان سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٩م.

٤٦٤ – شهر شوال سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٩م.

٤٦٩ – شهر ذي القعدة سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٩م.

٤٧٧ – شهر ذي الحجة سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٩م.

٤٨٧ – شهر محرم سنة ٩٣٦ هـ/١٥٢٩م.

٤٩٤ – شهر ربيع الأول سنة ٩٣٦ هـ/١٥٢٩م.

٥٠١ – شهر ربيع الثاني سنة ٩٣٦ هـ/١٥٢٩م.

٥٠٢ – شهر جماد الأول سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م.

٥٠٥ – شهر جماد الثاني سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م.

٥١٢ – شهر شعبان سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م.

٥١٦ – شهر رمضان سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م.

٥١٩ – شهر شوال سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م.

٥٢١ – شهر ذي القعدة سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م.

٥٢٩ – شهر ذي الحجة سنة ٩٣٦ هـ/١٥٣٠م.

٥٣١ – شهر رمضان سنة ٩٣٨ هـ/١٥٣٢م.

٥٣٧ – شهر شوال سنة ٩٣٨ هـ/١٥٣٢م.

٥٤٠ – شهر ذي القعدة سنة ٩٣٨ هـ/١٥٣٢م.

٥٤٥ – شهر ذي الحجة سنة ٩٣٨ هـ/١٥٣٢م.

٥٥٢ – سنة ٩٣٩ هـ/١٥٣٢- ١٥٣٣م.

٥٥٧ – شهر ذي الحجة سنة ٩٣٩ هـ/١٥٣٣م.

٥٦٣ – سنة ٩٤٠ هـ/١٥٣٣ – ١٥٣٤م.

٥٧٣ – شهر ذي الحجة سنة ٩٤٠ هـ/١٥٣٤م.

٥٨٠ – سنة ٩٤١ هـ/١٥٣٤ – ١٥٣٥م.

٥٨٥ – شهر رمضان ٩٤١ هـ/١٥٣٥م.

٥٩٤ – شهر محرم سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٥م.

٥٩٧ – شهر ربيع الأول سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٥م.

٦٠٢ – شهر جماد الأول سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٥م.

٦٠٦ – شهر رجب سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٥ – ١٥٣٦م.

٦١٠ – شهر شعبان سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٦م.

٦١٤ – شهر رمضان سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٦م.

٦٢٧ – شهر ذي القعدة سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٦م.

٦٣٠ – شهر ذي الحجة سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٦م.

٦٤١ – شهر محرم سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٦م.

٦٤٨ – شهر ربيع الأول سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٦م.

٦٥٢ – شهر ربيع الثاني سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٦م.

٦٥٥ – شهر جماد الأول سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٦م.
٦٥٧ – شهر جماد الثاني سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٦م.
٦٥٩ – شهر رجب سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٦م.
٦٦١ – شهر شعبان سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٧م.
٦٦٣ – شهر رمضان سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٧م.
٦٧٠ – شهر شوال سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٧م.
٦٧٣ – شهر ذي القعدة سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٧م.
٦٧٧ – شهر ذي الحجة سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٧م.
٦٩١ – شهر محرم سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٧م.
٦٩٨ – شهر صفر سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٧م.
٧٠١ – شهر ربيع الأول سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٧م.
٧٠٦ – شهر ربيع الثاني سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٧م.
٧١١ – شهر جماد الأول سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٧م.
٧١٥ – شهر جماد الثاني سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٧م.
٧١٦ – شهر رجب سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٧م.
٧١٨ – شهر شعبان سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٨م.
٧٢٣ – شهر رمضان سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٨م.
٧٢٨ – شهر ذي القعدة سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٨م.
٧٣٥ – شهر ذي الحجة سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٨م.
٧٤٢ – شهر محرم سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٨م.
٧٤٥ – شهر صفر سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٨م.
٧٥٠ – شهر ربيع الأول سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٨م.
٧٥٣ – شهر ربيع الثاني سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٨م.
٧٥٥ – شهر جماد الأول سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٨م.
٧٥٧ – شهر رمضان سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٩م.
٧٦١ – شهر شوال سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٩م.
٧٦٥ – شهر ذي القعدة سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٩م.
٧٧٤ – شهر ذي الحجة سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٩م.
٧٨٣ – شهر محرم سنة ٩٤٦ هـ/١٥٣٩م.
٧٨٧ – شهر صفر سنة ٩٤٦ هـ/١٥٣٩م.

٧٩٢ – شهر ربيع الأول سنة ٩٤٦ هـ/١٥٣٩م.
٧٩٥ – شهر ربيع الثاني سنة ٩٤٦ هـ/١٥٣٩م.
٨٠٠ – شهر جماد الأول سنة ٩٤٦ هـ/١٥٣٩م.
٨٠٣ – شهر جماد الثاني سنة ٩٤٦ هـ/١٥٣٩م.
٨٠٦ – شهر رجب سنة ٩٤٦ هـ/١٥٣٩م.

إصدارات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

١ – التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر

تصنيف : د. محمد الحبيب الهيلة

الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

٢ – كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى

تأليف : جار الله بن العز بن النجم بن فهد

تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة

الطبعة الأولى – ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م

٣ – وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى

تأليف : نور الدين علي بن أحمد السمهودي

تحقيق : د. قاسم السامرائي

الطبعة الأولى – ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م

٤ – البيئة الطبيعية لمكة المكرمة

رقية حسين سعد نجيم

الطبعة الأولى – ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م

طبع بإشراف

دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
Cellulair: 009613-638535 :خليوي / Tel: 009611-350331 :تلفون
ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان / Fax: 009611-742587 :فاكس
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN